# موسوعة

# الموصل الحضارية

## المجلد الأول

١






جامعة الموصل
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

# موسوعة الموصل الحضارية

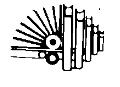
## المجلد الأول

## ١

دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل



الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م
٩١٠٢٥ / ٥٠٠٠ / ١



نشر وطبع وتوزيع :
دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل
شارع ابن الأثير- الموصل- جمهورية العراق
هاتف ٧٦٣٢٣١
تلكس ٨٠٩٢



بسم الله الرحمن الرحيم

## هيئة تحرير موسوعة الموصل الحضارية





# كلمة رئيس الجامعة

دأبت جامعة الموصل منذ ولادتها قبل حوالي ربع قرن على شقّ طريق علميّة ، وترسم لها تقاليد واضحة المعالم .

وشاء اللّه لها أن تنمو نمواً سليماً على صعيدي التوسّع والرسوخ ، وكان من تقاليدها تلك أن تضع خططها العلمية والتربوية على مدار زمن يستوعب الانجاز محسوباً على أساس طبيعة الخطة ، وتوفير مستلزماتها بما يحقق إبداعاً وتفوقاً ينقلان الجامعة أو بعض مؤسساتها من الحالة التي هي فيها الى حالة التصوّر فيما ينبغي أن تكون عليه في المستقبل .

وهكذا وضعت الجامعة خطتها الخمسية للبحث العلميّ التي قُدّر لها أنْ تنتهي عام ١٩٩٠ مؤشرة فيها جملة ميادين بحثية تفضي كلها إلى الإحاطة بمجالات البحث كافة : علمية صرفاً ، وإنسانية ، تراثية ومعاصرة ، مايتصل بحضارة الوطن والأمة ، أو يوثق صلة الجامعة بالمجتمع ، مع الاهتمام الخاص بمحيط الجامعة ، وارضها التي يضرب فيها جذر المعرفة الانسانية في الأعماق .

ومنذ خمس سنوات ملأى بالعمل المثابر الدّؤوب ، وضعت الجامعة نصب عينيها أنْ تُعِدَّ (موسوعة) حضارية لمدينة الموصل العريقة في التاريخ والأمجاد والمثل العليا والنشاط العقليّ ، فلهذه المدينة العامرة حق من حقوق الأبوة الكريمة على وليدتها الناشئة في العصر الجديد لتذكّر الناس بالمآثر الحميدة ، وأن تميط اللثام عن وجهها الناصع ، وأنْ تمسح غبار القرون لنعرف كيف كان زهو السنين الخوالد .

لقد أشرقت الموصل في أفق حضاريّ واسع منذ فجر التاريخ ، ونشط فيها الفكر أيّ نشاط وتأبّت على الغزو والاجتياح ، فكان على وليدتها البارّة أن تبشر بولادة لها جديدة في هذه الموسوعة سعياً من أجل كتابة تاريخنا المشرق الذي حاولت طمس معالمه شتى الأهواء والنزعات .

وكانت الهيأة المشرفة على إنجاز هذا المشروع الكبير قد جهدت في استكتاب المتخصصين من ذوي العلم والتخصص والدراية من داخل الجامعة ، والجامعات العراقية ومن خارجها ، ونشطت هي واللجان الفرعية المنبثقة عنها في تحري العلمية والدقة والاستيعاب مع الانسجام والتكامل مااستطاعت إلى ذلك سبيلاً ، ليأتي العمل متآلفاً ، وإن اختلفت الرؤى والاجتهادات أحياناً .



ومضت السنوات الخمس ، وقد أطلت الجامعة على السنة الخامسة والعشرين من ولادتها الميمونة ، وآن لها أن تُعِدّ لاحتفال الميلاد بعد مرور هذا الزمن الجميل الزاهي من شباب الجامعة التي تغذّ الخطى على طريق التقدم بلا هوادة أو تردد .

وإنّني لأشعر بالسعادة إذ تخرج (موسوعة الموصل الحضارية) في عيد تأسيس الجامعة لمناسبة إطفائها خمسة وعشرين شمعة على أحسن مايكون الإخراج في مطبعة الجامعة التي توالي إصدار نتاج العقل الجامعي الحيّ بما يوافق الشكلُ والمضمون .

وهذه الموسوعة جزء من الاهداء الفكري والتربوي والثقافي لهذه الجامعة الفتية ، التي حباها السيد الرئيس القائد صدام حسين بالتكريم ، إلى المجتمع والى جمهور الباحثين وطلبة المعرفة الوالجين العصر الجديد من أوسع أبوابه ، وسيجد كلٌّ ذي بغيةٍ بُغيتَه في هذا الانجاز الكبير.

ومن ثَمَّ حُقَّ للهيأة المشرفة ، ولكل من أسهم في الاعداد والإخراج : باحثين وفنيّين ، أنْ يتلقّوا منا أعظم الثناء والإكبار.

دعاء للبناة المخلصين العاملين بيقين لمصلحة العلم ، وقد صدقوا أنفسهم في القول والعمل .

ومنه تعالى المنّةَ والسداد والتوفيق

**أ.د. عبد الإله يوسف الخشّاب**
**رئيس جامعة الموصل**



# المقدمة

إن الحضارة بصفتها مجموع المنجزات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والفنية التي حققها مجتمع من المجتمعات خلال حقبة زمنية معينة ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الاستقرار في بقعة معينة من الارض أمداً مناسباً من الزمن حيث يتاح لافراد ذلك المجتمع أن يتفاعلوا مع البيئة الطبيعية ويواجهوا تحدياتها المتنوعة بطريقة مبدعة خلاقة .

وقد لاحظ العرب منذ زمن بعيد هذا الترابط بين الحضارة والاستقرار في مكان معين فقالوا : إن الحضارة على خلاف البادية ، وهي الاقامة في الحضر. ومن ثم فقد أطلقوا على الأنسان الذي يقيم في المدينة بصورة دائمة ومستقرة الحضري ، في حين أطلقوا على من يعيش حياة البداوة أي التنقل المستمر البدوي[1] .

وهكذا فقد غدت المدن في نظر العرب منذ زمن بعيد مراكز الابداع والتراكم الحضاري حيث يرث كل جيل ماأبدعه الجيل السابق ويضيف عليه حتى تنشأ المدن العظيمة وتزدهر فيها العلوم والفنون والعمران مالم تصادفها بعض النكبات والكوارث التي تزلزل بنيانها أو تشتت سكانها. وقد تولى ابن خلدون شرح هذه الظاهرة وتحليل اسبابها في كتاب المقدمة[2] .

وكان مما قاله ابن خلدون في هذا المجال : «فلابد في تمصير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك ، ثم اذا بنيت المدينة وكمل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية ، فعمر الدولة حينئذ عمر لها ، فإن كان عمر الدولة قصيراً وقفت الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت ، وإن كان أمد الدولة طويلاً ومدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحيبة تكثر وتتعدد ونطاق الاسواق يتباعد وينفسح الى أن تتسع الخطة وتبعد المسافة ، وينفسح ذرع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها»[3] .

ويلاحظ أن الكثير من المدن قد وجدت منذ زمن بعيد ، وشهدت عدةً من الدول والحضارات ، ومرت بها فترات ازدهار وانحطاط ، وعلى الرغم من كل ذلك ، فهي باقية على مر الزمن ، شاهدة على التحولات الحضارية التي مرت بها وبالانسانية. وكان من جملة هذه المدن مدينة الموصل ، التي ظهرت منذ العصر الآشوري وظلت قائمة حتى الوقت الحاضر.

---

١. الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، بيروت ، دار الفكر، بلا ت.ج ٢ ، ص ١٠.

٢. ابن خلدون ، المقدمة ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، (بلا ت) ص ٣٤٢- ٣٨٠.

٣. المصدر نفسه ، ص ٣٤٣.



لقد حملت هذه الحقيقة بعض اساتذة التاريخ، ومنهم هيئة تحرير موسوعة الموصل الحضارية على التفكير في أن دراسة تاريخ الامة الحضاري بصورة عميقة وشاملة قد تتطلب البدء بدراسة تاريخ المدن التي ساهمت بنشأة تلك الحضارة لأنها كانت بمثابة المراكز التي نمت في داخلها بذور الحضارة وترعرعت على يد أبنائها قيمها وأشكالها المختلفة. وكانت الموصل إحدى أقدم المدن العراقية التي حملت مشعل الحضارة منذ الألف الأول قبل الميلاد وحتى الوقت الحاضر.

وكان خير من يحتضن هذه الفكرة ويسعى لوضعها موضع التنفيذ جامعة الموصل لانها حاملة مشعل الابداع والحضارة في مدينة الموصل في الوقت الحاضر، وهي تمتلك كل الامكانيات العلمية والمادية لتحقيق هذا الهدف. لذا فقد أتجه كاتب هذه السطور الى السيد رئيس الجامعة الاستاذ الدكتور عبد الاله الخشاب يعرض عليه الفكرة من جميع جوانبها العلمية والعملية، فتقبلها باهتمام بالغ وتجاوب عميق وطلب اعداد دراسة تفصيلية مدونة لغرض مناقشتها في ندوة موسعة تضم اساتذة في تخصصات التاريخ والجغرافية واللغة والادب والفنون وغيرها. وبعد مناقشة مستفيضة للفكرة من جميع جوانبها تقرر تبنيها بحماس والشروع بتنفيذها ضمن خطة البحث العلمي الخمسية للجامعة.

وهكذا فقد تشكلت هيئة تحرير موسوعة الموصل الحضارية، وتفرع عنها ثلاث لجان متخصصة، احداها للاشراف على كتابة تاريخ الموصل الحضاري في العهود القديمة برئاسة الأستاذ الدكتور عامر سليمان والثانية برئاسة الأستاذ الدكتور هاشم الملاح للاشراف على كتابة تاريخ الموصل الحضاري في الحقبة الاسلامية، والثالثة برئاسة الدكتور ابراهيم خليل احمد للاشراف على كتابة تاريخ الموصل الحضاري في الحقبة الحديثة والمعاصرة. وقد تولى الدكتور احمد عبد الله الحسو سكرتارية تحرير الموسوعة.

لقد قامت هيئة تحرير الموسوعة في بداية عملها بإعداد كراس يتضمن خطة تفصيلية بعناوين الابواب والفصول والمباحث التي ستتضمنها الموسوعة، كما وضعت القواعد المنهجية والعلمية الواجب اتباعها في كتابة البحوث كي تضمن الاتساق بين كافة بحوث الموسوعة.

ولم تعتمد هيئة الموسوعة الاسلوب الشائع في تحرير الموسوعات الذي يقوم على توزيع المباحث حسب الحروف الابجدية لأن ذلك يفقد الموسوعة وحدتها الموضوعية ويحرم القارئ من متابعة التطور التاريخي لمجموع الظواهر الحضارية وفقاً لتسلسلها الزمني وترابطها الموضوعي. وفضلت اعتماد المنهج التاريخي الذي يدرس الظاهرة الحضارية في تطورها عبر حقب التاريخ المختلفة. كما يدرسها في اطار علاقاتها المتبادلة مع الظواهر الأخرى.

ولم يكن تحرير الموسوعة على وفق هذا المنهج بالامر اليسير وبخاصة حينما يشارك في كتابة مباحث الموسوعة عدد كبير من الباحثين يزيد على المائة باحث يتوزعون على مختلف الجامعات العراقية.

إن تفاوت الباحثين في اسلوب الكتابة وطريقة المعالجة أمر قد يجوز التغاضي عنه اذا قورن بالمصاعب الناجمة عن عملية الربط بين جميع بحوث الموسوعة من أجل تقديم وحدة عضوية متكاملة على الصورة التي تطمح هيئة تحرير الموسوعة إلى تحقيقها.

وعلى الرغم من كل ماتقدم، فقد عملت هيئة تحرير الموسوعة على تحقيق هدفها متخطية شتى الصعاب، وبذلك قدمت عملاً جماعياً تضافرت في اخراجه شتى التخصصات العلمية في جامعة الموصل وبقية الجامعات العراقية. كما ساعد باحثون آخرون من خارج الجامعة في كتابة بعض مباحث الموسوعة.





غير أن ماتقدم لايعني أن الموسوعة قد بلغت درجة الكمال ، فإن الكمال لله وحده ، ولكن بالامكان القول أن الموسوعة تمثل أفضل وأوسع عمل علمي نشر عن مدينة الموصل حتى الوقت الحاضر.

وثمة مسألة في تنظيم فصول ومباحث الموسوعة تجدر ملاحظتها ، وهي أن هيئة تحريرها قد وجدت أن من الضروري دراسة الظواهر الحضارية في منطقة الموصل في سياق التطور السياسي العام الذي مر بالمنطقة عبر مختلف الحقب والعصور من أجل ابراز دور كل عصر في خدمة الحضارة والانسانية . ثم التوقف بعد ذلك عند كل مظهر أو ظاهرة حضارية لدراستها دراسة مفصلة ودقيقة . إن هذه المنهجية في تنظيم الموسوعة قد تؤدي الى بعض التكرار ولكنه التكرار الاشبه بعملية التأكيد والربط الذي يقتضيه سياق البحث والدراسة من أجل ابراز كل جوانب الموضوع ومعالجتها بصورة وافية .

وربما كان من الضروري أن ننبه في هذه المقدمة الى أن الظواهر الحضارية لايمكن دراستها في اطار جغرافي ضيق وبمعزل عن المناطق المحيطة بها لان من طبيعة الحضارة التأثر والتأثير. ومن ثم فإن توجه الموسوعة الى دراسة الحضارة في اطار منطقة الموصل لايعني اقتصار الدراسة على بقعة الموصل الجغرافية وإنما يتجاوز ذلك الى مختلف انحاء العراق وخارجه طالما كانت هنالك عمليات تفاعل حضاري ، وتأثر وتأثير متبادلين.

ثم ان حدود منطقة الموصل لم تكن ثابتة في حقب التاريخ المختلفة ، إذ تشير الدراسات الآثارية والتاريخية الى أن حدودها كانت تتسع وتضيق بحسب الظروف السياسية التي كانت سائدة فيها . فقد اتسعت الحدود الحضارية والسياسية لمنطقة الموصل حينما غدت نينوى عاصمة للامبراطورية الآشورية لتشمل جميع انحاء العراق «بلاد بابل وآشور». بل إن تأثيرها قد تجاوز حدود العراق ليشمل معظم انحاء الشرق القديم ، من مصر غرباً الى بلاد عيلام شرقاً ومن البحر الأعلى (المتوسط ) شمالاً الى البحر الاسفل (الخليج العربي ) جنوباً .

أما في فترات الضعف والتدهور السياسي فإن حدود منطقة الموصل تضيق وتنكمش لتصبح مقصورة على المدينة وما جاورها من قرى وأرياف كما حصل في فترات التسلط الاجنبي التي امتدت من سقوط بابل وحتى قيام الدولة العربية الاسلامية .

إن الملاحظة الآنفة الذكر لا تصح بالنسبة لحدود الموصل خلال العصور القديمة فحسب ، بل انها تصح كذلك بالنسبة لحدودها في خلال الفترة الاسلامية والحديثة ايضاً ، وذلك لأن حدودها قد امتدت لتشمل معظم شمال العراق ومنطقة الجزيرة . بل إن تأثيرها الحضاري وتفاعلها مع ماحولها قد تجاوز هذه الحدود لأن المعطيات الحضارية لها قد غدت جزء من المعطيات العامة للحضارة العربية الأسلامية . كما كانت في السابق جزءاً من المعطيات العامة للحضارة العراقية القديمة . وهكذا شكلت مساهمة الموصل الحضارية رافداً مهماً من روافد الحضارة العربية الاسلامية .

في ضوء ماتقدم فقد اتجهت بحوث الموسوعة الى محاولة ابراز السمات الخاصة للمظاهر الحضارية في منطقة الموصل في اطار الوحدة العامة للحضارة العربية الاسلامية فتحدثت عن مساهمة علمائها في الحركة الفكرية التي ازدهرت في اطار هذه الحضارة ، وعن اشكال الفنون المعمارية وغيرها التي عرفت في المنطقة وما اتصفت به من خصائص تميزها عن مثيلاتها في المناطق الأخرى .





لقد تألفت الموسوعة من ثلاثة اقسام كبيرة ، خصص القسم الأول منها لدراسة التاريخ الحضاري لمنطقة الموصل في العصور القديمة بدءاً من العصور الحجرية القديمة والوسيطة والحديثة حيث كان يعيش الانسان في الكهوف وحتى انتقاله الى القرية وصولاً الى نشأة المدينة وما ارتبط بها من أنظمة ادارية وسياسية واقتصادية وثقافية . ولم يغفل هذا القسم عن التطورات السياسية التي مرت بها المنطقة في ظل الامبراطورية الآشورية والحكم الكلدي والتسلط الاجنبي .

أما القسم الثاني من الموسوعة فقد خصص لدراسة التطور السياسي والحضاري الذي شهدته منطقة الموصل منذ قيام الحكم العربي الاسلامي وتحرير مدينة الموصل من تسلط الروم البيزنطيين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) مروراً بالحكم الاموي والعباسي المباشر وغير المباشر ، وما اعقب ذلك من وقوع الموصل تحت حكم المغول وغيرهم من الحكام الاجانب وحتى قيام الحكم العثماني .

وقد أولت الموسوعة عناية خاصة لما شهدته الموصل من تطور اقتصادي واجتماعي وثقافي وعمراني وفني في اطار الحضارة العربية الاسلامية خلال هذه الحقبة .

أما القسم الثالث من الموسوعة فإنه قد تناول بالدراسة والتحليل أوضاع الموصل السياسية والحضارية في ظل الحكم العثماني ، وجهود ابناء الموصل لتأكيد هويتهم المتميزة في مواجهة محاولات طمس معالم شخصيتهم الحضارية الخاصة . وقد ختم هذا القسم بدراسة أوضاع الموصل السياسية والحضارية في ظل الحكم الوطني وحتى الوقت الحاضر.

وفي الختام ، فإن رئيس وأعضاء هيئة تحرير موسوعة الموصل الحضارية ، لايسعهم إلا أن يتوجهوا الى السيد رئيس جامعة الموصل الاستاذ الدكتور عبد الاله الخشاب بعميق شكرهم وآمتنانهم لما أبداه من حماس وتشجيع لفكرة أصدار الموسوعة . وقد كان لمتابعته المتواصلة ودعمه الكبير من خلال حضوره بعض اجتماعات الهيئة وتقديمه كل وسائل المؤازرة المادية والمعنوية للمشروع ، الاثر الأكبر في انجاز الموسوعة واخراجها على النحو الذي يراه القارئ بين يديه .

أما السادة أعضاء هيئة تحرير الموسوعة الاستاذ الدكتور عامر سليمان والدكتور ابراهيم خليل والدكتور احمد عبد الله الحسو والاستاذ الدكتور احمد قاسم جمعة فقد كان لجهودهم المتواصلة وتعاونهم البناء مع رئيس الهيئة الأثر البالغ في حسن سير العمل في الموسوعة وانجازها في موعدها المحدد ، لذا فإني أتوجه اليهم بعميق الشكر وخالص الامتنان .

كما لا يفوتني بهذه المناسبة ان اتوجه بالشكر الى الزملاء من الباحثين الذين تجاوبوا معنا في كتابة بحوث الموسوعة وكذلك السادة أعضاء اللجان الفرعية للموسوعة وأخص منهم بالذكر الدكتور توفيق اليوزبكي والدكتور جابر خليل .





وأخيراً من الواجب تقديم الشكر الى السيد أحمد نجم الصبحة مدير دار الحكمة للطباعة والنشر في جامعة الموصل والعاملين معه كافة لتعاونهم البناء وجهودهم المخلصة من اجل طبع الموسوعة واخراجها بالشكل الذي يراه القارئ كما انه لابد من التنويه بالجهود التي بذلها الاستاذ يوسف ذنون في خط عنوان الموسوعة والاشراف على تصميمها واخراجها.

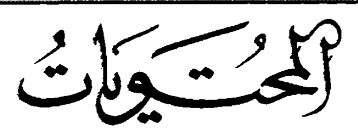
وفق الله العاملين وشكر جهود كل من احسن عملاً.

**الدكتور هاشم يحيي الملاح**
**رئيس تحرير موسوعة الموصل الحضارية**






مكتبة
الفكر الجديد



# المحتويات

## جغرافية منطقة الموصل وتاريخها القديم

### جغرافية منطقة الموصل



### تاريخ منطقة الموصل القديم





## حضارة منطقة الموصل في التاريخ القديم







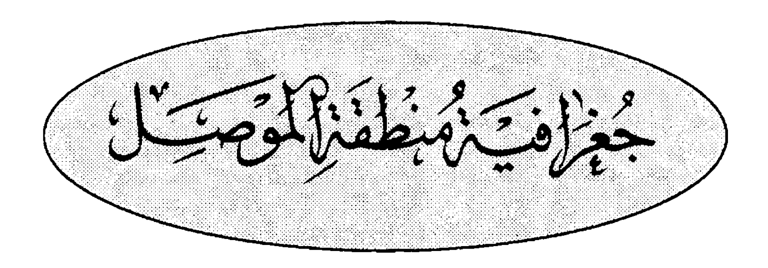

مكتبة
الفكر الجديد

# جغرافية منطقة الموصل وتاريخها القديم






مكتبة
الفكر الجديد



# جغرافية الموصل: دراسة في العلاقات الإقليمية

د. صلاح حميد الجنابي

تحتل مدينة الموصل المرتبة الثالثة في السلم الطبقي لمراتب المدن العراقية بعد مدينتي بغداد والبصرة حسب احصاء عام (١٩٧٧)، وتضطلع بأهمية سكانية واقتصادية وموقعية متميزة في القطر. كما انها مارست دورا رائدا في رسم صيغة التطور والنمو الحضري العراقي من خلال تاريخها الطويل بعد ان جاءت على اعتاب مراكز حضرية قديمة تمتد جذورها الى فترة الامبراطوريات القديمة في العراق الشمالي. وترك هذا السفر الطويل للمدينة بصماته على هذا التمازج الفريد القائم مابين الخلفيات التراثية في العمارة وخطط المدينة، وبين ركائز التجديد التي خلفتها ضرورات التغير في هيكل المدينة الحالي.

وتخضع المدينة حاليا – شأنها شأن المدن العراقية النامية الأخرى – الى صراع حاد بين قوى التغير الحديثة وعناصر الاستقرار والثبات في الركائز الحضارية التراثية الموروثة.

**الموقع الفلكي للمدينة :**

تقع مدينة الموصل في القسم الشمالي من العراق عند تقاطع خطي طول ٠٨ ٤٣ْ شرقا وعرض ١٢ ٣٦ْ شمالا، وهي بموقعها هذا تتوسط المنطقة المعتدلة الشمالية، وعلى الرغم من ان الموقع بالنسبة لخطوط الطول لايترك دلالة جغرافية على الموقع الا في اهميته بتحديد الوقت، غير ان الموقع بالنسبة لخط العرض يرسم بالضرورة مقدار زاوية سقوط اشعة الشمس خلال السنة. كما يؤثر في مقدار الحرارة الواصلة الى سطح المنطقة.

وكان للموقع الفلكي اهمية محدودة في





# موقع مدينة الموصل

تركيا

سوريا

إيران

الأردن

المملكة العربية السعودية

دهوك

اربيل

الموصل

السليمانية

كركوك

تكريت

بعقوبة

بغداد

الرمادي

الكوت

كربلاء

الحلة

الديوانية

النجف

العمارة

السماوة

الناصرية

البصرة

المنطقة الجبلية

منطقة السهول المتموجة

منطقة الهضبة

منطقة السهول المستوية





الدراسات الجغرافية ، حتى في اثره على مقدار اشعة الشمس الواصلة ، الا ان الاختلاف بالنسبة للموقع من المسطحات المائية ، والارتفاع عن مستوى سطح البحر وطبيعة الرياح السائدة وغيرها من العوامل المسيطرة ، تضعف هذا العنصر إن لم تكن تلغيه .

**الموقع الجغرافي للمدينة :**

تحتل مدينة الموصل هضبة مصطبية تنحدر تدريجيا باتجاه نهر دجلة ، وهي جزء من هضبة تشكل جزءا مهما من الاقاليم الفيزيوغرافية ، وهي منطقة السهول المموجة المحصورة بين الاقليم الجبلي في الشمال والشمال الشرقي والشرق ، وهضبة الجزيرة من الغرب والجنوب الغربي .(١)

ان هذا التمايز الواضح في موقع المدينة وفي المناطق المجاورة لها ، جعلها نقطة ارتكاز اساسية للمنطقة الجبلية ، وبوابة دخول مفتوحة باتجاه ارض الجزيرة وعالم البحر المتوسط ، الامر الذي جعلها تتمتع بموقع جغرافي عقدي رسمته ظروف البيئة الطبيعية .

**المظاهر الجغرافية التي رسمت موقع المدينة :**

يخضع الموقع – خاصة بنمطه العقدى الذي يتمثل بموقع مدينة الموصل – الى تأثير عوامل جغرافية ذات مظاهر طبيعية عدة تعمل بمجموعها على اعطاء الخاصية المميزة لموقع المدينة .

**اولا : التركيب او البنية الجيولوجية :**

تكونت منطقة الموصل في نفس الفترة التي تكونت فيها معظم ارض العراق الشمالي ، وذلك ضمن الحركة الالبية التي ضغطت الرواسب البحرية المتجمعة في قاع بحر تشس Tethys الذي كان يغمر معظم مساحة العراق والمناطق المجاورة له . وقد كانت حركة الرواسب موجهة من الشمال الى الجنوب باتجاه القارة الاركية القديمة (كوندوان) Gondwana التي كانت تسيطر على كتلة الارض الصلبة الجنوبية .

ولما كانت قوة الدفع والالتواء اشد في المناطق الشمالية من قاع بحر تشس فان الطيات الكبيرة والمعدة تركزت باتجاه شرقي غربي في كتلة اسيا الصغرى .

وتدرجت قوة الثنيات بالضعف باتجاه الجنوب . وشكلت منطقة الموصل النهايات الجنوبية لقوة الالتواء الامر الذي جعل التباين والتعقيد في بنية المنطقة ليس بالدرجة التي عليها في منطقة الجبال العالية المجاورة لها . الاّ ان تتابع عمليات الالتواء والدفع على الرواسب قد خلق مجموعة من الانكسارات البسيطة في البنية الاساسية لمنطقة الموصل .

ويعود اقدم التراكيب الجيولوجية في المنطقة الى فترة الزمن الثالث ( الكاينوزي Cainozoic ) ، حيث تظهر بعض الترسبات من حجر الكلس والطفل في مناطق متفرقة من اقليم الموصل ، مثل جبل سنجار والمناطق المحصورة بين زاخو وعقرة ، وفي جبل مقلوب ، وتعد هذه التكوينات من اقدم التكوينات الجيولوجية في اقليم المدينة المباشر .(٢)

اما التركيبات الاخرى فانها اكثر حداثة من ذلك ، يعود معظمها الى عصور الزمنين الثالث والرابع . حيث تظهر ترسبات هذه العصور في احجار الجبس والصلصال والخارل ، والصخور التباشيرية واحجار الرمل العائد الى عصر الميوسين الاعلى (فارس الاعلى Upper Fars) وكذلك الصخور المجمعة (الكونكلومرات) البختيارية .(٣)

وتعود بعض الصخور الرملية (sandy stone) الى عصور الزمن الرابع ، خاصة في الفترة المطيرة (السيايستوسين) ، وفي فترة العصر الحديث (Recent) تكونت مجموعة من الأرسابات المائية على طول مجاري الانهار والوديان المنحدرة من المنطقة الجبلية ، وفي بنية السهول المروحية عند اقدام المرتفعات . وسنعود لبعض تفاصيل البنية عندما نتناول مفردات الاقسام الرئيسة لسطح المنطقة .





**ثانياً : التضاريس الارضية**

تتألف المناطق المحيطة بالموصل من مجموعة متنوعة من مظاهر السطح. ونستطيع تمييز المجموعات الرئيسة الآتية :

**١ - مجموعة الهضاب :**

تتألف هضاب المنطقة من هضبتين اساسيتين ، احداهما يدخلها بعض الباحثين ضمن هضاب العراق الغربية ، وهي هضبة الجزيرة ، في حين يفرد لها باحثون آخرون مفردة خاصة مميزة من اقسام سطح العراق. والهضبة الثانية هي هضبة الموصل يدخلها بعض الباحثين ضمن المركب الثانوي للمنطقة شبه الجبلية ، في حين يضعها اخرون ضمن منطقة السهول المموجة التي تقع في مكان متقدم من المنطقة الجبلية العراقية . وفيما يأتي نبذة مختصرة عن كل من هاتين الهضبتين :

**أ- هضبة أرض الجزيرة :**

يشير البعض الى حدودها بأنها تمتد من الحدود العراقية السورية في الشمال والشمال الغربي وتنحدر الى الجنوب مابين دجلة من الشرق والحدود العراقية السورية من الغرب ، حتى تنتهي عند خط عرض ٣٤° ٠٥َ ، وهو الخط الذي يمتد مابين مرتفعات مكحول وسنجار، وبذلك يكون شكلها العام على هيئة مثلث ينتهي رأسه عند جبل مكحول في منطقة الفتحة بينما تمتد قاعدته مع الحد السياسي الكائن مابين العراق وسورية .(٤)

وهي منطقة مرتفعة نسبياً تتكون في الغالب من صخور الجبس الميوسيني ، التي يقدر عمرها بعشرة ملايين سنة ، ويكون سطحها على شكل حوض ضحل ينحدر بشكل عام نحو الجنوب ، كما يحوي انحدارات جانبية من الشرق والغرب ، ويعد وادي الثرثار وروافده المصرف الرئيس لمياه أرض الجزيرة .

وتتميز منطقة الجزيرة بالتصريف الداخلي المغلق ، وبوجود مستنقعات كثيرة جفَّ بعضها مكوناً احواضاً ذات سطح منبسط مملوءة بالترسبات التي جلبتها المياه الجارية . كما تحوي منخفضات وحفر صغيرة وعلى تلال وهضاب صغيرة شديدة الانحدار. وتكثر في هذه المنطقة المستنقعات والترسبات الملحية ، نظراً لكثرة الصخور والاملاح القابلة للذوبان .(٥)

كما ان قسماً كبيراً من الجزيرة مغطى بترسبات حديثة جلبتها الرياح والمياه يصل عمقها في الحفر والاحواض الى ثلاثة أمتار. اما في المناطق المنبسطة فلا يتعدى كونها طبقة خفيفة ضحلة ، وتكثر الكثبان الرملية في الجهة الغربية من هذه المنطقة ، وقد تنتقل من اماكنها بسبب الرياح الشديدة ، مما يترك اثراً سلبياً خاصة في تغير مجاري الوديان والانهار وفي نظام التصريف العام .

وفي منطقة الجزيرة التواءات صغيرة بعضها ظاهر على سطح الارض ، ومعظمها مختف تحت الترسبات ، كما تظهر قطع كثيرة ومتفرقة من احجار الجبس وعلى الأخص مايعود منها الى عهد فارس الاسفل من العصر الميوسيني. وقد أثرت الرياح في هذه الصخور ونحتتها وجعلت حافاتها حادة ودقيقة ، مما يجعل السير او التنقل عليها صعباً جداً .

ويعد منخفض الثرثار أوسع منخفض في العراق وأكثرها غرابة من حيث التكوين حيث يتألف من واد طويل تنتهي اليه وديان كثيرة تنحدر من جبال سنجار وما جاورها من أراضٍ في شمال المنخفض وشرقه ، وباقي الاقسام الشمالية من هذا المنخفض تغطيها ترسبات جلبتها المياه الجارية والرياح وتعود الى الزمن الرابع . اما في الاقسام الجنوبية فنجد ترسبات أقدم عهداً تعود الى عصر الميوسين من الزمن الثالث وتشتمل على احجار الطين والرمل والجبس التي تظهر بوضوح قرب بحيرة الثرثار . ان الحافات الشرقية لمنخفض الثرثار اكثر وضوحاً من الحافة الغربية ، وتظهر عليها الصخور والحصى والصخور المكتلة لفترة البختياري السفلى من العصر البلايوسيني ، اما الحافات الغربية للمنخفض فلا تظهر بوضوح وان الانحدار يكون





الخارطة الجيولوجية للعراق الشمالي

تدريجياً . ويبدو فيها مجموعة من حفر ومنخفضات صغيرة ومستنقعات وبرك وعيون .[٦]

**ب- هضبة الموصل :**

يحدها من الشرق الزاب الكبير ومن الغرب سلسلة جبال سنجار وتلال الشيخ ابراهيم والعطشان ، ويتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠- ٤٥٠ متراً ، سطحها عموماً يميل الى التموج ويحوي على وديان واحواض ضحلة ومرتفعات تلالية تطل على الاراضي المجاورة من ارتفاع ٣٠٠ متر تقريباً ، ويستثنى من ذلك جبل مقلوب (١٠٥٧ متراً) الذي يرتفع الى اكثر من ٣٠٠ متر عن الاراضي المحيطة به . ويمر نهر دجلة في وسطها ليقسمها الى قسمين متساويين تقريباً القسم الشرقي ، وهو بصورة عامة اكثر تنوعاً في تضاريسه ، واغزر مطراً من القسم الغربي مما يترك اثره على مقدار مايتوفر من مياه جوفية وعيون وغطاء نباتي .

اما قسم الهضبة الغربي فهو مكون من أراضٍ متموجة ذات سطح غير منتظم ، تظهر عليه طبقات من صخور حجر الرمل والطفل والصخور المكتلة وحجر الطين والجبس . كما توجد صخور صلبة جنوب الموصل تسمى محلياً ب (مرمر الموصل) وهي صخور الانهدريت Anhydrate . كما ان هناك واديا مقعرا الى الشمال من مدينة الموصل تتصرف مياهه بواسطة وادي المر وتوابعه الى نهر دجلة ، وينقطع سطح الهضبة ببعض التلال المتوسطة الارتفاع مثل تلال عين زالة وموسى .

ان معظم سطح الهضبة مغطى بترسبات مكونة من الصخور والحجارة جلبتها المياه الجارية في

وقت كانت المرتفعات اكثر ارتفاعاً ، والامطار اكثر غزارة والمياه الجارية أشد تياراً في الازمنة الماضية . كما ان هناك طبقة من الترسبات الناعمة تغطي سطح الاحواض والمنخفضات ، كما هو الحال في سهل تلكيف ، الواقع بالقرب من بلدة تلكيف ، وسهل الستك الذي يقع عند الحدود الشمالية للهضبة ، وكلاهما بالاصل عبارة عن التواء مقعر.

**٢ - مجموعة المرتفعات :**

تتوزع ضمن اطار موقع الموصل مرتفعات متباينة في ارتفاعها وموقعها ، وعلى اساس هذين المتغيرين يمكن تمييز تلك المرتفعات وفي الانماط الاتية :

أ - مجموعة المرتفعات الفاصلة بين مظاهر السطح الرئيسة .

ب - مجموعة المرتفعات الموزعة عشوائياً داخل اطار الموقع .

**أ - مجموعة المرتفعات الفاصلة بين مظاهر السطح الرئيس :**

تتكون هذه المجموعة من خطين للمرتفعات احدهما يفصل منطقة هضبة الموصل عن أرض الجزيرة ، ويمتد من منطقة الفتحة على نهر دجلة حتى الحدود العراقية السورية عند الاطراف الغربية لجبل سنجار، في حين يفصل الخط الثاني من المرتفعات هضبة الموصل عن منطقة جبال العراق العالية .

**(١) الخط الأول :**

يبدأ هذا الخط بسلسلة تلال مكحول الممتدة من الفتحة عند نهر دجلة وموازية له باتجاه الشمال لمسافة ٦٠ كيلومتراً. ويبلغ معدل ارتفاع هذه السلسلة ٣٦٠ متراً ، فيما ترقى اعلى قمة فيها الى ٤٦٢ متراً ، وتنتهي سلسلة تلال مكحول شمالاً بسلسلة اقل ارتفاعاً منها يطلق عليها سلسلة تلال

المنطقة الجبلية والسهول المتموجة





مكيحيل وخانوكة، وتستمر في مرتفعات القيارة ٣١٠ أمتار والعطشان ٤٩٠ متراً وعداية ٤٤٧ متراً وشيخ ابراهيم ٥٣٦ متراً وتلعفر ٥٩٨ متراً واشكفت ٦٢٤ متراً ثم جبل سنجار الذي يعلو اكثر هذه السلاسل طولاً وارتفاعاً حيث يبلغ ارتفاعه ١٤٦٣ متراً وطوله ٧٧ كم وبعرض يبلغ في المعدل ١٣ كيلو متراً.

ويعود السبب في قلة ارتفاع هذه المجموعة من المرتفعات الى ان قوى الدفع لم تكن من الشدة بحيث ترفعها الى مستويات اعلى، ويظهر ذلك من انتظام طبقاتها الالتوائية، وقلة الخطوط الانكسارية وزحف الطبقات فيها، فضلاً عن ان عوامل التعرية ساعدت على ازاحة المناطق المرتفعة، ومما ساعد على ذلك هو قلة او انعدام النبات الطبيعي فيها.

وتحوي هذه المرتفعات صخور البختياري المكتملة وعلى مجموعة من صخور الرمل والجبس العائدة الى عهد فارس (عصر الميوسين). وتختفي هذه الصخور على جانبي المرتفعات تحت الترسبات الحديثة.

**(٢) الخط الثاني**

عبارة عن مجموعة من السلاسل الجبلية ذات الاتجاه القوسي من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي، ويتراوح ارتفاعها من ١٠٠٠ - ١٧٠٠ متر تقريباً. وتمثل هذه السلاسل الجبلية حداً فاصلاً اقليمياً وطبيعياً بين مجالات تأثير المراكز الحضرية المهمة في المنطقة، خاصة الموصل واربيل ودهوك، وعموماً تكون جبال زاوة داغ وعقرة داغ حداً فاصلاً بين هضبة الموصل والجبال العالية، وتوازي هذه السلاسل من جهة الشمال والشرق وديانا طولية استوطنت بمجموعة من القرى الزراعية، يتحرك بعضها باتجاه مدن اقدام الجبال مثل الشيخان وعقرة وتكون داخلة ضمن اقليم الموصل. او أن ظروف البيئة الطبيعية لم توفر لها ممراً باتجاه الموصل بل باتجاه دهوك او اربيل لتكون تحت سيطرة تلك المدن.

وتتكون صخور هذا الخط من الجبال من صخور نارية ومتحولة ورسوبية شديدة المقاومة، اما سهولها ووديانها التي تتخلل هذه الجبال فقد تكونت من صخور لينة نسبياً مثل صخور الطفل وصخور الرمل والحصى، التي تتراوح اعمارها من اواخر الزمن الاول حتى الزمن الرابع. ان الحركات الباطنية التي كونت الجبال تدرجت شدة باتجاه شمالي شرقي، وقد نتجت عنها انكسارات زاحفة والتواءات مضاعفة معقدة ادت الى اختلال طبقات الصخور بعضها ببعض والى اختلاف في مواقعها الاصلية، فظهرت الصخور القديمة فوق الحديثة بدلاً من أن تكون تحتها.

**ب - مجموعة المرتفعات الموزعة عشوائياً داخل اطار الموقع:**

معظمها مجموعة من السلاسل التلالية قليلة الارتفاع، تمتد مع امتداد المحور العام للجبال والتلال المار ذكرها، بعضها يقع الى الشرق من المناطق الوسطى لهضبة الموصل مثل اوانه داغ (٥٠٠ متر) و قرة جوق داغ (٨٠٠ متر) الواقعة بين نهري الزاب الصغير والزاب الكبير. ويقع دمير داغ (٥٠٠ متر) بين مجرى الزاب الكبير - الذي يمثل الحدود الشرقية لهضبة الموصل - ومدينة اربيل. اما المرتفعات التي تتوسط هضبة الموصل في الجزء الواقع شرق نهر دجلة فهي جبل مقلوب (١٠٥٧ متراً) وبعشيقة (٦٨٠ مترا) والعين الصفرة. في حين تحتل تلال عين زالة وتل موسى وتل عوينات اجزاء متوسطة من هضبة الموصل في جزئها الغربي.

ان لهذه المرتفعات فائدة في تموين مستودعات المياه الباطنية بالماء، لانها تستلم كميات من المطر اكثر مما تستلمه المناطق السهلية المجاورة، كما ان صخورها كلسية مسامية ينفذ فيها ماء المطر ويخرج من اسفل السفوح الى المناطق المنسبطة المجاورة على شكل عيون وينابيع. وتنطبق هذه الحالة بصورة خاصة على جبل مقلوب وبعشيقة المتجاورين.





حيث ثمة عيون في مدينة بعشيقة والفاضلية تسقي المزارع وبساتين الزيتون الكثيفة.

### ٣- السهول :

تظهر السهول في اقليم الموصل ضمن اربعة انواع رئيسة هي :
أ- السهول المحصورة بين المرتفعات
ب- السهول المنبسطة على الهضبة
جـ- السهول الفيضية
د- السهول المروحية

#### أ- السهول المحصورة بين المرتفعات :

**(١) سهل ديبكة :**

يقع بين مرتفعات اوانه داغ وقره جوق، وهو التواء مقعر مليء بالترسبات النازلة من المرتفعات المحيطة به بواسطة المياه الجارية. ويقدر اتساعه بـ (١٦) كيلومتراً وطوله بـ (٨٠) كيلومترا. ويرتفع سطحه الى مستوى (٣٧٥) متراً. وتنصرف مياه القسم الشمالي الغربي منه (والمسمى بسهل شماملك) الى نهر الزاب الكبير، ومياه القسم الجنوبي الشرقي (والمسمى بسهل كندناوه) الى نهر الزاب الصغير.

وسهل الديبكة كالسهول المجاورة له من حيث وفرة مياهه الجوفية وملاءمته لحرفة الرعي. وتعد المياه الجوفية ذات اهمية كبيرة لحرفة الزراعة ايضاً في هذا السهل. ومما ساعد على توفرها أن باطن السهل على شكل حوض تتصل حافاته بالمرتفعات المجاورة، وتغطيه ترسبات خشنة من الرمل والحصى والحجارة، تترك فجوات تساعد على زيادة قدرة الارض في خزن المياه المتسربة الى ارضية هذا الحوض من الجبال والتلال المجاورة.

**(٢) سهل اربيل :**

وهو التواء مقعر واسع على شكل حوض تجمعت فيه لعمق كبير ترسبات غرينية وطين ورمل وحصى. ان سطح هذا السهل متموج تتخلله بعض الوديان الضحلة التي تصرف مياهه الى نهري الزاب الصغير والزاب الكبير. وأعلى أقسامه في الاقسام الشرقية حيث يبلغ ارتفاعه بين (٤٨٠-٥٥٠ متراً)، في حين يبلغ ارتفاعه في الجهة الغربية حوالي (٣٠٠ متر). ويحتمل وجود مياه جوفية غزيرة عند حفر آبار ارتوازية في سهل اربيل لان الصخور الكلسية المسامية التي تظهر في الجبال المجاورة مثل بيرمام وسفين تنزل تحت السهل الى عمق كبير وتظهر ثانية الى الجنوب الغربي في جبال قرة جوق، وعليه فان مياه الامطار تغور في هذه الصخور المسامية وتنزل الى قاع السهل وتخزن فيه.

**(٣) سهل الخازر-كومل :**

ينحصر بين مدينة عين سفني غربا والزاب الكبير شرقا، ويتكون من سهل عريض وحافات متصاعدة تشكل سفوح عقرة داغ في الشمال وجبل مقلوب وجبل زركيار وراش في الجنوب نهاياته. وهو في الاصل التواء مقعر امتلاءت منخفضاته وتساوت بما تراكم فيها من ارسابات المياه الجارية، ويبلغ معدل انحدار الارض ١-٢٪ في القسم الاعظم من الاراضي، يزداد ليصل الى ٥-٨٪ في الاقسام الشمالية منه[٧].

#### ب- السهول المنبسطة على الهضبة :

هناك على سطح هضبة الموصل بعض المناطق السهلية ذات الترب الناعمة الخالية نسبياً من التباينات في معالم السطح، وهي على العموم محدودة المساحة والعدد، الا انها مميزة بخاصية الاستواء النسبي ومن اشهرها في هضبة الموصل-خاصة في جانبها الشرقي- سهلي تلكيف المجاور لمركز تلكيف، وسهل السنك الذي يقع عند الحدود الشمالية لهضبة الموصل. ان كلا السهلين هما في الاصل التواء مقعر امتلاء بالرواسب الناعمة من خلال ماتنقله المياه السطحية او الرياح، ويمتازان بارتفاع قدراتها الزراعية، ويستثمران في الزراعة الشتوية الديمية.





كما يدخل سهل سنجار الشمالي ضمن هذا النمط من السهول، وهو عبارة عن حوض مضرس السطح، ويشغل الطرف الشمالي الغربي من الجزيرة الشمالية، ويمتد شمالي جبل سنجار- تلعفر، وتبلغ مساحته حوالي ١٨٠٠ كم٢، وتشتمل بنيته على تكوينات مختلفة من الرواسب الفيضية الحديثة وبين الصخور الايوسينية، وتظهر بعض التكوينات الكبريتاسية والبركانية في بعض جهاته، ولاسيما في تلاله المتناثرة. ويقطع هذا السهل عدد من الاودية التي تجرى من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي واهمها وادى القصب ووادي المر ووادي سويدية ووادي التوصية وجميعها تصب في نهر دجلة، بالاضافة الى وادي الثرثار الذي ينتهي في بحيرة ام الرحال الى الغرب من سامراء[٨].

### جـ - السهول الفيضية :

تتكون السهول الفيضية (عادة) من المناطق التي يصل فيها مجرى النهر الى حافة الكهولة والشيخوخة، اي عندما يضعف جريان الماء في مجراه، ويتسع ويكون مستوى المياه في المجرى- خاصة في اوقات الذروة- أقرب الى مستوى الأراضي السهلية المحيطة به. ونظرا لكون المجاري المائية في منطقة أقليم الموصل معظمها في مرحلة الشباب فان شكل المجرى يكون مشابها لحرف (u) اللاتيني، ولا تتوفر فرصة الفيضان على المناطق المحيطة الاّ قليلا. ويعد السهل الفيضي الذي يحتله الجانب الايسر من مدينة الموصل وامتداده باتجاه الجنوب من أهم السهول الفيضية في المنطقة، يضاف لها مجموع الجزر التي تقطع مجرى النهر الى الجنوب من مدينة الموصل، التي يتتابع عليها طغيان مياه نهر دجلة سنويا.

### د- السهول المروحية :

لايشترط بالسهول المروحية الاستواء التام والارتفاع الواطئ كبقية السهول المعروفة، لانها ترتبط بالظهور عند أقدام المناطق الجبلية التي تنصرف اليها مياه الوديان المنحدرة اليها من السفوح الجبلية. وضمن أقليم الموصل تتوفر بعض السهول المروحية التي استغلت بالزراعة اوبالاستيطان، ومنها تلك التي تحتلها مراكز القوش وبعشيقة وسنجار.

وتمتاز هذه السهول بأنها تتكون من مفتتات صخرية مختلفة الاحجام، يقل حجمها بالابتعاد عن المنطقة الجبلية، ولخاصيتها في كبر حجم جزيئاتها، فان قدرتها على حفظ وخزن المياه الجوفية عالية، الامر الذي جعلها مناطق مهمة للزراعة الديمية والاروائية في المنطقة.

مما تقدم تعرضنا الى اطار مساحي قد يتجاوز الحدود الاقليمية لمدينة الموصل منطلقين من حقيقة هي ان مدينة الموصل مرت خلال ادوارها التاريخية بحقب زمنية سادت فيها سيطرتها على كل المنطقة الشمالية او تعدتها الى مناطق مجاورة في حين في فترات اخرى ضمرت المدينة وقل تأثيرها وتراجعت سيطرتها الى المناطق الماسة بها، لا بل الى ابواب اسوارها فقط. لذلك جعلنا اطارها الموقعي الطبيعي يمتد بشكل معتدل الى المناطق التي دانت لتأثيراتها الاقتصادية والسياسية أطول فترة من الزمن. وهي الان تخضع بدرجات متفاوتة لتأثير المدينة من خلال سيطرتها على أكبر حجم حضري في المنطقة الشمالية، والتي أصبحت بموجبه عاصمة اقليمية مميزة لهذا الجزء المهم من العراق.

## ثالثا : المناخ :

### الحرارة :

تعد مدينة الموصل والمناطق المجاورة لها من المناطق الحارة حيث ترتفع معدلات الحرارة السنوية فيها الى اكثر من (١٨ ْم) او مايعادل (٦٤,٤ ف) وهو الحد الادنى لمعدل الحرارة الذي رمز له كرين بالحرف (h) وهي بهذا المعدل لاتختلف كثيرا عن معدلات الحرارة السائدة في وسط وجنوب العراق، الا ان هناك اختلافات جزئية بينها وبين الاقسام الوسطى والجنوبية في العراق حيث تنخفض معدلات الحرارة العظمى والقصوى في مدينة الموصل وسنجار عما يناظرهما من محطات في وسط





الجدول رقم (١) [٩]

متوسطات الحرارة العظمى والصغرى بالدرجات المئوية لمحطات مختارة من اقليم الموصل ووسط وجنوب العراق

| الشهر | الموصل (٣٢٣)م | | سنجار (٤٧٦) م | | بغداد | | البصرة | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | العظمى | الصغرى | العظمى | الصغرى | العظمى | الصغرى | العظمى | الصغرى |
| ك ٢ | ١٢,٨ | ٢,٥ | ١٠,– | ٣,٣ | ١٥,٨ | ٤,٣ | ١٨,٦ | ٧,– |
| شباط | ١٥,٣ | ٣,٥ | ١٣,٥ | ٤,١ | ١٨,٧ | ٥,٩ | ٢١,– | ٨,٧ |
| آذار | ١٩,– | ٦,٣ | ١٦,٥ | ٧,٣ | ٢٢,٧ | ٩,٦ | ٢٥,٣ | ١٢,٦ |
| نيسان | ٢٥,٤ | ١٠,٣ | ٢١,٢ | ١١,– | ٢٨,٧ | ١٤,٦ | ٣٠,٨ | ١٨,– |
| مايس | ٣٢,٩ | ١٥,– | ٢٨,٧ | ١٨,– | ٣٥,٨ | ٢٠,– | ٣٦,١ | ٢٣,٧ |
| حزيران | ٣٩,٦ | ١٩,٥ | ٣٥,٤ | ٢٣,٩ | ٤١,– | ٢٣,٤ | ٣٨,٨ | ٢٦,٩ |
| تموز | ٤٣,٤ | ٢٢,٩ | ٣٩,١ | ٢٦,٧ | ٤٣,٤ | ٢٥,٣ | ٤٠,٥ | ٢٧,٧ |
| آب | ٤٣,– | ٢١,٨ | ٣٩,– | ٢٦,٥ | ٤٣,٣ | ٢٤,٦ | ٤١,٣ | ٢٦,٣ |
| أيلول | ٣٨,– | ١٦,٦ | ٣٤,١ | ٢٢,٣ | ٣٩,٨ | ٢١,– | ٣٩,٧ | ٢٢,٩ |
| ت ١ | ٣١,٢ | ١١,٤ | ٢٧,١ | ١٦,٩ | ٣٣,٤ | ١٦,٢ | ٣٥,– | ١٨,٣ |
| ت ٢ | ٢٢,٣ | ٧,– | ٢١,٥ | ١٠,٩ | ٢٤,– | ١٠,٣ | ٢٦,٧ | ١٣,٢ |
| ك ١ | ١٥,١ | ٣,٣ | ١٢,٨ | ٤,٨ | ١٧,٧ | ٥,٥ | ٢٠,– | ٨,– |

وجنوب العراق (كبغداد والبصرة) بحوالي خمس درجات خلال فصول الشتاء والربيع والخريف. في حين تتعادل معها — إن لم تتفوق عليها — في فصل الصيف. (انظر الجدول) الامر الذي يجعل المدى السنوي في مدينة الموصل اعلى ان لم يكن متساويا مع ماهو عليه في محطات العراق الوسطى والجنوبية، الاّ ان درجة الحرارة المحسوسة في منطقة الموصل تجعل حرارة الموصل اكثر تقبلا مما هو عليه في محطات العراق الوسطى والجنوبية وذلك لقلة الرطوبة النسبية في الهواء، خاصة في فصل الصيف وبشكل عام في الفصول الاخرى، نظرا لتعرض المحطات الجنوبية الى رياح مشبعة بالرطوبة قادمة من منطقة الخليج العربي ومنطقة الاهوار الجنوبية، وهي الرياح الجنوبية الشرقية التي تتقدم الانخفاضات الجوية، بالرغم من أن كمية الامطار الساقطة في محطة الموصل والمحطات المجاورة اكثر (انظر الجدول رقم ٢).

**المطر:**

تستلم مدينة الموصل والمناطق المحيطة بها — خاصة المستوية منها — كمية من المطر تتراوح مابين ٣٥٧,٧ ملم في مدينة سنجار و ٧٨٦,١ ملم في مدينة القيارة، واذا ما أخذنا القيمة الفعلية لهذه الامطار نتيجة للفقد العالي، ومنها بتأثير حرارة الصيف وجفاف الجو، فإن المنطقة تقع ضمن نطاقين اقليميين هما اقرب الى المناخات الجافة منها الى المناخات الرطبة وهما اقليم مناخ الصحاري الحارة، واقليم مناخ الحشائش القصيرة (الاسبتس).

وتتباين كمية الامطار الساقطة تبعا لدرجة علاقتها بمقدار مرور الانخفاضات الجوية، والوضع التضاريسي، ومقدار الرطوبة النسبية للهواء، واتجاهات الرياح وغيرها. وعموما تزداد الامطار الساقطة بالاتجاه نحو الشمال والشمال الشرقي. (انظر الجدول رقم ٣).





**كمية الامطار السنوية بالملمتر في محطة الموصل والمحطات المجاورة والجنوبية**

| المحطة | كمية المطر/ملم |
|---|---|
| الموصل | ٤٠٣,٥ |
| زاخو | ٩٥١,٥ |
| دهوك | ٩٢٦,٨ |
| تلعفر | ٥٣١,٧ |
| عقرة | ٦٢٦,٤ |
| بغداد | ١٤٧,— |
| البصرة | ١٤٠,— |
| الناصرية | ١١٢,— |

ومن الجدير بالملاحظة ان كمية الامطار الساقطة هي انعكاس لعدد الايام المطيرة في السنة، وهذا واضح في مدينة الموصل واقليمها، فالمناطق ذات الامطار الاكثر هي التي تسيطر فيها الايام المطيرة على اكثر ايام السنة، ويشذ عن ذلك في المناطق المجاورة لمدينة الموصل مدينة دهوك، فهي بالرغم من ارتفاع كمية الامطار الساقطة فيها عما هو عليه في مدينة الموصل الا ان عدد الايام المطيرة اقل. ويعود ذلك الى سيادة المطر التضاريسي الذي يمتاز بنمطه الوابل في حين يكون الامطار الاعصاري في الموصل من نمط مطر الرذاذ الذي يصاحب الجبهات الدافئة. (انظر الجدول رقم ٤).

### تحليل مناخ المدينة واقليمها:

تخضع المدينة – ومعظم اقليمها – من خلال موقعها الفلكي والجغرافي الى تاثيرات الكتل الهوائية الباردة القارية القطبية (CP) القادمة اليها من سيبريا والمتوغلة عبر الاراضي التركية او عبر البحر المتوسط، والكتل الهوائية المدارية الجافة ($\overline{CT}$) القادمة من هضبة نجد، اوالرطبة (MT) القادمة اليها من حوض الخليج العربي ومتوغلة عبر سوريا من حوض البحر المتوسط.

ان هذا الموقع يجعل المدينة وقسما من اقليمها يخضع الى خصائص مناخ الاستبس الانتقالي المداري الحار والممطر شتاءا (Bshs)، في حين يسيطر نمط المناخ الصحراوي الحار الممطر شتاءا (Bwhs) على معظم ارض الجزيرة الى الغرب والجنوب الغربي من مدينة الموصل. حيث يظهر مناخ البحر المتوسط الجاف والحار صيفا والممطر شتاءً (CSa) على المناطق السهلية والسفوح الوسطى والعليا للمنطقة

الجدول رقم (٣)

معدلات الامطار السنوية بالملمتر لمحطات واقعة ضمن اقليم الموصل او مجاورة له[١٠]

| المحطة | الارتفاع/م | ك ٢ | شباط | اذار | نيسان | مايس | حزيران | تموز | اب | ايلول | ت ١ | ت ٢ | ك ١ | المعدل السنوي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الموصل | ٢٢٣ | ٦٧,٢ | ٦٣,٤ | ٦٩,٢ | ٥٠,٨ | ٣٤,٧ | ٠,٣ | — | — | ٠,٥ | ٧,٧ | ٣٣,٧ | ٧٣,٩ | ٣٠٣,٥ |
| زاخو | ٤٤٢ | ١٥٠,٧ | ١٠٧,٧ | ١١٤,٤ | ٩٣,٢ | ٣٦,— | ٠,١ | — | — | ١,— | ٢٠,٦ | ٧٨,٣ | ١٤١,١ | ٩٥١,٥ |
| العمادية | ١٢١٠ | ١٢١,٦ | ١٢٩,٢ | ١٤٩,٣ | ١٤٣,٥ | ٤٢,٥ | — | — | — | — | ٢٢,٣ | ٨٦,— | ١١٨,٤ | ٦٩٧,٣ |
| سرسنك | ١٠٤٦ | ١٤٠,٧ | ١٦٩,١ | ١٧٥,٧ | ١٢٣,٧ | ٧١,— | ٠,٦ | — | ٠,٥ | ٠,٩ | ٢٥,— | ٩٨,٩ | ١٣٢,٣ | ٨٨١,٨ |
| دهوك | ٨٦٠ | ١٠٣,— | ٨٤,١ | ١٠٥,٩ | ٧١,٤ | ٦٢,٧ | ٢,٨ | — | — | ١,١ | ١٥,٨ | ١٠١,٧ | ١٤٠,٨ | ٩٢٦,٨ |
| عقرة | ٧١٦ | ٢٠٤,٩ | ٢٠٣,٤ | ٢١٣,٤ | ١٣٤,٢ | ٣٢,٣ | ٠,٩ | — | — | ١,٩ | ١٥,— | ٦٣,١ | ١٠٤,٦ | ١٠٧٢,٧ |
| تلعفر | ٢٧٣ | ٦١,٣ | ٤٧,٣ | ٦٣,— | ٤٣,— | ٦١,٦ | — | — | — | ٠,٥ | ٣٠,— | ٩٧,٨ | ١٢٧,٢ | ٥٣١,٧ |
| سنجار | ٤٧٦ | ٨٢,٢ | ٦٢,٦ | ٦٦,٨ | ٥٢,٥ | ٢٤,— | — | — | — | ٠,٣ | ٥,٣ | ٣٠,٨ | ٨٩,٩ | ٣٥٧,٧ |
| القيارة | ١٨٠ | ٥٨,٢ | ٥٠,٦ | ٤٨,٢ | ٥٤,٧ | ٥٣,٤ | ١,٥ | — | ٠,٦ | — | ١٧,٦ | ٨٢,٩ | ١٣٢,٧ | ٧٨٦,١ |
| اربيل | ٤١٤ | ٩٤,١ | ٨١,٧ | ٨٧,٨ | ٥٥,٣ | ٢٩,٣ | ٠,٧ | ٠,١ | — | ٠,٧ | ٩,٩ | ٣٦,١ | ٦٥,٣ | ٣٩١,٩ |

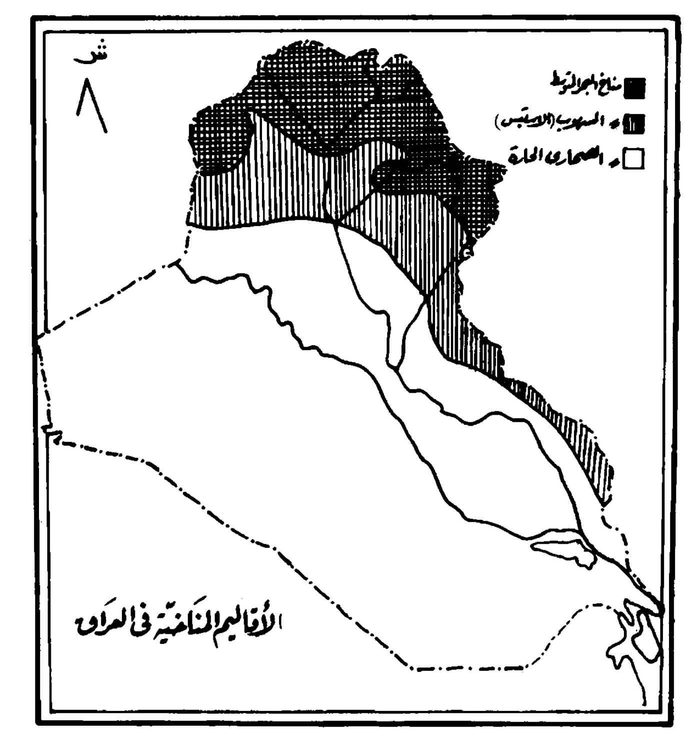
الجدول رقم (٤)

المعدلات الشهرية للايام المطيرة لمحطات واقعة ضمن اقليم الموصل او مجاورة له[١١]

| المحطة | ك ١ | شباط | آذار | نيسان | مايس | ت ١ | ت ٢ | ك ١ | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الموصل | ١١,٦ | ٩,٩ | ١٠,٩ | ٩,٣ | ٤,٩ | ٢,٥ | ٧,– | ٨,٤ | ٦٥,٣ |
| زاخو | ١١,٦ | ١٠,٢ | ١١,١ | ٩,٧ | ٦,٨ | ٤,٨ | ٧,٣ | ٩,٢ | ٧٠,٧ |
| دهوك | ٨,٩ | ٨,٢ | ٩,٩ | ٨,٦ | ٥,٩ | ٢,٣ | ٥,٦ | ٥,٩ | ٥٥,٨ |
| سرسنك | ١١,٢ | ١٠,٦ | ١٤,٧ | ١١,٩ | ٨,٤ | ٤,٣ | ٦,٦ | ٩,٧ | ٧٧,٤ |

الجبلية ، والمناخ الجاف والدافئ صيفا(Csb)في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية المرتفعة .

ان سيطرة مناخ الاستبس على منطقة الموصل . ولكونه مناخا انتقاليا فانه يخضع في بعض السنوات الى زحف المناخ الصحراوي الحار والممطر شتاءً، فيقل مقدار المطر الساقط وتسود خصائص هذا المناخ مما يؤثر سلبا على كثافة النبات الطبيعي وعلى انتاجية الارض المزروعة ديما وعلى مستوى الماء الباطني ومقدار تصريف العيون ، في حين تسود على المناخ الانتقالي (Bshs)في سنوات اخرى








خصائص مناخ البحر المتوسط مما يسبب زيادة ملحوظة في مقدار الامطار الساقطة وفي كثافة النبات الطبيعي. ان هذه الخاصية المتذبذبة لمناخ الاستبس تترك اثارا سلبية عديدة على سكان المنطقة بما يسببه من مجاعات ضمن فترات مختلفة ومتعددة من تاريخ حياة مدينة الموصل واقليمها.

ان وقوع المدينة ضمن هذا الحيز الجغرافي جعلها عرضة لمرور انخفاضات العروض الوسطى القادمة من البحر المتوسط في فصول الخريف والشتاء والربيع، الامر الذي يسبب تغيرات مناخية عديدة مثل التذبذب في درجة الحرارة بين الارتفاع والانخفاض تصاحبها رياح متباينة الاتجاه والتأثير بين رياح جنوبية وجنوبية شرقية وشمالية غربية مصحوبة بسحب طبقية (St) واخرى تراكمية (Cu) وتراكمية مزنية (CN) مسببة تساقطا يتراوح مابين الرذاذ المستمر والوابل المصحوب ببرق ورعد. اما في فصل الصيف وبعض اشهر فصلي الربيع والخريف فان المنطقة تقع عموما تحت نطاق الضغط العالي شبه المداري الشمالي او عند اطرافه مما يوفر لها ارتفاعاً في درجة الحرارة وسماءً صافية.

وتخضع المدينة واقليمها الى نمط من الامطار الانقلابية — خاصة في فصل الربيع — من سحب تراكمية تسببها الكتل الهوائية الباردة نسبيا والمنحدرة اليها من هضبة الاناضول. فترتفع درجة حرارة قواعدها ويقل استقرارها فتتفجر على شكل سحب تراكمية وتراكمية مزنية تسبب سقوط امطار غزيرة خلال فترات قصيرة، كما يظهر نمط المطر التضاريسي في مناطق متفرقة من الاقليم خاصة في المناطق الجبلية عندما تكون اتجاهات الرياح الرطبة متعامدة مع امتداد السلاسل الجبلية، وعادة يصاحب هذا النمط من الامطار الانماط الاخرى كالامطار الاعصارية والانقلابية.

وتسود على المدينة واقليمها في معظم ايام السنة رياح شمالية غربية معتدلة السرعة، ولاتحدث فيها عواصف ترابية (غبارية) الا فيما ندر خاصة في فصل الصيف، ولكنها عموما اقل بكثير مما هي عليه في مدن العراق الوسطى والجنوبية، وقد تصل بعض العواصف الغبارية المرتفعة مع الرياح الجنوبية الشرقية التي تتقدم الانخفاضات الجوية قادمة من جنوب وغرب العراق وبشكل خاص في فصل الربيع، ويتساقط هذا الغبار تدريجيا عند حالات السكون او ينزل مع الامطار التي تتخذ صفة الامطار الطينية.

**رابعاً : الموارد المائية :**

تتمثل الموارد المائية فيما يأتي :

**١ – التساقط :**

يمثل التساقط بانواعه، المطر والثلوج والبرد مصدرا وحيداً لكافة انواع الموارد المائية سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة. وقد سبق ان تناولنا هذا المورد في المناخ.

**٢ – الموارد المائية السطحية :**

تشمل الموارد المائية السطحية على كل من انهار دجلة والخازر والخوصر ومجموعة الوديان.

**(أ) نهر دجلة :**

يدخل نهر دجلة محافظة نينوى بعد اجتيازه اراضي محافظة دهوك، ويجتاز في هذه المحافظة اراضي متموجة في الاقسام الشمالية، ومنطقة منبسطة في هضبة الموصل في المنطقة الجنوبية. ويبلغ معدل تصريف النهر في محطة الموصل للفترة ١٩٣١–١٩٨٢ حوالي (٦٦٨] م$^3$/ثا. اي بايراد مائي قدره (٢١,٠٧) مليار م$^3$. [(١١)]

ولمياه نهر دجلة اهمية كبيرة في استثمار الاراضي الزراعية الواقعة على جانبي النهر. ويتباين اسلوب الارواء ضمن المنطقة، وذلك اما باتباع اسلوب الري السيحي عندما تفتح جداول اوكسرات في





**التصاريف السنوية لنهر دجلة للفترة ١٩٥٨ - ١٩٨١ في محطة الموصل**

| السنة | متوسط التصريف السنوي م٣/ثا | السنة | متوسط التصريف السنوي م٣/ثا |
|---|---|---|---|
| ١٩٥٨ | ٥٧٩ | ١٩٥٩ | ٥١٣ |
| ١٩٦٠ | ٥٤٥ | ١٩٦١ | ٣٧٠ |
| ١٩٦٢ | ٥٧٨ | ١٩٦٣ | ١١٨٠ |
| ١٩٦٤ | ٧٥٩ | ١٩٦٥ | ٥٩٤ |
| ١٩٦٦ | ٧٦٩ | ١٩٦٧ | ٩٦٥ |
| ١٩٦٨ | ١١٣٠ | ١٩٦٩ | ١٣٧٠ |
| ١٩٧٠ | ١٣٨٠ | ١٩٧١ | ٥٢٣ |
| ١٩٧٢ | ٧٦١ | ١٩٧٣ | ٣٧٩ |
| ١٩٧٤ | ٥٤٠ | ١٩٧٥ | ٤١٨ |
| ١٩٧٦ | ٩٥٩ | ١٩٧٧ | ٥٨١ |
| ١٩٧٨ | ٧٦٧ | ١٩٧٩ | ٤٩٢ |
| ١٩٨٠ | ٧٧٧ | ١٩٨١ | ٦٧٨ |

السد الطبيعي للنهر، او باستخدام مضخات لرفع المياه الى الاراضي الزراعية المحيطة بمجرى النهر.

## (ب) نهر الخوصر:

وهو نهر موسمي، يستمد مياهه من منطقة تغذيته حول الموصل وضمن مسافة لاتتعدى (٦٠) كيلومترا عنها. ويعتمد النهر في تموينه بالمياه على الامطار الساقطة، لذا يتصف بالضمور والجفاف في فصل الصيف، وغزارة مياهه في فصل الشتاء. ويعد نهر الخوصر من نمط الانهار المجنونة. فقد بلغ اقصى تصريف له سنة ١٩٧٤ وفي موقع جسر السويس (١٠٠٠) م٣/ ثا [١٢]

ويستفاد من مياه النهر في ارواء الاراضي

**حدود حوض دجلة والروافد**
**(داخل العراق)**

تركيا
حوض الخابور
ايران
الموصل
نهر دجلة
أربيل
حوض الزاب الصغير
رافد راوندوز
كم ٥٠ ٢٥ ٠ ٢٥





الزراعية الواقعة على جانبيه. وهناك دلائل آثارية تشير الى ان الملك سنحاريب قد اقام مشاريع اروائية فخمة على نهر الخوصر لتوفير المياه لمدينة نينوى، ومن جملة تلك المشاريع قناة سنحاريب (قناة جروانة).[١٣]

(جـ) نهر الخازر–كومل :

يتكون النهر من رافدين هما الخازر والكومل. وينبع نهر الخازر من المنطقة الجبلية التي تتغذى بامطار وثلوج كثيرة تسقط خلال فصلي الشتاء والربيع. ويصل ارتفاع بعض جبال هذه المنطقة الى اكثر من (٢١٠٠) متر مثل جبل بروارى بالا (٢١٩٧) مترا فوق مستوى سطح البحر.[١٤] وتبلغ مساحة حوض التغذية عند موقع سد باكرمان (٧٢٤) كيلو متراً مربعاً. ومساحة السهل مؤخر سد باكرمان (١٥٦٠) كيلو متراً مربعاً.[١٥]

اما رافد الكومل فيتالف من رافدين هما كرم صو وروبار اتروش. وينبع الاول من جبل حمه بكر خاصة في القسم الجنوبي، ويصب رافد الكومل في نهر الخازر في نقطة تقع الى الشمال من جسر منذان.[١٦]

وينبع رافد روبار اتروش من الاجزاء الشمالية من جبل حمه بكر، وتبلغ مساحة حوض تغذية نهر الكومل (٥١٣) كيلومترا مربعاً.

ويجرى نهر الخازر–كومل في الاقسام الشمالية منه في منطقة جبلية ذات وديان عميقة حيث لايزال النهر في مرحلة الشباب. ويبلغ معدل انحداره مابين ٥–٨٪ في الاقسام الشمالية منه[١٧]. وبعد اجتياز النهر لمضيق باكرمان يمر في اراض سهلية وتقطع المجرى مجموعة كبيرة من الجزر الرملية التي تغمرها مياه النهر اثناء موسم الفيضان.

ويبلغ معدل تصريف نهر الخازر–كومل (٢٩) م³/ثا للفترة ١٩٥٠–١٩٨٢. وسجل اعلى تصريف للنهر في سنة ١٩٦٩ خلال شهر نيسان عندما بلغ (٢١٥) م³/ثا في حين كان اوطا تصريف للنهر في سنة ١٩٦٢ عندما بلغ (٥) م³/ثا في شهر ايلول.

**السدود والخزانات :**

**١– سد صدام :**

ان السيطرة على مياه نهر دجلة لايمكن ان تكون كاملة قبل السيطرة على اصوله، وعلى هذا لابد من اتمام السيطرة على نهر دجلة، ومن دراسة وادي دجلة شمال مدينة الموصل، وجد ان الموقع الكائن قرب قرية ضوء القمر– على بعد ٥٦ كم من الموصل– من اكثر المواقع ملائمة لانشاء السد.

والسد من الاملاء الركامي وبطاقة خزن مقدارها (١١,٤) مليار متر مكعب[١٨]. وقد اكتمل انشاء السد عام ١٩٨٦ ومن اهدافه :

أ– درء خطر الفيضان عن المناطق الوسطى والجنوبية من العراق، من خلال خزنه (١١,٤) مليار م³ من المياه خلال موسم الفيضان.

ب– تامين المياه اللازمة لارواء الاراضي الزراعية ضمن منطقة الجزيرة في محافظة نينوى ومن خلال المشاريع الاروائية الثلاثة :

١/ مشروع ري الجزيرة الشمالي الذي يشمل مساحة ٢٠٠٠٠٠ هكتار (٨٠٠ الف دونم).

٢/ مشروع ري الجزيرة الجنوبي الذي يشمل مساحة ٢٥٠٠٠ هكتار (١٠٠ الف دونم).

٣/ مشروع ري الجزيرة الشرقي.

جـ– توليد الطاقة الكهربائية.

**٢– السدود المقترحة على نهر الخازر– الكومل :**

**سد باكرمان :**

يقع سد باكرمان على نهر الخازر عند قرية باكرمان. ويبعد حوالي (٤٠) كم شمال شرق





مدينة الموصل ، والسد من النوع الصخري الاملائي وبطاقة خزن (٤٦٥) مليون م٣[١٩] .

ان الاهداف الرئيسة من هذا السد هي :

١- درء خطر الفيضان عن المناطق الوسطى والجنوبية من العراق من خلال استيعابه لـ (٤٦٥) مليون م٣ .
٢- تأمين المياه اللازمة لارواء الأراضي الزراعية الواقعة على جانبي نهر الخازر. حيث تبلغ الأراضي المستفيدة من مياه السد (٢٧٢٠٠) دونم[٢٠] منها (١٥٠٠٠) دونم على الجانب الشرقي من نهر الخازر و (١٢٠٠٠) دونم واقعة في الجانب الغربي من نهر الخازر.
٣- إمكان توليد الطاقة الكهربائية : ويتم تأمين المياه اللازمة للأرض الاروائية من نهر الخازر- كومل ، عن طريق جدولين احدهما يقع شرق نهر الخازر بطول (٦٦) كم ، والآخر في غرب نهر الخازر بطول (٤٠) كم .

**٣- المياه الجوفية :**

تعد المياه الجوفية في اي منطقة انعكاساً لمقدار التساقط ودرجة كثافة المياه السطحية ودرجة مسامية التربة . ومنطقة الموصل تستلم من الامطار نسبة اكبر مما تستلمه المناطق الوسطى والجنوبية . كما ان منطقة الجبال المجاورة والمتداخلة مع منطقة تأثير الموصل تسيطر على نسبة مطرية ، فضلاً عن تراكم الجليد لمعظم فصل الشتاء . ان هذه الظاهرة مع مايتبعها من نسيج جيد لتربة المنطقة جعل مقدار المياه الجوفية ونوعيتها افضل مما هي عليه في باقي اجزاء العراق . وتستثمر المياه الجوفية في المنطقة مباشرة عن طريق شبكة العيون التي تنفجر عند الحافات السفلى للمنطقة الجبلية والتي رسمت بتوزيعها انماط الاستيطان البشري في المنطقة.

وتستغل المياه الجوفية عن طريق المضخات والآبار في اقليمي الاستبس والصحراوي في المنطقة ، والامثلة على ذلك هي :

**أ- المياه الجوفية في سهل الخازر-كومل :**

تتوفر هذه المياه مخزونة في طبقات عصر البختياري والحديث ، حيث يتكوّن سهل الخازر-كومل من الترسبات النهرية الحديثة ، توجد على السطح طبقات حصوية ورملية متماسكة وبزيادة الاعماق توجد الطبقات البختيارية المتمثلة بالحجر الحصوي والحجر الرملي. ويبلغ سمك الطبقات الحاملة للمياه الجوفية من ١٥-٣٠ متراً . ويقدر معامل النفاذية في حدود٢٠-٢٥ م/يوم كما يبلغ عمق المياه الجوفية (١٠) أمتار، وتمتاز المياه الجوفية للسهل بملوحة طفيفة ، وتتغير نسبة المعادن منها من ٢٥٠ ملغم/اللتر الى ٦٥٠ ملغم/اللتر.

**ب- المياه الجوفية في منطقة ربيعة :**

تشمل المنطقة مساحة مقدارها (٤٥٠٠)كم٢ ، ويتم استخراج المياه الجوفية منها بالضخ من الآبار او بالطرق اليدوية . ان نوعية المياه الجوفية تتباين مكانيا من موقع لآخر من حيث كمية الاملاح .T.S.S مابين ١٠٠٠-٤٠٠٠ جزء/المليون .

ويمكن تقسيم حوض ربيعة من حيث المياه الجوفية الى الاقسام التالية :[٢١]

(١) حوض سنوني الثانوي .
(٢) حوض ربيعة الثانوي .

**اثر ظروف البيئة المحلية والاقليمية في رسم مواضع المستوطنات داخل اطار موقع المدينة :**

من ملاحظة خارطة توزيع المراكز الحضرية في اقليم مدينة الموصل يظهر أن الاقليم يحوى كثافة حضرية معتدلة ، وبشكل يكاد يكون متناسقاً اكثر من غيره من مناطق العراق الاخرى . وقد أثرت عوامل البيئة المحلية ، كالعوامل الطبيعية والبشرية في رسم هذه الصيغة من التوزيع :

وتتمثل العوامل الطبيعية بما يأتي :





**١ – الموارد المائية :**

يأتي النهر اهم عامل في رسم مواقع المستوطنات في اقليم مدينة الموصل باعتبار ان معظمه يدخل ضمن الاقليم المناخي الجاف BW وشبه الجاف BS فيكون للنهر دوراً مؤثراً وجاذباً لمواقع المستوطنات الريفية والحضرية وعادة يرسم النهر توزيعاً خطياً لمواقع المستوطنات. ولما كان قسم مهم من أقليم المدينة يقع في مناطق جبلية او تلالية فان مصادر المياه في هذا الاقليم تكون حافزاً على الاستيطان والاستقرار، وبشكل خاص عند اقدام الجبال حيث تتفجر العيون والينابيع من طبقة الصخور الكلسية السائدة والحاوية على المياه الجوفية ويتخذ توزيع المستوطنات في اتجاهه امتداد تلك السفوح.

اما بالنسبة الى المواقع الساحلية والبحيرات والمستنقعات فانها مفقودة في اقليم مدينة الموصل لابتعاد الاقليم عن البحر وفقدان تلك المتغيرات على امتداد اطارها الاقليمي.

**٢ – مظاهر السطح :**

تعد المناطق السهلية من افضل المواقع التي ترغبها المستوطنات السكانية لاستثمارها ، وهنا يكون جانب الاختيار واردا في تحديد موضع المستوطنة. الا ان الصورة تتباين في المناطق الجبلية ، حيث ترسم البيئة الطبيعية مواقع المستوطنات بصورة قسرية ، وتبرز ثلاثة انماط من المواقع الجبلية واضحة في اقليم مدينة الموصل ، هي :

أ– مواقع داخل الجبال : عندما يتحدد مواقع المدن داخل السلاسل الجبلية ، وعادة لاتساعد هذه المواقع على قيام مراكز حضرية كبيرة.

ب– مواقع أقدام الجبال : تتمثل في منطقة اتصال الجبل بالسهل او بالوادي المجاور، وتمتاز المراكز الحضرية التي تمثل هذا النمط من المواقع ، بانها تختار الاماكن التي تتوفر فيها امكانية مرنة بالاتصال بمناطق داخل الجبال –كالفتحات والممرات الجبلية– حتى يتوسع الاطار الاقليمي ليشمل مناطق داخل الجبال ومناطق سهلية امام السلسلة الجبلية. وتحتل هذه المواقع مراكز حضرية ذات احجام اكبر مما هو عليه بمواقع داخلية الجبال.

جـ– مواقع مقدمات الجبال : تمثل مواقع على مسافة من المنطقة الجبلية ؛ وتحتل منطقة التقاء وتمازج بين اقليمي الجبل والسهل ، وعادة تشغل مواقع اقدام الجبال مراكز حضرية كبيرة الحجم مقارنة باحجام المراكز الحضرية الاخرى في المنطقة الجبلية ، لانها تمثل عقدة ثقل تلتقي عندها جميع الطرق الخارجة من المنطقة الجبلية او القادمة باتجاهها ، وبذلك تكون سوقا مميزة لمنتجات اقاليم فيزيوغرافية متباينة.

٣– الاطار المساحي الذي ينظر من خلاله الى المدينة ، وعادة يشغل هذا الاطار اقليم المدينة ، فمدينة الموصل على الرغم من موقعها النهري ، الا ان هذا الموقع لايستدعي قيام مدينة بهذا الحجم لو لم ننظر الى موقعها من خلال الاطار المساحي الذي تقوم بالتاثير والتأثر فيه : فالمدينة كعاصمة اقليمية لشمال العراق تمخضت بتاثير هذه الاهمية عن حجمها الحالي. وكذلك مدينة دهوك فهي على الرغم من موقعها عند اقدام الجبال ، الا ان الاطار المساحي الذي يقع تحت سيطرتها والمتمثل بالحدود الادارية لمحافظة دهوك حتم هذا الحجم الذي تشغله المدينة ، اذ ان العبرة ليست فقط بالموقع وانما بالاطار المساحي الذي ننظر من خلاله الى الموقع.

**الهوامش :**

(١) مالت الدراسات الجغرافية المتخصصة في الاقاليم الفيزيوغرافية للعراق الى اعتبار المنطقة المحصورة بين الجبال العراقية من جهة ،





وهضبة الجزيرة والسهل الرسوبي من جهة اخرى، منطقة شبه جبلية، وهو مصطلح غير دقيق نسبيا، انظر كوردن هستد، الاسس الطبيعية لجغرافية العراق، ترجمة: جاسم محمد الخلف، بغداد، ١٩٤٨.

جاسم محمد الخلف، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، القاهرة ١٩٦٥.

في حين مالت دراسات اخرى الى اعتبارها اقليما للسهول المموجة منطلقة من حقيقة جغرافية تنص على تعريف السهول بانها كافة المناطق المنبسطة التي لاتزيد تضاريسها المحلية عن ٥٠ قدما في مساحة ١٠ أميال افقية. ويعد هذا المصطلح اقرب الى الحقيقة من المصطلح الاول. انظر: محمد حامد الطائي، تحديد اقسام سطح العراق، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الخامس، ١٩٧٩،

(٢) جاسم محمد الخلف، المصدر السابق، ص ٢٥.

(٣) Ralph M. Parson Co. Report on ground water Prospects of the Arbil liwa, 1955,pp. 19 ff

(٤) نوري خليل البرازي، البداوة والاستقرار في العراق، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٢.

(٥) جاسم محمد الخلف، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، مصدر سابق، ص ٥٤.

(٦) جاسم محمد الخلف، نفس المصدر، ص ٥٥.

(٧) كاظم موسى محمد، حوض الزاب في العراق، دراسة هايدرولوجية، رسالة ماجستير، غير منشورة، ١٩٨١، ص ٣٣.

(٨) شاكر خصباك، مصدر سابق، ص ٤٣.

(٩) شاكر خصباك، العراق الشمالي، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، مصدر سابق، ص ٥١ - ٥٣.

(١٠) عن دائرة الانواء الجوية/بغداد.

(١١) العراق الشمالي، ص ٧٢، نقلا عن سجلات دائرة الانواء الجوية وهي مسجّلة للفترة ما بين ١٩٣٥ - ١٩٦٠.

(١٢) خالد الشيخ، الخوصر في فيضاناته الاخيرة، مجلة الجامعة، العدد الثالث، ١٩٧٤.

(١٣) نجيب خروفة وآخرون، الري والبزل في العراق والوطن العربي، بغداد ١٩٨٤، ص ١٢٤.

(١٤) كاظم موسى محمد، هايدورولوجية حوض الزاب الكبير في العراق، مصدر سابق، ص ١٠٧.

(١٥) وزارة الري، مديرية الدراسات والتصاميم العامة، مشروع الخازر-كومل، ١٩٧٨، ص١.

(١٦) محمد حامد الطائي، تحديد اقسام سطح العراق، مصدر سابق، ص ٣١.

(١٧) مشروع الخازر-كومل، مصدر سابق، ص ٦.

(١٨) نجيب خروفة وآخرون، الري والبزل في العراق والوطن العربي، مصدر سابق، ص ٢٢٠.

(١٩) الجمهورية العراقية، المجلس الزراعي الاعلى، السدود الكبيرة والمتوسطة، ١٩٧٥-١٩٧٦، بغداد، ص ٣٣.

(٢٠) مشروع الخازر- كومل، مصدر سابق، ص ١١.

(٢١) صادق باقر جواد، عبدالاله جميل، هيدرولوجية منطقة ربيعية من بحوث الندوة العربية الثانية للموارد المائية، ١٩٨١.

# تحليل موضع مدينة الموصل

د صلاح حميد الجنابي

## موضع مدينة الموصل

يمكن تعريف الموضع بأنه فكرة محلية موضعية بحتة تمثل افضل الاماكن داخل اطار الموقع [١]. او بعبارة اخرى الخصائص المكانية لرقعة الارض التي تقوم عليها المدينة مباشرة، وهو بذلك يختلف عن الموقع الذي يقصد فيه الاطار المساحي الذي يحمل دلالات بشرية او مدنية واضحة في اطارات مساحية متفاوتة، اي لها قيمة بشرية حيوية [٢]. بهذا يعني ان الموضع نقطة متغيرة ضمن اطار الموقع او حرجة على صفحة الاقليم.

تقع مدينة الموصل، عند تقاطع خط عرض ١٢ آ ٣٦ْ شمالا وخط طول ٨ آ ٠ ٣ ٤٣ْ شرقاً، وتحتل موضعها على نهر دجلة في منطقة التقائه بنهر الخوصر الذي ينحدر اليه من الجهات الشمالية الشرقية. ويحتل موضع مدينة الموصل جزء من هضبة الموصل التي تشكل جزءاً مهماً من التشكيلات التضاريسية للمنطقة المموجة في العراق.

ويختلف جانبا المدينة في مظهرهما التضاريسي، حيث يمتاز الجانب الايمن (الغربي) بارتفاعه العام مقارنة بالجانب الايسر (الشرقي)، كما يمتاز بانحدار عام نحو الشرق والجنوب الشرقي متخذاً اشكالاً





خطوط الارتفاعات في مدينة الموصل

اقل من ٢٢٠ م
من ٢٢٠ - ٢٤٠ م
من ٢٤٠ - ٢٦٠ م
من ٢٦٠ - ٢٨٠ م
من ٢٨٠ - ٣٠٠ م
من ٣٠٠ - ٣٢٠ م
من ٣٢٠ - ٣٤٠ م
من ٣٤٠ - ٣٦٠ م

مصطبية تظهر بوضوح من خلال خط الكونتور، وقد ترك هذا الانحدار بصماته على المنظور الافقي للمدينة. اما الجانب الايسر فانه يميل الى الاستواء العام، وهذا لا يعني عدم وجود مناطق مرتفعة ولكنها عموماً اقل نسبياً مما تشغله من الحيز المساحي للجانب الايمن والداخل لمدينة الموصل - خاصة من الجانب الايمن - يشعر وكأنها حوض تنحدر اليه مجموعة من الوديان منتهية في نهر دجلة اهمها وديان عكّاب وعشب وهلالة وحجر والعين والدير وآشور وقوجات والدملماجة والقنطرة والخراسي وجويا.

ويمكن ملاحظة الانماط التضاريسية التالية ممثّلة في سطح موضع الموصل: [٣]

**١ - المنطقة المعتدلة الاستواء:**

تتمثل عموماً في الحيز الذي تحتله المدينة القديمة في الجانب الايمن الذي يمتاز بمعدل ارتفاع يتراوح بين (٢٤٠) متراً في الشمال الى (٢٢٠) متراً في الجنوب، اذ ان هذا التباين في الارتفاع والانحدار التدريجي باتجاه الجنوب والشرق سهل من عملية تصريف مياه الامطار والمياه الثقيلة باتجاه مجرى نهر دجلة.

**٢ - المنطقة الواطئة:**

تقع في جنوب الجانب الايمن ويقل معدل ارتفاعها عن (٢٢٠) متراً عن مستوى سطح البحر. ولانخفاض هذه المنطقة وانحدارها التدريجي باتجاه الجنوب كانت منطقة ملائمة لتصريف مياه الامطار والمياه الثقيلة باتجاه نهر دجلة.





الاطار الجغرافي لمدينة الموصل

اقل من ٢٢٠م فوق مستوى سطح البحر
من ٢٢٠ - ٢٤٠م =
= ٢٤٠ - ٢٦٠م =
= ٢٦٠ - ٢٨٠م =
= ٢٨٠ - ٣٠٠م =

وديان نهر دجلة
1- نهر الخوصر
2- وادي القنطرة
3- = الخازي
4- = الدملماجة
5- = شور
6- = عكاب
7- = عشب
8- = حصير
9- = العين

٥٫٠ ١٫٠ ٢٫٥ كم

عن داؤد سليم داؤد التقييم واقع المساحات المفتوحة الخضراء في مدينة الموصل

**٣- المنطقة المرتفعة نسبياً:**

تحيط هذه المنطقة المنطقتين السابقتي الذكر من جهاتها الشمالية والغربية وغالباً مايكون السطح في هذه الجهات متخذاً اشكالاً مصطبية تقطعها وديانا جافة وتلال يصل ارتفاع بعضها الى مايقارب (٢٨٩) متراً خاصة في الجهات الشمالية بالقرب من منطقة حاوي الكنيسة الشرقية، والى (٣٢٠) متراً غرب وادي سرحان.

**٤- المنطقة المنبسطة:**

تحتل جانب المدينة الايسر، وهي عبارة عن سهل فيضي في المناطق المجاورة للنهر يبلغ ارتفاعه اقل من (٢٢٠) متراً كوّنه نهر دجلة والوديان المنحدرة من الجهات الشرقية. وتقطعه مجموعة من التلال الاثرية التي تكونت على بقايا بعض المواقع الاشورية وما بعدها متمثلة بتل قوينجق وتل التوبة الذي يقع عليه مرقد النبي يونس، ويزداد ارتفاع المنطقة باتجاه الاطراف خاصة الشمالية الشرقية حتى يصل الى مستوى (٣٠٠) متر فوق مستوى سطح البحر.

**البنية الجيولوجية لموضع المدينة:**

تمتد مدينة الموصل على جانبي نهر دجلة عند ارتفاع يتراوح مابين ٢١٠- ٣٤٠ م فوق سطح البحر. وارضها تنتظم بشكل مصاطب متعاقبة، ويمتاز الجانب الايمن بانه اكثر ارتفاعاً من جانب المدينة الايسر ضمن حدود الموضع، فمن ملاحظة خطوط الكونتور يظهر ان الجانب الايسر للمدينة يتكون من اربعة مصاطب تحددت المصطبة الاولى بارتفاع يقل عن ٢٢٠ متراً، والثانية بين ٢٢٠-





جيولوجية موضع مدينة الموصل

تكوينات فارس الاسفل (الطبقات كلسية ومارل وانهيدريت)

ترسبات غرينية قديمة

ترسبات غرينية حديثة (مصطبية)

ترسبات غرينية حديثة

ترسبات غرينية حديثة غير مستقرة

ش

عن بحث داؤد سليم داؤد/ تقيم واقع المناطق المفتوحة العامة في مدينة الموصل

٢٤٠ م، وتمثل الاولى سرير النهر في حين تمثل الثانية منطقة السهل الفيضي الذي يحيط بمجرى النهر ويتطاول باتجاه الشمال الشرقي مسايراً لمجرى نهر الخوصر وباتجاه الجنوب الشرقي. وتمثل المصطبة الثالثة مستوى يرتفع مابين ٢٤٠- ٢٦٠ متراً، وهو يحيط المصطبة الثانية. ويغلف هذه المستويات مستوى رابعاً يتراوح الارتفاع فيه بين ٢٦٠- ٢٨٠ متراً فوق مستوى سطح البحر.

اما الجانب الايمن فانه اكثر تعقيداً وتمتاز مستوياته بالتداخل وتتمثل فيه ثماني مصاطب تاتي الاولى محاذية لمجرى النهر في اقصى شمال وجنوب المدينة والتي تقل ارتفاعها عن ٢٢٠ متراً تغلفها المصطبة الثانية بارتفاع ٢٢٠- ٢٤٠ متراً وتتصل هذه المصطبة بمجرى النهر خاصة في المنطقة الممتدة من حي النجار شمالا حتى منطقة الميدان عند منطقة جسر الموصل الحديدي. وتتابع المصاطب بمستوياتها الاخرى ٢٤٠- ٢٦٠ م والرابعة ٢٦٠- ٢٨٠ والخامسة ٢٨٠- ٣٠٠ و ٣٠٠-٣٢٠ و ٣٢٠-٣٤٠ و ٣٤٠-٣٦٠ ثم اعلى المصاطب من ٣٦٠- ٣٨٠ الذي تحتله الاطراف الغربية للجانب الايمن.

ان مايلاحظ على خارطة الارتفاعات لمدينة الموصل ان المدينة عبارة عن حوض يشكل مجرى نهر دجلة حضيضه، الامر الذي ساعد على تصريف مياه الاطراف الى مجرى النهر من خلال شبكة من الوديان يأتي في طليعتها نهر الخوصر، الرافد الرئيس المميز في معالمه والذي يقطع هيكل المدينة في جانبها الايسر.

ويمتاز المستوى الاول القريب من مجرى النهر والذي يقل ارتفاعه عن ٢٢٠ مترا، بأنه سهل رسوبي تكون بتأثير تتابع الفيضان عليه من مجرى النهر في اثناء مواسم ارتفاع مجرى النهر، ويتألف





التوزيع الجغرافي لأحجام المراكز الحضرية في اقليم مدينة الموصل عام ١٩٧٧

عموما من ترسبات طينية ورملية ولوحية . اما المستوى الثاني الذي يعد سهلا فيضياً قديما تكون في مراحل متقدمة من عمر النهر، حيث تتابع مجرى النهر عليه وخلف رواسب تصلب عليها الرمل والطين مختلطة مع ترسبات حصوية وجلاميد. اما المستويات الاعلى فتتكون من الصخور المجمعة Conglamerate والصخور الجبسية والسلتية التي تعود الى عصر فارس. وقد استغل قسم منها، واستعمل في عمليات البناء في المدينة.

**تقييم موقع مدينة الموصل في ضوء نظريات الموقع :**

تخضع مدينة الموصل معظم المنطقة الشمالية من القطر العراقي لتأثيراتها الحضرية ، وتمثل عاصمة اقليمية متميزة في شمال العراق ، فهي بموضعها الحالي تسيطر على منطقة واسعة من المنطقة الجبلية والاراضي المموجة ومنطقة الجزيرة . اذ ان هذا الاطار المساحي الكبير كان وراء نمو وتطور المدينة عبر مسيرتها التاريخية .

ويعد موقع المدينة ملائما لنشأة المراكز الحضرية ، فمن ملاحظة السفر التاريخي للمدينة نجد ان الاطار المكاني لموقع المدينة استثمر بمراكز حضرية مهمة ابتداء من الفترة الآشورية [٤] حتى الوقت الحاضر. فقد شيّد الآشوريون شبكة من المدن خلال فترة حكمهم في مواضع تطل معظمها على نهر دجلة أهمها آشور وكلخو.





### متغيرات موقع المدينة :

في ضوء ماورد في الفصل الاول وما أشرنا به في هذا الفصل نستطيع ان نميز نمط الموقع الذي تحتله مدينة الموصل. فمن الجانب الطبيعي يعد موقع المدينة من المواقع العقدية ، وموقع المدينة العقدي ليس فيزيوغرافياً فحسب ، وانما هوبشري حيث تحتل المدينة بؤرة استقطاب لخطوط الحركة المتنوعة القادمة من مناطق متباينة في خصائصها الطبيعية والاقتصادية والسكانية او بعبارة اخرى في جبهة التحام الصحراء بالمزروع. ويكتسب موقع المدينة أهميته من مبدأ الانقطاع الميكانيكي والتجاري اللذين كانا وراء خلق التركز الحضري(٥) .

ويقوم النهر- كمظهر طبيعي- بدور مهم في رسم نوعية موقع المدينة ، فهو من المواقع النهرية على رأس الملاحة لنهر دجلة ، كما يعد من نمط مواقع المعابر او المخاضات خاصة في فصل الصيف عندما ينحسر الماء في نهر دجلة عند المدينة او جنوبها ويصبح من الضحالة بحيث يمكن اجتيازه بسهولة. كما تقوم الجبال بدورها في ابراز موقعها كمقدمات لها. وفضلا عن ذلك يمكن اعتبار موقعها من نمط المواقع المدخلية حيث تتمثل فيه جبهة التحام الاقاليم الاقتصادية المختلفة.

وخلاصة القول ان موقع مدينة الموصل يمثل موقعاً فريدا ، حيث تشير الطبيعة بكل اصابعها اليه موقعا لايمكن ان يتجاهله الانسان او يستعيض عنه بوسائله التكنولوجية. فهي تقع عند جبهات التحام اقتصادية وطبيعية متنوعة ، الامر الذي جعلها سوقا تلتقي فيه منتجات اقاليم متباينة في السطح والمناخ. ونقطة احتكام وتفاعل دائميين بين السهل والجبل.

ان هذا التباين في ظروف البيئة الطبيعية والاقتصادية جعلها بؤرة تجارية متميزة ، مما ترك اثره الواضح على تشكيلة المدينة السياسية والاقتصادية والحضارية ، مما منحها بتوالي العصور شخصية محلية واضحة المعالم ظاهرة السمات(٦) .

ان هذا الموقع الجيّد جعلها ترتبط بعلاقات أقليمية متطورة مع الزمن ، فعلى الرغم من انحشارها تأريخيا ضمن اطار مساحي محدد ، لكن قيمتها الوظيفية جعلتها ترتبط بظهير متباين الاتساع تحكمت به ظروف البيئة المحلية الزراعية والظروف السياسية والعسكرية التي تسود منطقة الظهير. وكانت سيطرة الاقليم متباينة التأثير والاثر على التركيب الوظيفي والاجتماعي والامني للمدينة.

وتحت تأثير الاهمية الفعلية لموقع المدينة ظهرت ضمن الحيز الحضري المستمر أنماطا من المؤسسات الوظيفية السكنية والتجارية والصناعية والخدمية ، كما تبرعمت فعاليات واطر خدمية عديدة غايتها توفير متطلبات الاهمية المركزية للمدينة ولمؤسساتها الوظيفية.

هذا بالنسبة لموقع مدينة الموصل ، اما الانماط الاخرى من المواقع البارزة في اقليم المدينة ، فتظهر لنا بأشكال عديدة يغلب عليه طابع المواقع الطبيعية ، مثل مواقع الانهار المتمثلة بمواقع مدن حمام العليل والقيارة ، والشرقاط ، وهي اضافة الى اهميتها الذاتية- خاصة حمام العليل بوجود عيون كبريتية استشفائية- يمكن اعتبارها من مواقع مدن المراحل على نهر دجلة بين مدينتي الموصل وبغداد. كما ان بعضها ، كالشرقاط ، وليدة لمدن قديمة ، قامت على اعتابها.

وتظهر المواقع الجبلية واضحة في اقليم مدينة الموصل متمثلة بمواقع داخل الجبال التي تشمل مدن زاخو ورانية وسرسنك والعمادية وديرة لوك ، ومواقع اقدام الجبال تتمثل بمواقع مدن دهوك والقوش وعين سفني وبعشيقة وعقرة وسنجار. ومواقع مقدمات الجبال متمثلا بموقع مدينة اربيل التي تظهر بموقع عقدي طبيعي واقتصادي ، حيث تلتقي عندها خطوط النقل الواردة الى المنطقة الجبلية او الخارجة منها ، كما انها بموقعها الفريد تسيطر على سهل اربيل الواسع.

وتحتل مدينة تلعفر موقعا عقديا طبيعيا وبشريا ، فتظهر في موضعها عيون المياه التي جعلتها محطة





لالتقاء خطوط الحركة التي تربط مدن هضبة الموصل ونهر دجلة بمدن الفرات عبر ارض الجزيرة.

يضاف الى ذلك ان تظهر هناك بعض المواقع الهامشية الواقعة على أطراف اقليم مدينة الموصل مثل مدن ربيعة والحضر والبعاج وسنوني.

## الهوامش:

(١) جمال حمدان، جغرافية المدن، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٨٠.

(٢) اشار ابن خلدون في معرض تقييمه للموضع. ان يراعى في اختياره الحماية من الآفات السماوية وطيب الهواء للسلامة من الامراض، فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا او مجاورا للمياه الفاسدة او مناقع متعفنة او مروجاً خبيثة اسرع اليها العفن من مجاورتها، فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لامحالة، وهذا مشاهد، فالمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الامراض في الغالب. انظر:

سابا شبر، العلم وتنظيم المدينة العربية، الكويت، مطبعة الحكومة، ١٩٦٦.

(٣) هاشم خضير الجنابي، التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة، دراسة في جغرافية المدن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٢ ص ١٠٠.

(٤) ظهر من تنقيبات مالوان تحت معبد عشتار في تل قوينجق بنينوى وعلى عمق (٢٧) مترا من قمة التل طرزا عمارية غير معروفة، اطلق عليها عصر نينوى (أ) أنظر:

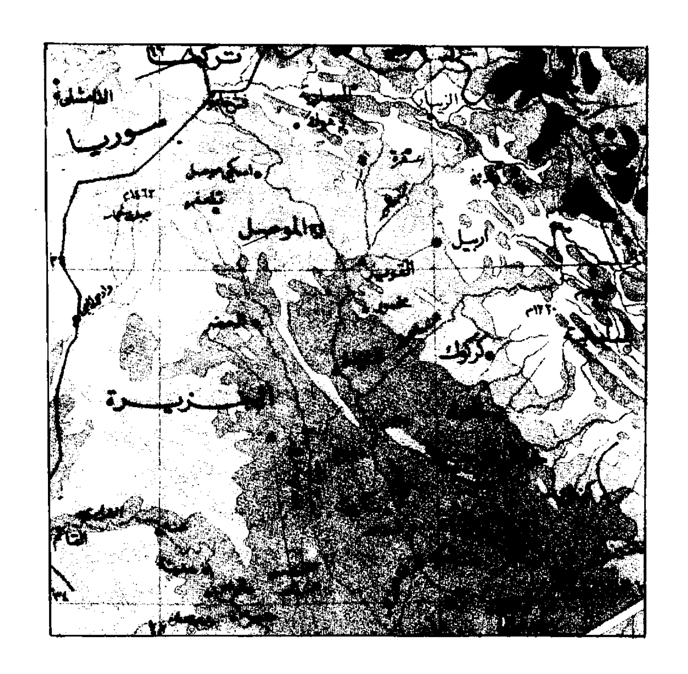
سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين، ترجمة: سامي سعيد الاحمد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٧٨.

(٥) يقصد بالانقطاع الميكانيكي اذا كان لاسباب تكنولوجية فقط دون تغير في ملكية السلعة المنقولة. اما الانقطاع التجاري فهو لاسباب اقتصادية عندما تتحول ملكية السلعة من يد الى اخرى، او حدثت تجزئة للتسويق.

أنظر:

جمال حمدان، جغرافية المدن، مصدر سابق، ص ٢٨٣.

(٦) صلاح حميد الجنابي، التغير في استعمال الارض حول المدينة العراقية، رسالة دكتوراه غير منشورة، بغداد ١٩٧٧، ص ١٧٢ - ١٧٣.




خارطة عامة لمنطقة الموصل وما جاورها.








## من الكهف الى القرية

د بهنام ابو الصوف

١ - شهد العراق بجباله وهضابه وسهوله وضفاف نهريه العظيمين دجلة والفرات تطورات اولى في تاريخ البشرية منذ مايقرب من ربع مليون سنة. فقد عاش على هذه الارض وتجول انسان العراق الاول في عصبوره الحجرية القديمة. وكان ذلك الانسان لايزال يدرج، كما كان حال معاصريه في بقاع الدنيا الاخرى، في مضمار التطور، فقد كان ينتمي الى انسان النياندرتال[١] المنقرض الذي لدينا نماذج عديدة من بقاياه العظمية في كهف شانيدار[٢] في محافظة اربيل والتي تعاصر مثيلاتها في فلسطين في مغارة الصخول في جبل الكرمل[٣]. كان انسان الكهوف العراقي[٤] هذا بدائيا في شكله وفي طريقة معيشته. والفرد منه يتميز براس ضخم ووجه عريض وحاجبين بارزين وجبهة منحدرة الى الخلف وذقن صغير يكاد يكون معدوما. ومع ان طوله لم يكن يتجاوز الخمس اقدام الا قليلا، فان مظهره الغليظ وصدره الواسع واكتافه العريضة كانت تكسبه ملامح خشنة وقاسية. وقد عاش انسان النياندرتال في جماعات صغيرة معتمدا في حياته على جمع والتقاط ماتجود به الطبيعة انذاك. كما كان يسعى وحيدا او في جماعات لمهاجمة واصطياد الحيوانات الضخمة التي كانت تزخر بها بيئته القاسية. وكان سلاحه فؤوساً مدببة من لب الحجارة يهيئها لهذا الغرض، فضلا عن هراوات وعصي من اخشاب الاشجار.

لقد اثبتت الدراسات المقارنة لعلم الانسان الجسدي Physical Anthropology في السنوات الاخيرة ان نوع انسان النياندرتال الذي يسكن كهوف العراق وفلسطين في المراحل الاخيرة من





عصر البلايستوسين قد مر بمراحل تطورية احيائية سريعة خلال الـ ٣٥– ٤٠ الف سنة الماضية نتج عنها نوع عاقل من الجنس البشري له من الصفات والمظاهر والطباع مايجعله مؤهلا ليكون السلف المباشر لجنسنا البشري الحالي في هذه المنطقة من العالم القديم[٥]، ومنها العراق بالذات. واذا ماتذكرنا بان عراقيي كهف شانيدار قد اعتنوا عناية خاصة بدفن موتاهم اسفل ارضية الكهف، وانهم زودوا بعض اولئك الموتى بزهور برية كانت تنمو على سفوح الجبال وجدت بقاياها مدفونة عند راس عدد من هياكلهم، كما قاموا بالاهتمام بالمعوقين والكسيحين من ابناء جنسهم[٦] في اثناء حياتهم، تاكد لدينا التوجه الانساني المبكر لاولئك البشر سكنة العراق الاوائل وانهم ربما كانوا في طريقهم الى تحقيق الطفرة التطورية الهائلة لبني نوعهم من البشر.

٢– اكدت الدراسات والبحوث الاثارية لمرحلة العصور الحجرية في القطر، ومنذ اواخر العشرينات من القرن الحالي، على وجود مخلفات انسان العراق في اكثر من بقعة من شمالي وادى الرافدين ووسطه وغربه خلال العصور الحجرية القديمة والوسطى والحديثة[٧] فقد عثر على مخلفات انسان العصر الحجري القديم من قسميه الاسفل والاوسط بهيئة الات وادوات حجرية معمولة ابرزها حجارة القطع الفرم وبعض الفؤوس الحجرية الكمثرية الشكل والشظايا والمقاشط والسكاكين من الصناعيتين الاشولية والموستيرية والتي حدد زمانها بين ثلاثمائة الف سنة وثمانين الف سنة قبل الآن في صحراء الرطبة[٨] ومنطقة الرزازة غربي كربلاء[٩] وعلى طرفي نهر الفرات في منطقة الفحيمي وجزيرة بيجان في حوض سد القادسية[١٠] وعلى طرفي نهر دجلة في حوض سد صدام بمنطقة أستكي موصل[١١] والى الجنوب من مركز ناحية قايدة على الضفة الشرقية لدجلة واكتاف الوديان المؤدية اليه في اطراف قريتي كرحوش وبابيرة المغمورتين بمياه الحوض الآن.[١٢] ومنطقة برده بالكة[١٣] قرب مركز قضاء جمجمال في محافظة التأميم. وفي الطبقة السفلى من كهف شانيدار في محافظة أربيل[١٤]. كما عثر على بقايا العصر الحجري القديم الاعلى (٠٠٠ ٣٠– ٠٠٠ ١٢ سنة قبل الميلاد) لأول مرة في شمالي العراق في كهفي زرزى وهزار مرد في منطقة السليمانية في عام ١٩٢٨.[١٥] وفي الطبقات العليا من كهف شانيدار[١٦] في محافظة أربيل قرب راوندوز. وفي كهف بالي كوره في محافظة السليمانية وكهف بيخال في محافظة اربيل وبارك في محافظة نينوى[١٧]. وقد اطلق على هذه المرحلة الاخيرة من مراحل العصر الحجري القديم في العراق البرادوستي[١٨] نسبة الى جبال برادوست التي يقع فيها كهف شانيدار ببقاياه المميزة لهذا العصر. وعند نهايات هذا العصر في حدود ١٥ الف– ١٢ الف سنة مضت حين بدأ مناخ العالم بالتغير وقارب اخر عصر جليدي[١٩] على الانتهاء وبدأت مرحلة الدفء والجفاف النسبي تسود العراق، ومنطقة الشرق الاوسط، اخذ العراقيون سكنة الكهوف في الاقسام الشمالية من قطرنا يهجرون كهوفهم لفترات طويلة وخلال اشهر الصيف يختارون فيها مقار ومستوطنات وقتية في العراء، غير بعيدة عن امامن كهوفهم تلك، قرب الينابيع والجداول ومجارى الانهار ينزلونها مع عوائلهم واطفالهم.

ومن ابرز هذه المقار والمستوطنات الاولى التي حل فيها العراقيون اثر خروجهم من الكهوف، زاوى جمي على ضفة الزاب الاعلى الشرقية ليس بعيداً عن كهف شانيدار، وكريم شاهر بالقرب من مركز قضاء جمجمال في محافظة التأميم، وملفعات على الكتف الغربي لنهر الخازر قرب طريق موصل– اربيل في محافظة نينوى، وتمريك على ضفة دجلة الشرقية الى الغرب من مركز قضاء قايدة في محافظة دهوك والمغزلية وقرمز دره غربي بلدة تلعفر في محافظة نينوى، وعشرات غيرها لم يكشف عنها البحث الآثاري لحد الآن. وفي هذه المقار والمستوطنات الاولى احتاج سكنة العراق الاوائل الى ملجأ يحميهم

وأطفالهم من حر النهار وبرد الليل ومكان يجمعون فيه حاجاتهم وأدواتهم البسيطة فبدأوا يخطون منازلهم الاولى، وكانت ثمة حفر دائرية في الارض يرفعون جدرانها بالحجارة والطين ويسقفونها بالقصب واغصان الاشجار فكانت تلك اكواخ العراق الاولى بشكلها الدائري ارضياتها مفروشة بالحصى او الحجارة، وتتألف في الغالب من حجرة واحدة فتم بهذا للعراقيين تعلم البناء ومبادئ العمارة البسيطة قبل اكثر من اثنتي عشر الف سنة. وبقت لهم خطوة اخرى إذا ما حققوها فسيضعون قدمهم على أول مرحلة نحو الاستقرار الذي يقود للحضارة. وهذه الخطوة هي الزراعة وتدجين الحيوان.

لم تمض على خروج سكنة الكهوف من العراقيين واستيطانهم العراء غير الفي سنة حتى بدانا نواجه بين بقايا مقارهم تلك امارات وادلة على سيطرتهم على انتاج القوت وبدء الزراعة وتدجين الحيوان، بعد ان كانوا ولألوف عديدة من السنين جامعين للقوت وصيادين. ومن هذه الامارات حبوب متفحمة للقمح والشعير المزروعة في حقل والتي تختلف عن مثيلاتها التي تنمو برياً. وكذلك عظام وقرون للخراف والماعز مدجنة وغيرها من الحيوانات الصغيرة. فضلا عن الات وادوات من الحجارة للطحن والجرش والدق والحصاد كالمناجل المصنوعة من شفرات من حجر الصوان والملصقة مع بعضها بالقار والمثبتة بمقبض من العظم او الخشب لتصبح مناجل صالحة للحصاد بايدي ماهرة ومدربة. بجانب هذا بقي انسان العراق في بيئته تلك يصطاد احيانا ويجمع القواقع والبلوط لغذائه ايضا. الا انه بدا يسير حثيثا نحو الاستقرار النهائي في قرى ثابته(٤٤) نمت واتسعت وتعاقبت فيها السكنى خلال الالفين السابع والسادس قبل الميلاد. حيث بدات مهارات فلاحي العراق الاوائل تزداد وتتنوع فيها فاتقنوا فن العمارة وتشييد الدور من الطوف واللبن وباشكال مربعة او مستطيلة وبعدد من الغرف تفي حاجات العائلة الواحدة. كما تعلموا صناعة الفخار وتلوينه وحرقه وغزل اصواف الخراف وشعر الماعز وخيوط الكتان بمغازل اقراصها من الحجارة او الطين وحاكوا منها اقمشة بجوم بدائية ثقالاتها من الحجارة او الطين ايضا. واستوردوا بعض الخامات ومواد الزينة من اقطار بعيدة كبلاد الاناضول والخليج العربي وشرقي ايران وشمالي افغانستان.

ان توصل الانسان الى معرفة الزراعة وتدجين الحيوان والاستقرار في قراه الزراعية الاولى يعد انقلابا خطيرا في مسيرته الطويلة على سطح الارض. ويؤشر هذا الانقلاب بداية للعصر الحجري الحديث في منطقتنا والعراق بالذات. وقد اطلق عليه مؤرخو الحضارات القديمة ثورة العصر الحجري الحديث او ثورة انتاج القوت واحيانا الثورة الزراعية. اذ انها قد نقلت البشرية من عهد طويل من التنقل والسعي وراء القوت والصيد الى مرحلة جديدة من الاستقرار والامن وتشييد القرى التي نمت فيها المعارف والمهارات والتقنيات وتنوعت تبعا لحاجات الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والفنية والعقائدية. وتطور العديد من هذه القرى الأولى خلال الالف الرابع قبل الميلاد في شمال ووسط وجنوبي العراق الى نواة لعدد كبير من المدن التي اشتهرت في بداية الالف الثالث ق. م جواضر مزدهرة للعراق القديم في عصوره التاريخية اللاحقة. كمدن نينوى، وسامراء، ونمرود، واشور، وبابل، وكيش، والعقير، ونفر، والوركاء، واور، والعبيد، وتلو، واريدو، والعديد غيرها. وقلاع الموصل، وتلعفر، واربيل، وكركوك.

٣ ـ كان للموصل واقليمها الواسع على طرفي دجلة دور بارز ومهم في حياة انسان العراق الاول في عصوره الحجرية القديمة. كما شهدت سهولها الخصبة الفسيحة وباديتها الغربية البدايات الاولى للاستيطان الزراعي الدائمي لفلاحي القطر الاوائل في مرحلتي ماقبل الفخار وبعدها في مفتتح العصر الحجري الحديث خلال الالفين الثامن والسابع قبل الميلاد وما بعدهما بقليل.

لقد اثبتت الدراسات والمسوحات التي اجرتها فرق العمل الاثارية في حوض سد صدام بمنطقة اسكي موصل في اواسط الثمانينات وجود مخلفات اكيدة لانسان العراق خلال المراحل الاولى من العصر الحجري القديم يرجع زمنها الى اكثر من ربع مليون قبل الان. وهذه المخلفات ممثلة بالات وادوات ذلك الانسان في عدد كبير من المقار وعلى مصاطب نهر دجلة الاربع التي كونتها العصور الجليدية خلال دهر البلايستوسين في المليون سنة الاخيرة من عمر الارض. فقد عثر على مايقرب من اربعين مستوطنا لانسان العصر الحجري القديم الاسفل على مصاطب نهر دجلة الكائنة فوق قرية رفان عليا الى الجنوب من مركز ناحية زمار في الطرف الغربي من الحوض. كما عثر على مايقرب من نصف هذا العدد من مقار ذلك الانسان على مساطب دجلة الشرقية واكتاف الوديان المؤدية اليه جنوبي مركز ناحية فايدة. وابرز تلك الالات المصنوعة من الحجارة مفارم وفؤوس ومقاشط وكلها من الصناعة المعروفة بالاشولية والممثلة لتلك الفترة السحيقة من العصر الحجري القديم. ان الظاهرة البارزة على هذه الالات والادوات الحجرية انها ومثيلاتها المكتشفة على طرفي نهر الفرات في حوض سد القادسية في اوائل الثمانينات والاخرى التي عثر عليها في غربي كربلاء بين منخفض الرزازة ومنطقة الاخيضر في اوائل السبعينات كثيرة الشبه بما اكتشف سابقا من هذا النوع من اللقى الحجرية ومن نفس الفترة الزمنية في هضبة الجزيرة العربية الشمالية.(٢١) ان الدراسة المقارنة لهذه اللقى الحجرية تؤكد المسار الذي اتخذه انسان المنطقة العربية، وكان دائما يتخذه في الازمان اللاحقة الاكثر حداثة، باتجاهه نحو وديان الانهار العظيمة في المنطقة. وهو يؤكد في الوقت نفسه ان جزيرة العرب هي موطن معظم الموجات البشرية التي استقرت في وادي الرافدين وبلاد الشام وفلسطين ووادي النيل ومنذ العصور الحجرية القديمة.(٢٢)

بقي ان نذكر ان انواعاً من الادوات الحجرية من الصناعة الموستيرية اللاحقة (٨٠- ٤٠ الف سنة قبل الميلاد) والتي تتشابه مع مثيلاتها في مقار جبال العراق الشمالية والشمالية الشرقية وكهوفها قد وجدت ايضاً في بعض مستوطنات ضفتي دجلة في حوض سد صدام شمالي مدينة الموصل وانها من الصناعات المحلية في تلك المقار والتي تطورت فيها على مر الزمن على يد سكنة تلك المناطق الذين كانوا ينحدرون احياناً حاملين معهم آلاتهم وادواتهم الحجرية الى ضفاف نهر دجلة طلباً للماء والقنص.

ان من ابرز منازل الاستيطان الاولى لطلائع فلاحي منطقة الموصل، بعد مضي مايقرب من اربعة الآف سنة على خروجهم من الكهوف والتمرس في مبادئ الزراعة وتدجين الحيوان، التي كشف عنها البحث الآثاري لحد الآن ملفعات على ضفة نهر الخازر الغربية الى الشمال قليلا من طريق- موصل- اربيل. وقرمز درة والمغزلية الى الغرب من بلدة تلعفر. اعقب ذلك بحوالي الف سنة بداية ظهور قرى اقليم الموصل الزراعية الدائمية التي نشاهد بقاياها البنائية والفخارية وادوات المنزل الخاصة باعداد الطعام والتنانير والمواقد ومخازن الغلال واقراص المغازل وثقالات جوم الحياكة وخرز وقلائد الزينة من العظم والحجارة والصدف والاحجار الثمينة وتماثيل صغيرة للأم الالهة من الطين والحجر. ومواد اخرى عديدة تطلبتها الحياة الجديدة المستقرة في قرى الالف السادس ق. م في اماكن عديدة منها اسفل طبقات تل قوينجق في مدينة نينوى التاريخية واسفل تراكمات قلعة الموصل المطلة على نهر دجلة في المنطقة المسماة بقليعات(٢٣)، والاربجية شرقي مدينة الزهور بالموصل، وتبه كورا وتل جنجي وتل بلا قرب مدينة خرصباد التاريخية والطواجنة جنوبي مدينة الموصل بمسافة ١٨ كم على يمين الطريق الجديد موصل- كوير- كركوك، وحسونة(٢٤) في منطقة





حمام العليل وابراهيم عزو في منطقة السحاجي جنوب غربي مدينة الموصل ويارم تبه والثلاثات في منطقة تلعفر وكرى ره ش في منطقة سنجار وأم الدباغية[٢٥] الى الغرب من مدينة الحضر التاريخية. وضويج وسلاسل ومصيفنة وشيخ حمصي في منطقة زمار من حوض سد صدام وجيكان ودير هال وكوثان وكرخوش في الطرف الشرقي من الحوض، والعديد غيرها سيكشف عنها البحث الاثاري في السنوات القادمة.

لقد مارس سكنة قرى الموصل هذه حرفاً متعددة منها الزراعة والرعي وصناعة الفخار وتلوينه وحرقه وغزل الصوف وشعر الماعز وخيوط الكتان وحياكة الاقمشة. كما مارسوا التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية فجلبوا حجر الزجاج البركاني من اماكن تواجده في وسط بلاد الاناضول، وقد سلكوا طريق شمالي سوريا مروراً بمنطقة سنجار وتلعفر فقرى البادية الشمالية ومنطقة الحضر والقرى الكائنة على طرفي نهر دجلة في منطقة الموصل. واتوا بصدف بحري خاص والعقيق لعمل قلائد لزينة النساء والاطفال من منطقة الخليج العربي، كما استوردوا الشذر من شرقي ايران واللازورد من مناطق مناجمه في شمالي افغانستان.

ان اكتشاف التماثيل الصغيرة من الطين للنساء في كل هذه القرى دليل واضح على انتشار عقيدة تقديس الام الالهة عند سكنة منطقة الموصل خلال هذه الفترة، كما هو الحال في بقية مناطق القطر والعالم القديم، لقد رمزوا الى الخصب والعطاء والاكثار التي منحتها لهم الارض بدمى صغيرة لنساء بحالة الحمل. فصارت المراة لديهم رمزاً للخصب. والارض المعطاة شبيهة بالمراة الحامل واصبحت كلتاهما الأرض والمرأة رمزاً مقدساً للعطاء والحياة.

**هوامش البحث:**

(١) سمي هكذا نسبة الى اكتشاف بقاياه العظمية لاول مرة في وادي النياندرتال قرب دوسلدورف في المانيا الاتحادية عام ١٨٥٦. وقد عرفت بقاياه بعد ذلك في اماكن عديدة من جنوبي اوربا والشرق الاوسط والهند.

(٢) وربما في كهوف اخرى من شمال العراق لم يكشف عنها البحث الآثاري لحد الان. انظر:

Solecki, R. "Shanidar Cave, A palaeolithic site", Sumer, 8/2 (1952), pp.127-192, Sumer, 9/1 (1953), pp.6-93.

(٣) انظر:

Garrod, D.A. 1962: The Middle Palaeolithic of the Near East and the problem of Mount Carmel Mam. In Journal of the Royal. Anthropological Institute of Great Britain vol. 92.

(٤) عاش انسان النياندرتال العراقي في كهوف العراق وعلى هضابه الشمالية قبل أكثر من مائة الف سنة. واختفت آخر بقاياه منذ مايزيد على ثلاثين الف سنة.

(٥) انظر:

Erick Trinkaus, 1983, Academic press. "The Shanidar Neanderthal ," pp. 424-472.

(٦) وجد هيكل عظمي لرجل كسيح قرب موقد للنار في احدى مستويات كهف شانيدار الأثرية بما يدل على أنهم قد تركوه يعني باعداد النار وادامتها حين خروجهم للصيد.

(٧) انظر:

١. فرج بصمه جي: «العصور الحجرية في العراق على ضوء الاكتشافات الجديدة»، سومر: المجلد ١١ لسنة ١٩٥٥، ص ١١١—١٢٦.

٢. كذلك:

Garrod, D.A. 1930, : The Palaeolithic Southern Kurdistan: Excavation in the cave of Zarzi and Hazar Merd in: American School of Prehistoric Research Bulletin, No. 6, pp. 8-43.

٣. كذلك:

Braidwood R and Howe, B., Chicago, 1960 Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan.

٤. كذلك:

Braidwood R. and Howe, B.,Chicago 1983, vol. 10: "Prehistoric Archaeology Along the Zagros Flanks:"

كذلك:

Field, H.' 1951: "Reconnaissancein in South Wes--tern Asia", In Journal of Anthropology vol. 7/1

(٨) انظر: الهامش رقم ٧، ثم المرجع اعلاه.

(٩) انظر:

OHnuma .K.;"Lithic Artifacts from Tar Jamal and Hafna" in AL– Tar, Excavtions in Iraq, 1971-1974,pp. 303-316.

(١٠) مسوحات البعثة البولونية التابعة لجامعة وارشو العاملة في التنقيبات الانقاذية في حوض سد القادسية في اوائل الثمانينات.

(١١) مسوحات البعثة البولونية التابعة لجامعة وارشو العاملة في التنقيبات الانقاذية في حوض صدام بمنطقة اسكي موصل في





اواسط الثمانينات انظر: «بحوث آثار حوض سد صدّام وبحوث اخرى» موصل ١٩٨٧.

(١٢) مسوحات البعثة الفرنسية التابعة لجامعة السوربون العاملة في التنقيبات الانقاذية في حوض سد صدام في اواسط الثمانينات. انظر: المصدر في الهامش ١١.

(١٣) روبرت بريدوودد وبروس هاو: الهامش رقم ٧، المرجع رقم ٣ أعلاه.

(١٤) رالف سوليكي: الهامش رقم ٢ أعلاه.

(١٥) دوروثي كارورود: الهامش رقم ٧، المرجع رقم ٢ أعلاه.

(١٦) رالف سوليكي: الهامش رقم ٢ اعلاه.

(١٧) روبرت بريد وود وبروس هاور: الهامش رقم ٦، المرجع رقم ٣ أعلاه.

(١٨) انظر:
Braidwood, R. Chicago, 1967 "Prehistoric Men", 7th ediltion.

(١٩) في عصر البلايستوسين، وهو عصر ظهور الانسان وبداية العصور الحجرية القديمة، سادت الاقسام الشمالية من الكرة الارضية اربعة عصور جليدية غطّى فيها الجليد الاقسام الشمالية من قارات اوربا وآسيا وأمريكا الشمالية. وكان يقابل هذا في منطقة الشرق الاوسط ومناطق الصحاري الكبرى في العالم عصور مطيرة شديدة البرودة. وفي فترات ذوبان الجليد الكائنة بين العصور الجليدية الاربع كانت منطقتنا تتمتع بفترات من الدفء والجفاف النسبي. كالفترة التي اعقبت آخر عصر جليدي والتي لازالت تسود هذه المنطقة من العالم ومنذ اكثر من خمسة عشر الف سنة مضت والتي يطلق عليها احيانا اسم العصر الحجري المتوسط او الوسيط.

(٢٠) أبرزها: جرمو، كرد جاي، علي اغا، شمشارة، ومطارة في محافظتي السليمانية والتأميم. وحسونة ونينوى والأربجية وتبة كورا والطواجنة وابراهيم عزو ويارم تبه وأم الدباغية في محافظة نينوى. وتل الصوان والمبدد في محافظة صلاح الدين. ورأس العمية في محافظة بابل. وتل الريحان وتل حسن ونكروجوخة مامي وتمرخان في محافظة ديالى. واور والعبيد وأريدو في محافظة ذي قار.

(٢١) انظر: Field, H., Chicago, 1960. North Arabian Desert-Archaeological survey, 1925-1950.

(٢٢) إن الآلات والأدوات الحجرية التي عثر عليها في اوائل الخمسينات في صحراء الرطبة وبادية الشام هي من هذا النوع الذي ذكر في اعلاه، والذي مصدره ايضا شمالي الجزيرة العربية.
انظر: هنري فيلد في الهامش رقم ٧، المرجع رقم ٥ اعلاه.

(٢٣) شاهد الكاتب بعض دلائل هذه السكن الاولي في اماكن متفرقة وحفر بعض الاسس في المنطقة المحصورة بين احياء الميدان والشهوان ورأس الكور.

(٢٤) القرية الزراعية التي اعطت أسمها الاول مراحل العصر الحجري الحديث في الشرق الاوسط، بعد مرحلة صناعة الفخار، كشفت عن بقاياها دائرة الاثار العراقية في اوائل الاربعينات.

(٢٥) كشفت المسوحات الآثارية التي اجريت في السبعينات في هذه المنطقة من البادية الشمالية عن حوالي اربعين قرية زراعية اخرى من هذه المرحلة. فقد مارس سكنة ام الدباغية خلال الالف السادس ق. م مهنة صيد حمر الوحش (الاخدر) والمتاجرة بجلوده، حيث كان هذا الحيوان في هذه المنطقة من البادية الشمالية. وقد شوهدت لنواع منه حتى اواخر القرن الماضي.
انظر:
Kirk Bride, D. "Umm Dabaghiya" Iraq, 34 (1972) Iraq, 1975.

# مِنَ القَرْيَةِ إِلى المَدِينَة

أ.د. تقي الدباغ

## مقدمة

هناك اختلافات كثيرة بين حضارة الريف وحضارة المدينة، ومع ذلك فليس ثمة الا اتفاق ضئيل على تحديد الخط الفاصل بين الاثنين، ولذلك زاد ادراك مدى اهمية دراسة هذا النوع من التطور للمجتمعات البشرية في ايامنا هذه بين اوساط الباحثين. ونشوء المدن ليس الا تطوراً اجتماعياً له من الاهمية في موضوع النمو الحضاري ما لأي موضوع آخر اللهم الا اذا استثنينا تدجين النبات والحيوان وما يتعلق بها من زراعة ورعي. ولعله من الافضل ونحن نشير الى هذه الاهمية ان نحدد ماذا تعني كلمة مدينة. انها جماعة من الناس تعيش على مبادلة المنتوجات المصنوعة والخدمات





اللازمة للحصول على المواد الخام والطعام. ويعتمد وجودها على هذه المبادلة. ولذلك تختلف المدينة عن القرية. فسكان القرية يحصلون على طعامهم وعلى المواد اللازمة لهم من المناطق القريبة جداً منهم. ومنطقة استغلالهم للارض تحددها المسافة التي يستطيع ان يمشيها المرء ليعمل في الحقول ثم يعود الى منزله في اليوم نفسه. وعدد السكان الذين يمكن ان يعيشوا في مستوى حياة القرية يختلف بطبيعة الحال باختلاف البيئة. ولكن من النادر ان يزيد على بضع مئات من الانفس في القرى المبكرة. اما المدينة فليس لها حد اعلى معروف لعدد سكانها.

ان هذا التعريف شأنه شأن جميع التعريفات يحتوي على كثير من الصعوبات. وقد يصادف المرء بعض الحالات التي لاينطبق عليها. وكثيراً ماتتطور القرية الى مدينة في خطوات لايكاد يشعر بها احد. وفي نواح كثيرة من العالم ثمة قرى تقوم بزراعة كل مايلزمها من طعام ولكنها في الوقت نفسه تقوم بصناعة واحدة تتخصص فيها وتعتمد هذه الصناعة عادة على مواد محلية ثم تبادل غيرها من القرى فتصدر لها ماصنعت وتستورد بدلاً منها ماتخصصت فيه القرى الاخرى. وقد تقوم قرى صغيرة باستغلال مورد طبيعي معين مثل المعادن في ظروف يضطر فيها اهلها الى جلب معظم طعامهم عن طريق التجارة. ومع ذلك فان تعريف المدينة بأنها مجموعة من الناس تعتمد في حياتها قبل اي شيء اخر على التجارة والخدمات اللازمة للحصول على المواد الخام والطعام لايزال صحيحاً على وجه العموم.

كان نشوء المدينة حدثاً اجتماعياً له نتائج بعيدة المدى ويعد ظهورها خاتمة عصر القرى ويصعب علينا احياناً ان نعين النقطة المحدودة التي تركزت فيها الحضارة في المدينة واتضحت لها مميزات خاصة. ولكننا لانخطئ القول اذا نظرنا الى المدينة على انها مؤسسة جديدة ظهرت اولاً في منطقة جنوب غرب اسيا وبخاصة في العراق في الالف الرابع قبل الميلاد. وظهرت ايضاً في مصر حوالي هذا التاريخ ولكنها اتخذت شكلاً مختلفاً بعض الاختلاف. اما مدن السند فكانت من النوع المألوف وتشبه مدن بلاد الرافدين. ومن المحتمل ان ترجع نشأة المدن هناك الى بداية الالف الثالث قبل الميلاد. اما المدن في الصين فلم تظهر الا بعد عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد. واذا رجعنا الى اوربا، وفيها بلاد اليونان، لانجد فيها الا عدداً قليلاً مما يمكن ان نطلق عليه اسم المدن قبل القرن الثامن قبل الميلاد. بينما لم تتأسس المدن في شبه جزيرة اسكندناوة الا في حدود عام ١٠٠٠ ميلادية.

لقد كان الانتقال من القرية الى المدينة تدريجياً وقد استغرق زمناً طويلاً واذا تذكرنا ان بداية الحياة القروية قد ظهرت في جرمو في شمال العراق في نهاية الالف الثامن قبل الميلاد (حدود ٧٠٤٠ قبل الميلاد) وان بداية المدن ظهرت في هذا القطر في عصر فجر التاريخ في منتصف الالف الرابع قبل الميلاد (حدود ٣٥٠٠ قبل الميلاد) تكون المدة التي استغرقها هذا الانتقال قد جاوزت الثلاثة آلاف سنة وقد غطت العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني وبعض العصر الشبيه بالكتابي. وبوسعنا ان نحدد هذا الانتقال بشكل تقريبي على الوجه الاتي.

١. قرى العصر الحجري الحديث ٧٠٠٠–٥٠٠٠ قبل الميلاد
٢. قرى العصر الحجري المعدني ٥٠٠٠–٣٥٠٠ قبل الميلاد
أ. قرى عصر حلف ٥٠٠٠–٤٢٠٠ قبل الميلاد
ب. قرى عصر العبيد ٤٢٠٠–٣٨٠٠ قبل الميلاد
جـ. قرى عصر الوركاء ٣٨٠٠–٣٥٠٠ قبل الميلاد
٣. مدن عصر فجر التاريخ (العصر الشبيه بالكتابي). ٣٥٠٠–٢٨٠٠ قبل الميلاد





وبما ان موضوعنا هو «من القرية الى المدينة» في منطقة الموصل فسنحاول في هذا البحث استعراض تطور الحياة القروية في العراق عامة وفي منطقة الموصل خاصة في العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني لمتابعة الخطوات التدريجية التي مهدت السبيل الى ظهور المدن قبيل قيام دويلات المدن في عصر فجر السلالات.

## اولاً. في العصر الحجري الحديث

ان الثورة الزراعية في العصر الحجري الحديث كانت وليدة ازمة المناخ التي انهت عصر الجليد ومهدت السبيل للاستزراع وتدجين الحيوان. وارتبط تأسيس القرى منذ البداية ارتباطاً وثيقاً بهذا النمط الاقتصادي الجديد. والمنطقة التي شهدت نشوء اقدم القرى هي تلك التي تقع في جنوب غرب اسيا بين البحر المتوسط في الغرب وهضاب وسط اسيا في الشرق والبحر الاسود وبحر قزوين وسهوب اوراسيا في الشمال والحزام الصحراوي الممتد من سيناء حتى الهند في الجنوب. وتعد ارض العراق من المناطق الاولى التي جرت فيها المحاولات المبكرة للزراعة والرعي. ومع ان الدلائل والمخلفات الاثرية تشير الى ان زراعة القمح والشعير قد تمت في مناطق فلسطين وسورية وجنوب الاناضول وتركستان السوفيتية وغرب ايران فان تلك الدلائل تعد العراق او بالتحديد المنطقة الشمالية الشرقية منه الموطن الاول لزراعة القمح والشعير ولتدجين الحيوان في الالف الثامن قبل الميلاد. ان سفوح جبال العراق الغربية توفرت فيها الاصول البرية للحيوانات والنباتات التي دجنها الانسان. وقد تم العثور في هذه المنطقة على مستوطنات قديمة ظهرت فيها البوادر الاولى للثورة الزراعية مثل بالي كورا وزاوي جمي وكريم شهر وملفعات. وتدل الآثار المكتشفة في هذه المواقع على مرحلة انتقالية تدريجية الى ممارسة الزراعة الحقيقية في قرى ثابتة مثل جرمو وحسونة والصوان وأم الدباغية وشمشارة وغيرها(١) مما سيأتي ذكرها لاحقاً. ففي هذه المنطقة توفرت الاحوال الطبيعية من مناخ ملائم ومطر غزير وحيوانات غير اليفة ونباتات طبيعية وانسان نشيط استفاد مما يحيط به.

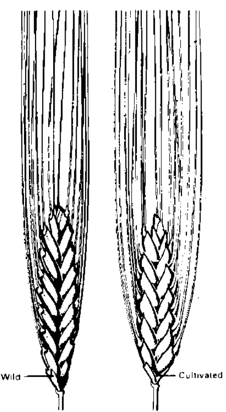
ان الانقلاب الزراعي الذي شهده شمال العراق لم يكن حدثاً فجائياً بل حصل بخطوات ومراحل تطورية تدريجية متعددة كانت القرية في بدايتها صغيرة وبدائية ثم تأسست قرى اكثر سعة وتنظيماً وتقدماً في المراحل التالية الى ان ظهرت بوادر المدن الصغيرة.

ففي القرى المبكرة الاولى في القسم الشمالي من العراق ظلت حياة الانسان ضيقة تقل فيها الادوات اللازمة لحياته المادية ووجد المنقبون بين تلك الادوات القليلة المطاحن المؤلفة من حجرين يدور احدهما فوق الاخر او يضرب احدهما بالاخر. ووجد المنقبون كذلك الاطباق الفخارية ذات النتوءات لفصل الحبوب عن قشورها. ووجدوا ايضاً المعازق والمحاريث البدائية والمناجل واقراص المغازل التي استعملت لغزل خيوط الصوف والكتان تمهيداً لنسجها. ووجدوا ثقالات انواع النسيج التي استعملت للحياكة. وفي هذا الوقت تعلم نساء المزارعين صنع الفخار وكانت الاواني الفخارية من النوع الخالي من الزخرفة والالوان او ملونة بلون واحد. وكانت تلك الاواني مصنوعة باليد اذ لم يخترع دولاب الفخار بعد. وكانت الزراعة آنذاك زراعة محدودة بمساحة صغيرة من الارض تكفي لأعالة اسرة واحدة كما كانت حقلية وخالية من البستنة وغرس الاشجار المثمرة التي لم تعرف الا في العصور التالية. وكانت الزراعة متنقلة ايضاً لان الارض بعد ان تفقد خصوبتها يتركها الفلاح ويبحث عن ارض خصبة اخرى. ونجم عن هذا الانقلاب الزراعي نشوء الملكية الفردية اي ملكية المزرعة وادوات الانتاج البدائية والحيوانات الداجنة في المرعى. وكان انتاج القوت يعتمد بالدرجة الاولى على الزراعة وتربية الحيوان. وهذه الزراعة كانت ديمية ترويها مياه الامطار في الاقسام الشمالية في العراق وهي كافية في العادة للانبات. وعندما استغلت الاراضي الخصيبة في السهل الرسوبي استعين زراعة)الري بالجداول والترع. ومما لاشك





فيه ان سكان قرى هذه المرحلة الزراعية المبكرة كانت عندهم عقيدة دينية . ولعل اول معبود تصوروه وعبدوه كان ذا صلة بقوى الارض المنتجة واعتبروه الهة تمثل الارض وخصبها. وهذه الالهة هي التي يطلق عليها اسم الالهة الام التي صيغت بدمى من الطين مصنوعة بهيئة نسوة بدينات . ولقد وجد الكثير من نماذجها بين انقاض قرى هذه المرحلة .




ولاتمام الانقلاب الزراعي كرّس المزارعون بعض الوقت لاكتشاف نباتات مناسبة واساليب مناسبة لزراعتها ولصنع آلات خاصة بحرث الارض وحصد المحصول وخزنه وتحويله الى طعام. ولاجل نبش الارض استعملوا في اول الامر العصا الحافرة ثم اخترع المحراث في العصور التالية. وقد حصدت الحبوب في البداية بمناجل من الصوان او الزجاج البركاني المسنن التي تركب في قطعة خشبية مستقيمة او مقوسة بمساعدة القير.

وكان من عناصر الاقتصاد الزراعي المبكر الاساسية جمع حبوب غذائية كافية في كل موسم وخزنها حتى نضوج محصول السنة التالية اي لمدة سنة، ولذلك كانت عنابر الحبوب او المخازن من المظاهر البارزة في كل قرية . وقد تبين وجودها في كثير من انحاء الشرق الادنى القديم وفي اقطار العالم القديم الاخرى. وتحتاج بذور القمح والشعير الى عملية فصلها عن السنبلة وقشورها بالدرس والتذرية ثم الى عملية الطحن للحصول على الدقيق . ويمكن اجراء الطحن بالدق في هاون. غير أن الطريقة التي اتبعت عموماً كانت تتمثل في وضع الحبوب على حجر مستدير لطحنها بحجر اخر يدور عليها او يحتك او يضرب بها. ومثل هذه المطاحن كانت في العادة من حجر صلب والا فان الطعام قد يختلط فيه الحجر والطحين. وكان الطحين يتحول الى خبز باستعمال الخميرة والتنّور.

وكان سكان هذا العصر يعيشون في جماعات صغيرة في قرى او دساكر، وتبين عند اكتشاف هذه

حبيبات قمح متفحمة من النوع المدجن (مكبرة بأربع مرات) ...





القرى اكتشافاً تاماً انها كانت تشمل ساحة تتراوح بين فدان ونصف وحوالي سبعة فدانات فيها منازل يتراوح عددها بين خمسة وعشرين وثلاثين منزلاً ان مثل هذه المجموعات كانت تشكل وحدات اجتماعية يتعاون جميع افرادها في المشروعات المشتركة. وكانت المنازل يتصل بعضها ببعض بشوارع متوازية. وقليل من القرى كان محاطاً بخنادق وأسوار[٢] لتحميها من الحيوانات الضارية او الاعتداءات البشرية. ولابد ان هذه الاحتياطات قد شيدت بمجهود مشترك.

وكان بامكان كل قرية ان تكفي نفسها اذ كانت تزرع مواردها الغذائية وتصنع جميع الالات والادوات الاساسية من المواد التي يمكن الحصول عليها في القرية من حجر وعظم وخشب وطين وغيرها. وهذه الكفاية الكامنة للجماعة المحلية يمكن ان تتخذ علامة فارقة تميز العصر الحجري الحديث عن المدينة في عصور المعدن. ومن نتائج ذلك ان اقتصاد العصر الحجري الحديث لم يكن فيه حافز مادي للفلاح كي ينتج اكثر مما يحتاج اليه لاعاشة نفسه وعائلته وايجاد المواد الضرورية للموسم القادم.



حبيات قمح منتفخة من النوع البري (مكبرة بأربع مرات)

وفيما عدا تقسيم العمل يفترض الانثروبولوجيون وجود اختصاص صناعي ضيق ومحدود ضمن القرية. وبالقياس الى الجماعات التي كانت الى وقت قريب تعيش في مستوى بدائي فان كل عائلة في العصر الحجري الحديث كان من شأنها ان تزرع وتعد طعامها وتصنع آنيتها الفخارية وثيابها وادواتها وسائر مايلزمها. ومن شأن النساء ان يطحن ويخزنّ الحبوب ويغزلن ويصنعن الثياب والاواني الفخارية. ومن المحتمل جداً من جهة اخرى ان الرجال كانوا ينظفون الحقول ويعدونها ويفلحونها ويبنون الاكواخ ويهتمون بالحيوانات ويصطادون ويصنعون الآلات والأسلحة اللازمة.

واذا سارت كل عائلة على هذا النظام فان المجتمع يمكنه ان يعيش بدون وجود فائض. ولكن لم تكن اية جماعة من جماعات العصر الحجري الحديث في الغالب تتبع هذه الاصول اتباعاً تاماً. وحتى في اقدم قرى وقبور هذا العصر وجد علماء الاثار مواد استوردت من مسافات بعيدة، فأصداف البحر المتوسط والخليج العربي صنعت منها العقود والاساور. ولم تقتصر المواد المستوردة على مثل ادوات الترف هذه فالاحجار البركانية الصلبة والزجاج البركاني وانواع الصوان والحجارة الخضراء كانت تنقل الى مسافات بعيدة جداً. وحتى الاواني الفخارية نفسها التي يظن انها كانت تحتوي اشياء





في داخلها كانت تحمل الى مسافات بعيدة لاغراض التجارة.

وكان هناك تنوع في حضارات العصر الحجري الحديث فكل قرية كانت تتميز بانواع النباتات التي تزرع والحيوانات التي تربى كما كانت تختلف باختلاف التوازن بين الزراعة وتربية المواشي وفي تخطيط البيوت وبنائها ثم في شكل سائر الالات والمادة التي تصنع منها وفي شكل الاواني الفخارية وزخارفها. وهناك اختلافات اشد في طقوس الدفن واشكال التمائم واساليب الدفن. وهكذا فان كل حضارة تمثل تكيفاً تقريبياً لبيئة معينة مع مجموعة افكار تتناسب معها كثيراً او قليلاً. والتنوع ينتج عن تعدد الاكتشافات او الاختراعات البسيطة التي تكون في اول الامر محلية بحتة قوامها بعض الخصائص الاقليمية. فلم يكن هناك مثلاً اسلوب عام للخزافين بل كانت ثمة طرق لصنع الفخار. وحتى لو ظهرت هذه التقاليد على هيئة تنوعات لاسلوب اساسي واحد فان النساء اللواتي قمن بنقلها لم يميزن في الغالب بين الاسلوب الاساسي وبين التحسينات الطارئة عليه.

وقد دفنت معظم جماعات العصر الحجري الحديث موتاها تحت المنازل او في جانبها باحتفالات تفوق احتفالات صيادي العصر الحجري القديم وكانت تصنع اشكالاً بشرية انثوية من الطين او الحجارة او العظم من قبل افراد المجتمعات الزراعية. وتمثل هذه الاشكال عادة فكرة الالهة الام ويستنتج منها ان الارض التي ينبت فيها القمح قد تصورها الناس امرأة يمكن ان يسيطر عليها بطقوس وتعاويذ واستعطاف. اما شريكها الذكر فكان يمثل فقط بوساطة العضو الجنسي الذي يصنع من الطين او الحجارة، ويمكن الافتراض بان النظام القبلي والمجتمع المبني على القرابة قد دام الى مابعد الانقلاب الزراعي في العصر الحجري الحديث بدون اي تغيير وربما كانت القبيلة تشترك بصورة طبيعية بملكية الارض واذا لم تفلح بصورة مشتركة فان بعض الحقول تخصص لعائلات بمفردها. اما المراعي فكانت بطبيعة الحال ملكاً مشتركاً.

**ثانياً في العصر الحجري - المعدني :**

ذكرنا فيما سبق وصفاً موجزاً لاحداث الانقلاب الزراعي استناداً الى دلائل الآثار وظروف البيئة. اما هذا الانقلاب الثاني الذي نطلق عليه مصطلح الانقلاب الحضري فقد حدث في العصر الحجري المعدني في اواخر عصور قبل التاريخ وبلغ ذروته في عصر فجر التاريخ. اذ تطورت فيه القرى من حيث سعة الرقعة وزيادة السكان وازدهار العمران والفنون والصناعة والتجارة والنقل. وبدأ استعمال معدن النحاس للتو ولكنه لم يحل محل الحجر كمادة اساسية لصناعة الالات. ولذلك كانت حضارات العصر الحجري المعدني حضارات انتقالية من العصر الحجري الى العصر البرونزي ثم الى عصر الحديد. ولم يمر الناس في كثير من جهات العالم بهذه المرحلة الوسطى بل حصلوا على معلوماتهم الاولى عن النحاس مباشرة من اولئك الذين كانوا قد طوروا فعلاً فن صناعة النحاس تطوراً كاملاً. ويختلف زمن حضارات العصر الحجري النحاسي في كل مكان باختلاف الوقت الذي مضى حتى انتشر العلم بصناعة المعدن. وكان الانتقال من عصر الى عصر يحدث في ازمان مختلفة وتصحبه هجرات مهمة للشعوب. وقد وجدت اقدم الحضارات التي عثر فيها على النحاس في الشرق الادنى وبدأ استخدام النحاس في العراق في مطلع الالف الخامس قبل الميلاد واصبح استخدام المعدن امراً شائعاً في بلاد الشرق الادنى في الالف الرابع قبل الميلاد في حين بدأ هذا العصر في كريت وبلاد اليونان في اوائل الالف الثالث قبل الميلاد.(٣)

تحد المنطقة التي حدث فيها هذا التحول من القرية الى المدينة البحر المتوسط من الغرب وجبال الهملايا من الشرق وجبال اوراسيا من الشمال والصحراء الكبرى من الجنوب. وقد اتضح ان الاحوال الطبيعية والاقليمية كانت مناسبة لحدوث هذا التطور في هذه المنطقة، اذ وجدت فيها المواد





الاولية اللازمة للاكتشافات والاختراعات واحتوت عوامل مشجعة للتنظيم الاجتماعي وللتعاون وقدمت تسهيلات المواصلات التي يمكن بواسطتها جمع المواد الاولية وتركيزها. وهذه المنطقة جافة نسبياً على الرغم من انها كانت مروية في عصور ماقبل التاريخ اكثر مما هي عليه اليوم، والاقامة الدائمة ممكنة فيها بجانب احد الانهار او الينابيع. والزراعة تعتمد الى حد كبير على الري. وفي الوقت نفسه كانت تنمو بصورة طبيعية انواع مختلفة من الاشجار المثمرة وامل الحصول على محصول منتظم من التمر والزيتون والتين والعنب في كل سنة مشجع قوي للسكنى في الاماكن التي تنمو فيها هذه النباتات. وتعترض هذه المنطقة جبال وصحاري لاتصلح للسكنى ولكن هناك سهولا قابلة للسكنى حول هذه الجبال والصحاري وفيما بينها. ويمكن ان تقام فيها قرى غير متباعدة كثيرا كما يمكن لاصحاب المواشي ان يتجولوا بقطعانهم. ولقد اطلق برستد على القسم الغربي من هذه المنطقة اسم الهلال الخصيب. وفي بلاد اشور القديمة (منطقة الموصل) تكفي امطار الشتاء لتزويد الاغنام بالمراعي ولارواء محاصيل الحبوب. على ان السكنى الدائمة تقتصر في الواقع على العيون وضفاف الانهار المنحدرة من جبال ارمينية كالفرات والباليخ والخابور ودجلة. وعلى الرغم من خطر الجفاف فان صعوبات اعداد التربة هنا كانت اقل خطورة منها في سهول الانهار الكبرى التي تحصل فيها الفيضانات.

وشيدت قرى هذا العصر على انقاض القرى للعصر السابق. ولم تعد البيوت تبنى من الطين المرصوص (الطوف) فقط بل من الاجر المجفف بالشمس (اللبن) وباشكال معينة. وكانت الالات والادوات لاتزال تصنع في المنزل غالبا ومن مواد محلية. واصبح النحاس يصنع بمهارة بالطرق اول الامر ثم بالصب لعمل الفؤوس وادوات الترف. واستورد الذهب والفضة واحجار اللازورد من شمال افغانستان. وظهر الخزافون الذين يصنعون الاواني على دولاب سريع الحركة بدلا من صنعها باليد.

واخذ الناس يستخدمون الاختام لوضع علامة على ممتلكاتهم.

ان المجموعة الاولى من اماكن السكن التي تمثل المرحلة الاولى لهذا العصر بناها اهل قرية حلف (نسبة الى تل حلف على نهر الخابور). وقد عاش هؤلاء على الزراعة والرعي واعتمدوا في آلاتهم على الحجارة والعظام ولكنهم حتى في وادي الخابور الاعلى كانوا يستعملون الاصداف المستوردة من الخليج العربي والزجاج البركاني من جبال ارمينية. وزيادة على ذلك فان اهل قرية حلف كانوا يعرفون المعدن بالتأكيد، هذا ان لم يكونوا قد عرفوا صناعة المعادن ايضا. وهناك آنية في تل حلف يبدو عليها اقدم رسم لعربة ذات عجلات ومع ذلك فقد كانت الاواني الفخارية لاتزال تصنع باليد غير انها كانت مزخرفة بشكل جميل وبرسوم ملونة ومعدة في كورة خاصة كما لو ان صانعيها كانوا من المحترفين.

وفي المرحلة الثانية اي مرحلة حضارة العبيد (نسبة الى تل العبيد قرب اور) اعيد بناء المزارات القديمة على مقياس اوسع في اماكنها المقدسة كما في تبة كورا. وبقيت الالهة المحلية القديمة وبنيت المزارات بالاجر المجفف بالشمس واصبح المعدن يصنع الآن بمهارة. وتابع الخزافون صنع اوانيهم باليد. وفي هذا العصر بدأ استغلال الاراضي الرسوبية في الجنوب بطرق الري الاصطناعي.

وفي المرحلة الثالثة اي في عصر الوركاء تطورت بعض القرى في منطقة الموصل وخاصة تلك التي اصبحت فيما بعد تعرف باسم نينوى وتبة كورا، الى قرى كبيرة او مدن صغيرة منتظمة. ففي تبة كورا تطورت المزارات التي يدل بناؤها المتتابع في نفس المكان على دوام التقاليد على الرغم من التغييرات في الحضارات الحاوية على معابد صغيرة من الطابوق ومقسمة الى عدة غرف ووجدت نماذج طينية للعربات مما يدل على ان وسائل النقل ذات العجلات كانت مألوفة. وكذلك صنعت الاواني الفخارية على الدولاب ايضاً. والاشياء المصنوعة من النحاس اوحتى البرونز لم تكن نادرة. والحجارة





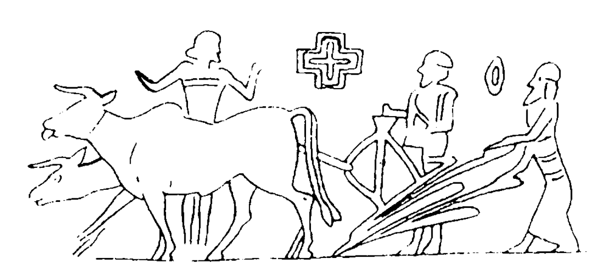


محراث خشبي سومري مدبب النهاية يجره ثور

الكريمة اللازوردية استوردت من افغانستان.

وبعد ان تم تدجين الماشية للاستفادة من لحمها وحليبها وجلدها استخدمت الثيران في حمل قسم من عبء العمل الزراعي. وربما كانت الخطوة الاولى في هذا المجال هو جعل زوج من الثيران يجران في الحقل نوعاً مختلفاً من آلة الحرث. وهذا النوع الجديد هو المحراث بدل العصا الحافرة. وكان على الانسان ان يخترع النير والعدة اللازمة له ليكون هناك اتصال بين المحراث وقدرة الثور على الجر. وبما ان المحاريث الاولى صنعت من الخشب فليس لدينا برهان مباشر على تاريخ اختراعها وتشهد الوثائق المكتوبة على ان المحاريث استعملت اشارات الى استعماله منذ عصر حلف. ونماذج تبة كورا ترينا عربات ذات عجلتين وذات اربع عجلات [٥] من الخشب مشدودة بعجلات من جلد تربطها مسامير نحاسية وتدور العربة قطعة واحدة مع المحور الذي يتصل بباقي العربة باحزمة من الجلد. واحدة مع المحور الذي يتصل بباقي العربة باحزمة من الجلد.

واقدم صورة للنقل هو الحمال البشري رجلاً كان او امرأة. ولكن عندما بدأ استعمال قوة الحيوان انتقلت الاحمال اليه. والثور لايصلح كثيرا لهذا الغرض وربما كان الحمار اقدم الحيوانات الحاملة للاثقال. وعرف الحمار المدجن قبل عام ٣٠٠٠ قبل



محراث خشبي سومري ذو قمع وأنبوب

في العراق ومصر حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد [٤]. واحتاجت الثيران التي استخدمت في الحراثة الى علف انسب لتحمل عمل الحراثة المرهق، ولذلك جعلت لها اصطبلات واصبح روث الاصطبلات سماداً للحقول. وحصل تطور في اعمال النقل بتطبيق الحركة الدائرية عند اختراع الدولاب وهناك الميلاد في مصر واستخدم للنقل واستخدم ايضاً في العراق لنفس الغرض في اوائل الالف الثالث قبل الميلاد. واصبح السفر في البر اكثر سرعة في نحو عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد باستخدام الحمير وبعد ذلك باستخدام الخيول لجر العربات ذات العجلتين وذات العجلات الاربع.

وفي حدود عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد كانت الرياح تستخدم في النقل المائي واخترعت في هذا العصر الزوارق. واقدم نموذج لها في اريدو[٦]. ويبدو ان الشراع اخترع في الالف الرابع قبل الميلاد وكانت سفن هذا الوقت سواءً اكانت تستعمل الشراع ام المجذاف اوكانت تجر على ضفاف الانهار والترع تنقل احمالاً ثقيلة بنفقة اقل من نفقات النقل البري.

وفي هذا العصر غزا الدولاب صناعة الفخار وكان هذا الدولاب يدور بسرعة حول محور عمودي والانية التي تصنع بواسطتها تكون في غاية التناسق ويتطلب صنعها مهارة فائقة لايمكن الحصول عليها الا بعد تمرن طويل وجهد كبير ويستغرق صنع الانية بالدولاب بضع دقائق في حين يستغرق صنعها باليد عدة ايام.

ان معظم الاختراعات الاساسية التي قامت عليها المدنية القديمة قد اخترعت على الارجح قبل عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، والتعدين واحد من تلك الاختراعات، وقد عرف سكان الشرق الادنى ما لديهم من معادن منذ زمن مبكر. وكانت كميات تلك المعادن المحلية صغيرة كما ان اكتشاف هذه المواد الجديدة لم يكن ذا أثر ملحوظ على الحضارة في البداية. وقد عولجت المعادن في اول الامر باعتبارها مواد صلبة غير عادية وانها حجر قابل للطرق وكانوا يزاولون العمل فيها وهي باردة بالطرق والحك. اما صناعة التعدين الحقيقية فلم تبدأ الا بعد ان اصبح بالامكان استخراج المعادن من خاماتها وحتى في ذلك الحين ظلت كل انواع المعادن فترة طويلة تزيد على الفي عام نادرة ونفيسة لدرجة ان استخدامها اقتصر على بعض الاسلحة وادوات الزينة.

## ثالثاً. في عصر فجر التاريخ (العصر الشبيه بالكتابي)

استعرضنا فيما سبق نشأة القرى الزراعية ومقومات الحياة القروية في العصر الحجري الحديث، بصورة عامة وفي منطقة الموصل بصورة خاصة، من حيث تدجين النبات والحيوان وبناء البيوت واختراع الالات والادوات الخاصة بحرث الارض وبذر الحبوب وحصاد الغلة وخزنها وطحنها. واستعرضنا التطورات التي حصلت في قرى العصر الحجري المعدني من حيث ازدياد عدد القرى واتساع رقعتها وتكاثر سكانها واستيطان السهول الرسوبية وقيام زراعة الري وصناعة المعادن وخصوصاً النحاس ثم البرونز واختراع الدولاب والعربة واستخدام الحيوانات في النقل البري والزوارق الشراعية في النقل النهري وابتكار المحراث والسرج ونعل الحصان وظهور الصناع المتخصصين والمتاجرة بفائض الانتاج الزراعي: كل هذه التطورات مهدت الطريق لقلب قرى عصر النحاس الى مدن العصر الشبيه بالتكابي.

ولاسباب غير معروفة يتبين ان التمدن (باستثناء نينوى وتبة كورا) حصل في جنوب العراق لافي شماله. وهذه الظاهرة تثير الدهشة والاستغراب. فالمتتبع للتطورات الحضارية في هذا القطر يلاحظ ان اقدم استيطان بشري حصل في شمال العراق. وفي شمال العراق ايضاً صنعت اقدم آلة وبدأت اولى عمليات الاستزراع وتم اول تدجين لحيوان وتأسست اولى القرى. ويتوقع الباحث ان يحدث الانقلاب الثاني في تاريخ البشرية وهو الانقلاب الحضري في شمال العراق ايضاً. ولكن هذا لم يحصل ولاتعرف اسبابه الحقيقية لغاية الوقت الحاضر.

لقد وجد المنقبون ان خرائب القرى المتتالية في الوركاء قد كونت قبل انتهاء عصر فجر التاريخ تلاً من الانقاض بلغ ارتفاعه نحو ستين قدماً. وتجمع هذا التل من مبانٍ متتالية لقرى كانت تتطور من عصر لآخر. وظهرت في الطبقات المختلفة لهذه الانقاض حضارات جديدة تميزت بالتغييرات في الصناعات الفخارية وطقوس الدفن واستخدام عجلة الخزاف واستبدال الاختام المنبسطة باختام اسطوانية وغير ذلك. وتدل هذه التغييرات على دخول سكان جدد لهم تقاليد جديدة اختلطوا





بالسكان الاولين. ونستطيع ان نرصد في هذه الفترة الانتقالية ثلاث حضارات هي حضارة العبيد وحضارة الوركاء وحضارة عصر فجر التاريخ (العصر الشبيه بالكتابي).

وفي العصر الاخير كانت اطلال القرى المتتالية في الوركاء قد كونت تلاً بلغ ارتفاعه في الطبقة الخامسة نحو ستين قدماً وفي قمة التل لم يعد المشهد مشهد قرية بسيطة بل مشهد مدينة.[٧]

ويحتمل ان يكون ظهور المدن في العراق القديم قد ارتبط في البداية بوجود معابد دينية او اماكن تجارية او مقّرات ملكية او مواقع توفرت فيها مصادر الماء وخصوبة الأرض وطرق المواصلات وضرورات الدفاع. ولاريب ان مدن عصر البرونز المبكرة بدأت تتطور في عصر فجر السلالات وزاد تطورها في العصور اللاحقة واصبحت ذات مزايا عمارية وفنية واقتصادية واجتماعية واضحة. ان ماتذكره هنا من هذه المزايا قد لايتوفر كلها في جميع المدن وقد يتوفر منها ما يرفعها عن مستوى القرية الى مصاف المدينة:

١. ضرورة توفر الماء. والمدن التي تطورت من اصل قروي توفر فيها هذا الشرط. اما المدن الجديدة فقد نشأت على ساحل نهر او عين ماء او بئر.

٢. تميزت المدن بسعة رقعتها وكثافة سكانها اذا قورنت بمستوطنات العصر الحجري الحديث وتفاوتت هذه السعة والزيادة في السكان من مدينة الى اخرى تبعاً لعوامل نشوئها وتطورها. ولايمكن تقدير هذه الزيادة في المساحة والسكان تقديراً دقيقاً وذلك لاهتمام المنقبين بالدرجة الاولى بالتوزيع العمودي للحضارات لمتابعة تطورها. اما التنقيبات الافقية فكانت عندهم مسألة ثانوية اذا توفر الهدف الاول خصوصاً وان التنقيبات الافقية تكلف بعثة التنقيب مبالغ طائلة جداً. وقد يكتفي المنقب بالنتائج التي يحصل عليها من حفرة اختبار في مساحة صغيرة ينزل فيها الى الارض البكر اذا حصل على تتابع الازمان والحضارات بشكل متعاقب سليم.

٣. بما ان اهم عوامل نشوء المدن هو تبادل السلع والخدمات بالمواد الخام ومواد الطعام فان وجود المكان لهذا التبادل اي السوق امر لازم. وقد ظهرت هذه السوق في مدن عصر فجر السلالات ان لم تكن قبل ذلك في عصور لم ترد الينا منها وثائق مدونة. وقد قيل ان الصراع بين جلجامش وانكيدو حدث في سوق الوركاء. ويذكر آشور بانيبال، وهو من عصر لاحق، ان عملية البيع والشراء جرت عند بداية السوق.[٨] ولا يبدو صحيحاً ان السوق في العراق القديم تمثل تطوراً متاخراً وعلى عكس ذلك يبدو ان وجودها كان ضرورياً منذ بدء نشوء المدن لاتصال الفلاحين من خارج المدينة بالتجار والحرفين في داخلها لمبادلة المواد الغذائية والبضائع. ففي السوق تركزت العلاقة بين سكان المدينة والارض الصالحة للزراعة التي تقع حول المدينة.

٤. ان لوجود السور دلالة على الصفة المميزة لمدن الشرق الادنى القديم ولاتختلف مدن العراق عن سواها في هذا المجال. ولقد ظهر اقدم سور في العراق في الالف السادس قبل الميلاد حول قرية الصوان واستمر تسوير المدن في العصور التاريخية كما في الوركاء واور والعبيد وتل اسمر وخفاجة ونينوى وغيرها، وفي بعض الاحيان شيد اكثر من سور واحد زيادة في الحيطة والحذر. ولهذا الغرض حفرت الخنادق حول الاسوار، وارتبطت بالاسوار التحصينات لاغراض الدفاع. وكثيراً مانقرأ في اخبار ملوك المدن اهتمامهم بالاسوار وترميمها وتقويتها وبناء تحصيناتها. وتكاد لا تخلو مدينة في العراق القديم من السور الذي يمثل خطاً دفاعياً ضد الغزاة.

٥. وبناء الابواب في السور كان ظاهرة عامة في المدن المسورة. وهذه الابواب كانت منيعة تستخدم للمراقبة ولمنع دخول الاعداء ولاثارة اهتمام الزائرين بفخامتها ولعقد الاجتماعات وتمشية الاعمال الادارية في ساحاتها.

٦. والوحدة الروحية والاقتصادية للمدن كان يعبر عنها في معابد الالهة المشيدة على مصطبة اصطناعية مرتفعة وتشرف عليها زقورة. وكانت المعابد تضم مخازن الحبوب ومستودعات البضائع والالات والادوات الخاصة بالانتاج. وفي معظم الحالات كان المعبد يشيد في وسط المدينة كما في اور. وقد حرص المتعبدون على الاحتفاظ بمكان المعبد القديم عند بناء معبد جديد فكانوا يقيمون الجديد على انقاض القديم ولذلك بقي موقع المعبد في نفس المكان عبرالعصور ولذلك ايضاً تراكمت المعابد على بعضها كما في تبة كورا واريدو ونيبور واشور وبابل.

٧. وجرت العادة ان يشيد قصر الحاكم اوالامير اوالملك في وسط المدينة بجوار المعبد او بالقرب منه

٨. ويحيط بالمعبد والقصر جدران عالية وبيوت الناس والشوارع ذات الانعطافات المعقدة

٩. وفي بعض الحالات تفضل مناطق معينة من قمم الهضاب ربما لاسباب دينية ترتبط بالعبادة للسكنى حتى في حالة وجود ارض سهلية بالقرب منها. فمدينة اشور مثلا تقع على منحدر صخري تطل منه على نهر دجلة. وقد تتوسع مدينة الهضبة بعد دمج مستوطنات واطئة معها.

١٠. ويتباين تخطيط المدن من حالة لاخرى ومن عصر لاخر بحيث لانجد تخطيطاً واحداً تأسست عليه جميع المدن. فمدينة سپّار بنيت على تخطيط بيضوي ونينوى كانت بشكل شبه المنحرف وكوزان (حلف) بشكل مستطيل غير منتظم وخرصباد ونمرود بشكل مربع في حين تبدو نيبور على تخطيط لا نظام له. ووجدت مدن مدورة شيدت في الغالب بعدالامبراطورية البابلية مثل الحضر.

١١. واختلفت الشوارع والازقة في شكلها وسعتها باختلاف تنظيم المدن وكانت في اغلب المدن التي تطورت من اصل قروي ضيقة وملتوية. وفي المدن الجديدة التي تأسست على تخطيط واضح كانت مستقيمة وعريضة وخصوصا عند مداخل المعابد والقصور والبوابات. وشيدت في المدن شوارع ذات طابع ديني ترتبط باحتفالات رأس السنة الجديدة مثل شارع الموكب في بابل وشارع الاحتفالات في اشور وفي الوركاء. وتشير نصوص سنحاريب الى شوارع نينوى المستقيمة والى الساحة الفسيحة المجاورة الى بوابة النصر وتذكر ان الملك قام بتوسيع احد الشوارع وحوله الى طريق ملكي وامر بقتل كل من يخرب الشارع المشجر في اثناء تشييد الدور.

١٢. وتميزت المدن بظهور طبقة الصناع المتخصصة مثل صناع الفخار والحدادين والنجارين والنساجين وغيرهم وطبقة الحرفيين والتجار ممن لايساهمون في الانتاج الزراعي ولكنهم يحتاجون اليه لطعامهم كما يحتاجون الى المواد الخام الضرورية لصناعتهم وتجارتهم وهذه المواد الخام لاتتوفر الا في القرى وفيما جاورها. وقد وجدت هذه الطبقة الصانعة والتجارية والحرفية في قرى عصر النحاس وزاد عدد افرادها وتشعبت اعمالهم بمرور الزمن مع تطور الخدمات والحاجات الاقتصادية.

## رابعاً. في منطقة الموصل

وبعد هذا الوصف العام لمسيرة التطور من القرية الى المدينة ننتقل الان الى منطقة الموصل ونذكر تطور قراها عبر العصور مبتدئين باقدمها ثم التي تليها في زمن النشوء مستندين بذلك على التاريخ بطريقة كربون ١٤ الاشعاعي وعند تعذر ذلك فبطريقة المقارنة بالنوع.





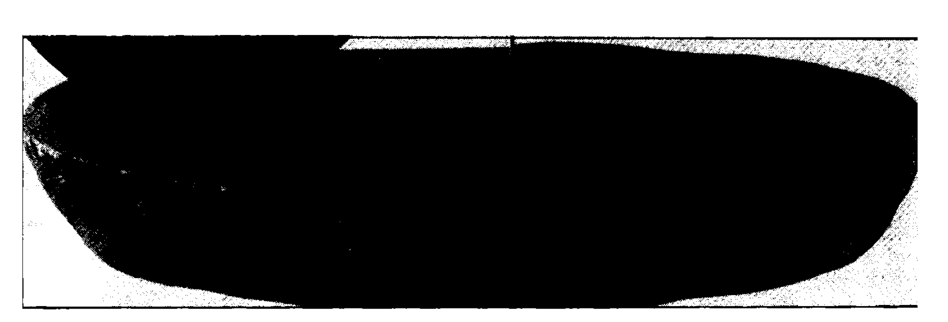
## ١ . قرية حسونة

ليست حسونة اقدم قرية عراقية بل هي اقدم قرية في منطقة الموصل ذلك لان قرية جرمو القريبة من بلدة جمجمال بمحافظة التأميم تسبقها بنحو خمسمائة سنة،ولذلك تمثل قرية حسونة المرحلة الثانية من العصر الحجري الحديث بعد ان شهدت جرمو مرحلة خلت من صناعة الفخار في حين ظهرت الفخاريات في حسونة منذ البداية كما ان قرية حسونة شهدت تطورات الثورة الزراعية بشكل اوضح مما في قرية جرمو. هذا فضلا عن انها تشير الى انتشار القرى في السهول الشمالية بعد بدء الاستيطان الزراعي في سفوح الجبال.

يقع تل حسونة على خط طول ١٥ / ٤٣ شرقاً وخط عرض ٥ / ٣٦ شمالاً على بعد ٩٠٠ متر شمال قرية حسونة التي تبعد حوالي ثمانية كيلو مترات شرقي ناحية الشورة وعلى بعد خمسة وثلاثين كيلو متراً جنوب مدينة الموصل. والتل الانف الذكر يقع عند ملتقى واديين صغيرين يكونان بالتقائها وادي القصب. ويرتفع التل مقدار سبعة امتار فوق ارض كلسية التكوين صالحة للزراعة ويمتد الى مسافة قدرها ٢٠٠ مترا في الطول و ١٥٠ متراً في العرض وسط وادي تكثر فيه التموجات التي تقطعها وديان عميقة تجرى فيها المياه في فصل الشتاء والربيع مما يسهل امكانية قيام الزراعة ويرتفع التل عن مستوى سطح البحر بنحو خمسمائة متر.

تم اكتشاف هذا التل سنة ١٩٤٢ من قبل دائرة الاثار والتراث (مديرية الاثار القديمة سابقا). ولوحظ ان اللقى السطحية المكتشفة تحوي كسوراً فخارية وحيدة اللون تشبه النوع الذي كان يسمى فخار سامراء وكسوراً فخارية محززة كانت تعرف بكسور فخار الطبقة الاولى من نينوى،غير انها عدت بعد التنقيبات في هذا التل من نوع فخار حسونة النموذجي واحتوت اللقى السطحية ايضاً كسوراً فخارية محززة وملونة معاً اصبحت تعرف الان بفخار حسونة النموذجي.

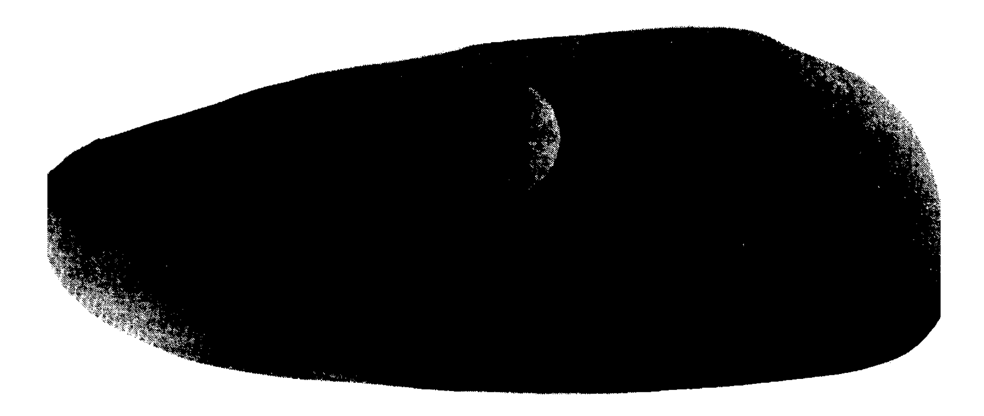
كان سيتون لويد قبل بدء التنقيبات يعتقد ان من المحتمل ان يجد الانسان في هذا التل تطوراً لفخار سامراء من فخار الطبقة الاولى من نينوى في مرحلة وسطى. وقد ظهر بعد التنقيب ان هذه الفكرة صائبة لانها اوضحت تطور هذه الصناعة الفخارية من صناعات حسونة الكلاسيكية على الرغم من ان لويد غيّر رايه فيما بعد. وجرت التحريات في التل في سنة ١٩٤٢، ١٩٤٣ وقد كشف التنقيبات عن استمرار حوالي عشرة اجيال من التجمعات السكانية. وشق المنقبون في التل حفرتين الاولى في القسم الجنوبي من التل بلغت التربة البكر على عمق سبعة امتار ظهرت فيها سبع طبقات والحفرة الثانية في القسم الشمالي الشرقي من التل وبلغت التربة العذراء ايضا على عمق عشرة امتار ظهرت فيها ثماني طبقات ثم وصل بين الحفرتين



اناء من الفخار لفرك وقشر الحبوب

بخندق وكانت النتيجة الكشف عن خمس عشرة طبقة سكنية مرتبة حسب تسلسلها الزمني من الاسفل الى الاعلى. ووجدت المواد التي تعود لعصر حسونة في الطبقات الست الاولى (حسونة القديم في الطبقات ١ / أ-٣ وحسونة النموذجي في الطبقات ١ / ب-٦ وحسونة المتطور في الطبقات ٣-٦). ووجدت اثار هذا العصر مختلطة مع اثار عصر الحديث في هذه القرية في حوالي سنة ٥٦٠٠ زائد او ناقص ٢٥٠ سنة قبل الميلاد[١٠] وهذا التاريخ

تعد التنقيبات التي جرت في قرية حسونة مهمة لانها كشفت عن ثاني اقدم قرية في العراق وربما في العالم واثبتت ان هذه القرية موقع نموذجي لحضارة هذا العصر في الشرق الادنى وانها دللت على وجود مرحلة انتقالية الى عصر حلف في الطبقة السادسة وانها حلت مشكلة فخار سامراء وفخار الطبقة الاولى في نينوى وانها ضمت اثار استيطان حوالي عشرة اجيال من السكان. ان اختيار كربون ١٤ الاشعاعي حدد تاريخ العصر الحجري



هاون من الحجر لطحن الحبوب

يقع ضمن العصر الجيولوجي الحديث في هذه الفترة باستثناء اعمال التعرية النشيطة وخصوصا في منطقة التلال والهضاب حيث تتوفر المياه في نهر الزاب الكبير والزاب الصغير وروافدهما وحيث تكثر الامطار لذلك تكونت اخاديد كثيرة على سفوح التلال وعلى الاخص في صخور الطفل والرمل اللينة والالتواءات المغطاة بطبقات رسوبية. وتشير خريطة دوبرنية[١١] لامطار العراق في هذا العصر الى مناطق كان يصيبها مابين ٢٤-٤٠ انجا من المطر في السنة وتقع قرية جرمو فيها ومناطق كان يصيبها مابين حلف في الطبقات ٦-١١. ووجدت اثار عصر العبيد في الطبقات ١١-١٢ ووجدت اثار مختلطة من عصر حلف وعصر العبيد والعصر الاشوري في الطبقات ١٣-١٥[٩].

١٦-٢٤ انجا في السنة ومناطق كان يصيبها مابين ٨-١٦ انجا في السنة. وتقع قرية حسونة في المنطقة الاخيرة. ويفهم من خارطة توزيع مواقع العصر الحجري الحديث في العراق ان اكثر المواقع تقع ضمن خطي المطر ٢٤ و ٤٠ انجاً والقليل منها بين خطي المطر ٨-١٦ انجاً ويترتب على ذلك ان النباتات الطبيعية كاشجار البلوط واللوز والجوز والصفصاف والشجيرات الصغيرة والحشائش كانت اكثف مما هي عليه الآن وان الرطوبة كانت اكثر مما هي في الوقت الحاضر لاسيما في المنطقة الجبلية ومنطقة الهضاب المتقطعة. غير ان انتشار قرى العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني ومدن العصور التاريخية سبب قلة في كثافة النباتات الطبيعية وزيادة في شدة التعرية. وهناك





شك قوي في ان جغرافية الشرق الادنى في جملتها من حيث الامطار والنبات الطبيعي ودرجات الحرارة كانت قبل ٧٥٠٠ سنة مثلما هي عليه الان. واقل مايمكن ان يقال في هذا الصدد ان الامطار كانت اكثر في كميتها وان النباتات الطبيعية كانت اشد في كثافتها.

والمنطقة التي تقع فيها قرية حسونة هي هضبة اشور. وهذه الهضبة متموجة تقطعها وديان ضحلة وتتخللها السلاسل الواطئة من التلال التي ترتفع فوق الوديان المجاورة وتغطيها في الغالب ترسبات غرينية وتنتشر على سطحها احجار الكلس وصخور الطفل والجبس والرمل والرخام. ولارتفاعها الى ما بين ١٠٠٠-١٣٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر فهي تجتذب كميات كبيرة من المطر.
ولعدم وجود مخلفات بنائية في الطبقة ١/أ المستقرة على الارض البكر افترض المنقبون وهم على حق ان المستوطنين كانوا يسكنون الخيام التي تركوا فيها كميات من الفخار السمج والمدلوك ومجموعة من المواقد والالات الحجرية المصقولة او المصنوعة من الشظايا وكانت طرزها تدل على ان اصحابها كانوا من الرعاة والصيادين. وعلى الرغم من ان هذه الطبقة صنفت من طبقات العصر الحجري الحديث الا ان الطبقات ١/ ب-٦ عدت هي الطبقات الحقيقية التي تعود للعصر الحجري الحديث.

صنع اهل قرية حسونة الآلات والادوات من الحجارة والعظم والطين والفخار وربما الخشب. واقدم تلك الالات معازق وجد عليها قليل من القار كما صنعوا رؤوس السهام ورؤوس الرماح والقاشطات والنصال والازاميل من الصوان او الزجاج البركاني وصنعوا المجارش والمدقات ورحى الطحن الهواوين من الصخور البركانية الصلبة وصنعوا المناجل من قطع الزجاج البركاني الحادّة المثبتة في مقابض خشبية مقوسة او مستقيمة بواسطة القير. وصنعوا من الطين والفخار اقراص المغازل التي تدل على علم بغزل الخيوط والالياف لحياكتها. وصنعوا من الطين كرات المقلاع التي استعملوها في القتال وصيد الحيوانات. ومن العظام والاحجار والاصداف صنعوا الخرز والقلائد. ومن الطين والفخار صنعوا الهة بشرية انثوية مثلوا بها الالهة الام ذات العلاقة بخصب الارض ولونوا قسماً منها بلون احمر وابرزوا خصائصها الانثوية بشكل غير طبيعي. وكانوا على علم بصناعة السلال والحصر التي استعملت للاثاث المنزلية والتسقيف.
وقد وجدت طبعة حصيرة في ارض الطبقة الثالثة. وبنوا مخازن الحبوب في ارضيات المباني من الطين المطلي بالجص من الداخل وبالقار من الخارج وصنعوا جراراً كبيرة من الفخار لهذا الغرض ايضاً. ودفنوا موتاهم بوضعية منثنية في قبور شقت في ارضيات المباني مع قليل من الالات والادوات. اما الاطفال فقد دفنوا في جرار كبيرة ووضع مع كل واحد منهم قدح واحد. ولم يعثر في القرية على الات وادوات معدنية بل عثر على كتلة طبيعية من النحاس المتاكسد. وظهرت في هذه القرية عدة انواع من الاواني الفخارية تؤلف بمجموعها طرازاً خاصاً عرف بطراز حسونة. والانواع هي:

١. فخار حسونة القديم ويشمل:
أ. فخار حسونة القديم الخشن وهو رديّ وبسيط الشكل يكثر فيه التبن وشاعت منه الجرار الكبيرة ويخلو من النقوش الملونة.

ب. فخار حسونة القديم المدلوك ويشمل مجموعة متنوعة من الاواني والجرار ذات السطح المدلوك والمزخرف بتشكيلات هندسية ملونة بلون اسود قوامها خطوط متموجة او متعامدة او متقاطعة.

ج. فخار حسونة القديم الملون وهو ذو لون اسود ومزخرف بخطوط متقاطعة تشبه حياكة الحصر





٢. فخار حسونة النموذجي ويشمل مجموعة من الاواني والجرار:
أ. الملونة بزخارف هندسية ونباتية سوداء
ب. المزخرفة بنقوش هندسية محزوزة
ج. المزخرفة بنقوش هندسية ملونة بلون اسود ومحزوزة بنفس الوقت

٣. وهناك النوع المتطور الذي يسميه البعض فخار سامراء ويخصص له دوراً حضارياً مميزاً.

ومهما يكن فان النوع المتطور هو وحيد اللون وفيه نماذج ملونة ومحزوزة في الوقت نفسه وزخارفه هندسية وبعضها طبيعية توجد فيها الطيور والاسماك والعقارب والايائل والبقر. وجميع هذه الانواع مصنوعة باليد.

تتميز فخاريات قرية حسونة بتشكيلات تجميلية متنوعة ففضلاً عن معرفة الصناع بعملية تلميع السطوح الخارجية باسلوب الدلك فان فخاريات حسونة الاخرى فيها تزيينات متنوعة فهناك الفخاريات المزينة برسوم قوامها وحدات زخرفية ملونة او محزوزة تحتوي على اشكال اغصان اشجار وسنابل يمكن اعتبارها نوعاً من التحوير للاشكال المرئية بوضوح. والتحوير هنا مستلهم من الاشكال الزراعية. ان الخزافين في هذا الوقت حوروا الاشكال وادوها بالرمز والتجريد. وكان هذا التحوير يأخذ طابع الشدة بحيث لايستطيع الباحث المتتبع معرفة الاصل الطبيعي. واستمر الخزافون على ممارسة الاشكال الطبيعية الى جانب الاشكال الهندسية التي تكون في الغالب محورة من النماذج الطبيعية. فبالنسبة للاشكال الادمية نجد ان هذا التحوير متدرج ومفهوم ولكن في بعض الاحيان تصعب معرفة الاصل الطبيعي للشكل حيث يكون التحوير قوياً وخاصة في الاشكال التي تبدو في النهاية ذات تشكيل هندسي واضح. ان خزاف قرية حسونة يمكن ان يعزى اليه استخدام التحوير وصولاً الى الرمز لاول مرة في العصر الحجري الحديث بمنطقة جنوب غرب اسيا.

ويستدل من مواد اكتشفت في القرية ولكن لاوجود لها في المنطقة على صلات خارجية، فقطع الزجاج البركاني استوردت من تركيا او ارمينيا لعمل الالات وخصوصا المناجل ورؤوس السهام.

واستوردت الاصداف البحرية من منطقة الخليج العربي لصنع الحلي كما جلب القار من منطقة حمام العليل لطلاء اطباق جرش الحبوب وعنابر خزنها. ومما يشير الى صلات هذه القرية انتشار اوانيها الفخارية في كثير من المواقع القروية في اقطار الشرق الادنى المجاورة.

واتضحت في قرية حسونة ثلاث مراحل لتطور العمارة إضافة الى مخيمات المرحلة المبكرة. ففي المرحلة الاولى كان البيت الواحد يتألف من غرفة صغيرة ذات جدران غير منتظمة مشيدة من الطوف وكانت هذه الغرفة تطل على فناء مفتوح. وفي المرحلة الثانية اصبحت الغرف اكثر عدداً واقرب الى الشكل المستطيل. ومهدت هذه المباني لمرحلة ثالثة تميزت فيها دور السكن ذات التخطيط المستطيل. واحتوت المباني على مرافق عديدة وممرات ومخازن. وكانت المخازن والزرائب مفصولة بواسطة حوافات من الحصير او الطوف. ولوحظ ان الطلعات والدكاك استخدمت على شكل دعامات داخل البيوت. وكان البيت الواحد يتألف من عدة غرف صغيرة ذات وظائف مختلفة فقسم منها اعد للنوم بدليل خلوه من بقايا نباتات وعظام، والقسم الاخر مخصص للخزن او الطبخ حيث عثر فيها على الحبوب الغذائية او عظام الحيوانات. وعملت ارضيات من التربة المرصوصة وملّطت بطبقة خفيفة من الطين. وزودت البيوت والغرف بمداخل وشيدت السقوف من اغصان الاشجار المكسوّة بطبقة من الطين.

وظهر من دراسة عظام الحيوانات المنتشرة بكثرة بين الانقاض ان اهل حسونة دجّنوا الاغنام والماعز وربما الماشية من اجل لحومها وجلودها وصوفها وشعرها. وتبين من مخلفات النباتات ان سكان





القرية زرعوا القمح والشعير الذي كان ينمو في المنطقة بصورة طبيعية.

ويستنتج من تقرير مختبر الكيمياء التابع للحكومة العراقية عن التحليلات التي جرت على نماذج لها علاقة بالمعادن وجدت في قرية حسونة ان بعض المركبات احتوت ثاني اوكسيد الحديد، ومن المحتمل ان تكون هذه قد استعملت لتلوين الاواني الفخارية بالزخارف الهندسية والرسوم الطبيعية. اما المركبات التي احتوت كبريتوز الرصاص الاسود فقد استعملت في تلوين الجفون مثل الكحل. اما المركبات التي احتوت كربونات النحاس المائية وخصوصا المالاكايت فقد استعملت في صناعة الحلي. ويبدو ان مركبات الحديد قد استوردت من منطقة الفتحة او شمال الرطبة وان مركبات النحاس استوردت من طوزخور ماتو او مما يجاور الحدود العراقية التركية.

ويظهر من الدراسات التي جرت على ثلاث جماجم اكتشفت في قرية حسونة انها تعود لسلالة البحر المتوسط ولكنها ثقيلة العظم وبارزة الفكوك وكبيرة الاسنان وهي صفات يختلف فيها اهل قرية حسونة عن سلالة البحر المتوسط التي تعيش في الوقت الحاضر. ويستبعد ان تكون هذه الصفات وليدة الاختلاط والتزاوج مع سلالة اخرى لعدم وجود دلائل هذا الاختلاط. ويحتمل ان يكون لنوع الطعام الصلب اثر في حجم الاسنان.

واستمر موقع حسونة قرية لاستيطان المزارعين في العصر التالي وهو العصر الحجري المعدني اذ وجدت فخاريات من عصر حلف في القسم العلوي في الطبقة السادسة واستمر ظهورها حتى الطبقة الحادية عشرة. ووجد هنا قليل من المخلفات العمارية. ووجدت فخاريات عصر العبيد في النصف العلوي من الطبقة الحادية عشرة واستمر ظهورها في الطبقة الثانية عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة.

ان تقرير المنقبين يخلو تقريباً من ذكر تفاصيل الموجودات في عصر حلف والعبيد والعصر الاشوري، ولكن مما لاشك فيه وبضوء القليل من المعلومات المستخلصة من طبقات العصر النحاسي والعصر البرونزي يظهر ان مستوطن حسونة استمر قرية حتى العصر الاشوري ولم يتطور باتجاه مدينة.

## نينوى :

نينوى مدينة زاخرة بعظمة آثارها وفخامة مبانيها ومعروفة بقدم اطلالها وخلود شهرتها ورفعة مقامها وسمو مكانتها بين مدن العالم القديم باعتبارها عاصمة لاقوى واوسع امبراطورية في تاريخ الشرق الادنى القديم. تقع اطلال هذه العاصمة الاشورية بالقرب من الضفة اليسرى لنهر دجلة قبالة مدينة الموصل. تطورت هذه المدينة من قرية صغيرة تأسست في العصر الحجري الحديث ويعود تاريخ تأسيسها الى عصر حسونة على اساس المقارنة بالنوع مع آثار قرية حسونة اي بحدود حوالي ٥٦٠٠ سنة زائد وناقص ٢٥٠ سنة قبل الميلاد. وهذا هو التاريخ الذي حدده اختبار كربون ١٤ الاشعاعي لقرية حسونة. لقد وجدت انقاض هذه القرية تحت انقاض المباني الاشورية في مكان يسمى تل قوينجق.

قامت بعثة المعهد البريطاني في عام ١٩٣١-١٩٣٢ بالتنقيب في المدينة وكانت رغبة هذه البعثة الحصول على فكرة عن تسلسل عصور قبل التاريخ في تل قوينجق فاقتصرت اعمالها على حفرة اختبار عميقة بلغت ٢٧,٥ متراً عند الارض البكر في مساحة بلغت عند سطح الارض عشرين متراً في الطول وخمسة عشر متراً في العرض في الجانب الشمالي الغربي من معبد عشتار. وشغلت الحفرة بقايا مبان لم يبق منها سوى مجموعة من الانقاض التي تعود لنوع من الاكواخ في خمس طبقات رئيسية ولاسيما في الطبقات الاولى.

وكانت الطبقة الاولى والثانية /أ و ب تعود لعصر حسونة غير ان آثار هذا العصر من هذا الموقع كانت معروفة قبل اجراء التنقيبات في تل حسونة فقد وجدت في هاتين الطبقتين فخاريات عصر حسونة من النوع النموذجي المحزوز والملون. ووجدت





في الطبقة الثانية ب فخاريات حسونة المتطورة (سامراء). وكانت الطبقة الثانية/ج طبقة انتقالية اختلطت فيها فخاريات عصر حلف الملونة بلونين وبعدة الوان مما يوحي بان هذه القرية كانت موجودة في الفترة ما بين سنة ٤٨٠٠ ، ٤٢٠٠ قبل الميلاد ثم هجرت فترة من الزمن حتى استوطنها العبيديون في الطبقة الثالثة في الفترة ما بين سنة ٤٢٠٠ ، ٣٨٠٠ قبل الميلاد. اما القسم العلوي من الطبقة الثالثة ومعظم الطبقة الرابعة فقد استوطنها اناس في عصر فجر التاريخ (الوركاء الخامسة والرابعة وجمدة نصر). وكان المستوطن قد تطور في هذا الوقت الى مدينة صغيرة في الفترة ما بين سنة ٣٥٠٠–٢٨٠٠ قبل الميلاد في حين سكن الطبقة الخامسة السومريون في عصر فجر السلالات في الفترة ما بين سنة ٢٨٠٠–٢٣٧١ قبل الميلاد.

**يارم تبة :**

يارم تبة اسم تركي معناه نصف التل. والظاهر ان جدول ماء قطعه الى نصفين وازال نصفاً منه. يقع هذا التل في سهل سنجار بمحافظة نينوى على مسافة سبعة كيلومترات جنوب غرب مدينة تلعفر الى الغرب من مدينة الموصل وهو واحد من ستة تلول تمتد لمسافة كيلو متر واحد على جانبي نهر صغير يسمى آبري. ثلاثة من هذه التلول كبيرة الحجم تم فيها الحفر من قبل البعثة الآثارية السوفيتية من المعهد الاثري بموسكو التابع لاكاديمية العلوم. وقد تركز العمل في البداية على التل الاول ثم التل الثاني ثم الثالث.

وقد وصلت الحفريات في التل الاول الى التربة البكر على عمق ستة امتار بعد ان اخترقت اثنتى عشرة طبقة رقمت بالتسلسل من الاعلى الى الاسفل. وظهرت الفخاريات عند الطبقة الاولى وكانت بوجه عام تشبه فخاريات قرية حسونة اذ وجد النوع القديم والنوع النموذجي بمختلف الاشكال كالاواني والجرار والصحون الكبيرة والصغيرة واواني فرك قشور الحبوب الغذائية. ووجدت في الطبقات العليا من الموقع فخاريات حسونة المتطورة او فخاريات سامراء كما يسميها البعض. وكانت مخلفات البناء جيدة ولوحظ ان المباني شيدت على تخطيط مستطيل وبنيت الجدران من الطوف والارضيات من الطين المرصوص وملطت الجدران والارضيات بالجبس كما لونت الجدران باللون الاحمر. واحتوت بعض الغرف على تنانير ومواقد والحقت بالبيوت غرف صغيرة استخدمت للخزن. وبعض هذه المخازن لم تكن لها ابواب، ومن المحتمل ان الدخول اليها كان يتم من السطح. ومن المباني المهمة في القرية بناء يتألف من ١٤ غرفة صغيرة بنيت على صفين ويعتقد انها استخدمت مخازن عامة لسكان القرية[١٢].

يعود تاريخ هذه القرية الاولى الى الالف السادس قبل الميلاد اي الى حدود سنة ٥٦٠٠ قبل الميلاد استنادا الى المقارنة بين اثارها واثار قرية حسونة [١٣].

اما التل الثاني فقد بدأت فيه التنقيبات في سنة ١٩٦٩ في داخل خندق مدرج بلغ عرضه عشرة امتار في أعلى نقطة من التل ونزل الحفر فيه الى عمق ثمانية امتار رصدت فيها اثار تسع طبقات بنائية تعود جميعها الى عصر حلف[١٤]. وظهرت في هذه الطبقات مبانٍ مدورة ملحقة بمداخل مستطيلة الشكل من طراز مباني عصر حلف التي وجد مثلها في الاربجية وتبة كورا كما ان المباني المستطيلة والمربعة الشكل كانت شائعة في هذه القرية الثانية. اما الاواني الفخارية التي استخرجت فهي اما غير ملونة او ملونة وتشكل الملونة منها نسبة عالية وهي ذات لون واحد او لونين او عدة الوان. وجميع الفخاريات المكتشفة تمثل صناعة جيدة معمولة باليد ومدلوكة ومطلية. وقد تم العثور على عدد من القبور كانت الجثث فيها اما مدفونة او محروقة. وظهرت مجموعة من الصناعات الحجرية والاختام المنبسطة ذات المشاهد الهندسية وظهرت الات عظيمة ودلاية من النحاس محززة بعدد من الخطوط الافقية. يعود تاريخ هذه القرية الحلفية حسب





اختبار كربون ١٤ الاشعاعي الى سنة ٤٥٥٠ قبل الميلاد.[١٥]

اما التل الثالث فهو اكبر التلول بلغ قطره ٢٠٠ متر وارتفاعه عشرة امتار عن السهل المجاور. وقد جرت فيه التحريات في سنة ١٩٧٨ ووجدت اثار من عصر العبيد[١٦] الشمالي مع عدد قليل من فخاريات عصر حلف. ويمكن مقارنة طبقات عصر العبيد في هذه القرية الثالثة مع مثيلاتها في تبة كورا. وكلاهما يقع فوق انقاض عصر حلف وكان حجم المستوطن العبيدي في هذا التل صغيرا جدا ويقع في قمة التل.

يعود تاريخ هذه القرية استنادا الى المقارنة بالنوع مع اثار عصر العبيد الى حوالي سنة ٤٢٠٠ قبل الميلاد.

**تلول الثلاثات :**

تقع تلول الثلاثات في سهل واسع غرب دجلة وعلى بعد ستين كيلو متراً الى الغرب من مدينة الموصل. انها اربعة تلول متجاورة وقد تركز تنقيب البعثة اليابانية على التل رقم ٢ من مجموعة التلال. وعثر في هذا التل على ست عشرة طبقة سكنية تعود اثنتان منها وهما السادسة عشرة والخامسة عشرة الى عصر حسونة بدليل وجود كثير من الفخار السمج من نوع فخار حسونة القديم فيها. اما الطبقات الاخرى فتعود الى عصر العبيد.[١٧]

**ام الدباغية :**

في بداية السبعينات من هذا القرن قامت بعثة اثرية انكليزية باشراف الدكتورة ديانا كرك - برايد بمسح اثري في منطقة هضبة الجزيرة الى الغرب من مدينة الحضر. وعثر في هذه المنطقة الجافة على سبعة وثمانين موقعا اثريا تبين ان اثنين واربعين منها تعود الى العصر الحجري الحديث استنادا الى الملتقطات السطحية واذ تم اختيار ام الدباغية للتنقيب[١٨]

تقع اطلال هذه القرية على الحافة الشمالية من وادي الثرثار في الجانب الغربي منه على بعد ما يقرب من عشرين كيلو متراً الى الغرب من مدينة الحضر المشهورة. وكانت خرائب القرية تشغل مساحة من الارض يقدر طولها بمئة متر وعرضها بخمسمائة وثمانين متراً. وقد بلغ عمقها عند التربة البكر بعد الانتهاء من التنقيبات اربعة امتار. كانت بيوت القرية مستطيلة الشكل مبنية من الطوف وبدون اسس حجرية. ووجد كثير من من المباني ذات الجدران المنحنية وهي تتكون من غرف صغيرة يعتقد انها خصصت للخزن. وكان بداخل البيت الواحد غرف عديدة عثر في داخل بعضها على تنانير لعمل الخبز اولتحضير الاواني الفخارية. وملطت الجدران والارضيات بطبقة خفيفة من الجص. ووجدت قطع اللبن التي قيل انها تمثل اقدم نماذج اللبن في القرى الزراعية العراقية. اذ كانت اللبنات كبيرة الحجم بلغ طول الواحدة منها مابين ٣٠ سم واكثر من متر واحد وسمكها عشرة سنتيمترات وعرضها حوالي ٢٠ سم. وبنيت في هذه القرية سلالم من الطين مطلية بالجص في داخل المباني.

وجدت عظام الحيوانات في جميع الطبقات وكانت نسبة عظام الانواع المدجنة قد بلغت الثلث مما يدل على ان سكان القرية قد اعتمدوا بصورة كبيرة على الحيوانات البرية في طعامهم. ولقد بلغت نسبة عظام الحمر الوحشية ٦٨٪ ووجدت على جدران بيوت السكن في الطبقات السفلى صور جدارية بدائية تمثل الحمر الوحشية بصورة واضحة. والظاهر ان لحم حمر الوحش كان يستهلك بكثرة اذ فاقت نسبة عظامه نسب جميع عظام الحيوانات الاخرى[١٩] ويشير وجود عظامه بهذه الغزارة على ظاهرة غريبة اذ لم يعثر عليه بهذه الكميات في جميع مواقع الشرق الادنى التي تعود لهذه الفترة. اما الحيوانات البرية الاخرى كما يستنتج من عظامها فكانت الخنزير البري والذئب والغزال والثعلب والطيور في حين كانت الحيوانات المدجنة الاغنام والخنازير والماشية. اما بقايا النباتات التي وجدت في القرية فتدل على زراعة





القمح زراعة ديمية. اما الشعير فكان لايزال في حالته البرية.[20]

اما الصناعات الفخارية فكانت تشبه الصناعات الفخارية في قرية حسونة ومطارة مما يدل على تزامن هذه القرى الثلاث وعلى نوع من الصلات بينها: ان بعض انواع فخاريات ام الدباغية كانت ذات سطوح مدلوكة ولماعة ومزخرفة بحزوز او ملونة بخطوط متقاطعة على غرار حياكة السلال والحصر. وقد اضيفت الى ابدان بعض الاواني قطع من الصدف للتجميل. ومن اهم الاواني المميزة في الموقع الاطباق ذات النتوءات لفرك قشور الحبوب الغذائية. وجميع الاواني الفخارية المكتشفة في القرية مصنوعة باليد: اما الصناعات الحجرية فقد شملت رؤوس السهام والمثاقب والمقاشط وشظايا المناجل واحجار الطحن والهواوين والمدقات وادوات اخرى متنوعة صنعت جميعها من الصوان او الزجاج البركاني ولكن نسبة الصوان كانت هي العالية.

ان موجودات قرية ام الدباغية تشبه الى حد كبير مخلفات قرية حسونة وقرية يارم تبه الاولى وتلول الثلاثات ويعود تاريخ هذه القرية حسب اختبار كربون ١٤ الاشعاعي الى منتصف الالف السادس قبل الميلاد. او بحدود ٥٥٧٠ زائد او ناقص ١٢٠ سنة قبل الميلاد.[21]

**الاربجية:**

الاربجية اسم تركي معناه رجال الشعير وتسمى في الاوساط المحلية قبة رشوا ايضاً. تقع في محافظة نينوى على بعد ستة كيلومترات شمال شرق نينوى العاصمة الاشورية القديمة ويقع التل حالياً في وسط الاحياء السكنية في مدينة الموصل. انها تمثل قرية اكثر تطوراً من قرى المرحلة المبكرة مثل قرية حسونة ويارم قبة الاولى وام الدباغية لانها شهدت بدايات العصر الحجري المعدني في عصر حلف وعصر العبيد غير انها لم تتطور اكثر من ذلك ولم ترتقِ الى مستوى مدينة.

الموقع عبارة عن تل صغير يرتفع عن مستوى الارض المجاورة بمقدار خمسة امتار ونصف المتر. اكتشف هذا التل في سنة ١٩٢٨. وفي عام ١٩٣٣ تحرت فيه بعثة انكليزية بادارة ملوان موفداً من المتحف البريطاني. وفي عام ١٩٧٦ نقبت فيه بعثة عراقية بادارة الدكتور اسماعيل حجارة وقد كشفت تنقيبات ملوان في التل نفسه عن عشر طبقات مرقمة من الاسفل الى الاعلى على هيئة بيوت متراكمة بعضها على بعض في خندق اختبار. ووجدت اثار عصر حلف في الطبقات (١٠ — ٥) واثار عصر العبيد في الطبقات (٥ — ١) وكانت الطبقة الخامسة مختلطة اثارها. وفي سفوح التل وجدت اثار عصر حلف بين ٥ — ١ متر في العمق ووجدت اثار عصر العبيد في المتر العلوي.

اشتهرت هذه القرية باوانيها الفخارية الجميلة ذات الالوان المتعددة والصناعة اليدوية الدقيقة والاشكال المتنوعة والزخارف الهندسية والطبيعية البديعة. وكانت مثل هذه الاواني قد اكتشفت قبل الحرب العالمية الاولى في تل حلف الذي يقع على نهر الخابور بالقرب من رأس العين على الحدود السورية التركية. ولما كانت الفخاريات عموماً لاتثير اهتمام المنقبين انذاك فقد اهملوها اهمالاً. وبقيت اهمية الدور الحضاري الذي تمثله تلك الفخاريات مجهولة الى ان نشرت المعلومات عنها في سنة ١٩٣١. ومنذ ذلك الوقت بدأ الاهتمام بها وخصوصاً بعد ان اجريت التنقيبات في قرى قديمة اخرى. وفي الحقيقة اتضحت اهمية تلك الفخاريات ومارافقها بشكل ادق من التنقيبات التي قامت بها البعثة الانكليزية هنا في قرية الاربجية حيث امكن تمييز دورين رئيسيين لعصر حلف الدور الاول في الطبقات العاشرة والتاسعة والثامنة والدور الثاني في الطبقات السابعة والسادسة والخامسة. وامكن ايضاً تمييز آثار الدورين في سفوح التل على عمق خمسة امتار من سطح الارض.

ومما يزيد في الاعجاب بتلك الاواني الفخارية انها صنعت باليد باشكال عديدة مثل القدور





والصحون والاطباق والاقداح والجرار والاباريق. اما الزخارف فهي ذات اشكال متناسقة كالنقوش الهندسية والنباتية والحيوانية مثل الازهار واوراق النباتات والشجيرات والطيور والافاعي والغزلان ورؤوس الثيران الطبيعية والمرسومة بهيئة رمزية. وشاع تلوين الاواني في الدور الاول باللون الاسود وفي الدور الثاني بلونين او بعدة الوان كالاحمر والبرتقالي والاصفر والتبني والاسود. وفضلاً عن الفخاريات الملونة وجدت فخاريات غير ملونة ايضاً. واختلف الباحثون في اصل هذا الفخار وتحديد الوطن الذي نشأ فيه. ويرى بعضهم انه من اصل سوري ويرى اخرون انه من اصل اغريقي ويستدلون على ذلك بالمباني المدورة الشكل التي عثر عليها في بعض مواقع هذا العصر بشمال العراق والتي وجد مثلها في قبرص وكريت ومايسيناي من تاريخ احدث من تاريخ عصر حلف في العراق. ويضاف الى ذلك استعمال بعض الدمى والرموز الدينية مثل الدمى التي تمثل الالهة الام والفأس ذات الحدين ورأس الثور. وقد وجدت مثل هذه الرموز في كريت. ولما كان فخار حلف اقدم من هذه الاثار بعدة قرون فمن المعقول القول ان هذه المظاهر الحضارية الاغريقية هي ذات تأثير عراقي. ومما يرجح رأينا في ان هذا الفخار من اصل محلي بشمال العراق هو اكتشافه في قرى زراعية قديمة كثيرة قريبة من بعضها في وضع طباقي سليم يتدرج فيه تطور تقنية صناعته واشكاله ونقوشه من انواع بسيطة الى انواع معقدة وراقية. ووجوده مع فخاريات عصر حسونة السابقة في طبقات انتقالية في عدة قرى اثرية. وهذا هو الذي يجعلنا نرشح منطقة الموصل بشمال العراق موطناً له. ويظهر ان هذا الفخار انتشر في الجهات الغربية بطرق التجارة عبر الفرات والجزيرة الى منطقة البحر المتوسط والاناضول فقد وجد في منطقة الخابور في قرية براك وقرية شاغر بازار وقرية حلف وانتشر كذلك عن طريق نهر البالخ الى قرية اسود وقرية زيدان وعن طريق كركميش (جرابلس) الى اوغاريت (راس شمرا) القديمة على سواحل البحر المتوسط والى تلكي تبة على بحيرة وان في اسيا الصغرى. ويستنتج من هذا ان نوعاً من العلاقات كان يربط منطقة الموصل بهذه المناطق.

وتشير سعة القرية التي اكتشفت خرائبها في تل الاربجية الى تقدم قرى الفلاحين من حيث التنظيم واساليب البناء وتقدم البيوت وتوزيعها على شوارع مبلطة بالاحجار. ومع ان الطين بقي المادة الشائعة في بناء البيوت فانه ظهر كذلك استعمال اللبن. وبنيت بعض المباني على تخطيط مربع او مستطيل ولكن في اواخر عصر حلف تأسس في هذه القرية نوع غريب من الابنية المدورة التي اكتشفت منها نماذج في قبرص وكريت ومايسيناي وغيرها في البلاد اليونانية. وفي الاربجية وجدت عشر بنايات من هذا النوع بلغ قطرها مابين خمسة امتار ونصف المتر وعشرة امتار وهي مشيدة من الطين على اسس من الحجارة على هيئة خلايا النحل. ويظن انها كانت ذات سقوف معقودة. ووجد لبعضها مدخل امام البناء بشكل حجرة مستطيلة. ولكن لم يعثر في اي منها على بقايا هياكل عظمية بشرية بخلاف مايماثلها من المباني القبرصية والمايسينية التي كانت قبوراً. ولم يجد الباحثون حتى الان تفسيراً مقبولاً للغرض من هذه المباني في شمال العراق. ويرجح بعضهم ان يكون الكبير منها كالمبنى الموجود في قرية الاربجية نوعاً من المعابد والمزارات الدينية او مضيفاً للقرية ووجد آخرون فيها طرازاً خاصاً من دور السكن: ومما يؤيد هذا الرأي الانواع الجديدة المكتشفة في قرية ترلو باسيا الصغرى وسوريا وايران[٢٢]. وعثر على عدد من هذه المباني الدائرية في تبة كورا ويارم تبه بمنطقة الموصل ايضاً. إن ارضيات المباني عملت من الطين المرصوص وملطت الارضيات والجدران بطبقة رقيقة من الطين وقسم منها ملطت بالجص. وعثر في الموقع على العديد من الآنية الحجرية والحلي وادوات من الصوان والزجاج البركاني وكمية من المغرة الحمراء مع عدد من أدوات التلوين.[٢٣]





ووجدت في القرية الات وادوات زراعية وحبوب القمح والشعير وبذور الكتان[٢٤] وتبين من مخلفات عظام الحيوانات ان اهل القرية دجنوا الاغنام والماعز والماشية والخنازير[٢٥]. ووجدت في القرية انواع جيدة من القلائد والاقراص الحجرية الصغيرة ذات النقوش الهندسية التي ربما كانت تستعمل لختم السدادات الطينية على الجرار. كما وجدت رؤوس العصي الحجرية والتمائم الحجرية والدمى الحيوانية والتماثيل البشرية للالهة الام التي صنعت بهيئة امرأة بدينة تضع يديها على ثدييها وجسمها مزين بخطوط ونقط يظن انها من نوع الوشم. ووجدت في القرية مجموعة من اقراص المغازل والمخاريط وكرات المقلاع الطينية. واغلب الالات والادوات اعدت من حجر الصوان او الزجاج البركاني. وقد دفن اهل القرية موتاهم البالغين في القبور ودفنوا الاطفال في جرار فخارية.

تعود هذه القرية حسب اختبار كربون ١٤ الاشعاعي لنحو ٥٠٧٧ زائد او ناقص ٨٣ سنة قبل الميلاد[٢٦] اي انها عاشت في نهاية الالف السادس قبل الميلاد ولكنها استمرت حتى اواخر عصر العبيد والدليل على ذلك يعتمد فقط على وجود فخاريات من عصر العبيد في الطبقات ٤-١ وعلى وجود مسمار فخاري[٢٧] يكثر وجوده عادة بين اثار عصر العبيد في المواقع الجنوبية.

**تبه كورا:**

تبه كورا كلمة تركية تعني التل الكبير ويقع هذا التل على مسافة ثلاثين كيلو متراً الى الشمال الشرقي من مدينة الموصل. وهو تل بيضوي الشكل ذي جوانب متدرجة الانحدار يبلغ ارتفاعه نحو سبعين قدماً عن الارض المجاورة وقد قامت بالتحري فيه المدرسة الامريكية للدراسات الشرقية بالاشتراك مع متحف جامعة بنلسفانيا. وتركزت الحفريات في وسط التل ونزلت في ثماني طبقات اثناء تنقيبات الدكتور شبايزر في السنوات ١٩٢٧ - ١٩٣٢ ثم في اثنتى عشرة طبقة اخرى دون الوصول الى التربة البكر في اثناء تنقيبات الدكتور توبلر في السنوات ١٩٣٢ - ١٩٣٨ فتم بذلك استظهار عشرين طبقة. وتناولت التنقيبات ايضاً المنطقة المحاذية للموقع في الجهتين الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية. ففي الجهة الاولى فتح خندق اختبار بطول ١٤,٥ متراً وعرض ثمانية امتار وسمي هذا الخندق بالمنطقة A. ولم يعثر فيه على مخلفات مباني ولكن المنقب اعتقد ان هناك دلائل على وجود ست طبقات اثرية سميت بالطبقات A - F. وفي قعر هذا الخندق حفرت حفرة بعمق خمسة امتار وقطر ثلاثة امتار تقريباً وتم الوصول الى التربة البكر فيها على عمق ٢٧,٢٢ متراً وفي الجهة الشمالية الشرقية تم حفر خندق اخر استظهرت فيه طبقة رقيقة من الانقاض فيها قليل من المعالم الاثرية[٢٨].

ظهرت فخاريات عصر حلف في الطبقة ٢٠ وفي المنطقة A وفي خندق الاختبار الشمالي الشرقي. وفي الطبقات ١٩ - ١٢ وجدت فخاريات عصر العبيد. وفي الطبقات ١١ - ٨ وجدت آثار عصر فجر التاريخ. وفي الطبقات ٨ - ٧ وجدت آثار عصر فجر السلالات. وفي الطبقة السادسة وجدت آثار اكدية. وفي الطبقة الخامسة وجدت آثار من عصر سلالة اور الثالثة مختلطة بآثار العصر الاشوري القديم. وفي الطبقة الرابعة وجدت اثار اشورية قديمة مع اثار العصر البابلي القديم. وفي الطبقة الثالثة وجدت اثار ميتانية[٢٩].

كانت فخاريات عصر حلف التي ظهرت في هذا الموقع غير ملونة وملونة. والفخاريات الملونة كانت ذات لون واحد او لونين او عدة الوان ومعظم النماذج مصنوعة من طينة مصفاة تصفية جيدة واغلبها قوي وصلب بفضل حرارة الكورة العالية. ولبعضها طلاء له لون اصفر. والوان الزخارف لماعة واكثرها شيوعاً هو اللون الاحمر والبني والاسود والابيض. اما الفخاريات غير الملونة فاغلبها من طينة طبيعية ولها جوانب سميكة وسطح خشن واحجامها كبيرة. واكثر الاشكال شيوعاً هي الصحون والطاسات والجرار والاقداح والكؤوس والقدور وهناك شبه قوي بين فخاريات هذا الموقع





وقربة الاربجية من حيث تقنية الصناعة والشكل والزخرفة.

شيدت مباني القرية في عصر حلف باللبن على اسس حجرية. وشيدت البيوت على تخطيط مضلع، وكانت في الغالب تتألف من قاعة وسطى مستطيلة الشكل تقع على جانبيها مجموعة من الغرف الصغيرة المربعة الشكل. وزودت البيوت بمداخل وشيدت الارضيات من الطين المرصوص وقسم منها بالحجر. وعثر في ارضيات بعض المنازل على قبور الاطفال والمواقد والتنانير. ومن المباني اللافتة للنظر بناية دائرية الشكل واسعة جدرانها مبنية بالطوف وتسندها من الداخل ثلاث طلعات غير منتظمة المسافات بعضها عن بعض. وبالقرب من مدخل هذه البناية وجدت بقايا جدران لعلها تمثل غرفاً مستطيلة ملحقة بها.

وجد في اطلال هذه القرية عدد من الدمى الفخارية البشرية للنساء تظهر ملامحها العامة تشابهاً مع دمى عصر حلف في تل حلف والاربجية. وظهرت كذلك نماذج من الصناعات الحجرية كالاختام المنبسطة والازاميل والمطارق والمدقات والمجارش واقراص المغازل واحجار الشحذ والهواوين وقطع اللعب والاواني الصغيرة لحفظ الاصباغ.

وتشير البقايا المعمارية في الطبقة التاسعة بوضوح الى ان اهم بناية في المستوطن كانت بناية المعبد التي توسطت مخلفات هذه الطبقة التي يعود تاريخها لاواخر عصور قبل التاريخ. وكان للمعبد تخطيط جيد ويبلغ طوله ١٣ متراً وعرضه ١١,٤٠ متراً وكانت زواياه متجهة نحو الجهات الطبيعية. ووجدت فيه كوات ذات دخلات وطلعات ودكة في الغرفة الوسطى ولهذه الغرفة مدخل في مؤخرتها ينتهي الى الغرفة المقدسة. وعلى جانبي الغرفة المقدسة وجدت بقايا غرفتين طويلتين ضيقتين.

هذا المعبد بسعته واوصافه ومزاياه يدل على انه كان مركزاً لمستوطن تجاوز سمات القرية واصبح مدينة. وكل هذه المزايا وجدت ايضاً في معبد الطبقة الثامنة التي تود لاواخر عصور قبل التاريخ ولعصر فجر السلالات.

اما الطبقة السابقة التي تعود لعصر فجر السلالات فلم يعثر فيها الا على بقايا جدران وقليل من الغرف في القسم الشمالي. ولكن وجدت فخاريات جديدة. ولوحظ ان الجدران شيدت كلياً باللبن وليس لها اسس حجرية. وكانت الآثار المكتشفة قليلة اهمها بعض الاختام الاسطوانية والادوات النحاسية والالات المصنوعة من الزجاج البركاني وحجر الصوان.

اما مباني الطبقة السادسة التي تعود للعصر الاكدي فكانت منتشرة في مساحة بلغت ٦٠×٧٠ متراً. وكان المستوطن جميعه مسوراً وقد تعرض لعمليات اعادة بناء مرات عديدة عبر مدة طويلة من الزمن. ووجدت في القسم الاوسط ساحة مكشوفة طولها ثمانية وعشرون متراً وعرضها سبعة عشر متراً تجمعت حولها الغرف. ووجد في سور المدينة مدخلان واحد في الجنوب والاخر في الشرق والى الشمال من المدخل الشرقي وجدت اثار غرفة مشيدة بالحجارة كان الغرض منها للمراقبة. وكانت الشوارع تتفرع من الساحة المكشوفة وهي طويلة وضيقة ولكنها مبلطة بالحجارة وتخترقها ساقية لصرف المياه الوسخة. وتدل اثار الرماد المنتشرة في المستوطن على انه انتهى بالنيران التي اشعلها الغزاة.

اما الطبقة الخامسة التي تعود لعهد سلالة اور الثالثة وعهد الدولة الاشورية القديمة فكانت مبانيها مشيدة باللبن على اسس حجرية وبعضها الاخر بالحجارة. والظاهر ان اهم المباني كانت بناية المعبد. ووجدت في هذه الطبقة بقايا كثيرة من الرماد تدل على نهاية محزنة للمدينة على يد الغزاة.

اما الطبقة الرابعة التي تعود لعهد الدولة الاشورية القديمة وعهد سلالة بابل القديمة فكانت مبانيها جيدة وغرفها واسعة والبناية الرئيسية فيها هي لمعبد بدليل تخطيطه والادوات التي وجدت فيه. والرماد المنتشر في كل مكان يوحي باشعال النيران في المدينة من قبل المهاجمين.





اما الطبقة الثالثة والثانية والاولى فكانت مخلفاتها قليلة جداً ومبعثرة ومتهدمة بحيث لاتسمح بتصور شكلها الاصلي.

**الطواجنة:**

تقع خرائب هذا التل الاثري على بعد كيلو مترين من قرية الطواجنة التي تقع الى الجنوب من مدينة الموصل بنحو عشرين كيلو متراً. قامت دائرة الآثار والتراث بتحرياتها في هذا التل سنة ١٩٨٠(٣٠) يبلغ ارتفاع التل تسعة امتار عن مستوى السهل المجاور. وهو تل واسع وله قمة منبسطة. وأسفرت الحفريات فيه عن كشف اربع طبقات تعود الطبقة العليا منها لعصر الوركاء والطبقات الثلاث الاخرى لعصر العبيد. ووجدت كسر فخارية كثيرة تعود لعصر حلف مما يدل على وجود آثار هذا العصر في الطبقات السفلى لو استمر الحفر فيها(٣١).

يظهر ان آثار هذا المستوطن تدل على قرية تطورت في عصر حلف واستمرت في تطورها كقرية حتى نهاية عصور قبل التاريخ.

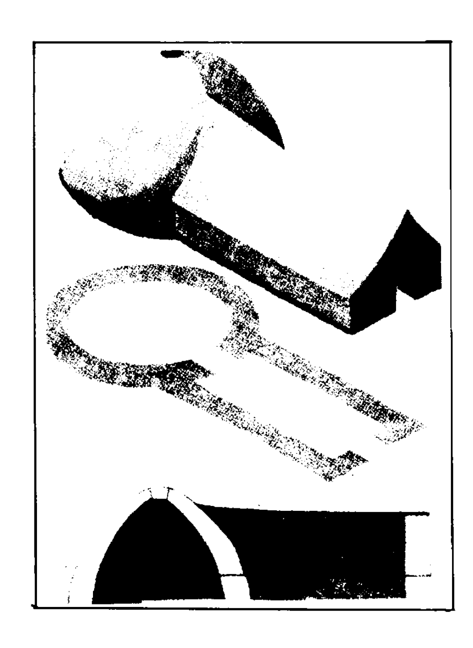
**ابراهيم عزو:**

يقع هذا التل على بعد كيلو مترين من قرية الخربيات الواقعة على مسافة سبعة عشر كيلو متراً شمال غرب مدينة الموصل. ويبلغ ارتفاع التل حوالي سبعة أمتار عن السهل المجاور له وسمي نسبة الى شخص يحمل هذا الاسم زرع التل.

بدأت فيه تحريات دائرة الآثار والتراث في سنة ١٩٨٢ وتم الكشف عن اربع طبقات تعود العليا منها لعصر الوركاء والثانية لعصر العبيد والثالثة والرابعة لعصر حلف. وظهر فخار عصر حلف في الطبقة الثانية والاولى مختلطاً مع فخار عصر العبيد والوركاء. وتشمل المخلفات العمارية مجموعة من المباني المدورة التي وجد مثلها في الأربجية وتبة كورا(٣٢).

**مستوطنات اخرى:**

وهناك عدد كبير من المستوطنات(٣٣) لم تجر فيها تنقيبات أثرية وتدل اعمال المسح والتفتيش الاثري على انها كانت قرية في عصر من عصور قبل التايخ او مدينة صغيرة عاشت في العصور التاريخية نذكر منها مايأتي: تل سفرة وتل الخان يعودان لعصر حسونة وتل برهاوي يعود لعصور حلف وتل كري رش يعود لعصر العبيد وتل ابو ماريا لعصر الوركاء وعهد الامبراطورية الاشورية ودبشية لعصر الوركاء وعصر فجر السلالات والعصر الاكدي وتل بلا لعصر فجر التاريخ وتل الرماح لعصر فجر السلالات والعصر الاكدي وحوشي للعصر الاكدي والبابلي القديم. اما شريف خان واسكي موصل وتلعفر وحدادة وعبطة وسنجار واوبيس وجروانة وخرصباد ونمرود فتعود للعصر الاشوري. فسنأتي الى ذكر اهمها في فصول مقبلة.



نموذج تخطيطي لدار سكن من الاربجية في الموصل.





## الهوامش

١. الدباغ ، تقي ، حضارة العراق ، ج/ ١ ص ١٢١ – ١٤٥ . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد ١٩٨٥ .

٢. Wailly, F. and Abu Al-Soof, B. The Excavations at Tell Es-Sawwan, First Preliminary Report, 1964, Sumer, Vol. 21, 1965, p. 18.

٣. الدباغ ، تقي والجادر، وليد ، عصور قبل التاريخ ص ٢٢٨ ، ٢٤٨ ، بغداد ، ١٩٨٣ .

٤. جايلد ، كوردن ، ماذا حدث في التاريخ ترجمة جورج حداد ص ٧٩ .

٥. Speiser, E., Excavations at Tepe Gawra, Vol. I, Philadelphia, 1935 Pl. XXXv, a.

٦. Safar, F., Mustafa, M. and Lloyd, S., Eridu, Baghdad, 1982, P. 231, Fig. III.

٧. جايلد ، كوردن ، ماذا حدث في التاريخ . ترجمة جورج حداد ، ص ٩٠ .

٨. اوبنهايم ، ليو ، بلاد مابين النهرين ، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ص ١٥٧)، بغداد ١٩٨١ .

٩. جايلد – كوردن ،

٩. Braidwood, R., Tell Hassuna, JNES, Vol. IV, 1945, P. 257, Chart I.

١٠. Braidwood, R., Prehistoric Men, 7th. ed. Chicago, 1967, P. 121.

١١. Braidwood, R The Near East and the Foundations for Civilizations, Oregon, 1952, P. 12, Fig. 4.

١٢. Merpert, N. and Munchajev, R., Early Agricultural Settlement in the Sinjar Plain, Northern Iraq, Iraq, Vol. 35, Part 2, 1973, P. 106.

١٣. Merpert, N. and Munchajev, R., Excavations at Yarim Tepe, Second Perliminary Peport, Sumer, Vol. 27, 1971, P. 17.

١٤. Merpert, N. and et. al., Soviet Investigations in the Sinjar Plain, 1975, Sumer, Vol. 34, 1978, P. 43.

١٥. Merpert, N. and Munchajev, R., The Investigations of Soviet Expedition in Iraq, Sumer, Vol. 33, 1977, P. 75.

١٦. Bader, N., Merpert, N. and Munchajev, R., Soviet Expedition's Survey in the Sinjar Valley, Sumer, Vol. 37, Nos. 1-2, 1981, P. 55-60.

١٧. Engami, N., Sono, T. and Horiuchi, K., Brief Report of the third Season's Excavations at Tell II of the Telul Eth-Thalathat and Some Observations, Sumer, Vol. XXII, 1966.

١٨. Kirkbride, D., Umm Dabaghiyah, A Perliminary Report, 1971, Iraq 34, No. 1. 1972, P. 5.

١٩. لويد ، سيتون . آثار بلاد الرافدين ترجمة الدكتور سامي سعيد الاحمد ص ٨٠ بغداد ١٩٨٠ .

٢٠. Helback, H., Traces of Plants in the Early Ceramic Site of Umm Dabaghiyah, Iraq, Vol. 34, No. 1, 1972, P. 17-20.

٢١. Kirkbride, D., Umm Dabaghiyah 1973, A Second Preliminary Report, Iraq, Vol. 35, No. 1, 1973, P. 7.

٠. بابان ، جمال ، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية ج/ ١ ص ١١ بغداد ١٩٧٦ .

٢٢. Burney, C., Yanik Tepe, Iraq, Vol. 23, Part 2, 1961, and Vol. 26. Part 1. 1964.

٢٣. Mallowan, M. and Rose. J., Excavations at tell Arpachiyah, 1933 Iraq, Vol. 2, No. 1, 1935, P. 14-17, 25, 29.

٢٤. Helback, H., The Paleothnbotany of the Near East and Europe, in Braidwood, R. and Howe, B., Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan, Chicago, 1960, P. 99-118.

٢٥. Hijara , I., et al., Arpachiyah, 1976, Iraq, Vol. 42, 1980, P. 152-153.

٢٦. Oates, J., A Radiocarbon Date from Choga Mami, Iraq, Vol. 34, 1972, P. 51.

٢٧. Mallowan, M. and Rose, J., Excavations at Tell Arpachiyah, Iraq, Vol. 2, No. 1, 1935, P. 22, Fig. 49, No. 8.

٢٨. Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Vol. II, Philadelphia, 1950, P. 48-50.

٢٩. Perkings A., The Relative Chronology of Mesopotamia, in Relative Chronologies in Old World Archaeology, ed. by Robert Ehric Chicago, 1954, P. 52, Figure 1.

٣٠. Postgate, J. Excavations in Iraq, Iraq, Vol. 43, 1981, P. 190.

٣١. كسار، اكرم محمد عبد . عصر حلف في العراق . رسالة ماجستير غير منشورة من كلية الاداب بجامعة بغداد ، ص ٣٣ – ٣٤ . بغداد ١٩٨٢ .

٣٢. نفس المصدر ص ٣٤ – ٣٥ .

٣٣. انظر خارطة دائرة الآثار والتراث للمواقع الاثرية العراقية .



في منتصف الألف الرابع ، انطوت صفحة من تاريخ العراق القديم ، تضمنت القسم الاعظم من حياة الانسان في هذا الجزء من العالم القديم ، اصطلح على تسميتها بعصور «قبل التاريخ» Pre – history . وقد امكن التعرف على بعض جوانب حياة الانسان العراقي القديم خلال هذه الفترة الطويلة من خلال ماتركه من آثار مادية بسيطة في الكهوف والمغاور، التي عاش فيها في العصور الحجرية القديمة ، او في القرى التي اقامها ، بعد ان اهتدى الى الزراعة والتدجين وبدأ حياة الاستقرار وذلك منذ بداية الالف الثامن قبل الميلاد . وكان نصيب القسم الشمالي من العراق ، الذي تؤلف منطقة الموصل جزءه الأعظم ، كبيراً في عصور قبل التاريخ سواء من حيث اسبقية استيطان الانسان فيه وتطور حياته واهتداؤه الى الزراعة والاستقرار، كما سبقت الاشارة الى ذلك في الفصلين السابقين، ام من حيث عدد المواقع الاثرية التي تم الكشف عنها حتى الآن والتي ترقى بتاريخها الى تلك العصور، وذلك مقارنة ببقية اجزاء العراق . ومع ذلك . فان ماامكن التعرف عليه عن هذه الفترة من حياة الانسان لايزال قليلاً جداً ولايتناسب مع طول الفترة الزمنية واهميتها بالنسبة لتطور حياة الانسان . لذا تبقى جوانب كثيرة من حياة الانسان القديم يكتنفها الغموض ولايمكن التعرف عليها الا من خلال الحدس والتخمين ، وقد يصيب التخمين احياناً ويخطئ في احيان كثيرة اخرى .

**فجر التاريخ :**

ومنذ منتصف الألف الرابع تبدأ صفحة جديدة من تاريخ الانسان في العراق القديم تؤشر بداية العصور التاريخية بوثائقها المدونة ، ونهاية عصور قبل التاريخ ، وبذلك يكون العراق اول أقطار العالم قاطبة في اختراع الكتابة واستخدامها للتدوين وانتقاله الى العصور التاريخية . الا أن هذا التغيير الكبير والتحول المهم والانجاز الرائع حدث في القسم الجنوبي من العراق في حين ظل القسم الشمالي من العراق يعيش حياته القديمة في عصور قبل التاريخ لعدة قرون تالية الى ان انتشر استخدام الكتابة المسمارية فيه في اواسط الألف الثالث قبل الميلاد . لذلك فان المعلومات الموثقة الكثيرة المتوفرة حالياً عن النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد تخص القسم الجنوبي من العراق بالدرجة الرئيسة ، في حين تبقى معلوماتنا عن القسم الشمالي قليلة واحياناً نادرة . واذا اردنا ان نرسم صورة تقريبية للوضع العام في منطقة الموصل في هذه الفترة المبكرة من العصور التاريخية علينا ان نستعين بما هو متوفر لدينا من معلومات عن القسم الجنوبي من العراق لفهم اتجاهات التطور العامة في القسم الشمالي منه . وعلينا في الوقت ذاته ان نكون حذرين في استخدام تلك المعلومات ولانفترض تطابق الشمال والجنوب في اتجاهات التطور والتقدم ، فلكل منطقة ظروفها وبيئتها وعوامل الخاصة التي تؤثر على سير الاحداث فيها ، غير انها مع ذلك ، تقعان ضمن حدود وادي الرافدين الواسعة وتنعمان بمياهه الوفيرة وارضه الخصبة وظروفه الجغرافية والطبيعية العامة مما يؤثر في طبع المنطقتين بطابع عام مميز. لذا ، كان لابد من تقديم نبذة موجزة عما كان يحدث في الجنوب لفهم ماحدث في الشمال .

من المتفق عليه بين الباحثين ان اقدم العلامات الصورية المدونة هي تلك المنقوشة على الواح من الطين صغيرة اكتشفت في الطبقة الرابعة (أ) من مدينة الوركاء[1] ، والتي ترقى بتاريخها الى اواسط الألف الرابع . وتؤشر هذه العلامات بداية استخدام الكتابة . الا أن الكتابة في بداياتها كانت محدودة وصورية بشكل عام وظلت كذلك لفترة طويلة من الزمن شغلت مايعرف لدى الباحثين المحدثين عادة بالعصر الشبيه بالكتابي Proto – Literate Period او فجر التاريخ Proto – history . ويضم هذا العصر دوري الوركاء الاخير وجمدة نصر الحضاريين ، اي الفترة الزمنية الواقعة بين تاريخ اقدم العلامات الصورية (حدود ٣٥٠٠) وحدود ٢٨٠٠ ق . م . حيث تبدأ العصور التاريخية الفعلية . لقد شهدت هذه الفترة من تاريخ العراق القديم تطورات واختراعات مهمة غيرت من اتجاهات الحياة العامة . فالى جانب اختراع اولى العلامات الصورية ظهرت اولى المعابد المرتفعة ، اي الزقورات ، التي اختصت بها حضارة وادي الرافدين ، وكان اول استخدام الأختام الأسطوانية وأول استخدام العجلة بعد اختراعها واستخدامها في صناعة الأواني الفخارية في العصر السابق ، وتقدم فن التعدين وانتشر استخدام المعادن ونمت القرى والمدن مع تطور واتساع مشاريع الري وغدت نواة التمدن والتحضر ومراكز لدول المدن التي ظهرت في الفترة التالية . وقد رافق كل ذلك تطور ملموس في الزراعة واساليبها وفي الري والتنظيمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وكان ذلك التطور الاساس الذي قامت عليه الحضارة الناضجة في عصور فجر السلالات .

ويعبّر عن الفترة التالية ، وهي الواقعة بين حدود ٢٨٠٠ ق . م وتاريخ قيام الدولة الاكدية عام ٢٣٧١ ق . م[2] بعصور فجر السلالات Early Dynatic Period ، او عصر دول المدن السومرية Sumerian City States . وقد تميزت هذه الفترة بازدهار الحضارة ونضوج ووضوح ابرز معالمها ومقوماتها التي ظلّت من سمات الحضارة العراقية القديمة البارزة عبر العصور ، كما تميزت بسيادة الثقافة واللغة السومرية وسيادة الأقوام السومرية سياسياً وحضارياً . وتشير تسمية العصر الى ظهور اولى السلالات الحاكمة واولى التنظيمات السياسية التي قامت في أهم المدن المعروفة آنذاك ، مثل اور ونفر والوركاء وكيش ولجش واوما وغيرها . وكانت كل مدينة تمثل مركز او عاصمة دولة صغيرة مستقلة تحكمها سلالة حاكمة خاصة بها ، وكان لكل دولة حدودها وقوانينها ونظمها وتقاليدها ، وان كان الطابع العام الذي يطغى عليها جميعاً هو طابع الحضارة العراقية القديمة في العصر السومري . وكان بعضها يعاصر بعضها الآخر كلاً او جزءاً . وقد قسم الباحثون هذه الفترة التي استغرقت اكثر من اربعة قرون ، الى ثلاثة ادوار او أطوار متعاقبة ، هي الأول والثاني والثالث ، استناداً الى بعض الخصائص والتطورات الحضارية دون الاعتماد على التغيرات السلالية في التقسيم[3] . واظهرت التنقيبات التي اجريت في مدن العراق القديمة آثاراً كثيرة ومهمة تعود الى هذه الفترة اعطت صورة واضحة عن تاريخ التطور الحضاري ، واحياناً السياسي ، للمنطقة الجنوبية ، وكان من بين اهم المكتشفات الاثرية النصوص المسمارية الكثيرة المدونة باللغة السومرية .

ان المعلومات المتوفرة عن منطقة الموصل في الفترة الواقعة بين اختراع اولى العلامات الكتابية الصورية ، وقيام السلالة الأكدية في القرن الرابع والعشرين قليلة جداً ، كما انها تخلو تماماً من النصوص المسمارية وتقتصر على الآثار المادية الاخرى من أبنية ومخلفات أثرية فخارية ومن الحجر او المعدن وغيرها . وبسبب قلّة الآثار المكتشفة عن





هذه الفترة فان ماتم الكشف عنه حتى الآن يعد في غاية الاهمية لدراسة تاريخ المنطقة المبكر.

تشير التحريات الاثرية الى أن اهم المدن والمواقع التي برزت في هذه الفترة المبكرة من العصور التاريخية في القسم الشمالي من العراق كانتا مدينتي نينوى وآشور، فضلاً عن مدينة اربيل وبعض المواقع الأخرى الأقل أهمية، كموقع تبة كورا شمال شرقي الموصل مثلاً. اما مدينة نينوى، الواقعة حالياً في وسط مدينة الموصل التي امتدت بابنيتها الحديثة على جانبي نهر دجلة، فقد اظهرت التنقيبات التي اجريت فيها خلال عامي ١٩٣١ و ١٩٣٢، والتي تركزت في مجس عميق حفر أساساً لمعرفة تسلسل الطبقات الأثرية والأدوار الحضارية التي مرّت بها المد ينة منذ نشأتها الاولى في عصور قبل التاريخ وحتى آخر الطبقات الاستيطانية فيها، بأن القسم الأعلى من الطبقة الثالثة ومعظم الطبقة الرابعة تمثل بقايا استيطان الانسان في فجر التاريخ (العصر الشبيه بالكتابي) في حين يرقى تاريخ الطبقة الخامسة الى فترة عصر فجر السلالات. وتشير هذه الطبقات الى أن الموقع كان قد تطور آنذاك من قرية صغيرة وغدا مدينة واسعة تميز فخارها، أي فخار الموقع في الطبقة الخامسة، الذي يعاصر العصرين الحضاريين الأول والثاني من عصور فجر السلالات الثلاثة في القسم الجنوبي من العراق، بجمال شكله ودقة صناعته، وقد عرف لدى المنقبين والآثاريين بفخار نينوى – الطبقة الخامسة (نينوى ٥ Nineveh 5) [٤] اضافة الى ذلك، وجدت تأثيرات سومرية واضحة على آثار الطبقة بالنسبة للاختام الاسطوانية والابنية وغيرها من الآثار المكتشفة.

اما مدينة آشور فقد كشفت التنقيبات التي أجريت فيها على أنها كانت قد أسست في عصر فجر السلالات على مرتفع طبيعي يطل على نهر دجلة، محاط بسهول خصبة، وكان من بين الآثار المكتشفة التي ترقى بتاريخها الى عصر فجر السلالات معبد واسع شيّد للآلهة عشتار، وقد ميّز المنقبون فيه دورين رئيسين أقدمها دور التأسيس الذي شيّد على الأرض الحجرية الطبيعية، اي الأرض البكر، ثم شيّد فوقه المعبد الثاني وفق المخطط نفسه[٥]، جرياً على التقاليد المألوفة في المحافظة على مكان ومخطط ابنية المعابد. ويشير الفخار المكتشف في المعبد الى انه استمر في الاستخدام في العصر الثاني واوائل العصر الثالث من عصور فجر السلالات. كما كشف في المعبد عن منحوتات ذات طراز سومري. وفضلاً عن ذلك تم العثور على عدد من النماذج الفخارية "ترّا كوتا terra cota" لبيوت صغيرة. ومع الافتراض المنطقي بأنه لابد وان كان لهذه النماذج بعض الوظائف الدينية، خاصة وقد تم العثور عليها في بناية المعبد، الاّ أنها لابد وان تمثل نماذج حقيقية لبيوت السكن الشائعة آنذاك. وتظهر هذه النماذج البيت وهو مسطح السقف، وغالبا بطابق او دور واحد من الخلف وطابقين من الامام، ويظهر أحد النماذج بيتا من ثلاثة أدوار. وكان الدور الثاني والثالث في النموذج الاخير مؤلفا من غرفة واحدة. كما كشف عن منحوتة جبسية ملّونة تمثل آلهة مزينة بالحلي في اذنيها وعلى رقبتها وهي عارية الصدر والبطن وقد ظهرت السرّة مضخمّة، وهي ممدّدة على السرير لعلها تمثل طقساً دينياً معيناً. وتشير الآثار المكتشفة في آشور الى أنها كانت منذ ذلك الحين مركزاً دينياً مهماً حافظت عليه خلال العصور التاريخية التالية.[٦]

ومن المواقع الاخرى التي اظهرت التنقيبات التي اجريت فيها آثارا من العصر الشبيه بالكتابي وعصر فجر السلالات موقع تبة كورا القريب من مدينة الموصل حيث تبين بأن بقايا الطبقة التاسعة من الموقع تعود الى أواخر عصور قبل التاريخ. وكان أهم ما كشف عنه في هذه الطبقة بقايا المعبد الذي توسط المنطقة المنقب فيها. ويبلغ طول المعبد ١٣ متراً وعرضه ١١,٤٠ متراً وكانت زواياه متجهة الى الجهات الاربعة الطبيعية.





ووجدت فيه كوات ذات دخلات وطلعات على غرار ما كان معروفاً في المدن السومرية ، ودكّة في الغرفة الوسطى التي ينفذ من مؤخرتها الى الغرفة المقدسة ، ووجدت على جانبي الغرفة المقدسة بقايا غرفتين طويلتين ضيقتين. ويبدو من سعة بناء المعبد النسبية ان الموقع كان قد قطع مرحلة القرية وأصبح مدينة صغيرة مكتظة بالسكان. وفي الطبقة الثامنة كشف عن بقايا معبد آخر يرقى الى آواخر عصر قبل التاريخ وبداية العصر الشبيه بالكتابي في حين ضمت الطبقة السابعة آثار عصور فجر السلالات ، الاّ ان مايؤسف عليه ان المنقبين لم يعثروا في هذه الطبقة الأعلى بقايا جدران وقليل من الغرف وبعض الفخاريات والاختام الاسطوانية والأدوات النحاسية والآلات المصنوعة من الزجاج البركاني وحجر الصوان.[٧]

وهكذا اقتصرت آثار هذه الفترة على بعض الأبنية الدينية والدنيوية والمخلفات الأثرية التي تظهر تأثيراً سومرياً واضحاً ، غير ان عدم العثور على اي نص مسماري يترك الباحث دون أية معلومات عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في المنطقة. ومع ذلك ، فان متابعة التطورات الحضارية والسياسية في مدن الجنوب ومايمكن أن يستنتج منها من اشارات الى مدن الشمال ، فضلاً عما تم الكشف عنه من آثار قليلة تساعد على تلمس الاتجاهات العامة التي اتخذتها التطورات الحضارية والسياسية في مدن منطقة الموصل ، ولاسيما مدينتي نينوى وآشور. فقد كانت القرى والمستوطنات الزراعية تنمو تدريجياً ، كما سبق أن أشير الى ذلك ، وغدت منذ اواخر العصر الحجري المعدني مدناً كبيرة ، وربما كان بعضها محمياً بأسوار محصنة مما يدل على أنها كانت معرضة للهجوم من الخارج ، فضلاً عما تدل عليه التحصينات من دلالات اخرى عن التركيب الاجتماعي في المدينة[٨] فاعمال التحصينات الفرعية تخطيطاً ستراتيجياً وعسكرياً ، وان ذلك يفترض وجود نوع من التنظيم الاداري وربما السياسي في المجتمع ، على درجة من التطور كبيرة. كما يلاحظ في هذه الفترة بداية ظهور الأبنية الدنيوية الكبيرة. اما المعابد فكان تطورها من حيث الحجم والثروة أقل نسبياً اذا ماقورنت بما كان يحدث في مدن الجنوب ، حيث أصبحت المعابد فيها ، اي في المدن السومرية ، بؤرة المدينة ومركزها الاقتصادي والثقافي اضافة الى مركزها الديني. وقد يعكس هذا الاختلاف تبايناً في التنظيمات الادارية والسياسية ، وقد يفسر انه يعكس نظاماً كان القادة الدنيويون فيه اقوى مركزاً من الكهنة او انهم جمعوا بين السلطتين الدينية والدنيوية واتخذوا من حصونهم وقلاعهم مقرا لادارة شؤون مدينتهم. ومع هذا التباين بين مدن الشمال والجنوب ، فان التنقيبات التي اجريت في كل من تل براك على نهر الخابور وتبة كورا شمال شرقي الموصل ، كشفت عن سلسلة من المعابد المشابهة الى حد كبير للمعابد السومرية ،[٩] ومن الواضح انها متأثرة بها بصورة مباشرة ، الاّ أن ذلك لايمثل القاعدة العامة بل هو الاستثناء. وتظهر التأثيرات السومرية بصورة عامة في الآثار المكتشفة في كل من نينوى وآشور وتل المعتوق قرب بلدة القيارة. ومع ذلك ، فان هذا لايعني بأي حال من الأحوال تواجد الأقوام السومرية في هذه المدن بل انه اشارة الى الاتصال والترابط الحضاري بين مدن الشمال والجنوب وتأكيد على وحدة ارض الرافدين منذ فترة مبكرة من العصور القديمة.

**هوية السكان ولغتهم :**

مع اهمية الآثار المكتشفة في كل من نينوى وآشور وتبة كورا وغيرها من المواقع في منطقة الموصل من الناحية الحضارية ، فإنها لاتجيب على كثير من التساؤلات التي كان بودنا معرفة اجاباتها. ولعل في مقدمة تلك التساؤلات معرفة هوية الاقوام التي عاشت في منطقة الموصل لآلاف من السنين في عصور قبل التاريخ وفجر التاريخ ، ووضعت





اللبنات الاولى في طريق الاستقرار والتحضر، وكذلك معرفة اللغة او اللغات التي استخدمتها تلك الأقوام للتفاهم، والمعتقدات والأفكار التي حملتها وعاشت في ظلالها والعادات والتقاليد والأحكام التي نظمت حياتها وضبطت علاقات بعضها ببعض مما لاتفصح عنه الآثار المادية المكتشفة. ومن هذه التساؤلات مايمكن الاجابة عليه بصورة عامة وتقريبية من خلال استقراء ماوراء الآثار المكتشفة ومن خلال عقد المقارنات بينها وبين ماتم الكشف عنه في مناطق اخرى من العراق، ولاسيما في القسم الجنوبي والغربي، ومنها مايظل غامضاً لانملك للاجابة عليه الا الحدس والتخمين والافتراض.

ومن الوسائل الرئيسة التي تساعد الباحث المعاصر على معرفة هوية الاقوام في منطقة معينة في عصور قبل التاريخ موقع المنطقة الجغرافي وطبيعتها لما لذلك من أثر كبير في تركيب السكان واصولهم. فمنطقة الموصل تمتاز، كما سبقت الاشارة الى ذلك، بخصوبة ترتبها واتساع سهولها ووفرة مياهها، وملاءمة مناخها لزراعة مختلفة انواع المحاصيل، كما انها تقع بين منطقتين تفتقران الى الكثير من الموارد والخيرات الطبيعية، هما منطقة البوادي والسهول المجاورة لحافاتها الغربية والمنطقة الجبلية المتآخمة لها من الجهات الشمالية والشمالية الشرقية. لذا كانت ابرز ظاهرة في تاريخ المنطقة من حيث التحركات البشرية هي ظاهرة استمرار هجرة الأقوام من تينك المنطقتين الى وادي الرافدين، شماله وجنوبه، في مختلف العصور، وحيث ان الدراسات الآثارية تشير الى انه لم يحدث اي تغيير جوهري في طبيعة المنطقة الجغرافية او طبيعة مناخها منذ بداية العصر الحجري المعدني في الألف الخامس وحتى الآن، لذلك فان الاسلوب العام في هجرة الأقوام وتحركاتها ظل متشابهاً خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن.[١٠]

ومع انه يمكن افتراض الطريق الذي سلكته الأقوام عند مجيئها الى المنطقة في عصور قبل التاريخ، بشيء من الثقة، الا أنه لايمكن بالاسلوب نفسه معرفة اللغة او اللغات التي تكلمت بها تلك الاقوام ولا التسميات التي اطلقتها على نفسها وعلى الأماكن التي جاءت منها او حلّت بها طالما لم تكن هناك وسيلة للتدوين معروفة بعد. ومنذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد يبدأ استخدام الكتابة في منطقة الموصل على الرغم من ان الكتابة كانت قد ابتدعت قبل ذلك بقرون عدة في القسم الجنوبي من العراق، الاّ انها لم تنتشر الاّ في اواسط الألف الثالث، وتزداد معلوماتنا تدريجياً عن الأقوام التي عاشت في المنطقة كلما تقدمنا بالزمن حتى تصبح غاية في التفصيل والدقة في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد.

لقد ورد في النصوص المسمارية من اواخر عصور فجر السلالات ومن العصر الأكدي ذكر السوباريون Subarinas على أنهم اقوام كانت تسكن في الجهات الشمالية من وادي الرافدين في ومنطقة الجزيرة العليا وشرقي دجلة، وسميت بلادهم باسم سوبارتو Subartu غير انه يصعب تحديد المنطقة المقصودة بذلك من خلال ماورد عنها في النصوص المسمارية من اشارات، اما هوية السوباريين واصولهم ولغتهم فغير معروفة لدينا؛ وربما كان السوباريون من الاقوام الجبلية التي نزحت نحو المناطق السهلية واستقرت في اطراف منطقة الموصل غير انها عادت وانسحبت عندما وجدت ضغطاً متزايداً عليها من الاقوام القادمة من ناحية الغرب. وظل اسم السوباريين واسم بلاد سوبارتو يطلق على المنطقة وعلى سكانها من الاشوريون في العصور المتأخرة من قبل ملوك سومر واكد وغيرهم في حين تحاشى الآشوريون أنفسهم استخدام الاسم سوبارتو للدلالة على بلادهم واستهجنوه ربما لانه كان يطلق على العبيد ايضاً، نظراً لأن العبيد كان يؤتى بهم اصلا من المنطقة الشمالية، منطقة سوبارتو.[١١]

الاّ ان الأقوام الرئيسة التي استقرت في منطقة الموصل منذ فجر التاريخ هي تلك التي قدمت من ناحية الغرب عن طريق بلاد الشام ومنطقة الجزيرة. ويظن ان أول هجرة كبيرة معروفة حدثت





في اواخر الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد واتجهت نحو القسم الوسطي والجنوبي من العراق وعرفت فيما بعد بالهجرة الاكدية في حين اتجهت مجموعة منها الى المنطقة الشمالية من العراق مكونة بذلك طلائع الأقوام الآشورية . ثم تتابعت هجرة الأقوام القادمة من الغرب ، وأطلق عليها السومريون اسم مارتو، الذي يقابله في اللغة الاكدية اسم اموررّو Amurru ، ويعني " الغرب" اي الأقوام القادمة من الغرب ، وكانت هجرة الأموريين في اواخر الألف الثالث وقد ضمت موجتين رئيسيتين تفصل بينهما فترة زمنية تقدر بقرن او اكثر، وتمكن الأموريون من اقامة عدد من السلالات الحاكمة في مختلفة انحاء العراق كانت منها سلالة ايسن ولارسا واشنونا وبابل ودير وماري وآشور. [١٢]

ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد أصبح الآشوريون العنصر الرئيس في المنطقة التي عرفت باسمهم ، بلاد آشور (بالأكدية مات . آشور: كي mat Aššur ki [١٣] ، (الكلمتان الاولى والثالثة ، مات mat وكي ki ، هما علامتان دالتان تشيران الى ان اسم اشور هو اسم بلاد ) . وكثيراً ماتضاف ياء النسبة المضاهية لياء النسبة العربية للتعبير عن الشخص الآشوري وعن الآشوريين فيقال آشوريو، اي آشوري . كما أطلق الاسم على أول عاصمة للآشوريين، وهي مدينة آشور، وعلى الهم القومي آشور، ولايعرف بالضبط ايها نسب للآخر. [١٤] ومما يؤكد ان طلائع الآشوريين يؤلفون هم والأقوام الأكدية في الأصل موجة بشرية واحدة جاءت عن طريق الغرب ، ان اللهجة الآشورية القديمة واللهجة الأكدية القديمة ؛ وكلتاها من لهجات اللغة الاكدية بمعناها الواسع ، تتشابهان الى درجة ظن بعض الباحثين بأنه لابد أن كان الآشوريون قد استقروا في الجنوب الى جانب الأكديين قبل نزوحهم الى الشمال . غير ان هذا الافتراض لاتؤيده الأدلة الآثارية في حين يمكن تفسير التشابه بين اللهجتين بانحدارهما من أصل واحد وارتباطها الوثيق من بعد استقرار كل من الآشوريين والأكديين في منطقتين مختلفتين.

وينتمي الآشوريون الى ذات الشجرة التي تفرعت عنها الأقوام الأكدية والبابلية (الأمورية) والآرامية والكلدية في العراق والأقوام الكنعانية والفينقية والأمورية والآرامية في بلاد الشام والأقوام العربية الشمالية والجنوبية التي انتشرت في جميع الاقطار العربية فيما بعد . وكان منبت تلك الشجرة ، كما هو متفق عليه تقريباً بين جمهور الباحثين ، في شبه الجزيرة العربية حيث يبدو أن شبه الجزيرة العربية كانت في العصور الحجرية القديمة عامرة بالحياة من حيوان ونبات وانسان ثم حلّ فيها الجفاف في اعقاب العصر الجليدي الأخير مما دفع بالأقوام التي كانت تعيش فيها الى الهجرة الى حافاتها ثم الى البوادي القريبة منها في كل من بلاد الشام والعراق فكانت تلك البوادي موطنها الثاني بعد شبه الجزيرة ، ومالبثت ان اتجهت جماعات منها الى التوغل في الأقاليم المجاورة ، لاسيما بلاد الشام والعراق بشكل سلمي وذلك منذ الألف الرابع قبل الميلاد على أقل تقدير. ولم يشر الى تلك التحركات الا عندما كانت تتضمن هجرة مجموعات كبيرة تحدث اضطرابات وتبدلات اساسية في المنطقة ، وربما كانت هجرة الاقوام الأكدية والاشورية من اولى الهجرات الكبرى ثم تبعتها هجرة الأقوام الأمورية ثم الآرامية واخيراً هجرة العرب الكبرى . ولم تنقطع هجرة الأقوام هذه الى وادي الرافدين حتى يومنا هذا حيث مازالت هناك بعض القبائل العربية تتنقل في أطراف العراق وسوريا متوغلة احياناً الى مراكز المدن . [١٥]

وكان الشائع لدى الباحثين اطلاق اسم الاقوام السامية Semites على جميع الأقوام التي تنتمي الى هذه المجموعة التي هاجرت أصلاً من شبه الجزيرة العربية وتسمية لغاتها باللغات السامية Semitic Languages ، غير ان الدراسات الحديثة ، وبصورة خاصة الدراسات التي قام بها الباحثون العراقيون ، بيّنت عدم دقة التسمية من





الناحية التاريخية فاستيعض عنها بمصطلح "الأقوام العربية القديمة" او "الأقوام الجزرية" أو "أقوام شبه الجزيرة العربية"، وينسحب ذلك على تسمية اللغات الخاصة بها ايضاً.[١٦]

تكلم الآشوريون لهجة من لهجات اللغة الأكدية سميت باللهجة الآشورية ويميز الباحثون اللغويون ثلاث لهجات آشورية رئيسة استخدمت في العصور الآشورية الثلاث الرئيسة هي اللهجة الآشورية القديمة Old Assyrian واللهجة الآشورية الوسيطة Middle Assyrian واللهجة الآشورية الحديثة New Assyrian[١٧] كما سيفصل ذلك في مكان آخر. أما وسيلة التدوين التي استخدمت لتدوين اللهجات الآشورية فهي الكتابة المسمارية التي كان قد ابتدعها السومريون وطورها الأكديون والبابليون واقتبسها الآشوريون وأضافوا اليها ماوجدوه ضرورياً لتدوين لهجتهم بواسطتها.[١٨]

## بلاد آشور في العصرين الأكدي والسومري الأخير:

شهد القسم الجنوبي من العراق الذي كان يعرف ببلاد سومر وأكد، ثم بلاد بابل، نشوء وتطور اولى الأنظمة السياسية واولى دول المدن وذلك في الفترة التي اصطلحنا على تسميتها بعصر فجر السلالات والتي تقع بين حدود ٢٨٠٠ وحتى قيام الدولة الأكدية عام ٢٣٧١ ق.م.

تميزت هذه الفترة، كما سبق وألمحنا الى ذلك، بقيام عدد من الدول السومرية التي كان مركز كل منها احدى المدن الرئيسة. لذا عرفت الفترة كذلك بعصر دول المدن، وقد عاصر بعضها بعضاً أحياناً كلا او جزءاً واقتسمت الدول المتعاصرة حكم المنطقة وتنافست للسيطرة عليها. وكان السومريون يؤلفون العنصر الرئيس المهيمن على تلك الدول سياسياً وحضارياً. وامتدت تأثيراتهم الحضارية الى خارج حدود بلاد سومر ووصلت الى الاقسام الوسطى والشمالية من العراق حيث وجدت دلائل تلك التأثيرات في الآثار المكتشفة في كل من نينوى وآشور وتبة كورا وغيرها، كما أشير الى ذلك. الاّ أن واقع التجزئة والانقسام هذا لم يكن يتفق ومصالح المنطقة العامة والمشتركة السياسية والاقتصادية مما ولّد شعوراً عاماً لدى القادة والملوك الأوائل بضرورة وحدة أرض الرافدين. وقد ترجم هذا الشعور منذ عهد لوجال زاجيزي. حاكم مدينة اومّا من اواخر عصر فجر السلالات بمحاولات جادة نحو توحيد دول المدن المتنافسة وتأسيس دولة واحدة تهيمن على المنطقة. وقد نجح لوجال زاجيزي بضم عدد من الدول السومرية وتوحيدها في مطلع القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد بل ان كتابات لوجال زاجيزي نفسه تشير الى انه امتد بنفوذه الى خارج حدود بلاد سومر وربما وصلت مملكته بحدودها، كما ادعى، «من البحر الأسفل الى البحر الأعلى» اي من الخليج العربي الى البحر المتوسط.[١٩]

ولم تمض سوى خمس وعشرين سنة على حكم لوجال زاجيزي حتى ظهر زعيم آخر أقوى عزيمة وأصلب عودا، كانت الأقدار قد هيأته لاكمال وحدة أرض العراق وتأسيس أول امبراطورية عرفها التاريخ القديم، ذلك هو سرجون الأكدي الذي ظلّ اسمه بارزاً وساطعاً على مر العصور ومقرونا بالقوة والمقدرة السياسية والعسكرية الى درجة تسمى بها اكثر من ملك من الملوك الاشوريين بعد قرون عدّة. وكان سرجون ينتمي الى الأقوام الأكدية التي جاءت أصلاً، وربما في الفترة نفسها التي جاءت خلالها الأقوام الآشورية، من شبه الجزيرة العربية عن طريق بلاد الشام، وبعد أن تمكن سرجون من ضم الدول السومرية بما فيها مملكة لوجال زاجيزي، الى حدود مملكته المتنامية «غسل اسلحته في البحر الأسفل» على حد تعبيره توجه نحو الغرب والشمال حيث ذكر أنه وصل الى كل من مدينة اتو Itu (هيت) وماري Mari (تل الحريري) وجبال الارز (جبال امانوس) وجبال الفضة (جبال طوروس) ويارموتي Yar-muti (ميناء الى الجنوب من جبيل) ومدينة ايبلا





(تل مرديخ في شمال سوريا). أي انه امتد بنفوذه على طول نهر الفرات وحتى شمال سوريا وربما وصل بنفوذه الى بعض جزر البحر المتوسط ايضاً.[٢٠] اما بالنسبة الى بلاد آشور، فيبدو ان سرجون كان قد ضمها الى حدود مملكته في وقت مبكر من حياته السياسية، حيث اظهرت التنقيبات التي أجريت في كل من مدينة نينوى وآشور انهما كانتا من المراكز الادارية التابعة للدولة الاكدية، ولا سيما مدينة اشور. كما ان السياسة العامة التي اتبعها المللوك الاكديون، وفي مقدمتهم الملك سرجون، كانت تتضمن ضم جميع المدن والأقاليم الواقعة في المنطقة وتوحيدها في دول مركزية واحدة تدار من العاصمة اكد. وهناك اشارات في احد نصوص الفأل الى وصول سرجون الى بلاد



قناع من البرونز لراس ملك عثر عليه في مدينة نينوى

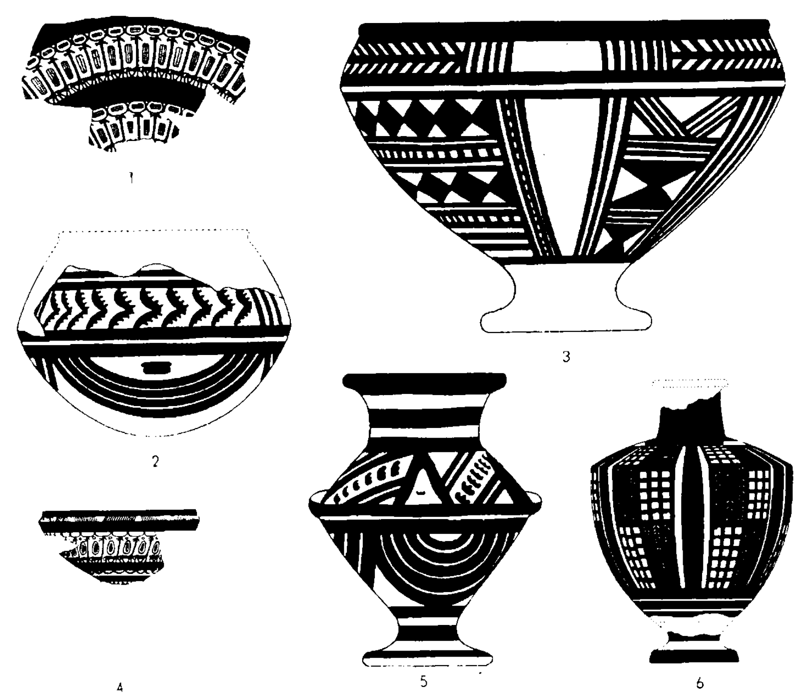
سوبارتو[٢١]، وقد استخدم الاسم هنا للدلالة على أعلى وادي الرافدين وربما تضمن بلاد آشور ايضاً. ويتأكد وقوع بلاد آشور ضمن حدود الدولة الأكدية في عهد خلفاء سرجون الذين تركوا لنا نصوصا وآثاراً تدل على ذلك. فقد تم الكشف في نينوى وآشور عن أبنية وآثار مكرسة للملوك الأكديين في حين قام بعض الملوك الأكديين أنفسهم بتشييد بعض الأبنية. وربما قام ريموش خليفة سرجون بتشييد مدينة تحمل اسمه على بعد بضعة كيلومترات الى الشمال من مدينة نينوى[٢٢].

وفي مدينة نينوى كشف عن بقايا معبد كان قد شيده مانشتوسو حفيد سرجون من أجل الالهة عشتار؛ كما يستدل على ذلك من نص متأخر يعود الى الملك الآشوري شمشي-ادد الأول (١٨١٣-١٧٨١ ق.م) الذي ذكر عند ترميمه المعبد، بأن المعبد كان قد شيّد في عهد مانشتوسو، وعثر في معبد الآلهة عشتار في آشور على كتابة ملكية نقرا فيها: «اتيتي، الايشاكّو بن انين-لابا، كرّس هذه الى الآلهة عشتار من غنائم جاسور». ويشير هذا النص الى ان آشور كانت قد اتخذت قاعدة انطلاق عسكرية في العصر الأكدي الى المناطق المجاورة. اما جاسور فتمثل المدينة التي عرفت فيما بعد باسم نوزي والواقعة قريباً من كركوك. كما تشير الرقم المكتشفة في جاسور الى أنه كان في مدينة آشور عدد لابأس به من الأشخاص الذين يحملون أسماء أكدية[٢٣] مما يؤكد وقوع بلادآشور ضمن حدود الدولة الأكدية ونفوذها. كما عثر في آشور على رأس رمح من البرونز مكرّس للملك مانشتوسو عليه نص مسماري يقول: «مانشتوسو، كيش، ازوزو، خادمه، قدّم هذا تكريساً للاله»[٢٤] وكان ازوزو أحد التابعين الذين يحكمون في آشور باسم الملك مانشتوسو وقد ورود ذكره في جداول الملوك الآشوريين المكتشفة في خورصباد (دور شروّكين) على انه الملك الثالث عشر من اولئك الملوك السبعة عشر الاوائل الذين كانوا مايزالون يعيشون في الخيام.[٢٥]

ومن الآثار المهمة التي ترقى بتاريخها الى العصر الأكدي بقايا قصر كشف عنه في مدينة آشور يشبه من حيث التخطيط والطراز القصر الأكدي







نماذج من الفخار المعروف بنينوى ٥ (بداية الالف الثالث قبل الميلاد)

الذي كان قد بناه نرام – سين في تل براك على نهر الخابور مما يشير الى ان القصر يعود للفترة نفسها[٢٦]. ولابد من الاشارة هنا الى القناع البرونزي الذي عثر عليه في مدينة نينوى، ويظن أنه يعود الى الملك سرجون او الى حفيده نرام – سين، استناداً الى اسلوب صناعته وملامح الوجه الظاهرة عليه،[٢٧] وان كان هناك من ينسبه الى العصر البابلي القديم. كما تم العثور في السنوات الأخيرة في اثناء فتح أحد الطرق العامة في محافظة دهوك قرب قرية باسطكي على تمثال شاب جالس القرفصاء مصنوع من البرونز وقد فقد الرأس والجزء العلوي من الجسم، وهو اصغر حجماً من الحجم الطبيعي وعليه كتابة تذكر اسم الملك نرام – سين.[٢٨]

وهكذا تؤكد الآثار المكتشفة في كل من نينوى وآشور والمناطق المجاورة الى ان بلاد آشور اصبحت جزءا من الدولة الأكدية، ولعل هذا الوضع الذي غدت فيه نينوى وآشور، وربما اربيل وبقية المدن في بلاد آشور، جزء من هيكل سياسي واحد ذي سلطة مركزية واحدة، وان كان مقر تلك السلطة خارج بلاد آشور نفسها، يمثل أول خطوة نحو وحدة بلاد آشور وقيام مملكتها في الفترات التالية التي تمركزت حول المدينتين الرئيستين نينوى في الشمال وآشور في الجنوب.

وقد أصاب بلاد آشور ابان الغزو الكوتي لوادي الرافدين ما اصاب بلاد سومر وأكد. وكشفت التنقيبات التي أجريت في مدينة آشور ونينوى عن آثار التخريب والتدمير الذي قام به الكوتيون في المدن العراقية كافة. ومع ذلك ليس هناك مايشير الى ان بلاد آشور كانت ضمن المنطقة التي وقعت تحت تسلط الغزاة الكوتيين المباشر، بل يبدو ان الكوتيين كانوا قد انسحبوا الى الجنوب بعد ان نهبوا وسلبوا ودمّروا المدن الآشورية وتمركزوا في بلاد أكد تاركين بلاد سومر في اقصى الجنوب





وبلاد آشور في الشمال خارج حدود سلطتهم المباشرة.[٢٩] ومرت على العراق فترة مظلمة دامت اكثر من مائة عام، كان العراقيون خلالها، من سومريين وأكديين وآشوريين، ينتظرون الفرصة للتخلص من التسلط الكوتي الذي دمر كل شيء. وكان ان ظهر زعيم سومري في مدينة الوركاء، وهو اوتو حيكال، استطاع ان يجمع شمل مواطني سومر وأكد ويعد العدة لطرد الأقوام الكوتية، فكانت محاولته الناجحة هذه وبحق أول حرب للتحرير شهدها العالم القديم، وكانت هزيمة الملك الكوتي تريقان وفراره من أرض المعركة نهاية لفترة التسلط الكوتي في بلاد أكد.

وقد خلّد اوتوحيكال انتصاره هذا على وثيقة مهمة دعاها الباحثون المعاصرون بوثيقة النصر[٣٠]. وبعد ان تم طرد الكوتيين ظهر زعيم سومري آخر في مدينة اور، وهو أور نمّو Ur–Nammu، قام بتأسيس سلالة جديدة في اور، عرفت لدى الباحثين المحدثين بسلالة اور الثالثة، مدت سلطتها على جميع بلاد سومر وأكد. وقد اتبع اور–نّمو السياسة نفسها التي اتبعها سرجون الأكدي من قبل، فعمل على اعادة وحدة البلاد وضم جميع المدن والأقاليم التي كانت الدولة الاكدية قد وحدتها وضمّتها الى حدودها. وهكذا غدت مدينة اور عاصمة لأمبراطورية واسعة تمتد، على غرار الامبراطورية الأكدية، «من البحر الأسفل الى البحر الاعلى» ومن بلاد عيلام الى بلاد الشام، وتميزت الدولة الجديدة بدقة تنظيمها وادارتها المركزية المطلقة. وكان حكام المدن والمقاطعات يعينهم الملك نفسه وينقلون بين الحين والآخر الى اماكن اخرى كي لايعقدوا لهم علاقات قوية مع السكان المحليين وبالتالي يعملوا على التمرد والعصيان ضد السلطة المركزية متى شعروا بقوتهم. استمرت اور في ادارة امبراطوريتها الواسعة لفترة تزيد عن مائة سنة (٢١١٣–٢٠٠٦ ق.م) وكانت آخر السلالات السومرية الحاكمة.[٣١]

ومن الطبيعي ان تقع بلاد آشور، كغيرها من الاقاليم، ضمن حدود امبراطورية اور، غير ان معلوماتنا عن تطورات الاحداث، ولاسيا في عهد مؤسس السلالة، في بلاد آشور قليلة جداً،وهناك اشارات من عهد شولجي، خليفة اور– : تدل على انه واجه بعض الصعوبات في حفظ الامن والنظام في القسم الشمالي من العراق، اي بلاد سوبارتو الذي ربما ضم بلاد آشور ايضاً. ففي بعض الرسائل التي تبادلها شولجي مع بعض موظفيه، يظهر أن احدهم، وهو المدعو ارمو، كان قد أرسل رسالة الى سيده يخبره فيها بأن هناك زعيماً سوبرياً، اي من بلاد سوبارتو، اسمه اويلاً، كان قد نصب نفسه ملكاً على المنطقة وأحاطها بجيش قوي وجلس على العرش. وفي الرد على الرسالة كتب شولجي يحث موظفه ارمو على وجوب فرض الطاعة والولاء له في المنطقة ويضع اللوم على اعضاء المجلس المحلي الذين لم يضعوا حداً لمثل هذه التصرفات[٣٢]. كما ان هناك نصاً آخر من احد الحكام من حدود عام ٢٠٤٠ ق.م يشير الى ان آشور كانت تحت سلطة اور وكذلك مدينة اربيل اذ تؤكد بعض الوثائق الاقتصادية المؤرخة في السنة التي فتحت فيها اربيل ذلك. في حين ذكر نص سومري آخر من الفترة نفسها اسم الحاكم العسكري الذي عين من قبل ملك اور على مدينة اربيل[٣٣]. وفي اثناء التنقيبات التي اجريت في مدينة نينوى، كشف عن معبد كان قد شيده الحاكم زريقوم، الذي ربما كان حاكماً في مدينة سوسا، في بلاد عيلام قبل ذلك ثم نقل الى بلاد آشور، للالهة عشتار «سيدة القصر» من اجل سيدة امار– سين ملك اور.[٣٤]

ثم بدأت قوة اور تنهار وتضعف تدريجياً خاصة بعد تدفق الاقوام الامورية من الغرب والشمال الغربي. وفي حدود عام ٢٠٠٦ قبل الميلاد انهارت اور امام غزو الاقوام العيلامية المسلحة القادمة من الشرق، وتمكنت آشور من الاستقلال عن سلطة اور حيث ان هناك نصاً يشير الى ان الملك او





الحاكم كيكيا كان قد شيّد اسوار مدينة آشور ويمكن تأريخ حكم كيكيا، بعد الأخذ بنظر الاعتبار ماورد في جداول الملوك الاشوريين، قبل عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد بفترة وجيزة. ومع ذلك، فان التنقيبات التي اجريت في آشور تشير الى ان اسوار المدينة كانت قد شيدت قبل ذلك بقرون عدة وربما كانت الاشارة في النص الى اعادة بناء الاسوار وترميمها بعد ان تمكنت آشور من الاستقلال عن نفوذ اور في اواخر الالف الثالث قبل الميلاد.

**الهوامش**

(١) حول هذه الرقم انظر: Driver, G.R., Semitic Writing from Pictograph to Alphabet, Oxford, 1948, third edition, pp. 3 – 7.

(٢) لقد اعتمدنا في تثبيت تاريخ العصور العراقية القديمة على المدرسة التي اعتمدها ساكز في كتابه عظمة بابل، لندن، ١٩٦٢، ترجمة: عامر سليمان.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٥٠ وما بعدها، طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٧٣، ص ٢٥٢ – ٣٤٩، جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٧٨ – ١٩٨.

(٤) انظر: حول فخار نينوى Mallowan ,M.E., Ninevite 5 "Vorderasiatische Archäologie", Berlin, pp. 142 – 153.

صباح عبود، فخار نينوى ٧، سومر ٣٣، (١٩٧٧)، ص ١٨ – ٢٤.

(٥) انظر: فالتر اندرية، معابد عشتار القديمة، ترجمة: عبدالرزاق كامل، موصل، ١٩٨٧، ص ٣٦ – ٤٣.

(٦) المصدر السابق، ص ٤٤ وما بعدها.

(٧) حول التنقيبات التي اجريت في موقع تبة گورا. انظر:

Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Philadelphia, 1950.

Saggs, H.W.F., The Might that was Assyria, London, 1984, p.17.

Tobler, op.cit.,

(١٠) حول التنقيبات التي اجريت في المواقع الكثيرة التي ستغمرها مياه سد صدام والتي كشفت عن بقايا استيطان الانسان العراقي القديم في هذه المواقع في عصور قبل التاريخ، انظر: بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث أخرى، المؤسسة العامة للآثار والتراث، وزارة الثقافة والاعلام، موصل، ١٩٨٧.

(١١) حول سوبارتو والسورباتيين، انظر:

Gelb, J., Hurrians and Subarians, Chicago, 1944, p. 108 ff., Finkelstein, JCS, 1955, pp.1 ff.,

طه باقر، المصدر السابق، ص ٧٦.

(١٢) حول هجرة الاقوام الامورية الى وادي الرافدين وتأسيسها عدد من السلالات الحاكمة، انظر:

Edzard. D.O, Die Zweite Zweischenzeit Babyloniens, 1957.

(١٣) ورد اسم المدينة بصيغة A – šu – ur و A.šur وكتب الاسم بشين واحدة ثم بشين مضعفة (منذ عهد آشور اوبالط الاول في القرن الرابع عشر قبل الميلاد) كما كتب بصيغة AN.SAR (انظر:

Borger, R., Assyrische – Babylonischen Zeichens Liste, p. 55.

اما في النصوص الاكدية، فقد ورد الاسم بشين مضعفة (انظر:

Grayson, A.K., The Empire of Sargon of Akkad, 25, Toronto, 1974, p. —9.

(١٤) يبدو من المرجح ان الاسم اطلق على المدينة، او البلاد، اولاً ثم شاع استخدامه وسمي به الاله القومي للاشوريين اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان معظم الاقوام التي سكنت وادي الرافدين تسمت باسماء منسوبة الى مدنها الرئيسة (مثل الاكديين والبابليين نسبة الى مدينتي أكد وبابل) او الى اسم البلاد (مثل السومريين نسبة الى بلاد سومر) وكذلك العيلاميين نسبة الى بلاد عيلام. كما تجدر الاشارة هنا الى الشبه الواضح بين اسم A.šur واسم مدينة نوزي القديم Ga.sur ولعل كلاهما يعودان الى لغة قديمة واحدة استخدمت هذه الصيغ المتشابهة للدلالة على مواقع او اماكن جغرافية.

(١٥) حول الهجرات العربية القديمة (الجزرية) انظر:

طه باقر، المصدر السابق، ص ٦٦ ومابعدها، سامي سعيد الأحمد، اللغات الجزرية، بغداد، ١٩٨١، ص ٤ ومابعدها.

(١٦) حول التسمية القديمة والمقترحات الحديثة لابدالها، انظر:

طه باقر، المصدر السابق، ص ٦٥ – ٦٧، عامر سليمان، محاضرات في التاريخ القديم، القسم الاول، موصل، ١٩٧٨، ص ٩٨ – ١٠٠، سامي سعيد الاحمد، المصدر السابق، ص ٣ – ٥.

(١٧) انظر: Von Soden, Grundriss der Akkadischen Grammatik, Roma, 1954, p. 2 – 4.

(١٨) انظر: عامر سليمان. التراث اللغوي في حضارة العراق، ج١، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٠٠ – ٣٠٣.

بهيجة خليل اسماعيل، الكتابة المسمارية في حضارة العراق، ج١، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٢١ – ٢٧٢.

(١٩) انظر: صموئيل كريمر، السومريون، شيكاغو، ١٩٦٤، ترجمة: فيصل الوائلي، ص ٧٧ – ٧٨.

(٢٠) Gadd, G.J., Cambridge Ancient History, Cambridge, 1971, Vol, part, 2, p.427.

(٢١) انظر: نخبة من الباحثين الاوربيين، الشرق الادنى، الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، ص ١١٢.

(٢٢) المصدر السابق، ص ١٣٢.





(٢٣) سامي سعيد الاحمد، العراق القديم، ج٢، بغداد، ١٩٨٣، ص ٤٠.

(٢٤) Gadd, Op. Cit.p. 434.

(٢٥) Saggs, Op. Cit. p. 19

(٢٦) الشرق الادنى، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٢٧) سامي سعيد الاحمد، المصدر السابق، ص ٣٨.
انظر: Mallawon, Iraq, III (1936), p. 104, ff.

(٢٨) طارق مظلوم وفوزي رشيد، سومر، ٣٢، ص ٤١- ٥٨.

(٢٩) Smith, S., Journal at Royal Asiatic Society, 1932, P. 295 ff., Gadd, op. cit, chap. 19.

(٣٠) فاضل عبدالواحد، أقدم حرب تحرير عرفها التاريخ، سومر، ٣٠، ١٩٧٤، ص ٥٧- ٧٤.

(٣١) انظر: هاري ساكز، عظمة بابل، ص ٧٤- ٧٧. طه باقر، المصدر السابق، ص ٣٧٨- ٤٠٠، وكذلك صموئيل كريمر، المصدر السابق، ص ٩٠- ٩٣.

(٣٢) سامي سعيد الاحمد، المصدر السابق. ص ١١٥.

(٣٣) Saggs, Op. Cit, P. 27.

(٣٤) سامي سعيد الاحمد، المصدر السابق، ص ١١٠.

# منطقة الموصل في الألف الثاني قبل الميلاد

أ.د عامر سليمان

استعرضنا في الصفحات السابقة احوال منطقة الموصل في فجر التاريخ وحتى نهاية سلالة اور الثالثة في اواخر الألف الثالث قبل الميلاد ومطلع الالف الثاني ويتطرق هذا الفصل الى الاوضاع التي عمت المنطقة خلال الألف الثاني قبل الميلاد وحتى اواخر القرن العاشر قبل الميلاد، وهي الفترة التي برز فيها الآشوريون كقوة سياسية. وقامت فيها مملكتهم ونمت، وعرفت باسمهم المنطقة. ويميز الباحثون في هذه الفترة عصرين رئيسيين هما: العصر الاشوري القديم الذي امتد حتى اواسط الالف الثاني قبل الميلاد، ويليه العصر الآشوري الوسيط الذي يشغل ماتبقى من الألف الثاني وحتى بداية العصر الاشوري الحديث في حدود ٩١١ ق. م. كما هو متفق عليه بين معظم الباحثين.

## اولاً: العصر الآشوري القديم Old Assyrian Period

كانت نهاية سلالة اور الثالثة على ايدي الاقوام العيلامية الغازية القادمة من الشرق حدثاً بالغ الاهمية بالنسبة الى تاريخ العراق القديم عامة، حيث دخل العراق بعد ذلك مباشرة في فترة اتسمت بالتجزئة وتعدد مراكز القوى بعد أن كانت موحدة وتحت سلطة دولة مركزية قوية، كما اتسمت الفترة بتدفق الاقوام الامورية[1] (العربية القديمة) القادمة من الغرب عن طريق نهر الفرات وتأسيسها عدداً من السلالات الملكية المحلية في مختلف ارجاء العراق كانت منها مملكة في آشور الواقعة في منطقة الموصل الحالية. وكان الصراع بين تلك المالك مستمراً للسيطرة على المنطقة، وكانت الأحلاف تعقد احياناً بين عدد منها لمواجهة اية مملكة تظهر من القوة مايهدد الممالك الاخرى حتى تهيأت الفرصة امام ملك بابل الشهير حمورابي (١٧٩٢- ١٧٥٠ ق. م) لاعادة توحيد البلاد واقامة دولة مركزية قوية تضاهي، باسلوب ادارتها وامتداد نفوذها وسيطرتها، امبراطورية سرجون الاكدي وامبراطورية اور الثالثة. وقد ضمّت مملكة حمورابي جميع الممالك التي كانت قائمة آنذاك، وكان من بينها مملكة آشور التي كان شمشي - ادد الاول (١٨١٣- ١٧٨١ ق. م) الذي توفي في السنة العاشرة من حكم حمورابي، ابرز ملوكها. وظلّت بلاد آشور جزءاً من الدولة التي اقامها حمورابي الى مابعد وفاته، ثم استقلت في عهد





احد خلفائه واقامت لها سلالة محلية لم يكن لها شأن كبير في الشؤون الدولية. وقد تعارف الباحثون على تسمية الفترة الواقعة بين نهاية سلالة اور الثالثة في حدود ٢٠٠٦ ق. م. وأواسط الالف الثاني قبل الميلاد بالعصر الآشوري القديم، في حين سميت الفترة البابلية المقابلة لها تقريباً بالعصر البابلي القديم. ونظراً لطول الفترة الزمنية التي استغرقها العصر الآشوري القديم. والتي تجاوزت خمسة قرون، ولتباين الظروف السياسية والعامة من وقت لآخر، لذا فإن الحديث سيميّز بين ثلاث مراحل من تاريخ الآشوريين في هذا العصر، تضم المرحلة الاولى الفترة السابقة لحكم شمشي. ادد الاول، اما المرحلة الثانية فتشمل فترة حكم شمشي. أدد في حين تشمل المرحلة الثالثة الفترة التالية لذلك وحتى نهاية العصر الآشوري القديم.

ومن المؤسف حقاً ان معلوماتنا عن بلاد اشور في المرحلة الاولى من هذا العصر قليلة جداً. ولا يمكن ان تقارن بما لدينا من معلومات غزيرة عن بلاد بابل في الفترة ذاتها، كما انها تعتمد اساساً على ماورد في بعض النصوص المسمارية، ومنها جداول الملوك الاشوريين Assyrian King Lists وبعض النصوص التذكارية التي دونت في فترة متأخرة نسبياً، وكذلك على مايمكن استنتاجه من النصوص المسمارية المكتشفة في اقليم كبدوكيا في آسيا الصغرى والخاصة بالمراكز التجارية الاشورية في ذلك الاقليم. وفضلاً عن ذلك، يمكن الاستعانة ببعض المخلفات المادية من ابنية وملتقطات أثرية مكتشفة في المدن الآشورية الرئيسة والتي ترقى بتاريخها الى هذه المرحلة.

أما جداول الملوك الآشوريين[٢] التي وصلت الينا عدة نسخ منها فهي قائمة تضم اسماء الملوك والحكام الذين تعاقبوا على حكم بلاد آشور منذ الالف الثالث وحتى اواخر القرن الثامن قبل الميلاد، وهو وقت كتابة الجداول. ومع اهمية هذه الجداول التاريخية باعتبارها مصدرنا الرئيس عن اخبار الملوك والحكام الاوائل في بلاد آشور، الاّ انه لايمكن الأخذ بما جاء فيها على علاته دون تدقيق وتمحيص ومطابقة ماورد فيها مع مالدينا من معلومات مستقاة من مصادر اخرى.

وبالنسبة للقسم الاول من هذه الجداول، والذي تضمن اسماء الملوك والحكام الذين تعاقبوا على عرش مملكة آشور حتى بداية حكم شمشي- ادد الاول، الذي نعرف تاريخه بصورة شبه اكيدة، فقد ذكرت الاسماء بأربع مجاميع ذكرت الاولى سلسلة من سبعة عشر ملكاً وصفوا بأنهم كانوا لايزالون «يعيشون في الخيام»، ولعل في ذلك اشارة الى اصولهم البدوية عندما كانوا قبائل متنقلة دخلت وادي الرافدين من الغرب عن طريق نهر الفرات. ويؤكد ذلك تطابق اسماء الملوك الاثني عشر الاولى مع سلسلة الاسماء التي ذكرت النصوص البابلية بانها تمثل اسماء اجداد الملك حمورابي[٣] الذي عاصر شمشي- ادد في سنوات حكم شمشي- ادد العشر الاخيرة. وهذا يشير الى ان اصول كل من السلالة البابلية والسلالة الآشورية ترجع الى القبائل الامورية، وفضلاً عن ذلك فان بعض هذه الاسماء ذات صياغة كنعانية.

اما المجموعة الثانية من الملوك فقد ضمت عشرة ملوك ذكر بأنهم كانوا «الملوك الاسلاف» او «الاجداد»، وتتبع ذلك مجموعتان تضم كل منها اسماء ستة ملوك ثم يعقب ذلك اسم الملك شمشي- ادد.

ومما يلاحظ من تدقيق عدد الملوك المذكورين ان المجموعات الاربع ضمت تسعة وثلاثين ملكاً في حين ان الاسماء المذكورة هي ثمان وثلاثون ملكاً حكموا قبل شمشي- ادد وان الاختلاف ناتج عن ذكر احد الملوك مرتين في نهاية مجموعتين مختلفتين وان هذه الحقيقة بحد ذاتها تقلل من قيمة ودقة الجداول التاريخية.[٤]

وقد سلسلت اسماء الملوك السبعة عشر في المجموعة الاولى حسب تعاقب حكم الملوك وذكر





كل من اوشبيا Ushpiya وابيشال Apishal على انها الاخيران في هذه المجموعة. اما المجموعة الثانية، والتي تضم اسماء الملوك الاسلاف او الاجداد، فقد نظمت باسلوب مختلف تماما حيث ذكر اسم آخر ملوك هذه المجموعة في المقدمة واعقبه اسم ابيه ثم جده وهكذا حتى الجيل الاخير. وفي النهاية يرد اسم ابيشال بن اوشبيا، وبذلك يصبح ابيشال حلقة الوصل بين المجموعة الاولى والمجموعة الثانية ويعقب ذلك اسماء الملوك في المجموعتين الاخريين حسب التسلسل[٥].

والى جانب جداول الملوك الاشوريين هناك بعض النصوص التذكارية من فترات متأخرة اشار فيها الملوك المتأخرون في اثناء قيامهم بتعمير وترميم المعابد والاسوار الى عدد من الملوك الاوائل الذين سبقوهم في تشييد تلك المعابد والاسوار امثال بوزور- آشور الاول، الذي يظن انه كان على رأس سلالة جديدة، والذي قام بتشييد اسوار اشور. كما ذكر خلفه شالم- اخوم وبعده على مايرجح الملك ايلو- شوما الذي حكم في حدود ١٩٦٢- ١٩٤٢ ق. م. اعقبه في الحكم ابنه ايريشوم الاول (١٩٤١- ١٩٠٢ ق. م). وجاءنا من عهد الملكين الاخيرين نصوص عديدة معاصرة لحكمها تشير الى نشاطها في مجال البناء في مدينة آشور، كتشييد معابد لآشور وادد وعشتار[٦]. كما يستدل من أحد النصوص ان ايلو شوما كان من القوة والمركز مامكنه من التدخل في شؤون بلاد بابل الداخلية بطريقة غير واضحة لدينا تماماً. فقد ذكر النص ان ايلوشوما «ثبت حرية شعب أكد» مشيراً الى بلاد بابل، وانه وصل جنوباً الى مدينة اور سالكا الطريق المحاذي لدجلة من جهة الشرق[٧]. ومهما كان المعنى الدقيق والحقيقي لهذا النص، اهو تخليد لذكرى انتصار عسكري حققه الملك الاشوري على بلاد بابل ام انه ذو علاقة بالرحلات التجارية بين بلاد بابل وآشور، فانه يشير دون شك الى قوة الملك الآشوري وامتداد نفوذه وعلاقاته الى ماوراء حدود بلاد آشور الاصلية. وقد استخدمت عبارة «ثبت الحرية» مرة أخرى في عهد ابنه ايريشوم الاول حيث ذكر انه «ثبت حرية الفضة والذهب و النحاس والقصدير والشعير والصوف والنخالة والتبن»[٨]. ومن الواضح ان العبارة هنا ذات مضمون اقتصادي ربما يشير الى نوع من الاجراءات الخاصة باعفاء عقود البيع والشراء الخاصة بهذه المواد من الضرائب المفروضة عليها، وفضلاً عن ذلك لدينا نص يعود الى هذا الملك يشير الى قيامه بتوسيع بناية مجمع المعبد وتوسيع سور المدينة الذي كان والده قد شيده. والمرجح ان نشاط وازدهار تجارة بلاد آشور مع آسيا الصغرى كان في عهد هذين الملكين بالدرجة الرئيسة.

توالى على حكم بلاد آشور بعد ذلك عدد من الملوك قليلي الشأن كان ابرزهم سرجون الاول (الآشوري) الذي اتسعت في عهده حدود المملكة، ثم اعقبته فترة غامضة ومرتبكة الى درجة تمكنت فيها مملكة اشنونا في منطقة ديالى من شن هجوم على بلاد آشور في عهد ملكها نرام- سين الذي ضمها الى حدود مملكته، وقد ذكرت جداول الملوك الآشوريين اسم نرام- سين على انه أحد ملوكها[٩]. وظل الوضع كذلك حتى اعتلى العرش الآشوري شمشي- ادد الاول.

**المراكز التجارية الاشورية في بلاد الاناضول:**

من المكتشفات المهمة الخاصة بالمرحلة الاولى من العصر الآشوري القديم والتي تعد مصدراً رئيساً من مصادر معلوماتنا عن الاشوريين في هذه الفترة النصوص المسمارية الكثيرة المكتشفة في اقليم كبدوكيا في بلاد الاناضول. فلقد تم الكشف على هذه النصوص في موقع كول تبة (قانش قديما) من خلال تنقيبات مشروعة وغير مشروعة وتبين انها مدونة باللغة الاكدية بخطها المسماري وانها تمثل ارشيفات خاصة بتجار آشوريين كانوا يقيمون خلال القرنين العشرين والتاسع عشر قبل الميلاد في





مدينة قانش وعدد من المدن والمواقع القريبة منها والواقعة شرقي ووسط آسيا الصغرى[١٠] . ومع اهمية هذه النصوص من الناحية الاقتصادية فانها لاتمدنا بمعلومات وافية عن تاريخ الاشوريين واوضاعهم السياسية في آسيا الصغرى او بلاد آشور. ومع ذلك فإن وجود التجار الآشوريين في آسيا الصغرى في هذه الفترة المبكرة من تأريخهم يذكرنا بالحملة التي ذكر ان سرجون الاكدي قام بها الى المنطقة ذاتها قبل اكثر من اربعة قرون من تاريخ هذه النصوص (اي في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد) لنجدة مجموعة من التجار الاكديين الذين كانوا يعملون ، كما يبدو، في آسيا الصغرى ثم تعرضوا لظلم الحاكم المحلي فاستغاثوا بسرجون ، ملكهم القوي ، وطلبوا النجدة السريعة منه ، كما تذكر النصوص المسمارية[١١] .

وتؤكد هذه الرواية ، ان صحت ، عمق العلاقات التجارية بين وادي الرافدين وآسيا الصغرى وامتداد جذورها الى اواسط الالف الثالث وربما قبل ذلك . كما يشير نشاط التجارة بين وادي الرافدين وآسيا الصغرى الى تفهم القادة والملوك العراقيين القدماء اهمية تلك التجارة لتغطية النقص الموجود في وادي الرافدين من المواد الخام ، ولاسيما المعادن والاحجار النادرة والاخشاب . لذا كانت التجارة مع الاقطار الاخرى نشطة منذ فترات قديمة جداً ولاسيما مع آسيا الصغرى والساحل السوري وسواحل وجزر الخليج العربي ، وربما وصل نشاط التجار العراقيين القدماء الى ابعد من ذلك.

ولقد بلغ عدد النصوص المسمارية المكتشفة في اقليم كبدوكيا اكثر من اربعة عشر الف رقيم ، نشرت نسبة لاباس بها تقدر بحوالي ٢٥٪ منها ، ولا يعرف من خلال هذه النصوص متى بدأ نشاط التجار الآشوريين في المنطقة ، وربما تكشف لنا التنقيبات المقبلة عن نصوص اقدم عهداً من النصوص المكتشفة وعن مواقع اخرى اضافة الى موقع كول تبة . وتبين التنقيبات التي اجريب في كول تبة اربع طبقات سكنية ، او ادوار، تمثل اربعة اجيال مرت على الموقع قبل ان يضمحل ويتوقف فيه النشاط التجاري نهائياً . اما الدوران الاول والثاني من الاسفل فلم يعثر بين بقاياهما على اي نص مسماري وربما يقابلان من حيث الفترة الزمنية عهدي ايلو شوما (١٩٦٢ - ١٩٤٢ ق . م) وخليفته اريشوم (١٩٤١ - ١٩٠٢ ق . م). وقد ذكر اريشوم في بعض النصوص المسمارية المكتشفة كما ان ما اكتشف في بلاد آشور نفسها يشير الى اهتمام هذا الملك بالتجارة وربما تدخل في بلاد بابل من اجل ذلك،وهذا مادفع بعض الباحثين الى عدّه المخطط والمؤسس للمراكز التجارية في اسيا الصغرى . اما الدور الثالث فقد زود المنقبين باعداد كبيرة من الرقم الطينية ، بل ان معظم الرقم المكتشفة ترجع الى هذا الدور ثم تعقب ذلك طبقة تشير الى التدمير والتخريب الذي اصاب الموقع ، ربما نتيجة هجوم اقوام جديدة جاءت من الخارج ، فهجر الموقع نتيجة ذلك لمدة تقرب من خمسين سنة ثم استأنف نشاطه ثانية في عهد الملك شمشي - ادد الاول (١٨٣٣ - ١٧٨١ ق . م)[١٢] . واخيراً توقف النشاط التجاري في المنطقة نهائياً وربما يؤشر هذا التوقف بداية التغييرات السياسية والعرقية التي تعرضت لها اسيا الصغرى اثر مجيء الاقوام الحثية الهندية - الاوربية وقضائها على الدويلات والمالك الصغيرة المحلية التي عاشت المراكز التجارية الآشورية في حمايتها .

يستنتج من النصوص المكتشفة انه كان هناك تسعة مراكز تجارية آشورية اخرى في اسيا الصغرى على اقل تقدير اضافة الى مركز قانش غير انه لم يكشف عنها بعد ، كما تشير الى وجود مراكز او محطات صغيرة مساعدة ، وكانت جميع المراكز والمحطات ، ان صحت هذه التسمية ، تقع في وسط وشرقي اسيا الصغرى . ويبدو ان علاقات التجار الاشوريين في هذه المراكز مع الامراء المحليين كانت طيبة ووطيدة طالما كانت تجارتهم تدر الارباح الطائلة عليهم وعلى بلاد اشور نفسها وكانت سبباً





من اسباب الرفاه الاقتصادي. كما يبدو ان التجار الاشوريين في هذه المراكز كانوا ممثلين لاسر تجارية اشورية عريقة في تجارتها تقيم في بلاد اشور، وكان الاتصال بينها وبين ممثليها في اسيا الصغرى مستمراً من خلال الرسائل المتبادلة والتي تم الكشف عن مجموعة كبيرة منها. وكانت الهيئة المشرفة على كل مركز تجاري تسمى بالاكدية كارُم Karum، وكان المصطلح يعني اصلاً «جسراً او رصيف الميناء» ثم اتسع مدلول المصطلح ليعني «مكان السوق» الى جانب رصيف الميناء واخيرا اصبح يعني «رابطة تجار [المدينة]»[١٣]. وكان للكارم مكان خاص يقع بالقرب من قصر الحاكم، وكانت وظائف الكارم وواجباته متعددة ومتنوعة، فكان له محاكمه الخاصة حيث كانت تجري فيها المحاكمات استناداً الى القوانين والتقاليد الآشورية، كما كانت هناك محكمة مركزية في قانش تنظر في القضايا التي قد تنشب بين التجار انفسهم واحياناً المخاصمات التي تقع بينهم من جهة وبين السكان المحليين من جهة اخرى. وبعبارة اخرى، كان الكارم يقوم مقام الغرف التجارية او نقابة التجار في الوقت الحاضر، وكان يترأس الكارم احد التجار البارزين الذين كانوا ينتخبون سنوياً من بين التجار. وقد عثر في قانش على بعض الرقم الطينية التالفة التي تتضمن بعض المواد القانونية الخاصة بنشاط التجار عرفت لدى الباحثين بالقوانين الآشورية القديمة[١٤].

وكان من وظائف الكارم الاخرى تسلم البضائع عند وصول القوافل التجارية القادمة من بلاد آشور وتدقيقها ومطابقتها مع القوائم المرفقة معها وكذلك جمع الضرائب والمكوس المفروضة. وكان يتبع الكارم عدد من الموظفين والمراقبين والمفتشين لمراقبة القوافل وجباية الضرائب ومنع التجار من التهرب من دفعها، وفضلاً عن ذلك، كان الكارم يقوم بوظيفة المصرف التجاري للمداينات والقروض والشؤون المصرفية الاخرى[١٥].

ويظهر من دراسة الرقم المسمارية المكتشفة التنظيم الدقيق الذي كانت عليه هذه المراكز ووسائل الآشوريين المتطورة في المواصلات والتبادل التجاري وتحديد الاسعار وحساب الارباح والخسائر وتنظيم الشركات والاعمال المصرفية الاخرى المختلفة. كما يبدو ان التجار الآشوريين كانوا يجمعون المواد والبضائع التي يرغبون بارسالها الى آسيا الصغرى في احدى المدن الآشورية الرئيسة وقد يستوردون بعضها من مناطق اخرى، كالقصدير مثلا، ثم يقومون بتصديرها، وكانت القوافل التجارية تسلك طرقاً نظامية معروفة لدى الادلة وقادة القوافل ومتعهدي النقل، وكانت كل قافلة تتألف من عدد من الحمير المحملة بالقصدير المختوم وفوقه لفائف المنسوجات الجيدة من صناعة بلاد بابل وآشور، مختومة هي الاخرى منعاً لاي تلاعب. وكانت هاتان المادتان من اهم المواد المصدرة الى آسيا الصغرى وكان متعهد النقل يزود عادة بوثيقة مثبت عليها مايحمله من بضائع ومواصفات تلك البضائع حيث كانت الوثيقة تدقق وتطابق عند الوصول[١٦].

وكانت المدن والقرى الواقعة على الطريق التجاري تزود القافلة بالمؤن والمواد الغذائية اللازمة للرحلة، وهناك محطة في منتصف الطريق تزود القوافل احياناً بالاجراء والحيوانات.

وتوضح النصوص المكتشفة الى ان الآشوريين الذين اقاموا في هذه المراكز والمحطات لفترة ليست بالقصيرة كانوا يختلطون بالسكان المحليين ويتزوجون منهم، الا انهم ظلوا يتبعون العادات والتقاليد الآشورية ويدينون بالمعتقدات والافكار والمثل الآشورية حيث اقاموا لهم معابد خاصة بهم وقدموا لها القرابين وكانوا ينظرون الى بلاد آشور على انها الوطن الام الذي ينتمون اليه، لذا كانت هذه المراكز اشبه بمراكز اشعاع حضاري انتقل من خلالها العديد من العناصر والمقومات الحضارية الاشورية، وخاصة مايتعلق منها بالنظم والقوانين التجارية والمالية، الى بلاد الاناضول سيما وان سكان الاناضول المحليين كانوا اقل من الاشوريين حضارة فلم يؤثروا حضارياً بالتجار الاشوريين





واسرهم في حين كان تأثرهم بما لدى الآشوريين من مقومات حضارية كبيراً وما استخدام الخط المسماري واللغة الاكدية في جميع المعاملات التجارية في قانش الا مثل من امثلة هذا التأثر.

**مملكة شمشي – ادد الاول[١٧] :**

يؤشر اعتلاء شمشي – ادد الاول عام ١٨١٣ ق. م. العرش الاشوري بداية مرحلة جديدة في تاريخ الآشوريين السياسي. فقد اصبحت اشور في عهد هذا الملك ولاول مرة مملكة قوية موحدة تضم جميع بلاد اشور الاصلية وتتجاوزها الى المناطق والاقاليم المجاورة الى درجة ان بعض الباحثين سماها بامبراطورية شمشي – ادد الاول[١٨] ، فكانت من القوى المؤثرة في سير الاحداث ليس بالنسبة للدول والممالك القائمة في العراق فحسب بل وكذلك بالنسبة الى الدول والممالك المعاصرة في بلاد الشام وآسيا الصغرى. وقد تحدثت جداول الملوك الآشوريين التي دونت اصلا في القرن الثامن قبل الميلاد، اي بعد حكم شمشي – ادد باكثر من الف سنة عن ذلك بالقول:

«شمشي – ادد بن ايلو – كبكبي، في عهد نرام – سين ذهب الى كاردونياش ... (و)عاد من كاردونياش، واخذ مدينة ايكلاتو، وبقي في ايكلاتو لمدة ثلاث سنوات ... وذهب من ايكلاتو، وازاح اريشوم بن نرام – سين من على العرش، واخذ العرش»[١٩] .

واذا ما اخذنا هذه المعلومات واضفناها الى مالدينا من معلومات اخرى مستمدة من جداول الملوك الآشوريين نفسها ومن نصوص اخرى يتضح لنا ان شمشي – ادد كان ابن احد الزعماء الاموريين. والاموريون، كما سبق واشرنا، من القبائل العربية القديمة (الجزرية) التي بدأت تتوغل في وادي الرافدين منذ اواخر الالف الثالث قبل الميلاد ووصلت منها مجموعة جديدة بعد اكثر من قرن من وصول المجموعة الاولى الى بلاد بابل وتأسيسها عدداً من الممالك في كل من اشنونا وايسن ولارسا وبابل وغيرها. وكان شمشي – ادد ملكاً على منطقة تجاور مملكة ماري على نهر الفرات، وقد ذكرت جداول الملوك الاشوريين ايلوكبكبي على انه ابو امينو، آخر ملوك المجموعة الثانية من المجموعات الاربع التي سبقت حكم شمشي – ادد. ويبدو وان امينو كان اخا شمشي – ادد وانه اعتلى العرش بعد والده في حين كان شمشي – ادد انذاك في بلاد بابل، ربما مبعوثاً عن والده او اخيه لمعالجة بعض الامور الخاصة بالمملكة. ولدى عودة شمشي – ادد الى بلاد آشور، سيطر وهو في طريق عودته، ولابد ان كان يرافقه جيش قوى، على اقليم ايكلاتو Ekallatu الواقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة قريباً من مصب نهر الزاب الاسفل من دجلة، وبذلك اصبح من السهل عليه التوجه الى مدينة آشور نفسها. وكانت الفرصة مواتية حيث كانت آشور قد استقلت عن مملكة اشنونا فتمكن شمشي – ادد من ازاحة ملكها اريشوم ونصب نفسه ملكا على اشور كما تذكر ذلك جداول الملوك صراحة[٢٠] .

بدأ شمشي – ادد بعد اعتلائه العرش، تنفيذ سياسة محكمة ومدروسة كانت تهدف الى تاسيس مملكة قوية تضم جميع المنطقة الواقعة شمالي بلاد بابل. وتمدنا النصوص المسمارية المكتشفة في مدينة ماري (تل الحريري) على اواسط نهر الفرات بمعلومات غزيرة جداً عن فترة حكم شمشي – ادد وعن سياسته وخططه التي جعلت منه في فترة وجيزة شخصية من الشخصيات البارزة والمؤثرة في المنطقة. وكان يتقاسم السلطة في العراق وبلاد الشام في هذه الفترة عدد من السلالات الامورية التي اقامت لها دولاً وممالك صغيرة في المدن الرئيسة اهمها سلالة بابل الاولى ومملكة اشنونا في منطقة ديالى ومملكة ماري على نهر الفرات وسلالتا ايسن ولارسا اضافة الى مملكة يمخد في حلب وكركميش وقطنا في شمال سوريا ايضاً وغيرها. وكان يعاصر شمشي – ادد في ماري الملك يخدن – لم في حين عاصره في سنواته العشر الاخيرة الملك الشهير حمورابي ملك بابل وكان على شمشي – ادد ان يبني مملكة قوية





تتمكن من مواجهة هذه الممالك والدول مجتمعة او منفردة ، حيث غالباً ما كانت تعقد الاحلاف بين بعضها لمواجهة اي خطر يهددها نتيجة تعاظم قوة احدى الممالك او ظهور قوة جديدة اجنبية . ويبدو ان شمشي- ادد قد استغل فرصة حدوث مؤامرة داخلية في بلاط مملكة ماري انتهت باغتيال الملك يخدن- ليم وهرب ولي عهدها زمري- ليم الى مملكة يمخد ، فامتد بنفوذه الى منطقة ماري والحقها بحدود مملكته ،[٢١] . وربما كان له يد في المؤامرة التي أطاحت بملكها طالما كان المستفيد الأول من التغير الذي حدث فيها ، ونصّب ابنه الاصغر يسمخ- ادد نائباً له فيها[٢٢] . وكان لهذه الاحداث اهمية سياسية كبيرة حيث اتسعت حدود الدولة الآشورية باتجاه الغرب اتساعاً كبيراً ووصلت الى اعالي نهر الباليخ .

تمكن شمشي- ادد كما سبق ان المحنا من تاسيس مملكة قوية خلال فترة وجيزة ونجح في مواجهة الاخطار والتحديات المحدقة به من كل جانب نجاحاً كبيراً وقد اجتمعت عدة عوامل ساعدت على نجاحه هذا تاتي في مقدمتها مقدرة شمشي- ادد الادارية وحنكته السياسية . فقد كان يضع الخطط المدروسة لمواجهة الاخطار ويعقد الاحلاف ويبني العلاقات الدبلوماسية مع زعماء وملوك الدول والممالك الاخرى في سبيل كسب جانبها او تحييدها على اقل تقدير في حالة مواجهة دول وممالك اخرى ، كما فعل ذلك بالنسبة للممالك القائمة في سوريا ، وقد يقوي علاقاته مع بعض الاسر الحاكمة من خلال المصاهرات السياسية والعلاقات الشخصية .

اما ادارة المملكة المتنامية ، فكانت بحق ادارة كفوءة تفصح عنها الرسائل الملكية الكثيرة المكتشفة في مدينة ماري والتي تبادلها الملك شمشي- ادد مع ابنه ونائبه في ماري يسمخ- ادد . ويظهر ان شمشي- ادد كان يعتمد على ابنه الاكبر اشمي- داجان الذي عينه نائباً له في اقليم ايكلاتو ليكون حامياً لحدوده مع المنطقة الجبلية ضد القبائل التوركية والكوتية وغيرها وضد مملكة اشنونا ، وكان اعتماده هذا في محله حيث تمكن اشمي- داجان من ادارة شؤون المقاطعة التي عهد بها اليه ادارة كفوءة وضمن لابيه حماية الحدود الشرقية اما يسمخ- ادد فيظهر انه كان اقل كفاءة بمقدرة وقليل التجارب مما اضطر اباه ان يكتب اليه مرات عديدة مؤنباً وموبخاً ومشيرا الى اخيه الاكبر ليكون له مثلا اعلى للكفاءة والمقدرة حتى انه كتب اليه مرة رسالة مليئة بعبارات التهكم والازدراء قائلا :

« هل انت طفل وليس برجل؟ أليس لك لحية على ذقنك؟ في حين اخوك هنا منتصر دائماً فانك نائم بين النساء »[٢٣] لذا ، لم يتمكن يسمخ- ادد من اداء المهمة التي عهد بها اليه ، وهي مراقبة تحركات الاقوام البدوية القادمة من الغرب والحد من غاراتها المفاجئة على حدود الدولة الآشورية الغربية مما اضطر الملك الاب الى التدخل دوما لمعالجة مثل هذه الامور وتشير رسائل ماري الملكية الى ان الملك كان يتدخل في جميع الامور ، كبيرها وصغيرها ، ويبعث بتوجيهاته وتعليماته لمعالجة القضايا المختلفة كما كان يبعث بموظفيه ورسله مفتشاً ومراقباً وموجهاً ومنتظراً اتخاذ الاجراءات التنفيذية السريعة . وكان ذلك يتطلب وجود نظام كفوء للبريد والمواصلات وكان الملك يؤرخ رسائله باليوم والشهر ويثبت احياناً وقت كتابة الرسالة من اليوم[٢٤] . وطبيعي انه كان يعاون الملك في ادارة المملكة كادر ضخم من الاداريين المنتخبين انتخاباً دقيقاً استناداً الى ولائهم وكفاءتهم ومقدرتهم على تنفيذ السياسة المركزية التي كان يرسمها لهم الملك شخصياً .

اما العامل الثاني الرئيس الذي ساعد على بناء المملكة القوية وجعلها من القوى الرئيسة في المنطقة فهو الاحتياطات العسكرية التي اتخذت لمواجهة الاخطار والتحديات ولمنع القيام بالتمردات والمؤامرات في الاقاليم النائية حيث وضعت حاميات عسكرية دائمية في المدن الرئيسة وعهد بقيادتها الى من يدينون بالولاء والطاعة لملكهم ، وربما كانت





تلك الحاميات بدايات الجيش النظامي الدائمي في بلاد آشور.

اما الحملات العسكرية التي كان يقودها الملك الى الجبهات المختلفة فكانت قواتها تجند من سكان المدن والقرى ومن القبائل المتنقلة حيث كان يفرض على كل مدينة او قبيلة عدداً معيناً من الافراد تجب مشاركتهم في الحملة العسكرية، وكان العدد يتناسب بالطبع وعدد سكان المدينة او المنطقة وكانت تجرى احياناً احصاءات عامة لتثبيت اعداد الرجال القادرين على حمل السلاح. وربما كانت القطعات المجندة تنظم حسب القوميات او الاقاليم التي جندت منها، وقد تختص كل مجموعة بصنف من صنوف الجيش. وكانت اسماء المجندين تثبت في قوائم خاصة كي توزع عليهم الارزاق والجرايات التي كانت تعطى لهم بدلا من الرواتب. وقد يصل عدد افراد القوات المسلحة المشاركة في الحملات العسكرية الكبيرة الى عشرات الالوف حيث ورد ذكر ستين الف مقاتل في الحملة التي وجهت الى نوردكم[٢٥]. وبرع الآشوريون في وسائل وآلات الحصار واستخدموا طرقاً شتى لاجبار الاعداء على فتح ابواب المدن والتسليم. وكانت تسبق الحملات العسكرية حملات دعائية واسعة واتصالات دبلوماسية مع الملوك والامراء المحليين لضمان تاييدهم للسياسة الآشورية او تحييدهم ومنعهم من الوقوف الى جانب الاعداء. وكان الملك محور الحملة العسكرية حيث يظهر في حركة دائمة قائداً ومخططاً ومفتشاً.

وكانت اهم الحملات العسكرية التي وجهها شمشي– ادد الى الجبهة الشرقية والشمالية الشرقية حيث وصل الى جبال زاجروس وفرض سيطرته على المنطقة كما ضم منطقة كركوك (ارابخا قديماً) ومدينة قبارا ونوردكم وتدروكم. وفي الجبهة الغربية، منطقة زالماتوم، وهو اقليم حران، وربما وصل الى سواحل البحر المتوسط حيث ادعى انه ترك نصباً تذكارياً هناك واقام علاقات وطيدة مع امراء وممالك الدويلات القائمة في شمال سوريا مثل كركميش وقطنا[٢٦].

وهكذا اصبحت مملكة شمشي– ادد واسعة الحدود والنفوذ تخترقها العديد من الطرق التجارية المهمة التي كانت تدر عليها ارباحاً طائلة، كما نشطت في هذه الفترة المراكز التجارية الاشورية في اقليم كبدوكيا، ولو لفترة قصيرة، بعد توقف دام اكثر من خمسين سنة، وقد يكون ذلك بسبب شعور التجار الآشوريين بالطمأنينة والامان طالما كان وراءهم ملك قوي في آشور، الوطن الام، يتمكن من تقديم المساعدة والحماية اللازمة وقت الضرورة وان كنا لانعرف الى اي مدى كان قد وصل نفوذ شمشي– ادد باتجاه آسيا الصغرى.

وكان شمشي– ادد دائم الحركة والتنقل ولم يستقر في مدينة واحدة ويتخذها عاصمة للملكة، فكان يقيم احياناً في مدينة آشور واحياناً اخرى في مدينة نينوى في حين كان يقضي معظم اوقاته في مدينة شوبات– انليل[٢٧] الواقعة على اعالي نهر الخابور بالقرب من موقع شهر بازار، حيث كشف عن ارشيف من النصوص المسمارية. ولم يقتصر نشاطه في البناء والتعمير على مكان واحد فشيد معبداً في اشور للآله انليل ورمم معبد الآلهة عشتار في نينوى الذي كان قد بناه الملك الاكدي مانشتوسو اصلاً.

ومع غزارة المعلومات المتوفرة عن شمشي– ادد والتي امدتنا بها النصوص المسمارية المكتشفة في مدينة ماري، وبصورة خاصة المراسلات الملكية، الا انه من الصعب معرفة تسلسل الاحداث التي وقعت في عهده بصورة اكيدة، ومن الامور المؤكدة انه حكم ثلاثا وثلاثين سنة، وانه اتبع اسلوب تاريخ السنين بواسطة الليمو، وهو اسلوب تاريخ السنين وتسميتها باسماء الموظفين الذين يتعاقبون على اشغال وظيفة الليمو سنة بعد اخرى في البلاط الآشوري، بدلا من تاريخ السنين بواسطة اهم الاحداث، وهو الاسلوب الذي كان مستخدماً في الفترات السابقة[٢٨].

توفي شمشي– ادد وهو في عنفوان قوته، وكانت وفاته من الاحداث المهمة في المنطقة والتي تركت صداها في الدول والممالك المعاصرة، مثل مملكة





اشنونا ، التي سمت السنة الخامسة من حكم ملكها ابالبيل الثاني بحادثة وفاة شمشي – ادد ، وربما يشير ذلك الى خضوع اشنونا لاشور او تبعيتها لها بشكل من الاشكال. غير ان اشنونا انقلبت ضد اشور بعد وفاة شمشي – ادد مباشرة وبدأت تهاجم حدود الدولة الآشورية الغربية حيث تشير بعض الرسائل المكتشفة في مدينة ماري الى تقدم جيش اشنونا باتجاه الغرب ووصوله الى رابيقم على نهر الفرات متجهاً الى اعالي نهر الفرات ، وقد ارخت السنة الثامنة والتاسعة من حكم ابالبيل الثاني بتدمير رابيقم وهزيمة جيش سوبارتووخانا ، اي بلاد اشور ، ولم يتمكن اشمي – داجان ، ابن وخليفة شمشي – ادد ، من تقديم المساعدة الى اخيه في ماري لانشغاله بمواجهة الاعداء المتربصين في الجبهات الاخرى التي ثارت عليه بعد وفاة والده. ويبدو ان يسمخ – ادد كان قد اختفى في خضم هذه المشكلات، وربما اخرج من ماري بعد هزيمة حلت بقواته العسكرية وبقوات اخيه اشمي – داجان. ومع ذلك ، لم يدخل جيش اشنونا مدينة ماري الا ان زمري – ليم ، ولي عهد مملكة ماري السابق ، والذي كان قد لجأ الى بلاط مملكة يمخد في حلب ، عاد الى ماري واستعاد عرشه ، ربما بمساعدة ملك يمخد يارم – ليم. ونجح اشمي – داجان في المحافظة على بلاد آشور الاصلية فقط، وفقد الاقاليم الاخرى على اواسط الفرات واعالي مابين النهرين ومنها مدينة شوبات – انليل على الخابور. ودخلت بعد ذلك بلاد آشور في فترة مظلمة وغامضة خاصة بعد ان وقعت كل من ماري واشنونا ضمن حدود مملكة حمورابي ملك بابل ، وتشير جداول الملوك الآشوريين الى ان اشمي – داجان حكم اربعين سنة ، ربما كتابع لحمورابي حيث هناك اشارات الى ان آشور وقعت هي الاخرى ضمن حدود مملكة حمورابي في السنة الثامنة والثلاثين من حكم الاخير. وظلت آشور تابعة لسلالة بابل الاولى في عهد سمسو – ايلونا الا ان خلفاء حمورابي لم يتمكنوا من المحافظة على حدود المملكة فانسلخت عنها كثير من الاقاليم الحدودية ، وربما قامت في بلاد آشور سلالة محلية مستقلة في اواخر القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، طالما ورد في جداول الملوك الاشوريين اسم الملك اداسي الذي وصد ، بانه خلص بلاد اشور من العبودية. وتعاقب على حكم اشور، كما تذكر الجداول ، عدد من الملوك قليلي الشأن الى درجة لانعرف عنهم شيئاً يذكر بل ولا حتى تسلسل حكمهم وكان من هولاء الملوك بوزور – سين وكاشور – داجان واداسي وايريشوم الثالث وشمشي – ادد الثاني واشمي – داجان الثاني وشمشي – ادد الثالث وآشور – نيراري الاول واخيراً بوزور – آشور الثالث الذي ورد اسمه في التاريخ التعاصري[٢٩] ، وقد يؤشر ذلك نهاية مرحلة وبداية مراحلة جديدة تغيرت فيها ظروف بلاد إشور وقد اصطلح على تسمية المرحلة الجديدة بالعصر الاشوري الوسيط.

### ثانياً: العصر الآشوري الوسيط Middle Assyrian Period

استمر العصر الاشوري الوسيط مايقرب من ستة قرون (من اواسط الالف الثاني وحتى بداية العصر الاشوري الحديث عام ٩١١ ق. م)، وهي فترة طويلة شهدت خلالها منطقة الشرق الادنى القديم ، وكانت بلاد آشور تؤلف جزءاً مهماً منها ، العديد من التقلبات السياسية والعرقية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية. وقد واجهت بلاد آشور خلال هذا العصر تحديات صعبة ومخاطر جسيمة كادت تقضي عليها لولا صمود الاشوريين واصرارهم ومقاومتهم التحديات والاخطار وظهور عدد من القادة البارزين الذين تمكنوا من انقاذ بلاد آشور من المحن التي تعرضت لها. ومع ذلك فقد انتابت بلاد آشور فترات من الضعف والتدهور ووقعت احياناً تحت الاحتلال الاجنبي المباشر. وحيث كان للظروف الدولية التي مرت بها المنطقة تاثير مباشر على سير الاحداث في





بلاد آشور وتطورها ، لذا كان لابد من المامة سريعة بما كان يجري على الساحة الدولية انذاك لفهم تطور الاحداث الداخلية في بلاد اشور نفسها .

في آسيا الصغرى وشمال سوريا ، وهي المنطقة التي تمثل الجبهة الشمالية والشمالية الغربية بالنسبة لبلاد آشور، كانت الأقوام الحثية ، وهي مجموعة عرقية هندية ــ اوربية ، قد وصلت المنطقة واصطدمت بالدويلات والممالك المحلية الحاكمة وتغلبت عليها تدريجيا ، وقد تمكنت في حدود ١٧٠٠ قبل الميلاد من تأسيس مملكة حثية اتخذت من مدينة خاتوساس عاصمة لها . ونمت تلك المملكة تدريجيا واتسعت حدودها وأمتد نفوذها حتى شملت منطقة واسعة من شمال سوريا ، إضافة الى آسيا الصغرى ، وأصبحت تهدد الدول والممالك المجاورة وتحد من نشاطها وكان من تلك الدول والممالك مملكة آشور الفتية ومملكة بابل [٣٠]

وفي حدود عام ١٥٩٥ ق . م ، قام الملك الحثي مرسيليس الاول بهجوم مفاجئ على بلاد بابل سالكا الطريق المحاذي لنهر الفرات ووصل الى مدينة بابل ودخلها ونهب قصورها ومعابدها وربما قتل ملكها مفصحا بذلك عن نواياه التوسعية والعدائية بالنسبة الى بلاد بابل ، الا أنه عاد وانسحب بسرعة من بلاد بابل اثر سماعه بحدوث مؤامرة داخلية في بلاطة الملكي في خاتوساس انتهت باغتياله قبل وصوله الى العاصمة . ومع ان الحيثيين لم يسيطروا على بلاد بابل بل انسحبوا منها فإنهم هيأوا الفرصة للاقوام الكشية القادمة من الشرق لغزو بلاد بابل . وفضلا عن ذلك ، كان للحيثيين اثر كبير على الاقوام المجاورة ودفعها للتوغل الى داخل بلاد آشور واقتطاع بعض اجزائها بل ومدّ تلك الأقوام احيانا بالعون المادي والعسكري ، كما كان شأنهم مع الأقوام الحورية في اعالي مابين النهرين .

الآ ان الخطر الحقيقي والمباشر الذي داهم الدولة الآشورية ، الضعيفة آنذاك ، هو تعاظم قوة الأقوام الحورية Hurrians [٣١] في المنطقة وتأسيسهم دولة قوية مترامية الاطراف عرفت بدولة ميتاني Mitani ، امتدت بنفوذها من بحيرة وان الى نهر الفرات ومن جبال زاجروس الى الساحل السوري . إن المعلومات المتوفرة عن دولة ميتاني وسيطرتها على المنطقة مستمدة بالدرجة الاولى من النصوص المسمارية المكتشفة في مصر في موقع العمارنة والتي تمثل المراسلات الملكية التي تبادلها الفرعون المصري اخناتون مع معاصريه من ملوك وحكام الشرق الأدنى القديم ، ولاسيما في بلاد الشام ووادي الرافدين ، المدونة باللغة الأكدية بخطها المسماري العراقي [٣٢] . ويبدو ان الحوريين الذين أقاموا دولة ميتاني كانوا قد جاءوا أصلا من منطقة القوقاز وانتشروا في شمال سوريا وأعالي مابين النهرين وبدأت قوّتهم تنمو حتى تمكنوا من تأسيس دولة قوية تمكنت أخيرا من السيطرة حتى على بلاد آشور، وأصبحت من القوى الكبرى في المنطقة حيث تفاوض ملوكها مع الملوك الحيثيين والمصريين على قدم المساواة . وكانت سيطرة الميتانيين على بلاد آشور في بداية الأمر مقصورة على بعض أجزائها الى أن قام الملك الميتاني سوساتار Susatar (١٤٩٠ ــ ١٤٣٦ ق. م) بفرض سيطرته الكاملة على بلاد آشور ونهب معابد مدينة آشور [٣٣] فدخلت بلاد اشور في فترة مظلمة من تاريخها لم يكن فيها اي مركز سياسي بل كانت مجزأة الى عدة ادارات مركزية خاضعة للسيطرة الميتانية ولم نعد نسمع عن أي نشاط عماري لمدة ستة اجيال متعاقبة حيث لم يعثر خلال هذه الفترة على اي نص تذكاري [٣٤] . وكان الآشوريون يقاسون من مرارة الاحتلال الأجنبي ويعملون جاهدين للتخلص منه ، وقد ذكرت جداول الملوك اسماء عدد من الملوك الذين تعاقبوا على حكم بلاد آشور، وأشارت بعض النصوص الى أنهم كانوا اثني عشر ملكا تابعا وخاضعا للنفوذ الاجنبي ثم اعتلى العرش ملك قوى خلّص البلاد من الاحتلال ، ذلك هو آشور– اوبالط الاول .

أما في الجبهة الجنوبية ، فكانت بلاد بابل ، بعد أن غزتها الجيوش الحثية وانسحبت منها ، لقمة





سائغة للأقوام الكشية الجبلية التي كانت تتحين الفرص للانقضاض عليها، فقامت بغزوها والسيطرة عليها وتأسيس سلالة حاكمة لها في بلاد بابل استمرت في حكمها لفترة طويلة تقرب من اربعة قرون، الا ان سيطرة الأقوام الكشية الغازية على بلاد بابل اقتصرت على الناحية السياسية والعسكرية، أما من الناحية الحضارية، فيظهر ان الكشيين كانوا يعرفون جيدا أنهم دون الاقوام البابلية حضارة وأنهم امام حضارة عريقة راسخة، لذا فإنهم حاولوا الأخذ من حضارة بلاد بابل والابقاء على جميع النظم والقوانين والتقاليد السائدة واستخدموا اللغة الأكدية وكتبوا بالخط المسماري ولم يضيفوا الى الحضارة العراقية القديمة الاّ أشياء طفيفة جداً. كما حاولوا ان يمدّوا نفوذهم الى بلاد آشور خاصة بعد أن استقلت عن السلطة الميتانية وحاولت بناء قوتها وتوطيد علاقاتها مع الدول والممالك القائمة آنذاك ومنها المملكة المصرية في عهد ملكها اخناتون. فقد حاول الملك الكشي ان يمنع اقامة علاقات طيبة بين آشور ومصر وكتب الى الفرعون المصري معاتبا اياه لأنه استقبل وفداآشوريا وعدّ الآشوريين من أتباعه ورعاياه وطلب منه عدم اقامة أي حلف معهم قائلا:

«... اما بخصوص بعض الآشوريين من أتباعي، ألم أخبرك برسالتي بشأنهم؟، فلم دخلوا بلادك؟ وبما انك تحبني فيقيني انك لن تدخل معهم في شيء (من التحالف) وانك ستعمل على احباط سعايتهم وجهودهم....». [٣٥]

وقد اتسمت العلاقات الآشورية— الكشية ببعض المناوشات الحدودية من محاولات التعايش السلمي التي أبداها الملوك الآشوريون والكشيون في مناسبات عدة، كما تشير الى ذلك معاهدات الحدود التي عقدت بين الطرفين، وكان اقدمها المعاهدة التي عقدها الملك الكشّي بورنا بورياش مع بوزور— آشور الثالث في اواسط الألف الثاني والمعاهدة التي عقدت بعد قرن واحد من تاريخ المعاهدة الاولى. ومع ذلك، كان الكشيون يؤلفون ضغطاً قويا على حدود بلاد آشور الجنوبية. [٣٦]

وفي الجبهة الشرقية والشمالية الشرقية كانت الاقوام الجبلية على اختلافها لاتنفك تهدد حدود الدولة الآشورية وتقوم بغاراتها المفاجئة على المراكز الادارية والمدن الحدودية فتقلق راحة السكان وتهدد أمنهم مستغلة بذلك ضعف الحكومة المركزية او انشغالها في جبهة اخرى ومستفيدة من سهولة التوغل الى داخل الحدود الآشورية.

في هذه الظروف الدولية الصعبة عاشت بلاد آشور، وفي بداية هذا العصر كانت خاضعة للسيطرة الميتانية ولكنها كانت تعمل للتخلص منها. ويشير احد بنود معاهدة عقدت بين الملك الحثي والملك الميتاني، ربما في فترة حكم أريبا— أدد (١٣٩٢–١٣٦٦ ق.م) والد الملك الآشوري الشهير آشور— او بالّط الاول، الاّ ان آشور كانت قد اقتطعت جزءاً من الاراضي الميتانية، أي بعبارة أخرى ان آشور كانت قد استقلت حينئذ عن السيطرة الميتانية [٣٧]. حيث أن الافاقة الحقيقية والنهوض الذي شهدته بلاد آشور حدث بعد ان تولى آشور— او بالّط الاول (١٣٦٥— ١٣٣٠ ق. م) العرش الآشوري، حيث لم تقتصر جهود هذا العاهل القوي على تخليص البلاد من السيطرة الاجنبية بل أسهم في اسقاط الدولة الميتانية مستغلا الظروف الدولية التي كانت تمر بها المنطقة والأضطرابات الداخلية التي وقعت داخل البلاط الميتاني ومستفيدا من علاقاته الطيبة التي بناها مع كل من المملكة الحثية والمملكة المصرية، وانقسمت بعد ذلك الدولة الميتانية على نفسها وتأسست دولتان احداهما في اعالي مابين النهرين عرفت في النصوص الآشورية باسم خانيكلبات Ḫanigalbat والأخرى جنوبي بحيرة وان. وكان العداء مستفحلا بينها. ويعد حكم آشور— او بالّط بداية فترة ازدهار وانتعاش حضاري واقتصادي في بلاد آشور، بل إن بعض الباحثين يعدّ عهده بداية الحكم الامبراطوري حيث اصبحت آشور من القوى الرئيسة في منطقة الشرق الأدنى القديم، تتعامل مع الممالك الكبرى القائمة آنذاك معاملة الندّ للندّ كما تشير الى ذلك الرسائل





الملكية المكتشفة في العمارنة في مصر. كما حاول آشور— او بالّط ان يحسن العلاقات مع السلالة الكشية الحاكمة في بلاد بابل ويتبع سياسة التعايش السلمي معها فأقام علاقة وديّة معها ختمها بمصاهرة سياسية زوّج ابنته من ولي العهد الكشيّ، ولم تلق سياسة التقارب هذه التأييد الكامل في البلاط الكشّي في بابل حيث ما ان توفي الملك الكشّي حتى قامت مؤامرة داخلية اغتيل فيها ولي العهد ونّصب بدلا عنه ملك آخر مما اضطر الملك الآشوري للتدخل المباشر وتنصيب حفيده من ابنته ملكا على بلاد بابل. ومع ذلك، فبعد وفاة آشور— او بالّط، اندلعت الحرب ثانية بين بابل وآشور وادعّى الملك الكشّي بالعرش الآشوري ولم تكن الحرب حاسمة غير انها اضعفت كلا الطرفين ولاسيما بلاد بابل.

ويبدو ان نمو قوة الدولة الآشورية واستقلالها وظهورها قوة مؤثرة في المنطقة أثار الأقوام الجبلية في الشرق والشمال الشرقي وبدأت الاضطرابات والتمردات في المنطقة وأحيانا وصلت الأقوام الجبلية الى مراكز بعض المدن المهمة، كمدينة نينوى، مما دفع الملوك الآشوريين بدءاً من آشور— او بالّط، الى اتباع سياسة حازمة لمواجهة هذه الأخطار وذلك من خلال تجهيز الحملات العسكرية المتتالية الى المنطقة والقضاء بشدة على التمرد والعصيان والحد من غارات القبائل الجبلية على المدن الحدودية وتأمين طرق المواصلات التي هددتها تلك القبائل. ومع أن آشور— اوبالّط نفسه لم يذكر لنا بأنه قام بحملة عسكرية على المنطقة الجبلية الاّ ان نصوص خلفائه أشارت اليها والى نجاحها في تثبيت قوة الدولة الآشورية وهيمنتها على المنطقة الجبلية.

توالى على حكم بلاد آشور بعد آشور— او بالّط عدد من الملوك الأقوياء استمر في عهدهم نمو وتزايد قوة الدولة الآشورية ووضوح سياستها، وكانت بلاد آشور في عهودهم معرضة للاخطار من الجبهات المختلفة، وكان على الملوك ان يعملوا جاهدين لمواجهة تلك الاخطار والتحديات والحفاظ على أمن دولتهم واستقرارها وسيادتها. وكان من بين هؤلاء الملوك اددـ نيراري الاول (١٣٠٧— ١٢٧٥ ق.م) والذي وصف نفسه بأنه «قاهر الاعداء المتوحشين، جموع الكشيين والقوتيين واللولوبيين والسوباريين» [٣٨].

اما بالنسبة الى مملكة خانيكلبات الميتانية المحصورة في اعالي مابين النهرين فكانت خاضعة للنفوذ الآشوري وعندما اظهر ملكها عداءه السافر للدولة الآشورية، اوعز اددـ نيراري بتوقيفه وجلبه الى آشور، حيث أدّى قسم الولاء للملك الآشوري وفرض عليه ضريبة سنوية ثم سمح له بالعودة بعد ذلك الى مملكته [٣٩]. ومرة ثانية تمردت خانيكلبات على الدولة الآشورية، فجهزت حملة عسكرية عليها والحقت اراضيها بحدود الدولة الآشورية واصبحت مقاطعة من المقاطعات الآشورية [٤٠]. وفي عهد شيلمنصر الاول (١٢٧٤—١٢٤٥ ق.م)، تظهر قوى جديدة في المنطقة، أهمها قوة اورارتو Urartu، وقد ظلّ الاوراتيون من القوى المؤثرة على الدولة الآشورية طوال العصر الآشوري الوسيط والحديث وكان أول ظهورهم على شكل اتحاد بسيط بين عدد من الامراء والشيوخ الاورارتيين في منطقة ارمينيا حيث يذكر شيلمنصر بأنه دمّر احدى وخمسين من مدنهم وانه هاجمهم لانهم تمردّوا عليه، اي انه كان يعدهم من التابعين له، ثم يعود ويذكر أنه ادخل العديد من شبابهم في خدمته [٤١]. وكان من أعمال شيلمنصر العمرانية تأسيسه مدينة كلخو (النمرود) عاصمة له والتي أعيد بناؤها ثانية في القرن التاسع قبل الميلاد.

وفي عهد توكلتي— ننورتا (١٢٤٤— ١٢٠٨ ق. م) اصبحت السياسة الاشورية اكثر وضوحا وثباتا، واستمرت النشاطات العسكرية التي كان قد بدأها ابوه وجده على الجبهات المختلفة. ويبدو ان الاشوريين كانوا قد افادوا كثيرا من حملاتهم السابقة في المنطقة الجبلية واكتسبوا خبرة حربية جيدة مكنتهم من اعدائهم في الحملات التالية،





وهكذا تمكن توكلتي – ننورتا من فرض سيطرته على المنطقة الجبلية حيث يذكر احد النصوص انه اصبح سيد اراضي القوتيين الواسعة". [٤٢] ونهج توكلتي – ننورتا سياسة ترحيل السكان من البلدان والاقاليم المتمردة الى اماكن اخرى، وهي السياسة التي سار عليها الملوك الاشوريون من بعده واثبتت نجاحها، وربما كان الهدف منها ابعاد المتمردين عن مناطقهم الاصلية ومنع تقديم العون لهم من قبل السكان الاخرين. اما بالنسبة الى بلاد بابل فقد ساءت العلاقات مع السلالة الكشية المتسلطة على الحكم في بلاد بابل بتجهيز حملة عسكرية على بابل وقعت بابل بعدها تحت النفوذ الاشوري المباشر لمدة سبع سنوات. وفي اواخر عهد هذا الملك تغيرت الاوضاع وربما قامت مؤامرة في البلاط الاشوري اغتيل خلالها الملك ودخلت بلاد اشور في فترة من الضعف والارتباك والفوضى وتقلصت حدودها الى ادناها حتى ان الملوك الذين تعاقبوا على العرش، وكان عددهم تسعة حكموا مايقرب من مائة عام، لقبوا انفسهم بلقب اشاكو išakku، اي حاكم. وشهدت هذه الفترة نهاية السلالة الكشية الحاكمة في بلاد بابل وقيام سلالة محلية مكانها. ولم يعثر على اي نص تذكاري يشير الى منجزات قام بها هؤلاء الملوك – الحكام الى ان اعتلى العرش الاشوري الملك القدير تجلا تبليزر الاول (١١١٥ – ١٠٧٧ ق. م) حيث استطاعت بلاد اشور في عهده ان تستعيد سالف قوتها وازدهارها.

لقد امكن التعرف على المنجزات الرائعة التي حققها تجلا تبليزر الاول من النص الذي وجد مدونا على موشور من الطين كبير الحجم تركه لنا هذا الملك، غير ان ماورد في هذا النص يمثل وجهة النظر الاشورية فحسب.

استمر حكم تجلا تبليزر الاول مايقرب من اربعين سنة، وكانت السياسة التي اتبعها ووضع خطوطها العريضة الاساس الذي قامت عليه سياسة الملوك الاشويين المتأخرين، وهي سياسة فرضتها الظروف التي كانت تحيط بالدولة الاشورية وتهدد كيانها، لذا اتسمت بالقسوة والشدة في قمع التمردات والحد من الغارات الحدودية وايقاف تحركات الاقوام المجاورة ومحاولتها التوسع على حساب الاراضي الاشورية.

ففي الجبهة الشمالية، كانت قد ظهرت اقوام جبلية جديدة هي اقوام المشكي Mushki في منطقة ما وراء طور عابدين كانت تهدد حدود الدولة الاشورية الشمالية، ومع ذلك، لم يقم تجلاتبليزر بأية حملة عسكرية ضدها طالما ظلت في مناطقها غير انه سارع الى تجهيز حملة قوية عليها عندما علم بانها بدات تتوغل داخل حدود الدولة الاشورية بل وغزت اقليم كموخ الاشوري. ويذكر لنا الملك بانه بعد ان سيطر على المنطقة اخذ ستة الاف من الجند المهزومين اسرى واسكنهم في مناطق اخرى وعدهم من الرعايا الاشوريين كما حصل على عربات حربية وخيول [٤٣]. واستمر الجيش الاشوري باخضاع القبائل والاقاليم التي ساعدت اقوام المشكي في تمردها واغارتها على الاقاليم الاشورية فتوغل الى مناطق بعيدة الى اسيا الصغرى وهناك اشارات الى انه وصل الى مدينة ملاطيا، كما ترك نصا تذكاريا على صخرة شمال غرب بحيرة وان وصف الملك فيه بأنه: "الملك القوى، ملك العالم، ملك بلاد اشور، ملك الجهات الاربع، فاتح بلاد نائيرى من بلاد تومي الى بلاد رانيبو، فاتح بلاد خانجا الى البحر العظيم" [٤٤]. غير ان المؤسف حقا اننا لا نعرف مكان المواقع الجغرافية الواردة في النص بصورة دقيقة. ويبدو ان تجلا تبليزر كان يهدف من وراء حملاته العسكرية الى تحقيق هدفين. الاول تأمين امن وسلامة حدود الدولة الشمالية والدفاع عنها ضد القبائل والاقوام الجبلية والثاني تامين مصادر لمواد الخام وبعض المواد المصنعة التي كانت بلاد اشور تفتقر اليها، وكذلك ضمان توريد بعض قطعان الماشية والخيول.

وفي الجبهة الغربية، كانت ضغوط الاقوام الارامية تتزايد باستمرار، والاراميون، كما هو معروف من الاقوام العربية القديمة (الجزرية) التي كانت قد





انتشرت في بلاد الشام وعلى اطراف حدود بلاد اشور الغربية، ويشير تجلا تبليزر الى ان الاراميين تمكنوا من عبور نهر الفرات واستقروا في المناطق الاشورية من حدود كركميش شمالا وحتى بلاد بابل جنوبا، مما اضطر الملك الاشوري للقيام بثمان وعشرين حملة عليهم خلال سني حكمه واعادهم الى اماكنهم القديمة. كما يشير الى انه وصل بجيشه الى سواحل البحر المتوسط عبر مدينة تدمر، مركز تجمع الاراميين وقلب منطقتهم، وعندما وصل الى ساحل البحر ابحر بسفينة خاصة يصطاد بعض الحيوانات البحرية واخذ الضرائب من المدن الساحلية مثل ارواد وصور وصيدا:

"(حاربت) اقوام الاخلامو والاراميين ثماني وعشرين مرة، و(مرة) عبرت نهر الفرات مرتين في سنة واحدة ودحرتهم من تدمر التي (تقع) في بلاد سوهو وحتى رابيقو التي (تقع) في كارد ونياش (اي بلاد بابل)". (٤٥)

كما يذكر:

"ذهبت الى لبنان وقطعت اخشاب الصنوبر لمعبد انو وادد، الالهة العظام، سادتي، وحملتها (الى اشور) وتابعت (زحفي) نحو بلاد امورد. ففتحت جميع بلاد امّورو، استلمت الجزية من جبيل وصيدا وارواد وعبرت بالسفن (التي تعود الى) ارواد، من ارواد التي تقع على الساحل الى مدينة ساموري التي (تقع) في امّورو (على مسافة) ثلاثة اميال مضاعفة برّا. وقتلت كركدن البحر الذي يسمونه "فرس البحر" في اعالي البحر". (٤٦)

ان الانتصارات التي حققها تجلا تبليزر في فترة وجيزة نسبيا والقوة التي وصلت اليها الدولة الاشورية في عهده لم تدم طويلا، حيث اغتيل الملك وانتهت باغتياله فترة الازدهار والقوة التي لم تشهد مثلها بلاد اشور لما يقرب من مائتي سنة ودخلت بدلا من ذلك في فترة مضطربة سواء من حيث المصادر المتوفرة عنها ام من ناحية تعرض الاشوريين الى اشد الاخطار والمحن وهم في اضعف حالة. وكانت القبائل الارامية قد تبلورت واسست لها ممالك صغيرة تهدد الدولة الاشورية في عقر دارها وتقتطع منها الاراضي دون خوف من سلطة مركزية او جيش قوي كما كانت عليه الحال سابقا. وتتابع على حكم بلاد اشور ملوك عديدون قام بعضهم بحملات عسكرية على بلاد اورارتو وعلى الاقوام الارامية، وتحسنت علاقات الدولة الاشورية مع بلاد بابل، ربما نتيجة تعرض المنطقتين للاخطار، وازدادت الاوضاع تأزما واضطرابا. وفي القرن العاشر قبل الميلاد بدأت الاوضاع تتحسن تدريجيا وبدا الانتعاش الفعلي والازدهار الواضح في عهد الملك ادد- نيراري الثاني الذي اعتلى العرش عام ٩١١ ق. م.

## الملاحظات

(١) يقابل المصطلح الاكدي امّورو، ومنه الاقوام الآمّورية، باللغة السومرية مصطلح مارتو Mar.tu. وجاء ذكر مارتو لاول مرة في عدد من عقود بيع العقارات في عصر فجر السلالات الثالث واستخدم للاشارة الى اتجاه جغرافي (tum.mar.tu) بمعنى ريح [اتجاه الريح] المارتو، وكان يقصد بذلك اتجاه الغرب، او بدقة اكثر الشمال الغربي، حيث اتجاه الريح في وادي الرافدين. كما ذكر الامّورو في عهد الملك الاكدي شاركالي شري، واطلق على الاقوام التي تدفقت الى بلاد سومر واكد في اواخر عصر سلالة اور الثالثة. ومن المتفق عليه الان ان الأموريين يمثلون احدى الهجرات العربية القديمة الكبرى التي جاءت من شبه الجزيرة العربية اصلا وانتشرت في بلاد الشام وتوغل بعضها في بلاد وادي الرافدين عن طريق نهر الفرات (حول المزيد من التفاصيل انظر: نخبة من الباحثين، الشرق الادنى، الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، موصل ١٩٨٦، ص ١٧٦ - ١٧٧).

(٢) حول جداول الملوك الاشوريين انظر:
Landsberger, B., "Assyrische königsliste Dunkels Zeitalter"JCS,8, P. s4; Gelb , I.J., "Two Assyrian King Lists, JNES, 13 (1954), pp 209-230, Saggs, The Might that was Assyria, London, 1984, P.23.

(٣) Saggs,Op.cit., P.27

(٤) Ibid, P.24.

(٥) Ibid, P.24.

(٦) Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1926, I, pp. 28-38

(٧) Edzard, D. O., Die Zweite Zwischenzeit Babyloniens, Wiesbaden, 1957, P.90 ff





(٨) Saggs, op.cit.,P.25

(٩) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٧٣، ج ١، ص ٤٨٠.

(١٠) تقع كول تبة (قانش قديما) بالقرب من مدينة قيصرية، وقد تحرت في الموقع بعثات اثرية مشتركة من الاتراك والجيكيين وكشفت عن بقايا مساكن الاشوريين كما وجدت مجموعة كبيرة من الرقم الطينية التي تمثل رسائل ووثائق تجارية واقتصادية مختلفة.

حول المراكز التجارية الاشورية في المنطقة انظر:

Gaselli, Pi, Les assyriens en Coppadoce, Paris, 1963, Hrozny, Inscriptions Cuneiformesdu Kul Tepe, vol. l, 1952, vol. , 1963.

سامي سعيد الاحمد، المستعمرة الاشورية في اسيا الصغرى، سومر ٣٣، ١٩٧٧، ٧٠-٩٦.

(١١) Albright, W.F., "The Epic of the King of Battle Sargon of Akkad in Cappadocia" JSOR 7, pp. 1-20.

(١٢) Saggs, Op.cit., p. 33-34.

(١٣) حول معنى الكلمة انظر:

The Chicago Assyrian Dictionary, vol. 8 (K), p.231-237.

وكذلك، سامي سعيد الاحمد، المصدر السابق، ص ٧٦-٧٧.

(١٤) تتألف الرقم الطينية التي دونت عليها القوانين من ثلاثة الواح بحالة رديئة جدا لايمكن معها قراءة محتواها بصورة اكيدة ودقيقة، ولكن يمكن القول بانها تضمن مواد قانونية اشورية تخص تنظيم المحاكم واصول المرافعات والعلاقات التجارية الخاصة بالاشوريين في قانش. تم العثور على الالواح خلال تنقيبات غير مشروعة في اقليم كبد وكيا. انظر:

Driver, G.R. and Miles, J.C., The Assyrian Laws, Oxford, 1935, Cardasica, G., Les lois assyriennes, Paris, 1969.

عامر سليمان، القانون في العراق القديم، موصل، ١٩٧٧، ص ٢٧٥-٢٧٨.

(١٦) Saggs,Op. cit.P.37.

(١٧) حول مملكة شمشي- ادد الاول انظر:

Dossin, G.1 Šamši- Addu ler roi d'Assyrie (1726-1694 av. J.C.), Bulletin ole l'Acadlmie Royale de Belgique, 1948, pp. 39-70, Meissner, Br., "Šamsi-Adad 1., A. O. R. I, Leipzig, 1926, pp. 22-27, ARMT, ARM; Saggs' op.eit., pp. 35-37.

(١٨) Kupper, J. R., The Cambridge Ancient History, Cambridge, 1963 H., vol , p.2 lt.

(١٩) Saggs op.eit., p.37.

(٢٠) Ibid. p.35.

(٢١) تقع مدينة ماري (تل الحريري حاليا) في الحدود السورية على بعد بضعة كيلو مترات من البوكمال، وقد تم الكشف عن اطلال المدينة عام ١٩٣٣ من قبل البعثة الفرنسية التي كانت تعمل في المنطقة وكشف عن بقايا المدينة وكان منها قصر ملكي واسع عثر فيه على الاف من الرقم الطينية المدونة باللغة الاكدية والخط المسماري من العهد البابلي القديم، وقد القى الضوء على تاريخ وحضارة بلاد بابل واشور في هذه الفترة المهمة من تاريخ العراق القديم وكان من بين الرقم الرسائل التي تبادلها الملك شمشي- ادد مع ولديه ونائبيه في ماري وايكلاتم. انظر:

Dossin, J. and Kupper, J., Archives Royales de Mari Texts, (ARMT), Paris, 1950-1960, vol. 1-lx; Oppenheim, A.L., The Archives of the palace of Mari, JNES, X1 (1952), pp. 124-140.

سامي سعد الاحمد، العراق القديم، ج ٢، بغداد، ١٩٨١، ص ١٨٢-١٨٤.

(٢٢) ساكز، عظمة بابل، لندن، ١٩٦٢، ترجمة: عامر سليمان، ص ٨٧.

(٢٣) Saggs, op. cit., P. 37.

(٢٤) Kupper, op. cit, p. 1, Oppenheim, JNES, 11 (1952), P. 131.

(٢٥) Kupper, op. cit. P. s.

(٢٦) I bid. P. 5

(٢٧) Ibid. P. 8

(٢٨) الشرق الادنى، الحضارات المبكرة، ص ٩٥ Saggs, op. cit, P. 273

(٢٩) Pritchards J.B (ed.), Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, third edition, New Jersey, 1969, P. 272 ft. Kupper, op. cit., P. 24 ft. Saggs, op. cit, P. 39 ft.

(٣١) ساكز، عظمة بابل، ص ٩٣ ومابعدها.

Gelb, I.J. Hurrians and Subarians, Chicago, 1944.

(٣٢) تقع العمارنة في مصر الوسطى، وتمثل بقايا عاصمة الفرعون اخناتون، وقد عثر فيها في اواخر القرن الماضي على مايقرب من ٣٥٠ رسالة مدونة بالخط المسماري واللغة الاكدية يرقى تاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد كان قد بعث بها حكام وملوك الممالك السورية والكشية والحثية الى الفرعون المصري. انظر:

Knudtzon , Die El-Amarna Tafeln, Leipzig, 1915, Mercer, The Tell-Amerna Tablets, 1939

(٣٣) Saggs, op. cit., P. 31.

(٣٤) Ibid. P. 40

(٣٥) Knudtzon, op. cit., no. q: 31 ft.

وطه باقر، المصدر السابق، ص ٤٥٩.

(٣٦) Saggs, op. cit., p. 41 ft.

حول الكشيين بصورة عامة. أنظر:

محمود الامين، الكاشيون، مجلة كلية الآداب، ٦ (١٩٦٣)، سامي سعيد الاحمد، فترة العصر الكاشي، سومر، ٣٩







(١٩٨٣) ١٣٤ – ١٨٥ .

(٣٧) Saggs, op. cit., P. 41.

(٣٨) Ibid. P. 46.

(٣٩) Ibid. P. 47.

(٤٠) IBbid. p. 47.

(٤١) Ibid. P. 48.

(٤٢) Ibid. P. 51.

(٤٣) Ibid. P. 59.

(٤٤) Ibid. P. 60.

(٤٥) جورج رو، العراق القديم ، ترجمة : حسين علوان حسين ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٣٧٥ .

(٤٦) Saggs, op. cit. P. 63.

# منطقة الموصل في النصف الأول من الالف الأول قبل الميلاد

أ . د عامر سليمان

## العصر الآشوري الحديث

يؤشر اعتلاء ادد– نراري الثاني العرش الآشوري عام ٩١١ ق . م . بداية عصر جديد دام حتى نهاية كيان الآشوريين السياسي عام ٦١٢ ق . م[١] . يطلق عليه عادة مصطلح "العصر الآشوري الحديث" ، وقد تميزت هذه الفترة من تاريخ الآشوريين بتعاظم قوة الآشوريين السياسية والعسكرية حتى تبوأت دولتهم في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد المركز الاول بين دول العالم القديم وغدت اكبر قوة في المنطقة . ورافق تلك القوة ازدهار حضاري واضح في مختلف المجالات تفصح عنه المخلفات الرائعة التي تم الكشف عنها حتى الآن وبصورة خاصة في العواصم الآشورية ، ومع ذلك فقد انتابت الدولة الآشورية خلال هذا العصر الطويل الذي دام ثلاثة قرون كاملة بعض فترات من الضعف والتقهقر في القوة وبعض الازمات والمحن السياسية والاقتصادية كان آخرها ايذانا بنهاية الآشوريين السياسية واختفاء دولتهم من على المسرح الدولي ، غير أن حضارتهم وتأثيراتها على البلدان والاقاليم التي كانت تابعة او خاضعة لنفوذ الآشوريين ظلّت واضحة بل انها أثرت حضاريا في الاقوام التي جاءت بعد الآشوريين واحتلت مكانتهم السياسية مما يشير الى قوة حضارتهم واصالتها وعمق تأثيراتها في الاقوام الاخرى .

والمتتبع لتاريخ الآشوريين في عصورهم المختلفة يذهل من كثرة المخلفات المادية التي خلفها لنا الآشوريون في عصرهم الحديث ، والتي تشكل حاليا أهم وأروع ماتمتلكه المتاحف العالمية الشهيرة من آثار، كما ان المدن الآشورية المكتشفة ، وجميعها تقع في منطقة الموصل ، تعد من أهم المدن العراقية المكتشفة من حيث صخامتها وفخامة أبنيتها وكثرة آثارها الباقية كمدينة نينوى وآشور وكلخو ودور– شروكين وتربيص وغيرها .

ومن البديهي انه لم يكن بمقدور الآشوريين ان يصلوا الى ماوصلوا اليه من القوة وسعة النفوذ ويحققوا الانتصارات العسكرية المتلاحقة ويرتفعوا بمستواهم الاقتصادي والحضاري في غفلة من الزمن وعلى نحو مفاجيْ ، بل لابد ان كانت هناك عوامل هيأت لهم الظروف الملائمة وأسباب دفعت بهم الى امام لتحقيق ذلك ، ومن هذه الاسباب والعوامل مايمكن التعرف عليه من خلال الدراسات الموضوعية لمخلفات الآشوريين انفسهم ومتابعة تطور





الاحداث في المنطقة ومنها مايبقى خافيا حتى تكشف لنا عنه الدراسات والمكتشفات المقبلة، وقد يبقى خافيا الى الابد.

ويبدو ان في مقدمة الاسباب والعوامل التي حفزّت الآشوريين ودفعت بهم الى توحيد جهودهم وبناء جيشهم، ثم الى تفوقهم العسكري على غيرهم من الشعوب والاقوام، التحديات الصعبة والاخطار الجسيمة التي واجهها الآشوريون منذ ان وجدوا في المنطقة، ولم تكن موجهة ضدهم لانهم آشوريون، بل كانت موجهة ضد المنطقة الغنية بمياهها وتربتها الخصبة ومناخها الملائم، مقارنة بالمناطق الفقيرة المجاورة لها في الشرق والغرب، فضلا عن موقع بلاد آشور الستراتيجي وأهميته بالنسبة لخطوط التجارة القادمة من الخليج العربي في الجنوب او من موانىء البحر المتوسط في الغرب. لذلك كانت بلاد آشور تتأثر بما كان يحدث فيما حولها من تغيرات وتقلبات سياسية وعرقية لما لذلك من اثر كبير على زيادة خطورة التحديات وجسامة الاخطار او انكماشها، بل ان ماكان يحدث في بلدان الشرق الادنى القديم املى على الآشوريين في احوال كثيرة اتباع سياسة معينة في داخل بلاد آشور وخارجها، كما سيلاحظ ذلك من متابعة تطور الاحداث السياسية والادارية فيما بعد. لذا، فانه من المفيد ان نلقي نظرة خاطفة على الاوضاع التي كانت تمر بها بلدان الشرق الادنى القديم في هذه الفترة لمعرفة مدى تأثيرها على بلاد آشور.

ففي مطلع الالف الاول قبل الميلاد، كانت الاوضاع الدولية قد تغيرت تماما عما كانت عليه في العصر الآشوري الوسيط، فكانت قد غابت عن المسرح السياسي والعسكري قوى عديدة كان لها تأثيرها في المنطقة بل انها كانت تتحكم في توجيه الاحداث الدولية، كما تقلص وانكمش نفوذ قوى اخرى كانت لها المكانة نفسها فيما سبق. فالامبراطورية الحثية التي كانت تسيطر على آسيا الصغرى وشمال سوريا وتهدد مصالح المملكة المصرية وتحد من نشاط الآشوريين كانت قد انتهت في حدود القرن الثاني عشر. اما الدولة الميتانية التي كان الحوريون قد أسسوها وغدت من الدول الكبرى حتى انها سيطرت على بلاد آشور لفترة تجاوزت القرن في بداية العصر الآشوري الوسيط، فكانت قد انقسمت على نفسها وضعفت قوتها، ولم يعد لدولة ميتاني الصغيرة في اعالي مابين النهرين، التي سميت في النصوص الآشورية بمملكة خانيكلبات، الا سلالة محدودة على منطقة صغيرة، واخيرا انتهت بأن ضمت اراضيها الى حدود الدولة الآشورية وغدت مقاطعة من المقاطعات الآشورية مع بداية العصر الآشوري الحديث. وفي بلاد بابل كان قد انتهى حكم السلالة الكشية التي كانت تحاول السيطرة على بلاد آشور ودخلت معها في صراع حدودي استمر لفترة طويلة، وحلّت محلها سلالة محلية ضعيفة اثر الغزو العيلامي لبلاد بابل وذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. اما المملكة المصرية، فكان نفوذها قد تقلص كثيرا، وانكمشت سلطتها الى داخل حدودها. وهكذا يبدو أن الظروف الدولية كانت ملائمة نسبيا لظهور الآشوريين وتنامي قوتهم، غير ان ذلك لايعني ان الدولة الآشورية انفردت في عصرها الحديث بالقوة والزعامة ولم يكن هناك من ينافسها او يقف امام تطلعاتها بعد أن غابت الدول الكبرى التي كانت قائمة فيما سبق، بل ظهرت قوى واقوام جديدة كانت اشد واكثر خطرا على الآشوريين ممن سبقهم، ففي الجبهة الغربية والشمالية الغربية زادت ضغوط القبائل الآرامية وزادت غاراتها على حدود الدولة الآشورية. وكانت تلك القبائل قد تبلورت وكوّنت لها عددا من الدويلات والممالك الصغيرة في انحاء بلاد الشام المختلفة كان منها دويلة آرام – نهرايم، فيما بين الخابور والفرات، وفدّان آرام، ومركزها في مدينة حرّان، وآرام صوبا في الجنوب وآرام معكة عند سفوح جبل الشيخ وآرام رحوب في منطقة حوران ومملكة دمشق ومملكة شمأل (سنجرلي) هذا فضلا عن دويلة اسرائيل التي انقسمت في عهد يربعام الى دويلتين هما: دويلة





اسرائيل في الشمال ومركزها مدينة السامرة ودويلة يهوذا ومركزها مدينة اورشليم (الكنعانية الاصل كما يستدل على ذلك من اسمها الكنعاني)[٢] . وغالبا ما كانت هذه الدويلات والممالك تعقد احلافا سياسية وعسكرية لمواجهة خطر الدولة الآشورية وتعاظم قوتها ، وقد تتلقى العون من القوى الاخرى المعاصرة كالمملكة المصرية ، وكان على الآشوريين ان يعملوا للقضاء على تلك الاحلاف ان هم ارادوا تأمين حدودهم وحماية طرق مواصلاتهم التجارية ، شريان حياتهم الاقتصادية ، الى موانئ البحر المتوسط ومصادر المواد الخام في جبال الارز وجبال الفضة (جبال الامانوس وطوروس).

اما في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية والشرقية فقد كانت تحركات القبائل والاقوام الجبلية على اشدّها ، وكاد ضغطها يقضي على الدولة الآشورية وينهي كيانها السياسي لولا عزم وثبات القوات الآشورية وجرأة وشجاعة قادتها، فكان تجهيز الحملات العسكرية المتتالية على المنطقة محور سياسة الملوك الآشوريين الاقوياء بهدف الحد من غارات هذه الاقوام والقبائل وفرض السيطرة عليها وتأمين طرق المواصلات المارة عبر أراضيها. وكان من بين القوى التي اقلقت الآشوريين سنين طويلة دولة اورارتو (اورارطو) والاقوام الجبلية في منطقة زاموا واقليم تشخاني (جنوب شرقي تركيا) وبلاد نائيري ومنطقة القبائل الميدية الفارسية[٣] .

اما في بلاد بابل فقد كان الملوك الآشوريون البارزون ينظرون الى بلاد بابل على انها النصف الثاني المكمل لبلاد آشور وبأنها جزء منها طالما اعتمدت سياستهم على توحيد ارض العراق واقامة دولة مركزية واحدة تهيمن على كامل اجزائه من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب. وقد اصطدمت هذه النظرة وهذه السياسة مع مصالح بعض القبائل الكلدية التي كانت قد استقرت في اقصى جنوبي العراق ، وكان اهمها قبيلتا كلدو وبيت ياقين ، وهما من القبائل التي ترتبط بالاقوام الآرامية على اغلب الظن ، واقامت لها احيانا سلالات محلية مناوئة للحكم الآشوري وساعية للسيطرة على بلاد بابل بأكملها ، وكانت مملكة عيلام في جنوب غربي ايران تقدم لهذه القبائل العون المادي والعسكري وتحرضها للنيل من الآشوريين والسيطرة على بلاد بابل ، كما كانت توفر لها الملجأ متى ضيّقت الدولة الآشورية الخناق عليها. وطبيعي انه لم يكن استعداد حكام عيلام لتقديم العون والوقوف الى جانب قبيلة كلدو وغيرها من القبائل المستقرة في جنوبي العراق من اجل تلك القبائل او رغبة في مساعدتها لذاتها بل كان هدفهم الرئيس من ذلك الحد من قوة الآشوريين المتزايدة واثارة الفتن والاضطرابات في بلاد بابل لزعزعة الحكم الآشوري فيها ثم محاولة السيطرة على بلاد بابل نفسها. وقد وضحت نوايا حكام عيلام امام الملوك الآشوريين مما دفعهم اخيرا الى مهاجمتهم في عقر دارهم لايقاف تدخلهم المستمر في شؤون بلاد آشور وتم القضاء على مملكة عيلام نهائيا وذلك في اواخر العصر الآشوري الحديث.

وهكذا كان على الآشوريين، ان هم ارادوا البقاء وبناء دولة قوية ، ان يواجهوا هذه التحديات ويقضوا على الاخطار المحدقة بهم او يحدّوا منها بعزيمة قوية وسياسية حكيمة ثابتة ، فكان ان اتبع الملوك المتعاقبون سياسة تجهيز الحملات العسكرية المتتالية على المناطق المختلفة للسيطرة على الاقوام والقبائل التي كانت تهدد كيانهم وارغامها على الاعتراف بسيادة الدولة الآشورية ، اي ان الظروف المحيطة بالآشوريين هي التي أملت عليهم اتباع هذه السياسة ، لذلك "لم تكن اهداف تلك الحروب الا دفاعية محضة في الاساس ، او انها كانت بالاحرى حروبا وقائية تستهدف حماية "أرض الآله آشور" على حد تعبير جورج رو[٤] . ومع ذلك ، فان تحقيق الانتصارات المتلاحقة ، كالتي حققها الآشوريون في عصرهم الحديث ، لايتم من خلال تجهيز الحملات العسكرية للقضاء على الاخطار ومواجهة التحديات فحسب بل كان لابد ان يرافق





ذلك سياسة حازمة ثابتة وقيادة عسكرية مقتدرة وجيش على مستوى عال من الضبط والتنظيم والتدريب والتسليح ومعنويات عالية ونظام اداري كفء يؤمّن للجيش جبهة داخلية متماسكة وقوية ، ويبدو انه توفر للآشوريين معظم هذه الاسباب في عصرهم الحديث فكان ان حققوا تلك الانتصارات الرائعة .

فأما السياسة العامة • فكانت وبحق على درجة كبيرة من النضج وبعد النظر، حيث لم تكن الحملات العسكرية تجهز الاّ بعد دراسة مستفيضة لجميع الاوضاع الداخلية والخارجية للمنطقة المزمع توجيه الحملة عليها ، كما كان يسبق كل حملة اتصالات مكثفّة مع امراء وحكام البلدان المجاورة لضمان ولائهم للسياسة الآشورية ، او تحييدهم على اقل تقدير، لضمان أمن وسلامة الخطوط الخلفية المارة بحدود مملكتهم. وقد تعقد المعاهدات مع بعض الامراء وتوثق بالمصاهرات السياسية من اجل تحقيق العلائق السياسية كما كان رجال الاستخبارات الآشوريون المبعوثون الى تلك المناطق يقومون بدراسة الاوضاع الداخلية ويبعثون بتقاريرهم التفصيلية الى الملك الآشوري ، وقد وردت الينا تقارير بعض اولئك المخبرين ولاسيا فيما يتعلق بحملة سرجون الثامنة التي وجهها على بلاد اورارتو. وقد يضطر الملك الى ايقاف الحملة قبل الشروع بها او حتى بعد بدئها ، من اجل معالجة موقف مستعجل في مكان آخر، كما فعل سرجون عندما اوقف الحملة التي كانت ستوجه الى بلاد بابل ريثما تتم معالجة الجبهة الغربية [٥] ، وقد يقدم الملك بعض التنازلات المؤقتة في جبهة معينة من اجل تحقيق هدف أبعد في جبهة اخرى ، كما فعل اسرحدون بالنسبة لاحد الاقاليم الآشورية الحدودية في الجبهة الشمالية الشرقية [٦] ، كل ذلك وفق سياسة مدروسة من قبل الملك نفسه ، وربما بالتشاور مع قادة الجيش وكبار ضباطه وحكام المقاطعات .

ومن اجل تقوية معنويات الجند المقاتلين ورفعها كان لابد من الادعاء بأن الحملات العسكرية ما كانت توجه الى اية جبهة الاّ تنفيذاً لرغبات الآلهة القومية ووفق توجيهاتها التي اوحتها الى الملك بأحدى الطرق المعروفة آنذاك ، لذا كان الملك ، وقبل ان تبدأ الحملة مسيرتها ، يستخير الآلهة من خلال الكهنة لاخذ موافقتها على بدء الحملة ثم يستخيرها لتحديد الوقت المناسب لبدئها ، وقد يؤجل الموعد ان لم تكن تنبؤات الكهنة وقراء الطالع ملائمة. وكان بعض الكهنة يرافقون الحملة العسكرية ويقومون باجراء الطقوس الدينية في كل مناسبة ويعلنون احيانا عن تجلّي بعض الهتهم ، ولاسيما آلهة الحرب ، في اوقات معينة ، وغالبا في الاوقات العصيبة التي كانت تمر بالجيش الآشوري ، كل ذلك من اجل رفع المعنويات وشحذ الهمم [٧] .

وفي الحملات المهمة كان الملك نفسه يقود الحملة في حين كان يتولى قيادة الحملات الاقل أهمية احد القادة العسكريين او احد حكام المقاطعات القريبة . وقد ذكرت النصوص المسمارية القاب، ورتب كبار القادة امثال الرابشاقة والتورتانو والراب موگي وغيرهم [٨] . وامتازت القوات الآشورية بصلابة افرادها وشجاعتهم وصبرهم على تحمّل الصعاب كما امتازت بخبرتها المكتسبة حيث خاض الجيش الآشوري معارك كثيرة في ظروف وبيئات متباينة ومواسم مختلفة مما اكسب القطعات العسكرية قوة قتالية عالية وتدريباً جيدا .

اما الجبهة الداخلية فكان يديرها وينظمها ويقويها جهاز اداري كفء اثبت كفاءته عبر العصور، ويرجع الفضل الاول في وضع أسس هذا الجهاز الكفوء الى الملك تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥–٧٢٢ ق. م) الذي اعاد تنظيم الدولة الآشورية ووضع لها نظاما اداريا غاية في الدقة ، فقسمها الى مقاطعات وقسم المقاطعات الى وحدات اصغر وأصغر، كما سيشار الى ذلك بالتفصيل في مكان آخر، وعلى غرار ماهو متبع حتى الآن في المنطقة ذاتها ، وكان يشرف على ادارة المقاطعة حاكم يسمى ”سيد المقاطعة“ الذي يمثل الملك في





المقاطعة وينفذ سياسته وتعليماته، يعاونه كادر من الموظفين الاكفاء المختارين استنادا الى كفاءتهم وولائهم. وكان كل حاكم مسؤولاً عن الشؤون المالية والعسكرية والدينية والادارية في المقاطعة، وينطبق هذا التنظيم وهذه المسؤوليات على حكام الوحدات الادارية الاصغر والاصغر. وكان الاتصال بالملك يتم وفق التسلسل الاداري واحياناً يتم الاتصال به على نحو مباشر دون المرور بهذا التسلسل حيث كان بإمكان اي حاكم او مواطن مهما كان مركزه الاتصال المباشر بالملك من خلال رسالة يبعثها لعرض مشكلته امام الملك، الا ان مثل هذه الحالات كانت قليلة جدا[9].

ولادارة البلدان والاقاليم التابعة لنفوذ الدولة الآشورية، فقد اتبعت سياسة ثابتة تجاهها تستند على درجة ارتباطها بالدولة الآشورية المركزية. فهناك الممالك الصغيرة الموالية للسياسة الآشورية، طوعا او خوفا، والتي كانت تعترف بسلطان الآشوريين وتدفع الجزية السنوية المقررة عليها مقابل الحماية العسكرية التي توفرها لها الدولة الآشورية ضد أي اعتداء خارجي او تمرد داخلي. وكانت مثل هذه الممالك تحكمها الاسر الملكية المحلية ولها استقلالها الكامل. اما اذا امتنعت احداها عن دفع الجزية مثلا او سحبت اعترافها بسلطان الدولة الآشورية او تحالفت مع دولة اخرى معادية للآشوريين كان لابد من فرض سيطرة أقوى عليها بعد ان توجه عليها حملة عسكرية تقضي على اسرتها الحاكمة وعلى اعوانها ومؤيدي سياستها وتأتي بحاكم جديد موالٍ للسياسة الآشورية ومستعد لتنفيذ السياسة المرسومة له، وكان مثل هذا الارتباط الجديد يوثق بالمعاهدات ويختم بالقسم وقد يعين في بلاط الحاكم الجديد موظف آشوري يمثل مصالح الدولة الآشورية ويوجه السياسة الخارجية، وقد يزود بقوة عسكرية صغيرة لدعمه ودعم اجراءاته عند الضرورة. اما اذا حنث الحاكم بالقسم وخرج عن العهد او طرد الموظف الآشوري لديه او قتله، عندها توجه على مملكته حملة عسكرية مستعجلة للقضاء عليه وعلى اعوانه من المتمردين ضد السلطة الآشورية وانزال العقوبات القاسية والرادعة بهم والحاق اراضي المملكة بحدود الدولة الآشورية وعدّها من المقاطعات الآشورية التي كان يديرها عادة احد الحكّام الآشوريين[10]، ولعلّ خير نموذج يمثل هذا التطور في العلاقات هي مملكة خانيگلبات في اعالي مابين النهرين والتي اشير اليها سابقا. اما في العصر الآشوري الحديث فهناك العديد من الممالك الآرامية التي مرّت ببعض مراحل هذا التطور.

ولضمان الاتصال الدائم والسريع بين الحكومة المركزية، وعلى رأسها الملك في العاصمة، وبين الحكام والموظفين الاداريين الآخرين في المقاطعات والمدن المختلفة والوقوف على مايجري في ارجاء الامبراطورية وايصال التعليمات والتوجيهات الملكية بالسرعة الممكنة، كان هناك نظام للبريد والمواصلات على درجة كبيرة من الكفاءة والسرعة يسبق نظام البريد الذي نسب ابتكاره الى الفرس الاخمينيين خطأً بعدة قرون[11].

وهكذا كانت هذه الاسباب والعوامل مجتمعة من اسباب قوة الدولة الآشورية وتعاظم نفوذها خلال العصر الآشوري الحديث، ورافق تلك القوة ازدهار حضاري ورفاه اقتصادي واضح. وكان لظهور عدد من الملوك والقادة من ذوي الشخصية القوية والمقدرة المتميزة اكبر الاثر في استثمار هذه الاسباب والعوامل وتوجيهها لصالح الدولة الآشورية.

ومن الطبيعي ان كان من نتائج السياسة الآشورية وسعة نفوذها احتكاك الآشوريين عن طريق الحرب والسلم بسكان البلدان والاقاليم الاخرى، فنقلوا اليهم وعنهم الكثير من العناصر الحضارية فكان هناك تمازج حضاري رائع تشير اليه الآثار المكتشفة في مختلف ارجاء الشرق الادنى القديم.

وتيسيرا لمتابعة تطور الاحداث السياسية المزدحمة التي مرّ بها الآشوريون في عصرهم





الحديث . فقد قسّم عصرهم الى فترتين رئيستين تمثل الاولى عهد الامبراطورية الآشورية الاولى بدأ من عهد ادد- نراري الثاني وحتى اواسط القرن الثامن قبل الميلاد في حين تمثل الفترة الثانية عصر الامبراطورية الآشورية الثانية التي شغلت ماتبقى من حياة الآشوريين السياسية .

## الإمبراطورية الآشورية الأولى

اتسمت الفترة الاخيرة من العصر الاشوري الوسيط والواقعة بين تاريخ اغتيال الملك تجلا تبليزر الاول عام ١٠٧٧ ق. م وتسلم الملك اشور- دان العرش عام ٩٣٤ ق. م. بتمزق الادارة المركزية وانهيار وتأزم الاوضاع الاقتصادية ، فضلا عن الضعف والتقهقر العام الذي انتاب بلاد اشور على الصعيدين السياسي والعسكري . وقد حاول اشور- دان ان يخلص البلاد من بعض ازماتها ويعيد اليها نظامها الاداري ويسيطر على شؤون الدولة التي تقلصت حدودها الى ادناها ، غير ان النهضة الحقيقية حدثت في عهد ابنه وخليفته ادد- نراري الثاني الذي عدّ عهده بداية عصر جديد في حياة الاشوريين.

بدأ ادد- نراري عهده بتجهيز حملة عسكرية على الاراضي الواقعة جنوبي الزاب الاسفل بغية تثبيت مركز الدولة الاشورية في المنطقة واشعار سكانها باستعادة الاشوريين لسالف قوتهم ، وقد تمكنت الحملة خلال ذلك من ضم مدينة ارّابخا (كركوك حاليا) وبعض المدن الاخرى الواقعة الى الجنوب منها الى حدود الدولة الاشورية،وكان من نتائج الحملة ان اصطدم الاشوريون بالبابليين ثانية ، غير ان الصدام هذه المرة انتهى بابرام معاهدة صلح ختمت بزواج سياسي بين الاسرتين الحاكمتين في كل من بابل واشور. وتعد المعاهدة التي عقدت بين الجانبين ذات اهمية تاريخية خاصة حيث انها تذكر، كأساس لاقرار السلام ، موجزا لتاريخ المنازعات الحدودية بين بابل واشور في الفترات السابقة ، لذا كانت للوثيقة اهمية خاصة في معرفة تعاصر الملوك والحكام في كلتا المنطقتين فسميت بالتاريخ التعاصري[١٢] .

وبعد ان ضمن الحدود الشرقية والجنوبية اتجه ادد- نراري الى الاقاليم الواقعة الى الغرب من نهر دجلة حيث كانت القبائل الارامية قد سيطرت على اجزاء كبيرة منها ، ومن خلال عدد من الحملات العسكرية تمكن من فرض سيطرته على المنطقة الواقعة على طول نهر الفرات الاوسط وفرض الجزية عليها واتخذ من بعض مدنها، بعد ان اعاد تحصينها ، حصنا لحماية طرقه التجارية .

كما وجه ادد-نراري عددا من الحملات العسكرية الى المنطقة التي كانت تعرف لدى الاشوريين باسم خانيكلبات حيث قامت في المنطقة مملكة اسستها الاقوام الميتانية وقد امكن حصار مدن هذه المملكة وفتحها ، ثم القضاء على الملك الحاكم والامراء التابعين له. واستمرت مسيرة الجيش الاشوري شمالا حيث جعلت جميع المدن والمناطق الواقعة على طول نهر الخابور تابعة للدولة الاشورية من خلال فرض الجزية على الامراء المحليين وبذلك تم الحفاظ على الامن والاستقرار على الحدود الغربية والشمالية الغربية للدولة الاشورية .[١٣]

ونهج توكلتي ننورتا الثاني (٨٩٠- ٨٨٤ ق. م) ابن وخليفة ادد-نراري ، السياسة نفسها فبدأ حكمه بحملة عسكرية على بلاد نائيري في الجنوب الغربي من بحيرة وان ونجح بعد اربع سنوات من اخضاعها وبسط سيطرته وفرض الجزية عليها كما قام بحملة اخرى على المنطقة الواقعة بين الزابين واخرى الى بلاد بابل التي كانت تحكمها انذاك سلالة محلية ضعيفة لم تتمكن من مواجهة الجيش الاشوري ، فاستمر الجيش الاشوري بتقدمه دون مقاومة باتجاه الجنوب ووصل الى مدينة بابل وسبار، ثم اتجه غربا حتى نهر الخابور ثم شمالا حتى نصّيبين ووصل اخيرا الى منطقة تقطنها اقوام تسمى بالمشكي[١٤] ، وكانت السياسة المتبعة تعتمد ترك





حاميات عسكرية صغيرة في المناطق الحدودية ضمانا لامنها واستقرارها ودفع امراؤهـا الجزية المفروضة عليهم.

ويعد عصر اشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق. م) واحدا من العصور التي وصلت فيها الدولة الاشورية الى الذروة، كما ان هذا العصر ذو اهمية قصوى بالنسبة للباحث المعاصر لكثرة مخلفاته المادية، ولا سيما النصوص المسمارية والتماثيل والمنحوتات الجدارية التي خلفها لنا اشور ناصر بال في عاصمته الجديدة كلخو (النمرود) وقد امدتنا هذه النصوص والمنحوتات بتفاصيل دقيقة عن منجزات اشور ناصر بال العسكرية والعمرانية. ففي الجبهة الشرقية والشمالية الشرقية كانت نشاطاته العسكرية واسعة، حيث جهز حملة عسكرية على المنطقة وفرض سيطرته على الاقوام التي لم تكن خاضعة حتى ذلك الوقت للنفوذ الاشوري كما وجه حملة اخرى الى الشمال الغربي من بلاد اشور وانشأ مقاطعة جديدة مركزها المدينة القديمة تشخان واتخذها قاعدة حصينة ضد بلاد كاشياري ونائيري. اما في الجبهة الغربية، فكانت قد ظهرت دويلة ارامية قوية هي بيت- اديني اتخذت من مدينة بارسب (تل احمر حاليا) جنوبي كركميش عاصمة لها. وكانت هذه الدويلة تثير القلاقل والاضطرابات في المناطق الخاضعة للنفوذ الاشوري على طول نهر الخابور واعالي نهر الفرات وكانت قد اتخذت من مدينة سورو في بيت خالوبي مركزا لنشاطها مما اضطر اشور ناصر بال الى توجيه ضربة قوية وحاسمة عليها قضى فيها على رؤوس التمرد وقتلهم شر قتلة وغنم منهم اموالا كثيرة وقد ضمنت تلك الاجراءات القاسية والسريعة الأمن والسلام في المنطقة لمدة خمس سنوات متتالية.[١٥]

وبعد ان تمت السيطرة على المنطقة انفتحت الطريق امام اشور ناصر بال للتوجه بجيشه نحو سواحل البحر المتوسط، وتقدم لنا حوليات الملك تفاصيل الحملة التي قادها الملك في السنة التالية بحيث اصبح بمقدورنا متابعة مسيرتها يوما بيوم من كركميش وحتى بلوغ الجيش ساحل انطاكية عبر جبل اورنتوس وجبال لبنان والبحر العظيم في ارض امّورو، حيث قام الملك الاشوري بغسل اسلحته في مياه البحر، ربما كطقس ديني واشارة الى انتصاراته وسيطرته على المنطقة.[١٦]

وفي بلاد بابل قام ملك بابل المحلي بمعاونة قبيلة سوهو الارامية بالتمرد ضد السلطة الاشورية، وكان مركز تلك القبيلة على اواسط نهر الفرات فوجهت اليها حملة عسكرية سريعة الحقت بقوات العصاة هزيمة شنيعة في معركة استمرت مدة يومين، وكان من نتائج تلك المعركة ان انتشر الخوف من قوة الملك الاشوري وقوة جيشه كما يقول اشور ناصر بال نفسه:

"وثبت القوة والعزم على بلاد سوهو، وامتد الخوف من سلطاني الى بلاد كارد و نياش (شمال بلاد بابل) وسيطر الخوف من اسلحتي التي تبعث على القشعريرة بلاد كلدو (جنوب بلاد بابل)".[١٧]

وفي السنة التالية واثر تمرد بعض المدن الارامية للمرة الثانية قام الجيش الاشوري بحملة عسكرية وصل بها الى الساحل السوري دون مقاومة تذكر وذلك عن طريق كركميش واور ونتوس ووصل جنوبا الى صور وفرض الجزية على جميع المدن الواقعة على الطريق. وفي اواخر عصر اشور ناصر بال. تمتعت الامبراطورية الاشورية بسلام نسبي واستقرار عام حيث لم يرد ذكر حملات عسكرية، سوى حملة واحدة عام ٨٦٦ ق. م وجهت للقضاء على المتمردين في اقليم كاشياري القريب من حدود دولة اورارتو.

واذا تركنا النشاطات العسكرية جانبا فقد كان اشور ناصر بال الثاني معماراً من الطراز الاول. فعلى الرغم من انه اتخذ عدة مدن قواعد لانطلاقه في حملاته العسكرية ومقرات ادارية، مثل اربيل ونينوى، فضلا عن العاصمة الرسمية اشور، ومدنا اخرى مثل مدينة تشخان على اعالي دجلة، الا انه اولى جلّ اهتمامه لبناء عاصمته الجديدة كلخو





(النمرود) التي كانت في عهده عبارة عن انقاض ترقى بتاريخها الى عهد شيلمنصر الاول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. فقد كان لهذه المدينة اهميتها الستراتيجية الخاصة، وذلك لوقوعها في الزاوية التي يصب فيها الزاب الاعلى في نهر دجلة، اضافة الى سيطرتها على المنطقة الى الشمال من العاصمة القديمة اشور. وقد تم افتتاح المدينة في احتفال كبير دعى اليه مايقرب من سبعين الف شخص، حسب ادعاء اشور ناصر بال وذلك عام ٨٧٩ ق. م. ووصفت لنا المسلة المكتشفة في القصر الشمالي الغربي تفاصيل ذلك كما سيشار الى ذلك في مكان اخر.[١٨]

وتحقيقا لرغبة اشور ناصر بال في تخليد انتصاراته المتلاحقة وانجازاته العسكرية والعمرانية الرائعة والاعلان عنها للاصدقاء والاعداء من اشوريين واجانب فقد استخدمت جميع وسائل الاعلام المتيسرة انذاك واتبعت مختلف السبل لتحقيق هذه الرغبة، فدونت النصوص الملكية باخبار الحملات العسكرية والمنجزات العمرانية ووضعت في اسس الابنية لتطلع عليها، حسب ظنهم، الالهة اولا والاجيال التالية من البشر ثانياً، او نقشت لوحات من الرخام وغلفت بها جدران قاعات القصور من الداخل، او دونت على المسلات والتماثيل الآدمية والثيران المجنحة التي كانت تزين مداخل المدن والقصور والساحات. كما نحتت مشاهد مختلفة من المعارك العسكرية وما رافقها من قتل الاعداء واسرهم وهزائمهم الفادحة تعبيرا عن القوة التي تمتع بها الجيش الاشوري، وعن الشدة والقسوة التي مارستها في معالجة التمرد والعصيان في اي منطقة كانت[١٩]. ومن الطبيعي جدا ان اتصفت مثل هذه النصوص والمشاهد بالمبالغة والغلو في تقدير حجم الانتصارات وبتجاوز اي هزيمة او انكسار وقع للجيش الاشوري والمغالاة في وصف الاساليب القاسية والوحشية احيانا، التي ادعت النصوص واللوحات انها اتبعت لمعاقبة المتمردين والعصاة بهدف ادخال الرعب والخوف في نفوس الاعداء والمتربصين شأنها في ذلك شان معظم وسائل الاعلام الحربية قديمها وحديثها. غير ان بعض مؤرخينا المحدثين، وبصورة خاصة الاوربيين منهم، اتخذوا من هذه النصوص واللوحات وثائق اثبات لايرقى الشك الى ما ورد فيها من تفاصيل بحجة انها صادرة عن الملوك الاشوريين انفسهم وإنها انما تصف الاساليب التي كانت متبعة فعلا في قمع الثورات والحركات في الاقاليم التابعة، فكونوا بذلك انطباعا خاطئا عن الاشوريين وعن سياسة ملوكهم ووصفوا الاساليب التي اتبعوها في معالجة التمردات، بالوحشية والبربرية واللاانسانية، كما وصفوا سياستهم بالاستعمار وحكمهم بالظلم والطغيان دون ان ياخذوا بنظر الاعتبار الاهداف الاعلامية الكامنة وراء كتابة تلك النصوص وتحت تلك اللوحات.

كما انهم من جهة اخرى لم يشيروا الى الظروف التي دفعت بالاشوريين للقيام بالحملات العسكرية المتتالية واتباعهم القسوة والشدة في قمع التمرد والعصيان ضد السلطة المركزية، مما اشرنا اليه سابقا. ولمواجهة التحديات والقضاء على الاخطار التي كانت تهدد كيان دولتهم المتنامية وأخيراً لحماية الطرق التجارية شريان حياة الاشوريين ومصدر رفاهيتهم الاقتصادية. وكان المصدر الثاني الذي اعتمد عليه المؤرخون المحدثون عن تاريخ الاشوريين السياسي والعسكري هو ما ورد في اسفار العهد القديم من اخبار عن البابليين وعدها من الحقائق الثابتة التي لايرقى اليها الشك طالما انها وردت في العهد القديم كتاب اليهود المقدس. غير ان المعروف لدى جمهور الباحثين والعلماء من اوربيين وغيرهم ان اسفار العهد القديم دونت من قبل الاحبار اليهود في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد في اثناء وجود اليهود في بلاد بابل، بعد ان جاء بهم نبوخذ نصر البابلي الى بلاد بابل اسرى، بل ان الاسفار الخمسة الاولى التي يظن اليهود انها تمثل التوراة التي نزلت على موسى – عليه السلام – (في القرن الثالث عشر قبل الميلاد) قد دونت في اثناء وجود





اليهود في بلاد بابل، اي بعد وفاة موسى بسبعة قرون على اقل تقدير. وواضح ان ماطرأ عليها من تغيير وتحريف وتعديل بما يتلاءم واهداف اليهود هو من الامور المسلم بها، فضلا عن ان اليهود كانوا، وما زالوا، يضمرون للاشوريين، ومن بعدهم البابليين، حقدا دفينا وكرها عميقا نظرا لان الآشوريين قضوا على دويلة اسرائيل نهائيا في عهد شيلمنصر الثالث في حين قضى نبوخذ نصر البابلي على دويلة يهوذا واسر حكامها وبعض من والاهم وابعدهم الى بلاد بابل. لذلك فان ماجاء في اسفار العهد القديم من اخبار لايمثل الحقائق التاريخية المجردة بل علينا ان نخضع تلك الاخبار الى النقد التاريخي الموضوعي اخذين بنظر الاعتبار علاقة اليهود بغيرهم من الاقوام التي عدها اليهود من الاجانب لاستنتاج الحقائق التاريخية منها بعد مقارنة تلك الاخبار والروايات بما لدينا من معلومات مستقاة من مصادر اخرى،

واذا اخذنا ذلك بنظر الاعتبار واخضعنا جميع النصوص المسارية والنصوص الكتابية الاخرى الى النقد التاريخي لوجدنا ان الصورة التي وضعها الكتاب المحدثون للاشوريين كانت صورة مشوهة لاتمثل الاشوريين على حقيقتهم بل فيها مغالاة واضحة عن قصد او غير قصد، كما سيتبين لنا ان الاشوريين كانوا اشداء قساة في معالجة التمرد والعصيان اقوياء في المعارك الا انهم لم يتصفوا بالبربرية والوحشية والظلم والطغيان، والفرق بين الشدة والقسوة في معالجة التمرد والعصيان وبين الظلم والطغيان والبربرية والهمجية كبير جدا.[٢٠]

ولقد اثبت شيلمنصر الثالث (٨٥٨– ٨٣٤ ق. م) خليفة اشور ناصر بال الثاني انه كان جديرا بحكم الامبراطورية الواسعة التي ورثها عن ابيه بل انه لم يكتف بالمحافظة عليها وانما وسع من حدودها حتى غدت تضم جميع المناطق الممتدة من الخليج العربي الى جبال ارمينيا ومن تخوم الاراضي الميدية شمال غرب ايران الى سواحل البحر الابيض المتوسط. وفي مجال البناء والتعمير زخر حكمه بنشاطات واسعة في العواصم الاشورية الثلاث، اشور ونينوى وكلخو، اضافة الى امكر– انليل (بلوات) شمال شرقي كلخو ببضع كيلو مترات. وقد حول شيلمنصر العديد من المدن الاشورية المهمة الى حصون ومعسكرات، وكشفت التنقيبات التي اجريت في مدينة كلخو (النمرود) عن بناية ضخمة اطلق عليها المنقبون اسم حصن شيلمنصر. والواقع انها بناية تضم قصرا فخما، فضلا عن كونها حصنا يضم مخازن كبيرة لحفظ تجهيزات الجند وخزن الغنائم. ويبدو ان الجند كانوا يتجمعون داخل البناية في ثلاث باحات فسيحة ويتجهزون بعدتهم اذ يقوم امروهم بتفتيشهم، قبل شروعهم بالحملة العسكرية المقررة، كما وجدت في البناية غرف محيطة بالباحات استخدمت مشاجب للاسلحة وعنابر وملاجئ للجند والضباط.

كانت نشاطات شيلمنصر العسكرية الاولى موجهة الى الجبهة الغربية حيث جهز حملة عسكرية الى الساحل السوري اتجه بها بعد ذلك شمالا الى بيت– اديني، المملكة التي تمردت ضد السلطة الاشورية، فدخلها الجيش الاشوري والحقها بحدود الدولة الاشورية ليحكمها حاكم اشوري بشكل مباشر. كما سيطر على المناطق المحيطة بها وثبت سلطة ونفوذ الدولة الاشورية فيها فتمكن بذلك من تأمين سلامة الطرق التجارية على طول نهر الفرات. ووسع شيلمنصر حدود الدولة الاشورية باتجاه الشمال الغربي وسيطر على ماوراء جبال الامانوس، على اقليم كيليكيا، وكان لذلك اهمية اقتصادية كبيرة حيث كان اقليم كيليكيا يمثل المصدر الرئيس لمعدن الحديد[٢١]. وقد كان من نتائج هذا التوسع ان سارعت الدويلات السورية الى تشكيل حلف عسكري لمواجهة تعاظم قوة الاشوريين في المنطقة وتزعمت الحلف مملكة دمشق الارامية، واصطدمت قوات الحلف بالقوات الاشورية قرب قرقر على نهر العاصي، وادعى الاشوريون انهم اوقعوا خسائر فادحة بقوات الحلف وان عدد القتلى بلغ اربعة عشر الفا من مجموع سبعين الفا من





المقاتلين[٢٢] الا ان الاحداث التالية لاتؤيد الادعاء الاشوري حيث تجدد الصدام بين الطرفين بعد فترة مما يشير الى ان الاشوريين لم يقضوا نهائيا، كما ادعى شيلمنصر على قوات الحلف في معركة قرقر.

وتزودنا مسلة شيلمنصر السوداء المعروضة في المتحف البريطاني بمعلومات وافية عن نشاطات شيلمنصر العسكرية وبصورة خاصة في الجبهة الغربية، ففضلا عن الوصف المسهب الذي تقدمه لنا عن المعارك التي خاضها الجيش الاشوري، نقش على المسلة بخمسة حقول في كل جانب مشاهد عديدة تبين انتصارات شيلمنصر وتقديم الجزية له من قبل حكام البلدان المغلوبة وملوكها، ومنها دويلة اسرائيل حيث صور ملكها جيهو وهو يحبو عند قدمي الملك الاشوري.[٢٣]

وفي بلاد بابل، حدث انقسام في البلاط البابلي بسبب تأييد الملك البابلي للسياسة الاشورية، وايدت القبائل الكلدية الحزب المناوئ لهذه السياسة وكانت هذه القبائل قد استقرت في اقصى الجنوب وفي شرقي دجلة، فجهز شيلمنصر عليها حملتين متتاليتين بهدف القضاء على التمرد ووصلت القوات الاشورية الى سواحل الخليج العربي.[٢٤]

وفي عام ٨٤٩ ق. م. توجه شيلمنصر ثانية الى الجبهة الغربية والشمالية الغربية وجعل مملكة كركميش، وهي اخر الدويلات المستقلة في اعالي الفرات، تابعة للحكم الاشوري المباشر. ومع ذلك فقد ظلت الاضطرابات في الجبهة الغربية وظلت مملكة دمشق تغذي تلك الاضطرابات. وبعد اربع سنوات من ذلك التاريخ حدثت تغيرات جوهرية بين زعماء الجبهة الغربية من ملوك وحكام تبعتها مؤامرات داخلية ومكائد، فاستغل شيلمنصر الفرصة ووجه حملة قوية الى المنطقة واحرز انتصارات باهرة على دويلة اسرائيل وعلى مدن صور وصيدا وبمملكة دمشق ودفعت جميعها الجزية وهي صاغرة في حين اظهرت مصر الود والصداقة وسارعت الى ارسال الهدايا الى الملك الاشوري. وهكذا تمكن شيلمنصر من تثبيت مركزه في الجبهة الغربية شمالا حتى سيطر على اقليم تابال وقو (كيليكيا) وعلى جميع الطرق التجارية المؤدية الى مصادر مواد الخام من اخشاب ومعادن.

اما نشاطات شيلمنصر العسكرية في الجبهة الشرقية والشمالية الشرقية فكانت تتمثل بارسال عدد من الحملات العسكرية التاديبية الى المنطقة للحد من نشاطات القبائل والاقوام الجبلية واستمرارها في خلق الاضطرابات. وكانت الاقوام القاطنة الى الشرق من جبال طوروس قد تجمعت وكونت لها دولة كان لها اثرها في سياسة الاشوريين في الفترة التالية عرفت بدولة اورارتو وكان مركزها عند بحيرة وان ثم اتجهت بنفوذها غربا الى الاناضول وشمال سوريا ونافست اشور في السيطرة على الطرق التجارية. والى الشرق من ذلك كانت هناك عناصر عرقية اخرى تحاول النيل من الاشوريين في مقدمتها الاقوام الميدية الفارسية. وكانت هذه العناصر المتحالفة من القبائل الايرانية قد وصلت الى ايران من الجهة الشمالية في مطلع الألف الاول من قبل الميلاد، وكان الفرس انذاك لايزالون في الشمال الغربي من ايران ثم نزحوا الى الجنوب الغربي الى الاقليم الذي عرف باسمهم فيما بعد وهو اقليم فارس والواقع على سواحل الخليج العربي الشرقية، اما الميديون فقد اتخذوا من مدينة اكباتانا (همدان حاليا) عاصمة لهم وكانوا حينئذ عبارة عن قبائل متنقلة غير متحضرة، وكان على الاشوريين ان يواجهوا هذه العناصر ويقضوا على خطرها.

ويبدو ان السياسة التي اتبعها شيلمنصر لم تلق التأييد الكامل في داخل بلاد اشور نفسها حيث حدثت مؤامرة داخلية تزعمها احد ابناء شيلمنصر، وهو اشور– ادن– ابلي بعد ان ضمن تأييد عدد من المدن الرئيسة. ولان الملك شيلمنصر كان شيخا كبيرا فقد تولى ابنه وولي عهده شمشي– ادد مهمة القضاء على المؤامرة التي اجتاحت بلاد اشور واستغرق ذلك اربع سنوات توفي خلالها الملك





الاب ونصب شمشي- ادد الخامس ملكا على بلاد اشور وذلك عام ٨٢٣ ق. م. واستمر حكمه لمدة اثنتي عشر سنة شغل الجزء الاول منه في اخماد الاضطرابات الداخلية وفي تثبيت مركزه، واعتمد في ذلك على مساعدة الملك البابلي الذي عقد معه معاهدة اعترف بموجبها الملك الاشوري بسيادة ملك بابل مقابل تاييده له. وكان من نتائج الاضطرابات الداخلية ان تزعزعت السلطة المركزية وتمردت الاقاليم الحدودية، ولاسيما في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية وازداد ضغط اورارتو وغدت تشكل تهديدا مباشرا للدولة الاشورية مما اضطر الملك الاشوري الى تجهيز عدد من الحملات العسكرية الى المنطقة لضمان تاييد زعماء وامراء بلاد نائيرى. كما تمكن من فرض احترامه على القبائل الميدية واخذ منها الجزية.

وبالنسبة لبلاد بابل، فيظهر ان خليفة الملك البابلي الذي عقد المعاهدة مع شمشي- ادد كان قد تورط في حلف مع مملكة عيلام ونامرى (وهي دولة شمال بلاد عيلام) والاقوام الكلدية وشكل بذلك حلفا ضد الدولة الاشورية فجهز شمشي- ادد حملة عسكرية عليه وسلك الطريق المحاذي لنهر دجلة من الشرق وقضى خلالها على قوات الحلف ودخل بابل وقدم القرابين الى الالهة القومية وذلك عام ٨١١ ق. م.[٢٥]

توفي شمشي- ادد الخامس وكان ابنه وولي عهده ادد- نراري الثالث صغير السن، ويظن بعض الباحثين ان والدته، اي زوجة شمشي- ادد، التي ورد اسمها في النصوص المسمارية على هيئة شومو- رامات وفي النصوص الاغريقية على هيئة سمير اميس، اصبحت وصية على ابنها لمدة خمس سنوات، وقد تناقلت الروايات والحكايات قصصاً واساطير كثيرة عن شخصية سمير اميس وعن فترة حكمها كوصية على ابنها، وكان اقدم ماذكر عنها رواية هيرودوتس (القرن الخامس قبل الميلاد) كما ذكرها الجغرافي سترابو (٦٤ ق. م- ١٩ م) وديودورس الصقلي (منتصف القرن الاول ق. م) وغيرهم[٢٦]. ووصفت سمير اميس في هذه الروايات بانها كانت شخصية بارزة في البناء والتعمير وفائقة الجمال والحكمة وذات قابلية عسكرية وادارية متميزة، فضلا عن حدة شهوتها الجنسية. ونسبت اليها القصص والاساطير أعمالاً كثيرة منها بناء مدينة بابل وغيرها من المدن واقامة جنائنها المعلقة وبناء السدود ومشاريع الري وفتح بلاد مصر والهند حتى ان احدى الاساطير الارمنية نسبت اليها بناء مدينة عظيمة تطل على بحيرة وان في شرقي تركيا. وبذلك اصبحت سمير اميس رمزا وعنواناً لامجاد حضارة وادي الرافدين. ويبدو من هذه الاساطير والروايات بانها لابد ان كانت ذات شخصية بارزة في العصر الاشوري لكي تحتلّ هذه المكانة عند الكتاب المتأخرين وان هذا ماتؤيده المكتشفات الاثرية في مدينة آشور، حيث كشف في العاصمة القديمة آشور عن صفين من المسلات التذكارية المدونة بالكتابة المسمارية تخليداً لذكرى شخصيات اشورية مختلفة،وكانت جميع المسلات في الصف الاول خاصة بكبار الموظفين بينما كانت مسلات الصف الثاني خاصة بالملوك باستثناء الثلاثة الاخيرة حيث خصصت الاولى الى ملكة (سيدة القصر) آشور بانيبال والثانية لسيدة سنحاريب (وقد فقد اللقب) اما الثالثة فقد خصصت الى شومورامات ونقرأ فيها النص الآتي:

° مسلة شومورامات:
ملكة [حرفياً سيدة القصر] شمشي- ادد
ملك الجميع، ملك اشور،
والدة ادد- نراري،
ملك الجميع، ملك آشور،
زوجة ابن شيلمنصر
ملك الجهات الاربع[٢٧].

وان حقيقة ذكر سمير اميس في هذه المسلة ووجود المسلة بين مسلات ملكية وانها وضعت لوحدها بأنها والدة الملك مما يشير الى انها كانت تحتلّ مركزاً خاصاً في عهد ابنها ادد- نرارى. كما يلاحظ ان حاكم كلخوكرس تمثالين كتب على احدهما،





من اجل حياة ادد- نراري، ملك بلاد آشور، سيده، وعلى الاخر، من اجل حياة شومورامات، سيدة القصر، سيدته، مما يشير الى المركز المرموق الذي احتلته سمير اميس في عهد ابنها. غير ان هذه المكتشفات مع انها تشير الى المكانة الرفيعة التي تمتعت بها شمورامات، على خلاف الملكات الآشوريات الاخريات، فانها لاتشير الى قيامها باعمال ضخمة كالتي نسبت اليها في الاساطير، وهذا يضعنا امام لغز تاريخي يثير كثيراً من التساؤلات لعل اولها هو معرفة كيفية تجمع هذه الحكايات والاساطير حول شخصية الملكة الاشورية التي لم تحكم وصية على ابنها سوى خمس سنوات مع العلم انه لم تكن تلك السنوات الخمس ذات اهمية خاصة في التاريخ الآشوري مقارنة مع عهود الملوك الاخرين. وقد ارتأى احد الباحثين تفسيراً لذلك وهو ان شمورامات كانت اميرة بابلية تزوجت من الملك الآشوري وان هيرودوتس وهو اول من كتب عنها اخذ رواياته من الكهنة البابليين، واعتزازاً من الكهنة البابليين باميرتهم فقد بالغوا في الاعمال الجليلة التي قامت بها واضاف الى ذلك هيرودوتس من خياله الخصب ما اضاف،وهكذا فعل من جاء بعده حتى تجمعت تلك الاساطير حول شخصيتها الى درجة ان احدى الاساطير جعلتها ابنة الهة نصفها سمكة ونصفها الاخر حمامة، وكانت هذه الالهة تعبد في مدينة عسقلون، وربما كان لذلك علاقة بمعنى اسم شمورامات الذي يعني «محبوبة الحمام» وتذكر الاسطورة انه بعد ان وضعت ابنتها شمورامات تخلت عنها فاخذها طير الحمام ورماها ثم عثر عليها كبير رعاة الملك فتولى تربيتها ولما كبرت ورآها حاكم مدينة نينوى المسمى اونيس احبها وتزوجها غير ان الملك نينوس هام بها ايضاً فأكره زوجها على ان يتخلى عنها مما دفعه الى الانتحار حزناً عليها وتزوجها الملك نينوس ونالت عنده حظوة ومقاماً رفيعاً ومكانة مرموقة فاستغلت ذلك واستعطفت زوجها ان يتوجها على عرش المملكة لفترة قصيرة، ففعل ذلك ولكنها سرعان ماسجنت زوجها او انها قتلته وتفردت بالملك وحكمت اكثر من اربعين عاماً فقامت خلال ذلك بمثل هذه الاعمال الخارقة ومن الواضح ان المعلومات الاثارية المتوفرة لدينا لاتؤيد مثل هذه الروايات والاساطير[٢٨].

وقد شهد حكم ادد- نراري الثالث (٨٤٠- ٧٨٣ ق. م) وحكم ابنه شيلمنصر الرابع (٧٨٢- ٧٧٢ ق. م) تزايد ضغوط دولة اورارتو على الحدود مما دفع بالدويلات السورية الى اعادة تشكيل الحلف العسكري المضاد للدولة الآشورية، فقام الملك الآشوري بارسال عدة حملات عسكرية لمواجهة قوات الحلف[٢٩]، ومع ذلك فقد انكمشت قوة الدولة الآشورية وتقلص نفوذها في شمال سوريا وقاست كثيرا خلال عهود الملوك الضعفاء الذين تعاقبوا على العرش الآشوري بعد ذلك فتمكنت اورارتو من السيطرة الكاملة على الطرق التجارية القادمة من ايران والطرق المؤدية الى الساحل السوري وآسيا الصغرى،وبذلك تسببت بنشوء ازمات اقتصادية في بلاد آشور نتيجة انقطاع تجارتها،وقد اثر ذلك بالطبع على نشاطها العسكري ايضا. وتغيرت أوضاع الدولة الآشورية في هذه الفترة، فلم يعد لها سوى موقف الدفاع عن سيادتها ضد الاقوام التي انتهزت فرصة تردي الاوضاع واستمر الوضع كذلك في عهد آشور- دان الثالث (٧٧١- ٧٥٤ ق. م) وازدادت الاوضاع ترديا خاصة بعد ان حلّ وباء عام في بلاد آشور فتك بالسكان وان اهم مايذكر عن عهد هذا الملك هو حدوث كسوف شمس ذكره اثبات الليمو وذلك في السنة الثالثة من حكم اشور- دان الثالث،وقد تمكن الفلكيون المعاصرون من تحديد سنة حدوث الكسوف وحدّدوا اليوم والشهر الذي حدث فيه وكان ذلك في ١٥/ ٦/ ٧٦٣ ق. م، وبذلك امكن تحديد نقطة ثابتة في التاريخ القديم تمّ بها تحديد فترة حكم الملوك السابقين واللاحقين لآشور دان بالنسبة الى وقتنا هذا وبصورة دقيقة.





وزادت الاوضاع تأزماً واندلعت ثورة عامة في المدن الاشورية وذلك عام ٧٤٦ ق. م اغتيل خلالها الملك آشور- نراري الخامس وجميع افراد اسرته ونصب بدلا عنه تجلاتبليزر الثالث الذي عهده بداية عهد امبراطوري جديد.

## الامبراطورية الآشورية الثانية

اعتلى تجلا تبليزر الثالث العرش الاشوري، وبلاد اشور اكثر ماتكون تمزقاً واضطراباً، وكان على الملك الذي نصبته الثورة ان يستوعب الاوضاع العامة التي كانت تمر بها البلاد و ان يبادر الى معالجتها وفق خطة مدروسة ويضع الحلول الناجحة لها. وقد اثبت تجلا تبليزر انه كان حقاً سياسياً من الطراز الاول وادارياً ناجحاً وقائداً عسكريا مقتدراً استطاع خلال سني حكمه الذي استمر مايقرب من عشرين عاماً (٧٤٥- ٧٢٣ ق. م) ان يقضي على الفوضى السياسية والارتباك الاقتصادي الذي عم بلاد اشور وان يعيد للدولة سابق هيبتها وسلطانها ويوفر لها الاستقرار ويزيد من نفوذها ويوسع حدودها الى مناطق جديدة لم تكن تابعة لها. وكما اشرنا سابقاً لم تكن العمليات العسكرية التي قام بها تجلا تبليزر ومن جاء بعده من الملوك الآشوريين لتؤتي ثمارها وتحقق اهدافها بالشكل المطلوب لولا الاصلاحات الجذرية في جهاز الدولة الاداري والتنظيمات الجديدة التي اعيد بموجبها تنظيم الجيش والسياسة الواضحة التي اتبعت تجاه الدول والممالك التابعة وقد عد كثير من الباحثين عهد تجلا تبليزر بداية عصر امبراطوري جديد في تاريخ الآشوريين[٣٠].

استهدفت الاصلاحات التي ادخلها تجلا تبليزر[٣١] الى جهاز الدولة الاداري تقوية السلطة المركزية والتقليل من سلطة حكام المقاطعات وتقليص حدود مقاطعاتهم لمنع تزايد قوتهم واحتمال تمردهم فاعاد تقسيم المقاطعات الاشورية وزاد من عددها على حساب مساحاتها وقسم كل مقاطعة الى وحدات ادارية اصغر واصغر، وعين لكل وحدة ادارية موظفاً مسؤولاً اقل درجة من الموظف الذي يليه وكان النظام يقضي بارتباط بعضهم ببعض، ومع ذلك كان بوسع اي موظف ان يشتكي الى الملك مباشرة ويمثل امامه ان اقتضى الامر دون المرور بالتسلسل الاداري، كما تضمن الاصلاح الاداري تغيير وضع الممالك والدويلات الموالية والتابعة على الحدود والعمل على جعلها مقاطعات آشورية يديرها حكام آشوريون بصورة مباشرة كلما كان ذلك ممكناً. وقد يكتفي بتعيين موظف آشوري في بلاط المملكة التابعة للاشراف على شؤونها العسكرية وسياستها الخارجية وتوجيهها حسبما تمليه مصلحة الدولة الاشورية مقابل الحماية العسكرية التي تقدمها الدولة الاشورية لمثل هذه الممالك ضد اي اعتداء خارجي او تمرد داخلي. وباتساع رقعة الدولة كان لابد من تطوير نظام البريد والمواصلات لزيادة دقة الاشراف والمراقبة على المقاطعات وايصال التعليمات والتوجيهات الملكية في الوقت المناسب ووصول التقارير الخاصة بالمقاطعات الى الملك.

وفيما يخص تنظيم الجيش يبدو ان تجلا تبليزر وجد ان نظام التجنيد الذي كان متبعاً، والذي اعتمد اساساً على تجنيد المزارعين والعبيد الذين يقدمهم ملاك الاراضي من الآشوريين، لم يكن مجدياً وملائماً، فاستبدله بنظام جديد كان اساساً لنظام الجيش الدائم، ففرض على كل مقاطعة من المقاطعات الاشورية تقديم عدد معين من المقاتلين لتكوين فرقة خاصة[٣٢]، ولابد ان اختصت كل مقاطعة بصنف معين من اصناف الجيش بما يتلاءم وطبيعتها وطبيعة سكانها فتضاعف حجم القوات العسكرية وغدا الجيش الذراع القوي الذي يحمي حدود الدولة ويفرض سلطتها على جميع انحاء الامبراطورية، واتبع تجلا تبليزر الى جانب ذلك، وعلى نطاق واسع، سياسة ترحيل السكان





المتمردين الى مناطق اخرى من المملكة واستبدالهم بسكان آخرين منعا لاي تمرد وقطعاً لاي اتصال بينهم وبين سكان المقاطعات المجاورة ، وكان من نتائج ذلك مزج سكان الامبراطورية ، وقد صورت لنا المنحوتات الاشورية مشاهد من عمليات الترحيل هذه[٣٣] .

وعملا بالسياسة الادارية الجديدة فقد كان من اولى نشاطات تجلا تبليزر الادارية اعادة تنظيم المنطقة الواقعة الى الشرق من نهر دجلة بهدف ضمان حدود الدولة الاشورية الشرقية ، فقسم المنطقة الى مقاطعتين اشوريتين امتدت الاولى ، وهي مقاطعة أرّابخا (كركوك حالياً) حتى شرقي بغداد في حين امتدت الثانية لتشمل الاراضي الواقعة الى الجنوب منها وكانت تفصل بين بلاد بابل وبلاد عيلام.

وحيث كانت سياسة الملك البابلي حينئذ موالية للسياسة الاشورية فقد امكن ضمان امن الحدود الجنوبية وسلامها ، كما ان ذلك قطع الطريق على مملكة عيلام للتدخل في شؤون بلاد بابل. وازاء ذلك . تمكن تجلاتبليزر ان يتوجه الى الجبهة الشمالية الشرقية حيث كانت دولة اورارتو تزيد من ضغوطها على حدود الدولة الاشورية وتهدد بقطع مواصلاتها ، فوجهت حملة عسكرية الى اراضي تمري ، وهو اقليم يقع شمالي زاموا (السليمانية) وامكن فرض السيطرة على الحكّام المحليين وفرض الجزية عليهم وقد انذرت هذه الحملة ساردر، ملك اورارتو، بالخطر فسارع الى تشكيل حلف مضاد للآشوريين جمع الامراء الحيثيين والاراميين في شمال سوريا مما دفع تجلا تبليزر الى تجهيز حملة ثانية في السنة التالية لمواجهة قوات الحلف واوقع بها هزائم شنيعة ، استناداً الى ما جاء في حوليات الملك الآشوري ، حيث ذكر انه وقع في المعركة مايقرب من ثلاثة وسبعين الفا من الاعداء ، اما ساردر نفسه فقد هرب ليلا تاركا وراءه جميع ممتلكاته الشخصية،في حين سارعت الدول التي لم تتورط في الحلف الى دفع الجزية وتقديم الولاء[٣٤] . وبعد هذه الانتصارات اتخذت سوريا قاعدة عسكرية لتوجيه الحملات الى الشمال والشمال الشرقي. وفي عام ٧٣٤ ق. م. حدثت الاضطرابات في جنوبي فلسطين واعيد تشكيل حلف شمال سوريا الذي ضم عدداً من الدويلات السورية ودويلة اسرائيل فقام تجلا تبليزر بمعالجة الموقف ووجه حملة اخرى الى المنطقة اعاد خلالها سيطرته عليها وجعل عدداً من الدويلات التي كانت تدين بالتبعية تحت الحكم الاشوري المباشر.

وبعد وفاة ملك بابل الموالي للآشوريين تمردت القبائل الكلدية على اشور في حين ظل سكان المقاطعات الواقعة شرقي دجلة الى الشمال من بلاد بابل ، وكذلك سكان بلاد بابل المحليين انفسهم مؤيدين للسياسة الآشورية. وقد استخدم تجلا تبليزر الاساليب الدبلوماسية اولا للقضاء على الاضطرابات التي اثارتها القبائل الكلدية وذلك من خلال تحييد بعضها ، كقبيلة بيت اديني ، ثم جهز حملة عسكرية على المتمردين الباقين ودخل بابل وقلد نفسه ملكاً عليها[٣٥] وعرف في المصادر البابلية باسم بول (Pul).

وفي عهد شيلمنصر الخامس (٧٢٧- ٧٢٢ ق. م) تغير الموقف في الجبهة الغربية حيث امتنع كل من ملك اسرائيل وملك صور عن دفع الجزية مما دفع بالملك الآشوري الى ارسال حملة عسكرية استولت على صور اولا ومن ثم اعادت سلطتها على دويلة اسرائيل وفرضت الجزية عليها. غير ان هذه العمليات لم ترق لملك اسرائيل فامتنع عن دفع الجزية ثانية ، وربما كان ذلك بتشجيع من فرعون مصر فارسلت حملة اخرى الى دويلة اسرائيل وحوصرت مدينة السامرة حتى استسلمت للملك الآشوري[٣٦] وربما كان سرجون ، الذي اعتلى العرش الآشوري بعد ذلك قائداً للجيش الآشوري الذي فتح السامرة حيث ادعى سرجون فيما بعد انه هو الذي قضى على ملك اسرائيل. اما بالنسبة لبلاد بابل فقد توج شيلمنصر نفسه ملكا عليها كما فعل ابوه من قبل وعرف لدى البابليين باسم اولولو.

اعتلى سرجون (شروكين «الملك الصادق» او «الثابت») العرش الاشوري عام ٧٢١ ق. م. ولا تعرف علاقاته بسلفة وربما كان غاصبا للعرش، كما لايعرف اسمه الحقيقي ويبدو انه تسمى بسرجون عند او بعد اعتلائه العرش مباشرة، ربما تيمنا بالملك الاكدي الشهير سرجون الذي حكم قبله بمئات من السنين[٣١]، ويمثل عهد سرجون بداية حكم سلالة ملكية جديدة تتابع على الحكم منها اربعة من اشهر ملوك العراق طرّاً واغزرهم من حيث المخلفات المادية وهم سرجون وسنحاريب واسرحدون واشور بانيبال، كما يمثل عهد حكم هذه الاسرة نهاية حكم الدولة الاشورية السياسي في المنطقة.

تشير المصادر المسمارية الى ان الاوضاع العامة في داخل بلاد اشور كانت مرتبكة عندما تولى سرجون الحكم فقد استغلت بعض المقاطعات الحدودية فرصة انتقال الحكم، ربما بشكل غير شرعي، واعلنت التمرد والعصيان ضد السلطة المركزية ويخبرنا سرجون نفسه بانه «جرد اهل آشور من التجنيد القسرى ومن جباة الضرائب»[٣٨]، وهي اشارة واضحة الى الاوضاع المرتبكة التي واجهها سرجون في سنة حكمه الاولى.

اما بالنسبة للاوضاع الدولية فيبدو أن انتصارات تجلا تبليزر الساحقة في الجهتين الشرقية والغربية قد أثارت كلا من مملكة عيلام والمملكة المصرية ودفعت بها الى اتخاذ الاجراءات الاحترازية للحد من نشاط الدولة الآشورية والعمل على تقويض سلطانها حيث كان من نتائج سيطرة الآشوريين على بلاد الشام وموانيء البحر المتوسط أن تأثرت علاقة مصر بهذه المنطقة وانقطعت تجارتها معها وتوقف تزويدها بما تحتاجه من المواد الخام، ولاسيما الأخشاب، في حين نتج عن سيطرة الدولة الآشورية على الجبهة الشرقية قطع طرق مواصلات عيلام التجارية عبر ايران[٣٩]، لذا بدأت مصر بتقديم العون والمساعدة الى الدويلات السورية في الوقت الذي كانت فيه عيلام تغذّي حركة التمرد والعصيان في الأقاليم المحلية التابعة للدولة الآشورية وتمنّي شيوخ القبائل الكلدية القاطنة في جنوبي بلاد بابل بتقديم العون المادي والعسكري وتوفر لها الملجأ متى ضيقت الدولة الآشورية الخناق عليها. ويبدو ان ملوك عيلام وجدوا آذانا صاغية عند مردوخ ـ ابلا ـ ادينا (الصيغة التوراتية مردوخ ـ بلادان)[٤٠]، وهو زعيم قبيلة بيت ياكيني الذي نصب نفسه ملكا على بابل سنة اعتلاء سرجون العرش الآشوري معتمدا على اسناد مملكة عيلام له. وقد اضطر سرجون الى تجهيز حملة عسكرية سلكت الطريق الواقعة الى الشرق من بلاد بابل وواجه اعداءه من العيلاميين عند مدينة دير بين دجلة وسلسلة جبال زاجروس وادعى انه حقق انتصارات ساحقة على العيلاميين غير ان هناك وثيقة بابلية محايدة تشير الى ان الملك الآشوري خسر المعركة او انه انسحب بقواته قبل حسم المعركة[٤١]، ربما بسبب ماحدث في الجبهة الغربية من اضطرابات واضطرار الجيش الى التوجه هناك، وتشير الاحداث التالية الى ان سرجون قد ترك الاوضاع في بلاد بابل دون تغيير جذري لمدة عشر سنوات ظلَّ خلالها مردوخ ـ ابلا ـ ادينا ملكا على بلاد بابل. وقاست المدن البابلية كثيرا في هذه الفترة وتردّت الأوضاع الاقتصادية وتحكمت القبائل الكلدية والعيلامية بالأوضاع الداخلية مما دفع بالبابليين الى ان يستنجدوا بالملك الآشوري لتخليصهم من تلك الاوضاع. ويبدو أن سرجون قد توجه، بعد ان ثّبت مركزه في الغرب، نحو بلاد بابل ثانية وذلك عام ٧١٠ ق.م. واعدّ لذلك حملة عسكرية قوية استمرت لمدة سنتين، اعاد بعدها سلطته على مدن بلاد بابل، وقد رحّب سكان تلك المدن بمجيئه فأعلن سرجون نفسه نائبا للأله في بلاد بابل غير أنه عاد ونصب مردوخ ـ ابلا ـ ادينا زعيما على قبيلته بعد أن قدّم له الخضوع والولاء، وسارع بعد ذلك كل من ملك فريجيا المدعو «ميداس» وملك دلمون (البحرين) اويبري الى اظهار الود والصداقة نحو سرجون وأرسلوا اليه الهدايا.





اما في الجبهة الغربية ، فقد تمردت بعض المدن السورية والفلسطينية ضد الحكم الآشوري مستغلة اعتلاء سرجون العرش وتزعمت مدينة حماة حلفا عسكريا لمواجهة الآشوريين مما اضطر سرجون الى ترك المشكلة البابلية حينا والتوجه بحملة مستعجلة نحو الغرب لمواجهة قوات الحلف عند قرقر وتمكن من القضاء على قوات الحلف وأخضعت حماة وجعلت مقاطعة آشورية،واتجه الجيش الآشوري بعد ذلك بمحاذاة سواحل البحر المتوسط الى ان وصل جنوبا الى غزة واقترب من الحدود المصرية وثبت هيمنته على جنوبي فلسطين. غير ان الأوضاع في المنطقة تطلبت القيام بحملة اخرى وجهت اليها عام ٧١٦ ق.م ، اي بعد خمس سنوات ، ووصلت القوات الآشورية هذه المرة الى وادي العريش حيث اقيم لاول مرة مركزا حربيا آشوريا على حدود مصر[٤٢] . وبعد ان احكم سرجون سيطرته على الجبهة الغربية ، قام بحملة عسكرية على بلاد ايران وضم عدداً من المقاطعات المهمة في منطقة كرمنشاه وهمدان الى حدود الدولة الآشورية [٤٣] .

غير ان المشكلة الرئيسة التي واجهها سرجون والخطر الذي كان يهدد كيان دولته جاء من تزايد ضغوط الاقوام الشمالية التي كانت جماعة منها قد شكلت لها مملكة قوية عرفت باسم زكرتو شرقي بحيرة اورميا ، وكان الميديون يؤلفون جزءاً مهما من هذه الأقوام. وقد اتفق ملك اورارتو مع ثلاثة من زعماء الميديين للوقوف ضد الدولة الآشورية. وبدأ ملك زكرتو باثارة الاضطرابات في الأقاليم الآشورية الشرقية ، فأرسل سرجون عدة حملات تأديبية الى المنطقة غير ان تدخلات اورارتو استمرت في شؤون الأقاليم الآشورية ، لذلك كان لابد من وضع حد لها . فوضعت الخطط اللازمة للقيام بهجوم واسع على اورارتو، وبدأت تقارير الاستخبارات الآشورية وتقارير الجواسيس الاجانب في المنطقة تنهال على الملك الآشوري مشجعة اياه للقيام بتدخل عسكري في المنطقة،وتبين له أن الوقت كان ملائما للقيام بالهجوم المرتقب. وبدأت الحملة الكبيرة التي قادها الملك سرجون نفسه الى اورارتو عام ٧١٤ ق.م. وكانت من أقوى الحملات العسكرية الآشورية الى المنطقة. وقد أمكن التعرف على تفاصيل الحملة من رسالة مطولة كتبها سرجون وعنونها الى «الاله آشور، ابو الآلهة ، والى الآلهة ، والآلهات المتحكمة بالقدر، الى المدينة وسكانها والى القصر في وسطها» ربما ليضفي الشرعية على الحملة. ويظهر تأييد الاله له الى جانب الناحية الاعلامية التي ارادها سرجون لاطلاع جميع الناس على الانتصارات الباهرة التي حققها ، وقد عرفت الحملة لدى المحدثين بحملة سرجون «الثامنة» . بدأ سرجون زحفه الى مقاطعة زاموا ثم استمر شمالا وشرقا الى حدود زكرتو وفتح المدن المحصنة التابعة لها واتجه بعد ذلك غربا وقاد هجوما خاطفا مع حرسه وقواته الخاصة على احد اجنحة الجيش المعادي وشتت شمله ثم عاد وهجم بجيشه الرئيس على قوات اورارتو ودحرها ونشر الرعب ، كما يقول . بين صفوفها وانهزم قائد جيش اورارتو ومعه قواته شر هزيمة وهرب روساس ، ملك اورارتو «ولازم الفراش كامرأة في المخاض ، ورفض ان يمس فمه طعام او شراب وجلب على نفسه مرضا لاعلاج له» [٤٤] ، وفي طريق عودة الجيش الآشوري قاد سرجون نفسه الفا من جنوده المنتخبين وهاجم مدينة موصاصير ذات الموقع الحصين ، وهي احدى دويلات المدن الاورارتية المنعزلة وذات القدسية الخاصة والتي لم تقدم الخضوع لسرجون ، وقد امكن اخضاعها وبذلك ضمن سرجون امن واستقرار المنطقة لمدة طويلة باستثناء بعض التمردات البسيطة .

وتضمنت نشاطات سرجون العسكرية ، فضلا عن ذلك ارسال حملة الى دولة كركميش في الشمال وعدد من الحملات الاخرى الى آسيا الصغرى حيث فرضت الهيمنة على كيليكيا وفريجيا . وفي عام ٧١٠ ق.م. كانت سيطرة سرجون كاملة على جميع ارجاء الامبراطورية الآشورية وغدت

الدولة الآشورية بالرغم من جميع التحديات والمخاطر اقوى دولة في المنطقة.

ولم يكن سرجون سياسيا قديرا وقائدا عسكريا فذا فقط بل كان معمارا من الطراز الاول حيث قام بنشاطات عمرانية واسعة في المدن المختلفة وتوج اعماله ببناء عاصمة جديدة له اختار لها موقعا قريبا من نينوى وعرفت باسمه "دور— شروكين" أي "حصن سرجون" وكان سرجون قد اتخذ من آشور عاصمة له ثم انتقل الى نينوى واتخذ كلخو (النمرود) قاعدة عسكرية، وأخيرا باشر ببناء عاصمته الجديدة وفق مخطط متكامل وذلك عام ٧١٧ ق. م. واستمر العمل فيها حتى السنة الأخيرة من حياته حيث انتقل اليها عام ٧٠٦ وتوفي في العام التالي. ولم يتخذها اي من أبنائه الذين خلفوه في الحكم عاصمة لملكهم بل ان المدينة هجرت قبل ان تسكن فعليا كما سيأتي ذكر ذلك في مكان آخر.[٤٥]

اعتلى سنحاريب[٤٦] العرش وقد بلغت الدولة الآشورية الى اقصى حدودها، باستثناء مصر التي لم تكن قد ضمت اليها بعد، كما كانت الحضارة الآشورية قد وصلت الى أوج ازدهارها. وكان سنحاريب من الشخصيات البارزة القليلة التي ظهرت في تاريخ وادي الرافدين، وأثبتت مقدرتها وكفاءتها وخلّفت من الاثار الضخمة ما تزدان به متاحف العالم اليوم. وكان قد تدرب على أساليب الحكم والادارة وقيادة الجيش قبل توليه الحكم عندما كان وليا للعهد يعيش ويتدرب ويتثقف في قصر ولاية العهد (بيت ريدوتي) جريا على التقاليد الآشورية الملكية. كما كان قد شغل فعلا عددا من المناصب الادارية وربما قاد الجيش في عهد والده سرجون كما يستنتج ذلك من بعض رسائله الى والده.[٤٧] وكانت نشاطات سنحاريب العمرانية واسعة جدا شملت جميع المدن الآشورية وفي مقدمتها العاصمة نينوى التي اولاها اهتماما خاصا، وأعاد بناء قصورها ومعابدها ووسع من اسوارها وشوارعها، واقام فيها الحدائق والبساتين وجلب اليها المياه، اما النشاطات العسكرية التي قام بها سنحاريب فقد شغلت معظم سني حكمه وكانت مركزة بالدرجة الاولى في جبهتين: الغربية والجنوبية الشرقية. اما في الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية، فيبدو ان العمليات العسكرية الواسعة التي قام بها سرجون، ولاسيما حملته الثامنة، قد ضمنت للدولة الاشورية استقرارا نسبيا في المنطقة لمدة من الزمن طالما لم تقم اورارتو والاقوام الجبلية الاخرى بما يعكر صفو المنطقة ويهدد امنها واستقرارها، لذا يمكن القول ان العمليات العسكرية التي قام بها سنحاريب وخلفيه اسرحدون وآشور بانيبال والموجهة الى كل من الجبهتين الغربية، بما فيها مصر، والجنوبية الشرقية، بما فيها عيلام، كانت عمليات دفاعية احترازية طالما كانت مصر من جهة وعيلام من جهة اخرى وراء معظم التمردات والاضطرابات التي كانت تحدث في المناطق المجاورة لها والتابعة لنفوذ الدولة الاشورية.

فبعد وفاة سرجون في ظروف غامضة بدأت الاضطرابات وحركات التمرد في المدن والدويلات السورية والفلسطينية ضد الحكم الآشوري، وكانت مصر تدعم ذلك مما حدا بسنحاريب الى تجهيز حملة عسكرية توجهت نحو الجبهة الغربية وذلك عام ٧٠١ ق. م. ودارت اول معركة بين الجيش الآشوري ولوليا احد الحكام المتمردين الذي هرب الى جزيرة قبرص بعد الهزيمة التي حلت بقواته وفرضت السيطرة الآشورية على المدن الفينيقية صور وصيدا كما يذكر ذلك سنحاريب قائلا: "في حملتي الثالثة ذهبت الى ارض خاتي (سوريا)، لوليا ملك صيدون، لم يعترف بسلطتي، هزمته وفرضت سيطرتي عليه وولى مدبرا الى وسط البحر ومات هناك..."[٤٨] ثم استمر سنحاريب بتقدمه نحو بقية المدن السورية حيث سيطر على مدينة عسقلان واسر حاكمها صدقيا: "صدقيا، ملك عسقلان الذي لم يخضع لسيطرتي، حملت آلهة ابيه ونسائه واخوته الى بلاد آشور[٤٩]. ثم واصل سنحاريب زحفه الى المدن الاخرى حتى وصل الى





مدينة لاخيش وحاصرها وعند ذاك وصل الجيش المصري بقيادة طهراقا لمساعدة المدن السورية مما اضطر سنحاريب الى رفع الحصار عن لاخيش ومواجهة الجيش المصري الذي مني بالهزيمة وأسر ابناء الفرعون المصري وقواده ثم عاود سنحاريب بعد ذلك حصاره لمدينة لاخيش حتى اضطرها للاستسلام.

اما حزقيا حاكم أورشليم، فكان قد أعدّ العدّة لمواجهة الجيش الآشوري وقام بتحصين مدينته تحصيناً قوياً غير انها، مع ذلك لم تقوَ على حصار الجيش الآشوري فاستسلمت أخيراً ودفعت الجزية وهي صاغرة، وهكذا تمكن سنحاريب من اعادة سيطرته الكاملة على الجبهة الغربية وربما كان من مخططاته التوغل الى داخل مصر للقضاء على الفرعون المصري وتقدم الجيش الآشوري الى منطقة العريش او رفح على بعد ٣٠ ميلا شرقي القناة غير انه عدل عن التقدم، ربما بسبب سوء الاحوال الجوية، وتكبدت القوات الآشورية خسائر كبيرة من جراء ذلك، كما تذكر أسفار العهد القديم وروايات الكتاب الاغريق غير ان المصادر الآشورية تغفل، كعادتها، ذكر الخسائر وتتجاوز مثل هذه الاحداث[٥٠].

اما بالنسبة لبلاد بابل فكانت سياسة سنحاريب، كغيره من الملوك الآشوريين البارزين، تقضي بالمحافظة على وحدة بلاد الرافدين اي وحدة بلاد بابل وآشور، واتخاذ جميع الاجراءات والاحتياطات من اجل تحقيق ذلك للعلاقة الوثقى بين المنطقتين والتاريخ والمصالح المشتركة التي كان يشعر بها كل من البابليين والاشوريين، كما ان الحضارة الواحدة التي كان يعيش في ظلها سكان كل من بلاد بابل واشور قوّت من هذه الروابط. وهكذا نجد سنحاريب يولي اهتماماً خاصاً لحل المشكلة البابلية ويعمل للقضاء على مملكة عيلام التي كانت لاتنفك تثير الفتن والاضطرابات في بلاد بابل وتستميل بعض القبائل الكلدية وتمدها بالعون المادي والعسكري من اجل التمرد على النفوذ الآشوري، وكان هدفها السيطرة على بلاد بابل نفسها، كما تؤكد ذلك محاولات عيلام المتكررة لغزو بلاد بابل عبر العصور المتتالية، وقد ساءت الاوضاع في جنوبي بلاد بابل بعد وفاة سرجون، واستغل مردوخ - ابلا - ادينا الفرصة فعاد يطالب بعرش بابل تسنده القبائل الكلدية ومملكة عيلام. وكان سنحاريب قد نصب آنذاك ملكاً موالياً للسياسة الاشورية على بلاد بابل، فتوجه مردوخ - ابلا - ادينا الى بابل وخلع ملكها واعلن نفسه ملكاً عليها معتمداً في ذلك على الدعم العسكري الذي قدمه له الملك العيلامي. فسارع سنحاريب الى تجهيز حملة عسكرية ضده واجهت القوات العيلامية التي كانت متمركزة في مدينة كوثا لوقف تقدم الجيش الآشوري في حين عسكرت بقية القطعات في مدينة كيش كما يذكر ذلك سنحاريب نفسه: «وسمع ذلك الشخص (مردوخ - ابلا - ادينا) ... بزحف حملتي، فدعم (قوات) الخيل ورماة السهام والعيلاميين والاراميين والكلديين مع نرجال ناصر وقادة ملك عيلام العشرة الذين لايعرفون الموت (و) القوات التي معهم التي لاحصر لها (و) ادخل قواتهم سوية الى كوثا واقام حراسة قوية ضد تقدم حملتي ...»[٥١] غير ان خطط سنحاريب العسكرية افشلت مخططات المتمردين وقطعت الاتصال بين قطعاتهم وتمكن الجيش الآشوري من دخول كوثا ثم توجه نحو كيش وهزمت قوات المتمردين وهرب قائدهم الى اقصى الجنوب ثم توجه سنحاريب بعد ذلك الى بابل حيث رحب بمقدمة السكان المحليون، ثم تابع سيطرته على بقية المدن الواقعة في بلاد بابل وعلى القبائل المحليون، ثم تابع سيطرته على بقية المدن الواقعة في بلاد بابل وعلى القبائل الكلدية القاطنة في المنطقة، وقبل عودته الى بلاد آشور عين بيل - ابني حاكماً على بابل. ومع ذلك، عاد مردوخ -

ابلا – ادينا للتمرد ثانية وجمع قواته وتحالف مع عيلام وضمن مساعدتها وتحالف مع بعض القبائل الكلدية الأخرى فقام سنحاريب بتجهيز حملته الرابعة الى المنطقة وهزم بها قوات المتمردين وهرب مردوخ – ابلا – ادينا الى عيلام في حين نصب ابن سنحاريب حاكماً على بلاد بابل. وحيث ان بلاد عيلام كانت دائماً وراء اي تمرد في بلاد بابل، ولانها بدأت تتدخل تدخلاً سافراً في بلاد بابل، قرر سنحاريب ان يهاجمها في عقر دارها ويقضي على اسباب التمرد والاضطرابات. ومن اجل ذلك قام ببناء اسطول من السفن استخدمه للعبور الى بلاد عيلام واستعان بعدد من الصنّاع الفينيقيين واستخدم بحارتهم: «جلبت الخاتيين الذين قهرتهم بالسلاح الى نينوى فبنوا سفناً ضخمة على غرار سفن بلادهم واصدرت اوامري الى ملاحين من صور وصيدا وقبرص، الذين اسرتهم، بان يبحروا في السفن في نهر دجلة وينزلوا اليابسة...»[٥٢] وقد ابحرت السفن فعلاً في دجلة الى مدينة اوبس ومنها نقلت الى قناة اراختو ومنها الى نهرالفرات. وهكذا تمكن الجيش الاشوري من مهاجمة العيلاميين براً وبحراً وانسحب العيلاميون امام تقدم الجيش الاشوري. وعلى الرغم من ادعاء كتابات سنحاريب بتحقيق انتصار حاسم على العيلاميين فإنَّ الاخبار الاخرى تشير الى ان العيلاميين قاموا بهجوم جديد على بلاد بابل في اثناء وجود القوات الآشورية في بلاد عيلام وانسحب الجيش الآشوري دون حسم المعركة وقام الآشوريون بهجوم ثان على بلاد عيلام عن طريق مدينة دير واخضع العديد من المدن العيلامية والحقها بمقاطعة دير. وقد حدثت تغيرات كثيرة اثر ذلك في بلاد عيلام نفسها قتل خلالها الملك العيلامي وتعاونت عيلام ثانية مع المتمردين الكلديين ونصبت احد زعماء الكلديين ملكاً على بابل ووصلت القطعات العيلامية الى بابل وتجمعت قوات القبائل الكلدية والقبائل المناوئة للحكم الاشوري لتواجه الجيش الاشوري، وكانت معركة دامية وحاسمة وقع خلالها الالاف من القتلى وهربت القطعات العيلامية وحوصرت مدينة بابل نفسها لمدة تسعة اشهر ودخلها سنحاريب هذه المرة وهو اكثر مايكون غضباً. وهكذا كان الصراع عنيفاً بين آشور وعيلام وكانت بلاد بابل ضحية ومسرح ذلك الصراع. وقد تخلله انتصارات وهزائم من كلا الجانبين تعرفنا على بعض منها، ويبقى بعضها الآخر مجهولاً لدينا حتى تكشف لنا عنه النصوص المسمارية التي قد تكتشف في المستقبل. ولكن من المؤكد انه لم تقم في بلاد بابل او عيلام اي تمردات او اضطرابات بعد عام ٦٩٠ ق. م. مما يشير الى ان المعركة التي خاضها الجيش الآشوري في السنة السابقة لذلك كانت معركة حاسمة فعلاً.

وفي الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية كانت الاوضاع هادئة نسبياً بفضل العمليات العسكرية التي قام بها سرجون من قبل، ومع ذلك، فقد وجه سنحاريب حملة الى بلاد نامري الواقعة بين نهر ديالى وسط دربندخان حيث كانت المنطقة مهمة من الناحية العسكرية لوقوعها بين حدود بلاد آشور وايران. وقد واجه سنحاريب صعوبات جمّة في حملته هذه التي قام بها عام ٧٠٢ ق. م. الا انه حقق اهدافه في فرض السيطرة على المنطقة واخضاعها للسلطة الاشورية اما بالنسبة الى منطقة اورارتو، فقد قام سنحاريب عام ٦٩٩ ق. م. بحملة عسكرية نحو منطقة بحيرة وان واخضعها لسلطته كما توجه في السنة التالية الى منطقة كيليكيا واخيراً قاد حملة الى اقليم تابال عام ٦٩٥ ق. م. وسيطر عليه.

انتهى حكم سنحاريب نهاية محزنة حيث اغتاله ابناه اللذان اعلنا تمردهما ضده وقد استمرا بالتمرد لمدة ثلاثة اشهر الى ان تمكن اسرحدون، ولي العهد الشرعي وخليفة سنحاريب على العرش من القضاء عليها، حيث ذكرت الحوليات بأنه: «في اليوم العشرين من شهر طيبتو قتل سنحاريب





ملك بلاد آشور من قبل ابنه بتمرده بعد ان حكم آشور اربع وعشرون سنة، واستمر التمرد في بلاد آشور من اليوم العشرين من شهر طيبتو الى اليوم الثاني من شهر اذار. وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر اذار غادر اسرحدون بابل متوجهاً الى اشور واعتلى عرشها». (٥٣)

كان اسرحدون، وهو الابن الاصغر، قد عين ولياً للعهد في عهد والده وربما كان ذلك من الاسباب التي اوغرت صدور اخوته ودفعت بعضهم الى التآمر، ويذكر اسرحدون انه بادر الى قيادة جيشه لمواجهة المتمردين الذين انحاز اليهم الجيش الآشوري الرئيس وايدهم كثير من الحكام والامراء والمدن الاشورية. واستعد المتمردون لمواجهة اسر حدون في منطقة نصيبين غير ان الشقاق دبّ بين صفوف الجيش وقادته. واعلن بعض القادة انضمامهم الى اسرحدون في حين هرب المشاركون في جريمة اغتيال سنحاريب الى اورارتو، وتمكن اسرحدون من السيطرة على الموقف دون ان تقع معركة بين الجانبين وعوقب رؤوس التمرد بقسوة وجلس اسرحدون «سعيداً على عرش والده» وذلك في آذار من عام ٦٨١ ق. م. (٥٤)

اتبع اسرحدون سياسة جديدة في معالجة المشكلة البابلية التي قضى والده معظم سني حكمه في معالجتها وربما افاد من فترة بقائه في بلاد بابل في اثناء حكم والده وتعرف على ابعاد المشكلة، فضلاً عما كان لجهود سنحاريب في كسر شوكة العيلاميين من آثار، لذلك كانت سياسته تجاه بلاد بابل تتصف باللين والترضية. ومع ذلك فقد قامت بعض القبائل الكلدية بالتمرد ضد الحكم الاشوري مما حدا بأسرحدون ان يصدر اوامره بالهجوم عليها والقضاء على تمردها وهرب زعيم القبيلة (بيت ياكيني) الى عيلام، غير أنه قتل هناك وقدم اخوه الولاء للملك الاشوري. وباستثناء بعض الاضطرابات البسيطة كان الوضع في بلاد بابل هادئاً ومستقراً وقام الملك الاشوري بترميم العديد من ابنية بابل وتجديدها كما اعيدت املاك سكان بلاد بابل المبعدين بعد الاضطراب الذي حل في عهد سيطرة القبائل الكلدية، وقد لاقت سياسة اسرحدون الجديدة في بلاد بابل شعبية واسعة في بلاد بابل وضمنت امن واستقرار المنطقة طوال حكم اسرحدون بل ان محاولات عيلام المستمرة في اثارة الفتن والاضطرابات باءت جميعها بالفشل وغدت بابل قاعدة عسكرية تخرج منها القطعات في حملاتها نحو الشرق.

وفي الشمال والشمال الغربي كانت قد قدمت المنطقة اقوام سميت في المصادر الاشورية باسم اشكوزايا، وهي الاقوام الاسكيثية، وقد اقام اسر حدون مع احد امرائها علاقة ودية وزوّجه من اميرة آشورية، كما عادت بالظهور بعض القبائل الكرية وقام الاشوريون ببعض الحملات الناجحة ضدهم غير ان ضغوطهم زادت على حدود الدولة الاشورية مما افقد آشور بعض مقاطعاتها الحدودية. ويبدو ان نفوذ الاشوريين قد ضعف على المانيين جنوبي بحيرة وان نتيجة تغلغل السكيثيين والكريين مما دفع بأسر حدون الى تقوية نفوذه في منطقة ميديا واتباع سياسة جديدة تجاه بعض زعماء القبائل الميدية بهدف استخدامهم للقضاء على اي تمرد في المنطقة. وعقدت عدة معاهدات مع الامراء الميديين وغيرهم من الامراء التابعين كشف عن سلسلة منها مؤخراً وهي تلك الخاصة بالامراء الميديين والمتعلقة بتنظيم ولاية العهد الاشوري. (٥٥)

وفي الغرب، كانت بعض المدن الفينقية وعلى رأسها مدينة صيدا تعمل على خلق الاضطرابات ونبذ النفوذ الآشوري، فقام أسرحدون بعملية عسكرية عليها وعلى حلفائها وأسر ملكها وأقام بالقرب منها حصناً آشوريا جديدا أفتتحه بحضور أثنين وعشرين ملكاً من الملوك المحليين في البلدان المجاورة. وفي عام ٦٧٥ ق.م. بدأ ملك مصر





الحبشي طهراقا بتحريض صور ضد الحكم الآشوري مما أضطر أسرحدون للقضاء على صور وبقية المدن الساحلية غير أنه قرر هذه المرة ان يقضي على أسباب التمرد في المنطقة بالقضاء على الملك المصري الذي كان يحرض المدن والدويلات السورية دوماً للتمرد ضد النفوذ الآشوري في المنطقة. وقد مّهد اسرحدون لمشروعه الجديد هذا بالاتصالات الدبلوماسية تارة والعمليات العسكرية تارة أخرى، وسيطر على بعض المدن الواقعة على الطريق المؤدية الى مصر وحاول كسب ود بعض القبائل العربية القاطنة في بادية الشام وأعاد لها بعض الحصن والمدن التي كان والده قد سيطر عليها. وبذلك تمكن من تحييد معظم القبائل العربية واستمالة البعض منها الى جانبه، وفي عام ٦٧٥ ق.م عبر أسرحدون الحدود المصرية غير أن تقدمه توقف ربما بسبب العواصف الرملية. وفي عام ٦٧١ ق. م أعاد الكرة بأسلوب منظم وهزم جيش طهراقا وحوصرت العاصمة منفس وهرب طهراقا نفسه الى طيبة عاصمة الجنوب او الى مكان آخر فسارع أمراء مصر السفلى للاعتراف بسلطان أسرحدون وعيّن الموظفون الآشوريون لرعاية المصالح الآشورية وأعلن أسرحدون نفسه ملكاً على مصر العليا والسفلى وأثيوبيا. فير ان طهراقا عاد بعد سنتين وأقنع بعض الامراء المصريين للتمرد على النفوذ الآشوري الجديد وبدأ مقاومته للآشوريين في مصر وتمكن من استعادة مدينة منفس، فقام أسرحدون عام ٦٦٩ بتجهيز حملة جديدة لمعالجة الموقف الجديد وجهز حملة عسكرية أخرى الى مصر، غير انه توفي وهو في طريقه الى مصر.

وكان اسرحدون قد وضع الترتيبات الدقيقة الخاصة بولاية العهد واعتلاء العرش من بعده، ربما كرد فعل طبيعي لما عاناه من مشكلات اثر مقتل والده. ففي عام ٦٧٢ ق. م. اعلن في اجتماع كبير في العاصمة نينوى حضره حكام المقاطعات وقادة الجيش وكبار الموظفين، فضلاً عن الامراء والملوك التابعين والموالين، عن تعيين ابنه آشور بانيبال ولياً للعهد على عرش بلاد آشور وتثبيت ابنه الاخر شمش – شوم – اوكن ولياً للعهد على عرش بابل وذلك بعد ان اجريت جميع الطقوس والمراسيم الخاصة بأخذ موافقة الالهة على هذا التعيين وفق التقاليد الاشورية السائدة. ولتثبيت هذه الترتيبات وضمان تنفيذها بكل دقة، فقد عقدت سلسلة من المعاهدات مع الامراء التابعين ومنهم الامراء الميديون واخذت منهم المواثيق واقسموا بالالهة على انهم سيكونون امناء على تنفيذ وصية الملك هذه، وقد حددت المعاهدات العقوبات القاسية المفروضة على كل من يحنث بيمينه او يتلكأ او يتباطأ في تنفيذ الترتيبات الخاصة بولاية العهد، وقد تم الكشف مؤخراً عن سلسلة من المعاهدات التي عقدت مع عدد من الامراء التابعين وكان اكملها المعاهدة التي عقدت مع رمتايا حاكم احدى المدن الميدية (وذلك عام ١٩٥٥ في مدينة النمرود). [٥٦]

توفي اسرحدون وهو في طريقه الى مصر، ووضعت الترتيبات التي كان قد ثبتها بخصوص اعتلاء العرش من بعده موضع التنفيذ بكل دقة، واعتلى آشور بانيبال العرش على بلاد آشور عام ٦٦٩ ق. م. في حين تأخر تنصيب شماش – شوم – اوكن ملكاً على بلاد بابل الى السنة التالية. ويبدو ان اسرحدون قد استهدف من تنصيب ابنه الاكبر شماش – شوم – اوكن ملكاً على بلاد بابل ضمن اطار الدولة الاشورية التي يحكم فيها آشور بانيبال ترضية سكان بلاد بابل بمنحهم نوعاً من الاستقلال الذاتي. وقد اثبتت هذه الترتيبات نجاحها لفترة ليست بالقصيرة غير ان ذلك لم يرق للمتربصين بالدولة الاشورية والمستهدفين اقتطاع بعض اجزائها، وخاصة في القسم الجنوبي مما سنشير اليه فيا بعد.

كان اشور بانيبال من الشخصيات اللامعة في بلاد وادي الرافدين حيث جمع بين شخصية القائد الشجاع والمقاتل العنيد والسياسي المحنك وبين شخصية الملك المثقف المولع بطلب العلم





والمعرفة المهتم بجمع علوم ومعارف الاجيال الماضية. وقد تبلورت شخصية آشور بانيبال هذه قبل ان يعتلي العرش عندما كان ولياً للعهد حيث تربى تربية ملكية خاصة في بيت ولاية العهد (بيت ريدوتي) تلقى خلالها دروساً مختلفة في العلوم والفنون والمعارف وتدرب على الفروسية والصيد ورمي الرمح وقيادة العربات وغيرها من التدريبات التي بنت شخصيته العسكرية، وقد تفاخر آشور بانيبال نفسه بذلك حيث يقول عن نفسه: «امتلكت من سيدي آدابا وتعلمت المعرفة الخاصة بالكتبة، علامات السماء والارض... ودرست الفأل والنبوءة مع اساتذة الكهنة واستطعت ان احل مسائل معقدة في القسمة والضرب واتقنت فن الكتابة السومرية والاكدية البالغة التعقيد، وكنت استمتع بقراءة الاحجار والانصاب التي تعود الى ازمان ماقبل الطوفان...»[٥٧] وكان والده قد عين له مربياً ومعلماً خاصاً ذكر على انه نابو- اخي- اريبا في حين عين لاخيه شماش- شوم- اوكن معلماً اخر هو ايكارو[٥٨].وتقدم لنا المكتبة التي اكتشفت في مدينة نينوى والخاصة بالملك آشور بانيبال خير دليل على صحة ادعاء الملك.

بدأ آشور بانيبال نشاطاته العسكرية بحملة وجهها الى مدينة كريت الواقعة في اقليم ياموتبال في المنطقة الجبلية المحاذية لبلاد عيلام والتي تمردت على السلطة الاشورية واعتدت على مدينة دير، وقد امكن القضاء على التمرد واستولت القوات الاشورية على العديد من المدن المناوئة وفرضت السيطرة الكاملة عليها، كما تم ترحيل سكان المناطق المحررة وربما نقل بعضهم الى مصر.

وبالنسبة لمصر فقد كان على اشور بانيبال ان يبادر بتنفيذ الخطة التي كان قد رسمها وباشر بتنفيذها والده في التوجه الى مصر على رأس جيش قوي لمواجهة التمرد الذي قاده طهراقا. غير ان انشغاله في تهدئة الاوضاع في الجبهتين الشرقية والغربية اخر ذلك لمدة ثلاث سنوات. وبعد ان تم اخضاع المدن الفينيقية بدأ باعداد الحملة وجمع لها قوات عسكرية شارك فيها اثنان وعشرون ملكاً من ملوك الغرب التابعين في سوريا وفلسطين وقبرص، وتقدم الجيش الاشوري نحو ممفيس حيث هزم طهراقا وانسحب الى طيبة عاصمة الجنوب ولاحقه الجيش الاشوري حتى وصل الى طيبة نفسها وبذلك اصبحت جميع مصر واقعة ضمن النفوذ الاشوري، وقد اتبع آشور بانيبال السياسة التي وضع أسسها والده من قبل في ادارة شؤون مصر حيث اعتمد على تعيين الامراء والحكام المحليين لادارة المقاطعات المصرية وزودهم بحاميات عسكرية اشورية لمواجهة اي تمرد او اضطراب ومع ذلك، فعندما انسحب الجيش الاشوري الرئيس من مصر عاد طهراقا يحرّض الامراء الموالين للسياسة الاشورية ويضع الخطط للقضاء على النفوذ الاشوري في مصر وعندما كشفت خطط طهراقا ونواياه التي القبض على جميع المتعاونين معه من الحكام والامراء وارسلوا مقيدين الى نينوى وكان في مقدمتهم نيخو. وكانت سياسة آشور بانيبال تكريمهم واعادتهم الى مناصبهم محملين بالهدايا، ولابد انهم ربطوا كغيرهم بقسم الولاء للملك الآشوري.وبعد وفاة طهراقا قام ابن اخيه تانو تاموم بتجميع قواته والتوجه الى ممفيس وقضى على الامراء المؤيدين لآشور، وكانت ردود فعل الآشوريين فورية حيث دخل الجيش الاشوري ثانية الى مصر عام ٦٦٣ حتى وصل الى طيبة وهزم زعيم التمرد تانوتاموم وسارع بقية الامراء الى تقديم الولاء والطاعة. وفي هذه الاثناء توفي نيخو الموالي للاشوريين، وعين ابنه بسماتيك بدلاً منه الذي اغتنم الفرصة وزاد من قوته وسلطته وربما استعان ببعض الجنود المرتزقة من سواحل البحر المتوسط، ولاسيا من ليبيا، وتمكن بمساعدتهم من اخراج الحاميات الاشورية من مصر وذلك في الفترة بين عامي ٦٥٨ و ٦٥١ ق. م.[٥٩] ولم تتخذ اي اجراءات عسكرية اشورية ضد بسماتيك على ان النصوص الاشورية لاتشير الى الانسحاب من مصر، ومع الخسائر التي تكبدتها القوات الاشورية

في مصر والعداء الذي لابد ان نشأ بين الاشوريين والمصريين من جراء دخول الاشوريين الى مصر، الا اننا نجد ان العلاقات بين اشور ومصر ظلت علاقات طيبة حتى بعد وفاة آشور بانيبال وتعرض الدولة الاشورية للانهيار والسقوط امام زحف الاقوام الميدية والكلدية كما سيشار الى ذلك فيما بعد.

وفي الجبهة الشرقية والشمالية الشرقية كان الامن والاستقرار الذي ثبته الملوك السابقون من عهد تجلا تبليزر فصاعداً قد انهار الى درجة كبيرة، وكانت حشود الكمريين والسكيثين البربرية تهدد طرق التجارة الاشورية في حين كانت القبائل الميدية قد اتحد بعضها مع بعض وغدت مملكة قوية تهدد الاشوريين عسكرياً كما انها قطعت طرق تجارتهم، وقد وجه الاشوريون عدة حملات تأديبية الى المنطقة اعادوا خلالها سيطرتهم عليها وحدوا من تدخل هذه الاقوام وتهديدها لحدود الدولة الاشورية ولطرق تجارتها. وفي الشمال الغربي كانت مملكة ليديا واقعة تحت ضغط الغزاة الهندو- اوربيين مما دفع بها الى توطيد علاقتها مع الدولة الاشورية لمواجهة الاقوام الكمرية وغيرها من الاقوام التي كانت تهدد كيانها.[٦٠]

غير ان المشكلة الرئيسة التي واجهت آشور بانيبال بعد مشكلة مصر كانت قادمة من عيلام وبلاد بابل. ففي بلاد بابل نصب شمش- شوم- اوكن ملكاً غير ان سلطته لم تكن مطلقة على الحكام والموظفين في المدن، بل غالباً ما كان الامر يستوجب موافقة الملك الاشوري، مما أثار بعض الخلاف بين الاخوين، وقد استغلت بعض العناصر المناوئة من القبائل الكلدية هذه الظاهرة وحاولت زيادة شقة الخلاف بين الاخوين. اما مملكة عيلام، فكانت وراء معظم الاضطرابات والفتن التي تنشب في بلاد بابل، وكان الصراع بينها وبين آشور مستمراً وقد اندلعت الحرب بينها وبين آشور في عهد آشور بانيبال فجهزت حملة عسكرية ضدها عام ٦٥٥ وأخذت عاصمتها مداكتو وسوسا ونصب أحد الامراء الموالين للآشوريين ملكاً عليها.

ومع ذلك، ظلّت عيلام تعمل ضد الدولة الآشورية وتحرّض القبائل الكلدية، فزحف الجيش الآشوري عليها وتمكن خلال الفترة من ٦٤٢ وحتى ٦٣٩ ق.م من تدمير جميع مدنها وأخذ العاصمة سوسا وهرب ملك عيلام وفي اثناء عودته الى مداكتو بعد انسحاب الجيش الآشوري، قبض عليه ثم قتله الآشوريون وأرسلت جثته الى بلاد آشور.[٦١]
وبذلك انتهت مملكة عيلام من على المسرح السياسي ولم تقم فيها بعد ذلك مملكة مستقلة بل وقعت تحت سيطرة الأقوام الفارسية الوافدة الى ايران.

ولابد من الاشارة هنا الى نشاطات آشور بانيبال العمرانية والثقافية الرائعة التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية في المدن الآشورية المختلفة وفي مقدمتها العاصمة نينوى. فقد تم الكشف عن قصر مهيب خاص بآشوربانيبال عرف لدى المنقبين باسم القصر الشمالي، كما كشفت التنقيبات عن نشاطات الملك في اعادة بناء وترميم العديد من المعابد في المدن المختلفة في كل من بلاد بابل وآشور. وتظل مكتبة آشوربانيبال المعروفة باسمه أثمن وأروع ماتم الكشف عنه في بلاد آشور حتى الآن، حيث أمدتنا بأكثر من خمسة وعشرين الفا من الرقم الطينية المدونة بالخط المسماري والمتضمنة مواضيع علمية وأدبية ودينية متنوعة عكست لنا جوانب مهمة من حياة العراقيين القدماء في مختلف المجالات كما سيأتي ذكر ذلك في مكان آخر.

## نهاية الآشوريين السياسية والعصر الكلدي

كان الانتصار الساحق الذي حققه آشور بانيبال على مملكة عيلام ضربة ماحقة لم تقم لمملكة عيلام بعدها قائمة. وأعقب ذلك القضاء على جميع المناوئين في بلاد بابل والمتعاونين من القبائل





الكلدية وغيرها مع مملكة عيلام. وبدت الأمور وكأنها قد استتبت للملك الآشوري، وتم القضاء على جميع المشكلات الداخلية والخارجية التي كانت تهدد الدولة. وكانت الامبراطورية الآشورية قد وصلت آنذاك الى قمة مجدها وازدهارها وعنفوان قوتها السياسية والعسكرية، ظاهرياً على أقل تقدير. غير أن الأحداث الجسام التي وقعت في الثلاثين سنة التالية والتي انتهت بانهيار الامبراطورية الآشورية ونهاية كيان الآشوريين السياسي تؤكد أنه كان هناك عوامل عدة تنخر في جسم الدولة من الداخل والخارج وتعمل على تقويضها، ومن هذه العوامل مايمكن للباحث المعاصر تشخيصها ومنها مابقي خافياً عليه حتى تظهر التنقيبات المقبلة معلومات جديدة. ومما يؤسف عليه ان معلوماتنا التفصيلية عن الفترة هذه قليلة ومرتبكة احياناً،

فمنذ عام ٦٣٩ ق. م. وهو عام تحقيق الانتصار النهائي على مملكة عيلام تتوقف حوليات الملك الآشوري آشور بانيبال لأسباب غير معروفة، وربما كانت هناك اضطرابات داخلية ونكسات عسكرية لم تدون اصلاً. وان كل مالدينا من معلومات عن السنوات الاخيرة من حكم آشور بانيبال والفترة التالية وحتى سقوط نينوى مستمدة من بعض الاشارات والتلميحات المبعثرة في عدد محدود من النصوص، منها نص خاص بذكريات امرأة مسنة هي والدة نبونائيد آخر الملوك الكلديين، ومنها بعض الوثائق الاقتصادية المؤرخة او نصوص خاصة بأراضي ملكية مقطعة. كما يمكن الافادة من بعض الاجر المختوم وكسر من نصوص بنائية وأخيراً الروايات المتوارثة التي دونها بعض الكتّاب الأغريق عن نهاية الآشوريين ولاسيما ماورد في كتاب هيرودوتس.(٦٢)

واعتماداً على هذه المصادر، ولاسيما ماذكر في النص التذكاري الذي نقش على نصب أقيم عند وفاة والدة نبونائيد المسنّة، يمكن ان ترسم الصورة التقريبية التالية عن تطور الاحداث في داخل الدولة الآشورية.

لقد كان هناك اضطرابات داخلية في السنوات الاخيرة من حكم آشور بانيبال، ويبدو ان الحكم انتقل فعليا الى آشور- اطلّو- ايلي في حدود عام ٦٣٠ ق.م، ربما بسبب تقدم آشور بانيبال بالسن او محاولة ابنه تجنيبه المشكلات الداخلية او لاسباب اخرى غير معروفة. وفي عام (٦٢٧ وربما عام ٦٢٦) توفي الملك آشور بانيبال وتحولت الاضطرابات الداخلية الى ثورات فعلية وكان هناك صراع على السلطة تركز في بداية الامر في بلاد بابل حيث ازيح قندلانو، نائب الملك على بابل، وعيّن بدلا منه قائد موال هو سين- شوم- ليشير. وفي السنة نفسها حاول سين- شار- اوشكن، وهو ابن آخر لآشور بانيبال، الحصول على دعم بعض القطعات الآشورية في بابل وقام بمحاولة انقلاب ناجحة، ولو لفترة مؤقتة، واخذ بابل وادعي الملوكية. عندها قام الزعيم الكلدي نبو بلاصر، الذي كان يتزعم القبائل الكلدية في منطقة الاهوار الجنوبية والتي كانت تعرف بالقطر البحري، بالتوجه شمالا، والاستيلاء على بابل وتنصيب نفسه ملكا عليها. اما بالنسبة لبلاد آشور، فيبدو ان الملك الآشوري كان قد نحي عن الحكم او توفي ونصب بدلا منه اخوه سين- شار- اشكن وذلك عام ٦٢٣ق.م او قبل ذلك بقليل، وقد استغل نبوبلاصر اضطراب الامور في بلاد آشور فعمل على تثبيت مركزه في بلاد بابل وتوسيع منطقة نفوذه وبناء علاقات مع بلاد عيلام، ربما لمنعها من التدخل في شؤون بلاد بابل. وفي عام ٦١٦ ق.م كان في موقع يمكنه من التحرش ببلاد آشور، وفي السنة التالية حاول السيطرة على مدينة آشور، الا انه اضطر الى الانسحاب الى تكريت امام مواجهة الجيش الآشوري له(٦٣).

اما الاوضاع الخارجية، فشير هيرودوتس الى ان افراهاط (فراودتس) ملك الميديين كان قد أغار





على الآشوريين عام ٦٥٣ ق. م وانه لقي حتفه في المعركة فخلفة في الحكم ابنه كي اخسار (اوفار حشاترا) ولم يتمكن من مواصلة الحرب ضد الآشوريين نظرا لان الميديين انفسهم وقعوا تحت سيطرة ونفوذ السكيثين (السيثين Scythians) لمدة ثمانية وعشرين عاما، وكان السكيثيون قد سيطروا على المنطقة الجبلية ويدأوا يغيرون على حدود الدولة الآشورية وعلى سوريا وفلسطين وكادوا يدخلون مصر لولا ان اتفق معهم الفرعون المصري بسماتيك على دفع الجزية. واستطاع كي أخسار أخيرا من ان يقضي على السكيثين وذلك بأن دبّر مؤامرة لقتل زعمائهم وهم ثملون في اثناء وليمة سكر دعاهم اليها[٦٤]، وبعد ذلك تمكن من توحيد القبائل الميدية وتجنيد جيش قوي سيطر بوساطته على المنطقة الواقعة بين بحيرة اورميا والى طهران وبلاد فارس واتخذ من اكباتانا (قرب همدان) عاصمة له، وكان نفوذ وسيطرة الدولة الآشورية خارج بلاد آشور الاصلية قد تقلّص الى ادناه في جميع الجبها ت ولم يعد لها من النفوذ على المدن الفنيقية والفلسطينية مايضمن لها أمن المنطقة واستقرارها. وفي آواخر عام ٦١٥ ق.م، قام الميديون بهجومهم المرتقب وذلك بالزحف اولا على شرقي دجلة على منطقة ارّابخا (كركوك حالياً) وسيطروا عليها. وفي العام التالي بدأ الزحف على قلب بلاد آشور حيث توجه الجيش الميدي الى مدينة آشور، العاصمة المقدسة، نفسها، ودخلها عنوة ونهب وسلب قصورها ومعابدها. ويبدو أن نبوبلاصر قد توجه هو الآخر الى آشور، ولكن بعد ان كان الميديون قد احتلوا المدينة. وازاء هذه الاوضاع الجديدة التي وضعت الميديين في المقدمة من حيث القوة، اضطر نبوبلاصر كما يبدو، الى عقد معاهدة تحالف مع كي – اخسار، زعيم الميديين، وهو لم يزل في مدينة آشور. وفي السنة نفسها توجه الجيش الميدي الى مدينة تربيص الآشورية (شريف خان الحالية)[٦٥]. التي تبعد بضعة كيلو مترات عن العاصمة الآشورية نينوى. وازاء هذا الخطر الذي كان يهدد كيان الدولة الآشورية، طلب الملك الآشوري العون من حليفه بسماتيك، فرعون مصر. وفي السنة التالية وقعت نينوى تحت حصار الميديين وجموع الامانمندا Ummanmanda، وهم قبائل قدمت من الشمال، وكان السكيثيون يؤلفون جزءا منها، كما ساهم نبوبلاصر في الحصار، ولم تطل مدة الحصار حيث سقطت المدينة بعد ثلاثة أشهر فقط من بدء الحصار وذلك عام ٦١٢ ق. م. وكما هو واضح فان فترة مقاومة نينوى، العاصمة الحصينة ومركز أقوى امبراطورية عرفها التاريخ القديم، كانت قصيرة جدا مقارنة غيرها من المدن التي واجهت حصار جيوش قوية، كمدينة بابل والحضر وغيرهما، وربما كانت هناك أسباب أخرى غير واضحة لدينا عجّلت من سقوط المدينة، اما الكتّاب الكلاسيكيون فضلاً عما ورد من اخبار في العهد القديم فيعللون سقوط نينوى بهذه السرعة بحدوث فيضان كبير، وربما كان الفيضان في نهر الخوصر الذي يخترق المدينة ساعد على جرف جزء من تحصينات المدينة الدفاعية وفتح ثغرة في اسوارها استفاد منها الميديين، الاّ ان الاخبار تشير ايضا الى ان نينوى سقطت في شهر آب[٦٦] وانه من غير المحتمل ان يحدث فيضان الخوصر او دجلة في هذا الشهر من السنة.

ويظهر ان الملك الآشوري قد مات او قتل في اثناء الحصار. وبعد ان اجتاحت الجيوش الغازية مدينة نينوى ونهبت وسلبت قصورها ومعابدها، لم يعد للآشوريين كيان سياسي في بلاد آشور نفسها. الاّ ان بعض القطعات الآشورية اتجهت نحو الغرب الى مدينة حرّان، وربما لم تكن تلك القطعات في مدينة نينوى في أثناء الحصار، ونصبت عليها ملكا ينتسب الى الاسرة المالكة الآشورية، هو آشور– اوبالط، وعمل آشور– اوبالط على تجميع قواته كما كان بانتظار وصول المساعدات المصرية. وفي هذه الاثناء كان الميديون والامانمندا قد انسحبوا من المنطقة في حين أسرع نبوبلاصر الى تثبيت مركزه في بلاد آشور ووصل بقطعاته الى نصيبين وقضى على





المقاومة الآشورية في بلاد آشور نفسها. وفي عام ٦١٠، عاد الامانمندا وهجموا على مدينة حرّان والتحق بهم جيش نبوبلاصر فانسحب الجيش الآشوري الى كركميش، وكانت المساعدات المصرية قد وصلت آنذاك، وفي هذه الاثناء تغير الملك المصري وقرر الفرعون الجديد، وهو نيخو الثاني، ان يقدم اقصى مايمكن من العون العسكري الى الجيش الآشوري وسارع الى ارسال قطعات مصرية جديدة،غير انها واجهت مقاومة عنيفة في المدن السورية والفلسطينية مما قلل من قوتها، وفي عام ٦٠٥ ق.م، وبعد ان تولى قيادة الجيش الكلدي، نبوخذنصر، ابن نبوبلاصر وولي عهده، التحم الجيش المصري بالجيش الكلدي بعد الهجوم القوي الذي شنّه نبوخذنصر على كركميش، وكانت النهاية كارثة بالنسبة الى المصريين وحلفائهم الآشوريين حيث انسحبت القوات المصرية المتبقية ولم تعد تسمع اي شيء عن فلول الجيش الآشوري المندحرة، وهكذا كانت نهاية الدولة الآشورية نهاية مفاجئة وسريعة ومحزنة.

واصبحت بلاد آشور جزءا من الامبراطورية الكلدية الفتية التي أسسها نبوبلاصر وثبت اركانها ابنه وخليفته في الحكم نبوخذ نصر والتي استمر ملوكها يحكمون بلاد بابل وآشور لما يقرب من مائة سنة (٦٢٦ـــ ٥٣٩ ق.م). وتقل معلوماتنا عن بلاد آشور في فترة الحكم الكلدي،ولايمكن معرفة تفاصيل ماحل ببلاد آشور ومدنها العريقة، الأ انه يمكن الاستنتاج بأنها كانت من المقاطعات المهمة التابعة للدولة الجديدة ومركزا اداريا ذا أهمية قصوى لوقوعها على الطريق الذي يصل بين بلاد بابل وسوريا.

وظلت بلاد آشور جزءً من الدولة الكلدية حتى نهايتها بعد غزو الجيش الاخميني عام ٥٣٩ ق.م، حيث دخل العراق، بلاد بابل وآشور، تحت السيطرة والاحتلال الاجنبي لفترة طويلة من الزمن.

## الهوامش

(١) انظر احدث ماكتب عن التاريخ الاشوري في:
Saggs, H. W. E., The Might that was Assyria, London, 1984.
Grayson, A.K., Assyria in Cambridge Ancient History, (1982), pp. 238–281.

(٢) انظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٧٣، ص ٤٩١ وما بعدها.

(٣) Saggs, op.cit., p.70 ff.

(٤) جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤، ص ٣٨٣.

(٥) ساكز، عظمة بابل، لندن ١٩٦٢، ترجمة: عامر سليمان، ص ١٤٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٧) Saggs, op. cit., pp. 247 ff.

(٨) حول الجيش الاشوري في العصر الحديث، انظر: نخبة من الباحثين موسوعة الجيش والسلاح، الجزء الاول، بغداد، ١٩٨٧، وكذلك يوسف خلف، الجيش والسلاح في العصر الاشوري الحديث، بغداد، ١٩.

(٩) حول النظام الاداري في العصر الاشوري الحديث، انظر:
Ahmad, A.Y., unpublished Ph.D. theis,Universsity of London, 1984.

(١٠) انظر: عامر سليمان العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣، ص وكذلك
Saggs, op. cit., p.47, 52.

(١١) ساكز، عظمة بابل، ص ٢٨٩.

(١٢) انظر ترجمة النص الخاص بالتاريخ التعاصري:
Pritchard, J. B. (ed.) Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, New Jersey, 1969 (third ed.), pp. 271 ff.; Weidner, E. F., Die grosse Konigs Liste ous Assur, Afo (1926), pp. 66–70.

(١٣) Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia,Chicago, 1927, (reprinted, 1968), , pp. 113–115.

(١٤) Ibid. P. 128 ff.

(١٥) ساكز، المصدر السابق، ص ١١١.

(١٦) جورج رو، المصدر السابق، ص ٣٩٠.

(١٧) Luckenbill, op.cit., pp. 160–161 (no. 470).
انظر كذلك: ساكز، المصدر السابق، ص ١١٣.

(١٨) حول مدينة النمرود والتنقيبات التي اجريت فيها، انظر:
Mallawan, M.E.L., Nimrud and its Remanis, London, 1966.
عبد الله امين اغا و ميسر سعيد العراقي، نمرود، بغداد، ١٩٧٦.





(١٩) انظر: ترجمة نصوص اشور ناصر بال في :
Luckenbill, op.cit., pp. 138 – 199 (nos. 436 – 525).
(٢٠) انظر: وليد محمد صالح، العلاقات السياسية الاشورية، اطروحة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد، كلية الاداب، عام ١٩٧٦، ص ١٢٦-١٣٩، وكذلك، عامر سليمان في كتاب العراق في التاريخ بغداد، ١٩٨٣، ص ١٤٥-١٤٧.
(٢١) Saggs, op.cit., p. 77., Luckenbill, op.cit., p. 207 (nos. 582 – 584).
(٢٢) ساكز، المصدر السابق، ص ١١٤.
(٢٣) انظر ترجمة النص المنقوش على المسلة
Luckenbill, op.cit., p.211 ff.
(٢٤) جورج رو، المصدر السابق، ص ٢٩٩.
(٢٥) حول تفاصيل الاحداث التي وقعت في هذه الفترة، انظر:
Grayson, A.K., op.cit, pp.266 ff.
ساكز، المصدر السابق، ص ١١٦-١١٩.
Saggs, op.cit., pp. 74 – 78.
(٢٦) طه باقر، المصدر السابق، ص ٥٠٦-٥٠٧
(٢٧) Saggs, op.cit, p. 79.
(٢٨) انظر:
Luckenbill, op.cit, pp. 78 – 79
طه باقر، المصدر السابق، ص ٥٠٦-٥٠٨.
(٢٩) Luckenbill, op.cit., p. 262 ff. mos. 739 – 745.
(٣٠) ساكز، المصدر السابق، ص ١٩٧.
(٣١) المصدر نفسه، ص ١٣٧-١٣٨
Saggs, op.cit., pp. 85 ff.
انظر كذلك الفصل الخاص بالنظام الاداري في العصور القديمة من هذه الموسوعة.
(٣٢) عامر سليمان في موسوعة الجيش والسلاح، الجزء الاول، بغداد ١٩٨٧.
(٣٣) جورج رو، المصدر السابق، ص ٤١١-٤١٢.
(٣٤) ساكز، المصدر السابق، ص ١٣٩، وكذلك :
Luckenbill, op.cit, pp. 267 – 294, mos. 762 – 821.
وجورج رو، المصدر السابق، ص ١٤٢.
(٣٥) ساكز، المصدر السابق، ص ١٤٢.
(٣٦) سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، بغداد، ١٩٧٩، ص ٢٢٤. انظر كذلك : سفر الملوك الثاني، اصحاح ١٧ : ٣ — ٦.
(٣٧) حول عهد سرجون، انظر: قاسم محمد علي، سرجون الآشوري، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد، كلية الآداب، عام ١٩٨٣.
(٣٨)
Luckenbill, op. cit.1 p. 71 no 135.
(٣٩) جورج رو، المصدر السابق، ص ٤١٥.
(٤٠) سفر الملوك الثاني، اصحاح ٢٠.
(٤١) جورج رو، المصدر السابق، ٤١٦.

(٤٢) وليد محمد صالح فرحان، المصدر السابق، ص ٩٦.
(٤٣) طه باقر، المصدر السابق، ص ٥١٣.
(٤٤) ساكز، المصدر السابق، ١٤٧ وكذلك :
Luckenbill, op. cit.1 pp. 73-119 nos. 140-178
(٤٥) انظر الفصل الخاص بالآثار الباقية في هذه الموسوعة.
(٤٦) حول الملك سنحاريب، انظر: طالب منعم حبيب، سنحاريب، سيرته ومنجزاته، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى جانب بغداد، كلية الآداب، عام ١٩٨٦.
(٤٧) ساكز، المصدر السابق، ١٤٩ — ١٥٠.
(٤٨) Luckenbill, op.cit. 1 pp. 118-119, no. 239
(٤٩) Ibid, no 239.
(٥٠) جورج رو، المصدر السابق، ص ٤٢٨.
(٥١) عامر سليمان، الكتابة المسمارية والحرف العربي، موصل، ١٩٨٢، ص ٥٦ : ١٧ — ١٨.
(٥٢) Luckenbill, The Annals of Sennacherib, Chicago, 1928, p. 77.
(٥٣) Grason, A.K., Assyrian and Babylonian Chronicles, New York, 1975, pp. 81-82.
(٥٤) Pritchard, op. cit, pp. 289-290
(٥٥) Wiseman, P.J., The Vassal Treaty of Assarhaddun, Iraq, XX (1958)
(٥٦) Ibid
(٥٧) Luckenbill, op. cit.1 no. 986
(٥٨) رياض عبد الرحمن الدوري، آشور بانيبال، اطروحة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى جامعة بغداد، كلية الآداب، عام ١٩٦٩، ص ٣٧.
(٥٩) ساكز، المصدر السابق، ص ١٦١.
(٦٠) المصدر نفسه، ص ١٥٨ — ١٥٩.
(٦١) المصدر نفسه، ص ١٦٤، وكذلك
Luckenbill, op. cit. no. 805
(٦٢) طه باقر، المصدر السابق، ص ٥٢٥ — ٥٢٧ وكذلك
Saggs, op. cit.1 p.117
(٦٣) Ibid. 118
(٦٤) جورج رو، المصدر السابق، ص ٥٠٠.
(٦٥) انظر: عامر سليمان، الكتابة المسمارية والحرف العربي، موصل، ١٩٨٢، وانظر ذلك الفصل الخاص بآثارنا الباقية من الباب التالي.
(٦٦) Wiseman, D.G., Chronicles of Chalelean kings, London, 1961, pp. 59-60 L. 38-43
(٦٧) حول تفاصيل هذه الاحداث، انظر:
Wiseman, Ibid, pp. 59-61, Saggs, op. cit., pp. 119-120
جورج رو، المصدر السابق، ص ٥٠٠ — ٥٠١، طه باقر، المصدر السابق، ص ٥٢٥ — ٥٢٦.
ومن الجدير بالاشارة هنا ان هيئة تنقيبات جامعة الموصل في سور نينوى قد كشفت عن بقايا حريق وتدمير في بوابة ادد في سور نينوى، يظن انها تخص الفترة التي سقطت فيها نينوى،





انظر: عامر سليمان، نتائج تنقيبات جامعة الموصل في اسوار نينوى، آداب الرافدين، ج١، موصل، ١٩٧١، ص ٤٥ — ٩٨. وحول سقوط نينوى، انظر:

سامي سعيد الاحمد، لماذا سقطت الدولة الآشورية، سومر، المجلد ٢٧، ١٩٧١، ص ١٠٩ — ١٢٨.

Gadd, C.S. The Fall of Niueveh, iraq, 1923.

# علاقات الآشوريين مع الأقاليم المجاورة

د منير يوسف طه

لقد تعرّف العالم على الاشوريين وتاريخهم وحضارتهم قبل ان تبدأ الاكتشافات الأثرية، وذلك من خلال العهد القديم، كتاب اليهود المقدس، فقد ذكرت نصوص العهد القديم وبصورة مشوهة كيف كانت الدولة الآشورية ذات بأس عظيم، وكيف انها قضت على كيان اليهود السياسي في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد:

لذا فان معظم المؤرخين الأوربيين، ولاسيما اليهود منهم، قد نعتوا الآشوريين بالقسوة والبطش والظلم والطغيان، الا ان المكتشفات الأثرية الحديثة اكدت ان الآشوريين كانوا ذوي حضارة متميزة، وان سياستهم وعلاقاتهم مع الأقاليم القاصية والدانية كانت قائمة على أسس واضحة ومقبولة حتى بالنسبة لمقاييس العلاقات الدولية في الوقت الحاضر. ومع ان الرقعة الجغرافية والمتمثلة حالياً بمنطقة الموصل لاتتعدى مساحتها اكثر من خمسين الف كيلومترر مربع، تمتد مابين منتصف نهر دجلة جنوباً، وحتى شمال مدينة الموصل الحالية شمالاً، ومن مدينة أربيل شرقاً وحتى حدود الجزيرة غرباً، إلا انه قامت فيها امبراطورية مترامية الأطراف.

وقد نتج عن ذلك علاقات متشابكة بين الآشوريين وبين أقوام البلدان والأقاليم التي سيطروا عليها أفرزت تأثيرات واضحة في تاريخ الآشوريين وسياستهم سيطرت بنفوذها على معظم انحاء الشرق الادنى القديم خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.

اتخذ الاشوريون خلال فترة حكمهم الطويل اربعة عواصم رئيسة، لعبت كل واحدة منها دوراً مميزاً في العلاقات السياسية والاقتصادية مع البلدان المجاورة. وكانت آشور أول عاصمة لهم وتقع عند منتصف نهر دجلة تقريباً، وقد بقيت آشور العاصمة الروحية للآشوريين حتى بعد ان انتقلت العاصمة الرسمية الى غيرها من المدن وذلك حتى نهاية الآشوريين السياسية وسقوط المدينة عام ٦١٤ قبل الميلاد.

وبعد تركيز دعائم الدولة الآشورية من الناحيتين العسكرية والاقتصادية اختار الملك شيلمنصر الأول (١٢٧٤–١٢٤٥ قبل الميلاد) موقعاً جديداً لتشييد عاصمة جديدة للدولة الآشورية هو موقع كلخو (نمرود) التي تبعد قرابة خمسة وثلاثين كيلومترا جنوبي الموصل الحالية.

لقد بقيت كلخو العاصة العسكرية لحين انتقال الملك سرجون الثاني (٧٢١–٧٠٥ قبل الميلاد) الى عاصمته الجديدة دور شرّوكين (خرصباد) وبعد ان تولى الحكم الملك سنحاريب (٧٠٥–٦٨٠ قبل الميلاد) اتخذ نينوى والتي تقع على الجانب الشرقي لنهر دجلة عاصمة له، وبقيت عاصمة للدولة الآشورية لحين سقوطها عام ٦١٢ قبل الميلاد.

**الآشوريون وبلاد الأناضول:**

في اثناء التنقيب في موقع يدعى كول تبة (Kul Tepe) والذي كان يعرف قديماً باسم قانش (Kanish)، ويقع شمال منطقة قيصرى في اقليم





كبدوكيا (Cappadocia) عثر على اعداد كبيرة من الرقم الطينية المدونة باللغة الأكدية والخط المسماري، تبين أنها تمثل في الواقع العلاقات التجارية مابين هذه المنطقة وبلاد آشور ابان مطلع الألف الثاني قبل الميلاد.

كما أوضحت هذه الرقم أن التجار الآشوريين كانوا قد سيطروا على تجارة بلاد الأناضول في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد. ومن الجدير بالاشارة هنا ان نذكر بأن الملك سرجون الأكدي (٢٣٧١-٢٣١٦ قبل الميلاد) كان قد هبّ لمساعدة عدد من التجاّر الأكديين في المنطقة نفسها، كما تذكر ذلك بعض النصوص المسمارية المتأخرة، مما يشير الى ان التجارة مع بلاد الأناضول تمتد جذورها الى أربعة قرون قبل بداية تعامل الآشوريين معها.[١]

لقد بلغ مجموع الرقم المكتشفة في اثناء التنقيب هناك ثمانية وعشرين الف رقيم. معظمها يذكر الصفقات التجارية والنظام التجاري الذي كان سائداً آنذاك. كذلك ظهر من خلال قراءة هذه الرقم أن الغاية من التجارة مع منطقة كبدوكيا بصورة خاصة وبلاد الأناضول بصورة عامة هو الحصول على المعادن، سيما وان بلاد آشور والمناطق المتاخمة لها تعد من المناطق الغنية بالمواد الزراعية الا انها تفتقر الى وجود المعادن والتي كان معظمها يستخرج من بلاد الاناضول، حيث ان استخراج تلك المعادن كان يقع وبالدرجة الاولى على عاتق اهالي منطقة كبدوكيا. وكان القصدير من اهم تلك المعادن حيث كان يستخدم بعد خلطه مع النحاس لانتاج معدن البرونز الذي استخدم على نطاق واسع في بلادآشور.[٢]

ان الهيئة المسؤولة عن التجارة في منطقة الأناضول وحسب ماتذكر الرقم الطينية المكتشفة كانت تعرف باسم كارم (Karum). اما المراكز التجارية التي تخلو من الجالية الآشورية او التجار الآشوريين فان ادارتها كانت تعهد الى (هيئة) يطلق عليهااوبارم. (Ubarum).

ان (هيئة) الكارم هي في الواقع كانت أشبه مايكون بالغرفة التجارية في الوقت الحاضر، حيث كانت هذه (الهيئة) تدير شؤون وحركة التجار مابين بلاد آشور والمراكز التجارية في بلاد الأناضول. كما ان هذه (الهيئة) كانت مسؤولة عن سلامة سير القوافل التجارية.[٣]

وحسب المعلومات الواردة من النصوص التي تم العثور عليها في موقع قانش، فقد كان في بلاد الأناضول أحد عشر مركزاً تجارياً فيها (هيئة) كارم وعشرة مراكز فيها (هيئة) او بارم. وتمتد هذه المراكز من حدود مدينة آشور وحتى سهل قونية الواقع في الجنوب الغربي من هضبة الأناضول.[٤]

كما كان لهيئة الكارم بنايات للاجتماعات، ومعابد ومزارات للعبادة الى جانب أماكن مخصصة للخزن واصطبلات لاستراحة الحيوانات. كما لعبت (هيئة) الكارم دوراً مهماً في تجهيز محطات الاستراحة، وتحديد اسعار الفوائد على القروض المتعاقد عليها. وأخيراً فان من واجبات هذه (الهيئة) أيضاً تسوية الديون.[٥]

ومن خلال قراءة أسماء الأماكن والأشخاص التي وردت على الرقم الطينية المكتشفة في المراكز الآشورية في بلاد الأناضول ظهر أنها كانت تحوي آنذاك اقواماً مختلفة. فهناك وعلى سبيل المثال الخاتيون (Ḥattians)، والحوريون (Ḥurrians) والحيثيون (Hittites) وان هذه الأقوام كان لها مطلق الحرية في اختلاط بعضها مع بعض وبالآشوريين المقيمين هناك. بدليل ان كثيراً من التجار الآشوريين قد تزوجوا من نساء محليات وقطنوا تلك المناطق. وبعضهم الآخر اتخذ له زوجات محليات لمدة مؤقتة. حيث كان بالامكان فسخ الزواج من المرأة المحلية بسهولة وبعد دفع الصداق.[٦]

لقد عبد الاله الآشوري آشور في جميع المراكز التي سكنها الآشوريون في بلاد الأناضول، حيث كان لكل مجموعة آشورية معبد خاص بها يحوي تمثال الاله آشور. اما الاله الآشوري سين فان





منزلته كانت تأتي بعد الاله آشور، وكذلك عبدت الالهة عشتار والاله شمش في تلك المراكز، وفي اثناء التنقيب في قانش عثر على معبد كبير مخصص لعبادة الاله آشور وعلى مايبدو فان هذا المعبد قد نهض بدور كبير في حياة التجار الاشوريين هناك.[٧]

ان الطرق التجارية التي سلكها التجار من الدولة الآشورية واليها كانت عبر جبال طرسوس وحوض نهر الخابور الأعلى مرورا بالسهل الواقع جنوب منطقة سنجار. اما الحيوانات التي استعملت في نقل البضائع التجارية، فقد كانت الحمير والعربات والذي يتراوح معدل قطعها في اليوم الواحد مابين عشرين الى خمسة وعشرين كيلومترا. كانت توضع البضائع على ظهور الحيوانات اوالعربات بهيئة رزم، ونظراً لقساوة المناخ اثناء فصل الشتاء فان الحركة التجارية تتوقف في هذا الفصل مابين بلاد آشور وبلاد الأناضول.[٨]

هناك معلومات قليلة جداً عن كيفية بدء وانتهاء المراكز التجارية الاشورية في بلاد الاناضول، حيث ان معظم النصوص الخاصة بالعقود التجارية وبالعلاقات التجارية مع بلاد اشور قد عثر عليها في الطبقة الثالثة في قانش والتي على مايبدو قد انتهت بحريق هائل. بعد تلك الطبقة (طبقة الحريق) لم يعثر على اي عقد او نص تجاري لحين حكم الملك شمشي ادد الاول (١٨١٣ – ١٧٨١ قبل الميلاد)[٩].

اما متى بدأ الاشوريون بالتجارة مع بلاد الاناضول، فان هناك كثير من الاراء قد طرحت حول احتمال بدء هذه العلاقات ابان حكم الملك اريشوم سيما وان الطبقات السفلى في قانش لم يعثر فيها على اي نص او معلومات تخص هذه العلائق[١٠].

اما العلائق العسكرية والسياسية للملك شمشي ادد الاول فتذكر المصادر التاريخية (قوائم الملوك الاشوريين) بعد رجوعه من ارض بابل استولى على اكلاتُم Ekallatum وحكم فيها لمدة ثلاث سنوات، ثم اتجه صوب شرقي نهر دجلة، ودخل مدينة اشور واتخذها عاصمة لملكه[١١].

بعد ذلك بسط نفوذه على اواسط حوض الفرات (مدينة ماري) والتي كانت تعد آنذاك من المراكز الحيوية للاشوريين حيث انها تربط مابين ارض بابل من جهة ومناطق البحر الابيض المتوسط الشرقية من جهة اخرى.

كذلك تذكر المصادر التاريخية ان الملك شمشي ادد الاول قد استولى على مدينة شوبات – انليل Shubat Enlil والتي تقع على الجهة الشمالية الغربية لآشور. ان الغاية المتوخاة من السيطرة على هذه المدينة واقامته هناك كانت في الواقع لها مردودات اقتصادية هي السيطرة على اواسط دجلة من جهة واواسط نهر الفرات من جهة اخرى[١٢].

وبعد تعيين ابنه البكر اميراً على أكالاتو نصب ابنه الاصغر والمدعو (يسمخ / يسمع . ادد) اميراً على ماري. وان الرقم التي تم الكشف عنها في ماري في اثناء التنقيب قد اوضحت قسما من المراسلات الملكية مابين يسمخ / يسمع . ادد، ووالده، واخيه. اذ ان هذه الاكتشافات في الواقع قد القت الضوء الكثير على علاقات الاشوريين مع الاقاليم المجاورة ابان عهدهم المبكر.

اما النصوص الخاصة بالمراسلات الملكية والتي تم الكشف عنها في منطقة شمشارة فانها تبين امتداد حدود الاشوريين ابان حكم الملك شمشي ادد، حيث تذكر تلك النصوص ان حدود الآشوريين قد امتدت من جبال زاجروس لتضم اربيل والسهول المحيطة بها، كذلك فان تلك النصوص تذكر ان الاشوريين وابان حكم الملك شمشي ادد قد بسطوا نفوذهم على منطقة ارابخا Arrapha كركوك الحالية[١٣].

وبعبارة ادق ان الاشوريين ابان حكم الملك شمشي ادد الاول واولاده اصبحت تمتد من سلسلة جبال زاجروس شرقاً وحتى حوض الفرات الاوسط غرباً، ومن نهر العظيم جنوباً وحتى بلاد الاناضول شمالا.





ولم يكتف شمشي ادد الاول بذلك بل وصل الى سواحل البحر الابيض المتوسط الشرقية واقام هناك مسلة له . ان الغاية من اقامة المسلة هناك كانت في الواقع اظهار قوة الاشوريين امام القبائل الامورية والتي اعتبرت هذا الملك والاشوريين قوة جديدة تظهر لاول مرة . وفضلا عن ذلك فان الاموريين الذين نزحوا من تلك المناطق قد اسسوا سلالة تعرف باسم سلالة بابل الاولى واتخذوا بابل عاصمة لهم . وان ملكهم حمورابي الذي عاصر هذا الملك كان هو الاخر يطمح في بسط نفوذه على كثير من الاقاليم المجاورة . حيث ان المصادر التاريخية تذكر ان بعض ملوك هذه السلالة قد سيطروا على منطقة ماري ايضا(١٤) .

**الدولة الاشورية وعلاقتها بالاقاليم الشمالية الغربية :**

ان المتتبع للهجرات البشرية يلاحظ ان هناك هجرتين بشريتين ظهرت خلال عهد (الدولة) الاشورية المبكر. وان اولى هاتين الهجرتين كانت الموجة الحورية Hurrians والتي استوطنت بلاد وادي الرافدين وسوريا. اي المنطقة الشمالية الغربية ، والغربية من بلاد اشور.

اما الموجة البشرية الثانية فهي موجة الاموريين التي استقرت في بداية الامر في منطقة الفرات الاوسط (عنة) ، اي المنطقة الواقعة غرب بلاد آشور قبل نزوحها الى منطقة بابل . ففي حين تأثرت الموجة الاخيرة (الامورية) بحضارة منطقة بابل ، فقد تأثرت وتطبعت الموجة الاولى الحورية بالحضارة الاشورية .

**علاقات الآشوريين بالحوريين:**

لقد كان الحوريون اكبر المنافسين للدولة الآشورية ابان الربع الاول من الالف الثاني قبل الميلاد. كما دلت الدراسات بان اللغة الحورية لاتشبه اللغة السومرية او الاكدية . وفي نهاية السلالة الاكدية كون الحوريون لهم دويلة صغيرة تقع في منطقة الخابور. وفي خلال سلالة اور الثالثة ظهرت كثير من الاسماء الحورية ، لاسيما في منطقة حوض ديالى . لذا فان من المرجح جداً ان يكون الحوريون قد هاجروا الى بلاد وادي الرافدين من الشمال وليس من المستبعد جداً ان يكونوا قد اتوا من ارمينيا .

وفي عهد الملك الآشوري شمشي ادد الاول انتشر الحوريون في معظم مناطق وادي الرافدين ، وخاصة المناطق الشمالية الشرقية . ومنها زاجروس والتي كان يحكمها (ملوك) حوريون(١٥) .

ان المصادر التاريخية تذكر ان احد احفاد الملك شمشي ادد الاول قد تزوج امراة من احدى قبائلهم المتنفذة ، وبعد الملك شمشي ادد انتشر الحوريون في المناطق السورية وبالذات في منطقة الالآخ (تل العطشانة) حيث عثر على كثير من النصوص التاريخية هناك .

وفي منتصف القرن السابع عشر قبل الميلاد هاجم الحوريون المناطق الحثية الواقعة في الجهة الشمالية الغربية واستولوا عليها . وبعد قرن من الزمن اسس الحوريون مملكة محلية في بلاد الاناضول عرفت بالدولة الميتانية Mittani لقد انتشرت هذه الدولة في بادى امرها شرقي اعالي الفرات ، ثم ظهر نفوذها في سوريا(١٦) .

ان سيطرة الدولة الميتانية على هذه المناطق يعود بالدرجة الاولى الى عدم تكامل (الدولة) الاشورية والتي ايدت الفرعون المصري تحتمس الثالث لشن حملة عسكرية على المناطق الميتانية . في عام ١٤٧٢ قبل الميلاد . لقد بارك هذه الحملة ايضاً الحيثيون .

وبعد انتصار تحتمس عليهم بفترة اعاد الميتانيون سيطرتهم على سوريا ، بعد ذلك عمدوا الى الاستيلاء على الدولة الاشورية . وبالفعل فقد غزوها ونهبوا العاصمة آشور وبسطوا نفوذهم حتى سلسلة جبال زاجروس ومنطقة كركوك ، حيث تمركزت الحضارة الحورية في منطقة نوزي (يورغان تبه)(١٧) وكورجاني (تل الفخار) .

ان طرد الميتانيين من بلاد آشور لم يحدد تاريخه بالضبط الا ان الاحداث التاريخية ترجح طردهم





ابان حكم الملك اريبا- ادد الاول (١٣٩٢- ١٣٦٦ قبل الميلاد) والد الملك اشور بالط الاول (١٣٦٥- ١٣٣٠ قبل الميلاد).

وبعد استقلال الدولة الاشورية من الهيمنة الميتانية ارتبطت بحلف مع بابل بدليل وجود وثيقة تاريخية تذكر هذا الحلف. كما ترك هذا الملك كثيراً من المراسلات التجارية مع الاقاليم المجاروة، إذ ان حولياته لم تذكر بالتفصيل حملاته العسكرية. الا ان ملوك اشور اللاحقين قد ذكروا هذا الملك وكيف انه سيطر على المناطق الواقعة شمال آشور لكي يؤمن كثيراً من المواد الخام التي كانت تحتاج اليها الدولة الآشورية، كالخشب، والمعادن، والاحجار الكريمة الى جانب المواد الكمالية كالبخور والمطيبات[١٨].

ان الملوك الذين خلفوا الملك آشور ابالط عمدوا الى توسيع الرقعة الجغرافية لبلاد آشور، بدليل ان قوائم الملوك الاشورية تذكر ان الملك اريك- دين- ايلي Arik-den-ili (١٣١٩- ١٣٠٨ قبل الميلاد) قد نعت نفسه بلقب ملك الكون[١٩] وان الملك ادد نيراري الاول (١٣٠٧- ١٢٧٥ قبل الميلاد) تمكن من الوصول الى كركميش، كذلك قام ابنه شيلمنصر الاول (١٢٧٤- ١٢٤٥ قبل الميلاد) باحتلال هذه المدينة ثانية. والى هذا العاهل يعود الفضل ايضاً بالقضاء على الدولة الميتانية في عام (١٢٧٠ قبل الميلاد) والسيطرة على المناطق التي كانت تحت سيطرة الدولة الميتانية.

اما الملك تجلاتبليزر الاول (١١١٥- ١٠٧٧ قبل الميلاد) فانه تمكن من دخول منطقة تدمر ثم تلاه الملك شيلمنصر الثالث (٨٥٨- ٨٢٤ قبل الميلاد) وان هذا الملك حاصر دمشق قبل فتحها من قبل الملك تجلاتبليزر الثالث (٧٤٤- ٧٢٧ قبل الميلاد)، كذلك قام هذا الملك بضم نصف مايسمى بمملكة اسرائيل الى الدولة الاشورية، وعين هوشع ملكا على السامرة.

اما حوليات الملك سرجون الثاني (٧٢١- ٧٠٥ قبل الميلاد) فتذكر انه سيطر على دولة كركميش وقضى على استقلالها، كما انه، وحسب ماتذكر اخباره، قد قضى ايضاً على عدة دويلات في بلاد الاناضول منها كيليكية (قوئي Quê) وفريجية (موشكي Muški).

وعلى مايظهر فان الملك سرجون قد تسلم وهو في بلاد الاناضول هدايا من ملوك (ياتنانا) السبعة، اي من امراء جزيرة قبرص. ومما يؤيد هذا القول وجود المسلة العائدة للملك سرجون في عاصمة قبرص لرناكا. كما اخضع هذا الملك ايضاً بلاد الشام وازال مملكة اسرائيل من الوجود.

لقد ورث العرش بعد الملك سرجون الثاني ابنه سنحاريب (٧٠٤- ٦٨١ قبل الميلاد) وقد حكم هذا الملك ثلاثة وعشرين عاما اتسمت اعماله خلالها بالقوة الحربية والنشاط البنائي حيث جعل نينوى العاصمة الاولى للامبراطورية. اما مايخص اعماله العسكرية في بلاد الشام والتي ورد ذكرها في حولياته الملكية فتذكر ان بعض دويلات فينقية وفلسطين اظهرت العصيان على الدولة الاشورية بمساعدة مصر وكان من بين تلك الدويلات، يهوذا في عهد ملكها المدعو حزقيا، عمد سنحاريب الى ضرب هذه الدويلات في السنة الرابعة من حكمه، وتم اخضاعها جميعاً.

وبعد تسلم زمام الحكم الملك اسرحدون اعلنت العصيان بعض دويلات بلاد الشام ثانية، الا ان هذا الملك قضى عليها وبخاصة العصيان الذي قام به ملك صيدا المدعو عبد ملكوتي. وبعد ذلك ركز الملك اسرحدون جل اهتمامه لدخول مصر.

اما حوليات الملك اشور بانيبال فانها تذكر عصيان كثير من اقاليم بلاد الشام ايضاً كفينقية مثلا، الا ان الملك اشور بانيبال استطاع اخمادها جميعا[٢٠].

لقد بقيت هذه الاقاليم (اقاليم بلاد الشام) تابعة للدولة الاشورية لحين افول الدولة الاشورية، وبعد قيام الدولة الكلدية ببابل اصبحت جميع هذه الاقاليم تابعة لها.





## علاقة الدولة الاشورية بالدولتين الحيثية والاورارتية:

### (أ) علاقة الدولة الاشورية بالدولة الحيثية:

لقد بدأت المملكة الحيثية القديمة بالتبلور في بلاد الاناضول في منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد. اي بعد بزوغ العصر الاشوري القديم بقليل في بلاد اشور. وتعاظم سلالة بابل الاولى في بلاد بابل.

ان المنطقة التي سكنها الحيثيون في بلاد الاناضول قد عرفت في نصوص الالف الثاني قبل الميلاد باسم ارض حاتي، وابان هذه الفترة (فترة تكوين مملكتهم القديمة) اتخذ الحيثيون (مدينة بوغازكوي (خاتوشا) عاصمة لهم. ومنها سيطروا في بداية امرهم على المناطق المحصورة مابين غرب نهر الفرات (الاعلى) وسواحل البحر الابيض المتوسط الشرقية[٢١].

وفي بداية القرن السابع عشر قبل الميلاد تمكن الملك الحيثي مرسيلس (مورشيلي) من احتلال منطقة شمال سوريا ومنها نزل الى جنوب نهر الفرات، حيث قضى على سلالة بابل الاولى واستولى على العاصمة بابل. فالمصادر البابلية تذكر هذا الحدث الذي ساعد على اعطاء تاريخ ثابت لحكم هذا الملك. ولولا النصوص البابلية وقوائم الملوك الاشورية لاصبح من المتعذر اعطاء تواريخ تسلسل ملوك الدولة الحيثية[٢٢].

والملاحظ ايضاً ان قوة الدولة الحيثية لم تظهر في منطقة سوريا الا بعد احتلال ملكهم شوبيلولوما في عام ١٢٧٠ قبل الميلاد مدينتي حلب والالاخ. والعامل المساعد الآخر الذي ساعد الدولة الحيثية من بسط نفوذها على منطقة سوريا هي قضاء الاشوريين على الدولة الميتانية، حيث ان سقوطها ترك فراغا كبيرا في المنطقة. كما ان انشغال الدولة الاشورية في اعداد نفسها قد ساعد الدولة الحيثية في شغل المناطق التي دحر فيها الميتانيون.

ان المصادر التاريخية المصرية تذكر وباسهاب الصراع السياسي مابين سلالات مصر والدولة الحيثية والذي تعاظم ابان حكم الملك (الفرعون) رعمسيس الثاني (١٢٩٨ - ١٢٣٢ قبل الميلاد). ان السلالات المصرية لم تستطع دحر القوة الحيثية المتمركزة في المنطقة الواقعة مابين غرب الفرات والسواحل الشرقية للبحر الابيض المتوسط الا انها اوقفت زحفها نحو الغرب.

وفي اثناء الصراع مابين مصر والدولة الحيثية، كانت الدولة الاشورية تعد العدة للقضاء على الدولة الحيثية، سيما وان حدود هذه الدولة قد توسع على حساب الدولة الاشورية، حيث ان المصادر الملكية الاشورية تذكر ان اول ملك اشوري وصل الفرات (غربي الفرات الاعلى) بعد سقوط العاصمة خاتوشا كان الملك تجلا تبليزر الاول عام ١١١٠ قبل الميلاد.[٢٣]

كما تذكر المصادر التاريخية تلك، ان الملك تجلاتبليزر الاول، ارسل في بادئ الامر بعض السرايا لاكتشاف الطريق مابين بلاد الاناضول وبلاد اشور، وبعد اتمام الكشف سار شمال نهر دجلة ومن هناك دخل بلاد الاناضول، حيث وصل في بادئ الامر الى مدينة ميليد (ملاطيا) ومنها اتى صوب الجهة الشمالية الغربية نحو بحيرة وان. وهناك وحسب ماتذكر المصادر الاشورية ترك منحوتة مازالت في منطقة ملازكرت نقش عليها النص الاتي: «تجلا تبليزر الملك القوى، ملك الكون، ملك اشور، ملك الجهات الاربع، فاتح ارض نائيري من ارض تومي الى ارض دينو، فاتح ارض خابخا الى البحر العظيم (البحر الابيض المتوسط)».

ومن هذه المناطق جلب الملك الاشوري غنائم قوامها النحاس، وآنية برونزية وخيل، وماشية، وثيران، وحمر[٢٤].

وبعد وصول الملك تجلا تبليزر الاول الى سواحل البحر الابيض المتوسط طلب الركوب في سفينة، حيث تذكر حولياته: انه ركب سفن مدينة ارواد، وهي ارض امورو، وقد قام الملك الاشوري برحلة من هذه المدينة وحتى سامورو. وبعد سقوط العاصمة خاتوشا وسير الملك الاشوري في المنطقة المحصورة مابين غرب الفرات والساحل الشرقي





للبحر الابيض المتوسط أمست هذه المنطقة تحت سيطرة الدولة الاشورية.

ان الفتوحات التي قام بها الملك تجلا تبليزر الاول في بلاد الاناضول قد مكنت الملوك الاشوريين اللاحقين من بسط نفوذهم على مناطق اخرى من بلاد الاناضول. حيث تذكر حوليات الملك شيلمنصر الثالث. انه وسع النفوذ الاشوري في بلاد الاناضول، حيث وصل الى الجهة الشمالية الغربية وحتى منطقة كليكيا، واواسط منطقة الاناضول. ان السيطرة على منطقة كليكيا مكن الاشوريين ايضاً من التجارة مع جزيرة قبرص وشبه جزيرة اليونان، وخاصة تجارة الحديد. وبهذا يكون الاشوريون وخلال حكم شيلمنصر الثالث قد سيطروا على جميع المناطق الحيثية التي لم يستطع الملوك الاشوريون الذين سبقوا الملك شيلمنصر الثالث من الوصول اليها. بدليل ان الرحالة اليونانيين الذين زاروا مناطق شمال سوريا، وبلاد الاناضول كانوا يطلقون عليها مقاطعات الامبراطورية الاشورية. اي ان اسم ارض حاتي قد نسي تماماً[٢٥].

واخيراً فان العلاقات مابين الاشوريين والاقاليم الواقعة غرب الفرات، وحتى سواحل البحر الابيض الشرقية يمكن لمسها من كثير من التحف الفنية التي تركها الاشوريون، ولاسيما مايسمى بعاجيات نمرود. حيث ان صناعة بعض تلك العاجيات يعكس تاثيرات تلك المناطق وخاصة منطقة بيبلوس (جبيل).

**(ب) علاقة الدولة الآشورية بالدولة الاورارتية:**

في النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد تكونت في شرق بلاد الأناضول (أرمينيا) مملكة تسمى (اورارتو).

ان هذه المملكة قد تطورت في الواقع خلال القرن التاسع قبل الميلاد من اتحاد دويلات تقع ماوراء جبال طرسوس والتي كانت عرضة للتوسع الاشوري.[٢٦]

لقد استخدم الآشوريون كثيراً من ابناء هذه المنطقة في الدولة الآشورية صناعاً، او مسؤولين وكلاء عن وصول الاخشاب والخيل، والمعادن الى بلاد آشور بدليل ان اللغة الاورارتية (هندواوربية) قد دوّنت بالكتابة المسمارية العراقية.[٢٧]

ان تفاقم خطر الدولة الاورارتية بدأ يظهر خلال حكم الملك شيلمنصر الثالث. حيث ان حولياته تصف علاقته وحملاته العسكرية الى بلاد اوراراتو. ان وصف هذه الحملات قد ظهر ايضاً وبهيئة نحت بارز معمول من البرونز على الافاريز التي كانت تزين بوابات احدى المدن الآشورية القريبة من العاصمة كلخو (نمرود) وهي بلوات. تحوي هذه الافاريز مشاهد توضح كيف ان الفرسان والمقاتلين الاشوريين احرقوا العاصمة الاورارتية الاولى ارزاشكون.[٢٨]

وفي نهاية حكم الملك شيلمنصر الثالث امتدت حدود المملكة الاوراتية لتشمل المنطقة الجبلية (الجنوبية) والمنطقة الشرقية وحتى أذربيجان، وعند محاولة الاورارتيين الوصول الى جنوب هذه المنطقة تصدى لهم الآشوريون في عام ٧١٤ قبل الميلاد واوقفوا زحفهم.

ولم تكتف الدولة الاورارتية بذلك بل انها امتدت الى اعالي الفرات. اذ ان سيطرة الدولة الاورارتية على تلك المنطقة يعني حجب وصول كثير من السلع التجارية من بلاد الاناضول عبر الفرات الى بلاد آشور.

لقد شن الملك شيلمنصر الرابع (٧٨١ – ٧٧٢ قبل الميلاد) وحسب ماتذكر حولياته ست حملات عسكرية على منطقة اورارتو خلال ثماني سنوات الآ انه لم يفلح في دحرها، لذا فان معظم السلع التي كانت تجلب عبر الفرات قد جلبها الآشوريون من مناطق اخرى، الآ انهم في الوقت ذاته واصلوا المحاولات للقضاء على الدولة الاورارتية.[٢٩]

لقد حاول الملك تجلا تبليزر الثالث فتح طريق هذه السلع الى آشور وذلك عن طريق مد نفوذهم





الى شمال سوريا، ولكنه لم يفلح ايضاً. الا ان اصرار الملك سرجون الثاني (٧٢١– ٧٠٥ قبل الميلاد) بالسيطرة على منطقة اورارتو وفتح الطريق التجاري قد تمخض فعلاً عن نتيجة ايجابية. [٣٠]

تذكر حوليات هذا الملك أنه قرر السيطرة على دولة اورارتو بنفسه فترك مدينة كلخو متوجهاً نحو الشرق، اي نحو جبال زاجروس، ومنها اتجه صوب بلاد المانيين، اي انه وصل بحيرة اورميا. وفي الحال استسلمت هذه المنطقة الى قوة سرجون. [٣١]

لقد شيد الاورارتيون مناطق حصينة غرب بحيرة وان، لذا فان الملك سرجون بدأ هجومه من الجانب الشرقي للمدينة اي الجهة التي كانت خالية من التحصينات. وبعد شن هجومه الأول تمكن من فتح العاصمة توروشبا، وعند سقوط العاصمة انهارت قواعد الدولة الاورارتية، حيث تم فتح الطريق التجاري مابين بلاد الاناضول وآشور. وبعد السيطرة على منطقة اورارتو رجع الملك سرجون الى كلخو عن طريق الغرب، وفي طريقه ابرم كثيراً من المعاهدات مع الاقاليم التي كانت تحت السيطرة الاورارتية. [٣٢]

ان سقوط الدولة الاورارتية كان له الاثر الكبير في امتداد الامبراطورية الآشورية الى المناطق التي كانت تجلب منها كثير من السلع التجارية والمواد الخام التي كانت تفتقر اليها بلاد آشور.

**الدولة الآشورية والهضبة الايرانية :**

ان المتتبع للاصول الثقافية والتأريخية للهضبة الايرانية يجدها مشتقة من وادي الرافدين بدليل ان العدد الكبير من اللقى الاثرية التي عثر عليها في كثير من المواقع الاثرية في الهضبة الايرانية ترجع اصولها الى ثقافة وادي الرافدين. كما دلت الدراسات على ان سكان الهضبة الايرانية الاقدمين لم يكتفوا بنقل ثقافة وادي الرافدين اليهم بل تطبعوا بأصولها.

ان الواقع الجغرافي لغرب الهضبة الايرانية لايختلف كثيراً عن الواقع الجغرافي لبلاد وادي الرافدين والذي يمتد من شمال الدولة الآشورية وحتى ساحل الخليج العربي، حيث تكثر في هذه المناطق المرتفعات والمياه، الى جانب انخفاض درجات الحرارة في المناطق الشمالية وسهولة وقلة المياه (الامطار) وارتفاع درجات الحرارة في المناطق الجنوبية.

وكما هو معلوم فان المنطقة الجنوبية من العراق قد شهدت نضجاً ثقافياً سبق المنطقة الشمالية، اذ ان هذا السبق الثقافي قد امتد الى جنوب الهضبة الايرانية، بدليل ان الثقافة العيلامية المبكرة كانت متأثرة جداً بالثقافة السومرية القديمة والمتأخرة، كما تأثرت ايضاً بالثقافة الاكدية التي ازدهرت في العراق، وخاصة في زمن الملك الاكدي نرام سين الى درجة حلت اللغة الاكدية محل اللغة المحلية للعيلاميين.

**علاقة الدولة الاشورية بالعيلاميين :**

ان معظم النصوص التأريخية تشير الى الدور الذي قام به العيلاميون في اسقاط سلالة اور الثالثة (٢١١٢– ٢٠٠٤ قبل الميلاد) الا انهم لم يستطيعوا السيطرة على اي جزء من بلاد سومر.

لقد حاول العيلاميون ايضاً مقارعة الدولة الاشورية ابان حكم الملك آشور – دان الاول (١١٧٩– ١١٣٤ قبل الميلاد) الا ان محاولتهم باءت بالفشل بعد ذلك عاودوا الكرة في مهاجمة الدولة الاشورية ابان حكم الملك توكلتي– ننورتا الاول. إذ ان هذا الملك حطم القوة العيلامية، لاسيما في المنطقة الواقعة حول حوض الزاب الاسفل. حيث ان هذه المنطقة كانت من اهم المناطق الحيوية للدولة الاشورية، لا لكونها خصبة فحسب بل كانت تمر بها الطرق التجارية الشرقية. [٣٣]

ان علائق الدولة الاشورية مع العيلاميين خلال العصر الامبراطوري الثاني كانت تتميز، وحسب ماتذكر الحوليات الاشورية بطابعين: الطابع الدبلوماسي، والطابع العسكري.

وعلى مايبدو فان الطابع العسكري كان الطابع المرجح في تينك العلاقتين فمثلاً تذكر حوليات الملك





سرجون الثاني كيف انه حطم الجيش العيلامي والذي كان تحت قيادة الملك خمبا نيكاش.

اما حوليات الملك اشور بانيبال فتذكر كيف ان الملك آشور بانيبال قد ارسل الى ملك عيلام حبوب (ذرة) حين حلّت به وبالعيلاميين كارثة. ان جزء من نص هذه الحولية يذكر الآتي: «عندما انتشرت المجاعة وقلّ الطعام في عيلام ارسلت الى ملك عيلام ذرة لكي يستطيع العيلاميون العيش، وشددت على يد الملك. كما ان بعض العيلاميين هربوا من تلك المجاعة التي حلت بهم وسكنوا ارض آشور لحين سقوط المطر عندهم وازدياد المحاصيل، اذ ان اولئك العيلامين الذين عاشوا في ارض اشور ارجعتهم عند انتهاء المجاعة»[٣٤].

الآ ان الملك العيلامي اورتكي نسي فضل الملك الاشوري عليه وعلى شعبه فهجم على بابل عام «٦٦٥ قبل الميلاد». الا ان هجومه هذا قابله الملك الاشوري بهجوم معاكس تم خلاله تحرير بابل من العيلاميين.

وبعد موت الملك العيلامي اورتكي تسلم زمام الحكم الملك تيومان، حيث هو الاخر نسي فضل الاشوريين على العيلاميين. وبدأ يتحرش بالاشوريين، فارسل اليه الملك الاشوري اشور بانيبال في صيف عام «٦٥٣ قبل الميلاد» قوة تمكنت من القضاء عليه.

حيث تذكر حوليات الملك آشور بانيبال ايضاً النص الآتي: «تيومان ملك عيلام... هرب لانقاذ حياته واختبأ في الغابات. ان عربة هذا الملك قد انكسرت وانقلبت عليه.. ولقد حاول ابنه (مساعدته) على الهرب، الا انه تم القبض عليه وقطع رأسه، وقد أخذ رأس تيومان الى الملك الاشوري وأقام الملك وزوجته احتفالاً كبيراً بهذه المناسبة.

ان قسماً من هذا الاحتفال نقش بهيئة نحت بارز عثر عليه اثناء التنقيبات في نينوى ومعروض الان في المتحف البريطاني في لندن.[٣٥]

ان الصراع مابين الاشوريين والعيلاميين يعزى الى عاملين اساسيين اولها الاختلاف الحضاري مابين المجتمع الاشوري والعيلامي. حيث كان العيلاميين ينظرون الى الدولة الآشورية كدولة غنية مرفهة تمتد حدودها الى اقاليم دانية وقاصية. تصل منها كثير من المواد الخام الى جانب السلع الكمالية والاستهلاكية لذا فان كثيراً من الملوك العيلاميين حاولوا قهر الدولة الاشورية. اما العامل الثاني فيعزى الى معاناة الدولة العيلامية ومنذ قيامها من صراعات داخلية. اذ ان هذه الصراعات قد ساعدت كثيراً على اضعاف الدولة العيلامية والتي لم تحدد موقفها الحقيقي من الدولة الاشورية، فحين تزداد الصراعات الداخلية يبرم العيلاميون معاهدة سلمية مع الدولة الاشورية، وحينما يقضي على هذه الصراعات فان ملوك العيلاميين يشنون هجومهم على حدود الدولة الاشورية، لحين نهايتهم على يد الملك الاشوري اشور بانيبال.

واذا تركنا خارطة جنوب الهضبة الايرانية واتجهنا شمالاً اي الى الحدود المتاخمة للدولة الاشورية، نجد ان هذه المنطقة كانت دوماً تحت النفوذ الاشوري (التجاري). حيث ان كثيراً من المراكز التجارية قد كشف عنها شرقي وشمال سلسلة جبال زاجروس.

ان حوليات الملوك الآشوريين السابقة لحوليات الملك شيلمنصر الثالث، لم تذكر اي هجوم عسكري او ذكر اي قوم من اقوام تلك المناطق، الا ان حوليات هذا الملك تذكر الى جانب حملاته العسكرية ان هذه المناطق (شرق زاجروس) اسماء بعض اقوام تلك المناطق والتي كان من بينها المانيون، والميديون، والفرس.[٣٦]

لقد جاء ذكر هؤلاء الاقوام في حوليات الملك شليمنصر الثالث عندما عبر جبال زاجروس، وبعد ان جابه في بداية امره الميديين والفرس وهم من القبائل الايرانية التي اتت او بالاحرى هاجرت الى الهضبة الايرانية من الشمال في بداية الالف الاول قبل الميلاد.





لقد سكنت القبائل الفارسية فيما بعد جنوب غرب ايران، اما الميديون فقد اسسوا لهم قرب همدان عاصمة تدعى اكبتانا، وقبل قدوم هذه القبائل الى الهضبة الايرانية كانوا عبارة عن بدو رحل يتجولون في معظم انحاء المناطق الشمالية، وان معرفتهم بالطرق البرية قد ساعدهم كثيراً على جلب حاجيات تجارية الى الدولة الاشورية، لاسيما حجر اللازورد Lapis – Lazuli والذي كان يستورد من افغانستان.

لقد تعلم الميديون والفرس بصورة خاصة كثيراً من ثقافة الدولة الاشورية وتطبعوا بها، وبعد ان قوى ساعدهم هاجم الميديون العاصمة آشور في حدود عام ٦١٤ قبل الميلاد، وبعد افول الدولة الاشورية اتحد الميديون والفرس وكونوا دولة عرفت بالدولة الاخمينية.

اما القبائل المانية فهي الاخرى كانت تحت الهيمنة الاشورية منذ حكم الملك شيلمنصر الثالث، والملوك اللاحقين. الا ان اخبار الملك سرجون الثاني تذكر ان القبائل المانية انتهى امرها بعد سيطرة الملك سرجون الثاني على اذربيجان في عام ٧١٤ قبل الميلاد.

وفي نهاية حكم سنحاريب (٧٠٤ – ٦٨١ قبل الميلاد) ظهرت موجة جديدة من القبائل المهاجرة الى الهضبة الايرانية من القفقاس. ولقد عرفت هذه الموجه في الحوليات الاشورية باسم كميريا، وباللغة اليونانية باسم الكميرين Kimmerians. تبعتها موجة اخرى هي الموجة السيثية Sythians. وقد تمكن الملك سنحاريب من السيطرة على الموجة الاولى والتي هي الاخرى تطبعت بالثقافة الاشورية.[٣٧]

لقد اتحدت هذه القبائل والقبائل الاخرى المهاجرة الى الهضبة الايرانية مع قبائل الميديين والفرس، وحاولوا قهر الدولة الاشورية ماقبل عام ٦١٤ قبل الميلاد.

**علاقة الدولة الاشورية بمصر:**

ان اول اشارة للعلاقات السياسية مابين الدولة الاشورية ومصر جاءت الينا حينما بارك الاشوريون انتصار الفرعون المصري تحتمس الثالث على الميتانيين في سوريا عام ١٤٧٢ قبل الميلاد. وعلى مايبدو فان العلاقات مابين الدولة الاشورية ومصر قد ازدادت وثوقاً ابان حكم الملك اشور-اوبالط، حيث كشفت المراسلات الملكية الاشورية مابين الملكين الاشوري والمصري ذلك. ومن بين هذه المراسلات رسالة ارسلها اشور- اوبالط الاول الى فرعون مصر، ان محتويات الرسالة هو الاتي: «الى ملك مصر، فعليه، يقول الملك آشور-اوبالط، ملك آشور، آملاً ان تكون انت بخير، واسرتك، وارضك، وعرباتك، وقواتك، لقد ارسلت اليكم رسولي لمقابلتكم لكي يرى ارضكم. اكتب اليكم اليوم، والذي لم يكتب اليكم اي ملك آشوري من قبلي. لقد ارسلت اليكم عربة جيدة الصنع، ومجوهرات، تمثل حجر اللازورد الحقيقي كهدية اليكم. لاتبقي رسولي الذي ارسلته اليكم. ان مهمة هذا الرسول هي رؤيتكم والعودة الى اشور ودعه يقيم في ارضك، ومن ثم دعه يرجع الينا»[٣٨].

بطبيعة الحال ان دلت هذه الرسالة على شيء فانما تدل على رغبة الدولة الاشورية باقامة علاقات سياسية وتجارية مع مصر. وبالمثل فقد ارسلت مصر رسل الى بلاد آشور حيث دخلوا البلاط الاشوري وقابلوا الملك.

وقد اردف الملك الاشوري بعد هذه الرسالة والهدايا، هدايا اخرى الى فرعون مصر، وبالمقابل طلب من مصر ارسال الذهب اليه لتزيين قصره الجديد.[٣٩]

وكما هو معلوم فان الطور الثاني للامبراطورية الاشورية اتسم بامتداد حدود الدولة الاشورية الى بقاع تمتد الى حدود مصر، حيث تذكر حوليات الملك تجلا تبليزر الثالث بانه سيطر على فلسطين حتى مدينة غزا التي كانت تعد حدود مصر الخارجية (الفاصلة مابينها وبين فلسطين).

اما حوليات الملك سرجون الثاني فانها تذكر ان الملك سرجون قد شجع التجارة مع مصر. الا ان





حوليات حفيده اسرحدون والذي يعد اول ملك اشوري دخل مصر تذكر بأنه بدأ حملته على مصر عام ٦٧٥ قبل الميلاد وانتهى منها بعد اربع سنوات.

ان احد نصوص هذا الملك التأريخية يذكر ان : «الملك اسرحدون تقدم نحو العريش. ونظراً لوعورة المنطقة (الارض) فقد جهزه العرب (حلفاءه) بجمال استطاع بها عبور الفيافي»، كما ادعى بأن الاله مردوخ ساعده على الانتصار على الفرعون طهراقا والسيطرة على عاصمته منفس، وبعد سقوط منفس اصبح الملك اسرحدون ملك مصر العليا والسفلى والحبشة (اثيوبيا). (٤٠)

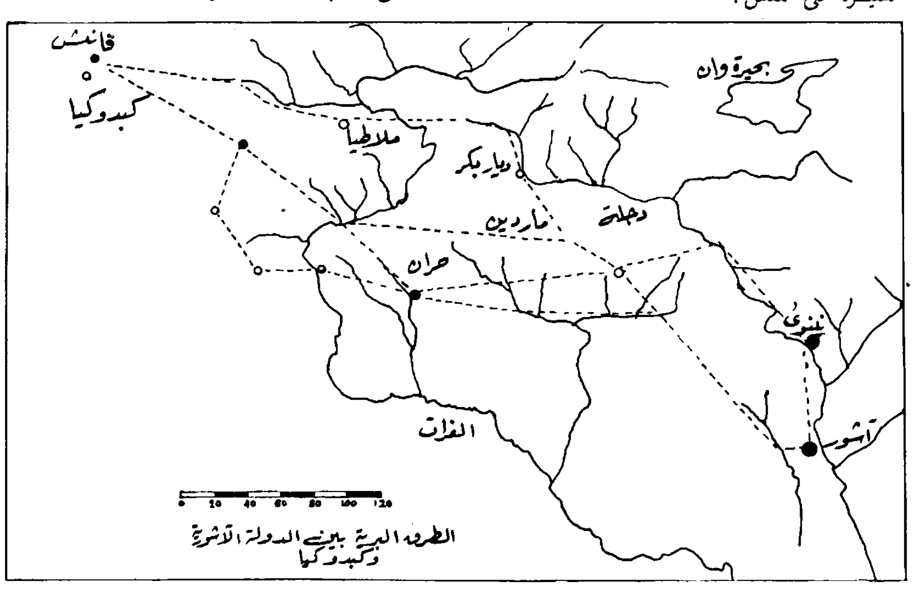
وبعد رجوع الملك اسرحدون الى اشور ثار طهراقا على الاشوريين واحتل منفس. وفي عام ٦٦٩ قبل الميلاد ارسل الملك اسرحدون حملة ثانية الى مصر ولكنه توفي قبل وصولها مصر. (٤١)

ان المشكلة التي ورثها الملك اشور بانيبال هي عدم استكمال السيطرة على مصر، لذا فقد ارسل في عام ٦٦٧ قبل الميلاد حملة عسكرية استطاعت السيطرة على منفس.

كما تذكر حوليات هذا الملك ايضاً ان احد الامراء المصريين والمدعو نيخو Nechu قد انضم الى طهراقا، وبعد انتصار الآشوريين عفي عنه وجلب الى العاصمة نينوى، وبعد ان حمل بالهدايا رجع الى مصر. (٤٢)

وبعد رجوع نيخو الى مصر والحكم باسم الدولة الاشورية ثارت عليه احدى السلالات الجنوبية لاحتلال مصر السفلى، حيث تمكن احد ابناء الملك طهراقا من محاصرة منفس في عام ٦٦٤ قبل الميلاد. الاّ ان هذا الحصار لم يدم طويلاً حيث تمكن الملك آشور بانيبال من اخماده في ٦٦٣ قبل الميلاد. وبعد فك الحصار عن مدينة منفس تمكن الجيش الاشوري من السيطرة على طيبة، وقد مكث الاشوريون في مصر حتى عام ٦٥١ قبل الميلاد. (٤٣)

وبعد ظهور السلالة الكلدية في بابل كقوة سياسية بدأ ملكها نبوبلاصر وبالذات في عام ٦١٦ قبل الميلاد بمهاجمة الدولة الاشورية، لقد وقفت مصر والقبائل العربية الممتدة على طول نهر الفرات الاعلى بجانب الدولة الاشورية.




خارطة تبين الطرق البرية ما بين الدولة الاشورية وكبدوكيا

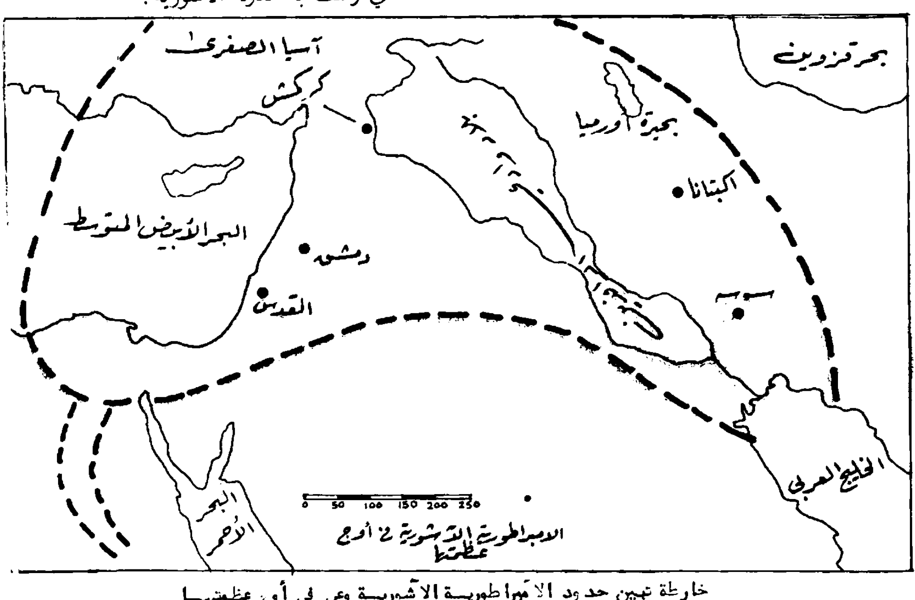




وبعد سقوط العاصمة نينوى،لابسبب الحصار الذي فرضه عليها البابليون والميديون فحسب بل بسبب الفيضان الذي اتاها من نهر الخوصر والذي هدم اسوارها وتحصيناتها الدفاعية ، هرب الملك الآشوري آشور اوبالط الى حرّان.[٤٤] وفي اثناء مكوثه في حرّان طلب المساعدة من مصر وذلك في عام ٦١٠ قبل الميلاد ، لم يتردد ملك مصر نيخو الثاني في ارسال قوة مصرية تقف الى جانبه حيث اتخذوا من كركميش قاعدة لذلك.

وفي عام ٦٠٥ قبل الميلاد قاد الجيش الكلدي نبوخذ نصر الثاني ابن الملك نبوبلاصر حملة الى سوريا تمكن من خلالها القضاء على كركميش. وبعد هذا التأريخ لم تذكر المصادر التأريخية اي شيء عن مصير الملك الاشوري او الدولة الاشورية.

وفي العام ذاته اصبح الملك نبوخذنصر الثاني ملك بابل ، حيث دخلت بلاد وادي الرافدين في عصره حقبة تأريخية جديدة اتسمت بالنضج الثقافي ، لايقل اهمية وقوة وتأثيراً عن النضج الثقافي الذي وسمت به الدولة الاشورية.




خارطة تبين حدود الامبراطورية الآشورية وهي في أوج عظمتها

١. لقد جلب الاكديون من منطقة الاناضول كثيراً من المعادن ولاسيا النحاس والبرونز راجع :
Gadd, G.J., The Reign of Sargon, The Cambridge Ancient History, Vol, 1, 1968.

٢. Lloyd., S., Early Anatolia, (la) Forbes, R. J., Metallurgy in Antiquity 1950.

٣. Orlin, L.L., Assyrian Colonies in Cappadocia, 1970.

٤. نفس المصدر السابق.

٥. نفس المصدر السابق.

٦. Stephen, F. J., Personal Names from Cuneiform Inscription of Cappadocia, Yale University Oriental Series, vol. XIII, No. I, 1928.

٧. Smith, S., Cuneiform Text From Cappadocia Tablets in the British Museum, cct, No. III, 1921.

٨. Lewy, J. Old Assyrian Roads in the Valley of. the Habur and the Euphrates and in the North Syria, Orientala, Vol. XXI, !

٩. --------, Some Aspects of Commercial life in Assyria and Asia Minor in the 19 th Century B.C., Journal of Oriental Society, Vol. 1958.

١٠. Saggs, H.W.F. The Might that Was Assyria 1984
Lloyd, S., Op. cit
Orlin, L.L., Op. cit
Akurgal, A., Ancient Civilization and Ruins of Turkey, 1970.





Ozguc, T., and N., New Researches at the centre of the Assyrian Trade Colonies, TTKY. Vol. V, No. 19, 1959
Mellaart, J. The Earliest Civilazation of the Near East 1965

١١. Waterman., L. Op. cit
Lloyd,s. Op. cit

١٢. Saggs, H.W.F., The Might that was Assyria.

١٣. نفس المصدر السابق
Saggs, H.W.F., The Might that was Assyria

١٤. Olmstead, A.T. op. cit.

١٥. حول تاريخ وهجرة الحوريين راجع :
Speiser, A., The Hurrian Participation in the civilization of Mesopotamia, Syria, and Palestine, Journal of World History 1933
--------, Ethnic Movement in the Near East in the Second Millennium B.C. Annal of The American School of Oriental Research 1933
Gelb, A. Hurrians and Subahians 1944

١٦. Speiser, A. op.cit. ....
Saggs, H., op. cit. .....

١٧. نفس المصدر السابق

١٨. Saggs, H., op. cit. .....

١٩. نفس المصدر السابق.

٢٠. وفيا يخص علاقات الدولة الآشورية بتلك الاقاليم راجع ايضاً العهد القديم – وحوليات الملوك الآشوريين.

٢١. Akurgal, A., The Art of the Hitties
that was Assyria, London 1984.

٢٢. Gurney. O. R. The Hittites, 1954

٢٣. Waterman, L. Op. cit
Saggs, H. The Might

٢٤. نفس المصدر.

٢٥. Gurney, O. R. Op. cit

٢٦. Saggs, H. Op. cit
Gurney, O. R. Op. cit
Loon, M., Urartain Art, its distinctive traits in the light of New Excavations 1966

٢٧. Saggs, H.W., op. cit. .....
King, H., Bronze Rliefs from the Gate of Shalmanesser 1962

٢٨. Parrot, A. Assor 1961
Cameron, G. G., The Annals of Shalmaneser, Sumer 1950

٢٩. 

٣٠. ان حوليات هذا الملك تذكر وبالتفصيل الطريق الذي سلكته الاقوام التي كانت تقطن هناك
Threav, F. The campaings of Sargon,

٣١. Journal of Near Eastern Studies 1958.
Waterman, L. Op. cit

٣٢. Saggs, H. W., The Might .....

٣٣. Waterman, L. Op. cit

٣٤. نفس المصدرين السابقين.

٣٥. نفس المصدرين السابقين.

٣٦. Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, 1926

٣٧. Olmstead, A.T., The History of the persian Empire, 1948
Ghirshman, R., Iran, 1954

٣٨. Luckenbill, D., The Annals of Sennacherib 1924
لقد وردت اسماء هذه الاقوام في كتابات اليونان.

٣٩. Saggs, H.W. The Might ....

٤٠. نفس المصدر السابق.

٤١. Thompson, C., The Annals of Esarhaddon and Ashurbanipal, 1931
Saggs, H.W., The Might ...

٤٢. نفس المصدرين السابقين.

٤٣. نفس المصدرين السابقين.

٤٤. نفس المصدرين السابقين.


# النشاطات الآشورية في الخليج العربي


د.منير يوسف طه


## الخليج العربي عبر العصور:

تقع منطقة الخليج العربي في موضع جغرافي مميز. يضاف الى ذلك اتصاله المباشر بالرافدين دجلة والفرات. حيث يربطه الرافد الاول (دجلة) ببحر قزوين، والمناطق الشرقية لبلاد الاناضول. اما الرافد الثاني (الفرات)، فيربطه بسواحل البحر الابيض المتوسط الشرقية، اضافة الى المناطق الشمالية الشرقية لسوريا، وجزء من المنطقة الجنوبية الغربية لبلاد الاناضول.

وقد نقل عن طريق هذين النهرين كثير من السلع التجارية مابين تلك المناطق ومنطقة الخليج العربي، وحتى وادي السند والهند شرقاً وسواحل أفريقيا الشرقية غرباً، وبالعكس.





لقد عرفت منطقة الخليج العربي في المصادر التأريخية القديمة بعدة اسماء حيث وردت في نصوص العهد الاكدي بهيئة ارض البحر (مات–تام– تيم Mat-tam-tim). حيث يذكر الملك سرجون الاكدي انه جلب غنائم من هناك اي (أرض البحر). اما الآشوريون فقد اطلقوا على الخليج عدة اسماء، منها البحر المر، وبحر الشروق، وبحرالكلديين، والبحر الاسفل[١]. اما الكتاب والمؤرخون والجغرافيون، والرحالة الكلاسيكيون (اليونان والرومان) فقد سمّوا الخليج العربي باسم البحر الاريتري، اي البحر الاحمر[٢].

ان الموقع الجغرافي المميز للخليج العربي جعله موضع اهتمام العديد من القوى السياسية والاقتصادية منذ أقدم العصور والى يومنا هذا، لذا شهد كثيرا من الاحداث السياسية وحقبا ثقافية متنوعة، وقد اكدت الكشوفات الاثرية امتزاج ثقافات وادي الرافدين بثقافات الخليج العربي. كما اكدت تلك الكشوفات والدراسات كيف ان مياه الخليج العربي كانت احد المنافذ المائية لنقل ثقافات وادي الرافدين الى بعض اقاليم آسيا وأفريقيا[٣]. كما لايستبعد وصول ثقافات وادي الرافدين وعن طريق مياه الخليج العربي الى السواحل الصينية.

ان كثيرا من النصوص التجارية التي كشف عنها في بلاد وادي الرافدين والتي يمتد تأريخها منذ النصف الاول من الالف الثالث، وحتى منتصف الالف الاول قبل الميلاد، قد ذكرت كثيراً من الاقاليم التجارية التي كانت لها علاقة تجارية ببلاد وادي الرافدين. أي انها صدرت واستوردت من تلك الاقاليم كثير من السلع الاستهلاكية والمواد الخام، اضافة الى المواد الكمالية والتي كانت تفتقر الى بعضها ارض الرافدين.

ان من بين تلك الاقاليم أقليم دلمون، Dilmun وماجان Magan، وملوخا Meluhha. لقد طرحت عدة آراء حول مواقع هذه الاقاليم الآ انه بات من المؤكد الآن ان اقليمي دلمون وماجان يقعان في منطقة الخليج العربي، وبالذات على ساحله الغربي. اما اقليم ملوخا فانه من المرجح ان يكون موقعه وادي السند ان لم يكن ضمن حدود الساحل الغربي للخليج العربي ايضا[٤].

ومما يؤكد الاتصال الثقافي والتجاري المباشر مابين الخليج العربي ووادي الرافدين في عصور ما قبل التأريخ اكتشاف ثقافة العبيد في كثير من المواقع الاثرية التي تم الكشف عنها خلال العقدين المنصرمين على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي، وخاصة منطقة القطيف[٥].

ان اول اشارة تأريخية للتبادل التجاري مابين وادي الرافدين والخليج العربي وصلت الينا من عصر الملك اورنانشة (٢٥٢٥ قبل الميلاد) حيث يذكر احد نصوصه انه جلب الخشب من الخليج العربي[٦].

وهناك عدة نصوص أكدية تؤكد علاقة الدولة الأكدية بالخليج العربي. خلال عصر سلالة اور الثالثة، وعصري ايسن ولارسا، وصلت العلاقات التجارية مابين الخليج العربي وبلاد وادي الرافدين اوج عظمتها بدليل العثور على كثير من النصوص التأريخية وخاصة في موقع اور، تذكر تلك العلاقات والسلع المتبادلة آنذاك[٧].

اما المصادر التأريخية لسلالة بابل الاولى فانها تذكر ان المناطق الواقعة شمال منطقة بابل كانت الممول الرئيسي للمواد الخام والسلع التجارية لهذه السلالة. لذا فان العلاقات التجارية مابين هذه السلالة وأقاليم الخليج العربي التجارية قد توقفت. وكنتيجة لهذا التوقف فان مدينة أور قد أهملت شؤونها بعد ان كانت الميناء الرئيسي لتصدير واستيراد السلع التجارية من الاقاليم التجارية في منطقة الخليج العربي[٨].

اما فترة السيطرة الكشية على بلاد بابل فقد اتسمت بقوة العلاقات التجارية والحضارية مع أقاليم الخليج العربي بدليل ان كثيراًمن النصوص الكشية تذكر استيراد مواد غذائية من اقليم دلمون ومن بينها التمر[٩].





ان آخر اشارة لاحد اقاليم الخليج العربي (دلمون) وردت في نص تأريخي يعود الى الملك نبو نائيد آخر ملوك السلالة الكلدية التي حكمت بابل[١٠].

وبعد الغزو الاخميني لبابل في عام ٥٣٩ قبل الميلاد دخل الخليج العربي واقاليمه التجارية عصر الظلمات لم يخرج منها الى النور الا بعد غزو الاسكندر المقدوني لبلاد بابل. حيث اراد هذا القائد تكوين امبراطورية تكون بابل مركزها، لذا فقد كلف احد قواده باكتشاف مياه الخليج العربي، وبالفعل فقد قام هذا القائد والمدعو نيراخوس Nerachus بالابحار من الهند وحتى رأس الخليج العربي[١١].

اما خلال فترة الاحتلال الفرثي والساساني لبلاد وادي الرافدين فقد عطلت الحركة التجارية في الخليج العربي خلالها، وأعيدت الحركة التجارية الى مياهه بعد التحرير العربي الاسلامي لعموم المنطقة. وبعد تأسيس بغداد عادت العلاقات التجارية والثقافية مابين بلاد الرافدين والخليج العربي على افضل الوجوه.

**الآشوريون والخليج العربي:**

انّ اول نص تأريخي آشوري يذكر الخليج العربي، او بالأحرى احد أقاليمه التجارية جاءنا من عهد الملك توكولتي ننورتا الاول (١٢٤٤ – ١٢٠٨ قبل الميلاد) حيث يذكر هذا الملك من بين ألقابه لقب ملك ملوخا ودلمون[١٢].

ان اتساع الامبراطورية الآشورية خلال الطور الثاني للامبراطورية حتم عليها استيراد كثير من المواد الخام والسلع التجارية التي كانت تفتقر اليها والتي كانت ترد اليها في العادة من المناطق الشرقية والغربية لبلاد الاناضول عبر المسالك الغربية والشمالية الغربية للامبراطورية. وبعد سيطرة الدولة الاورارتية على جزء كبير من المناطق الشرقية لبلاد الاناضول ابان القرن الثامن قبل الميلاد اغلقت هذه المسالك مما أدى الى توقف الحركة التجارية مابين الدولة الآشورية وبلاد الاناضول. لذا فقد عمد الآشوريون الى التجارة مع اقاليم الخليج العربي لحين فتح هذه المسالك. وبالفعل فقد تم القضاء على الدولة الاورارتية وفتح المسالك التجارية ابان حكم الملك سرجون الثاني، وفي الوقت ذاته استمرت التجارة مع اقاليم الخليج العربي بدليل ان بعض نصوص الملك سرجون الثاني تروى كيف ان هذا الملك بسط نفوذه العسكري والتجاري على الخليج العربي[١٣]. ان ثلاثة من هذه النصوص تذكر الآتي:

(أ) ⟨الملك اپري Uperi والذي يعيش مثل السمكة في وسط بحر الشروق، سمع بقوتي وجلب هداياه⟩.

(ب) ان الملك اپري ملك دلمون والذي يعيش في وسط البحر.... ومن وسط أرضه اكتشب... ⟨ وأرسل سفيره ليعرض ⟨علينا⟩ التنازل حيث جلب معه الهدايا والفدية⟩.

(جـ) الملك اپري ملك دلمون والذي يبعد مسكنه مسافة ٣٠ بيرو (ساعة مضاعفة) في وسط بحر الشروق، مثل السمكة سمع (بيّ)، وأرسل هداياه ان هذا الملك الطيب والذي كرّس افكاره لاعمار (مدنه) والتي سقطت للرياح اصلح الحقول وجعلها صالحة للزراعة، كما قام بزراعة البساتين[١٤].

اما ابنه الملك سنحاريب فانه يذكر في احدى حولياته:

"وبعد تدمير بابل، فان غبارها (بابل) وصل الى دلمون وقد راه الدلمونيون ودخل الفزع الى قلوبهم وخشوا من اشور فجلبوا الكنوز، ومع كنوزهم جلبوا الحرفيين المهرة، والعربات النحاسية، والادوات النحاسية، واواني من صنع بلادهم". [١٥]

ان ابن الملك سنحاريب اسرحدون يذكر ايضا من بين القابه المتعددة ملك دلمون و ماجان، وملوخا.[١٦] اما ابن الملك اسرحدون اشور بانيبال فان حولياته تذكر بانه سيطر على اقليم دلمون والذي يقع في البحر الاسفل، وانه جلب غنائم من هناك





من بينها مئة وستون طالنت من نبات دلكا شوشو وستة وعشرون طالنت من النحاس ، والبرونز واربعة انانيو (اواني؟) من النحاس.[17]

وفضلاً عن ذلك فإن حوليات الملك سنحاريب تذكر ايضا انه شن حملة عسكرية ضد العيلاميين عن طريق الخليج العربي او بالاحرى رأس الخليج العربي. حيث بدأت هذه الحملة من نينوى عن طريق نهر دجلة ، وحين وصولها الى قرية قرب مدينة بغداد الحالية ، ولصعوبة الملاحة في نهر دجلة جنوب هذه القرية ، فقد انتقلت الحملة عبر قناة الى نهر الفرات ، ومنها تم الوصول الى الخليج العربي ، ومن هناك شن الجيش الاشوري حملته على العيلاميين وانتصر عليهم.[18]

ان النصوص الاشورية الملكية مابعد حكم الملك اشور بانيبال لم تذكر اي علاقة مابين الخليج العربي والدولة الاشورية مما يدل على ان هذه المنطقة اصبحت تحت تاثير السلالة الكلدية وبالذات بعد ان قضى الملك الاشوري اشور بانيبال على الدولة العيلامية قضاء مبرما.

## العلاقات الثقافية مابين الخليج العربي والدولة الآشورية :

مع ان التنقيب قد بدأ وبصورة متقطعة في جزيرة البحرين منذ منتصف القرن الماضي ، فان التنقيبات العلمية لم تبدأ في هذه الجزيرة وباقي اقطار الخليج العربي الا في مطلع الخمسينات من هذا ا لقرن. وان اول بعثة تنقيبية من هذا النمط كانت البعثة الدنماركية. لقد قامت البعثة الدنماركية في بداية اعمالها اجراء التنقيب في عدد من المدافن والمستوطنات في جزيرة البحرين. بعد ذلك انتقلت الى دولة الامارات العربية المتحدة ، حيث كشفت هناك ايضا عن عدد من المدافن والمستوطنات. ان قسما من هذه المدافن والمستوطنات يقع قرب سواحل الخليج العربي ، وخليج عمان ، وبعضها الاخر كشف عنه في القسم الجنوبي لدولة الامارات العربية المتحدة اي قرب واحة البريمي. وفضلا عن ذلك فقد قامت البعثة الدنماركية باجراء التنقيب في كلا من الكويت وبعض المواقع الاثرية الواقعة على طول الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية.

ومنذ مطلع السبعينات قامت عدة بعثات محلية واجنبية[19] بالتنقيب في عموم اقطار الخليج العربي ، وفي اثناء عمل هذه البعثات كشفت مجاميع عديدة من اللقى الاثرية ، اضافة الى عدد قليل من الكتابات المسمارية والتي ظهرت في جزيرة البحرين فقط. وبعد ان تمت قراءة احد هذه النصوص من قبل المختصين ظهر انها تخص عبادة احد الالهة السومرية.[20]

اما فيما يخص اللقى الاثرية وبعض المدافن وخاصة تلك المدافن التي كان يكشف عنها على اعماق متباينة وبهيئة جرار ، فبعد دراستها تبين ايضا ان الكثير منها لها مايشابهها في بلاد وادي الرافدين.[21]

ان بعض الدارسين لم يكتف بالمقارنة فحسب بل قاموا بدراسة تفصيلية وشمولية لمعرفة اصل بعض هذه اللقى ، وبالذات الفخاريات ، وبعد تحليل عينات منها ظهر بأن اصل فخاريات العبيد وجزيرة ام النهار هو وادي الرافدين.[22]

وفيما يتعلق بالعلاقات الحضارية مابين الخليج العربي والدولة الآشورية فان كثيراً من المخلفات الحضارية التي كشف عنها في اثناء التنقيب في مواقع الخليج العربي وبالذات في جزيرة البحرين وشبه جزيرة عمان (دولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان) ، لها مايشابهها في المراكز الآشورية ، وبالذات مدينة كلخو.[23] وفي الواقع فان اللقى التي ظهر مايماثلها في المراكز الآشورية والتي هي بالذات الفخاريات والازار المعمولة من الحجر الصابوني (Steatite) والمحلاة بحزوز بهيئة دوائر قد ساعدت البعثات العاملة في الخليج العربي في اعطاء تواريخ ثابتة للمواقع التي كانوا يعملون بها.[24]

وفضلاً عن ذلك فان المدافن التي ظهرت بهيئة جرار[25]. وبعض البرونزيات التي كشف عن بعض منها في جزيرة البحرين وبعضها الآخر في امارة دبي ، في دولة الامارات العربية





المتحدة[٣٦] ، هي الاخرى اثبتت الاتصال الحضاري المباشرة مابين الدولة الآشورية والخليج العربي .

وأخيراً وليس آخرا ، فان التنقيبات التي اجريت في الموقع الآشوري تل الرماح والذي يقع في جزيرة العراق قد كشفت عن اصداف بحرية جلبت من منطقة الخليج العربي[٢٧] .

إن امتداد الامتزاج الحضاري مابين الدولة الآشورية والاقاليم الواقعة على طول الساحل الغربي للخليج العربي ، يؤكد كون أقليم دلمون والذي جاء ذكره في حوليات الملوك الآشوريين المتأخرين كان يقع على امتداد هذا الساحل.

**المسالك التجارية مابين الدولة الآشورية والخليج العربي :**

يبعد رأس الخليج العربي عن الدولة الآشورية قرابة الألف كليومتر. وعلى مايبدو فان البضائع التجارية كانت تصل الى الدولة الآشورية عن طريقين رئيسيين هما : الطريق النهري ، والطريق البري .

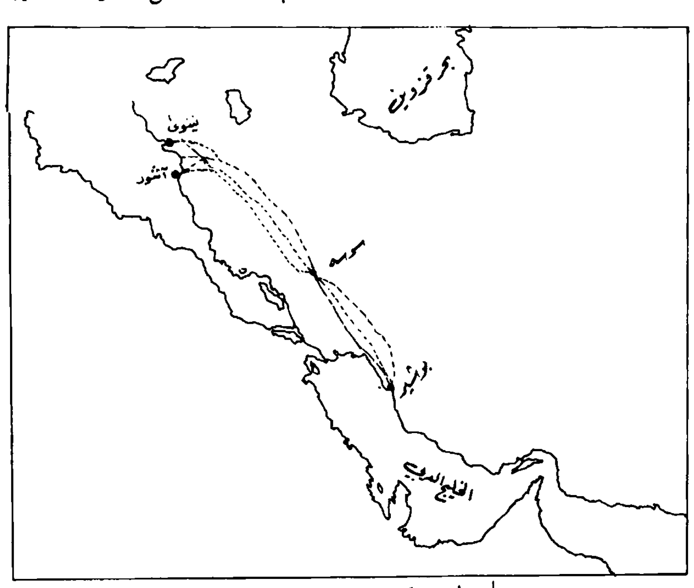
**(أ) الطريق النهري :**

كما هو معلوم ان مياه نهر دجلة كانت ابان العصر الآشوري الحديث لاتصل الى الخليج العربي مباشرة . اما نهر الفرات فان مياهه كانت تصب مباشرة في مياه الخليج . لذا فان كثيرا من البضائع التجارية التي كانت ترد الى الخليج العربي وبالعكس كانت تنقل عن طريق نهر الفرات . وعلى مايبدو فان تأمين وصول البضائع التجارية الى الدولة الآشورية عن طريق هذا النهر كان يتم عن طريق قناة تقع قرب مدينة بغداد .[٢٨]

ان استعمال هذا الطريق تحدده وبطبيعة الحال علاقة الدولة الآشورية ببابل ، حيث كان بمقدور بابل وقف المراكب المائية الذاهبة والواردة من خلاله .

**(ب) الطريق البري :**

لقد امتدت حدود الدولة الآشورية خلال عصرها الامبراطوري الثاني من الجهة الشرقية حتى مدينة اكبتانا والواقعة في منطقة همدان الحالية ، اي انها ضمت ضمن حدودها ، بحيرة وان ، وبحيرة




إحدى الطرق التجارية التي كانت تربط مابين الخليج العربي والدولة الآشورية





اورميا، وجبال زاجروس، اضافة الى منطقة سوسة. ان وقوع هذه المناطق تحت سيطرة الدولة الآشورية مكنها من استخدام مسالكها التجارية مما أمّن وصول البضائع الآتية اليها من الاقاليم الشرقية، والجنوبية الشرقية، والشمالية الشرقية.

اما البضائع التجارية التي كانت ترد الى الدولة الآشورية عن طريق الخليج العربي فان وصولها الى منطقة آشور كان يتم اضافة الى الطريق الوارد ذكره، عن طريق جزيرة البحرين أولاً، ومن جزيرة البحرين كانت تنقل البضائع الى ميناء (بوشير) والذي يقع على الساحل الشرقي للخليج العربي.[29] ومن هذا الميناء كانت تنقل البضائع برا الى سوسة ومنها شمالاً باتجاه منطقة آشور.

ان هذا الافتراض يدعمه كثير من الشواهد الأثرية. بدليل ان التنقيبات الأثرية التي أجريت غرب سلسلة جبال زاجروس قد كشفت على العديد من المراكز (التجارية) التي كانت لها علاقة مباشرة بالدولة الآشورية.[30] وفضلاً عن ذلك فان هناك اتصالاً حضارياً مباشراً مابين هذه المواقع او المراكز ومواقع الخليج العربي[31].

ان استعمال هذا الطريق في الواقع هو أفضل من استعمال الطريق السابق (المائي) لكون الطريق السابق يعترضه اضافة الى علاقة الدولة الآشورية ببابل سير تيارات دجلة والفرات، حيث من الصعب جداً الملاحة عكس تيارات المياه في هذين الرافدين، وخاصة عند الصيهود.

(١) إن هذه التسميات قد وردت في معظم حوليات الملوك الآشوريين، لذا فإن كثيرا من المصادر التي كتبت عن حوليات الآشوريين قد ذكرتها بهذه الصيغ... وفضلا عن هذه الاسماء فقد ورد اسم أحد اقاليم الخليج العربي (دلمون) في حوليات ملوك العصر الآشوري الحديث.
راجع:
Luckenbill, D., The Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1926

(٢) حول تسميات الخليج العربي ابان الفترة الهلنستية والرومانية: راجع فؤاد جميل: الخليج العربي في مدونات المؤرخين والبلدانيين الأقدمين. مجلة سومر، المجلد ٢٢، ١٩٦٦، ص ٣٩.
وقد تكون تسمية البحر الاحمر لم تشمل الخليج العربي فحسب، بل كانت تشمل ايضا البحر العربي.

(٣) حول الاتصال الحضاري مابين بلاد وادي الرافدين والخليج العربي، ووادي السند: راجع
Frifelt, K., Jemdet Nasr Finds in Oman KUML
------, A Possible Link Between The Jemdet Nasr and Umm anar.
-----, Graves of Oman, the Journal of Oman Studies 1975
During-Casper, E. Sumer, "Coastal Arabia and the Indus valley in the Protoliterate and Early Dynastic Eras, Supporting Evidence for a Cultural Linkage" Journal of the Economic and Social history of the Orient, No. 22. 1977

(٤) ان اهم ما كتب حول مواقع هذه الاقاليم:
Cornwell, On the Location of Dilmun, Bulletine of the American Schools of oriental Research, No. 103, 1952
Gelb, I. J. Magan and Meluhha in the Early Mesopotamian Sources, Revue d Assyriologie et d' Archeologie Orientale, No. 64, 1970
Kramer, S.N., "Dilmun the Land of Living" Bulletine of the American Schools of Oriental Researches, No. 96, 1945
Mallown, M. "The Mechanics of Ancient Trade in Western Asia". Iran, 3, 1963

(٥) Masry, A., Prehistory in North eastern Arabia 1974
Oates, J. "Ubaid Mesopotamia in Gulf countries". In Qatar Archaeological Report, De-Cardi (ed) 1978

(٦) Sollberger and Kupper, Inscriptions Royal Summeriennes et Akkadiennes; Les Editions du cerf 1971

(٧) Oppenheim, A.L., "The Seafaring Merchants of Ur" Journal of the American Orental Society, No. 74, 1954

(٨) Oates, J., Davidson.. T.Karmilli D., and Mackerrel H., "Seafaring Merchants of Ur" Antiquity, vol. 51. 1977





(٩) Goetze, A.,"The texts Ni (615) and Ni (641) a of the Istanbul Museum", Journal of Cuneiform Studies, Vol. (6), 1952.

(١٠) " Oppenheim, A. L.Op. Cit

(١١) حول هذه الرحلة ، راجع :

Arrian, The voyage of Nearchus, and the periplus of the Erytheran Sea" Loeb Classical Library .

(١٢) Brinckman, J. A., "Meterials and Studies For Kassite History" Vol. I, 1976

(١٣) ان اقليم دلمون الذي ورد في نصوص العصر الاشوري الحديث وبالذات حوليات الملك سرجون وحوليات الملوك الذين تبعوه قد يعني الساحل الغربي للخليج العربي برمته . اي الساحل الممتد من جنوب الكويت وحتى مضيق هرمز وليس جزيرة البحرين فقط والتي ربط اسمها كثير من الاثاريين باقليم دلمون الوارد ذكره في النصوص السومرية والاكدية والسومرية الحديثة والكشية .
اما مركز اقليم دلمون (الاشوري) فلا يستبعد ان يكون جزيرة البحرين .

(١٤) Luckenbill , D. Op. Cit

(١٥) Luckenbill, D, Op. Cit

(١٦) Luckenbill, D. , Op.Cit

(١٧) Watermann, C., Royal Correspondence of the Assyria 1972 Borger, R., Die Inshriften Asarhaddons Konigs von Assyrien Graz: Archiv Fur Orient forschungs: Beiheft, 9, 1956

(١٨) Saggs, H. W. S. The Might that was Assyria, 1984

(١٩) ما بين عام ١٩٧٢ وعام ١٩٨٥ اوفدت دائرة الاثار والتراث العراقية عدد من الهيئات للعمل في دولة الامارات العربية المتحدة والبحرين .

(٢٠) Bibby. G. Looking For Dilmun, 1973.

(٢١) Bibby, G. Op. Cit

Frifelt, K., Archaeological Invistigations in the Oman Penisula KUML, 1968

-----, "A possible Link between Jamdat Nasr and umm anar graves of Oman" The Journal of Oman Studies, Vol.I, 1975

(٢٢) Oates, J. "Prehistory in North-eastern Arabia" Antiquity. Vol. 50, 1976

Yasin, W. الاثار في دولة الامارات العربية المتحدة (١٩٨٦).

(٢٣) Frifelt, K. , op. Cit

(٢٤) Bibby, G. op. Cit

(٢٥) Glob,P.V. Neo Babylonian Burial From Bahrain Pre-historic Capital KUML, 1956

(٢٦) Taha, M., The Iron Age in the United Arab Emirate with Special Reference to Mesopotomia
أطروحة دكتوراة قدمت الى جامعة كمبرج في عام (١٩٨١) وقد ترجمها المؤلف الى العربية

(٢٧) Carter T. H. ,"Excavation at Tell Rimah 1964" Bulletine of American School of Oriental Research, No. 178, 1965, 40-68

(٢٨) ان هذه القناة وصل من خلالها الجيش الاشوري الى بلاد عيلام ابان حكم الملك سنحاريب : انظر الهامش رقم[١٨] .

(٢٩) لقد اطلق اليونان على هذا الميناء والذي كان يتصل مباشرة بدولة ميسان اسم (انطاكية) .
راجع : طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات (١٩٧٣) ص ٥٩٧ .

(٣٠) Toung, T. C."A Comparative Ceramic Chronology for Western Iran, 1500. 500 B. C " Iran. No. 3, 1965

(٣١) Toung, T. C. , and Levine, C. D. , Excavation of Godin Project, Second Report, 1974

Bibby, G. Looking For Dillmun, 1972





# منطقة الموصل في فترة الاحتلال الأجنبي: الاخميني والسلوقي والفرثي

د. جابر خليل ابراهيم

## ٥٣٩ ق.م - ٢٢٦م

على الرغم من اتساع رقعة التنقيبات الاثرية وازدياد نشاطها في اعالي العراق بما فيها منطقة الموصل منذ النصف الاخير من القرن الماضي، فان المواد الاثرية المكتشفة في تلولها المنسوبة الى فترات الاحتلال الاجنبي - الاخميني والسلوقي والفرثي، وباستثناء الساساني الذي سيكون موضوع المبحث التالي - قليلة بدرجة لاتكفي لاعطاء صورة واضحة عن المنطقة المذكورة. لذلك فإن الكتابة عنها تعد من بين المشكلات التي يقاسي منها الاثاري والباحث في تاريخ العراق القديم على السواء.

واذا ما أريد ملء هذا النقص في معلوماتنا فعلى الباحث اعادة دراسة ما سبق ان كشفته التنقيبات الاثرية، وما وصل الينا من مصادر تاريخية، فلعلّ ذلك مايسهم في القاء الضوء على فترات قد تعد غامضة في تاريخنا، لكن التطلع الى التنقيب في المستقبل ربما سيوفر الدلائل الاثرية التي ستمكن الباحث من الكتابة في الجوانب المتعددة لمنطقة الموصل التي كانت تعرف ببلاد آشور.

وقبل البدء بالكتابة عن فترات الاحتلال هذه ارتأينا ضرورة ايجاز الملامح التاريخية للاقوام التي احتلت بلاد بابل وآشور من اجل ان يقف القارئ على الظروف السياسية التي احاطت بتلك المنطقة في الوقت الذي اقتسمت العالم القديم قوى ظهرت في الشرق والغرب.

### ١. فترة الاحتلال الاخميني ٥٣٩ ق.م - ٣٣١ ق.م

بعد ان شكل الاخمينيون أول كيان سياسي لهم في المنطقة المسماة بارسوا Parsua الواقعة الى الجنوب من الهضبة الايرانية والتي ورد ذكرها لأول مرة في حوليات الملك الآشوري شيلمنصر الثالث عام ٨٤٣ ق م.، وفي نصوص اخرى تعود للملكين الاشوريين سنحاريب وآشور بانيبال ولاسيما في حملة الاخير على بلاد عيلام - خاض ملكهم كورش سلسله من الحروب مع الميديين، فتحت الابواب امامهم باتجاه البحر الاسود وسواحل بلاد اليونان وسواحل البحر الابيض المتوسط وبلاد وادي الرافدين ومصر بعدئذٍ، في فترة لم تكن هناك قوة اخرى توقف توسعهم وتحد من اطماعهم بعد غياب الدولة الآشورية.

تشير المعلومات المتوفرة في الوقت الحاضر الى ان كورش قطع نهر دجلة في سنة ٥٤٧ ق.م وقاد جيشه في بلاد آشور واتجه غرباً قاطعاً نهر الخابور لملاقاة ملك ليديا في آسيا الصغرى من اجل ان تكون منافذ البحر المتوسط في أيديهم، ولمد نفوذهم بعد ذلك الى البحر الاحمر والجزيرة العربية لاحكام سيطرتهم على الاقطار التي تحيطها هذه البحار من أجل ان ينفردوا بالتجارة الخارجية.

وضمن هذا المخطط كانت بلاد بابل وآشور والشام وفلسطين ومصر والمغرب العربي هدفاً سوقياً للاخمينيين فاتجهت جيوشهم نحو بابل لاحتلالها في





زمن ملكها نبونائيد الكلدي . الا ان الطريق الذي سلكه كورش غير معروف على وجه التحديد . فيذكر هيرودتس ان كورش واجه مشقة في عبور نهر جندس ( ديالى ) ، لسرعة تياره الذي اغرق واحدة من افراسه المقدسة . الا ان هيرودتس لم يذكر الجهة او المكان الذي تحرك منها كورش . لذلك بقي تحديد الطريق لايعدو الافتراض . فإن كانت الجهة التي تحرك منها كورش هي عيلام فإن الطريق الذي سلكه كان عبر سهل سوسيان - بلاد آشور . اما اذا تقدم ذلك الجيش من اكبتانا (همدان) عاصمتهم فيفترض انه كان عبر منافذ جبال زاجروس ، ومن ثم بلاد آشور عبر مسلك كركوك - وادي نهر دجلة . [1] وهذا مارجحه معظم الباحثين من ان كورش توجه الى بلاد آشور عن طريق همدان - كرمنشاه ، اربيل ، وهو الطريق التاريخي المؤدي الى حران [2] . واغلب الظن ان كورش قد وصل اربيل وانحدر بعدها نحو بلاد بابل متبعاً الطريق مابين مرتفعات حمرين ونهر دجلة ، وعبرت جيوشه ذلك النهر عند مدينة أوبس [3] ، التي وقعت عندها اول معركة بين الكلديين وجيش كورش المحتل . ويبدو ان ذلك الطريق ، ولاسيا بين اربيل وبابل ، كان معروفاً حتى ان الاسكندر الكبير قد سلكه بعدئذٍ على مايرجح بعد ان توقف في اربيل اثر انتصاره على دارا الملك الاخميني في معركة كوكاميلا [4] .

حين دخل كورش بابل محتلاً بعد المعارك التي خاضها الكلديون من اجل ايقاف زحفه ادعى لنفسه انه ملك بابل وسومر وملك الجهات الأربع التي سبق ان كانت من القاب عدد من ملوك العراق القديم ومنهم نرام - سين واورنمو.

وقد انتهز كورش تردي الاوضاع الداخلية في بابل فتبنى سياسة الترضية لسكانها ، فضلاً عن اتباعه التنظيمات الادارية ذات الاصول الآشورية ، فقسم البلاد التي احتلها الى اقاليم ومقاطعات وعين حاكماً على كل واحدة منها سمي ستراب Strap (مرزبان) ، كان على ارتباط مع الحكومة المركزية . واصدر كورش نداءً وبالكتابة ايضاً بعودة الراغبين من اليهود الذين جاء بهم نبوخذنصر الى بابل على ماترويه التوراة . ونسب كورش لنفسه « ان الرب اله السماء أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا ... » وخيَّر كورش اليهود مابين العودة الى اورشليم لبناء ذلك المعبد والبقاء « في احد الاماكن حيث هو مغترب فليمدده أهلُ مكانه بفضة وبذهب وبامتعة وببهائم مع التبرّع لبيت الرب الذي في اورشليم » [5] . بيد أن قرار كورش هذا لم يكن سياسياً أو لترضية اليهود الذين قاموا بدور كبير في ارباك الاوضاع الاقتصادية والسياسية والدينية في بابل او عن دورهم الاعلامي المؤيد للخلاص على يد كورش ، بل كان يهدف الى ان تكون فلسطين المحطة التي سيتمكن الاخمينيون من خلالها الوصول الى مصر والمغرب العربي لأحتلالها حسب خططهم . وبموت كورش نفذ ابنه قمبيز بقية ما خططه أبوه واحتل مصر عام ٥٢١ ق . م ، لكنه فشل في احتلال بلاد المغرب العربي للسيطرة الكاملة على منافذ البحر المتوسط وكان للقرطاجيين دور كبير في افشال هذا المخطط [6] .

وعند مجئ دارا ملكاً على العرش انصرف اولاً الى اخماد ثورات الأقاليم ضد الاحتلال الاخميني ومنها بابل ومصر والشام ، وبعدها انصرف الملك المذكور الى اعادة النظر في الشؤون الادارية للامبراطورية ، معتمداً النظام الآشوري الذي كان متبعاً في العصر الأخير من تاريخهم . فقسَّم دارا الامبراطورية الى عشرين ولاية سميت ستراب وقسمت كل ولاية الى وحدات او مناطق قسمت بدورها الى مجموعات . وكان حاكم الولاية ممثلاً للملك ، وله حرس خاص به ، كما كان للولاية قوانين ومكاييل ومقاييس اوزان [7] . وفرض دارا على كل ولاية دفع مبلغ من المال بالفضة . وكانت بابل ، الولاية الحادية عشر وبضمنها بلاد آشور ، قد شهدت اوضاعاً اقتصادية مترديةً [8] .

وبموجب السياسة الاستيطانية التي شجعها الملوك الاخمينيون تغلغلت اسر فارسية واستوطنت في بلاد بابل





وتملك قادة الاخمينيين والاسر المجوسية العقارات في بابل واربيل[٩]. وفرض ملوك الاخمينيين ضرائب على الفلاحين ومستثمري الاراضي منها ضرائب ايجار الاراضي المروية وهي ثلث حاصلات الفواكه كما تشير الى ذلك الوثائق التجارية من بابل ونفر والوركاء، فضلاً عن نسبة كان يدفعها الفلاح بالفضة عن اراضيه المزروعة، وتملك حكام الاخمينيين من الملوك ومسؤولي الولايات والاسر المجوسية المتنفذة قنوات الري ومصائد السمك واغتصبوا الاراضي التي كانت في الاصل من املاك سكان البلاد. ونتج عن هذه السياسية ان رهن السكان حقولهم وبساتينهم واصبحوا عمالاً في الاراضي الزراعية[١٠].

وبعد عام ٤٧٨ ق. م اصبحت بابل واشور ولايتين مستقلتين بعد ان كانتا الولاية الحادية عشرة كما اسلفنا، والحقت ببلاد اشور سوريا وفلسطين وقبرص[١١]. وكانت الضرائب المفروضة على تلك الولايتين ١٠,٠٠٠ طالنت من الفضة[١٢].

وقد عرفت بلاد اشور في هذا العصر، كما جاء في تقسيمات الملك دارا الادارية، باسم (عربايا) التي يعنيها معظم الباحثين باعالي بلاد الرافدين وسوريا والتي كان يمر عبرها الطريق الملكي[١٣]. فقد كا ن سكانها من القبائل العربية التي تدفقت من الجزيرة العربية واتجهت نحو اعالي بلاد وادي الرافدين وبلاد الشام وامتدت الى نصيبين وديار بكر بعد غياب الدولة الاشورية التي حدت من تقدمهم نحو مدنها يوم كانت في قمة مجدها[١٥].

ويذكر هيرودتس ان دارا اخضع جميع سكان اسيا واعترفوا بسلطانه عبيداً الا العرب فلم يخضعوا لنفوذه بل كانوا يشكلون قوة اضطرته الى عقد محالفات معهم حتى ان دارا ذكر بلادهم (عربايا) بين الاقاليم المكونة لامبراطوريته.

وكما اسلفنا ان معلوماتنا عن منطقة الموصل ابان ذلك العهد قليلة لاتتناسب مع كثرة المواقع الاثرية المنقبة ولاسيما العواصم الاشورية مثل اشور (قلعة شرقاط) وكلخو (نمرود) ودور شروكين (خرصباد) ونينوى، بدرجة لايمكن مقارنة هذه المعلومات مع بلاد بابل التي قدمت الوثائق المكتشفة منها صورة عن اوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وما كشفته الحفائر الاثرية في هذه المنطقة لايتعدى لقى اثرية قليلة مثل المسكوكات والمسارج الطينية وانية فخارية وجدت في طبقات خالية من ابنية كالجدران وارضيات المساكن. لذلك لاتشكل هذه المواد ادلة مقنعة حتى بات الشك في نسبتها الى ذلك العهد[١٥]. اما التنقيبات الواسعة التي نفذتها بعثات اثارية مختلفة في السنوات الاخيرة في المواطن الاثرية الواقعة في مشاريع الري الكبرى في المنطقة ومنها حوض سد صدام فأن هذه البعثات لم توفق في كشف طبقات بنائية من ذلك العهد في اي من المواقع المنقبة مثل خربة شطاني وخربة قصرج وخربة الخاتونية. وكل ماتوصل الى كشفه المنقبون هو وجود طبقات بنائية نسبت الى الفترة الهلنستية كانت قائمة فوق تراكمات من الانقاض لا يزيد سمكها في معظم المواقع عن المتر الواحد، تفصلها عن الطبقة الاشورية التي تحتها[١٦].

واذا ماأراد الباحث الوقوف على عدد المواقع الاثرية التي تعود الى فترة الاحتلال الاخميني في اعالي العراق بما فيها منطقة الموصل، فان السفر الذي اعدته دائرة الاثار والتراث «المواقع الاثرية في العراق»[١٧] لم يحتو الا على القليل جداً من الاماكن الاثرية من ذلك العهد، مما تعطي الدليل ايضا على ان الاستيطان قد انخفض انخفاضاً ملحوظاً في هذه المنطقة، ان كانت دراسة الادوار الزمنية من خلال الكسر الفخارية الموجودة على سطح كل تل اثري صحيحة.

اما الوثائق المعاصرة التي يمكن للباحث ان يستقرى من خلالها حالة منطقة الموصل بشكل خاص واعالي بلاد الرافدين بعامة ابان الاحتلال الاخميني فهي قليلة جداً، الا ان المكتشف منها يكون على جانب من الاهمية. ومن هذه المصادر وثيقة من القرن الخامس قبل الميلاد مكتوبة بالارامية عثر عليها في مصر تعود لشخص اسمه نختحور Nehtihur كان تابعاً الى ارشام Arsham ستراب مصر انذاك[١٨]. وتذكر هذه الوثيقة ان نختحور





سافر من بابل الى مصر لادارة اعمال هناك وكانت معه رسائل الى مسؤولين في المدن الواقعة على الطرق التي سلكها والمؤدية الى مصر. وبدلا من ان يسلك نختحور الطريق المحاذي لنهر الفرات وهو الاقصر، فقد سلك الطريق الاخر الذي يقع شمال بلاد الرافدين. ووردت في الرسالة المذكورة اسماء مدن كان على حكامها تقديم المساعدة له وهي : لاعير La'ir وارزوخيم Arzuhim و اربيل و خالصو Halsu و ماثال – اوباس Mathal – ubas وسالام Salamو دمشق.

وسعى بعض الباحثين الى مطابقة اسماء هذه المدن مع اسماء مدن ذات اصول اشورية التي كانت قائمة في ايام الاشوريين وهي :

| اسم المدينة في الوثيقة | الاسم الاشوري | الموقع الحالي |
|---|---|---|
| لاعير La'ir | لاخيرو Lahiru | اسكي كفري ؟ |
| ارزوخيم Arzuhim | ارزوخيم Urzuhim | جمجال ؟ |
| اربيل Arbil | اربيلو Arbilu | اربيل |
| خالصو Halsu | ؟ | ؟ |
| اوباش Ubaš | اوباشي Ubaši | تل الحويش عند ملتقى وادي الجرناف بدجلة |
| سالام Salam | ———— | ———— |
| دمشق Damascus | دمشق Damascus | دمشق |

ويبدو ان نختحور سلك الطريق الذي كان يعرف بالملكي الذي يقطع سهل ديالى والزاب الاسفل بعدئذ ومن بعده نهر دجلة ليرتبط باحدى الطرق الممتدة من شمال غرب بلاد الرافدين الى سوريا عبر الخابور[١٩].

ويستخلص من هذه الوثيقة ان المدن المذكورة فيها كانت مراكز ادارية في القرن الخامس ق. م آلت اراضيها الى ملكيات فارسية. الا ان التوزيع الجغرافي لمواقع هذه المدن ان صحت مطابقتها مع المدن الحالية لايجعل منها وحدة مترابطة متصلة فيما بينها على طريق واحد، لاسيما وان كل واحدة منها ذات خصائص طوبوغرافية تختلف عن الاخرى.

اما الوثيقة الاخرى فهي كتابات زينفون[٢٠] التي ضمت تفاصيل عن منطقة الموصل تفوق ماجاء في وثيقة ارشام التي سبق الحديث عنها. فقد دون زينفون ماشاهده وهو في طريقه في اثناء تقدم الجيش المؤلف من المرتزقة الاغريق الذي كان يقوده كورش الصغير نحو بابل لمقاتلة اخيه ارتحشستا الملك الاخميني. وكذلك ملاحظاته عن المنطقة التي مر بها الجيش اثر انسحابة بعد مقتل قائده وانتخاب زينفون قائداً له.

والذي يهمنا من هذه الرحلة هو القسم الخاص بالمنطقة التي كانت تعرف ببلاد اشور والتي تعد منطقة الموصل جزء منها. وستكون الغاية من متابعة هذه الرحلة، بدءً بالسور المادي الذي يشكل دلالة مكانية لكونه على مايظن الحد بين بلاد بابل وبلاد اشور[٢١]، وحتى وصول زينفون الى اطلال المدن الاشورية، لايجاد مايلقي الضوء على المنطقة المذكورة.

فيذكر زينفون ان جيشه عبر قناتين متصلتين بنهر دجلة كانتا على مسافة ثمانية فراسخ من السور المادي. وفوق احداهما قنطرة وعلى الاخرى جسر مؤقت محمول على ثمانية قوارب. وتتفرع من هاتين القناتين جداول وشعاب تسقي الاراضي المتصلة بها.





مما يعني ان تلك المنطقة كانت حلقة اتصال مع المناطق الاخرى فضلا عن كونها زراعية. وربما يتطابق وصف زينفون مع منطقة ماركاني -Mar gani التي وجد عندها الملك الاشوري توكولتي ننورتا الثاني وجيشه الماء الوفير في قنواتها الكثيرة بعد ان ترك مسار وادي الثرثار (ترتارا) في حملته العسكرية على بلاد بابل في اواخر نيسان عام ٨٨٤ ق. م[٢٢] . واذا صح هذا التطابق فهذا دليل على ان المنطقة المذكورة حافظت على بيئتها الزراعية.

وبعد ان عبر جيش زينفون نهر دجلة الذي كان عليه جسر محمول على سبعة وثلاثين قارباً تحت مدينة أوبس .Opis بقليل الوارد ذكرها في المدونات الاشورية[٢٣] ، وصل منطقة صحراوية اجتازها بستة ايام وجد بعدها المؤن والحبوب والاغنام في قرية كانت من املاك بارساتس ام ارتحشستا الثاني، تشكل حلقة الوصل بين منطقتين صحراويتين غير اهلتين بالسكان. فيذكر زينفون ان الجيش دخل منطقة صحراوية اخرى قطعها بخمسة ايام وكان نهر دجلة على يسارهم. الا ان طوبوغرافية المنطقة وفق وصف زينفون قد تغيرت بعد ان وصل الجيش على مقربة من مدينة راكبة على الجهة الثانية من نهر دجلة تعرف بـ كيني Canenae جلب منها الخبز والجبن والنبيذ لجنده على اكلاك تحملها جلود الحيوانات. الا ان الشك مازال في تعينها. فمن الباحثين من طابقها مع تكريت[٢٤] او اشور[٢٥] او مدينة الكحيل[٢٦] الواقعة بينهما في لحف جبل مكحول، او مدينة الحديثة (حديثة دجلة)[٢٧] . الا ان ماذكره زينفون عن الاطعمة التي جلبت من هذه المدينة ينبغي ان يكون موقعها في سهل زراعي تساعد بيئته على انتاج المواد الغذائية المشار اليها مما يستبعد ان تكون تكريت او الكحيل المدينة كيني.

ومن وصف زينفون للمنطقة بين الزابين الاسفل والاعلى ان جيشه عبر زاباتاي (الزاب الاسفل) على اكلاك تطفو فوق الجلود المنفوخة وقعت بعدها معركة بين الاغريق واعداءهم، ويذكر زينفون ان جنده مثلوا بالقتلى من اعدائهم، ويبدو ان الجيش المذكور ابتعد عن نهر دجلة ولاسيما بعد عبوره نهر الزاب الاعلى، وعند وصوله ذلك النهر وجدوا عنده مدينة مهجورة تدعى (لاريسا)، التي يجمع معظم الباحثين في تعيينها بمدينة كلحو (نمرود). ويصف زينفون خرائبها الواسعة ومنها السور الذي يطيف بها والذي طوله فرسخين، وثخنه خمس وعشرين قدماً وارتفاعه مائة قدم، بنيت قاعدته بالحجارة المهندمة الى ارتفاع عشرين قدم. ويشير زينفون الى كومه من حجارة بهيئة هرم ربما يقصد بها الزقورة.

وبعد ان قطع الجيش ستة فراسخ بيوم واحد وصل اطلال مدينة محصنة كانت خالية من السكان ربما كانت نينوى العاصمة الاشورية او احد تلولها العالية مثل قوينجق او النبي يونس. فذكر ان سورها الذي بنيت قاعدته بالحجارة المصقولة يبلغ سمكه خمسين قدما وارتفاعه خمسين قدما ايضاً وهو اقل ارتفاعاً من سور لاريسا (نمرود)، كما بنيت الاقسام العليا منه بالاجر (ولربما يقصد باللبن). ويورد زينفون اسم مدينة يطلق عليها مسبيلا كانت بالقرب من التحصينات المار ذكرها ولعلها هي الموصل ان كان الاسم محرفاً من الكلمة مسبولاي Mesulae التي تعني الممر الوسط[٢٨] .

وقيل ان مسبيلا اسم مشتق من الكلمة (مشبالو) اي الارض الواطئة او السفلى[٢٩] . ويذكر زينفون ان المدينة المذكورة كانت آهلة بالسكان الا ان ملك الفرس قد حاصرها واحتلها بعدئذ[٣٠] .

واذا كانت لاريسا هي كلحو (نمرود) ونينوى القريبة من مسبيلا مهجورتين يوم ان مر بهما زينفون فهذا دليل اخر يدعم نتائج التنقيبات الاثرية في ان المدينتين المذكورتين لم تستوطنا مرة اخرى الا بعد ان غزا الاسكندر الكبير البلاد بعد معركة كوكاميلا عام ٣٣١ ق. م والتي سنناقشها في الصفحات القادمة.





اما المنطقة الكائنة بين نينوى وسلاسل الجبال التي اطلق عليها ( كردوجي ) فقد كانت جزءً من سهل اشور حيث يذكر زينفون ان فيها العديد من القرى ذات الغلال الكثيرة.

والجدول الاتي يوضح اسماء الامكنة والمناطق التي ذكرها زينفون، والمسافات بينها ،

| الامكنة | الايام | الفراسخ |
|---|---|---|
| السور المادي – اوبس | ٢ | ٨ |
| عبور نهر دجلة بالقرب من اوبس – نهر فسقس | ٤ | ٢٠ |
| المنطقة الصحراوية – قرية باريساتس | ٦ | ٣٠ |
| قرية باريساتر – كيني | ٥ | ٢٠ |
| كيني – الزابان – لاريسا | | |
| لاريسا – مسبيلا | ١ | ٦ |
| مسبيلا – سهل اشور | ١ | ٤ |
| سهل اشور – جبال كردوجي | ٥ | —— |

واذا ما حاول الباحث التوفيق في الصورة عن منطقة الموصل من خلال مصدرين يغاير احدهما الاخر في المعلومات، اولها الاثاري المعتمد على نتائج التنقيب والثاني التاريخي كوثيقة ارشام او كتابات زينفون. فنتائج التنقيب تعطي الادلة وكأن المنطقة المذكورة كانت مهجورة ابان فترة الاحتلال الاخميني. اما المصدر التاريخي فيرينا ان الاستيطان كان يتركز في القرى وقليل من المدن ولاسيا الواقعة منها الى الشرق من نهر دجلة بعكس منطقة الجزيرة التي كانت على مايرجح تعيش احوالاً سيئة نتيجة تغيير مسارات الطرق التجارية وفقدان الامن والاستقرار فيها.

## الاحتلال المقدوني والفترة السلوقية

شهد القرن الخامس ق. م احتكاكاً عسكرياً بين الفرس والدويلات اليونانية، اعقبته حملات عسكرية بحرية وبرية قادها الاخمينيون ضد بلاد اليونان، فتحت الباب بعدئذ امام الاغريق للثأر من عدوهم وللحصول على موطئ قدم لهم في افريقيا واسيا لاهداف اقتصادية وللتخلص من نفوذ الاخمينيين الذين احكموا سيطرتهم على البحار الآتية: الاسود والمتوسط، والاحمر والمحيط الهندي.

وكان دارا او داريوس قد وصل بجيشه الى اوربا واصبحت في عهده السواحل اليونانية والاقسام الشمالية من تلك البلاد بما فيها المرافىء تحت سيطرتهم. واصبحت مدنهم من بعد تحت حكم ستراب فارسي. الا ان خطط دارا قد حفزت الدويلات اليونانية ومنها اثينا واسبارطة اكبر الدولتين ان تتناسا خلافاتها، وتتزعمان توحيد المدن اليونانية الباقية لصد الهجمات الفارسية. ونجحت مساعيها في صد حملة عدوهم داريوس. وبعد موته عام ٤٨٦ ق. م استمرت حملات الفرس على بلاد اليونان ومنها الحملة البحرية التي قادها الاسطول الاخميني عندسلاميس عام ٤٨٠ ق. م واخرى برية وقعت في بلاطية عام ٤٧٩ ق. م.

بعد ان قطع الاخمينيون خطوط التموين امام بلاد اليونان ولاسيا الحبوب التي كانت تمونها مصر منذ حقب سابقة اصبحوا امام خطر يهدد الاغريق باسرهم،ولذلك ترقب الاغريق اليوم الذي يثأرون به لتربتهم ومياههم لتحريرها من الاحتلال الفارسي، الا ان وضعهم الداخلي والتشكيل السياسي لدول مدنهم المتفرقة لاتجعل الامل قريباً للنيل من عدوهم فارس، الا بعد القضاء على التجزئة. وتطلب ذلك توحيد بلاد اليونان من اجل المعركة المقبلة ضد فارس. فتمكن فليب المقدوني ملك مقدونيا توحيد المدن اليونانية تحت قيادته الاانه اغتيل وهو يستعد لحرب مقدسة. فاختير ابنه الاسكندر (٣٥٦-٣٢٣ق.م) الذي قاد الاغريق في حرب ضد الفرس سنة ٣٣٤ق.م. وقد اثرت هذه الحروب على اقطار الوطن العربي بشكل خاص واقطار الشرق الادنى بشكل عام، الا ان اخر معركة فاصلة بين الطرفين وقعت في منطقة الموصل وغيرت نتائجها موازين القوى في العالم آنذاك.





بعد ان هيمن الاسكندر على اسيا الصغرى اثر معركة ايسوس سنة ٣٣٤ ق. م فانه لم يتابع جيش دارا المنهزم، بل تركه ينسحب بحرية كاملة، في حين اتجه بجيشه نحو السواحل السورية وفلسطين ومصر لجعل سواحل البحر المتوسط تحت سيطرة الاغريق بالكامل لقطع الطريق على مابظن امام الاسطول الفارسي ولضمان تموين بلاد اليونان بحبوب مصر(٣١).

ولكي يواصل الاسكندر حربه مع الاخمينيين غادر مصر في ربيع ٣٣١ ق. م سالكاً طريق وادي الخابور بعد اجتيازه نهر الفرات عند مدينة تفساح قرب دير الزور التي كان عندها جسران محمولان على قوارب وذلك في اب ٣٣١ ق. م. وعند هذين الجسرين وضع دارا حامية عسكرية مؤلفة من ثلاثة الاف محارب من المرتزقة الاغريق لعرقلة عبور الاسكندر. الا ان قائد الحامية لم يتمسك بموقعه عند سماعه بقدوم الاسكندر. ولم يقصد الاسكندر في بادئ الامر مدينة بابل لكنه فضل طريقاً اخر تتوافر فيه المزارع والمؤن لجنده والعلف لخيوله، فضلا عن انه اقل حرارة من الطريق المؤدي الى بابل.

اما دارا الاخميني فقد كان يعسكر بجيشه في سهل اربيل، ويخطط لايقاف تقدم جيش الاسكندر، ومنها حامية وضعها عند نهر دجلة في المنطقة التي ستعبر منها جيوشه، مما شجع الاسكندر للاسراع بعبور ذلك النهر، الا انه لم يلق اي قوة هناك، الامر الذي يمكن تفسيره باحتمالين اما ان دارا غير مكان حاميته او ان المعلومات المقدمة الى الاسكندر كانت غير دقيقة، ولم يعط اريان الذي دون تفاصيل حملات الاسكندر اي معلومات عن امكنة عبور الاسكندر وجيشه نهر دجلة مما ترك للباحثين الاجتهاد في كيفية العبور وامكنتها(٣٢). وبعد اربعة ايام من هذا العبور سار جيش الاسكندر في منطقة سماها اريان «ارض اثوريا» اي بلاد اشور وعندها زودت الاسكندر اجهزة مخابراته معلومات عن جيش دارا الذي كان يعسكر عند السهل الا انها لم تقدر حجم قواته، الامر الذي دفع بالاسكندر ان يستطلع المنطقة بنفسه ترافقه حامية من فرسانه. وبعد ان تكونت الصورة عند القائد المقدوني عن قوات عدوه المكونة من فصائل من جيوش متحالفة بما فيها ٤٠,٠٠٠ من الخيالة ومليونا من المشاة، نظم الاسكندر جيشه للمعركة الفاصلة التي ستقع في سهل فسيح يسمح للمناورة وتسهل فيه حركة المشاة والعربات التي تجرها الخيول.

وقبل الصولة الاولى من المعركة دعا الاسكندر قادة جيشه الى مؤتمر حربي وهو على مسافة يسيرة من عدوه، لوضع الخطط التعبوية للمعركة، اقروا فيه وضع صفوف متراصة قوامها ستة عشر صفاً يحملون الاسلحة كالحراب والرماح. واستطلع الاسكندر بنفسه الارض التي ستقع عليها المعركة. واوعز الى جنود الصولة الاولى بالاصابة من الطعام والاخلاد الى الراحة. ورفض القائد المقدوني اقتراحاً بالقيام بهجوم ليلي على جيش دارا وعده عارا وسرقة للظفر بعد ان دخل البلدان في وضح من النهار وهو في مقدمة قطعاته.

ووقعت المعركة في كوكاميلا(٣٣) بسهل اربيل في ايلول ٣٣١ ق. م وانهزم الجيش الاخميني وهرب دارا الى اكبتانا ومعه مايقرب من الفين من الجند المرتزقة، في حين اتجه الاسكندر الى بابل بعد ان توقف في اربيل سالكاً الطريق بين تلال حمرين ونهر دجلة(٣٤).

وحين وصل الاسكندر مدينة بابل محتلاً اتبع مع سكانها سياسة الترضية حيث أمر باعادة بناء المعابد ومنها معبد بعل. وجعل على البلاد نائباً عنه لحكمها، وقائداً لجنودها وجابياً للضرائب واراد ان يجعلها ميناءً للسفن التجارية. وغادر الاسكندر بابل متوجهاً الى الهند، عاد اليها بعد ثماني سنوات الا انه مات بمرض مفاجئ في ١١ حزيران عام ٣٢٣ ق. م وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة.(٣٥)





وعلى اثر موت الاسكندر استمر النزاع بين قادته لما يقرب من اربعين سنة حول من سيخلفه في حكم الامبراطورية ، حتى آل الأمر الى تقسيمها بين ثلاثة من كبار قادته. واصبح العراق والشام وايران والافغانستان تحت حكم سلوقس. وأسس القائد المذكور مدينة على نهر دجلة عرفت باسمه «سلوقية» واصبحت عاصمة مملكته او للاقسام الشرقية منها على أقل تقدير.

الا ان الصراع بين القادة أنفسهم قد استمر حتى بعد تقسيم الامبراطورية ولاسيما بين سلوقس وبطليموس حاكم مصر. وقد أثر هذا النزاع على حركة النقل وخطوط التجارة بين العراق والاقطار المجاورة. واصبحت الاتصالات بين الخليج العربي والاقسام الشرقية من البحر المتوسط ترتبط كلها بوادي دجلة اكثر من الفرات ولاسيما بعد ان وقعت مدينة انطاكيا تحت الاحتلال البطلمي لبعض الوقت. وباسترداد السلوقين لهذه المدينة عاد النشاط التجاري من شرق البحر المتوسط الى سواحل البحر الاسود ، وشهدت على اثرها منطقة اعالي بلاد الرافدين نشاطاً كبيراً في حركة التجارة في الوقت الذي سادت الاضطرابات الاقسام الشرقية من المملكة السلوقية التي نتج عنها بعد ذلك ممالك في بلاد البخت وبارثيا واذربيجان وأرمينيا في القرن الثاني ق.م.

وشهدت اعالي العراق في اثر ذلك نشاطاً في التجارة بعد ان عادت الحياة مرة أخرى الى المدن الآشورية المهجورة ، ولاسيما الواقعة منها على خطوط التجارة. وبنيت في اطراف منها. او فوق اطلالها قرى واسعة مثل كلخو (نمرود) ونينوى الا ان آشور (قلعة شرقاط) قد فاقت بنشاطها العمراني المدن الاخرى.

فالابنية التي كشفتها البعثة الالمانية في آشور (١٩٠٣-١٩١٤) ترينا مزجاً بين الاساليب الآشورية والعناصر ذات الاصول الاغريقية. وبذلك اصبحت اساليب هذه الابنية انموذجاً متبعاً في بابل والوركاء ونفر. كما استخدم السلوقيون طريقة البناء بالآجر والجص والزخارف الجصية التي سبق وان كانت شائعة في بلاد آشور بدرجة ظلت شائعة حتى في الفترة اللاحقة. واستخدام القوس في الابنية بدلاً من الجسور وشاع الايوان كوحدة عمارية ذات اصول آشورية على الارجح.

ومن المشكلات التي بقيت غير محسومة هي اسماء المدن في الفترة السلوقية ولاسيما العواصم الآشورية ، ومنها آشور، التي لايعرف ما اذا كانت تعرف باسمها او اطلق عليها «لبانا» على الرغم من ان الشواهد تشير الى نمو هذه المدينة وعودة الحياة اليها بعد ان هجرت لعدة قرون. [٣٦] وربما يكون السبب في نموها وازدهارها هو الاستقرار الذي شهدته المنطقة آنذاك ، فضلاً عن وقوعها على طرق المواصلات الرابطة بين العاصمتين السلوقيتين، سلوقيا على دجلة وانطاكيا على نهر العاصي. ولاسيما بعد ان زاد الطلب على بضائع الشرق وزادت معها حركة نقل البضائع الى سوريا وآسيا الصغرى عبر المنطقة التي عرفت باسم «بلاد عربايا» كما الحنا اليها من قبل واصبح سكان البوادي يحمون القوافل التجارية بدلاً من مهاجمتها.

وتلقي تنقيبات معبد نابو في تل قوينجق الضوء في ان نينوى قد سكنت على نطاق محدود في الفترة السلوقية ، ولربما لكون نفس العامل هو الذي اعاد الحياة الى آشور. فالمواد الاثرية المكتشفة تحت الطبقة الفرثية من هذا التل كانت معظمها من لقى اغريقية الاسلوب والصناعة كالمواد الفخارية والكتابات التي وجدت على عمق اربعة أمتار فوق ارضية فناء احد البيوت ، منها نص مكتوب بالاغريقية بخط ناعم على حجرة اسطوانية لم يتمكن المنقب طومسن من قراءتها يومذاك. وقد ذكرت اسماء الهة اغريقية أخرى على حجرة أخرى ومنها ابولو كبير الهة المدينة ،فضلاً عن كتابة اخرى تحوي قائمة باسماء الاشهر بالاغريقية [٣٧]

ويبدو ان نينوى كانت آنذاك قرية تركز الاستيطان على سفوح كل من تل النبي يونس وتل قوينجق ، حيث كشفت دائرة الاثار العراقية في





التل الأول عن معبد كان مكرساً لعبادة الاله هرمز[٣٨] . كما اظهرت مجاميع اخرى من اللقى الاثرية عام ١٩٦٨ وجدت في اربع طبقات على كتف نهر الخوصر فيها سمات الصناعات التي شاعت في العصر الهلنستي[٣٩] .

اما نمرود (كلخو) فإن التنقيبات الاثرية كشفت طبقات بنائية تعود لقرية نشأت في فترة الاحتلال السلوقي عند الزاوية الجنوبية الشرقية من أبنيتها المركزية. وحدد المنقبون ست طبقات استيطانية فيها تنحصر تواريخها بين ٢٥٠ - ١٤٠ ق.م بالاعتماد على المسكوكات التي وجدت على ارضيات ابنية هذه الطبقات وهي كالاتي :

| رقم الطبقة | تاريخها |
|---|---|
| السادسة (وهي الاقدم) | ٢٥٠-٢٤٠ ق.م |
| الخامسة | ٢١٠ ق.م |
| الرابعة | ١٧٠ ق.م |
| الثالثة | ١٥٠ ق.م |
| الثانية | ١٤٥ ق.م |
| الاولى | ١٤٠ ق.م |

والملاحظ في المواد الفخارية المكتشفة في هذه الطبقات اصولها الآشورية في أشكالها ، فضلاً عن التأثيرات الغربية الواضحة في اساليب صناعتها ، لاسيما بعد ان قورنت هذه الآنية مع مثيلات لها كشفت في سوريا والاناضول. وقد مكنت النماذج الكثيرة لهذه المواد المستظهرة في نمرود والاماكن الاثرية الواقعة في اعالي بلاد وادي الرافدين من تميزها عن الفخاريات الأخرى المعاصرة لها والمكتشفة في المواطن الاثرية في القسم الجنوبي من البلاد.

وامدت الخنادق الاختبارية في تل ابو شيثة الكائن على نحو عشرة كيلومترات شمال شرقي بلدة الكوير عام ١٩٥٥ ، مواد فخارية من الفترة الهلنستية شبيهة بالمواد المكتشفة في نمرود . كما كشفت حفر الجس في موقع بلوات (امكور - انليل الآشورية) على نحو عشر كيلومترات شمال شرقي نمرود ، لقى فخارية ملونة ، ومسارج رسمت على فوهاتها اشكال بهيئة المراوح النخيلية ، نسبت الى الفترة السلوقية. فضلاً عن آنية فخارية وجدت في تل قريب من قرية الخضر في ضواحي نمرود ؛ ذات شبه بالمواد التي كشفها طومسن في معبد نابو بتل قوينجق.[٤٠]

ويبدو ان التأثير الهلنستي قد شمل الاقسام الشمالية الشرقية من بلاد وادي الرافدين ، فالاعمدة ذات التيجان الكورنثية المنحوتة على واجهة مدفن يعرف عند المحليين باسم قزقبان في منطقة السليمانية قد نسبت الى الفترة السلوقية.[٤١]

وفي السنوات الاخيرة وفرت التنقيبات التي قامت بها مؤسسات اثارية مختلفة في عدد كبير من التلول الاثرية في حوض سد صدام الى الشمال الغربي من الموصل معلومات في غاية الاهمية عن الفترات المختلفة ومنها الفترة الهلنستية. فقد كشفت في تلول البقاق رقم (١) مسكوكات عليها كتابات لاتينية من القرن الثالث ق.م. واظهرت في الطبقات العليا من البقاق (٢) مواد اثارية كالجرار والقطع النقدية شبيهة بالآنية المكتشفة في نمرود من حيث الاسلوب والصناعة. وفي تل جيكان كشف في الخندق الذي طوله ١٣٠ متر وعرضه خمسة امتار وعمق ثمان امتار، عن طبقات هلنستية في القسم العلوي منه[٤٢] .

## ٣. فترة الاحتلال الفرثي

اختلف المؤرخون القدامى منهم والمحدثون في الاصول الاولى التي انحدر منها البارثيون او الفرثيون مثل اريان Arrian وزوسيموس Zosimus وجستين Justein وسترابو Strabo ، فضلاً عن الكتاب المحدثين ولاسيما الذين درسوا تاريخ ملوكهم من خلال المسكوكات والمصادر الادبية. لكن آراء هؤلاء المؤرخين تتفق في ان البارثيين من القبائل السيثية التي عرفت باسم بارني Parni





البدوية وداهي Dahay التي كانت مضاربها منتشرة على امتداد نهر اكسس oxus.واستقرت هذه القبائل في اقليم بارثيا او بارثوا واصبحوا سادتها وكانت حياتهم تعتمد على الرعي والغزو والسطو على القوافل التجارية.

تمكن الفرثيون من الثورة على السلوقيين عام ٢٥٥ ق. م بعد ان ساد الوهن في سلطتهم الاقسام الشرقية من مملكتهم، ولاسيا بعد اقتتال الاخوين سلوقس وانطيوخس التي مكنت ارشاق من تأسيس حكم في اقليم بارثيا وانسحب اسمه على الملوك الذين حكموا من بعده وعلى الفترة التي حكموا فيها ايضاً.

وتعد المسكوكات من ابرز الوثائق الرسمية لدراسة تاريخ الفرثيين فضلا عن المصادر التاريخية مثل كتابات الاغريق والرومان والمصادر السريانية والتلمود وما كتبه المؤرخون العرب مثل الطبري والمسعودي وابن خلدون الذين اطلقوا على الفترة ذاتها اسم « ملوك الطوائف». الا ان تاريخهم لم يكتب على نحو مفصل سوى الفترات التي جرى فيها احتكاك عسكري بينهم وبين كل من الاغريق والرومان، الا بعد احتلالهم لبلاد بابل وتمركزهم في سلوقيا على نهر دجلة عام ١٤١ ق. م(٤٣).

وفي الوقت الذي بدأ فيه نشاط الفرثيين في الشرق كان الرومان يوسعون حدودهم نحو الشرق ايضا للاستحواذ على طرق النقل ومنها طريق الحرير. وقد حاول كل طرف استمالة القبائل والممالك التي تخترق اراضيها او حدودها هذه الطرق الى جانبه. فنشبت بين القوتين حروب انتهت بعقد معاهدات مؤقتة وكان نهر الفرات في معظم فترات الهدوء والاستقرار الحد الفاصل بينهما.

وكانت سلوقيا على نهر دجلة مركزاً تجارياً مهماً آنذاك حيث تلتقي عندها الطرق الاتية من الجهات المختلفة، ومنها الطريق الى همدان، وطريق الفرات الى دورايوربس (الصالحية) وتدمر وطريق نهر دجلة الى تكريت وآشور والحضر وسنجار واعالي الخابور.

بعد احتلال الرومان سوريا عام ٦٤ ق. م والحاقها بامبراطوريتهم اصبح نهر الفرات خط المواجهة بينهم وبين الفرثيين، وتعطلت على اثرها الطرق التجارية الممتدة او المتصلة بهذا النهر، في حين زاد النشاط التجاري لارمينيا التي الحقت بالدولة الفرثية، وذلك لمرور الطريق بين الهضبة الايرانية وجبال سنجار عبر اراضيها. كما نشطت حركة النقل على مسلك وادي نهر دجلة الذي يربط بين سلوقية العاصمة وانطاكيا على نهر العاصي في سوريا ولاسيا في الفترات السلمية. تفرع من هذا الطريق مسلك آخر عند تكريت او بينها وبين المكان الذي عنده بلدة بيجي يتجه غرباً ليصل مدينة الحضر عبر وادي الثرثار وبعدها نحو سنجار والخابور، ولاسيا بعد ان ازدهرت مدينة الحضر التي تلتقي عندها او بالقرب منها يومذاك عدة مسالك(٤٤).

وشهدت اعالي بلاد وادي الرافدين ومنه منطقة الموصل نشاطاً كبيراً في التجارة لمرور طرق التجارة عبرها الى ارمينيا وسوريا واسيا الصغرى. الا انها اصبحت تحت نفوذ ارمينيا بعد ان وسع ملكها تجرانس مملكته منتهزاً الصراع بين الفرثيين والرومان. وشمل توسعه الاقسام المذكورة بما فيها حدياب وجبل سنجار واصبحت دياربكر العاصمة الجديدة لارمينيا(٤٥).

وبحكم الموقف المتوتر بين الفرثيين والروم، فقد شيد كل طرف تحصينات دفاعية على كل جانب من نهر الفرات باعتباره خط المواجهة او المسلك الاقصر مسافة المؤدي الى طيسفون عاصمة الفرثيين. كما شيدت تحصينات اخرى على المسالك الاخرى(٤٦).

ووفق هذه السياقات حاول كل طرف من القوى المتخاصمة بذل الجهود للسيطرة على بلاد الرافدين، ولاسيا الاقسام الشمالية منها، لاستخدام مسالك دجلة والفرات للاغراض العسكرية والتجارية. ومن الاباطرة الروم الذين اعدوا الخطط لاحتلال بلاد وادي الرافدين كان





دوميتيان Domitian (٨١- ٩٦ م) وترجان Trajan (٩٨- ١١٧ م)، ولوشيس فيروس Lucius Verus (١٦١- ١٦٩ م)، وسبتموس سفيروس Septimus Severus (١٩٣- ٢١١ م) وكركلا Caracalla (٢١١- ٢١٧ م) وسفيروس اسكندر Severus Alexander (٢٢٢- ٢٣٥ م) وكوردون Gordian (٢٣٨- ٢٤٣ م).

وكان الامبراطور تراجان يخطط لاحتلال الشرق والوصول الى الهند الذي سبق ان خطط لها الامبراطور دوميتان. وكان من اهدافه مهاجمة ارمينيا وسوريا وبلاد وادي الرافدين. فاحتل ارمينيا عام ١١٤ م ووضع عليها حاكماً رومانياً. واحتل بعد ذلك نصيبين وماردين واستلم هدايا من ملك الرها واستولى على انطاكيا. واتجه بعدها الى الاقسام الشمالية من بلاد وادي الرافدين سالكاً الطريق الذي في لحف جبل سنجار(٤٧). واحكم السيطرة على سنجار وعلى الطرق المؤدية الى كل من دورايوربس على نهر الفرات والحضر في اواسط بادية الجزيرة.

وفي ربيع ١١٦ م قطع تراجان نهر دجلة وتوجه الى اقليم حدياب التي اعترفت بسلطانه. غير ان حدياب لم يصبها اذى في هذه الحملة الا ان حدودها من الغرب لم تتعد نهر دجلة. وواصل تراجان سيره الى جنوب العراق. عاد بعدها الى بابل وزار الغرفة التي مات فيها الاسكندر الكبير. وتوجه تراجان بعد ذلك الى الحضر التي كانت من بين المدن التي اعلنت ثورتها على الرومان، سالكاً طريق نهر دجلة وما ان وصلت جيوشه تلك المدينة ضرب حصاراً فاشلا عليها، ومات في ١١٧ م بعد فترة قصيرة من الانسحاب.

وبعد مجيئ هادريان الى عرش الامبراطورية الرومانية (١١٧- ١٣٨ م) اتبع سياسية اللين مع المقاطعات التي يديرها الرومان، واعاد المقاطعات التي احتلت الى سكانها. وساد الهدوء والاستقرار في المنطقة وازداد نشاطها التجاري.

شهدت المنطقة بعد موت هادريان وحتى مجيئ سبتميوس سفيروس عام ١٩٣ م حالة مابين الفوضى والاستقرار الوقتي. فسرعان ماتعود العلاقات السلمية بين الفرثيين والرومان الى نزاع عسكري، ينسحب تأثيرها الى الاقاليم الوارد ذكرها، وقد كانت اراضيها ساحات للمعارك بين الطرفين. وفي هذه الفترة تنازع على العرش ثلاثة من كبار قادة الرومان. اذ اثر هذا النزاع على المقاطعات التي كانت تحت حكم الرومان بشكل عام ومنطقة الموصل بشكل خاص. فوقف ملك الحضر بجانب احد اطراف النزاع وهو نيجر حاكم سوريا. حيث قدم برسميا (عبد سميا بن سنطروق الملك) المعونات العسكرية له ومنها فرقة من النبالة الحضريين. وبعد ان انتهى النزاع لصالح سبتموس سفيروس واصبح امبراطوراً للرومان سير جيوشه لمعاقبة خصمه نيجر في سوريا والاخرين الذين وقفوا معه ومنهم ملك الحضر برسميا.

اتجه سبتموس سفيروس بجيوشه الى الرها التي اعترفت بسلطانه، ومن بعدها نصيبين مركز عملياته العسكرية. ووصل طيسفون وخربها، عاد بعدها الى الحضر عن طريق نهر دجلة وضرب الحصار عليها في عام ١٩٨. الا ان قوة تحصينات الحضر وفعالية اسلحتهم وكفاءة مقاتليهم مما اجبره على الانسحاب منها الى نصيبين من اجل الاستعداد لهجوم آخر على المدينة المذكورة. لكن محاولته الثانية كانت في سنة ٢٠٠ م لم تكن اكثر حظاً من الاولى. وربما كان فشل هذا الامبراطور قد بقي في اذهان الرومان حتى ان الامبراطور كركلا في حملته على طيسفون لم يقترب من اسوار الحضر رغم ان جيشه سلك طريقاً غير بعيد عن الحضر. وفي عودته توقف في اربيل وخربها ونبش قبور الملوك الفرثيين المدفونين فيها ونثر عظامهم(٤٨).

بعد العرض التاريخي العام للاحداث التي مرت على منطقة الموصل وحتى اواخر العهد الفرثي ينبغي ان يقف القارئ على مقدار تأثير هذه الاحداث على منطقة الموصل.





فقد شهدت هذه المنطقة وهي قسم مهم كانت تعرف ببلاد آشور نشاطاً في العمران بعد ان تضاءلت اهميتها بعد سقوط نينوى عاصمة الاشوريين عام ٦١٢ ق. م كما اسلفنا، ولاسيما بعد ان اصبحت مدينة الحضر (حترا) حاضرة للأقوام العربية التي كانت المنطقة الواقعة فيها تعرف ببلاد عربايا في فترة الاحتلال الاخميني. ومثلما ازدهرت الحضر نهضت مدينة اشور التي هجرت على اثر هجوم الكلديين والميديين عليها. كما شمل الازدهار ايضا مراكز اخرى واقعة على امتداد وادي الثرثار. ويبدو ان للعامل التجاري دورا في نمو عدد من المدن الواقعة على خطوط المواصلات، كما كان للعامل السوقي اثر مهم في بناء التحصينات الدفاعية للمدن او للقلاع او لمحطات الطرق. مثل مدينة سنجار وقلعة جدالة بين الحضر وبلدة القيارة. اما العامل الجغرافي ومنه وفرة مياه الامطار والعيون والبثوق والابار وخصوبة الاراضي فقد كان سببا في نمو العديد من القرى والمدن الاخرى.

فالمنطقة بين الموصل وجبل قليعات وحمام العليل احتوت على عدة مواطن اثرية تعود للفترة التي ازدهرت فيها الحضر كمدينة ومملكة، وشهدت السهول بين سنجار وتلعفر نشاطاً سكانياً آنذاك.

واذا دققنا النظر في التوزيع الجغرافي لانتشار المواقع الكثيرة في تلك المناطق وهي مابين مدينة وقرية ومبانٍ محصنة والواقعة ضمن المنطقة التي تسقط فيها الامطار الكثيرة.

اما الاماكن الاثرية المنسوبة لهذه الفترة الواقعة الى الجنوب من خط المطر وتشمل الحضر واسافل الثرثار واشور وتكريت، فهي قليلة وربما يكون لقلة المطر والمناخ الحار والتربة الرملية والمياه المالحة عوامل غير مشجعة لقيام تجمعات سكانية، باستثناء مدينة الحضر التي سنوضح العوامل في نشأتها وازدهارها في الصفحات القادمة.

**الحضر**

تقع مدينة الحضر في منطقة يقل الزرع فيها ويكثر العشب. وينعدم الماء الجاري وتكثر فيها الآبار والمنخفضات. تحيط بها تربة رملية باستثناء جهة الشرق ففيها تربة طينية. لا تقطع ارضها وديان او شعاب، واقرب الوديان اليها هو الثرثار (ترتارا) الواقع على نحو اربعة كيلومترات الى الشرق منها.

وتحيط بمدينة الحضر اراض اكثر منها ارتفاعاً، وتظهر وكأنها منخفض تصب فيه سيول الامطار، وتتجمع هذه المياه في منخفضين كبيرين يقعان في القسم الشرقي من المدينة، لاينضب ماؤها حتى في فصل الصيف. واستفاد الحضريون من مخزون الماء في ارض مدينتهم.

وتتوفر في ارض الحضر احجار الكلس التي بنى الحضريون فيها مصليات واواوين معبدهم الكبير وسوره، كما شيدوا به مدافنهم والاقسام السفلى من منشآتهم الاخرى.

ولم يعرف على وجه الدقة متى استوطنت الحضر، الا ان المستوطنات المنتشرة حول هذه المدينة او بالقرب منها ولاسيما في الاماكن التي تتوفر فيها مصادر المياه تعود الى العصور الحجرية مثل ام الدباغية وتلول الميمون ودبيشي وام تليل.. مما يلقي الضوء على ان المنطقة التي قامت فيها الحضر شهدت تجمعات سكانية منذ ان اهتدى الانسان الى الزراعة او قبلها. ولعل الاعمال الاثارية الدقيقة في المستقبل ستكشف عن اقدم اطوار الاستقرار في ارض هذه المدينة. وما زال الافتراض معقوداً على انه كان في المدينة المذكورة ثمة مستوطن آشوري ربما كان قائماً على حافة المنخفضات المائية في المدينة المنسابة من المنحدرات المجاورة. واصبح هذا المستوطن مركزاً للقبائل العربية التي كانت منتشرة في المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات حتى انها عرفت في عصر الاحتلال الاخميني باسم عربايا «بلاد العرب»[٤٩].

وعلى الرغم من سعة مساحات التحري والتنقيب في الحضر التي بدايتها كانت في عام ١٩٥١ الا انها لم تهدف الى الحفر من اجل تتبع مراحل الاستيطان فيها. وكل المحاولات التي جرت





في هذا الميدان لايعدو حفر خنادق اختبارية توزعت بين نقاط مختلفة من المعبد الكبير او في القطاعات القريبة منه. وقد كشفت كلها عن طبقات بنائية، لكن اللقى الاثرية فيها كانت قليلة جداً بدرجة لايمكن نسبتها الى فترات معينة. ومما تجدر الاشارة اليه ان الطبقة فوق التربة البكر مكونة من رماد ومواقد وتنانير ولم يتوفر الدليل على وجود اسس لأبنية فيها، مما يرجح ان سكان هذه الطبقة كانوا من المتنقلين من سكان الخيم الذين اشار اليهم سترابو في حديثه عن سكان مناطق الصحراء التي بين دجلة والفرات [٥٠]. اما الطبقات التي فوقها فتحتوي على مداميك من اللبن. بنيت السفلى منها بشكل غير متقن، اما التي فوقها فهي اكثر منها سمكاً وجودة في البناء. وترينا كيف تحول السكان الى الاستقرار ولاسيما الدائمي منه [٥١]. الا ان ندرة اللقى الاثرية التي خلفهاسكان هذه الطبقات جعلت معرفة فتراتها الزمنية غير اكيدة. على الرغم من ان الاستاذين فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى وهما من ابرز المنقبين في الحضر اشارا ان المستوطن الاشوري الذي نشأ في ارض هذه المدينة توسع تدريجياً واصبح مركزاً للعرب المتنقلين الذين يرعون اغنامهم هناك في فصل الربيع، وبنوا من بعد معبداً او مزاراً للالة الشمس كبير آلهتهم. وازدادت اهمية هذا المستوطن، كما يرى هذان الباحثان بعد غزوة الاسكندر الكبير للشرق، ومنها بلاد وادي الرافدين (٣٣١ — ٣٢٣ ق.م)، ولاسيا بعد ان اسست مدناً جديدة في تلك البلدان آنذاك، ربطت بينها خطوط رئيسة للتجارة. ورغم ان هذا الرأي مازال يعتمد في ادلته على قطع اسطوانية لاعمدة نسبت الى القرن الثاني قبل الميلاد، استخدمت كباقي الحجارة في بناء جدران اواوين المعبد الكبير [٥٢]. فإن هذه القطع والمواد الفخارية القليلة المكتشفة معها لاتعطي صورة عن تطور مدينة الحضر وتحولها من القرية الى المدينة، الا اذا اضفناها الى الشواهد الأخرى المكتشفة في اشور (قلعة شرقاط) ونينوى ونمرود (كلخو) وجزر الفرات مثل عانة وبيجان وتلبيس، فضلا عن المواقع الاخرى التي نهضت وعادت الى النمو والازدهار اثر تمتع المنطقة بالهدوء والاستقرار ابان الفترة السلوقية.

بدأ الوضوح في تاريخ مدينة الحضر بعد التنقيب في اطلالها واكتشاف الشواهد الاثرية ومنها الكتابات الارامية المحفورة على قواعد التماثيل وجدران وارضيات المباني فيها. وقد زاد المنشور منها على الاربعمائة نص. والقت هذه الكتابات الضوء على الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية في الحضر ولاسيما المؤرخة منها بالتقويم السلوقي الذي بدايته في خريف ٣١٢ ق.م او في ربيع ٣١١ ق.م [٥٣].

وفي فترة نشوئها يبدو ان السلطة فيها كانت موزعة بين زعماء او شيوخ يطلق عليها لقب (ربا) والسدنة (رب — بيتا) المسؤولين عن ادارة المعبد الكبير حيث كانت الامور الدينية فيها مسندة الى رئيس كهنتها الذي يعرف باسم (افكل ربا) [٥٤] كما كان للحضر سادن ينتخبه سكانها شيباً وشباناً والاعراب المارون بها وامدتنا كتابتان مؤرختان في كانون عام ١٥١ م بمعلومات عن انتخاب شمشبرك سادنا لهذه المدينة [٥٥].

ويرينا اقدم نص من الحضر مؤرخ في عام ٩٨ م ان قبيلتين متحدتين هما بنو تيمو وبنو بلعقب اقامتا معبداً كان مخصصاً للالة نرجول من مالها الخاص، كما شيدتا ايضا مدفناً في الحضر سنة ١٠٨ م. وتعيننا النصوص الآرامية المكتشفة في منطقة وادي حوران (بين الفرات وبادية الشام) ان رعاة من بني تيمو قضوا فصل الربيع على احد فروع ذلك الوادي عام ٩٨ م مما يعني ان جماعة من بني تيمو كانت تعيش حياة البداوة ويعيش الاخرون منهم كباقي السكان في مدينة الحضر. ولا يستبعد ان المقيمين في هذه المدينة من القبائل التي وردت اسماءها في كتابات الحضر مثل بني اقلتا وبني رفشمش وعصليا وحرنفش و عقيبا.... كان بنو عمومتهم يعيشون في البوادي الا انهم كانوا تابعين





الى سلطة حكام الحضر، ولهم حق في انتخاب سدنتها.

وكانت المنطقة الصحراوية التي فيها الحضر الآهلة بالعرب من القبائل التي اشرنا الى عدد منها من المستقرين والبدو في المدن والريف، قد اصبحت عازلة بين الامبراطوريتين الفرثية والرومانية ومن بين المناطق التي شهدت اوضاعاً غير مستقرة مثل سوريا وأرمينيا منذ القرن الثاني قبل الميلاد.

وفضلاً عما شهدته هذه المنطقة من تنافس بين القوتين المذكورتين فقد كانت ارمينيا طرفاً آخر وسعت نفوذها حينما احتل حاكمها تجرانس الرها وحدياب وقسماً من الجزيرة. ويروي يوزيفوس Josephus (٣٧ — ٩٣ م) كيف ان ابا اوابياس ملك العرب الذي أيدته القبائل العربية في جزيرة مابين دجلة والفرات نازع ازاط ملك حدياب (٣٦ — ٦٠ م) ليهوديته وقد دفع هذا الموقف بالاخير الى مقاتلة ابيا ومحاصرته في مدينة محضة تعرف ب ارسميس Arsamus التي يرجح ان موقعها كان في جزيرة الحضر، وحينما رأى أبيا انه لامناص من وقوعه اسيراً القى بنفسه من على الحصن فمات[٥٦].

الا ان عدم ذكر اسم الحضر في الاحداث التي اوردها يوزيفوس لايعني انها كانت مدينة صغيرة غير ذات اهمية، لكن ما اورده يؤكد وجود امراء عرب كان لهم شأن في المنطقة ولاسيما قبل ظهور الملكية في الحضر[٥٧].

ويذهب بعض الباحثين الى ان الحضر آنذاك كانت تابعة الى نفوذ حكام حدياب دون ان تكون لديهم اسانيد مقنعة سوى تمثال من الرخام اكبر من الحجم الطبيعي كان مقاماً في المعبد الثالث في الحضر المكرس لعبادة بعلشمين. تذكر الكتابة التي في قاعدته انه الملك أتلو نتون أشري، الذي نسب انه كان ازاط ملك حدياب بعد ان فسرت في ان نتون أشري يقصد بها حدياب. وعلى هذا الاساس لقب أتلو خطأً بالحديابي، في حين ان نتون أشري كان من بين اسماء الاعلام المعروفة في الحضر التي يدخل في تركيبها اشرّ (اسم الاله آشور)[٥٨].

بعد الغموض الذي ساد هذه المرحلة من تاريخ الحضر، تبدو المرحلة اللاحقة اكثر وضوحا بفضل الكتابات المكتشفة التي أمدتنا بستة اشخاص كانوا يحملون لقب مريا (السيد) وهم حسب قدمهم: نشريهب، ورود، نصرو، معنو، ولجش، سنطروق حكموا لما يقرب من القرن وتظهر هذه الالقاب او الوظائف مستقله الفترة التي حكم فيهاالملوك. ولهذا اطلق على هذه الفترة اسم «دور السادة».

وان هذا اللقب الذي يعني السيد او سيدي كان منحصرا في عائلة واحدة، ينتخب من يصلح من بينها لنيل هذا اللقب. وكان هذا الشخص المسؤول السياسي والأداري والديني للحضر. واصبحت هذه العائلة فيما بعد العائلة الملكية في الحضر.

واهم الاحداث التي وقعت في مناطق الشرق الادنى بشكل عام واعالي بلاد وادي الرافدين بنحو خاص خلال حكم من لقبوا بمريا في الحضر ولاسيما في الفترة بين منتصف القرن الاول ومنتصف القرن الثاني للميلاد، ان اقتسم الروم والفرثيون اقاليم العالم القديم ومن بينها اقاليم الوطن العربي. فاصبحت سوريا تحت حكم الروم منذ ٦٤ ق.م وبلاد وادي الرافدين تحت حكم الفرثيين فقامت بينها نزاعات حادة انعكست نتائجها على هذه المنطقة بشكل خاص كما بينا ذلك فيما سبق. فكانت حروب تراجان (١١٤ — ١١٧ م) الذي احتل معظم اقاليم اوربا وأرمينيا وسوريا وبلاد بابل وآشور، الا انه لم يتمكن من احتلال الحضر ثم انسحب منها بعد فشله عام ١١٧ م. ويظن ان نصرو السيد قاد الحضريين في صمودهم اثناء ذلك الحصار[٥٩].

وقد اعقب الحكام الذين لقبوا «مريا» اشخاص لقبوا بملكا (الملك) وهم: ولجش، سنطروق الاول، عبد سميا، سنطروق الثاني. الا





ان الملكين الاولين ولجش وسنطروق ابنيا نصرو حمل كل منها لقب مريا اولاً ولقب ملكا ثانياً ، اما الملوك الآخرين الذين اعقبوهما فلم يحملوا سوى لقب ملك . فضلا عن اسم ملك آخر وهو أتلو الذي وجد تمثاله في المعبد الثالث كما اشرنا الى ذلك قبل قليل .

لقب ولجش ملك العرب كما تشير الى ذلك الكتابتان [١٩٣ ، ٢٨٦] علما ان هذا اللقب قد حمله الملوك الاخيرون مثل سنطروق الاول وعبد سمياو سنطروق الثاني . وقد اعطيت على نحو تقريبي الفترة التي حكم فيها هذا الملك (١٥٨ — ١٦٥) .

ولقب سنطروق الاول بملك العرب المظفر، ولقب ايضاً الكاهن والملك والمعروف ان هذا الملك شيد المعبد المربع (خلوة الشمس) ومعبد اللات .

اما عبد سميا ملك العرب وقد سمته المصادر الكلاسيكية (برسيموس) ولاسيما بعد تقديم العون العسكري لحاكم سوريا الروماني نيجر احد اطراف النزاع على عرش روما . ولما اصبح سبتموس سفيروس امبراطوراً للروم قاد حملة لمعاقبة كل الاطراف التي ساعدت خصمه نيجر ومن بينهم ملك الحضر. تشير المصادر ان سفيروس اتجه الى نصيبين وهاجم حدياب وطيسفون وسلوقيا ، تفرغ بعدها لمحاصرة الحضر ربيع عام ١٩٨ م الا انه فشل ، لكنه عاد مرة اخرى بعد ستتين وضرب عليها الحصار في خريف ٢٠٠ م بعد ان جلب معه عدة حربية جديدة الا انه فشل ايضاً لقوة استحكاماتها الدفاعية وشدة بأس مقاتليها وكفاءة اسلحتها ، كما مرّ بنا الاشارة الى ذلك من قبل . وكان عبد سميا الملك الذي قاد الحضريين في دفاعهم عن هذه المدينة .

اما سنطروق الثاني بن عبد سميا الذي وصف انه ملك العرب وملك البلاد العربية ، كما لقب بالملك المنتصر المحسن ايضاً . وقد شهدت الحضر الازدهار في عهده .وصمدت في حصار اردشير الملك الساساني ، الا ان نهايتها المحزنة كانت باحتلال شابور عام ٢٤١ م.

ونتوقف في تاريخ الحضر بظهور الساسانيين واحتلالهم العراق وعدم اعترافها بسلطانهم ، مما دفعها الى التحالف مع الرومان . وستكون تفاصيل تلك الفترة من تاريخ الحضر في المبحث القادم .

(١) ابراهيم شريف ، الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخه العام ، بغداد (بدون سنة طبع) ج٢ ص ١٩٠ .

(٢) Olmstead, A "History of the Persian Empire", Chicago, 1966, 2nd edition, p. 37.

(٣) ما زالت الاراء متضاربة في تحديد موقع اوبس Opis ، فحددها البعض بموقع طيسفون او سلوقيا (فؤاد جميل ، أوبس اين تقع ، سومر ٢٣ ، الكائن الى الجنوب من سامراء (ابراهيم شريف ، المصدر السابق ، ٢/١٩٠) ، وحددها آخرون بتل Abir الكائن على الجهة الحنى لنهر دجلة عند التقاءه بنهر العظيم (انظر عن ذلك Longden, Lane "Babylonian Problems" London 1923, pp. 50 — 59, map. No. 1. وعينت اوبس ايضا بانها تقع في الطريق الاقرب الى تكريت (عبد الرحيم طه الاحمد ، تكريت بغداد /١٩٨٨ ص ٣٣ .

(٤) جابر خليل ابراهيم ، تكريت من خلال المصادر الاثرية ، مجلة المؤرخ العربي العدد ٣٩ ، ١٩٨٨ ص ٢٩٨ لوح ١٠

(٥) سفر عزرا ، الاصحاح الاول

(٦) انظر عن حدود الامبراطورية والاقطار التي احتلها . Ghrishman, R, "Persia from the earliest times to the Islamic conquest, London 1954 p. 133.

(٧) مجموعة من الباحثين السوفيت ، العراق القديم ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٧٦ ص ٤٥٤

(٨) Oates,J. "Babylon", London 1978, PP. 134 — 38

(٩) انظر الهامش ٧ ص ٤٦٢

(١٠) المصدر السابق ص ٤٧٢

(١١) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١، بغداد ١٩٧٣ ص ٥٦٥ .

(١٢) جورج رو، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، بغداد ١٩٨٤ ، ص ٥٤٩

(١٣) Herzfeld, E."The Persian Empire", 1968, P. 202.

(١٤) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ١٧

(١٥) Oates, D. and J "Nimrud 1957, the Hellenistic Settlement" Iraq, 20, 1958

(١٦) Ibrahim, J.Kh., Pre— Islamic Settlement in Jazirah Mosul, 1986,





وانظر ايضاً النتائج التي توصلت اليها البعثات الاثارية المختلفة في تنقيباتها مواقع في حوض سد صدام والمنشورة في «بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث اخرى الموصل ١٩٨٧.

(١٧) مديرية الآثار العامة ١٩٧٠

(١٨) حول ارشم او ارشام انظر: دوبنت سومر، الاراميون تعريب البير أبونا، سومر ١٩، ١٩٦٣ ص ١٣٨ - ١٤٠

(١٩) Oates, D. Studies in the Ancient History of the Northern Iraq London 1968.

(٢٠) زينفون مؤرخ اغريقي من اتباع سقراط انضم الى جيش كورش الصغير كجندي عام ٤٠١ ق. م. الذي كان حاكماً في سارديس عاصمة ليديا. وقاد حملة على اخيه الملك الاخميني ارتحشستا ابن دارا الثاني في بابل. وبعد مقتل قائد الحملة كورش انتخب زينفون مكانه لنفوذه في الجيش وقاد العشرة الآف اغريقي من المرتزقة في انسحابهم بعد المعركة المعروفة باسم «الكناسة» التي وقعت بالقرب من بابل اثر مقتل كورش الصغير. انظر فؤاد جميل، زينفون في العراق وحملة العشرة الآف اغريقي سومر ٢٠، ١٩٦٤ ص ٢٢٧ - ٢٥٨

(٢١) عن السور المادي انظر الدراسة القيمة التي اجراها.
Lane, W. Babylonian Problems, London 1923, pp. 90 - 104
Reade, J. EL - Mutabbaq and Umm Rus, Sumer, 20, 1964, pp. 83 - 89

(٢٢) Luckenbill, D. Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1926, Vol. 1, p. 128.

(٢٣) فؤاد جميل، أوبس ابن تقع، سومر ٢٣، ١٩٦٧ ص ١٥٧ - ١٧٦ وانظر ايضاً المصدر السابق. Lane Olmstead, A. History of Assyria Chicago Reprint 1975, p. 253

(٢٤) اندريه، اشور الملنستية، ترجمة عبدالرزاق كامل الحسن، الموصل ١٩٨٧ ص ١٨

(٢٥) سامي سعيد الاحمد، العراق في كتابات اليونان والرومان سومر ٢٦، ١٩٧٠، ص ١١٨

(٢٦) جابر خليل ابراهيم، تكريت من خلال المصادر الاثرية المؤرخ العربي ١٩٨٨، ص ٢٩٩ الهامش ٩٥

(٢٧) فؤاد جميل، زينفون ص ٢٥٤

(٢٨) حول هذه الاراء انظر فؤاد جميل، زينفون ص ٢٥٤

(٢٩) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الاثار والحضارة الرحلة الثانية ١٩٦٦ ص ١٧

(٣٠) فؤاد جميل، زينفون ص ٢٥٥

(٣١) انظر عن هذا الموضوع د. مصطفى العبادي، العصر الهلنستي في مصر ١٩٨١ بيروت وهارولد ادريس بل، الهلينية في مصر، ترجمة زكي علي، مصر - دار المعارف (بدون سنة الطبع)

(٣٢) Stein, A., Notes on Alexander's Crossing of the Tigris and the battle of Arbela, GJ, 100, N0 - 4 1942, pp. 155 - 164.

(٣٣) عن كوكاميلا واحتمال انها الكومل على نهر الخازر او كرمليس الى الشرق من الموصل انظر Stein المصدر السابق.

(٣٤) جابر خليل ابراهيم، تكريت من خلال المصادر الاثرية، المؤرخ العربي، ٣٩، ١٩٨٨ لوح ١٠

(٣٥) فؤاد جميل، اريان يدون ايام الاسكندر الكبير في العراق، سومر ٢١، ١٩٦٧ ص ٢٦٧ - ٣٠٠.

(٣٦) انظر نتائج تنقيبات البعثة الالمانية في اشور (١٩٠٣ - ١٩١٤) التي عربت معظمها ونشرتها دائرة الاثار والتراث ولاسيما الكتاب الموسوم لاندريه رئيس البعثة «آشور الملنستية» تعريب عبدالرزاق كامل الحسن، الموصل ١٩٨٧ وانظر عن الدمى الطينية في اشور، د. صبحي انور رشيد، «دمى من اشور في متحف الشرق الادنى في برلين» سومر ٤٠ ١٩٨١، ص ٢٥٣

(٣٧) Thompson, R., and Hutchinson, R, The excavation on the temple of Nabu at Nineveh Archaeologica, 29, 1929, 138, 142.

(٣٨) محمد علي مصطفى، اكتشاف تمثال في نينوى، سومر ١٠، ١٩٥٤ ج٢، ص ٢٨٠ - ٢٨٣.

(٣٩) د. طارق مظلوم، التنقيب في نينوى، سومر ٢٤، ١٩٦٨ ص ٣٩ - ٦٢

(٤٠) معظم المعلومات عن موقع نمرود ابان الفترة الهلنستية كانت من المصدر التالي
Oates, D. and J., Nimrud, 1957: The Hellenistic Settlement ، Iraq 20, 1958, pp. 114 - 157.

(٤١) Rowland, B, Note on Ionic Arctitecture in the East, AJA, 39, 1935, p. 492.
وانظر ايضاً كمال نوري معروف، منحوتة قزقبان، سومر ٣٨، ١٩٨٠ ص ٣٠٩ - ٣١٤

(٤٢) انظر البحوث المنشورة عن نتائج التلول المنقبة في حوض سد صدام السفر الصادر عن دائرة الاثار والتراث «بحوث اثار حوض سد صدام وبحوث اخرى» الموصل ١٩٨٧.

(٤٣) عن تأريخ الفرثيين انظر Debevoise, 'A Political history of Parthia' Chicago 1938.

(٤٤) Ibrahim, J. 'Pre - Islamic Settlement in Jazirah Mosul, 1986, p. 301.

(٤٥) ابراهيم شريف، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام، بغداد (بدون سنة طبع) ج٢ ص ٢٣٥.
وانظر ايضاً سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الادنى القديم، ايران والاناضول، ص ١٤٦.

(٤٦) انظر تفاصيل هذا الموضوع في
Oates, D. Studies in the ancient history of Northern Iraq, London 1968, pp. 67 - 91.

(٤٧) كشف في عام ١٩٢٧ راقم اميال بالقرب من قرية كرمي في جبل سنجار عليه كتابة لاتينية تحمل القاب تراجان ومنها Parthicus ويفيدنا راقم الاميال هذا في تحديد الطريق الذي سلكه تراجان. انظر Oates, 1968: 67 - 92

(٤٨) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى «الحضر مدينة الشمس، بغداد ١٩٧٤، ص ٣٢

(٤٩) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، المصدر السابق ص ١٧، ١٨ وانظر حول عربايا

Herzfeld, E., The Persian Empire, Wiesbaden, 1968.

(٥٠) Strabo. XVI, 233., Oates, D. 1968, p. 63

(٥١) Ibrahim, J. 1986, p. 92

(٥٢) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى المصدر السابق ص ١٠٨ ، ٣٩٩

(٥٢) وجدت كتابات اخرى غير الارامية في الحضر منها ثلاثة نصوص مكتوبة باللاتينية وواحد بالاغريقية. اما الكتابات الارامية فقد نشرت في مجلة سومر الاعداد : ٧ - ٩ ، ١١، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ - ٢١ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ . كما ونشرت في مجلات علمية اخرى مثل

NESE, Jo, Wo, Berytus, Syria, MDOG, MUSJ.

(٥٤) فؤاد سفر ومحمدعلي مصطفى ، المصدر السابق ص ٢٦ .

(٥٥) جابر خليل ابراهيم ، نصان قانونيان من الحضر، مجلة سومر ٣٨ ، ١٩٨٢ .

(٥٦) Debevoise, A Political History of Parthia, Chicago, 1938, p. 50.

(٥٨) لمناقشة تلك الاراء انظر:

Ibrahim, J. Pre- Islamic Settlement in Jazirah, Mosul, 1986, p. 98 - 99.

(٥٩) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، المصدر السابق ص ٣٠

# منطقة الموصل تحت وطأة الاحتلال الساساني

**سالم احمد محل**

## تأسيس الموصل:

من اكثر الصعوبات التي تواجه الباحث في تاريخ الكثير من المدن القديمة تحديد زمن بنائها ، خاصة عندما لايرتبط اسمها باسم مؤسسها اومنشئها ملكاً كان ام اميراً ام قائداً.

والموصل واحدة من تلك الحواضر التي يكتنف نشأتها الغموض والابهام. فلا يعرف بالضبط متى بنيت ، ولا من الذي بناها.

غير ان الذي لامراء فيه هو ان الموصل مدينة قديمة ترجع الى ايام الاشوريين. وهذا يعني انها ظهرت قبل الميلاد بقرون عديدة. فقد اتخذ الاشوريون نينوى الواقعة على الضفة الشرقية من نهر دجلة عاصمة لهم في عهد العاهل الاشوري تجلا تبليزر سنة ١٠٨٠ ق. م[١] . ولعوامل عسكرية تتعلق بدرء الاخطار عن العاصمة،اقام الاشوريون حصناً على الضفة الغربية من نهر دجلة مقابل عاصمتهم في تل «القليعات» فكان هذا الحصن نواة مدينة الموصل[٢] . ويعتقد بدج ان العامل الاقتصادي كان وراء قيام الموصل في هذا المكان،اذ ان مكانها يصلح سوقاً يخدم المركز التجاري الكبير وهو العاصمة نينوى فقامت فيه او بالقرب منه مدينة[٣] . غير انه وجد من يعارض ذلك ويرى.ان توسع الدولة الاشورية وسيطرتها على بلاد الشام كانت تعني ان «كل ماياتي الى العاصمة نينوى من جهة الغرب لابد من ان يمر من منطقة تقابل العاصمة ، فانسب مكان لذلك هو المرتفع من الارض المقابل لها وهو موقع الموصل»[٤] . وهذا الرأي يلمح الى اهمية العامل العسكري (الحصن) على العامل الاقتصادي (السوق) في نشوء الموصل. ويبدو ان بناء الحصن سابق على ظهور السوق اذ صار نواة ظهور مدينة الموصل في العصر الاشوري. فقد ظهر السوق جزءاً من متطلبات احتياجات الحامية العسكرية المقيمة في الحصن لحماية العاصمة. ثم اظهر التطور الحاجة الى الاستقرار فظهرت المدينة. فالموصل مدينة قديمة كانت قلعة آشورية في بداية الامر، كما راينا وعند مرور زينفون اليوناني مع حملة العشرة الاف (سنة ٤٠١ ق. م) اشار الى بعض المناطق التي مر بها من بينها (لاريسا) التي يعتقد من وصفه لها بأنها نمرود ، ثم يقول ان الحملة سارت شمالا فبلغت «قلعة لاتقهر بالقرب من مدينة تدعى مسبيلا التي كانت لفترة اهلة بالمدينين»[٥] . ويسود الاعتقاد بأن مسبيلا هي نفسها مدينة الموصل وربما كانت التسمية

اشورية مشتقة من الكلمة الاشورية «مشبالو» او «مشفالو» التي تعني الارض السفلى او الواطئة. ويرى سليمان صائغ ان مسيلا التي ذكرها زينفون هي مدينة «نينوى القديمة، والقلعة التي يذكرها قد تكون موقع الموصل الحالي»[٧]:

الا انه يبدو لنا خلاف ذلك لأن الجيش اليوناني كان يسير بحملته بمحاذاة الضفة الشرقية من نهر دجلة وخط سيره معروف لدينا، فمن الطبيعي ان تكون نينوى المكان الذي حطّ فيها رحاله في هذه المنطقة حيث وجد قلعة عظيمة قام باعطاء وصف دقيق لابعادها، لامجال لذكرها هنا. فوصوله للقلعة التي وصفها كان قبل اشارته للمدينة القريبة منها. والتي يسميها مسيلا والتي على مايبدو لم يمر بها لانه لم يعط اي وصف لها. وهناك من يظن ان القلعة التي وصفها زينفون هي «موضع قريب من مدينة نينوى المندرسة او بالأحرى تل توبة الذي يقوم عليه جامع النبي يونس حالياً»[٨]. وهو جزء من مدينة نينوى القديمة كما هو معروف الان.

اما الكتبة الاراميون فقد ظلوا يسمون المدينة باسم ذلك الحصن الاشوري (حسنا – عبرايا) او «الحصن العبوري» لاشرافه على نهر دجلة[٩].

اما البلدانيون والمؤرخون العرب فقد اشاروا الى تأريخ تأسيس الموصل، ولكنهم لم يوفقوا الى تحديد تاريخ دقيق لبنائها، فجاءت رواياتهم عنها بهذا الخصوص غير خالية من الغموض والابهام.

فالطبري يعدد اسماء عدد من المدن التي بناها اردشير بعد قضائه على الدولة البارثية سنة ٢٢٤ م او ٢٢٦ م فيقول «وبالموصل بوذ اردشير وهي حزة»[١٠] وهذا يعني ان الموصل كانت قائمة عند احتلال الساسانيين للعراق وان اردشير بنى حياً او محلة فيها هي بوذ اردشير. غير ان الطبري توهم في اعتباره هذه المدينة هي حزة. لان حزة هي بليدة بالقرب من اربيل، كما ان مدينة بهذا الاسم تقع بين نصيبين وراس العين[١١]. فمن المستبعد ان تكون محلة او حي بوذ اردشير هي حزة. ويذكر ابن خرداذبة ان اردشير بعد احتلاله للعراق عين ملوكاً على اقاليمه ومدنه ومن ضمنهم ملك على الموصل «بوذ اردشيران شاه، يعني الموصل»[١٢]. والدينوري بدوره يعرض انطباعاً بوجود الموصل قبل الاحتلال الساساني فيذكر ان اردشير بنى عدداً من المدن «..ومدينة بالموصل تسمى خرزاد اردشير»[١٣].

ويورد الحموي رواية لحمزة يقول فيها «كان اسم الموصل في ايام الفرس نوأردشير بالنون او الياء...»[١٤] ويمكن ان نفسر نص حمزة على ان اردشير قد غير اسم الموصل بعد احتلاله لها وسماها «نو اردشير» اي مدينة اردشير الجديدة[١٥]. وعلى هذا فالموصل كانت موجودة عند احتلال الساسانيين للعراق. فيذكر الدينوري ان «اردشير اقام بالعراق حولاً، ثم سار الى الموصل فقتل ملكها ثم انصرف...»[١٦]. كذلك فان المسعودي يشير الى وجود ملك اصله من اليمن كان يحكم الموصل، وكان بينه وبين ملك نينوى حروب ووقائع[١٧]. فاذا صح هذا فيكون هذا الملك قد حكم خلال العهد البارثي.

من هذا العرض يتبين لنا ان الموصل مدينة قديمة ترجع الى ايام الاشوريين وان كنا لانزال نجهل تحديد تاريخ بنائها ومن الذي بناها.

## سكان الموصل:

أسست الموصل في العهد الآشوري، فسكانها هم من الاقوام العربية القديمة، غير ان الانهيار السياسي للآشوريين سنة ٦١٢ ق. م احدث فراغاً سياسياً في المنطقة. فبدأت القبائل العربية تتدفق من الجزيرة العربية فاستوطنت منطقة الجزيرة التي أصبحت الموصل فيما بعد قاعدتها الاقليمية، حتى ان كتابة بهستون التي ترجع الى نهاية القرن السادس قبل الميلاد في العصر الاخميني أطلقت على هذه المنطقة اسم «عربايا» نسبة الى العرب[١٨] ولما كانت منطقة الجزيرة هي الرافد الذي كان يرفد





الموصل والمنطقة بالسكان خاصة بعد انهيار الآشوريين فجدير بنا ان نقدم نبذة موجزة عن حدودها وموقعها من خلال مؤلفات البلدانيين العرب .

فالاصطخري يحددها بقوله : «واما الجزيرة فانها ما بين دجلة والفرات من داخل بلد الروم من ملطية على يومين. ويجري بينها وبين سميساط ويمر على سميساط وجسر منبج وبالس الى الرقة وقرقيسيا والرحبة وهيت والانبار.. ثم يعدل حد الجزيرة في سمت الشمال الى تكريت وهي على دجلة حتى ينتهي عليها الى السن مما يلي الجزيرة والحديثة والموصل وجزيرة ابن عمر، ثم يتجاوز آمد فينقطع حد دجلة على بعد من ارمينية ، ثم يمتد مغربا الى سميساط ثم ينتهي الى مخرج ماء الفرات في حد الاسلام من حيث ابتد ابتدأنا»[19] واما المقدسي فقد تحدث عن الجزيرة والتي يسميها اقليم آقور ولكن على بطون القبائل العربية التي استوطنته وجعله كما يقول «ثلاث كور على عدة بطونهم اولها من قبل العراق ديار ربيعة ثم ديار مضر ثم ديار بكر وبه اربع نواح . وأما ديار ربيعة فقصبتها الموصل ومن مدنها الحديثة... تلعفر سنجار، الجبل ، بلد... نصيبين، دارا ، رأس العين.... واما ناحيتها فجزيرة ابن عمر. ومدنها فيشابور... وأما ديار مُضَر فقصبتها الرقة ... حران ، الرها والناحية ، سروج ، كفرزاب ، كفر سيرين . واما ديار بكر فقصبتها آمد ومن مدنها ميافارقين ، تل فافان حصن كيفا ... ومدن الخابور فقصبتها عرابان ....»[20] فالجزيرة على هذا الاساس تشمل الارضين الواقعة بين دجلة والفرات حتى تكريت والانبار جنوباً ومن الشمال ارمينيا وبلاد الروم ومن الغرب بلاد الشام ومن الشرق آذربيجان[21]. وسميت بالجزيرة لوقوعها بين دجلة والفرات.[22] فالموصل كانت اشهر ديار ربيعة ، آمد اشهر ديار بكر والرقة على الفرات اشهر ديار مضر.

عرفت منطقة الجزيرة بخصبها وكثرة مياهها وطيب مناخها فكان هذا دافعاً للقبائل العربية الى ان تهجر مواطنها في الجزيرة العربية وتتجه صوب الجزيرة . كما كان هناك دافع اخر لهذه الهجرة . وهو اشتداد المنازعات والخصومات القبلية مما كان يدفع بعض القبائل الى الهجرة الى بلاد العراق والشام ومنها منطقة الجزيرة . وبالحصيلة فقد كان سكان هذه المنطقة ومنهم اهل الموصل من العرب القادمين من الجزيرة العربية اصلاً سواء كانوا من العرب القدماء (الاشوريين) ام من القبائل العربية التي هاجرت اليها في وقت لاحق . وظاهرة الهجرة من الجزيرة العربية الى الهلال الخصيب ابتدأت بهجرة الاكديين والاموريين والاشوريين فهي ليست جديدة على المنطقة .

ولهذا فقد كانت منطقة الموصل معروفة عند العرب قبل الاسلام بخصوبتها وطيب مناخها فكانوا يسمونها «بعربايا» ويذكر ابن الفقيه رواية للاصمعي تقول «كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعربايا وهي الموصل لقدرها عندهم... وعن ريف الجزيرة ومايليها لانها تعدل في الخصب باعربايا»[23].

ويذكر الديوه جي اهمية قبيلة النمر في الموصل لدى الساسانيين بحيث كانوا يستعينون برجالها في الادارة والحرب . فقد كان سنان بن مالك عاملا لكسرى على الابلة وهو من اهل الموصل[24].

**الموصل تحت وطأة الاحتلال :**

طبقاً لرواية حمزة التي وردت عند ياقوت الحموي ، والتي مر ذكرها ، فان اردشير بعد احتلاله للعراق ودخوله الموصل قد غير اسمها الى نو أردشير ، الجديدة ، ومن المرجح ايضا ان يكون اردشير قد عين على الموصل حاكما او شاهاً ( ملكاً ) لحكمها ، وجعلها بمثابة قاعدة عسكرية في هذا الموقع المتقدم من الحدود بين مناطق احتلال الساسانيين في العراق ، ومناطق احتلال الرومان في بلاد الشام . بخاصة وان علاقة الساسانيين بهؤلاء كانت عدائية في معظم مراحل التاريخ الساساني . ولطبيعة هذه العلاقة بين الجانبين ، ولاهدافهما التوسعية كلا على حساب الاخر، فقد شهدت





الدولتان حروبا ومعارك دامية، كانت منطقة الجزيرة بالدرجة الاولى ساحة لها، ولابد انها شهدت من الخراب والتدمير الشيء الكثير. فقد اجتاح سابور الاول (٢٤١-٢٧٢ م) سوريا ووصل الى انطاكية في حرب سريعة شنها الرومان انتهت بعقد اتفاقية السلام مع الامبراطور فيليب العربي سنة ٢٤٤ م تنازل الرومان فيها عن ارمينيا ومنطقة الجزيرة الى الساسانيين[٢٥]. غير ان الساسانيين اضطروا للتنازل عن هذين الاقليمين (ارمينيا والجزيرة) في عهد الشاهنشاه بهرام الثاني (٢٧٦-٢٩٣ م)، بسبب ثورة هرمزد، اخي الملك في خراسان[٢٦]. وكان الرومان قد اجتاحوا الجزيرة ووصلوا الى المدائن العاصمة.

وتجددت الحرب بين الساسانيين وبين الرومان في عهد سابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩ م) وتمكن من اجتياح ارمينيا، ودارت معارك طاحنة في الجزيرة وصمدت قلاع الرومان في هذه المنطقة وخاصة في نصيبين، كما كسب الرومان معركة سنجار، غير ان الحشود الهائلة للساسانيين اضطرت الرومان لطلب المفاوضات. فوافق سابور غير ان تعثر المفاوضات ادت الى تجدد الحرب فهاجم سابور آمد (دياربكر) سنة ٣٥٩ م، ثم رجحت كفة الفرس في معارك لاحقة مع الامبراطور يوليان انتهت بمقتل الامبراطور سنة ٣٦٣ م وعقد صلح مع الساسانيين كانت من بنوده المهمة تنازل الرومان عن نصيبين وسنجار، وخمسة عشر حصنا اخر كما يقول اميانوس مرسلينوس[٢٧]. ويظهر من هذا كيف ان منطقة الجزيرة كانت ساحة لمعارك الساسانيين والرومان، كما انها كانت احد محاور النزاع بين الجانبين. وكانت الموصل قاعدة الجزيرة، محط اهتمام الساسانيين عندما يشتد النزاع بينهم وبين البيزنطيين. فصارت قاعدة لحشد جيوش الساسانيين، كما كانوا يشحنونها بالاعتدة والذخيرة[٢٨]. فعندما اندلعت الحرب بين الساسانيين والبيزنطيين في عهد قباذ (٤٨٨-٤٩٧ م) (٤٩٩-٥٣١ م) انشأ قباذ عدة قلاع «ومواطن سكنية في الموصل والعراق وحشد فيها العرب والفرس وامرهم بالعمارة والزراعة»[٢٩].

ويبدو ان طلب قباذ من سكان منطقة الموصل العمل في الزراعة وبنائه مواطن سكنية لهم يهدف الى تثبيت السكان بالارض مما يساعد على استعمالهم في القتال في حالة مهاجمة البيزنطيين لهذه المنطقة.

في سنة ٥٤٠ م بدأت الحرب بين الساسانيين والبيزنطيين في عهد كسرى انوشروان (٥٣١-٥٧٩ م) وتمكن فيها الساسانيون من اقتحام عدة مدن في بلاد الشام اشهرها انطاكية عاصمة سوريا يومذاك، فاعملوا فيها السلب والنهب والقتل والاسر والتخريب[٣٠]. وهناك اشارة وردت لدى ميخائيل السرياني تفيد بانه بعد العمليات الناجحة التي قام بها كسرى انوشروان في بلاد الشام: «... تقدم الروم في ارض الفرس فاستولوا على كردواية وارزناية وعرباية»[٣]. وقد تمكنوا في هذه العملية من الدخول الى الموصل التي اشير اليها في رواية ميخائيل باسم عرباية من قتل واسر قسم من سكان الموصل فكانت نكبة لها[٣١]. وقد تجدد النزاع ثانية سنة ٥٧٢ م، فاجتاح انوشروان ارض الجزيرة من جديد (بلاد ما بين النهرين) وهزم جستنيان، القائد البيزنطي، فخلفه القائد موريس فقام بغزوات ضد الساسانيين استولى بها على سنجار وجرت مفاوضات لعقد الصلح بين الجانبين غير ان انوشروان توفي سنة ٥٧٩ م قبل ان يرى نتيجة هذا الصلح[٣٢]. غير اننا نرتاب في صحة دخول البيزنطيين للموصل في هذا الوقت لان نتائج حرب ٥٤٠ م كانت لصالح الساسانيين. ومن المرجح ان البيزنطيين لم يدخلوها. وكل النجاح الذي حققه البيزنطيون قد تمثل في دخول سنجار وكان هذا في فترة لاحقة اي سنة ٥٧٩ م او قبلها بقليل.

ونلاحظ انه على الرغم من الاستعدادات التي قام بها الامبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م) ببناء الحصون، وتجديد اسوار المدن المجاورة للشريط الحدودي مع الساسانيين فانه فشل في الاستيلاء

على نصيبين بعد محاصرته لها ، كما انه واجه فشلا اخر في محاولته الاستيلاء على قلعة «تبت» القريبة من مدينة دارا. ومنيت قواته بخسائر فادحة بسبب حرارة الجو وقلة المياه[٣٣].

وفي هذا الوقت ظهر عنصر اخر زاد في متاعب البيزنطيين في بلاد الشام. فقد اخذت القبائل العربية وخاصة طي (طياية اي الطائيون) التي تتجول في مناطق الموصل تشن غاراتها على البيزنطيين في بلاد الشام مما اضطر معه الامبراطور جستنيان على بناء مدينة بيرية تنورين «تنينير؟» لصد غاراتهم واوعز الى حاكم المنطقة السلنسيار توما» القيام بهذه المهمة. فبدأ الاخير بتوفير المواد الضرورية الخاصة بهذا الشأن وشرع في البناء. غير ان «العرب والكوديشيين من سنجار وتبت اضطروهم الى ايقاف العمل»[٣٤].

ويبدو انه كان للساسانيين والبيزنطيين دور في اذكاء نار العداء بين القبائل العربية في العراق وتلك التي في بلاد الشام، لتحقيق مصالح الدولتين من جهة، ولمنع اية محاولة للتوحيد بين العرب في هذه المنطقة في المستقبل. وهو موقف يذكرنا بموقف الدولتين من كل من المناذرة في العراق والغساسنة في بلاد الشام بحيث كانت الدولتان وباستمرار تؤججان نار العداء بينهما.

واذا كان جستنيان قد اولى اهتماما خاصا للعناية بحصون واسوار مدن الشام الواقعة تحت نير احتلاله، فان كسرى ابرويز (٥٩٠-٦٢٨م) قد اولى الموصل مثل هذا الاهتمام. فاخذ بتحديد حصونها وقلاعها لجعلها اقدر على مجابهة اية محاولات بيزنطية لمهاجمتها في المستقبل[٣٥].

وفضلا عن الموصل كان هناك مركزان حضريان يقعان ضمن اقليم الجزيرة وهما سنجار وبلد التي تعرف خرائبها حاليا باسكي موصل[٣٦]. وكانت النصرانية قد دخلت الى منطقة الموصل وبضمنها سنجار وبلد. حتى ان اخو دامه الذي صار مطرانا لليعقوبيين عام ٥٥٩ م (وكان من اهل بلد) قد دأب على نشر النصرانية بين القبائل البدوية القاطنة في هذه المنطقة فزارها في مخيماتها وادخل اناسا منهم في النصرانية وذلك بالتودد والتقرب الى شيوخهم. واقنعهم بان يجعلوا لانفسهم من كل قبيلة قساً وشماساً وأمرهم ان يبنوا البيع وان يسموها بأسماء شيوخهم[٣٧] وكان انوشروان مهتماً بالتيارات الدينية في دولته. ويروى بانه كان يطلب عقد المناظرات الدينية في بلاطه. والظاهر ان اخو دامه كان يتردد على بلاط انوشروان، غير انه اثار حفيظة الاخير عندما قام بتعميد احد ابناء انوشروان فغضب عليه ورماه في السجن[٣٨].

وعندما بلغ خبر سجن انوشروان لاخودامه مسامع بعض القبائل العربية في الجزيرة اسرعوا الى المدائن لمفاداة اخو دامه، وعرضوا على الملك ان يدفعوا له ما يعادل وزن اخو دامه ذهبا ثلاث مرات[٣٩]. بل انهم ذهبوا ابعد من هذا. فقد عرضوا على الملك انهم على استعداد لفدائه، «ولوطلب الشاه عشرين رجلا منا ليقتلهم بدلا عنك»[٤٠]. وهذا يدل على تحمس هؤلاء العرب لعقيدتهم الجديدة، وخاصة قبائلهم المختارة والكثيرة العدد «وهم عقولاية وتنوخاية وطياية» اي عاقول وتنوخ وطي[٤١].

ولما بدات حروب التحرير العربية في العراق وانهزم الفرس في معركة القادسية سنة ٦٣٧ م ووصلت الاخبار الى منطقة الجزيرة، وكانت يومذاك تحت الاحتلال الساساني فان الحاميات الفارسية تركت مواقعها والتحقت بالفرس عدا الحامية الساسانية في سنجار فانها اقامت مسلحة واخذت تدافع عن سهلها وسهل ماردين ودارا. «فاقاموا في مدينتهم (اي سنجار). فلما هلكت فارس وأتاهم من يدعوهم الى الاسلام اجابوا وأقاموا بمدينتهم»[٤٢].

اما بقية حواضر الجزيرة كحران والرها وقرقيسيا ونصيبين فقد تحررت على يد القائد عياض بن غنم زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي هذا الوقت كانت الموصل (المدينة) قد سقطت بيد البيزنطيين سنة ٦٢٨ م عندما تمكن الامبراطور هرقل (٦١٠-٦٤٢م) من انزال هزيمة





ساحقة بالساسانيين في المعركة التي دارت رحاها بالقرب من نينوى سنة ٦٢٨ ففر كسرى ابرويز الى مدينته دستجرد، ومنها الى سلوقية حيث قاد ابنه شيرويه انقلابا عليه وقتله سنة ٦٢٨ م. ثم صالح هرقل وانتهت الحرب لصالح البيزنطيين بحصولهم على الموصل[٤٣]، غير ان البيزنطيين لم يكتب لهم البقاء في الموصل الا بضع سنوات حيث عاجلتهم جيوش التحرير العربية سنة ١٦ هـ بقيادة ربعي بن الافكل العنزي فحررتها من البيزنطيين.

**حدياب:**

تعد حدياب إحدى المناطق التي تهمنا دراستها ضمن موضوع «الموصل تحت الاحتلال الساساني» وذلك بسبب امتداد نفوذها كامارة او مملكة في العهد البارثي الى الموصل وسنجار ونصيبين، ولقربها من الموصل (من الناحية الجغرافية).

كان سكان حدياب في عهدي السيطرة البارثية والساسانية من الآراميين، وهم احد الاقوام العربية القديمة التي استوطنت العراق. وقد قامت إمارة أو مملكة في العهد البارثي تمكنت من بسط نفوذها على جزء من أرمينيا، فضلاً عن المناطق المحصورة بين الزابين الاعلى والاسفل، كما امتد نفوذها ليشمل الموصل وسنجار ونصيبين، ويحتمل ان تكون الحضر قد خضعت هي الأخرى لنفوذ حدياب في بداية نشأتها. وقد كانت أربيل قاعدة هذه المملكة.[٤٤]

ويشير سليمان صائغ الى أن ملك حدياب كان قد وقف الى جانب أردشير في اثناء تمرد الأخير على الدولة البارثية، ودارت بين الجانبين حروب انتهت بهزيمة الملك البارثي وانتصار أردشير الذي أسس الدولة الساسانية باعلان نفسه «ملك للملوك»[٤٥]

وطبقاً للنظام الاداري الساساني الذي قام على تقسيم المملكة الى ولايات او مقاطعات يحكم كلاً منها موظف كبير يسمى «ستراب Satrap, Sharraban» أو (بيدخش bidhakh). ثم حصل تغير في التسمية فظهر منصب «المرزبان marzban» اعتباراً من عهد بهرام جور (بهرام الخامس) ٤٢٠-٤٣٨م.[٤٦] كما كان لقب ملك (شاه) يسند الى بعض افراد الشهرداران الذين يتولون حكم اقليم من الاقاليم، وهذا هو المسوّغ لاطلاق لقب الشاهنشاه (ملك الملوك) على ملك ايران.[٤٧]

وتبعاً لذلك فقد كانت حدياب إحدى مقاطعات الدولة الساسانية فقسمت الى استانات يدير كلاً منها موظف يدعى «استاندار»، كما قسمت الناحية «الأستان» الى وحدات اصغر تسمى الوحدات منها (شهر) ويحكمها موظف يسمى «شهريك» كما قسمت (الشهر) الى قرى وكان مسؤول القرية يسمى «ديهيك» «دهقان»[٤٨].

وكان الملوك الساسانيون يعينون على الولايات احد افراد الاسرة المالكة لحكمها. فلقد ولي أردشير الثاني إمارة حدياب، وكان هذا قد ارتقى العرش الساساني فيما بعد (٣٧٩-٣٨٣م)[٤٩].

كان حكام الأقاليم هؤلاء والاداريون الكبار ملتزمين بدفع الضريبة الى الحكومة المركزية، كما كان عليهم في حالة نشوب الحرب مع دولة أخرى أن يضعوا القوات التي يتولون قيادتها (وهم من سكان الأقليم) تحت تصرف القائد العام للجيش الساساني المعروف باسم (أصپاهبد)، فيتكون من هذه الجيوش الاقطاعية للأقاليم الجيش الساساني، إضافة الى القوات الملكية الخاصة في العاصمة.[٥٠]

لقد كان لحدياب أهمية كبيرة بفضل موقعها الممتاز على طرق القوافل التجارية، وكانت تعرف في القديم باسم (أربليتس) أو باسم الزابين لانها تقع بينها «فكان يقال لها أديابين وحديب عند اهل الشام وهو نفس الاقليم الذي سماه جغرافيو العرب أرض أربل».[٥١] وكانت اربل مقر الولاة الذين يعينهم ملك ايران على هذه المنطقة، وكان نفوذ هؤلاء كبيراً حتى يظهروا وكأنهم شبه مستقلين، خاصة عندما يكون ملك الملوك ضعيفاً أو تسود الاضطرابات في الدولة.[٥٢]

وطبقاً للنظام الاقتصادي الاجتماعي الساساني فقد كان سكان المنطقة من الحراثين الاقنان، وكانوا يشكلون صنف المشاة السيء الصيت في الجيش الساساني، حيث كانوا يلوذون بالفرار عند اول





اشتباك مع الجيوش الأخرى (الرومانية والبيزنطية خاصة)[٥٣].

وربما كان عدم توفر روح الاقدام والصمود لديهم ناتجاً عن قناعتهم بأنهم يقاتلون من اجل رفعة ومجد اناس غرباء عنهم، لم يوفروا لهم أبسط مقومات الحياة. كما أن انتشار النصرانية بين هؤلاء أدى الى عدم اخلاصهم في القتال. فهناك اشارة وردت عند كريستنسن تفيد أن يزدجرد الاول (٣٩٩-٤٢٠م) طرد النصارى من جيشه قبل بدء المعركة مع ملك الجول لاقتناعه بعدم اخلاصهم في المعركة.[٥٤] لقد كانت حدياب اولى مناطق العراق التي دخلتها النصرانية منذ القرن الثاني للميلاد،[٥٥] وقد كان لسوء الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبعض سكان حدياب اثره في تقبل الدين الجديد. كما أن هذا الدين ظهر في منطقة عربية لها نفس العادات والتقاليد والقيم والمثل الاخلاقية السائدة لديهم. كما نجد عزوفاً بين عرب سكان العراق عن اعتناق الزرادشتية لما فيها من مبادئ تتناقض مع قيمهم الاجتماعية كتحليل الزواج بالمحارم (الأم، البنت، الأخت، بنت الأخت، بنت الأخ الخ...». لذا فقد شنت السلطة الساسانية حملة اضطهاد ضد النصارى في عهد سابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩م) سميت بالأضطهاد الأربعيني (٣٣٩-٣٧٩م) فشملت هذه الحملة حدياب في عهد حاكمها «قردغ» الذي أصبح والياً عليها سنة ٣٥٩م. وقد امتد نفوذ حدياب في عهده من نهر ديالى الى نصيبين. ويقال بأن قردغ قام بهدم بيوت النيران المجوسية في حدياب وبنى كنائس في مكانها، فلما بلغ الخبر سابور امر بإلقاء القبض عليه ثم اعدم قتلاً بالحجارة بعد محاصرته في حصنه.[٥٦] كما شنت حملات اضطهاد أخرى ضد النصارى في عهود أردشير الثاني (٣٧٩-٣٨٣م) وسابور الثالث (٣٨٣-٣٨٤م) وبهرام الرابع (٣٨٤-٣٩٩م)[٥٧]. وفي بداية عهد يزدجرد الاول (٣٩٩-٤٢٠م) نعم النصارى بالأمن والسلام وسمح لهم ببناء كنائسهم التي دمرت في اثناء فترة الأضطهاد، وعمل على عقد مؤتمر ديني لحل الخلافات والمنازعات الدينية، وعقد هذا المؤتمر سنة (٤١٠م) في المدائن وحضره أسقف أربيل وأسقف آمد واسقف سنجار.[٥٨] غير انه عاد فأخذ يضطهدهم بعد قيام احد القساوسة باطفاء النار في احد المعابد.[٥٩]

وفي عهد بهرام جور (بهرام الخامس) (٤٢٠-٤٣٨م) قامت موجة اخرى من الاضطهاد ثم نشبت الحرب بين الساسانيين والبيزنطيين، غير أن الساسانيين لم يتمكنوا من تحقيق اي نصر على البيزنطيين بل اضطروا على التوقف في نصيبين. فعقدت اتفاقية سلام بين الجانبين تضمنت تعهد الساسانيين بمنح النصارى في الاراضي التي يحتلونها حريتهم الدينية.[٦٠]

في اواخر القرن الخامس الميلادي كانت القبائل العربية في الجزيرة؛ بما فيها الموصل، تخضع لنفوذ الحاكم الساساني في حدياب، وربما ولاسباب سياسية، شجع الساسانيون هذه القبائل على شن غارات على البيزنطيين في بلاد الشام، وكانت قبيلة طي احدى اكثر هذه القبائل اثراً في هذا الميدان، فطالب البيزنطيون الفرس بدفع تعويضات عن الخسائر التي لحقت بهم من قبل طي وبعض القبائل الجنوبية الاخرى.[٦١] غير أن الساسانيين احتجوا بأن بعض القبائل العربية الخاضعة لنفوذ البيزنطيين قد سبق لها أن اخذت ماشية واسرى «من بيت ياجرمي واديابنه (حدياب) ونينوى»[٦٢]

والظاهر ان اضطهاد النصارى قد توقف في عهد كل من قباذ وابنه انوشروان. وربما يعود ذلك الى تحول كبير نسبيا لنصارى ايران والعراق نحو المذهب النسطوري. وقد بقيت كنيسة اربيل مخلصة للأرثوذكسية حتى نهاية القرن الخامس، حيث اخذت تتجه نحو النسطورية منذ منتصف القرن السادس الميلادي[٦٣].





ويمكننا اعتبار التحول المذهبي لنصارى العراق والشام ومصر نحو النسطورية بالنسبة لنصارى العراق والمونوفيزتية بالنسبة لنصارى الشام ومصر. بمثابة تحدٍ ثقافي للاحتلال الاجنبي. وكان هذا واضحا في الشام ومصر بصورة خاصة. ولدينا اشارة يذكرها كريستنسن عن هذا التحول المذهبي قوله «وقد كان اولئك (أي النساطرة) وهؤلاء (اي المنوفيزيت) جهة واحدة ضد الآريين. وكان الفريقان يبغضانهم، ولكنها في الوقت نفسه كانا يتخاصهان»[٦٤].

وفي عهد كسرى انوشروان شن الموبذان – موبذ حملة اضطهاد على النصارى ولكنها على مايبدو كانت محدودة وانصبت على الزرادشتيين الذين تركوا دينهم واعتنقوا النصرانية[٦٥]. كما ان كسرى انوشروان نفسه تعهد للامبراطور البيزنطي جستنيان بموجب الاتفاقية التي عقدت بينها سنة ٥٦٢ م منح النصارى في ايران التمتع بحريتهم الدينية شريطة ان لايقوموا بأية اعمال تبشيرية[٦٦]. ومن المرجح ان القصد من هذه العبارة عدم التبشير بالنصرانية بين المجوس. وفي عهد هرمز بن كسرى انوشروان (٥٧٩ – ٥٩٠ م) نعمت النصرانية بالسلام والامان فقد نسب لهرمز قوله «لاقوام لملكنا ولاثبات له مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى»[٦٦].

وعندما أعلن الامبراطور هرقل (٦١٠ – ٦٤٢ م) الحرب على الساسانيين اصبحت الاقسام الشمالية من العراق بما فيها حدياب والموصل ساحة للمعارك بين الجانبين. ولايمكن تجاهل ماخلفته هذه الحرب من دمار وخراب. فلقد زحف هرقل نحو العراق قادماً من آذربيجان متخذا طريق (شنو – راوندوز) فاحتل اربيل وكركوك ثم اتجه نحو الموصل وبالقرب من نينوى انزل الهزيمة بكسرى ابرويز ففرَّ الى دستجرد سنة ٦٢٨ م. ثم هرب الى سلوقية الا، ان ثورة تزعمها ابنه شيرويه نجحت بالقاء القبض عليه ثم اعدامه[٦٧]. وكانت هذه الحرب هي آخر حلقات ذلك المسلسل الدموي بين الساسانيين والبيزنطيين.

وختاماً نقول ان الصراع الساساني – البيزنطي كانت له ابعاد مدمرة في العراق والشام. فلقد كانت نسبة من الجيش الساساني، صنف المشاة، من سكان العراق وهم بلاشك من الحراثين الاقنان، وكانوا يعيشون في حالة من التردي الاقتصادي والثقافي والاجتماعي. وما ان تشب الحرب بين الساسانيين والبيزنطيين الا ويجدون انفسهم جنوداً تحت رياسة صاحب الاقطاع. وهكذا فانهم كانوا يشتركون في الحروب ويموتون دون ان يحصلوا على اية فائدة. كما كانت بلادهم (العراق والشام) ساحة هذه الحروب. فأصابها من الخراب والتدمير الشيء الكثير سواء كان ذلك في الجانب البشري او في الممتلكات. وتلك هي نتيجة طبيعية عندما تتحول ارض شعب الى ميدان للنزال بين خصمين كلاهما لا يشعر بأية رابطة تربطه بأهل ذلك البلد سوى رابطة الاحتلال.

## – الحضر –

### الموقع :

تقع الحضر الى الجنوب الغربي من مدينة الموصل على مسافة ١١٠ كم، وهي في بادية لم تتوفر فيها المياه الجارية، ولم تكن امطارها وفيرة، مما أدى الى قلة المزروعات فيها وندرتها. وهي بذلك شبيهة باخواتها مدن الصحراء الاخرى كتدمر في سوريا والبتراء في الاردن[٦٨]. ومع ذلك فقد نمت الحضر وازدهرت بسبب موقعها المناسب على طرف البادية الفاصل بين اعظم دولتين اقتسمتا العالم القديم منذ القرون الاولى للميلاد، وهما الامبراطورية الرومانية والدولة البارثية[٦٩]. وهناك عامل آخر زاد في ازدهار الحضر وهو وقوعها على طرق القوافل التجارية، حيث كانت التجارة القادمة من الخليج العربي تنقل الى الموانيء الشرقية الواقعة على سواحل البحر المتوسط[٧٠].

تتمتع الحضر بحدود طبيعية ساعدت على نموها وازدهارها. فمن الشرق كان يحدها نهر دجلة، ومن الغرب نهر الفرات، ومن الشمال جبال سنجار، ومن الجنوب المدائن. غير ان نفوذها تجاوز هذه

المنطقة في بعض الفترات ليمتد شمالا الى الخابور ونصيبين[٧١] .

ولم تكن الحضر زمن الاشوريين سوى قرية نشأت على تجمعات مياه الامطار التي تنساب الى الحضر او تسير تحت الارض في سرب لتظهر في البثوق التي تكثر في اطراف تلك القرية، فأصبحت هذه القرية مركز تجمع للقبائل العربية المتجولة في هذه البوادي، فأخذت تستقر فيها وخاصة في موسم الربيع لكثرة المراعي حولها. ثم أنشأوا لهم بيتاً للاصنام فأصبحت بذلك بمثابة العاصمة الاقليمية للقبائل الاخرى في المنطقة، فبدأوا يحجون اليها ويقدمون النذور ويذبحون الذبائح في بيت الاصنام هذا، وعبدوا الشمس فصارت أشهر آلهتهم[٧٢] . ونتيجة لوجود المعبد واستمرار تدفق وجود القبائل العربية في تلك البوادي فقد توسع هذا المستوطن، ولاسيما بعد غزو الاسكندر المقدوني (٣٣١ - ٣٢١ ق. م) لبلاد الشرق، حيث ادى ذلك الى تأسيس العديد من المدن، وظهور شبكة من طرق المواصلات، تخرج من بابل الى مختلف الجهات[٧٣] .

ولما قامت الدولة البارثية بالعراق بعد سنة ١٢٦ ق. م أصبحت الحضر تتمتع باستقلال ذاتي لكنها كانت أقرب الى الاستقلال. وقد رضي البارثيون للحضر بهذه المكانة بسبب حمايتها لطرق القوافل التجارية الى بلاد الشام، والافادة منها دولة حاجزة بينهم وبين الرومان وضبطهم للقبائل العربية التي كانت تتجول الى الغرب من دجلة باتجاه بلاد الشام[٧٤] .

ومن المرجح ان العوائد المالية التي حصلت عليها الحضر بسبب حمايتها للقوافل قد ادى الى ازدهار العمران فيها، فآثارها تدل على وجود مبان كثيرة ومعابد فخمة مشيدة بالحجر ومزينة بزخارف وتماثيل دلت على عبقرية بنائها، ولاتزال بقايا هذه المدينة شاخصة حتى يومنا هذا تحكي لنا قصة الحضريين ودورهم في التاريخ.

ويرى فؤاد سفر: ان توسع مدينة الحضر وزيادة اهميتها يرجع الى امرين: الدين والعامل العسكري، ومما يعزز هذا الرأي، كما يرى سفر كثرة المعابد الموجودة في الحضر ومناعة اسوارها واستحكاماتها[٧٥] .

وقد حكم الحضر عدة ملوك شهدت الحضر على ايديهم المزيد من التقدم والازدهار وكان ابرز ملوكها ولجش الذي يظن انه اول من تلقب بلقب «ملك العرب» اي ملك سكان بادية العراق، ثم حكمها «سنطرق» حوالي سنة ١٦٤ م، فضرب النقود، وشيد المعبد المربع، كما حكم عبد سميا الذي قاد الدفاع عن الحضر بوجه الامبراطور الروماني سفيروس الذي حاول اقتحام الحضر سنة ١٩٧ م. غير انه فشل في ذلك بسبب الدفاع المستميت لسكانها واستخدامهم قذائف النار، ورمي سهمين اثنين في كل تصويب فأوقعوا بذلك خسائر فادحة بجنود الامبراطور بما فيهم حرسه الخاص[٧٦] .

حكم الحضر بعد ذلك سنطرق الثاني، بعد أبيه عبد سميا، فامتد نفوذ الحضر الى الخابور وعبر الفرات، مما جعله يلقب نفسه «المظفر ملك البلاد العربية»[٧٧] . ويبدو ان سنطرق هذا كان آخر ملك من ملوك الحضر.

كان قيام الدولة الساسانية سنة ٢٢٤ او ٢٢٦ م حدثاً مشؤوماً ليس على الحضر وانما على عموم العراق والشام والسواحل الشرقية من الخليج العربي واطراف الجزيرة العربية.

فما ان وطّد اردشير حكمه بعد قضائه على البارثيين حتى اندفع في مهاجمة الحضر. غير انه لم يتمكن من دخولها ففرض الحصار عليها. لكنها صمدت حتى اضطر اخيراً الى الانسحاب وهو يجر اذيال الخيبة والفشل[٧٨] .

وقد ظهرت الحضر مرة ثانية على مسرح السياسة الساسانية وذلك سنة ٢٤٠ م.





**احتلال الحضر وسقوطها:**

من المعروف ان سابور الاول بن اردشير قد توج سنة ٢٤١ م وهناك اشارات تفيد بانه توج قبل وفاة والده، وقد يعود ذلك الى العجز والشيخوخة التي بلغها اردشير في اواخر حياته(٧٩). فاذا كان الامر كذلك فيكون سابور قد هاجم الحضر ووالده مازال حياً.

تعد سياسة سابور الاول (٢٤١ - ٢٧٢ م) استمراراً لسياسة ابيه اردشير، كما انه افاد من حالة الاستقرار التي وفرها له ابوه عند توليه العرش. لذا بدأ سابور يعد العدة لمهاجمة الحضر مرة اخرى فيحقق لنفسه ماعجز ابوه اردشير عن تحقيقه، ولا يخفى مايحقق مثل هذا النجاح من السمعة والشهرة لسابور.

وفي الجانب الاخر نجد ان مملكة الحضر لم تعد مطمئنة على استقلالها في ظل السياسة التوسعية الجديدة للدولة الساسانية والتي بدت واضحة للعيان في محاولة اردشير الفاشلة لاحتلالها. لذا فقد قام ملك الحضر بغزو السواد وشهر وزور اللتين كانتا ترزحان تحت وطأة الاحتلال الساساني. وليس لدينا مايشير الى اي اتفاق بين ملك الحضر واية دولة خارجية (الامبراطورية الرومانية مثلا) لتوجيه ضربة للساسانيين في هذا الوقت، كذلك لم يقم اي دليل على تعاون قوى محلية مع ملك الحضر في هذا الوقت لمحاربة الساسانيين. ويبدو ان ملك الحضر اعتمد على امكاناته الذاتية، وربما اراد ان يوحي للساسانيين ان الحضر القوية لايمكن ان تخيفها اية قوة اخرى. خاصة وان الحضر سبق لها الصمود بوجه الرومان ثم اردشير. ويبدو ان الهجوم الذي قام به ملك الحضر كان سريعاً ومفاجئاً اسفر عن مقتل عدد من رجال الدين المجوسي، كما جاء بهذه الابيات للشاعر عمرو بن الة القضاعي(٨٠):

| | |
|---|---|
| لقيناهم بجمع من علاف | وبالخيل الصلادمة الذكور |
| فلاقت فارس منا نكالاً | وقتلنا هرابذ شهر زور |
| دلفنا للاعاجم من بعيد | بجمع كالجزيرة في السعير |

والظاهر ان قادة الفرس لم يتمكنوا من التصدي للقوة المهاجمة اوملاحقتها. فلما رجع سابور، وقيل انه كان في غيبة له في خرسان، اخبر بان ملك الحضر قد هاجم مملكته(٨١).

بدأ سابور استعداداته لمهاجمة الحضر، وعبأ جيشه وسار نحو الحضر، فلما علم سنطرق، ملك الحضر، بمقدمه دخل حصنه فتحصن فيه(٨٢). فلم يكن امام سابور سوى فرض الحصار على الحضر. وقد استمر هذا الحصار سنة تقريباً من ١٢/ نيسان/ سنة ٢٤٠م الى ١/ نيسان/ سنة ٢٤١م. حيث استسلمت الحضر، حسبما جاء في وثيقة اكتشفت حديثاً في مصر(٨٣). ودخلها سابور واكتفى باسر ابنائها واخذ كنوزها غير انه لم يخرب المدينة ولذلك بقيت حتى اليوم محتفظة بعمرانها سوى ماتمكنت منه يد الايام(٨٤).

لقد ورد في معظم المصادر العربية ان ملك الحضر الذي حاصره سابور هو «الضيزن» او الساطرون(٨٥). غير ان الكتابات التي عثر عليها في الحضر لم تشر الى ملك بهذا الاسم. لقد سبقت الاشارة الى ان الحضر كانت قاعدة للقبائل العربية التي تتجول في البادية ومن بعض ابيات في الشعر الجاهلي وردت اسماء بعض هذه القبائل مثل اياد قضاعة، كما يشير الطبري الى قبيلة بني حلوان(٨٦). وقد صادف دخول بعض هذه القبائل قيام الدولة الساسانية او قبلها، فلما قضي على البارثيين واقام اردشير دولته كرهت، كما يقول الطبري، «كثير من تنوخ ان يقيموا في مملكته، فخرج من كان منهم من قبائل قضاعة... فلحقوا بالشام الى من هنالك من قضاعة(٨٧)».

فيبدو ان سابور قد أغار عليهم فانهزموا أمامه ولجأ احد شيوخهم وهو الضيزن التنوخي الى ملك الحضر سنطرق فاحتمى باسوارها وقوبل برضى من ملك الحضر كما حاربا سوية سابوراً خلال الحصار. الامر الذي احدث التباساً لدى المؤرخين العرب(٨٨). اما الساطرون فيبدو انه تحريف





لاسم ملك الحضر الحقيقي سنطرق[٨٩] اما عن سقوط الحضر وانهيارها فلقد كانت لها قصة في مؤلفات المؤرخين العرب.

فلقد عزت المصادر العربية سقوط الحضر الى خيانة ابنة ملك الحضر ويسمونها «النضيرة» ولكنهم اختلفوا على الخطة التي استخدمتها النضيرة والتي مكنت سابوراً من دخول الحضر[٩٠]، مما يدل على تداعي القصة واختلاقها. فلم يعثر على ذكر لها ولا لابيها في كتابات الحضر[٩١].

ويبدو ان مناعة اسوار الحضر وقوتها وبسالة سكانها جعلت بعض الناس يعتقدون باستحالة سقوطها لو لم تكن هناك خيانة، ومن أحد أفراد البيت المالك فاصطنعوا من خيالهم وجعلوا النضيرة كبطلة لهذه القصة، وتبريراً للفشل.

لم يهن سقوط الحضر على العرب، لهذا نجد رثاءً من بعض الشعراء العرب لها وهذا هوالشاعر عدي بن زيد العبادي المعاصر للنعمان بن المنذر يقول[٩٢]:

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ ... ـلة تجبي اليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلـ ... ـساً فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد المـ ... ـلك عنه فبابُه مهجور

وقال عمرو بن اله القضاعي، وكان مع الضيزن: [٩٣]

الم يحزنك والانباء تنمي ... بما لاقت سراة بني عَبيدا
ومصرع ضيزنٍ وبني ابيه ... واحلاس الكتائب من تزيد
أتاهم بالفيول مجللات ... وبالابطال سابور الجنود
فهدّم من اواسي الحصن صخراً ... كأن ثغاله زبَر الحديد

كما رثاه الاعشى، ميمون بن قيس بقوله: [٩٤]

الم تَرَ للحضر اذ اهله ... بنعمى وهل خالد من نِعَمْ
اقام به شاهبور الجنو ... دَ حولين تضرب فيه القدم
فما زاده ربه قوة ... ومثل مجاوره لم يُقِم
فلما رای ربه فعله ... اتاه طروقاً فلم ينتقم
وكان دعا قومه دعوة ... هلموا الى امركم قد صرم
فموتوا كراماً بأسيافكم ... ارى الموت يجشمه من جَشِمْ

وقال ابو داود الايادي: [٩٥]

وارى الموت قد تدلى من الحضـ ... ـر على رَبِّ اهله الساطرون

## لماذا لم تنهض الحضر؟

سبقت الاشارة الى ان سابوراً عندما دخل الحضر اكتفى باسر سكانها، ولم يخرب المدينة اذن لماذا لم تنهض الحضر، وما هي الاسباب التي جعلت رقدتها ابدية؟

يعلل فؤاد سفر اسباب عدم نهوض الحضر على انه راجع الى عاملين هما الدين والعامل العسكري، وهما نفس السببين اللذين يعدهما اساس قوة الحضر، كما مر معنا سابقاً.

فاهتمام الحضريين بالدين كان كبيراً ويتجلى في كثرة المعابد الموجودة في الحضر وكثرة ما فيها من اصنام، غير ان تغيراً قد طرأ على معتقداتهم الدينية، كما يرى سفر، بظهور الزراد شتية «كدين رسمي لجميع الشعوب الخاضعة لحكم الساسانيين، ولتغلغل المسيحية فيما بعد الى وادي الرافدين من الغرب فلم يبق لأصنام الحضر ومعابدها مفعولها السابق»[٩٦]

اما فيما يتعلق بالعامل الثاني وهو العسكري، فانه يرى انه «لم تبق للحضر اهميتها العسكرية للتبدل الحاصل في الحدود بين الامبراطوريتين، ولضعف الرومان بانتقال مركز الحكومة من روما الى بيزنطة، تلك التبدلات التي اوهنت نفوس الرومان وافقدتهم الشيء الكثير من شموخهم العسكري، ولاسيما بعد تلك الخسارة الساحقة التي سقط فيها الجيش الروماني ومعهم امبراطورهم فاليريان في الاسر في يد سابور الاول سنة ٢٦٢ م»[٩٧]

اما بالنسبة للعامل الاول فنحن لانتفق مع فؤاد سفر في تعليله لعدم نهضة الحضر. فمن المعروف ان الديانة الزرادشتية لم تنتشر بين العرب وذلك لما فيها من اباحة الزواج بالمحارم، اذ ان العرب الوثنيين كانوا يحرمون الزواج من الام او الاخت، الخ.... ولذلك اقتصر اعتناقها على المحتلين الفرس، واذا وجد من يقول بان الزرادشتية قد ظلت في العراق حتى القرن الرابع الهجري فهذا مما لاضيرفيه وليس فيه حجة، لانها فعلاً كانت موجودة ولكن بين الفرس الذين بقوا في العراق. وفضلا عن ان الديانة الزرادشتية تبشيرية بدرجة محدودة جداً فشأنها ليس شأن الاسلام والمسيحية فخلال الفترة التي نتحدث عنها كانت الزرادشتية تنعم برعاية الدولة الساسانية وحمايتها لها. فهي دين يعيش حيثما وجدت دولته. ولدينا اشارة من





كريستنسن جاء فيها «وكان رجال الدين الزرادشتيون شديدي التعصب ولكن مثار تعصبهم كان لاسباب سياسية خاصة. ولم يكن الدين الزرادشتي دين دعاية فلم يكن رؤساؤه مملوئين بالحماس لبث سعادة الارواح في العالم كافة ولكنهم ادعوا السيادة المطلقة في داخل حدود الدولة ...»(٩٨)

اما بالنسبة للمسيحية فليست لدينا اية دلائل على انتشارها في الحضر او بين القبائل العربية المتنقلة في البادية خلال هذه الفترة. واذا قلنا بان احد المبشرين قد ذهب الى البدو في منطقة الموصل للتبشير بالمسيحية فان النجاح الذي حققه لايكاد يذكر ان لم يكن شبه معدوم. وعلى العموم فان التغير الديني كان بطيئاً ولا يمكن ان تكون القبائل العربية القريبة من الحضر قد اعتنقت الزرادشتية او المسيحية بهذه السرعة التي اعقبت سقوط الحضر.

اما العامل العسكري: فيمكن اعتبار التبدل الحاصل في الحدود بين الامبراطوريتين الساسانية والرومانية مقبولاً. فلم تعد الدولة الساسانية بحاجة الى الحضر كدولة حاجزة مع الرومان. وهذا ناتج عن شعور الساسانيين بالقوة، وتطلعاتهم واهدافهم التوسعية على حساب الرومان لم تكن خافية على العيان، على نقيض البارثيين الذين تركوا للحضر حريتها وابقوها شبه مستقلة طالما ظلت حاجزة بينهم وبين الرومان. غير ان قول المرحوم سفر بان انتقال مركز الحكومة الى بيزنطة اوهن نفوس الرومان وافقدهم الكثير من شموخهم العسكري خاصة بعد اسر الامبراطور فاليريان وجيشه على يد سابور الاول موضوع للمناقشة:

فسقوط الحضر كان سابقاً على انتقال العاصمة من روما الى بيزنطة بحوالي مائة سنة وهي حقبة تكفي للنهوض لو كانت عوامل النهضة للحضريين متوفرة وميسورة لهم. كما ان هزيمة فاليريان كانت قبل انتقال العاصمة الى بيزنطة بحوالي ثمانين سنة، فكيف يكون هذان العاملان سبباً في عدم نهضة الحضر؟

من المرجح ان قوة الدولة الساسانية كانت السبب الذي جعل سقوط الحضر ابدياً، لانها طيلة حكمها الطويل ظلت متماسكة وقوية الى ماقبيل سقوطها على يد العرب المسلمين. لهذا فلم تتمكن اية قوة محلية التصدي لها والخروج على سلطانها، كما انها ظلت على الصعيد الخارجي قوة مرهوبة حتى في نظر اقوى اعدائها وهم البيزنطيون.

وبالمنطق نفسه يمكننا ان نفسر عدم نهوض تدمر والبتراء بعد سقوطها على يد الرومان فطالما ظلت الدولة قوية فلا يمكن ان تسمح بظهور قوة سبق لها ان سحقتها وخاصة عندما تكون مثل هذه الكيانات مختلفة قومياً عن الدولة الكبرى المحتلة. كما هو الحال في البتراء والحضر وتدمر.

## الخاتمة

وختاماً فأن الموصل كما ظهر من هذا السرد لأحوالها وظروفها وحياتها تحت وطأة الاحتلال الساساني قد اصابها الكثير من الحيف، ونزلت بساحتها الفواجع والنوائب:

(١) فلقد قضى الساسانيون على مملكة الحضر العربية بعد فترة وجيزة من قيام دولتهم لاتزيد على عشرين سنة.

(٢) ولكثرة حروب الساسانيين، نتيجة النهج التوسعي العدواني ضد جيرانهم فقد استخدم سكان الموصل وبقية سكان المنطقة محاربين في جيوشهم وكان اكثر هؤلاء من الفلاحين الاقنان الفاقدين لأبسط مقومات الحياة الكريمة. ولابد أن اعداداً كبيرة منهم قد سقطت في سوح المعارك على حدود أرمينيا والأناضول وبلاد الشام.

(٣) تصدى الساسانيون للنصارى في بلاد العراق، ومارسوا تجاههم سياسة ملؤها التعسف والأضطهاد، ولقد كانت النصرانية الديانة التي اعتنقها نسبة كبيرة من سكان العراق الأصليين، لأنها ديانة ظهرت ونمت في بيئة عربية، لذا فرسالتها وقيمها ومثلها





تنسجم الى حد كبير مع المثل العربية . بل إن المذهبين النسطوري واليعقوبي يمكن ان نتلمس فيها مقوّمات تحد ثقافي بوجه المحتلين.

٤- نتيجة آخر حرب شنها الساسانيون ضد البيزنطيين في عهد كسرى ابرويز (٥٩٠-٦٢٨م) واحتلاله الشام ومصر، فقد قام الأمبراطور هرقل باعلان الحرب على الساسانيين سنة ٦٢٤م. وتمكن من مهاجمتهم في عقر دارهم . فاجتاح شمال العراق راوندوز وأربيل وكركوك والموصل . ودارت المعركة الفاصلة قرب الموصل فخسرها ابرويز وانتهت الحرب سنة ٦٢٨ وعقدت اتفاقية بين الجانبين حصل هرقل بموجبها على الموصل فانتقلت الموصل من يد محتل الى يد محتل آخر، ناهيك عن الدمار الذي لحقها في اثناء الحرب وبقيت تحت وطأة الاحتلال البيزنطي حتى حررها العرب المسلمون سنة ١٦ هـ/٦٣٧م.

(١) عامر سليمان واحمد مالك الفتيان : محاضرات في التاريخ القديم. موسسة دار الكتب جامعة الموصل/١٩٧٨ ص ١٩٢ وانظر: عبد الماجود احمد السلمان : الموصل في العهدين الراشدي والاموي/مطبعة جامعة الموصل/١٩٨٥ (ص ٢٣).

(٢) صائغ ، سليمان : تاريخ الموصل ، المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٣ ، جـ ١ ، ص ٤٠.

(٣) بدج ، سرواليس : رحلات الى العراق.

(٤) السلمان ، عبد الماجود احمد : المصدر السابق ص ٢٣-٢٤

(٥) زينوفون : حملة العشرة آلالف : تعريب يعقوب افرام منصور-مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٥ /ص ١٥٥.

(٦) نفس المصدر هامش ص ١٥٥ ، وانظر: السلمان ، عبد الماجود احمد. المصدر السابق ص ٢٣.

(٧) صائغ : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٠

(٨) زينوفون : المصدر السابق هامش ص ١٥٥

(٩) صائغ : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٠

(١٠) الطبري ، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم-طبعة دار المعارف ١٩٦١ ، جـ ٢ ص ٤١.

(١١) الحموي ، ياقوت : معجم البلدان: دارصادر وبيروت-بيروت ١٩٥٧ ، جـ ٢ ص ١٣٤.

(١٢) ابن خرداذبه ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله : المسالك والممالك-مطبعة بريل ليدن ١٨٨٩ ، ص ١٧.

(١٣) الدينوري ، أبو حنيفة : الاخبار الطوال . تحقيق عبد المنعم عامر. مطبعة عيس البابي الحلبي وشركاه ط ١ ، القاهرة/١٩٦٠ ص ٤٥.

(١٤) الحموي : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٢٣.

(١٥) التونجي ، محمد : المعجم الذهبي فارسي عربي : دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩ ، ط ١ ، ص ٥٧٥.

(١٦) الدينوري: المصدر السابق ص ٤٣.

(١٧) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر. دار الاندلس للطباعة والنشر بيروت/١٩٧٨ ، ط ٣ جـ ١ ص ٢٣٨.

(١٨) فؤاد سفر، محمد علي مصطفى : الحضر مدينة الشمس : مؤسسة رمزي للطباعة ، بغداد/١٩٧٤ ص ١٧

(١٩) الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي: المسالك والممالك. تحقيق محمد جابر عبد العال. مراجعة محمد شفيق غربال. مطابع دار القلم/ القاهرة ١٩٦١ ص ٥٢.

(٢٠) المقدسي ، البشاري: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة بريل- ليدن ١٩٠٩ ، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٢١) حمادي ، محمد جاسم: الجزيرة الفراتية والموصل. بغداد- دار الرسالة للطباعة ١٩٧٧ ص ٤٥.

(٢٢) ابن شداد؛ الاعلاق الخطيرة: دمشق: ١٩٧٨ ، مطبعة وزارة الثقافة ج ٣، ص ٤-٥.

(٢٣) ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني: مختصر كتاب البلدان- مطبعة بريل ليدن ١٣٠٣ هـ ص ١٣٥.

(٢٤) الديوه جي ، سعيد: تاريخ الموصل- مطبعة دار الكتب- جامعة الموصل ، ١٩٨٢ ص ٩.

(٢٥) كريستنسن ، آرثر: ايران في عهد الساسانيين. تعريب يحيي الخشاب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت (د. ت) ص ٢٠٩ وانظر؛ قحطان عبد الستار الحديثي وصلاح الحيدري: دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي: مطبعة جامعة البصرة/ ١٩٨٦ ص ٧٦.

(٢٦) كريستنسن: المصدر السابق ص ٢١٧.

(٢٧) نفس المصدر ص ٢٢٧ : وانظر: اميانوس مرسلينوس: العراق في القرن الرابع الميلادي تعريب : فؤاد جميل ، تعليق سالم الالوسي: مجلة سومر مجلد ١٧ /٢ سنة ١٩٦٦ ص ١٧٠.

( ) ان تسمية الامبراطورية الرومانية بالامبراطورية البيزنطية مثار خلاف بين الباحثين. غير ان بعضهم يعدّ ظهور قسطنطين الكبير (٣٠٦ م- ٣٣٧م) وبناءه القسطنطينية واتخاذ اللغة اليونانية اللغة الرسمية فيا بعد والاعتراف بالمسيحية عوامل مبررة لاطلاق تسمية «الامبراطورية البيزنطية» على الامبراطورية التي كانت تعرف بالرومانية. انظر: عبد القادر احمد اليوسف: الامبراطورية البيزنطية ، محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية.

(٢٨) صائغ: المصدر السابق ص ٤٣ وانظر: بطرس نصري الكلداني: ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان. مطبعة دير الاباء الدومنكيين/ الموصل/ ١٩٠٥ جـ ١ ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٢٩) الديوه جي: المصدر السابق ص ١٣.





(٣٠) الطبري: المصدر السابق جـ ٢ ص ١٤٩ – ١٥٠ .

(٣١) بيغوليفسكيا ، نينا فكتورفنا : العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع الىالقرن السادس الميلادي. تعريب صلاح الدين عثمان هاشم. الكويت ١٩٨٥ ص ١٨١ .

* كردواية : لم اعثر لها على ذكر في معجم ياقوت. غير انها كانت من الحصون الموجودة في اقصى شمال منطقة الجزيرة فقد وردت عند اميانوس مرسليتوس باسم كردوينا Gorduena انظر: اميانوس مرسليتوس : العراق في القرن الرابع الميلادي. مجلة سومر مجلد ١٧ / ٢ ، ١٩٦٦ ص ١٧٠ .

• ارزناية : (أرزن) : مدينة مشهورة قرب خلاط ولها قلعة حصينة من أعمر نواحي أرمينيا ، وقوم يعدونها من نواحي الجزيرة. (ياقوت : المعجم مجلد : ١ ص ١٥٠ – ١٥١ .

• عرباية : (عربان) : بليدة بالخابور من ارض الجزيرة (ياقوت : المعجم مجلد ٤ ص ٩٦).

(٣١)َ الديوه جي : المصدر السابق ص ١٣ .

(٣٢) كريستنسن : المصدر السابق ص ٣٥٩.

(٣٣) بيغولبفسكيا : المصدر السابق ص ٢٢٤ .

(٣٤) نفس المصدر: ص ٢٢٤ – ٢٢٥ .

• تنورين : لم اعثر لها على ذكر في معجم البلدان ولكن يذكر المعجم اسم مدينة بنفس المنطقة لعلها هي المقصودة وهي :

• تَنِّينِيْر: اسم لبلدتين من نواحي الخابور، تنينير العليا ، وتنينير السفلى وهما على نهر الخابور. انظر الحموي : المصدر السابق المجلد ٢ ص ٥٤ .

(٣٥) الديوه جي : المصدر السابق : ص ١٣ ، الكلداني : المصدر السابق : جـ٢ ص ١٨٣ .

(٣٦) Ibrahim, Jabir Khalil: Pre-Islamic Settlement in Jazirah-Dar Al-kutub printing, University of Mosul, 1986, P. 86.

وانظر: بيغوليفسكيا : المصدر السابق ص ٣٢٩ .

(٣٧) بيغوليفسكيا : المصدر السابق ص ٣٢٩ .

(٣٨) نفس المصدر: ص ٣٣٠ .

(٣٩) نفس المصدر: ص ٣٣٠ .

(٤٠) نفس المصدر: ص ٣٣٠ .

• لايستقيم المعنى للعبارة الا اذاكان الحديث مع اخودامة نفسه. فاذا كان الحديث مع انوشروان فيجب استخدام (عنه).

(٤١) نفس المصدر: ص ٣٣٠ .

(٤٢) ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم : الخراج. المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ط ٢ ، ص ٤١ .

(٤٣) عمران ، محمود سعيد : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية. دار النهضة العربية للطباعة بيروت ، ١٩٨١ ص ٧٣ .

(٤٤) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى : المصدر السابق : ص ٢٦ : وانظر: صائغ : المصدر السابق ص ٢٠

(٤٥) صائغ : المصدر السابق ص ٢٣

(٤٦) Raux, Goerge, Leon Barkho, History of Erbil, unpublished, 1988, Paris, p. 25.

وللمزيد من التفاصيل بشأن النظام الاداري: راجع كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين.

(٤٧) كريستنسن : المصدر السابق ص ٨٧

(٤٨) كريستنسن : المصدر السابق ص ١٢٨ ، ١٢٩ وانظر Raux & Barkho, op. cit p. 25

(٤٩) كريستنسن المصدر السابق ص ٨٩

(٥٠) نفس المصدر: ص ١٢٧

(٥١) دائرة المعارف الاسلامية ، دار الشعب — المجلد الثاني مادة أربل ٥١٦ — ٥١٧ .

(٥٢) نفس المصدر: ص ٥١٦ — ٥١٧ .

(٥٣) كريستنسن : المصدر السابق ١٩٩

(٥٤) نفس المصدر: ص ٢٧٥ • الجول : قبائل هونية كانت تسكن شمال جرجان. إنظر كريستنسن ص ٢٧٣ .

(٥٥) كامل ، مراد : تايخ الادب السرياني منذ نشأته حتى الفتح الاسلامي. مطبعة المقتطف والمقطم. مصر ١٩٤٩ ص ٤٤ .

(٥٦) اسماعيل ، زبير بلال : اربيل في ادوارها التاريخية — مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٧٠ ، ١٠٨ وانظر: دائرة المعارف الاسلامية : المجلد ٢ ٥١٦ — ٥١٧ .

(٥٧) آدي شير : تاريخ كلدو وآثور: المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣ جـ ٢ ص ٩٩.

(٥٨) بيغوليفسكيا : المصدر السابق ٩٠

(٥٩) كريستنسن : المصدر السابق ٢٥٧ — ٢٥٨

(٦٠) نفس المصدر ص ٢٦٧

(٦١) بيغوليفسكيا : المصدر السابق ص ٩٠ — ٩١

(٦٢) نفس المصدر: ٩٠ — ٩١

(٦٣) Raux & Barkho:Op. cit p, 29.

(٦٤) كريستنسن : المصدر السابق ص ٢٧٧

(٦٥) نفس المصدر: ص ٤١٠

(٦٦) نفس المصدر ص ٤١١ وانظر Raux & Barkho, op.cit p. 29

(٦٧) اسماعيل ، زبير بلال : المصدر السابق ص ١١٠ ، كريستنسن : المصدر السابق ٤٧٤—٤٧٥ .

(٦٨) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى : المصدر السابق ص ١٧ .

(٦٩) نفس المصدر: ص ١٧

(٧٠) نفس المصدر: ص١٧

(٧١) نفس المصدر: ١٧

(٧٢) نفس المصدر: ص ١٧ — ١٨

(٧٣) نفس المصدر: ١٧

(٧٤) نفس المصدر: ص ١٧

(٧٥) نفس المصدر ص ١٨ .

(٧٦) نفس المصدر: ص ٣٢.

(٧٧) نفس المصدر: ص ٣٢

(٧٨) كريستنسن : المصدر السابق ص ٢٠٨ ، محل سالم احمد : العلاقات العربية — الساسانية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد. رسالة ماجستير غير منشورة / جامعة الموصل ١٩٨١ ص ١١١

(٧٩) الطبري : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٦ .

(٨٠) نفس المصدر: جـ ٢ ص ٤٧ — ٤٨

(٨١) نفس المصدر: جـ ٢ ص ٤٧ — ٤٨
(٨٢) نفس المصدر: جـ ٢ ص ٤٨
(٨٣) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى: المصدر السابق ٣٤
(٨٤) نفس المصدر: ص ٨٤
(٨٥) الطبري، المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤٩، الثعالبي، ابو منصور: تاريخ غرر السير في اخبار ملوك الفرس، طهران، ١٩٦٣، ٤٩١، ابن الاثير، عزالدين: الكامل في التاريخ: دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥ جـ ١، ص ٣٨٧ — ٣٨٨
(٨٦) الطبري: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤٩.
(٨٧) نفس المصدر: جـ ٢ ص ٤٢
(٨٨) فؤاد سفر، محمد علي مصطفى: المصدر السابق ص ٣٥.
(٨٩) نفس المصدر: ص ٣٥
(٩٠) الطبري: المصدر السابق ص ٤٩ وما بعدها، ابن الاثير: المصدر السابق جـ ٣٨٧ — ٣٨٨، الثعالبي: المصدر السابق ص ٤٩١ وما بعدها.
(٩١) فؤاد سفر، محمد علي مصطفى: المصدر السابق ص ٣٤ .
(٩٢) الطبري: المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٠
(٩٣) نفس المصدر: جـ ٢ ص ٤٩
(٩٤) نفس المصدر جـ ٢ ص ٤٨
(٩٥) نفس المصدر ص ٤٧
(٩٦) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى: المصدر السابق ١٨ — ١٩
(٩٧) نفس المصدر: ص ١٨ — ١٩
(٩٨) كريستنسن: المصدر السابق ص ٢٥٢

خارطة منطقة الموصل وماجاورها





# حضارة منطقة الموصل في التاريخ القديم

## الزراعة في عصور قبل التاريخ

أ.د. تقي الدباغ

ان البحث في الزراعة في منطقة الموصل في عصور قبل التاريخ يستدعي بالضرورة توضيح نشاط الصيادين في الفترة التي سبقت الاستزراع في العصر الحجري الحديث. ويطلق علماء الاثار على هذه الفترة مصطلح العصر الحجري المتوسط، وهو عصر انتقال تدريجي من الصيد والجمع والالتقاط الى الزراعة وتربية الحيوان. صحيح ان الزراعة تمثل ثورة او انقلاباً في النظم الاقتصادية برأي كثير من الباحثين في الاثار، ولكن هذا الانقلاب لم يحدث فجأةً بل ظهرت بوادره نتيجة ازمة المناخ التي تلت ذوبان ثلوج العصر الجليدي قبل ١٥٠٠٠ سنة. ومرّ الانقلاب الزراعي بمراحل تطور وئيدة. وتتضح دلائل هذا التغيير التدريجي في اقطار الشرق الادنى كالعراق وفلسطين وسورية ومصر والاناضول في حين لم تشهد اقطار اوربية واسيوية عديدة هذا الانتقال البطيئ من الصيد والجمع الى الزراعة وتربية الحيوان التي استقرت اسسها في العراق في الالف الثامن قبل الميلاد وانتقلت ممارستها الى الاقطار المجاورة ثم الى اقطار بعيدة. ان هذا العصر هو في الحقيقة عصر تمهيدي توسط النظام الاقتصادي المستهلك للطعام، المعتمد على صيد الحيوانات وجمع الفواكه وجذور وبذور النباتات البرية، والاقتصاد المنتج للطعام بواسطة زراعة الحبوب وتربية الحيوان. ويستدل على ذلك من الادلة ذات العلاقة بالشؤون الزراعية المتوفرة في الالف الثامن قبل الميلاد. فبانسحاب الجليد القطبي تغير اتجاه رياح امطار المحيط الاطلسي نحو الشمال وبدأ الجفاف يعم انحاء الشرق الادنى فنمت اصناف برية مختلفة من الحنطة والشعير في هذه المنطقة، كما وجدت الاصول الوحشية للماعز والاغنام والماشية والخنازير[1] وتغيرت علاقة الانسان بالبيئة الطبيعية وظهرت مجالات جديدة للاستيطان اذ نزح الانسان تدريجياً من المناطق المرتفعة الى مواقع مكشوفة على شواطئ الانهار ومصباتها وعند العيون حيث استقر في القرى بجوار حقول تمكن من انبات المحاصيل والحبوب فيها وتمكن من رعي قطعان الحيوانات اللبونة بالقرب منها، ذلك لأن استمرار تناقص النباتات البرية وحيوانات الصيد عقب الجفاف لم يعد يسمح له بأن يظل معتمداً على مجرد جمع القوت فهجر الكهوف والملاجئ الصخرية والغابات بعد ان انتفت الحاجة اليها على الرغم من ان انسان هذا العصر والعصور اللاحقة ظل احياناً يستخدم





الكهوف كما يفعل بعض الافراد في قطرنا في الوقت الحاضر. وحصل تقدم كبير في صناعة الآلات والادوات الحجرية لتلائم الظروف الجديدة فأصبحت جيدة الصنع ومتنوعة ومتخصصة ودقيقة. واستمر هذا العصر في العالم القديم حتى حل محله بالتدريج في أزمنة مختلفة العصر الحجري الحديث الذي اعتمد على انتاج الطعام. وفي اقاليم جنوب غرب آسيا تتضح آثار هذا العصر اكثر مما في غيرها من حيث القدم والتطور وخصوصاً في العراق اذ وجدت في عدة اماكن بعضها كهوف وملاجئ جبلية وبعضها على هيئة قرى ومستوطنات. وكان اول موقع اكتشفت فيه هذه الآثار هو كهف زرزي[٢] بمحافظة السليمانية. وعثر على مخلفات مماثلة في كهف بالي كورا[٣] بالقرب من جمجمال بمحافظة اربيل. واستخرجت ايضاً من الطبقة ب في كهف شانيدر[٤] بمحافظة اربيل. وتبين من اختبار كربون ١٤ الاشعاعي على المواد العضوية المستخرجة من هذا الكهف انها تعود الى نحو ١٢٨٠٠ سنة مضت. ووجدت اثار هذا العصر على نحو اوضح في موقع كريم شهر[٥] وهو مستوطن مكشوف يقع شرق بلدة جمجمال بنحو تسعة كيلو مترات. ومما يشير الى قيام زراعة تجريبية محدودة ومحاولات أولية لاستئناس الحيوانات لاغراض اقتصادية في هذا المستوطن هو العثور على بعض الآلات الزراعية كالمناجل والمطاحن والمجارش والهواوين والمدقات. ولكن من المحتمل ان تكون هذه الالات قد استخدمت في حصد وطحن حبوب النباتات البرية. وفضلا عن ذلك فان ٥٠٪ من عظام الحيوانات المستخرجة من هذا الموقع كانت لانواع اليفة دجنها الانسان للانتفاع منها، ومع ذلك يظهر ان الحرفة الرئيسة لاهل هذه المستوطنات كانت الصيد والالتقاط.

وفي ملفعات[٦] على ضفاف نهر الخازر شمال الطريق الممتد بين اربيل والموصل وجدت آثار تشبه تلك التي وجدت في كريم شهر ولكن مستوطنة ملفعات شيدت فيها بيوت محفورة في الارض وكانت ذات جدران مبنية بالحجارة وتباليط من الحصى والحجارة. وقد تمثل هذه الاطلال بقايا اقدم قرية عراقية في مجال الزراعة التجريبية وفي مجال المحاولات الاولية لترويض الحيوانات. اما قرية زاوي جمي[٧] القريبة من كهف شانيدر فقد وجدت فيها بقايا بيوت وآثار تدل على ان الصيد والزراعة البدائية المحدودة كانت في مراحلها الاولى مختلطة. ويعود تاريخ هذه القرية بحساب كربون ١٤ الاشعاعي الى مايقرب من ١١٢١٧ زائد او ناقص ٣٠٠ سنة مضت.

ووجدت آثار هذا العصر في وادي النطوف بفلسطين[٨]. وعاش النطوفيون مثلما عاش معاصروهم في شمال العراق في الكهوف والمستوطنات المكشوفة، وكانت انجازاتهم تماثل انجازات سكان شمال العراق في مجال الزراعة. ولعل النطوفيين تعلموا الزراعة منهم. وفي مصر وجدت آثار هذا العصر في حلوان[٩]. وفي ايران وجدت في كهف الخرام[١٠] الذي يقع على السواحل الجنوبية لبحر قزوين وهي على العموم تشبه تلك التي وجدت في العراق وفلسطين ويعود تاريخها حسب اختبار كربون ١٤ الاشعاعي الى زمن احدث وهو ١٠٥٦٠ زائداً او ناقصاً ٦١٠ سنة مضت.

الزراعة والرعي حرفتان متلازمتان وان كان بعض الباحثين يرجح تقدم الاولى على الثانية وبعض يرجح الثانية على الاولى من حيث الزمن. وقد استقرت اسسها تدريجياً عبر زمن طويل في اقطار الشرق الادنى. وكانت منطقة شمال العراق من المراكز الاولى التي اكتشفت فيها الزراعة وروضت الحيوانات وذلك لتوفر المناخ المناسب والمياه الوفيرة والنباتات الطبيعية والحيوانات والانسان العاقل النشيط.



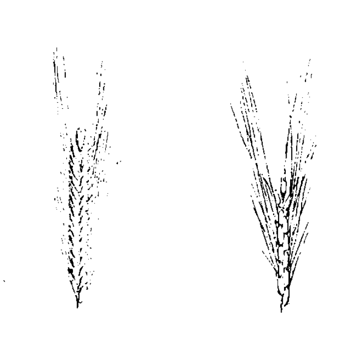


ويظهر من آثار التدجين في اقطار الشرق الادنى وجود منطقة سهوب كانت تنمو فيها الحشائش البرية والحيوانات الوحشية. والدلائل الاثرية لاتشير احياناً الى ان عظام الحيوانات المستخرجة من بعض المواقع الأثرية تعود فعلاً الى حيوانات داجنة، ولكن لدينا احصاءات كافية من مواقع عراقية مثل بالي كورا من العصر الحجري القديم الاعلى وكريم شهر من العصر الحجري المتوسط وجرمو من العصر الحجري الحديث تدل على تربية الحيوانات. وتظهر من ارقام الاحصائيات زيادة نسبة عظام الاغنام والماعز الداجنة من ٣٠٪ الى ٥٠٪ ثم الى ٩٥٪ على التوالي في المواقع المذكورة[١١]. واذا اخذنا هذه الارقام بنظر الاعتبار يتضح لنا ان سيطرة الانسان على الحيوانات ذات الفوائد الاقتصادية استمرت استمراراً تدريجياً ولمدة طويلة من الزمن حتى تمت اخيراً في اثناء الاستقرار الزراعي في القرى مثل قرية جرمو[١٢] بمحافظة اربيل سنة ٧٠٠٠ قبل الميلاد وقرية حسونة[١٣] في محافظة نينوى سنة ٥٦٠٠ قبل الميلاد.

اما في مجال الزراعة فقد قام الانسان بزراعة كل نبتة ذات فائدة كبيرة بعد ان اخضعها للتجارب وثبت صلاحها للاكل. وربما كانت الزراعة في البداية من شأن النساء بالدرجة الاولى في حين كانت الحيوانات تربى على يد الرجال لعلاقتهم بالصيد. وكانت الاعشاب التي تنمو في الطبيعة تشمل انواعاً برية من القمح والشعير تكفي لنموها الامطار الموسمية المحلية فتنتج كميات كافية من الحبوب تشجع على الحصاد. وفضلاً عن القمح والشعير زرع فلاح عصور ماقبل التاريخ في العراق العدس والبازلياء والدخن والحمص والكتان والذرة والجذور ثم الخضروات واشجار الفواكه التي كانت في البداية تنمو في البراري. وكانت نباتات الحنطة والشعير تنمو سوية في جميع مواقع العصر الحجري الحديث المبكرة وكلاهما مادة غذائية ضرورية الى الاقتصاد الجديد ويمكن خزنها بسهولة، إذ أن عناية الفلاحين بها موسمية بحيث يبقى لديهم بعض الوقت للعمل في مجالات اخرى وهما غنيتان بالمواد الغذائية المولدة للطاقة. ان الدلائل الاثرية والنباتية تشير الى ان موطن زراعة القمح والشعير هو الشرق الادنى ويأتي القسم الشمالي من العراق في مقدمة المناطق.

وكانت عدة انواع منها ينموان نمواً طبيعياً كأعشاب برية في سفوح الجبال والسهول العالية.

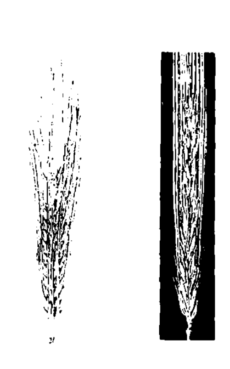
ويعد القمح الذي ينمو في سنابله صفان من الحبوب احد انواع القمح الذي انتشر نموه في الطبيعة وعرف باسم einkorn وزراعة اهل قرية جرمو في الالف الثامن قبل الميلاد. وهناك قمح تنمو في سنابله ثلاثة صفوف من الحبوب ويعد السلف البري لنوع emmer. اما القمح الذي تحمل سنابله اربعة صفوف من الحبوب فهو من نوع emmer المدجن. وكانت زراعته متيسرة اكثر من القمح الذي تحمل سنابله صفين من الحبوب. وانتشرت زراعة القمح الرباعي الصفوف في عدة مستوطنات مبكرة تعود للعصر الحجري الحديث في الشرق الادنى مثل قرية جرمو وقرية حسونة جنوبي الموصل.



سنبلة قمح من النوع المدجن

وجدت حبوب القمح والشعير وحبوب نباتات اخرى في شمال العراق ، ففي قرية جرمو بمحافظة السليمانية وجدت بهيئة متفحمة أو وجدت لها طبعات متميزة في الارضيات.

ووجدت الحبوب المتفحمة للقمح والشعير في قرية حسونة بمحافظة نينوى. وقد تبين من الفحوص انها تعود لنوع بدائي من القمح تحمل سنابله صفين من الحبوب يعرف بأسم einkorn ولنوع بدائي اخر تحمل سنابله اربعة صفوف من الحبوب يعرف باسم emmer وهذان النوعان تنمو على سنابلها شعيرات كثيرة ويدكن لونها وتسقط حباتها على الارض عند نضجها لان ساق السنبلة هش وينكسر بسرعة وللحبوب قشرة صلبة تحيط بنواتها بحيث لاتطلق النواة عند الدرس الا بصعوبة . اما انواع القمح الحديثة ذات الانتاج الغزير فلا نعرف كثيراً عن تطورها من النباتات البرية سوى انها انتجت بالطفرة الوراثية والتهجين وامتزاج الكروموسومات عبر زمن طويل خضعت في اثنائه الى الاختيار المقصود بانتقاء الانسان للبذور من احسن النباتات والى الاختيار الطبيعي عند تغيير احوال المناخ التي تعرضت لها الحبوب الغذائية عند هجرة الانسان من مكان الى آخر.



سنبلة شعير مدجن





سنبلة شعير بري

وعلى غرار القمح ، كان الشعير ينمو طبيعياً ايضاً في اقطار الشرق الادنى ويتشابك وجوده مع القمح ومع الشوفان والجويدار البري في اكثر الاحيان. وربما كان دخول الشعير الى المزرعة لاول مرة قد حدث مصادفة من حقول القمح. ويتوافر الشعير في مستوطنات العصر الحجري الحديث في نفس الطبقات المبكرة التي يوجد فيها القمح. وهناك مجموعتان من الشعير مجموعة تحمل سنابله صفين من الحبوب ومجموعة تحمل سنابله ستة صفوف من الحبوب

واقدم شعير عثر عليه لحد الان هو شعير قرية جرمو ، وكان من النوع الذي تحمل سنابله صفين من الحبوب ويتميز بكبر الحبة. اما الشعير الذي تحمل سنابله ستة صفوف من الحبوب فقد ظهر نتيجة طفرة وراثية عندما انتشرت زراعته في السهول الرسوبية التي تسقى بوسائل الري[١٤] وحل هذا الشعير محل الشعير الذي تحمل سنابله صفين من الحبوب. وعلى غرار القمح هناك شعير ذو قشرة وشعير عاري بدون قشرة ومعظم الشعير الذي زرع في عصور قبل التاريخ كانت له قشرة.





وهناك عدة انواع من الشوفان oats والجويدار Rye التي نمت اعشاباً طفيلية في حقول القمح والشعير في جنوب غرب اسيا. ومن المحتمل انها استغلت للطعام او زرعت بالانتقاء في قرى شمال العراق في عصور ماقبل التاريخ. وكان الحمص والعدس الاحمر يزرعان على نطاق واسع في العصور المبكرة فالحمص زرع في قرية جرمو[١٥] حوالي سنة ٧٠٠٠ قبل الميلاد وكذلك العدس فقد زرع في مستوطنة جرمو[١٦] في نفس الفترة وفي قرية جوخه مامي[١٧] بالقرب من مندلي حوالي سنة ٤٩٠٠ قبل الميلاد وزرع ايضاً في قرية خفاجي[١٨] بمنطقة ديالى حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد. وزرع الكتان من اجل اليافه للنسيج ولاستخراج الزيت منه في العصر الحجري الحديث ووجدت بذوره في قرية الصوان[١٩] في زمن يعود تاريخه حسب اختبار كربون ١٤ الاشعاعي الى نحو ٥٢٩٢ زائداً او ناقصاً ١٤٦ سنة قبل الميلاد.

كما عثر على بذور الكتان في قرية الاربجية[٢٠] في مدينة الموصل من زمن يعود استناداً الى تاريخ كربون ١٤ الاشعاعي الى ٥٠٧٧ زائداً او ناقصاً ٨٣ سنة قبل الميلاد واخرجت بذوره ايضاً من قرية جوخه مامي[٢١] التي يعود تاريخها الى حوالي سنة ٤٩٠٠ قبل الميلاد.

وكانت الزراعة في العراق القديم هي حرفة غالب السكان وكانت جودتها في كل العصور تتوقف على خصوبة التربة وجهود المزارعين وحسن الري وانتظام شؤون الاسرة. وفي العصور التاريخية، كانت تتوقف على انتظام شؤون الدولة ومدى اهتمامها بالانهار والسدود. وكانت الزراعة مقتصرة في عصور ماقبل التاريخ اعتباراً من عصر جرمو (٧٠٠٠ قبل الميلاد) الى نهاية عصر حلف (٤٥٠٠ قبل الميلاد) على شمال العراق اي على بلاد اشور المتمثلة تقريباً بمنطقة الموصل الحالية. والى حد ما على وسط العراق. ومنذ عصر العبيد في منتصف الالف الخامس قبل الميلاد انتشرت الزراعة في جميع انحاء القطر. وتعتمد بلاد اشور على الامطار الديمية ولكن فيها مساحات واسعة بين الزابين ونهر دجلة يمكن ان تزرع زراعة منتظمة ديماً وسيحاً اي من الامطار والانهار. اما المنطقة التي عرفت في العصور التاريخية القديمة ببلاد سومر واكد فالقسم الاعظم منها صالح للزراعة والرعي ولكنه يعتمد على الري من الانهار، وقد شقت فيها شبكة من الجداول والترع لسقي الحقول والبساتين ولاتزال آثار تلك الجداول والترع المندرسة ظاهرة للعيان.

ان افتقار عصور ماقبل التاريخ الى الوثائق المدونة تدفع الباحث الى الاعتماد على المقارنة مع انجازات العصور التاريخية التي تمتد جذورها في اغلب الاحوال في عصور اقدم وعلى الدراسات الانثروبولوجية لمعرفة ممارسات الجماعات التي كانت الى وقت قريب تعيش في مستوى بدائي يقرب من مستوى العصر الحجري الحديث.

كانت المزرعة في بادئ الامر صغيرة المساحة جداً وهي اقرب الى حديقة فيها حقل حبوب. وكانت البذور آنذاك، اي في بداية العصر الحجري الحديث، كما في قرية حسونة وقرية نينوى وقرية ام الدباغية وقرية اربجية وقرية تبه كورا وغيرها من قرى محافظة نينوى، تبذر في قطع صغيرة من الارض وهي تكفي لاعالة اسرة واحدة اي ان رب الاسرة كان هو مالك الارض وبمرور الزمن، كما يستدل من ممارسات العصور التاريخية، اصبحت ملكية الارض مشاعة بين ابناء الاسرة الواحدة ثم اصبحت ملكية فردية. وكانت الزراعة في مراحلها الاولى حقلية اي انها خلت من البستنة وغرس الاشجار كأشجار الفواكه المثمرة والاشجار ذات البذور. وكانت ديمية ترويها مياه الامطار في المناطق الشمالية من القطر وهي كافية في العادة للانبات. ولما انتقلت الزراعة الى السهول الفيضية في الوسط والجنوب اقتضت الضرورة الاستعانة بوسائل الري

من الانهار سيحاً وذلك لقلة سقوط الامطار. وكان انتاج القوت في عصور ماقبل التاريخ يعتمد بالدرجة الاولى على الزراعة وتربية الحيوانات وصناعة منتوجات الالبان. ونجم عن الانقلاب الزراعي نشوء الملكية الفردية اي ملكية المزرعة وادوات الانتاج والحيوانات الداجنة في المراعي.

وكان افراد الاسرة الواحدة يتعاونون على تحمل عبء جميع الفعاليات الزراعية طيلة ايام السنة اعتباراً من نشر البذور حتى تقسيم الحاصل بين افراد الاسرة. وزرعت الحقول حيثما وجدت التربة الصاحلة وكانوا يفضلون ماكان قريباً من القرية. اما الاراضي البعيدة او الضعيفة فقد استخدموها للرعي،وكانت على الارجح غير مملوكة لاي شخص بل مشاعة لاهل القرية. وبقيت الاراضي المزروعة ملكاً للعائلات التي اصلحتها وهيأتها للزراعة او ملكاً لافراد القبيلة مجتمعين طالما ظلت مستمرة على استغلالها. اما الاراضي التي تركت لعدة سنوات واصبحت بوراً فكانت تجد من يعيد امتلاكها.

وكانت الحيوانات الداجنة تحفظ في حظائر مسيجة بداخل القرية او بالقرب منها، وهذه الحيوانات هي الماشية والاغنام والماعز والخنازير. واستخدموا الحمير للنقل والكلاب للحراسة. وكانت حيوانات القرية التي هي من نوع واحد ترعى بعضها مع بعض ويشرف عليها الاطفال ويحرسها قليل من الرجال المسلحين اذا لزم الامر. وكانت بقايا سيقان الحبوب من الاشياء الصالحة لاكل الحيوانات. وفي الوقت ذاته فان فضلات هذه الحيوانات استخدمت في تخصيب التربة. وكان القرويون يحلبون الحيوانات في الصباح وفي المساء. وصنعوا من الحليب اللبن الرائب والزبد منذ اقدم العصور وساعد اللبن الرائب المجفف على تخزين فائض اللبن لاستعماله في الاوقات التي تقل فيها كميات الطعام. وكانت الحيوانات الداجنة اثمن من ان تذبح الا في الاحتفالات والاعياد،ولهذا السبب لم يكن اكل اللحم امراً كثير الحدوث. وكانت وجبات الطعام العادية تتكون من الحبوب المطحونة واللبن مضافاً اليها بعض البقول والخضروات والاسماك والحيوانات التي يصيدونها. وفضلاً عن اللحم والحليب فقد استفاد القرويون من صوف الاغنام وشعر الماعز لحياكة الملابس ونسج المفروشات والخيام واستفادوا من الجلود في صناعة الاحزمة والاحذية والحقائب والقرب والملابس.

ويظهر ان سيطرة رجال الدين وسيادة سلطة المعبد ظهرت في اواخر عصور ماقبل التاريخ ثم اشتدت في عصر فجر السلالات وفي العصور اللاحقة. ولاريب في ان الملكية العامة، اي ملكية المعبد، بدأت جذورها في عصر الوركاء وعصر فجر التاريخ. وكانت الاراضي الصالحة للزراعة التابعة للمعبد في العصور التاريخية على ثلاثة انواع هي اراضي الاله التي تصرف وارداتها على الطقوس والاحتفالات الدينية من قبل المعبد والكهنة المشرفين عليه ثم اراضي الكهنة واخيراً الاراضي التي تؤجر لقاء حصة من المحصول تستقطع عند الحصاد. وتتراوح هذه الحصة بين الثلث والسدس. ولايستبعد ان يكون شيء من هذا القبيل قد وجد في عصور ماقبل التاريخ ايضاً.

ان اقدم نوع من الزراعة بدأ في عصور ماقبل التاريخ ببذر البذور على ارض رطبة ترويها مياه الامطار فتنمو النباتات بالري الطبيعي دون حرث ثم استخدمت الات الحراثة فيما بعد، فاستعملت في أول الامر العصا الطويلة الحافرة وكان الفلاحون يضعون الحبوب بايديهم في الثقوب التي تحدثها هذه العصا الحافرة. وفي المناطق الرخوة كانت الارض تحرث بجاروف خشبي يقطع من غصن متشعب الفروع وكان يجره رجل بيده أو بحبل، ثم ابتكر المحراث الخشبي الذي جره الانسان في اول الامر ثم استخدم الثور والحمار في حدود سنة ٣٠٠٠ قبل





الميلاد لجره ثم استخدمت الخيول لهذا الغرض في العصور التاريخية. وكانت المحاريث في بادئ الامر حجرية وتثبت في مقبض خشبي وتستخدم لحرث قطعة صغيرة من الارض عندما كانت الزراعة حقلية محدودة المساحة ثم ابتكرت المحاريث الخشبية ذات النهاية المدببة. واخترع في العراق في العصور التاريخية الاولى محراث خشبي مزود بقمع وانبوب طويل يصل قريباً من الارض المحروثة، وكانت البذور في القمع تنزل الى الارض بداخل الانبوب اثناء جر المحراث وغلفت نهاية المحراث المدببة بالنحاس ثم بالبرونز في عصر البرونز ثم بالحديد لتكون اكثر قدرة في شق الارض. ووصلت الينا من المواقع الاثرية مثل قرية حسونة فؤوس حجرية مختلفة لاشك في أن بعضها كان يستخدم في شؤون الزراعة. وابتكر قدماء العراقين المسحاة التي كانت في اول الامر من الحجر الصلب المهندم الحافات ثم صنعت من المعدن في العصور التاريخية. ومن الآلات الزراعية التي جاءتنا نماذج منها من الحفريات في المواقع الاثرية القديمة انواع المناجل المختلفة منها منجل صنع من قطع عديدة من حجر الصوان أو الزجاج البركاني المسنن وجمعت كلها وثبتت بوساطة القير في مقبض خشبي مستقيم أو معقوف كالمنجل الذي وجد في قرية حسونة وقد ظهرت مثل هذه المناجل في مواقع العصر الحجري المتوسط كما وجدت في قرية جرمو. والنوع الثاني مصنوع من الفخار ابتكر منذ عصر العبيد في اريدو وفي غيرها وكان ذا حافة حادة تكفي لقطع السنابل ولكنه كان سريع الكسر.

وفي عصر الوركاء صنعت المناجل من النحاس وبمرور الزمن صارت من البرونز ثم من الحديد. وفي جميع الحالات كانت سنابل الحبوب تمسك باليد وتقطع من اعلى الساق. وتلي عملية الحصاد عملية الدرس أي سحق سنابل الحبوب، وكانت هذه العملية تتم بتسيير الحيوانات مثل الابقار والثيران عليها أو بضربها بالعصا لفصل الحبوب عن قشورها. ومن الالات التي استخدمت في شؤون الزراعة المذراة التي كانت لاتختلف كثيراً عن المذراة الحديثة. وتتألف من كف خشبية مركبة على عصا طويلة لنشر الحبوب المدروسة في الهواء في يوم يكون هبوب الرياح فيه شديداً نسبياً فيتطاير القش وتسقط الحبوب عند قدمي من يقوم بهذه العملية. وفي احد الاختام الاسطوانية نلاحظ صورة امرأة تحمل مذراة بيدها مما يدل على مساهمة المرأة في العمل الزراعي. ومن الادوات التي لها علاقة بالزراعة والتي وجدت في المواقع الاثرية مثل قرية حسونة بمحافظة نينوى وقرية مطارة بمحافظة التأميم اطباق من الفخار ذات نتوءات فخارية حادة استخدمت لفصل الحبوب عن قشورها بواسطة الفرك عند تحريكها على سطح الطبق وهناك هواوين ومجارش ومدقات وجدت نماذجها في كثير من المواقع الاثرية في محافظة نينوى وهي تدل على ممارسة الزراعة في عصور ماقبل التاريخ، غير ان الطريقة التي يسرت انتاجاً اكبر كانت بالطحن بواسطة الرحى أو المطاحن الحجرية التي تتألف من قرصين حجريين مستديرين يدور احدهما فوق الاخر. ومثل هذه المطاحن كانت في العادة من حجر صلب تفادياً لاختلاط الحجر والطين بالطعام. وقد وجدت امثال هذه الرحى في مواقع عصور ماقبل التاريخ عموماً في العراق.

من مستلزمات الزراعة جمع حبوب غذائية كافية في كل موسم وخزنها حتى نضوج محصول السنة التالية، ولذلك كانت عنابر الحبوب والمخازن من المظاهر البارزة في القرى العراقية القديمة. وقد عني اهل القرى بهذه المخازن فكسوها بالجص أو القير من الداخل وغطوها بالجص والتراب لمنع دخول القوارض اليها. هذا وقد وجدت في مواقع عصور ماقبل التاريخ في محافظة نينوى وفي غيرها بقايا تنانير الخبز وهي على العموم تشبه تنانير القرى العراقية في الوقت الحاضر.

ومن الدلائل الواضحة والاكيدة على قيام الزراعة في عصور ماقبل التاريخ وجود اطلال القرى والبيوت أو الاكواخ القديمة ذلك لأن الاستقرار





بالقرب من الحقول الزراعية كان شرطاً لازماً لنجاح الزراعة. لأن المزارع تحتاج الى عمل متواصل لتهيئة الارض وحرثها وبذرها وسقيها وحصد حاصلاتها ودرسها وخزنها أو المتاجرة بالفائض منها. وقد تناولت معاول المنقبين في اواخر القرن الماضي وفي هذا القرن التنقيب في اطلال تلك القرى المبكرة فوجد منها الكثير في شمال العراق ومن نماذجها البارزة قرى منطقة الموصل.

كان الانتاج الزراعي في العهود المبكرة ضئيلاً، وكانت كل قرية تزرع ماتحتاج اليه من الحاصلات الزراعية. ومن نتائج ذلك ان اقتصاد العصر لم يكن فيه حافز مادي للفلاح كي ينتج اكثر مما يحتاج هو وعائلته، الا أن المزارعين لم يتبع جميعهم هذه القاعدة، ولذلك وجد بعض الفائض للمقايضة ويستدل على ذلك من وجود مواد استوردت من مسافات بعيدة بعضها من خارج القطر وقد تم استيرادها على اساس المبادلة. وبمرور الزمن زاد عدد السكان واتسعت الحقول الزراعية وحدثت جملة تطورات وظهرت عدة اختراعات ساعدت على زيادة فائض الانتاج، فقد تعلم الانسان تسخير قوة الحيوانات والرياح في النقل البري والنهري واخترع المحراث فاتسعت الحقول الزراعية بعد ان كانت ذات مساحة صغيرة واخترعت عجلات العربات والزوارق الشراعية واصبحت المواصلات للاغراض التجارية وغير التجارية اكثر سرعة لجمع المواد الأولية وتركيزها وتوزيعها وصنعت المعادن التي استخدمت في عمل الآلات الزراعية وعربات النقل والأسلحة والادوات المنزلية.

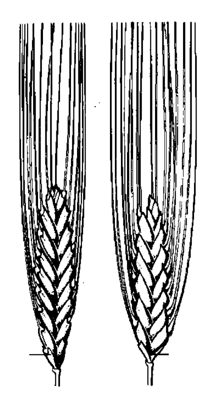
ان فائض الانتاج الزراعي ربما كان يستبدل به حيوانات الصيد ومنتوجات الرعاة في داخل القطر والمواد الغريبة من خارج القطر مثل الاحجار الكريمة كالعقيق والياقوت واللازورد ومثل الاخشاب والاصداف والتوابل والعطور والذهب والفضة والنحاس والقصدير والرصاص من الاناضول ومن اقطار الخليج العربي وافغانستان. ومن ناحية اخرى فان فائض الغلة شجع على قيام الصناعات وممارسة بعض الحرف والوظائف، فالحدادون والفخارون والنجارون والبناؤون وصناع الاختام والاسلحة ورجال الدين والمقاتلون انسحبوا من الحقول الزراعية ومن العمل الزراعي واصبحوا لاينتجون الطعام بل يعرضون بضائعهم وخدماتهم على القرويين المجاورين لمبادلتها بفائض الانتاج الزراعي اي ان فائض الانتاج الزراعي مهد الطريق الى الانقلاب الحضري في المدن.

وبما ان الاحوال المناخية في القطر العراقي لم يطرأ عليها تغيير جوهري منذ العصر الحجري الحديث فان النباتات الطبيعية والحاصلات الزراعية لم يطرأ عليها تغيير كبير ايضاً منذ ذلك الوقت. فالحبوب الغذائية الرئيسة في العراق القديم كانت، كما هي في الوقت الحاضر، الحنطة والشعير. وقد سبق ان ذكرنا انها دجنا وزرعا من اسلافها البرية التي كانت تنمو في شمال العراق وذلك باختيار احسن الحبوب وتهجين الانواع بمضاعفة الكروموسومات. وفضلاً عن الحنطة والشعير زرع قدماء العراقيين في عصور ماقبل التاريخ الدخن والعدس والبازلياء والحمص والكتان. وتشير النصوص التاريخية الى زراعة الكروم والتفاح والتين والزيتون والكمّثرى والمشمش والسفرجل والرمان والبنجر والثوم والبصل والفول والكراث والرشاد والفجل والسلق والكزبرة والزهور. واغلب الظن انها كانت تنمو نمواً طبيعياً في عصور ماقبل التاريخ مثلها في ذلك مثل الفستق واللوز والجوز والبلوط والبطم والكستانة.

وفضلاً عما سبق ذكره عن الزراعة في عصور ماقبل التاريخ في المحافظات الشمالية بالقطر العراقي فاننا سنذكر فيما يأتي ملاحظات عن قرى خاصة بمحافظة نينوى مارس اهلها الزراعة وتربية الحيوان منذ الالف السادس قبل الميلاد معتمدين في ذلك







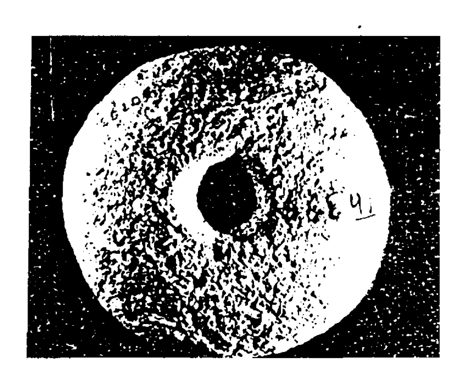
سنبلة قمح من النوع البري

(ا و ب) الى عصر حسونة ويرجع تاريخها الى عام ٥٦٠٠ قبل الميلاد ايضاً. وكانت الزراعة وما يتصل بها هي الى حد كبير مثلما كانت في قرية حسونة. اما الطبقة الثانية ج فتعود الى عصر حلف وتمثل على التقارير التي نشرت عن نتائج التنقيبات. والدلائل الواردة في تلك التقارير هي بذور الحاصلات الزراعية المتفحمة او التي بقيت لها طبعات في الارضيات أوجدران اللبن وعظام الحيوانات التي دجنها الانسان وعنى بتربيتها في المراعي والالات والادوات الزراعية كالمناجل والهواوين والمجارش والمطاحن والمحاريث والمعاول والفؤوس واخيراً البيوت أو الاكواخ التي شيدت قرب الحقول وقد وجدت كلها او بعضها في القرى الاتية.

ففي قرية حسونة التي تقع على بعد ثمانية كيلو مترات الى الشرق من مركز ناحية الشورة التي تبعد عن جنوب مدينة الموصل بنحو خمسة وثلاثين كيلو متراً يسقط من المطر اثناء السنة مابين ٢٤ – ٤٠ سنتيمتراً وهي كمية تكفي لنجاح الزراعة الديمية للحبوب الغذائية مثل الحنطة والشعير ولنمو النباتات الطبيعية مثل الشجيرات والاعشاب. ان مستوطنات محافظة نينوى الاخرى تقع ايضاً بين هذين الخطين المطريين ونجاح الزراعة الديمية فيها اكيد.

وتبين من المخلفات الاثرية التي اخرجت من هذه القرية ان القمح والشعير زرعا من اصول برية كانت تنمو نمواً طبيعياً في المنطقة وان زراعتها في هذه القرية قد بدأت حوالي سنة ٥٦٠٠ زائداً او ناقصاً ٢٥٠ سنة قبل الميلاد حسب اختبار كربون ١٤ الاشعاعي[٢٢]. ان هذه القرية تعد ثاني اقدم قرية زراعية في العراق بعد قرية جرمو وهي اقدم قرية في منطقة الموصل وتدل موجوداتها على انتشار الزراعة في السهول الشمالية بعد ان كانت في سفوح الجبال. واتضح ان اهل القرية دجنوا الاغنام والماعز وربما الماشية في المراعي للاستفادة من لحمها وصوفها وشعرها وجلدها وحليبها وحتى عظامها لصنع الالات.

كما وجدت بين مخلفات هذه القرية مناجل وهواوين ومطاحن ومجارش وفؤوس واطباق لفصل قشور الحبوب واثار مضارب خيام وبقايا بيوت مشيدة بالطوف.



جزء من رحى حجرية من تلول الثلاثاث

واتضح من التنقيبات الاثرية في خرائب مدينة نينوى[٢٣] الاشورية التي تقوم في وسط مدينة الموصل الحديثة ان هذه المدينة المشهورة بعظمتها وروعتها في العصور التاريخية كانت في عصور ماقبل التاريخ قرية زراعية بدائية، وتعود آثار الطبقة الاولى والثانية

قرية من قرى عصور ماقبل التاريخ ايضاً ولكن من زمن احدث يقرب من سنة ٤٨٠٠ قبل الميلاد. اما الطبقة الثالثة فهي ايضاً تمثل قرية عاشت قبل التاريخ ولكن في زمن احدث يقرب من سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد بينما تعود اعالي الطبقة الثالثة والطبقة الرابعة الى عصر فجر التاريخ فيما بين ٣٥٠٠ - ٢٨٠٠ سنة قبل الميلاد. وفي جميع هذه العصور كانت نينوى قرية يزرع اهلها الحنطة والشعير ويربون الاغنام والماعز والماشية ويعيشون في اكواخ او بيوت مشيدة بالحجارة اوالطوف.

وفي قرية ام الدباغية[٢٤] التي تقع على بعد عشرين كيلومتراً الى الغرب من مدينة الحضر وجد المنقبون في اثناء حفرياتهم حبوب القمح من نوع emmer الذي تحمل سنابله اربعة صفوف من الحبوب ومن نوع einkorn الذي تحمل سنابله صفين من الحبوب كما وجدوا الات زراعية مثل المطاحن والمجارش والهاونات مصنوعة من حجر الصوان ووجدوا عظام حيوانات اليفة تعود للاغنام والماعز والخنازير والماشية. هذا فضلاً عن البقايا العمارية للبيوت والاكواخ. وتبدو اثار هذه القرية شبيهةً باثار قرية حسونة ويعود تاريخها بحساب كربون ١٤ الاشعاعي الى نحو ٥٥٧٠ زائداً او ناقصاً ١٢٠ سنة قبل الميلاد.

وفي قرية الاربجية[٢٥] التي تقع على بعد ستة كيلومترات من مدينة نينوى القديمة وهي الآن ضمن الاحياء السكنية في مدينة الموصل عثر المنقبون على حبوب القمح والشعير وعلى بذور الكتان وهي نتاج زراعة ديمية كما وجدوا عظام الاغنام والماعز والماشية والخنازير المدجنة فضلاً عن الالات والادوات الحجرية ذات العلاقة بالشؤون الزراعية وبقايا الاكواخ. ويعود زمن هذه القرية بحساب كربون ١٤ الاشعاعي الى نحو ٥٠٧٧ زائد او ناقص ٨٠ سنة قبل الميلاد.

وفي تل قرية يارم تبة الثاني[٢٦] على بعد ستة كيلومترات جنوب مركز قضاء تلعفر في محافظة نينوى وجد المنقبون عظام الاغنام والماعز والماشية والخنازير المدجنة. كما وجدوا مناجل ومجارش وهاونات من حجر الصوان استخدمت في حصد الحبوب الغذائية وطحنها. ويعود زمن هذه القرية الى نحو ٤٥٥٠ سنة قبل الميلاد اي الى عصر العبيد الذي يمثل المرحلة الثالثة من مراحل القرى الزراعية المبكرة في عصور ماقبل التاريخ بالعراق.

وفي قرية كورا[٢٧] (تبة كورا) التي تقع الى الشمال الغربي من مدينة الموصل بمقدار ثلاثين كيلومتراً وجدت الآت زراعية من حجر الصوان والزجاج البركاني مثل المجارش والهاونات كما وجدت تماثيل طينية لحيوانات مدجنة كالاغنام والماشية. ويعود تاريخ هذه القرية الى الالف الخامس قبل الميلاد اي انها عاشت في عصر حلف وعصر العبيد.

وفي قرية ابراهيم عزو[٢٨] التي تقع اطلالها على بعد سبعة عشر كيلومتراً شمال غرب مدينة الموصل كشف المنقبون عن آثار عصر حلف التي تمثل المرحلة الثانية من مراحل تطور القرى الزراعية في عصور قبل التاريخ اي في الالف الخامس قبل الميلاد.

وفي تلول الثلاثات [٢٩] وجد المنقبون آثار قرية من عصر العبيد وفي أسفلها آثار قرية تعود الى عصر حسونة.

وفي قرية الطواجنة[٣٠] التي سميت نسبة الى قرية الطواجنة الحديثة على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً الى الجنوب من مدينة الموصل على الطريق العام مابين مدينة الموصل والزاب وجد المنقبون آثار قرية اغلب آثارها (الطبقات الثلاث السفلى) تعود الى عصر العبيد والطبقة الرابعة العلوية تعود الى عصر الوركاء كما وجدت اثار قرية من عصر حلف اسفل





القرية العبيدية . اي ان هذه القرية عاشت من سنة ٤٨٠٠ الى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد .

وفي قرية قره تبة[٣١] التي تقع على بعد ستين كيلومتراً جنوب تبه كورا في شمال غرب مدينة الموصل رصدت اثار تعود الى عصر حلف وعصر العبيد في الفترة مابين ٤٨٠٠– ٣٨٠٠ قبل الميلاد .

وهناك مجموعة من المستوطنات منتشرة في انحاء مختلفة من محافظة نينوى[٣٢] لم تنقب فيها بعثات اثرية وتدل اللقى الملتقطة من سطحها في اثناء المسح والتفتيش الاثري على انها كانت قرى مارس اهلها الزراعة في عصور ماقبل التاريخ مثل قرية سفرة وقرية الخان اللتين تعود آثارهما الى الالف السابع قبل الميلاد . وقرية برهاوي التي تعود الى عصر حلف في اوائل الالف الخامس قبل الميلاد وقرية كري رش التي تعود الى عصر العبيد في منتصف الالف الخامس قبل الميلاد وقرية ابو ماريا التي تعود الى عصر الوركاء في اوائل الالف الرابع قبل الميلاد .

## الهوامش

١. ساكز. هاري. عظمة بابل. ترجمة د. عامر سليمان، ١٩٧٩ ص ٢٦.

٢. Garrod, D., The Palaeolithic of Southern Kurdistan.Excavations in the Caves of Zarzi and Hazar Merd. American School of Prehistoric Research Bulletin No. 6, p. 8–43.

٣. Braidwood, R. and Howe, B., Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan, SAOC, No. 31, Chicago, 1960, P. 28–29.

٤. Solecki, R., Shanidar Cave, A Paleolithic Site in Northern Iraq and its Relationship to the Stone Age Sequence of Iraq, Sumer, Vol. XI, 1955.

٥. Braidwood, R. and Howe, B., SAOC, No. 31, Chicago, 1960, p.28–29.

٦. Ibid, p. 27–28

٧. Solecki, R., Zawi Chemi Shanidar, A Post Pleistocene Village Site in Northern Iraq. 1964. Report of the VI Internaional Congress on Quaternary, Warsaw, 1964.

٨. Garrod, D., The Natufian Culture: The Life and Economy of a Mesolithic People in the Near East, British Academy. Proceedings XLIII, P. 211–277.

٩. Clark, G., World Prehistory, 1962, p. 64.

١٠. Coon, C., Cave Exploration in Iran, 1949; 1951, p. 20–32, 69–76.

١١. Braidwood, R. The Near East and the Foundations for Civilization 1952, p. 26, 30, Fig. 14.

١٢. Helbaek, H., The Paleoethobotany of the Near East and Europe, in SAOC, No. 31, 1960, p. 130ff; Reed, C. A Review of the Archaeological Evidence on Animal Domestication in Prehistoric Near East, SAOC, No. 31.1960, P. 132–139.

١٣. Lloyd, S. and Safar, F., Tell Hassuna, JNES, Vol. IV, No.4, 1945 p. 255 ff.

١٤. Cole, S., The Neolithic Revolution, 1965, p. 12.

١٥. Helbaek, H., 1960, p. 115.

١٦. Ibid, p. 115.

١٧. Oats, J.,, Choga Mami, 1967–1968, A Preliminary Reprt, Iraq, Vol. 31, 1969, p. 140–141.

١٨. Cole, S., 1965, p. 20.

١٩. Helbaek, H. Early Hassuna Vegetable Food at Es–Sawwan Near Samarra, Sumer, Vol. XX, 1946, p. 47.

٢٠. Helbaek, H., 1960, p. 115.

٢١. Oats, J., 1969, p. 140–141.

٢٢. Lloyd, S. and Safar, F., 1945.

٢٣. Thompson, R. and Mallowan, M., Prehistoric Sondage of Nineveh, 1931–1932, AAA, Vol. 20, 1933.

٢٤. Kirkbride, D., Umm Dabaghiyah, A preliminary Report, Iraq, Vol. 34, No. 1.

٢٥. Mallowan, M. and Rose, J., Excavationns at Tell Arpachiyah, 1933, Iraq, Vol. 2, No. 1, 1935.

٢٦. Merpert, N. and Munchajev, R., Excavations at Yarim Tepe 1970, Second Preliminary Report, Sumer, Vol. 27, 1971.

٢٧. Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Vol. II, Levels 9–20, philadelphia, 1950.

٢٨. اكرم محمد عبد كسار. عصر حلف في العراق. رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٨٢ ص ٣٤.

٢٩. Egami, N., et. al., Brief Report on the Third Excavations at Tell II of Telul Eth–Thalathat and Some Observation, Sumer, Vo. XXII, 1966.

٣٠. اكرم محمد عبد كسار. عصر حلف في العراق. رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٨٢ ص ٣٣.

٣١. نفس المصدر ص ٣٩.

٣٢. انظر خارطة دائرة الآثار والتراث للمواقع الاثرية.

# الزراعة في العصور التاريخية

أ.د. سامي سعيد الأحمد

**أهمية الزراعة :**

استعرض الفصل السابق نشوء الزراعة وتطورها في عصور ماقبل التاريخ ، وأشار الى أهم المستوطنات والقرى الزراعية التي تم التنقيب فيها حتى الآن ، والواقعة في منطقة الموصل . ويتناول هذا الفصل بيان تطور الزراعة في العصور التاريخية التالية ، وهي العصور التي برز فيها الآشوريون ، وسميت المنطقة باسم (بلاد آشور) ، ونظرا لسعة المساحة التي احتلتها منطقة الموصل واختلاف نسبة سقوط المطر ومساحة الأرض المزروعة في اجزائها المختلفة يمكن تقسيمها طبوغرافيا الى ثلاثة أقسام رئيسة هي :

**١ - منطقة الجزيرة الشمالية :**

وهي عبارة عن سهل واسع يتفاوت ارتفاعه من ٥٠٠ - ١٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر ، يشتمل على عدد من الأحواض الصغيرة التي لاتصريف لها ، ويسقط المطر في شمالها بنسبة تكفي الزراعة اذا توفرت معها مياه الارواء ، وتتمثل هذه في منطقة جبل سنجار ووديان نهرى الخابور والبليخ وروافدهما التي اكتظت بالسكان لوفرة المياه ، ويقدم قصر نرام سين ، آخر ملك قوى للسلالة الأكدية ، عند تل براك خير مثال ، فمساحة القصر تبلغ حوالي العشرة الآف متر مربع باربع ساحات وما لايقل عن اربعين مخزنا عثر في ثلاثة منها على بقايا حنطة وشعير،مما يدل على ان هذا القصر البالغ السعة قد خصص لجمع الضرائب والعشور المستحقة للدولة . ويعد وادي الثرثار الذي بداياته من مرتفعات ارض الجزيرة في الشمال والشرق المصرف الأساس للتخوم الشرقية منها باتجاه دجلة ، وهو نهر فصلي تفيض مياهه في الشتاء وبداية الربيع ، ويظل جافا طوال الصيف عدا بعض أجزاء منه تغذيها مياه العيون المتسلطة اليه ، وشيدت مدينة الحضر بالقرب من بعض شعابه بهذا الوادي ، وحيث تتجمع مياه الأمطار المنحدرة او تسير تحت الأرض وتنبثق في الآبار والتي ربما كان عند موقعها مدينة آشورية قد تعود الى العصر الآشوري القديم لوقوعها على أقرب طريق يصل العاصمة آشور بالغرب ومرتبطة معها خلال ممر في تلال مكيحل ، وتنبع من تلال سنجار عدد من المجارى التي تنحدر الى الجنوب والجنوب الشرقي الى جانب منخفضات تتجمع فيها المياه بعد سقوط المطر منها نقرة ام الذئاب الحالية قرب الحضر.

**٢ - منطقة السهوب :**

وتقع بين الجزيرة وسفوح المنطقة الجبلية وتشمل غالب اراضي بلاد آشور، وهي ذات تلال واطئة تغطيها الحشائش ، وتمتاز باعتدال مناخها وكثرة حبوبها وتوفر الينابيع وكفاية المطر في الشتاء والربيع لانماء محاصيل الشتاء ، في حين تحتاج المزروعات صيفا الى الارواء ، وتعد الموصل وأربيل وكركوك أكبر المدن فيها ، كما تعد المنطقة بين الموصل واربيل اكثر الأجزاء ازدحاما بالسكان ويخترقها نهر دجلة وروافده ، الزاب الكبير والصغير، غير ان ارتفاع الأرض بالنسبة لمستوى مياه الأنهار قلّل الاستفادة من مياهها للري مما جعل الآشوريين يهتمون بوسائل الري وشق القنوات على انواعها وأوضحت خارطة قديمة كثرة القنوات الاروائية في منطقة كاسور (كركوك) خلال العصر الأكدي .





### ٣- منطقة الوديان وسفوح الجبال :

وهي اكثر ارتفاعا من السابقة وذات مطر يكفي لزراعة المحصولات ولو بانتاجية أقل. وتنمو فيها الحشائش وتكثر المراعي وتتفجر في بعض أجزائها العيون، ويمكن الحصول على المياه بحفر آبار قليلة العمق، كما تضمنت احواضا منخفضة مليئة بالترسبات الغرينية، جعلتها صالحة للزراعة، مثل سهلي قرة قوش شرقي نينوى، وتلكيف شمالها والمتصل بسهل ستيك جنوب وجنوب غرب دهوك.

أدت الزراعة دورا مهما في حياة الآشوريين، واهتم بها الملوك وأولوها ذات الرعاية التي قدموها لقواتهم المسلحة، فلم تكن بلادهم ثرية بصورة طبيعية حيث انتج وادى دجلة الضيّق مع جباله العالية نسبيا على جانبي النهر بصعوبة المحصولات الزراعية الكافية لتزويد السكان، وجعلت الآشوريين ينظرون الى ماوراء حدودهم لتعويض النقص. ويوضح حسن اختيار الآشوريين لمواقع المدن التي اتخذوها عواصما، وأسماء الأشهر الآشورية خاصة في عصورهم الاولى، والنصوص الاخبارية وتفاسيرها وصور المنحوتات والأختام، الدور الذي أدته الزراعة في حياتهم، فقد شيدت مدينة آشور عند مصب وادى ام الشبابيط بدجلة، حيث يصب نهر الزاب بالأخير، والى الشمال منها بقليل تتلاشى المرتفعات وتتسع السهول على جانبي دجلة الغربي، كما في جانبه الشرقي، ويمتد السهل حتى منطقة القيارة رغم ان التربة مسامية تميل طبقاتها نحو النهر، مما يقلّل الاستفادة من مياهه للزراعة الى جانب ارتفاع ضفة دجلة باتجاه المجرى. أما كلخو (نمرود) فشيدت على جانب دجلة الشرقي وشمال مصب الزاب الكبير بدجلة ووسط امتداد سهل واسع، وشملت منطقة نينوى سهولا، وكانت سوقا طبيعية لتبادل المنتجات بين الجبال والسهول، وكذلك دور شروكين التي شيدّها سرجون الثاني.

أطلقت نصوص المراكز التجارية الآشورية بآسيا الصغرى على شهر آذار اسم شهر البساتين (كرانيم) وسمّت تموز وآب بشهري الراعي والراعية على التوالي، ونقرأ في العقود عن أشهر التذرية والحصاد، واطلق على الشهر الخامس في التقويم الآشوري خلال العصور الاولى شهر جمع البلوط والذي قد يكون بداية الربيع، لأن شهري تموز وآب مبكران لجمعه، الاّ اذا كان المقصود جمع مَنّ البلوط، كما نقرأ عن شهر المحراث، والشهر الذي تعمل فيه الثيران (السقي) وشهر البطم (اذا صّحت القراءة) والذي يدل على معرفة الآشوريين بالزراعة المتخصصة منذ وقت مبكر.

ورد في نصوص الأحلام الآشورية أحلام وتفاسير ذات علاقة بالزراعة تصور مدى اهتمام الآشوريين بها أمثال (اذا رأى بالحلم بأنه يأخذ محراثا ويبذر بذورا ....) (اذا رأى في الحلم انه يأخذ محراثا ولايبذر شعيرا .....) (اذا حرث الأرض بمحراث) (اذا حرث بمحراثه في مركز المدينة)، كما نقرأ في النصوص الاخبارية (عندما يكون الكوكب العقرب، عند ظهور الفجر، ضمن قرن القمر الأيمن، فسوف يطغي الجراد ويأكل محاصيل الحصاد) و (عندما يكون القمر محاطا بنهر- هالة- فمعناه ان فيضانا ومطرا قويا سوف يحدثان).

ان المنحوتات والأختام الاسطوانية الآشورية مليئة بصور طقوس ذات علاقة بالخصب ووفرة الانتاج ورموز مرتبطة بها، فقد فسر الرجل التنين والرجل السمكة وغيرهما، والتي نلحظها في صور الأختام الأسطوانية بأنها يمثلان المناخ الطّيب والرياح المفضلة، وفسرت الكائنات البشرية ذات الجناحين او الأربعة اجنحة في المنحوتات الآشورية رسلا مجنحة للقوة والصحة ترافق غنى الحصاد ووفرته في بلاد آشور، ونرى في صورة القرص المجنح متضمنا الآله القويّ آشور ومياه الأمطار تنهمر منه الى الأرض. وقد حل القرص المجنح محل الاناء

الفوار في المنحوتات البابلية ويرمز الأول الى الآله شمش (الشمس) الذي اعتقد العراقيون القدامى بهيمنته على مياه السماء وقرن مع الاله آشور والسماء ، ويظهر في منحوتة شعار القرص المجنح تنزل منه الأمطار وتحته اله ملتح يرفع يديه نحو القرص لاسناده ، والى اليمين اله بشكل سمكة وانسان حاملا سطلا بيد ، ويشير باليد الاخرى الى القرص . وفي الجهة الثانية متعبد يمثل الاله اشور. وصور في طابوق الملك توكلتي ننورتا الثاني المزجج السحاب الممطر على جانبي الآله اشور، وهي جزء من صفات هذا الاله وشخصيته وذات علاقة بأثر المناخ في بلاد آشور حيث تعتمد الزراعة كثيرا على المطر، وعجّت المنحوتات الآشورية وأحيانا الأختام الاسطوانية خاصة في الفترة المتأخرة بالزخرفة المعروفة بشجرة الحياة المقدسة التي قيل انها تمثل الآله آشور او النخلة ،

ولكن صورة الشجرة أقرب الى شجرة الصنوبر المعروفة في المنطقة الشمالية وترتبط بها زخارف من غصون وأزهار، ويقف على جانبيها كائنان خرافيان بيد كل منهما مخروطا يقربه الى الشجرة ، ويحمل في اليد اليسرى سطلة صغيرة ، وتمثل الصورة طقساً خاصاً ، وقد فّسرها بعضهم بكونها ترمز الى عملية تلقيح النخل ، غير ان عدم وجود النخيل في شمال العراق يضعف هذا الافتراض ، ولكن الآشوريين اعتقدوا بأن النخلة منبع الخير والبركة ، اما الكائنان فهما رسل القوة والخصب يقدمان البركة والنشاط الى النخلة التي تمثل الانتاج الزراعي الجديد ، وصّورت في ختم من حوالي ١١٠٠ ق. م شجرة الحياة ، وقد وضعت على جبل وهي تنبثق من جرة ماء فوقها القرص المجنح الذي يمثل السماء او السحب ينزل منه المطر الى جرّتين ، وفي ختم آخر صورة شجرة الحياة وفوقها القرص المجنح والملك وبيده مخروط الصنوبر يقربه بيده اليمنى الى الشجرة وخلفه الملاك المجنح حاملا المبخرة .

اهتم الملوك الآشوريون بالزراعة والرى كثيرا ، فذكر توكولتي نينورتا الأول شقه القنوات ، وتعرض توكولتي نينورتا الثاني الى حفر ٤٧٠ بئراً، وأخبرنا آشور ناصر بال الثاني عن اصلاحه قناة في آشور لم تعد صالحة للملاحة منذ ثلاثين عاما ، وتكلم سرجون الثاني عن حفره الأخاديد التي لم تر ، حسب قوله ، المحراث في أي عهد من الفترات السابقة ، وعن شقه القنوات واصلاحه السدود وزرعه الحقول والبساتين ، وكانت مشاريع آشور ناصر بال الثاني وسنحاريب الاروائية ذات أهمية كبرى وان الرسائل الملكية من العصر السرجوني عاجة بالأخبار الخاصة بالزرع ودرء الأخطار عن الأراضي وحماية المحصولات .

فرسالة تنبئ باحتمال طغيان الجراد ، وأخرى باستمرار مياه الفيضان بالارتفاع عن مدينة كوريان (قصبة آشورية على الحدود الشمالية) وغيرها عن تجمع الحبوب وحراسة القطعان الملكية ونقل العلف ، ونقرأ في النصوص أدعية ضد من يحنث بقسمه يدعو الآلهة بها ان تنتقم من محصولاته وتحبس المياه عن أرضه ، فجاء في وثيقة «اذا أذنب ماتي – ايلو وأولاده ضد القسم الذي – قطعوه – الى آشور نراري فعسى ان يجفف أدد آبارهم ويحبس عنهم المطر وأن لاينشد الفلاحون أغنية الحصاد في الحقول ، وأن لاينبت – في حقوله – اي نبات في الربيع» ، والحوليات الآشورية مليئة بالتشابيه المنتزعة من الحياة الزراعية ، فقد شبّهوا تقدم جيوشهم بزحف الجراد ، ومثّل سنحاريب امتلاء ساحة المعركة بجثث قتلى العدو بالقول «ملأت الحقول بهم مثل الحشيش وقطعت أيديهم مثل بذور الخيار الناضج» .

**ملكية الأراضي :**

ضمت القوانين الاشورية الخاصة بالأراضي احتراما للحدود ، وعلاماتها وتقسيم عادل لماء الرى ، فجاء في المواد ٨ – ١٠ من مواد اللوح





الثاني مانصه "اذا تجاوز رجل على أهم ممتلكات جاره فاذا اتهم بذلك وثبتت عليه الدعوى ، فعليه ان يعطي ثلث حقله بقدر ماتجاوز عليه ويقطعوا أحد أصابعه ويضرب مائة جلدة ، ويسخر للملك شهرا كاملا" "واذا تجاوز جار على حصة جاره الأقل أهمية وثبتت عليه الدعوى لدى اقامة الدعوى ، فعليه أن يدفع طالنا واحدا من الرصاص ، ويؤخذ ثلث الحقل الذي تجاوز عليه ويجلدوه خمسين جلدة ، ويعمل شهرا للملك" و "اذا حفر رجل بئرا او عمل سدا في حقل يعود لغيره فسوف يخسر بئره او سده عندما تثبت عليه الدعوى ويجلدونه ثلاثين جلدة ويعمل عشرين يوما عند الملك". فأرض كل مالك محترمة لايجوز التجاوز عليها ، وضمن القانون حرمة تلك الحدود ، وعاقب كل المتجاوزين ، وسمح القانون لمن يغرس بستانا او حقلا ان يمتلكه اذا كان صاحبه موافقا شريطة ان يعوّض الأخير بقطعة أرض أخرى.

اما اذا قام بذلك دون موافقة صاحب الأرض فان الأخير يأخذها وما أنجز عليها اذا أقام عليه الدعوى ، حيث ورد في المادتين ١٢ – ١٣ من اللوح الآشورى "اذا زرع رجل بستانا او حفر بئرا او زرع أشجارا في حقل جار له بمعرفة صاحب الحقل ودون اعتراضه ، فان ذلك الرجل حر في تملك الحقل شريطة ان يعوّض صاحبه بحقل مقابل حقله" و "اذا قام رجل بزرع بستان او حفر بئرا أوزرع خضراوات في أرض لاتعود له ، فاذا اتهم وثبتت عليه الدعوى ، فحال حضور صاحب الحقل فانه سيأخذ البستان وما قام به الرجل".

يتم بيع الأراضي بموجب وثائق بيع خاصة ، وتتألف كل وثيقة عادة من مقدمة تتضمن أولا موافقة البائع وطبيعة الأرض وما عليها من فلاحين وعبيد ، وثانيا وصف كامل وعبارة كون قيمة الحقل قد دفعت بالكامل ، وثالثا بنود خاصة بخرق اتفاق البيع والعقوبات التي تفرض على من ينكل عن العقد ، وقائمة باسماء أناس يمكن ان يتخذوا اجراءات لذلك وما يترتب من عقوبات وأخيرا القسم والتاريخ والشهود ، وتحدد عقود لبيع الأرض او رهنها حدود المزرعة بالتفصيل ، فتذكر الجيران والطرق والقنوات ويضع البائع ختمه أو ظفره ، وينص القانون الآشوري على وجوب اعلان بيع الملاكين لأراضيهم بصورة رسمية ، وعندما لايكون ثمة اعتراض يسجل البيع بوثيقة تودع في سجلات الدولة الرسمية ، ويحتم استخدام مناد يعلن داخل مدينة آشور او حيث تقع الأرض ثلاث مرات( لابد ان كانت بأوقات متفاوتة ) ويدعى المدعون في تلك الأرض الى اثبات ادعائهم بوثائق خلال شهر واحد أمام مجلس موظفين ، يضم ممثل الملك وناسخ المدينة والمنادى والعمدة وبعض الحكّام وثلاثة وجهاء شهودا ، واذا اثبت الادعاء فيلغى البيع حيث جاء في المادة السادسة من لوح القانون الآشوري "... وقبل ان يمتلك الحقل والدار ( الذي فيه ) فعليه أن يعلن بوساطة مناد (ان كانت داخل مدينة آشور) ثلاث مرات خلال شهر واحد او ان يعلن ثلاث مرات في المدينة حيث يقع الحقل والبيت اللذان سيشتريهما قائلاً «اني على وشك شراء حقل ودار فلان بن فلان الواقع ضمن حدود هذه المدينة ،

فعلى الذين لهم ادعاء في الملكية ان يقدموا حججهم ويبرزوها أمام المسجلين ويقدموا ادعاءهم ويظهروا التملك الصحيح (وآنذاك) يأخذ الملك. ومن قدّموا عقودهم خلال شهر واحد ، فما دام هناك وقت ووضعوها أمام المسجلين فان حقوق هذا الشخص مضمونة فيما يتعلق بحقله وسوف يأخذه ، واذا أعلن المنادى في مدينة آشور نداء فان أحد موظفي الملك وناسخ المدينة والمنادى ومسجلي الملك يعقدون جلسة ، وفي حالة مدينة أخرى ، حيث يكون الشخص على وشك أخذ الحقل والدار ، فان محافظ المدينة وثلاثة من مسنيها يجتمعون ويأمرون المنادى بالاعلان ويكتب له اللوح ويعطونه حقه في

الحقل والدار. وتغدو ملكا لمن أعلن المنادى ادعاءه ويدوّن الحكام ثلاث نسخ من نداء المنادى".

لم تكن قسمة الأرض في غالب الأحيان بالتساوي على الرغم من ان القانون الآشوري قد حتم اعطاء الابن البكر حصتين يختار واحدة بنفسه ويستحصل الثانية بالقرعة، حيث ورد بالمادة الاولى من اللوح الثاني "اذا اقتسم اخوان مقاطعة والدهم الزراعية.... البساتين والآبار في الأرض فان الابن الاكبر يأخذ حصتين، حصة واحدة وبعده يختار اخوته حصصهم، وان الأصغر سنا يقسم الأرض الزراعية وكل المحاصيل ويختار الابن الأكبر حصة واحدة له ثم يعمل الباقون قرعة بينهم ليأخذ كل أخ حصته". ويمكن ان تعطي اي وريث (اذا كانت الأرض الموروثة قد تمت قسمتها) اذا ارتكب حادث قتل كدية لأهل ضحيته، واذا خان احد الأخوة او هرب فان الملك يتصرف بحصته كما يشاء. ويظهر ان الدولة لايمكن ان تتصرف بحصة الوريث تحت أي ظرف اذا كانت الأرض الموروثة بعد لاتزال مشاعة وغير مقسمّة بين الأخوة، حيث ورد في المادة الثالثة من لوح القانون الآشوري الثاني"اذا ارتكب أحد الأخوة قبل قسمة أرض والدهم. خيانة او هرب فان الملك يتصرف بحصته كما يريد".

امتلكت المعابد الكثير من الأراضي التي كانت في تزايد مطرد على الرغم من أن مركز الكهنة في بلاد آشور لم يكن قويا مثل مركزهم في بلاد بابل لعدم رغبة الملوك الآشوريين في تقوية نفوذهم وتوسيع صلاحيتهم وزيادتها، فمنذ زمن شيلمنصر الأول قدمت الأرض للمعابد كي تزودها بالتجهيزات، وكانت املاك المعابد معفاة من الضرائب والرسوم وأعمال السخرة وما الى ذلك، وأعطى سرجون الثاني الآشوري مقاطعة زراعية الى معبد الآله سين في حرّان، أخبرنا حفيده أسرحدون قد نقض تلك المنحة فيما بعد فحلّت النكبة بشعبه بان سرجون.

وكانت هناك اراضي تمتلكها المدن، فقد كانت لمدينة آشور اراضي خاصة بها كانت تقدم لأشخاص معينين وغالبا ما كان يعاد النظر في ذلك، وبصورة عامة كانت اراضي الدولة الآشورية أسميا بيد الملك وبعضها تحت ادارته الخاصة مباشرة اي اراضي خاصة بالدولة ملحقة بشتى مرافق الدولة الادارية الى جانب اراضي خاصة بالملك نفسه، وأخرى لولي العهد الذي كان يمتلك أراضي واسعة على الأقل من العصر الآشوري المتأخر مع موظفين كثيرين لادارتها.

وكان في كاسور (نوزى خلال الفترة الحورية في كركوك الحالية) خلال العصر الأكدي مسجل للحقول واجبه حفظ الوثائق الرسمية الخاصة بالأملاك، وهناك أراضي يمتلكها الملك او الحكّام او الأفراد، وقد وصلت الينا من نوزى وصايا لاثرياء بمنح اراضيهم لمن يريدون بعد موتهم، وتحدد نصوص نوزى بصورة عامة موقع الأرض بالضبط وأحيانا بصورة مطولة، ويأخذ الابن البكر في نوزى عادة ضعف الحصة التي تعطى لكل من اخوته الآخرين ويختار الابن الأكبر حصته ثم تقسم الحصص الباقية بين الاخوة بالقرعة، وكان تملك الأرض في نوزى على انواع منها التملك المشترك الذي فسر على أساس تبني صاحب الأرض للمشترى مما يدل على حق العائلة في الملك،

فالأرض بالأصل ممنوحة الى المالك بموجب التزامات عليه القيام بها حيث ليست هناك اية عقود عن بيع مباشر للأراضي، ثم عقود تبادل خاصة بتثبيت ملكية قطع تم الحصول عليها في اماكن متعددة وجعلها اقطاعية كبيرة واحدة.





### الأراضي الزراعية :

كانت الأراضي الزراعية تحتسب بالمساحة التي كانت تختلف من أرض الى أخرى ، فهناك اراض واسعة جدا ، وأخرى متوسطة وغيرها صغيرة المساحة ، وكانت قيمة الأراضي تحتسب بكمية البذور المطلوبة للبذر، وتتألف الأراضي من حقول وبساتين ومراع ، وما فيها من بنايات (بيوت ومخازن) وآبار، ويشكّل الفلاحون الاحرار المرتبطون بالأرض والعاملون في فلاحتها جزء من الملك ، يباعون ويشترون معها ويعطون رهينة لضمان قرض تسلمه صاحب الارض. وكثيراً مايكون في الارض عـبـيـدا الى جـانـب الـفـلاحـين الأحرار، وبالوقت الذي تذكر فيه العقود أسماء العبيد فقط تذكر عادة أسماء الفلاحين الأحرار، مرفقة بأسماء آبائهم ، وربما كان الفلاحون الأحرار يدفعون نصف واردهم او ثلثه الى أسيادهم ، ويتحمل أصحاب الأرض اثمان البذور والالآت الزراعية وحيواناتها وتطهير القنوات، وكان أصحاب الأرض يؤجرون أراضيهم ، ويكون الايجار عادة لمدة سنتين، سنة للزرع وثانية تبور خلالها الأرض لاراحتها وتمكينها من استعادة نشاطها وخصوبتها ثم حرثها واعدادها للزرع . ونقرأ في العقود عن ايجار لمدة ست سنوات وثماني سنوات .

تسمّى الأرض عادة باسم صاحبها او بالنسبة لمكان معين او قرية قريبة ، لو لشئ (او حجر الحدود) او لجماعة (ام الكلديين ، مزرعة الآراميين) ، وتسمى الحقول احيانا باسم شخص متوفي أو لايسكن فيها . وكانت الدولة تمتلك الأراضي الكثيرة حيث نقرأ في النصوص عن موظفي الدولة بألقاب مثل الراعي الاعلى ، ومسؤول الري ومسؤول البساتين الخ . وكان الملك يمنح الأراضي من ممتلكات الدولة ، ويظهر ان الملك كان يعد الأفراد أحيانا شفويا ، فقد جاء في رسالة من أميل – نابو يذكر فيها بأن الملك قال له ذات مرة «تعالى أزرع للحصاد واجمع لنفسك بصورة كاملة وتمتع بها تحت حمايتي ويخاطب الملك بالقول : «فليأت رسول سيدى الملك ويتفحص ارض والدى التي أرجعها الملك لي وكيف ان مانوكي رامان قد خرّبها ، ويخبره انه رفض ان يسلّم الحبوب والعلف". وأحيانا قد يغتصب موظف كبير أرضا فنعرف ان مانوكي رامان كان البواب الرئيسي وأخذ مرة (بأمر ملكي) اراضي والد شارو نائيد ولم يعمرها ، وعندما تحرى الأخير وجد أن الملك او ولي العهد فقط يتمكنان من ارجاع الأرض إليه، وكانت منح الملك من الأراضي على اربعة أصناف :

١- أراضي يمنحها الملك الى أشخاص مكافأة لاخلاصهم وخدمتهم الطيبة له ، وفي العادة يحدد قرار المنحة الاعفاءات المرفقة بها ، ومن هذه منحة الملك تجلاتبليزر الثالث الى موظفه بيل –حران بيل –او صور ومنحة الملك آشور بانيبال لموظفه بولتا ، فقد منح آشور بانيبال موظفه هذا لشجاعته حقلا وأعفى كل حقوله وبساتينه من كل الرسوم والعشور، حيث جاء في وثيقة المنحة "لاتفرض عليها ضريبة الشعير ولايؤخذ منها علف ولايساق اي حيوان من قطعانه كانتاج اولي ولا تفرض على حقوله وبساتينه اية ضريبة ولا يسخر رجاله وانهم معفون من جمع حقوق المرور واستعمال الأرصفة".

٢- اراض يمنحها الملك الى اشخاص كي يقدموا عطايا الى معبد معين، ومن هذه مكافأة الملك ادد– نراري الثالث لاراض الى ثلاثة اشخاص من قرية مانا غويا وحدد بالوثيقة العشور الواجب عليهم تقديمها الى الاله آشور والالهة باو.

٣- اراض يمنحها الملك لأفراد تعويضاً لهم عن أراض انتزعتها الدولة او الملك نفسه ، فعندما





أراد سرجون الثاني الآشوري بناء مدينة دور شروكين اعطى لاصحاب الاراضي التي صادرها لغرض البناء في قرية مانا غوبا أراضيَ أخرى بدلا عنها وأعفاهم جميعا من ضريبة الشعير ورسوم العلف العينية ومسؤولياتهم تجاه الآله آشور، وعوّض الاخير عن خسارته نتيجة هذا الاعفاء باعطائه حقلا.

٣- اراض يمنحها الملك الى كهنة اوموظفي معبد مقابل خدماتهم المعبدية اوحسن ادائهم لها.

**العلاقة الزراعية :**

كان غالب الفلاحين لايمتلكون الأراضي التي يزرعونها بل يعملون عليها،وكثير منهم يشتغلون عمالا زراعيين وقت الحصاد، ويصعب معرفة كيفية توزيع حصص الانتاج بين ذوى العلاقة (الفلاحين والملاكين) ولدينا دليل من كاسور عن تسلم الفلاحين المرتبطين بالأرض ارزاقا عن اعمالهم، وكان العبيد قليلين خاصة على مقاطعات الأثرياء الواسعة بوقت كان الطلب فيه كبيرا على الأيدي العاملة في الزراعة لانشغال الآشوريين في الحرب، وقد اتبعت وسائل للتعويض عن عمل العبيد او بتحويل الفقراء الى عبيد.

وكان في كاسور خلال العصر الأكدي مقاطعة زراعية تحت ادارة مدير برفقة ناسخين اثنين ومشرفي عمل ومراقبي عمل، ويرتبط بالآخرين مراقبو الفلاحين الذين يحرثون الأرض. ويعمل في الارض الزراعية الفلاحون المرتبطون بالأرض وأقل منهم العبيد، وكان يدير مقاطعات الملك موظفون وجنود عاملون الى جانب عبيد الملك، وربما كان واجب الجنود العاملون في المقاطعة حراستها الى جانب فلاحة الارض، ونقرأ عن مقاطعة زراعية على مديرها ان يبذر ٣٣ ايكرا من الارض ولديه ١٧٠ عاملاً زراعيا وعشرة فلاحين، مما يدل على ان المقاطعة الزراعية كانت مؤسسة اقتصادية مهمة خلال العصر الاكدي في كاسور، ولكونها الوحدة الأساسية للاقتصاد الزراعي.

كان الملاكون يقرضون فلاحيهم نقدا او عينا (خمراً او زيتا او حبوبا او ماشية) ويكون الدفع وقت الحصاد، واذا دفع الفلاح دينه وقت الحصاد فلا فائدة عليه، واذا لم يقو على الدفع، فعليه ان يدفع فائدة بالسعر المعروف في نينوى، ونعرف من كاسور خلال العصر الاكدي ان الفلاحين المرتبطين بالأرض كانوا يتسلمون عن اعمالهم حبوبا، وهي عادة شعير وقد كانت تختلف باختلاف الجنس والعمر حيث نقرأ في نص (رجال بالغين) يتسلم كل منهم ٦٠ قا شعير شهريا، نساء بالغات ٣٠ قا شعير شهريا، اولاد ٢٠- ٣٠ قا شعير شهريا، بنات ٢٠- ٣٠ قا شعير شهريا، اطفال رضع ١٠ قا شعير شهريا. وهناك دليل غير مؤكد عن قطع اراض تتراوح مساحتها بين ١- ٥ ايكرات يديرها فلاحون مرتبطون بالأرض.

أكد القانون الآشوري على ضرورة تعاون أصحاب الحقول في السقي من الآبار اومياه الامطار وتنظيف قنوات الماء وجداوله، فقد جاء في المادتين ١٧- ١٨ على التوالي من لوح القانون الآشوري الثاني مانصه: "اذا كان في الآبار ماء يمكن جلبه لسقي الأرض يكفي لزراعتها فعلى اصحاب الحقول (المعتمدة على هذه الآبار) ان يساعد بعضهم بعضا، وعلى كل منهم ان ينجز العمل (الخاص بمجرى الماء) ضمن مساحة حقله، وله (بعد ذلك) ان يسقي حقله، واذا لم يكن بينهم اي تعاون (على تنظيف مجرى الماء كل للمسافة المتعلقة بأرضه) فيمكن للرجل المتعاون منهم ان يطلب من القضاة اصدار امر تحريري، فيقوم القضاء بتثبيت (الاتفاق) وعندئذ يأخذ كل شخص المياه التي تكفي لسقي حقله و (اذا كانت هناك مياه أمطار) يمكن جلبها لسقي الأرض لتهيئتها للزرع، فعلى اصحاب الحقول (المعتمدة على مياه الأمطار هذه)

ان يساعد بعضهم بعضا ، وعلى كل منهم انجاز العمل (الخاص بمجرى الماء) ضمن مساحة حقله ، وله ان يسقي حقله ، واذا لم يكن بينهم اتفاق على تنظيف مجرى الماء كل للمسافة المتعلقة بحقله فعلى الموافق (على الاتفاق) ان ينال من القضاة تخويلا ضد الذين لم يوافقوا عليه ، ويجب ان يحضر رئيس المدينة وخمسة من مسنيها والمخالف يضرب.... جلدة ويخدم شهرا كاملاً في اعمال الملك".

اذا اراد شخص زرع حقل لايعود اليه فعليه استحصال موافقة صاحب الحقل اولا ، والاّ فعليه أن يقدم للمالك ضعف غلّة حقول المدينة حسب مساحة ذلك الحقل ، حيث ورد في المادة ١٩ من لوح القانون الآشوري الثاني "اذا اراد شخص ان يزرع حقل جاره ومنعه موظف وأقسم بالملك (بشرعية عمله) واستمر بزرعه ، فعند مجيئ مالك الحقل فعلى الشخص الذي زرع الحقل ان (يحصد الحبوب) وقت الحصاد ويدرسها ويخزنها بمخزن عمومي ويحوّل الحقل الى مرعى ويعطي لصاحب الحقل ضعف غلّة انتاج حقول المدينة".

كانت أراضي المنطقة الخاصة بسكان المدينة / القرية على اربعة أنماط ، فاما ان تكون أراضي خاصة بالمدينة / القرية ، او اراضي مزروعة (أراضي خارج القرية) وأراضي غير مزروعة وأراضي خلفية ، ويمكن ان تتحدد الأراضي بحدود معينة وضمن الأرض القطع التي كانت هي الأخرى مقسمة. وان الأراضي تعود الى الأسر التي تقسمها الى قطع موزعة بين أفرادها،وليس من الضروري ان تكون القطع متساوية المساحة،وللافراد حق التصرف بقطعهم ، وفي حالة بيعها فللمشتري حق اختيار الأرض بموقع أحسن حتى في الأرض غير المزروعة او الخلفية. ومن الصعب معرفة السبب في عدم اعطاء القطعة الى المشتري بقطعته منذ البداية دون السماح له بالاختيار وما الأسباب التي تقف امام عدم رضا المشتري بقطعته. فربما كانت هناك اعتراضات من الجماعة على ضرورة اعطاء المشتري قطعة من الأرض غير المزروعة التي لايكون الحصول عليها بيد البائع. وهناك مادة تمنع المشتري من اختيار القطعة في طريق او أرض دوس محه ول او ذات بئر أو قناة اروائية ، اي ان البيع يجب ان لايكون على حساب مصلحة الجماعة كلاً. ولذلك تؤكد الوثائق عدم شمول البئر وأرض التذرية المشتركة بالبيع ، فالأرض ملك الجماعة التي لها وحدها الكلمة الاخيرة في الموافقة على البيع ، وتحتوي العقود عبارة ان كانت القطعة المبيعة قد ورثها البائع او اشتراها وتظل القطعة الموروثة جزء من مقاطعة العائلة،وليس هناك فرق بين الارض الموروثة او المشتراة لأنها في الحالتين ملك الجماعة ، وبذلك يصبح المشتري عضوا في الجماعة وليس في العائلة ، الاّ اذا اجبر على اختيار قطعته في الأراضي غير المزروعة وربما تدل هذه الاجراءات على ان عمليات البيع والشراء كانت ظاهرة جديدة. وتظهر الوثائق نشاطا غير عادي لشراء الاراضي من قبل فئة صغيرة مما يدل على تدهور الزراعة في بلاد آشور ونقرأ في النصوص عن رهن وبيع حقول كاملة بما عليها من أراضي دوس وآبار وبيوت ، ولا يحق للمشتري في هذه الحالة الاختيار عند الشراء ، وللأراضي الواسعة حدود دائمية ولا تنتقل ملكيتها بين فترة واخرى ويمكن ان تكون ملكا لعائلة واحدة تتوارثها او للجماعة ، غير أنها خاضعة للتقسيم على الافراد. ويمكن لابناء الأسرة الواحدة بيع حصصهم بعضهم لبعض او لغيرهم او تبادلها فيما بينهم او مع آخرين ، ولدينا أمثلة على عوائل اصابتهم الحاجة فباع افرادها قطعهم الى شخص واحد ، وفي أرض كل عائلة حصة للقصر اعتقد بكونها دائمية تزرعها العائلة وتسلم ايرادها الى الدولة او ممن تخوله بتسليمها.

فرض الآشوريون ضرائب على المنتجات الزراعية سواء داخل بلاد آشور او في المناطق التابعة





لهم، وهي تختلف باختلاف الأراضي من ناحية سعة الأخيرة وموقعها وما تستنبته من المحصولات وما الى ذلك، وأحيانا تعفى الأراضي من هذه الضرائب ويتحمل الشخص الراهن للحقل دفعها، وأهم الضرائب الموساخي والشيبسو وتدفعان عن الأراضي المروية، ويكون رئيس مأموري المخازن هو المسؤول عن جبايتها، وهناك ضرائب على العلف والقطعان الى جانب السخرة ونقرأ عن اعفاءات من الرسوم وضرائب الحبوب (مايداس) والفواكه (مايقطف)، وهكذا حرص الآشوريون على أخذ احصاء للأشخاص وواردآتهم، وفي رسالة يأمر الملك موظفا عنده ان يعد قائمة بالموظفين الاحرار ربما لاعفائهم من الضرائب.

كان العاملون بالزراعة في بلاد آشور كثيرين جدا، وكان الفلاح يشيد في المزرعة التي تزرع حبوبا (حنطة أو شعير أو ذرة) عادة دارا ومكانا لخزن الحبوب، واستعمل الآشوريون انواعا شتى من الآلات في العمليات الزراعية كالمساحي الخشبية والبرونزية والحديدية في عصورهم المتأخرة فنقرأ عن مر برونزي من فترة الملك سنحاريب ومساح خشبية من عهد ولده أسرحدون، ونلحظ في تعويذة عن مساح مصنوعة من خشب الطرفاء، وكان لظهور الحديد وانتشار استعماله في العصور الآشورية المتأخرة أثر كبير في تحسن الالآت وزيادة الانتاج، فقد عثر في أحد مخازن دور شروكين على كميات من الالآت الزراعية المصنوعة من الحديد أمثال الفؤوس والمطارق والمعاول والمحاريث، وكان المحراث عادة يصنع من الخشب عدا السكة في النهاية السفلى فتكون من الحجر او النحاس، ثم صارت حديدية فيما بعد. وفي رسالة من الملك شمشي ادد الأول لولده يسمح ادد حاكم ماري يخبره فيها بصنع المحاريث الخشبية، وكان المحراث يتألف من قضيب عمودي ينتهي في القمة بنوع من الصندوق، لابد ان كان لوضع البذور حتى تسقط في الأخاديد التي يشقها المحراث في الأرض ويجر المحراث عادة الثيران التي يختلف عددها وفي الغالب بين ١ - ٢، ويظهر انهم استعملوا آلة أخرى للحراثة أطلقوا عليها اسم الشوكارورو، وتتألف من قرص دائري مزود بنتوءات تشق الأخاديد في التربة، وكان للمحراث قدسيته ونراه في الصور الجدارية بمعابد دور شروكين مع شجر التين، مما يدل على ارتباطه بالالهة في معتقداتهم، واستعملوا الفؤوس والمعاول والمطارق لتفتيت كتل الطين الصلبة واستعملوا المناجل للحصاد الذي كان يحل في بلاد آشور ابتداءا من شهر نيسان ويستمر الى نهاية حزيران، ونرى في منحوتة الملك آشور ناصر بال الثاني يحمل منجلا ويبدو في صورة في قصر سرجون الثاني بدور شروكين وبمنحوتة لأسرحدون بأن المنجل صار اكبر وأكثر تعقيدا في العصر الآشوري المتأخر.

كان المحصول يداس بقطعة سميكة من الخشب الصلب ذات السطح المسنن يصل الأرض وتكون النهاية الأمامية عالية قليلا وأدخلت في الثلمات شظايا من الصخر والمعدن، وهناك على القطعة المعدنية مكان لسائق الحيوانات/ الحيوان التي تجر الآلة، وعندما تدور الآلة على المحصول تفصل البذور عن السنابل والمعتقد أنها عمت خلال العصر الآشوري المتأخر.

**المحاصيل الزراعية :**

يظهر ان الحنطة الثنائية البذرة قد تأصلت في شمال العراق، ونقرأ في اسطورة سومرية مايدل على قدم معرفتهم بنوع من القمح اطلقوا عليه قمح الجبال مما يدل على أصله الجبلي، وربما تكون هي الحنطة الثنائية البذرة، وكانت الحنطة قد وجدت في موقع جرمو ذات سنابل مختلفة النوعية فبعضها ردئ ورخو وغيرها مكتنزة قريبة الشبه بثنائية البذرة، واشتهرت بلاد آشور بزراعة الحنطة. والمعروف ان الشعير قد بدأت زراعته في جرمو، وكان من نوع





شعير الدورتين وهو وسط بين النوع البري والمستنبت ، وربما كان حصيلة تهجينها ، ونقرأ بأسطورة سومرية ان الهين أخوين ادخلا الشعير الى الجنوب جلباه من الجبل حيث خزنه الآله انليل مما قد يدل على أصل الشعير في موقع مطارة في جنوب كركوك وحلف بالجزيرة الفراتية ، وكان الشعير اكثر المحاصيل شعبية ، وتذكر النصوص الآشورية من الألف الأول ق. م الشعير الأبيض ، والشعير ذا الحبوب الصغيرة ، والشعير الرمادي الفاتح اللون مما يدل على معرفتهم بأنواع عدة منه .

يبدو أن زراعة السمسم قد دخلت شمال العراق متأخرة ، وقد فضلوا زيته على كل انواع الزيوت الاخرى التي عرفوا الكثير منها ، ويفتخر الملك سرجون الثاني (في الغالب مبالغا) بأن السمسم يباع بسعر الحنطة في وقت نجد اسعاره اكثر غلاء من الحبوب بثلاثة أضعاف ونصف في نصوص الملك آشور بانيبال (٣٣٤ قا من الحبوب يعادل سعر ٦٦ قا سمسم) ، وتعود أهمية السمسم الى استخلاص الزيت الشديد الطلب في بلاد آشور منه حيث نقرأ في القانون الآشوري عن هجر الزوج لزوجته وتركها دونما زيت مما يدل على أهميته القصوى في وجبات الطعام اليومية آنذاك ، ثم قول الملك سرجون الثاني «ان الزيت الذي يرخي عضلات الرجال يجب ان لايكون غاليا في بلادي» والدال على استعماله ايضا في التدهين وحرص الدولة على توفيره بسعر مناسب للناس ، وزراعة السمسم مرغوب فيها في العراق لأنه نبات عشبي يقاوم الجفاف ويتحمل درجة الحرارة العالية ولا يأبه للتربة الفقيرة نسبيا ، وقد تضمن نص من الألف الأول . ق. م. طريقة حصاده بقطع النبات حينما تكون البذور الدنيا قد نضجت ثم تكديسها على قطعة من القماش حتى تنضج بقية البذور ونقرأ عن نوع السمسم الأبيض مايدل على معرفتهم أصنافا منه وقد زرع السمسم أيضا في المثلث الآشوري والذي لم يكن من نوعية جيدة .

أدخل سنحاريب في بداية القرن السابع ق. م شجرة القطن التي اطلق عليها «الشجرة التي تنتج صوفا» والتي تحتاج الى تربة هشة تمكن جذورها من التغلغل بعيدا في التربة ، وربما زرع سنحاريب أشجار القطن في منطقة تجمعات الماء التي استخدمها الآشوريون في منطقة في شمال شرقي نينوى والتي ربما تكون أول المناطق التي شهدت زراعة القطن في العراق،واستحصل الآشوريون من بذور القطن نوعا من الزيت وأعطوا الفضلات علفا الى الماشية ، واستعملوا الباقي سمادا للبساتين ، وزرع الآشوريون ايضا الثوم ومحصولا آخر له رائحة الثوم ، ربما كان نوعا من البصل ، كما زرعوا البصل والزوان (السخلي) الذي استعملوه في الخبز والشوندر الذي يعرف عن نموه طبيعيا في شمال العراق .

قطع الآشوريون الأخشاب في الغابات الشمالية في العراق ، واستحصلوا نوعين من الاسل ، أطلقوا عليها اسم اسل الماء واسل الجبال ، وصنعوا منه الحصران والكراسي وحتى القوارب حيث تكلم شيلمنصر الثاني عن قوارب من الاسل . ومن زمن سنحاريب نقرأ عن استعمال خشب السنديان (السندو) في الاعمدة والأبواب ، ثم السيسبان المنتشر في جبل حمرين ومنطقة الموصل والسرو الذي استخرجوا منه الراتنج واستعملوا ورقه لاستخراج نوع من الزيت وللدباغة ، والصنوبر الذي ينمو بغزارة في شمال العراق ، ونلحظه كثيرا في صور المنحوتات الآشورية ، والصندل الذي استعمل سنحاريب خشبه لبناء قصره وأشجار الأرز المتوفرة في شمال العراق الذي استغل أسرحدون خشبها في اعادة تعميره بابل .

كانت المنطقة حوالي مدينة حرّان زمن الملك سرجون الثاني ، كما هي الآن ، مركزا كبيرا لجمع البلوط ، ويعطي نص آشوري عدد أشجار البلوط في منطقة حرّان ٤٩,٣٠٠ ، وربما كانت كثرة الأشجار هناك للحصول على العفص او الصبغ





القرمزى المعروف ببلوط الدودة او بلوط القرمز، وهناك نوع آخر من البلوط اطلق عليه اسم اللاكاني اواللانكانيش ادخل ايام الملك تجلا تبليزر الأول الى بلاد أشور، وقد يكون الكستناء، وربما جاء من اسيا الصغرى بدلالة المقطع كانيش في اسم الشجرة، والذي معناه في اللغة الحيثية الصبغ والذي ان صح فربما يكون هو النوع الذي يستحصل منه صبغ القرمز. ويذكر نص آشوري عدد أشجار البلوط التي تنمو عليها مثل هذه الديدان في حدائق الالهة عشتار بمنطقة سنجار بما يزيد عن الف شجرة،وحصل الآشوريون من الجبال القريبة على اللوز الذي فرقت الفصوص بين نوعين منه اطلق على الاول اسم اللوز الحلو والثاني سردوا، ثم الفستق البلدي والبوطنيم الذي هو في الغالب شجرة البطم، واستحصلوا على المن خاصة الذي تفرزه انواع من البق، وقد ذكر وجوده في مناطق ماردين طحينا ينتشر فوق أشجار البلوط او الآس ويجن صيفا قبل طلوع الشمس بهز الأغصان فوق قطعة قماش، ويستخلص منه زيت خاص يعرفه العامة الآن باسم منّ السما، ويكثر الأخير في جبال شمال العراق الشرقي في نهاية فصل الخريف، ويجنى من أوراق أشجار العفص والصنوبر على هيئة معجون شفاف.

وكانت منطقة السهوب والسهول الواسعة الممتدة الى سنجار وتلعفر ذات المطر الغزير معروفة بوفرة محصولاتها الزراعية، ويعود ثراء دولة الحضر في فتراتها الأخيرة الى امتداد نفوذها الى هذه الأصقاع، نشاهدفي المنحوتاتالآشورية (ولو بقلّة) الجراد مادة للأكل، وكذلك في صورتي اختام اسطوانية، وفي نصوص تذكارية مما يدل على تعرض بلاد آشور له احيانا وفتكه بالمحصولات.

**البساتين:**

كانت البساتين كثيرة في شمال العراق، وتذكر عقود بيعها عادة الأشجار الموجودة فيها وأنواعها والعبيد العاملين فيها، واهتم الملوك خاصة خلال العصر السرجوني كثيرا بالبساتين أمثال سرجون الثاني وسنحاريب، فقد أخبرنا سنحاريب عن اعادته تقسيم الأراضي السهلية المحيطة بعاصمته نينوى وتوزيعها على المواطنين لزرعها بساتين، واهتم بزراعة البساتين حول قصره بنينوى، وان البساتين التي أنشأها حول بيت اكيتو في مدينة آشور مشهورة، ولما جلب الماء الى نينوى غرس بستانا قرب قصره غرس فيها مختلف انواع الزهور والأشجار التي جلبها من جبال الأمانوس في شمال غرب سورية وجنوب العراق والتي صارت، كما ذكر، تنتج ثمارا اكثر مما كانت تنتج في اماكنها الاولى، وأخبرنا والده سرجون الثاني بأنه عهد الى المعمار نابوشار آشور بالاشراف على زرع بستان واسع حول عاصمته الجديدة دور شروكين (خورصباد) تماثل بستان جبال الأمانوس وزرعها بكل نوع من أشجار الثمر والخشب، وأقام آشور بانيبال قرب قصره بنينوى حديقة واسعة زرعها بأنواع الأشجار والفواكه، كما يمكن استنتاجه من منحوتاته، ونقرأ في رسالة عن ٢٣٥٠ شجرة تين و ٤٥٠ شجرة مشمش، يظهر أنها لبساتين الملك سرجون الثاني في عاصمته دور شروكين.

لم يدخل العنب شمال العراق الاّ في الألف الأول ق. م، حيث شاعت زراعته، ونعرف من احصاء حرّان من العصر الآشوري المتأخر ان جميع البساتين كانت مزروعة بالعنب وقد بلغ عدد اشجاره ٢٠٠ - ٢٩٠ الف شجرة وهناك منطقة بلغت أشجار العنب فيها ٤١ الفا وأخرى ٢٨٢ ألف شجرة، وتعدد أشجار العنب المصورة في المنحوتات الآشورية يدل على كثرتها. نشاهد في واحدة الملك آشور بانيبال جالسا على تخت وأمامه زوجته يحتسيان ماقد يكون خمرا نخب الانتصار على عيلام تحت عريش عنب محملا بعناقيد تشاهد مدلاة مع أشجار الصنوبر. والمعروف ان أحسن أنواع الخمور في جنوب العراق قد تم استحصالها من الشمال،





مما يدل على كثرة أشجار الكروم في الشمال وتفرعها ، وان كلمة كيرو صارت في الآشورية تعني بستانا وكرمة عنب مما يدل على كثرة زراعة العنب ووفرته بعد دخولها شمال العراق ، وسمي الشخص المسؤول عنها Amel. Nu – Kire ويظهر ان الأشجار في مثل هذه البساتين كانت كثيرة وأن وجود عشرة الآف شجرة كان شيئا اعتياديا ، ويصل العدد الى ١٥ ألفا و ٢٩ الفا . وكثرت البساتين في القطاع الخصب جنوب تلال سنجار، وتذكر وثيقتان بستانين في منطقة سنجار حوى احدهما على ٢٤٠٠ شجرة فاكهة . ونعرف عن بستان لزرع الخضراوات في نينوى يعود الى معبد الآله نرجال .

نعرف عن استعمال الآشوريين المسمدات لبساتينهم ، فقد استعملوا بقايا بذور القطن لهذا الغرض ، ومن التهم التي وجهت الى حاكم في نوزى كانت ابتزازه الأموال لدفع أجور عمال سمدوا له بساتينه مما يدل على سعة تملك البساتين وكثرة ماتم صرفه على تسميدها مما يدل على الاهتمام بتسميد البساتين آنذاك . وزرع الآشوريون في بساتينهم شتى انواع المحصولات الصيفية والشتوية . ويظهر ان سنحاريب حاول دونما نجاح زراعة شجرة الزيتون في المنطقة حوالي نينوى ، فقد ذكر في نص له (زيت شجرة الثمرة (اي الزيتون) ومنتجات البساتين جلبتها بوفرة) . وزرعوا في بساتينهم الخروع والنعناع واليانسون وحبة السودة والفجل والخيار والباقلاء والكراث والزعفران (الازوپران) المعروف بالزعفران البري او سورنجان الخريف . كما زرعوا التفاح الذي يذكر اثنيوس انه أحسن انواع التفاح وعن اعجاب الاسكندر المقدوني به عند دخوله العراق وملئه السفن منه (دون شك لارسالها الى مقدونيا) . وقد استخرج الآشوريون شرابا معينا من التفاح،ويتعرض الموسوعي الروماني بلني الكبير في تاريخه الطبيعي (BK. XII, VII, VII – 14) (مبالغا) لحمل شجرة التفاح الآشوري للثمر طيلة أشهر السنة وكيف ان الكثير من الأمم استوردت بذوره واشجاره وحاولت عبثا زرعه في بلادها ، كما زرعوا المشمش (ارمانو) الذي كتبوه برمزي تفاح وجبل مما يدل على أصله الجبلي ، ثم الخس الذي عرفوا نوعين منه هما الاعتيادي (خَسو) والصغير (كوزارو ومرارو)

وكذلك الخوخ والسفرجل الذي يكثر في الجبال الشمالية والكرز التي ذكر سرجون الثاني أن شجرتها طيبة الرائحة وهي كثيرة في منطقة الموصل وتنمو بصورة وحشية الى الغرب من الموصل ، ثم الرمان (ترمو) الذي عرفوا منه أنواع عدة مثل الحلو، العسلي ، والطيب والحامض ، وشجرة التوث (موسوكلنو) التي ذكر سنحاريب عن زرعه في البستان التي أنشأها قرب نينوى . والتين الذي ذكر لوح من شادوپُم (تل حرمل) اربعة أنواع منه اطلق على واحد منها اسم تين الجبال الذي يدل اسمه على أصله الشمالي . وفي نص من اوغاريت (رأس شمرة في شمال غرب سورية) عن نوع من التين اسمه سوبارتو (شمال العراق) مما يدل على استحصالهم له من شمال العراق وقد يكون هو نفسه تين الجبال في لوح شادوپّوم . ومن بين الاطعمة المصّورة على الموائد في المنحوتات الآشورية ما يشبه الأصابع متصلة القاعدة لابد أن تمثل مجموعة من الموز الذي ربما استورده الآشوريون ، وهو لايزال اخضر غير تام النضج فيتركونه ينضج عندهم . ثم النبق،ويصعب الاعتقاد بزراعة النخيل في بلاد آشور لعدم تحمل هذه الشجرة للبرد القارص في المنطقة شتاء وأن تصويرها في المنحوتات الآشورية دلالة على تقديسهم لها واعتبارهم اياها منبع الخير والبركة .

### وسائل الري :

كان الآشوريون يحفرون الآبار في البساتين والمزارع وهي تعد من مصادر المياه المهمة في شمال





العراق. واستخدموا في الري آلة يدوية بسيطة أطلقوا عليها اسم الدالية (أكاديبتو) استعملوها لارواء البساتين القليلة المساحة. وهي في الغالب على شكل عصا طويلة رافعة في نهايتها سطل او مغرفة من الخوص او الجلد ومعلق في نهايتها الأخرى ثقالة لحفظ التوازن. وتأخذ الدالية الماء من النهر وتفرغه في الجدول الذي يسقي البستان، وهي أقرب الى الشادوف المصري. ويدير الآلة عادة شخص، وأحيانا يوضع حيوان (حمار أو ثور) لرفع العصا.

ويظهر انها صارت أكثر تطورا في العصر الآشوري المتأخر، حيث نرى الدالية المصورة في نقش للملك سنحاريب أكثر ضبطا وتعقيدا من السابقة. فقد صارت العصا الطويلة بهيئة يد منحرفة، ونشاهد في النقش عملية سقي تستخدم بها داليتان تعملان بذات الوقت، ربما خاصة بالأراضي الأكثر ارتفاعا وإذ يصعب سقيها بالدالية السابقة. فترفع الدالية الاولى الماء من مجرى النهر العميق وتفرغه في ساقية مرتفعة في الوقت الذي ترفع الدالية الثانية الماء من الساقية الاولى الى ساقية ثانية أكثر ارتفاعا منها. واذا كانت الأراضي واسعة فتحتاج الى آلات أكثر تعقيدا فيزداد عدد المغارف (السطلات) وتوضع، كما نقرأ في النصوص، الى جنب بئر او حفرة، وربما تكون الحفرة اخدودا في مجرى الماء او قناة عميقة لاستيعاب المغارف، وربما تكون المغارف او الجرار مربوطة بدولاب تفرغ في حفرة او قناة وتحتاج الى قوة كبيرة لتحريكها. ونقرأ في الوثائق عن ادارتها بثورين او اربعة او ستة وحتى في واحدة بثمانية ثيران. وتعلق الأسطال او المغارف او الجرار او العصا الطويلة بقطعة من الجلد. وكانت آلة من هذا النوع يطلق عليها تجلا تبليزر الأول الاسم (مرطو اريكو) موضع افتخاره، وأمر بأن تعمم في كافة بلاد آشور، وربما تكون قد ادخلت زمانه.

ان الآلة الأكثر تطورا من الآلتين السالفتي الذكر هي الكرد حيث تكون المغرفة في النهاية كبيرة وذات مصب زادت بها كمية الماء المرفوعة وامكان سقي الأراضي الأكثر ارتفاعا، وذلك لنزولها الى عمق اكثر، وربما ادخلت خلال العصر الآشوري المتأخر حيث ذكرت وثيقة بيع أرض زراعية من تلك الفترة وجود مثل هذه الآلة بالمزرعة تحت اشراف خبير عارف بتشغيلها، مما قد يدل على حداثة ادخالها وقلّة العارفين بتشغيلها واصلاحها، ويدخل ضمن هذا النوع صورة في منحوتة من قصر الملك آشور ناصر بال الثاني من نمرود. وتتألف من بكرة كبيرة مستندة من جهتين بعمودين قويين يتحملان الثقل وفي نهايتها مغرفة جلدية كبيرة تفرغ الماء الذي تسحبه من النهر الى الساقية بحبلين يربط الأول على المغرفة والثاني بالنهاية الأخرى ذات المصب. فبتحرك الحبل الأول على البكرة تصعد المغرفة وتنزلها ويرفع الحبل الثاني عند الصعود النهاية ذات المصب فيحجز الماء في المغرفة ويصب في الساقية، ويدير الآله.. شخص يسوق الحيوان (ثورا او حمارا او حصانا) عند صعوده الى الطريق المنحدر حتى تنزل المغرفة الى مجرى ماء النهر وعند نزوله لرفع المغرفة الى الساقية.

كانت مشاريع بعض الملوك الآشوريين الاروائية على غاية من الأهمية أمثال آشور ناصر بال الثاني وسنحاريب. فقد حفر الأول قناة تعرف الآن باسم قناة النكوب ويبلغ طولها ٢٥ كم تأخذ الماء من الزاب الكبير لارواء سهل العاصمة كلخو (نمرود) الصالح للزراعة والذي يفتقر الى الماء، لأن مناسيب الزاب الكبير ارفع من تلك لدجلة مما يجعل وصوله الى كلخو سهلاً الى جانب كون ماءه اكثر صفاء من مياه دجلة، وأطلق على قناته الجديدة اسم فاتحة الخير (باتي خيكا لمي). ويمكن تتبع خط هذه القناة في ممر قطع بالجبل على طول





ضفة الزاب الكبير الثنى ثم تسير شمالا على طول الحافة الشرقية للسهل الطموى حتى نقطة قريبة من الزاوية الجنوبية لسور مدينة كلخو الخارجي. وتأخذ القناة الماء من الزاب الكبير بوساطة نفق حفر في الصخر امام قرية القوير الحالية. وعبر خط النفق عند قدم الخط العمودي قطع حاجز في الصخر ثقبت به ثلاث فتحات كانت بمثابة سد ذي بوابات. وهناك نفق فرعي من النهر يقطع الحافة الجنوبية لجرف عال مليء الآن بالطمى ويصعب معرفة وظيفته الأصلية. ويظهر انه زود بسد ذى بوابات كانت بمثابة منظم ويغذى رأس القناة ولا نعرف الغاية من حفر نفقين في الوقت نفسه وعند نقطة انطلاق فرعي النفق من النتوء الجبلي حفرت قناة في النتوء الجبلي الذي يبرز الى مسافة في السهل الفيضي على مسافة حوالي خمسمائة متر شمال النفق ويمكن تعقبها لمسافة تقارب الثلاثة كيلومترات، وان الخط المستقيم غير الطبيعي لمجرى النهر الغربي خلف هذه النقطة يقترح بأنه قد شق طريقه في مجرى قناة قديمة، ربما تبدأ حوالي سبعة عشرة كيلو متراً فوق موقع النفق عند ملتقى الزاب الكبير بفرعه الخازر، وان استعمال المجرى الطويل المكشوف ربما كان لاعطاء بداية أحسن للماء وتعويضا عن تجمع الطمى في القناة، ولا بد انها كانت معرضة لصعوبات جمة، وذلك لتغيرات مجرى النهر. وهناك مايدل على ان النفقين قد أضيفا فيما بعد. وربما كانت القناة الطويلة من انجازات الملك أسرحدون وقد يكون الملك تجلاتبليزر الثالث مسؤولا عن شق النفق على الجانب الجنوبي من النتوء الجبلي المليء بالطمى الآن، لأن مستوى النفق صار الآن أعلى من ماء نهر الزاب بسبب الترسبات.

ربما يكون آشور ناصر بال الثاني هو الذي شيّد سد نمرود – العواية. وهو سد من الحجر شيّد في نهر دجلة يصل بين ضفتي النهر، ربما الغرض منه حصر الماء المطلوب للري الى جانب اتخاذه جسرا. وكانت بقايا السد تقع قرب قرية جهينة على ضفة دجلة الثنى ويسميه الأهالي العواى (العواية) لخروج دوى نتيجة انحدار الماء فوقه، وذكر الرحالة تافرنيه ونيبور امكان مشاهدة السد عند تناقص مستوى ماء دجلة في اواخر الصيف والخريف، وقال واليس بج بأنه شاهد بقايا السد وهي ترتفع بما يقرب القدمين فوق سطح الماء وتتألف من كتل حجرية مثبتة بقطع معدنية.

يوضح مشروعا سنحاريب لرى مدينتي نينوى وأربيل الشوط البعيد الذي قطعته هندسة الري عند الآشوريين. فقد أخبرنا سنحاريب عن حفره ثلاثة أنهر في جبال خاني التي فوق اربيل (لابد أن تكون جبال صلاح الدين وسفين وباني باوه داغ) وأضاف اليها ماء الينابيع الواقعة على يمين وشمال الأنهار وحفر بعدها قناة تسير باستقامة تصل وسط مدينة أربيل. وعثر على مسناة مشيدة بالحجارة قرب قرية مورتكة الواقعة على بعد حوالي ٢٠ كم شمال اربيل وفي وسط المسناة نفق يتجه نحو الجنوب. وان روافد نهر باستورة المهمة الثلاثة هي التي تنبع من قرى سوسة، زيارة وقرزة وتلتقي أخيرا قرب مضيق يسمى الدربند.

اما الينابيع التي ذكر سنحاريب اضافتها لمياه الأنهار فيما بعد فهي العين قرب قرية خوران والثانية على مقربة من هانان والثالثة قرب دنبحيزاوة. وتعتمد هذه القناة في بنائها نظام الكهاريز وفوهتها مربعة مشيدة بالحجر أبعادها ١٢٠×١١٢ متر وعرضها ستة أمتار. وبمشروع ثاني لسنحاريب تم ايصال الماء الى نينوى بالطريقة السيحية استغرق عمله ثلاث عشرة سنة (٧٠٣–٦٩٠ ق. م) وبدأ عمله بتطهير نهر الخوصر ابتداء من قرية كيسيرى مئة عشر كيلو مترا شمال نينوى حتى نينوى، ثم أنشأ سدا على مجرى ذلك النهر قرب قرية كيسيرى لتحويل مياهه الى قناة حفرها تستمد الماء من امام السد وتسير





موازية للنهر غربا حتى بساتين نينوى ووسع العيون التي تغذى النهر في شمال نينوى وأجراها بقنوات تنتهي بالقناة الجديدة ولري مساحات أوسع من الأراضي قام سنحاريب بتحويل المياه من ينابيع نهر الكومل في جبال بافيان وأجراها في قنوات بلغ مجموعها ثمانية عشر تنتهي اليه ثم شيّد سدا في مضيق بافيان لحجز المياه وخزنها امام السد وشق نهرا من امام السد يتفرع من جانب نهر الكومل الغربي قرب قرية خنس وينتهي بالخوصر فنينوى لمسافة تربو على الخمسين ميلا ، وربطت الأودية العميقة التي تعترض مجرى نهر الكومل في طريقه الى الخوصر بقناطر من الحجارة وأجرى فوقها الجدول . وأضخم هذه القناطر كانت قرب قرية جروانة في الشيخان شرق عين سفني والمعروفة الآن بعبارة جروانة ، وهي مشيدة من حجر الكلس الأبيض طولها ٢٨٠ متر وارتفاعها تسعة أمتار وتتألف من ثلاث عشرة فتحة عرض كل منها خمسة عشر مترا وفتحة واحدة في الوسط عرضها ثلاثون مترا مقسمة الى اربع فتحات عميقة في وسط الوادي ،

ويظهر ان الفتحة الوسطية أعدّت لمرور المياه الصيفية ، ويحوى المشروع مايقارب مليوني حجارة بحجم نصف متر ووزن ربع طن للواحدة ، وحفر سواقي تتفرع الى البساتين من تلك القناة . ولتصريف المياه الفائضة من القناة التي تسقي نينوى أخبرنا سنحاريب بأنه أقام بحيرة للاستفادة من تلك المياه ، ويجعل الدكتور سوسة هذا المنخفض قرب تربيض القديمة (شريف خان قرب نينوى) ويطابقه آخر مع منطقة منخفضة بين دجلة والخوصر وطريق الموصل - دهوك ووضعه ثالث على نهر الخوصر قرب قرية الجيلة .

## المراجع


(١) أحمد سوسة ، الري والحضارة في وادي الرافدين (بغداد ، ١٩٦٨).

(٢) أحمد سوسة ، مشروع سنحاريب لارواء منطقة نينوى ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٩ (١٩٦٢) ، ص ١٦٥-٢١٠.

(٣) سامي سعيد الأحمد ، حضارة العراق (بغداد ، ١٩٨٤) ج ٢ (الزراعة والري).

(٤) تقي الدباغ ، حضارة العراق (بغداد ، ١٩٨٤) ج ١ (الثورة الزراعية والقرى الاولى).

(٥) عبد الله امين اغا وميسر سعيد العراقي ، نمرود ، (بغداد ، ١٩٧٦).

(٦) طه باقر ، دراسة النباتات المذكورة في المصادر المسمارية ، سومر ، ج ١ مجلد ٨ (١٩٥٢) ، ج ٢ ، مجلد ٨ (١٩٥٢) ، ج ١ ، مجلد ٩ ، (١٩٥٣).

(٧) فؤاد سفر ، اعمال الارواء التي قام بها سنحاريب ، سومر ، مجلد ٣ ، عدد ١ (١٩٧٤).

(٨) مارتن ليفي ، ترجمة : د. محمود فياض وآخرون ، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين (بغداد ، ١٩٨٠).

9. R. Clay, Tenure of Land in Babylonia and Assyria, (1931), University of London, Instit. of Archaeology, No. 1.
10. G. Contneau, Everyday Life in Babylonia and Assyria, (N. Y., 1965).
11. L. Delaporte, Mesopotamia, (London, 1950).
12. I. M. Diakonoff, Agrarian Conditions In Middle Assyria, Ancient Mesopotamia, (Moscow, 1969).
13. H. Frankfort, The Cylinder Seals, (Chicago, 1939).
14. Abdul Jalil Jawad, The Advent of the Era of Township in Northern Mesopotamia, (Leiden, 1965).
15. C. H. W. Johns, Assyrian Doomsday Book, (Leipzig, 1901).
16. D. D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, (Chicago, 1926).
17. E. T. Olmstead, History of Assyria, (Chicago, 1923).
18. David Oates, Studies in the Ancient History of Northern Iraq, London, 1968).
19. J. N. Postgate, Neo— Assyrian Royal Grants and Decrees, (Rome, 1969).
Taxation and Conscription in the Assyrian Empire, (Rome, 1974).
20. James Pietchard, (ed.) Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, (Princeton, N. J., 1957).
21. Armas Salonen, Agriculture Mesoptamica nach Sumerisch— Akkadischen Quellen, (Helsinki, 1968).
22. L. Waterman, The Royal Correspondence of the Assyrian Empire (Ann Arbor, 1930— 1936) Vol. 1— IV.






لاتتوفر في بلاد آشور جميع المواد الضرورية لنشوء الحضارة وتطورها، لذلك اجتهد الآشوريون منذ العصر الآشوري القديم (في وقت ما من الألف الثالث ق. م) للحصول على مايحتاجون اليه عن طريق التجارة، وكان موقع بلاد آشور بصورة عامة ملائما للتجارة، حيث تمر خلالها طرق المواصلات التي تصل ما بين البحر المتوسط والخليج العربي فبحر العرب. فالبضائع القادمة من الغرب باتجاه الهند، او بالعكس تمر من طريق آسيا الصغرى او البحر المتوسط عبر شمال سوريا ومنها الى الخليج العربي. كما تقع بلاد آشور على خطوط المواصلات البرية بين الشمال الشرقي والجنوب الغربي خاصة وان سلسلة جبال أرمينية باتجاه الشمال والصحراء العربية باتجاه الجنوب تشكّل صعوبات بالغة الى التجار الذين يتبعون الطرق البرية.

لقد أظهرت نتائج التنقيبات الآثارية في مختلف المواقع في شمال العراق اتصالات السكان منذ أقدم عصورهم المعروفة مع العالم الخارجي، حيث جلبوا من هناك ما تفتقر اليه بيئتهم من مواد عن طريق التجارة، فيعطي كهف ومستوطنة شانيدار (قرب التقاء نهر راوندوز بالزاب الكبير) أول الدلالات التي نعرفها حاليا عن علاقات تجارية بين شمال العراق والخارج، فقد وجدت فيها أدوات مصنوعة من حجر السبج البركاني الأسود والذي لابد أن يكون قد جلب من منطقة بحيرة وان في شرق بلاد الأناضول، وهي أقرب مكان الى الموقع يكثر فيه هذا الحجر، ويبعد حوالي ١٨٠ كيلوا مترا شمالا. الى جانب استعمال القار الذي جلب في الغالب من منطقة كركوك والتي هي أقرب مكان تتوفر فيه هذه المادة الى شانيدار. كما عثر في كهف زرزى (شمال غرب السليمانية) على أدوات حجرية مصنوعة من حجر السبج البركاني الأسود هذا. كذلك عثر على الحجر البركاني في جرمو ومن بينها شظايا صغيرة جدا كانت تثبت بالخشب بواسطة القير. واستورد أهل جرمو هذا الحجر من منطقة وان بأرمينيا ايضا. كما حصل سكان جرمو على المحار والصدف، وربما حصلوا عليها من بحيرة وان نفسها او من اقاليم الخليج العربي عن طريق التجارة. ويقدم موقع حسونة أدلة عدة على التجارة مع الخارج، حيث عثر على أدوات مصنوعة من حجر السبج البركاني الأسود والفيروز والتي تقترح تجارة مع الشمال والشرق، كما استعمل سكان الموقع المغرة الحمراء والملخايت والاثمد أصباغا وكل هذه المواد غير موجودة في المنطقة، وعثر في مواقع عصر حسونة على الأصداف البحرية التي استحصلوها من منطقة الخليج العربي لصنع الحلي، وليس من الصعب القول بأن كل هذه المواد قد نقلت بوساطة التجار او انها قد احضرت من مستوطنة لأخرى، وعثر على أدلة على استعمال النحاس في بعض مواقع عصر حسونة، وأقرب أمكنة لتعدين هذا المعدن هي جايونو قرب ديار بكر وجاتال هويوك في آسيا الصغرى، مما يشير الى انها قد وصلت منطقة الموصل عن طريق التجارة.

كان توزيع مواقع حضارة حلف في شمال العراق وسوريا من شغر بازار حتى كركميش وجديدة





مها ، حيث تنتشر أدوات هذه الحضارة على طول منطقة واسعة تمتد من سفوح جبال زاجروس الى نهر الفرات قرب كركميش وتل تورلو وغازى عينتاب ومنطقة أديا مان في سفوح جبال طوروس وتكثر في منطقة طور عابدين . وقد عثر على أدوات هذه الحضارة حتى في هضبة الأناضول عند مواقع تلكيت تبة شرق بحيرة وان وعيسى كوى وقرة هويوك وارسلان تبة في منطقة ملاطية ، وكل هذه المستوطنات ربما تشير الى محطات تجارية لتحرى الموارد الطبيعية وعلى رأسها حجر السبج البركاني الأسود من منطقة بحيرة وان والنحاس حوالي ملاطية ومنطقة ديار بكر (اليرغاني معدني). الى درجة أن هناك من يرى ان سكان حلف كانوا بالأصل من منطقة بحيرة وان وكانوا وسطاء في تجارة حجر السبج البركاني الاسود . واستنتج من نقوش فخار حلف الوسيط المشتقة من نماذج المنسوجات بأن أهل حضارة حلف ربما تاجروا ايضا بالمنسوجات وان انتشار فخار حلف باتجاه الغرب في سوريا فيما وراء الفرات وحتى في كليكيا قد اتبع في الغالب الطرق التجارية ، وقد عثر على حجر السبج البركاني الأسود في موقع الأربجية قرب الموصل (من عصر حلف) بصورة وافرة لصنع الالات القاطعة والأصص والخرز الخ ... وان نقوش فخار حلف المختلفة تبين مشاهد ذات مواضيع معروفة في الشرق والغرب . وجميعها لابد ان وصلت عن طريق التجارة ، فالنقاط البيضاء مثلا موجودة في فخار بوز هويوك قرب أديمان والأقداح الصفراء الشاحبة متوفرة عند تلكيت تبه وهناك علاقات قوية ايضا بين مواقع حلف في شمال العراق مع الطبقة الخامسة من موقع كيان الى الشرق من العراق والتي تؤشر هي كذلك ارتباطات تجارته .

ان الكثير من الصور التي ظهرت على فخار موقع الأربجية من عصر العبيد ، وهوالفخار الرائع الشكل الجميل الزخارف ، تعرض نقوشا هندسية وحيوانية ونباتية امثال ازهار ووريقات اشجار وطيور وأفاعي ورؤوس ثيران وما الى ذلك . فضلا عن الرموز مثل الحمامة والفأس ذي الحدين ورأس الثور ، وقد وجدت فيما بعد في كريت ، تدل على تأصلها في شمال العراق وانتقالها الى تلك الربوع عن طريق التجارة عبر نهر الفرات والجزيرة الفراتية فكركميش واوغاريت وقبرص وتلكيت تبه وغيرها .

عثر في مدافن فترة الوركاء من موقع تبة كورة على عدد مدهش من الخرز ، فقد حوى المدفن رقم ١٠٢ في الطبقة العاشرة على اكثر من خمسة وعشرين الف خرزة ، ووجد في مدفن بالطبقة الحادية عشر حوالي ثلاثة الاف خرزة ، وبآخر في الطبقة التاسعة على ٨٥٠٠ خرزة ، وفي آخر في الطبقة الثامنة على بضعة آلاف ، وعثر في مستودع على اكثر من ٧٥٠ صدفة صفراء ، لابد ان جلبت من بحر العرب عن طريق الخليج العربي . وبين المواد التي استعملت للخرز والتمائم اللازورد والعاج واليشب الأخضر والشذر والعقيق وحجر الدم والسبج البركاني الأسود والكوارتز والديوريت الأسود . وكل هذه لابد أن استوردت من بلدان تقع الى الشرق من العراق وغيرها أحضرت من أرمينيا . وفي القبر المرقم ١٠٩ عثر على خمس وأربعين خرزة لازورد ، لابد ان وصلت من بدخشان في أفغانستان ، وكلها تشير الى خطوط تجارية مع الشرق تصل حتى أفغانستان ومن أرمينيا غربا . وفي الغالب وصل اللازورد الى شمال العراق (بدليل موقع تبه كورة) قبل بلاد بابل ، وذلك لقرب الأول الى مصدره الأصلي ، وفي المدفن نفسه عثر على خرز شذر لابد أن احضرت من الشرق واصص مصنوعة من الحجر الجبري هي الأخرى مستوردة الى جانب اصص من الحجر البركاني الأسود . كما وجد في المواقع المرجان الذي لابد أن احضر من الخليج العربي ، ثم الفضة التي ربما وصلت من شمال غرب ايران حيث هناك مناجم





قرب تبريز. وتوضح مكتشفات تل براك من العصر السومري القديم صلات قوية مع جنوب العراق خاصة مع الوركاء خلال عصر جمدة نصر. ويعكس الدليل الآثاري من هذا الموقع رخاءا اقتصاديا وعلاقات تجارية قوية بين الشمال والجنوب في نهاية العصر السومري القديم (عصر فجر السلالات الثالث).

ان فخار نينوى المتميز من الطبقة الخامسة (العصر السومري القديم) قد عثر عليه في مواقع كثيرة، وان تركز صناعته في المنطقة حوالي نينوى دفع الباحثين الى الاستنتاج بأنها كانت مركز انتاج هذا الفخار الأصلي. وقد لوحظ وجود هذا النوع من الفخار في مالا يقل عن ستة وأربعين موقعا، أمثال تل بلة والعباسية وتلول الثلاثات في منطقة سنجار، ومواقع سهل رانية شرقا، وربما يمكن تعقبها على طول الزابين الاعلى والأسفل حتى الحدود الشرقية. وان التجارة كانت دون شك مسؤولة عن انتشار هذا الفخار الواسع، وكانت المدينة التي عند موقع شفربازار (في الغالب شوبات أنليل التي ربما اتخذها الملك الآشوري شمشي ادد الأول عاصمة صيفية له والواقعة عند وادي دارا شرق نهر جغجغ رافد الخابور وعلى مسافة تقرب من ٢٥ ميلا جنوب غرب قصبة قامشلي)، مرتبطة بمدينة نينوى بطريق قوافل يسير عبر جبل سنجار، وعثر على كسرة من قبضة خنجر مصنوعة من الحديد تدل على ان عمل هذا المعدن كان موجودا في هذه المنطقة من شمال العراق منذ نهاية العصر السومري القديم على الأقل. كما نعرف بأن هذا المعدن الخام كان متوفرا في مواقع أبعد الى الشمال. كما كانت المدينة التي ازدهرت عند موقع تل براك قرب بحيرة الخاتونية مرتبطة بنينوى تجارياً، وكانت مدينة واسعة.

عثر على اقدم الوثائق التجارية التي نعرفها في الوقت الحاضر في موقع نوزي، وكانت منطقة نوزي ثرية بمعدن الذهب والمنتجات الزراعية. وتدل وثائق التجار الآشوريين التي عثر عليها في نوزي على نشاط اولئك التجار هناك. وان اسماء التجار آشورية قديمة معروفة، مثل يوزور آشور و سين رابي، لاتترك اي مجال للشك في هوية رجال الأعمال والتجار الذين يظهرون في هذه الوثائق. وقد وصل اولئك التجار من مدينة آشور (قلعة شرقاط الحالية) بدلالة ورود الاشارة الى عبارة في المدينة (اينا أليم) والتي تظهر دائما في وثائق المراكز التجارية الآشورية في آسيا الصغرى وفي مراسلات الملك شمشي أدد الأول ضمن رسائل ماري (تل الحريري قرب دير الزور). وكان الأشخاص الذين تاجروا معهم مواطنين محليين، كما يمكن استنتاجه من الأسماء التي وردت في الوثائق امثال قشباك رابي.

وقد أشير الى القافلة بالاصطلاح الآشوري القديم مما يدل على وجود حركة تبادل بضائع واسعة النطاق، وربما تعود نصوص العصر الآشوري القديم، من موقع نوزي الى بداية سنوات الملك الآشوري ايريشوم الأول (١٩٣٩- ١٩٠٠ ق.م) او نهاية حكم والده الملك ايلوشوما.

وتذكر احدى الرسائل دفع عدد من الأمنان الفضية وأخرى عن تقديم شيئين بالذهب، الاولى مالا يقل عن ثلث المن وخمسة شيقلات (تساوي كلها نصف باوند من الذهب)، والثاني كميات كبيرة من النحاس وضعت في ارابخا (موقع عرفة الحالي في كركوك). فالرسائل توضح وجود الثروة الطائلة المتمثلة بالمعادن الثمينة، ولما كانت الطبقات الاولى من نينوى توضح قلّة هذا المعدن بالصور الاولى من التاريخ الآشوري فيمكن الاستنتاج بأن هذه الفترة كانت تتمتع برخاء اقتصادي، ويسهل استحصال الذهب من منطقة نوزي حيث عثر على ترسب ذهب عند الزاب الصغير وروافده، وحيث كانت

الضرائب التي تدفع عن الممتلكات غير المنقولة بالذهب ، فالتجار الآشوريون تمكنوا من الحصول على الذهب وعلى كميات كبيرة من الفضة مما يدل على ان القوة السياسية التي كان يتمتع بها الملك الآشوري شمشي ادد الأول قد استندت على ثراء وهناك مايدل على أن بدء التغلغل الآشوري في الأسواق التجارية الأجنبية كان منذ عهود الملوك الذين سبقوا الملك شمشي ادد الأول. فقد أشار الملك ايلوشوما (١٩٥٩ - ١٩٣٩ ق. م) اكثر من مرة الى تجهيزه الاكديين بالنحاس ، حيث قال في احداها مانصه : "لقد ثبتُّ للأكديين وابنائهم حرية التنقل وغسلت لهم النحاس ، فمن مناطق الأهوار ومدن اور ونفر وأوال وكيسمار ودير الآله ساتران من المدينة (يقصد العاصمة آشور) ثبت لهم حرية الحركة" فالملك الآشوري أجبر ملوك هذه المدن على تقديم كل التسهيلات الى تجار أكد للتجارة وبيع البضائع وما يشترونه من آشور فيها. والعبارة غسل النحاس تعني في الغالب فرض الآشوريين احتكارا رسميا على النحاس في الأقطار التابعة لهم. ويظهر أنه اعطى التجار الأكديين حق شراء هذا المعدن وبيعه في أقطارهم ، وهذه تدل على أنه كان لديه من النحاس مايغطي حاجاته ويتبادل بالفائض منه بما يحتاج اليه من مواد وبضائع.

واتبع ولده وخليفته ايريشوم سياسة والده حيث ورد في نصوصه القول : "لقد ثبت حرية نقل الفضة والذهب والنحاس والرصاص والحنطة والصوف الخ" وهي توضح اهتمام هذا الملك بالنشاط التجاري.

كانت مدينة آشور خلال هذه الفترة (بداية الألف الثاني ق. م) مركزا تجاريا مهما ، وكان تجارها يسيطرون على الحياة التجارية في شمال سورية وآسيا الصغرى حيث كانت لهم الكثير من المستوطنات والمراكز التجارية.

**المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول :**

لقد سبق ان تحدثنا في الباب الأول عن نشوء ونمو المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول وبينّا طبيعتها وأوجه نشاطها ومدى علاقتها ببلاد آشور من جهة وبلاد الأناضول من جهة أخرى. وذكرنا أنه يبدو ان الآشوريين أحسنوا في اختيار أقليم كبد وكيا لاقامة مراكزهم التجارية ، حيث تقع مدينة قانش (وهي أهم المراكز التجارية المكتشفة) في وسط سهل قيصرى الخصب وفي مكان تلتقي وتفترق فيه الطرق التجارية التي تربط الشرق بالغرب عند النهاية الشرقية لهضبة الأناضول الوسطى. ويظهر ان آسيا الصغرى كانت مفتوحة الى التجارة الآشورية زمن ايريشوم ، فالنحاس كان يرد من منجم ارغاني معدن الذي ربما يكون هو المكان الذي أسماه التجار الآشوريون في وثائقهم خارانا ، وأشاروا اليه بوصفه محطة توقف ومحطة على طريق القوافل بين اشور وقانش ، وان ضم الآشوريين لخرانا زمن ايلوشوما لابد ان أدى الى وفرة النحاس وبداية التغلغل الآشوري في آسيا الصغرى ، وأولى خليفته ايريشوم اهتمامه بالفعاليات التجارية لأفراد شعبه والتي كانت في الغالب اول خبرة للعمل التجاري الحر على نطاق واسع. وربما كان العمل التجاري للتجار الآشوريين في آسيا الصغرى مساهمة آشورية عامة اشتركت بها مؤسسات فردية (عوائل) او رسمية (المدينة والملك) الى جانب المعبد. فقد وردت اسماء عوائل كثيرة في النصوص التجارية المكتشفة في قانش امثال بوشكين بوشوتا ، وطاب آخوم ، ولوزينا وابكيكي وغيرها ، وانطوى العمل التجاري على تبادل البضائع بين بلاد آشور وآسيا الصغرى ، وتركز العمل على الصيارفة الخاصين الذين كانوا يتحملون المخاطر والمشقات.

غطّت فترة عمل التجار الآشوريين بآسيا الصغرى فترات حكم الملوك ايريشوم الأول ، وايكونوم ، وسرجون الأول ، وربما بوزور اشور الثاني.





غير ان نشاط قانش قد عاصر ايضا حكم يسمخ ادد ابن الملك شمشي ادد الأول في ماري الذي دام تسع سنوات. ويتلخص العمل بان يقدم الصيرفي كمية معينة من رأس المال في الغالب منين ذهب او مضاعفات هذه الكمية الى تاجر متجول او الى تاجر متوجه من آشور ليستوطن بضع سنوات في آسيا الصغرى. ويتعهد متسلم المبلغ بان يرجع المال مضاعفا بعد عدد محدود من السنين هي في الغالب اربع سنوات، واذا ترتبت ارباح اكثر فعليه ان يدفع حقا شرعيا الى البائع ويقسم بين الجهات المتعاقدة بمعدل معين. وسمح حتى للعاملين امثال المكاريين والمراسلين وغيرهم بالمشاركة في العملية التجارية. فيتسلّم التجار في البداية رأسمال معينا لهم الحق باستعماله في الطريقة التي يرونها مناسبة ومحققة للأرباح، وعليهم ان يرجعوا نفس الكمية في نهاية الرحلة، ويبدو ان الملك ايريشوم قد استحصل اموالا طائلة من الرسوم والضرائب التي فرضها على التجار ورجال الأعمال المرتبطة بالعمليات التجارية الأمر الذي يفسّر كثرة التعميرات التي قام بها في عاصمته.

من الصعب في ضوء الدليل المتوفر الآن معرفة الكيفية التي دخل بها التجار الآشوريون الى آسيا الصغرى، ولكنهم تمكنوا من تأسيس مشروع تجاري منظم قام بالاستيراد والتصدير على نطاق دولي. وقد وصلت الكثير من النصوص الخاصة بهذه المراكز التجارية في آسيا الصغرى، وفيما يتعلق بالعمل التجاري فقد شملت الوثائق التجارية على طلبات شراء ووثائق دين وقوائم بالمواد والبضائع المتوفرة بالمخازن واتفاقيات نقل البضائع ونقل ملكية وعقود توكيل لتمويل مشاريع تجارية وقوائم حسابات الخ. اما الرسائل التي عثر عليها بين النصوص فكانت اما متبادلة بين أصحاب المشاريع ومستخدميهم او مع الهيئات الرسمية وممثليها كما تضمنت النصوص وثائق قضائية تناولت قضاياهم التجارية وقرارات المحاكم الخ.

استورد التجار الآشوريون بآسيا الصغرى من بلاد آشور (المركز المالي والتجاري الرئيسي لهم عند مدينة آشور العاصمة) الكثير من المنتوجات كالمنسوجات والصوف الذي باعوه (وبادلوا قسما منه بملابس أناضولية) ومعدن القصدير. وكانت الحاجة ماسة الى المعدن الأخير من أجل خلطه بالنحاس لعمل البرونز، وكان النحاس متوفرا بآسيا الصغرى في وقت انعدم بها وجود القصدير، ولا نعرف اين كانوا يعدنون القصدير، غير ان بلاد آشور وبخاصة العاصمة آشور كانت مركزا مهما في تجارة القصدير، ويقدم نص من شمشارة بأقصى شمال العراق الشرقي الدليل على وجود القصدير والعمل به، حيث ورد فيه عن طلبات كميات من القصدير زمن الملك شمشي ادد الأول، الأمر الذي يدل على ان شمشارة كانت مركزا في تجارة ونقل القصدير الى بلاد آشور، وربما كان القصدير يرد من الشرق عبر شمال العراق، حيث ثمة مناجم كثيرة للقصدير في وادي فرغانة بأواسط آسيا وربما كان هناك منجم أكثر قربا لآشور استهلك معدنه الآن. وكانت قوافل التجار الآشوريين تتاجر بالرصاص ايضا، وقد توفرت خامات الرصاص التي حوت كميات من الفضة على مقربة من منابع الزاب الاعلى ومنطقة جودى داغ والتي بعثوها الى آسيا الصغرى، ويبدو ان القوافل كانت تحمل كميات كبيرة منه، حيث نعرف عن قافلة حملت أحد عشر طنا منه. وقد اكتشف في معبد الآله آشور بمدينة آشور قطع من نصف طن رصاص. وفي الوقت الذي كانت فيه القوافل الذاهبة الى بلاد الأناضول تحمل كميات كبيرة من الرصاص يسجلون كميات القصدير التي يحملون منها الى حد الاونسات، وذلك لغلاء سعره، وكانت ارساليات القصدير المرسلة من آشور الى آسيا الصغرى في الغالب مختومة لضمان الوزن الثابت والنوعية المطلوبة، واعتقد بعضهم بأن التجار الآشوريين في بلاد الأناضول كانوا يرسلون النحاس الخام والمصنى





من آسيا الصغرى الى بلاد آشور لتعدينه والتي صارت مهنة شائعة في آشور بحيث اطلق على احد بوابات مدينة آشور باسم بوابة معدني المعادن، غير ان هناك من يجزم بأن التجار الآشوريين لم يصدروا النحاس الى بلاد آشور.

كان للدولة الآشورية اليد العليا في اعمال المراكز التجارية وسير قوافل التجار، ويمكن تلمس ذلك في فرض الضرائب على بضائع الترانسيت واهتمامها بحسابات التجار وتزويد الباعة بالمعادن التي يحتاجون اليها، خاصة الثمينة منها، وضمانها للاوزان والمقاييس لكل البضائع المرسلة من آشور، وكان سراى المدينة (بيت المدينة) هو المؤسسة التي تشرف الدولة بواسطتها على التجارة والذي يقابله في المراكز التجارية بآسيا الصغرى بيت الكاروم، وكانت السلطة الآشورية تفتش كافة اعمال التجار الآشوريين في بلاد الأناضول حيث كانت ترسل اليهم موظفين عرفوا باسم "رسل المدينة" لمشاورة ونصح كاروم قانش على وجه خاص، كما كانت السلطة المركزية الآشورية ترسل الى المراكز التجارية موظفا قضائيا عرف باسم الرابيصوم او رابيصوم المدينة للنظر في مشكلات التجار المستعصية. وقد دعمت التجارة بين بلاد آشور وآسيا الصغرى باتفاقيات تجارية رسمية بين ممثلي الدولة الآشورية وحكام مختلف المدن في بلاد الأناضول التي يعمل التجار الآشوريون فيها، ويعلل بعضهم سبب نجاح التجار الآشوريين بأعمالهم الى نشاطهم غير الاعتيادي ودعم حكومتهم في الوطن الأم لهم واخلاص التجار أنفسهم وحسن العلاقة بينهم وبين سكان بلاد الأناضول والحكام هناك. ويبدو ان تجار المراكز الآشورية كانوا ينتمون الى عوائل متنفذة آشورية معروفة، وكان اكبر العائلة سنا يقيم في بلاد آشور ويدير من هناك العملية التجارية مع آسيا الصغرى، ويقوم افراد العائلة الأصغر سنا بالعمل في مختلف المدن الأناضولية التي تاجروا معها ويعودون الى بلادهم عند موت رئيس العائلة او تركه العمل.

اطلق التجار الآشوريون في بلاد الأناضول على الهيئة التي تدير شؤونهم التجارية بكل مدينة من بلاد الأناضول كما سبق ان أشرنا اسم كاروم (معناها المستوطنة) او اوباروم (أبارتوم)، وكان أشبه بغرفة التجارة الحالية وكان الكاروم مسؤولا عن ادارة حركة التجارة بين بلاد آشور وكافة مدن بلاد الأناضول التي تمت المتاجرة معها. فهو المسؤول عن ارسال القوافل وضمان سلامتها ودفع الديون المترتبة على البضائع. وحسب الدليل المتوفر الآن هناك أحد عشر مركزا تجاريا آشوريا في بلاد الأناضول من نوع الكاروم وعشرة من نوع الاورباروم، وكان أكثرها أهمية كاروم قانش وكاروم بوروش خاخوم (ربما أجم هويوك الحالية قرب السراى). وأهمية كاروم الأخيرة كان لوقوعها قرب مناجم النحاس المهمة في بلاد الأناضول واشراف الكاروم على انتاجه وتصريفه للتجار الآشوريين. وهناك عدد من الكاروم امثال كاروم وأخشوشان (ربما قرب نقده الحالية) وكاروم بوروش خاتوم في سهل قونية وكاروم خالتوش قرب بوغاز كوى وكارم تاوينيا (نفس كوى الحالية). واستعمل التجار الآشوريون العاملون بآسيا الصغرى الأوزان والمقاييس العراقية. وعاش تجار كاروم قانش خارج أسوار مدينة قانش ربما كاجراء احترازي دفاعي من احتمال هجوم السكان المحليين عليهم. وربما كانت طبيعة عمل التجار ووصول قوافلهم والبضائع تحتم ان يكون موقعها خارج المدينة، وكان كاروم قانش أشبه بمدينة منفصلة لها مراعيها وسوقها وبيوتها المنعزلة. وأهم بناية في الكاروم هي بيت الكاروم المسؤول عن تجهيز المحطات وجمع الضرائب ومحاسبة القوافل وتحديد أسعار الفوائد على القروض المتعاقد عليها مع التجار، وحرص التجار الآشوريون على حفظ علاقات طيبة لهم مع الأمراء





المحليين وكثيرا ما كانوا يقرضون الأخيرين الأموال ، وكان للأمراء المحليين الحق بمصادرة اية بضاعة من محلات التجار الآشوريين في الوقت الذي كان فيه الأولون مسؤولين عن حفظ الأمن وسلامة بضائع التجار، وأهم مؤسسة في الكاروم كان بيت الكاروم حيث كانوا يتسلمون البضائع الواردة ووضع اثمانها في حسابات التجار. وكانت كافة المستندات محفوظة في بيت الكاروم وفيه تجرى حسابات التجار وتحل مشكلات حساباتهم. وهناك من يعتقد بأن دار حسابات وخزانة أموال القوافل كانت منفصلة عن بيت الكاروم ، وكثيرا ما كان الكاروم نفسه يقترض اموالا من التجار بفائدة منخفضة كما كان له الحق بشراء البضائع . ويظهر ان امير مدينة آشور (الروباتوم) ومجلس مدينة آشور كانا يشرفان على كافة مراكز التجار الآشوريين في آسيا الصغرى ولديها كان التجار الآشوريون يستأنفون قضاياهم في الوقت الذي كان كاروم قانش فيه يشرف على المراكز التجارية الآشورية الأخرى في بلاد الأناضول وحتى أنه خوّل بالتفاوض مع السلطات المحلية.

تاجر رجال المراكز التجارية الآشورية بآسيا الصغرى ببضائع عدة منها المنسوجات سواء كانت جاهزة على شكل ملابس ام قطع كبيرة معلومة القياس من المنسوجات ، والأخيرة اما أنها مصنوعة في آشور او مستوردة اليها خاصة من بلاد بابل او يأتي بها التجار البابليون أنفسهم لبيعها في آشور وأخرى مصنوعة محليا في آسيا الصغرى وفي رسالة يوصي تاجر آشوري من مستوطني آسيا الصغرى حائكة في بلاد آشور بالمنسوجات التي يريدها والمواصفات التي يبغيها ويذكرها بكثرة الطلب على المنسوجات الآشورية في آسيا الصغرى ، ويظهر من رسالة أخرى ان الصوف في بلاد آشور لم يكن كافيا لعمل المنسوجات المطلوبة من آسيا الصغرى بل كثيرا ما كانت ترسل كميات من الصوف الخام من آسيا الصغرى اليها . وكان اكثر العاملين بالنسيج في آشور من النساء ويضعن انواعا عديدة من المنسوجات، وحتى ان العمال كانوا يضعون أحيانا اسماءهم على منسوجاتهم ، وقد وردت الينا اسماء عدد من المنسوجات وربما يكون الكيتافوم نوعا من الأبسطة ، وكانت الأسعار متفاوتة تبعا للجودة ، واستعمل التجار الآشوريون ببلاد الأناضول للأقمشة والمنسوجات عدة اصطلاحات امثال قوى ، وسميك ، وناعم ، ومقصوص ، وواسع ، والوان شتى (احمر، واصفر، وابيض الخ) ثم جيد الصبغ واعتيادي ومتوسط النوعية ، واكثر الملابس والمنسوجات كانت تعرف باسم مصادرها وكذلك تاجروا كما أسلفنا القول بالقصدير الذي صدروه الى بلاد الأناضول لاستعماله في تعدين النحاس.

واعتقد بعضهم ان سبب توقف التجار الآشوريين في آسيا الصغرى عن العمل هو استعاضة سكان بلاد الأناضول عن القصدير في تعدين النحاس ، وكانت قيمة القصدير تتقلب اكثر من أسعار المنسوجات ، وكان معدل سعر القصدير في بلاد الأناضول ضعف سعره في بلاد آشور. كما تاجرت المراكز التجارية الآشورية بالصوف الخام الذي استحصلوا أحسن انواعه من ماما (الباستان شرق الأناضول) وأرسلوها من هناك الى آشور وقانش ، كما تاجروا بالمحصولات الزراعية بين مختلف مدن الأناضول وبالنحاس الذي كانوا يرسلون منه كميات كبيرة قد تصل الى بضع الاف من الأطنان ، وكان يصنع على شكل آلات مثل المناجل والفؤوس الخ. كما صدروا الى بلاد آشور الذهب والفضة التي يسلموها بيد الثقات من الناقلين وخاصة سعاة البريد. وقدر لارسن حجم التصدير خلال خمسين سنة من آشور الى قانش ٨٠ طنا من القصدير على الأقل و ١٠٠ الف قطعة من المنسوجات بلغت وارداتها ١٠ أطنان فضة من

القصدير و ٨ اطنان فضة من المنسوجات يطرح منها النفقات والضرائب ، كما ذكرت نصوص المراكز التجارية الآشورية متاجرتهم بالتين والجلود والزيت والدبس والتي يبدو انها كانت تجلب من مناطق في داخل آسيا الصغرى .

يظهر ان تجار المراكز الآشورية ببلاد الأناضول قد اتبعوا نهر الخابور الاعلى عبر جنوب سنجار حتى العاصمة آشور. وكانت هناك طرق قوافل قديمة سواء المارة منها بالثرثار عبر جبل سنجار فوادي الخابور ام الى تلعفر ونصيبين ، وربما اتبع التجار طريق الخابور المار بسادواتوم (ربما تل السعدية) ، فرزاماشا بوراما (ربما تل عبطة وقد تكون نفسها مدينة بيل حران بيل او حور) ثم قطاره (ربما تل حويش جنوب بلد سنجار) فروزاما شا او خاكيم فآبوم . وربما سلكوا ايضا الطريق الشمالي على طول دجلة فجزيرة بن عمر فنصيبين ويعبروا الفرات عند دادانيا (ربما بيره جك الحالية) باتجاه قانش سواء عبر دارند وكورون او عبر غازى عينتاب فوادى زنجرلي ( سمأل ) .

وقد حمل التجار بضائعهم على الحمير (كل حمار يحمل حوالي ١٥٠ باوند تقريبا) . وقد تصل اعداد الحمير في القافلة الى ٢٠٠ حمار، وكان التجار يشترون الحمير من آشور، ويبيعوها بآسيا الصغرى وذلك لغلاء اسعارها هناك . وقد استعملوا العربات بقلة وكذلك القوارب ، ربما عند عبورهم الأنهار، وكانوا يضعون البضائع على شكل رزم فوق الحمير بأزواج يضعون فوقها أكياسا أصغر حجما . وكانوا يضعون مع المعادن المحمولة وزنا اضافيا لتغطية مصاريف الطريق . اما المنسوجات فكانوا يضعون من ٢٠ - ٣٠ قطعة لكل حمار اي حوالي ٨٠ كيلو غرام للحمل الواحد واستعملوا للتغليف منسوجات أرخص نوعا .

دفع التجار انواعا من الضرائب امثال ضريبة الطريق ، والتصدير، وضريبة مواجهة الأمير، وضرائب عينية الى الكاروم ، وضريبة لتعمير حصون آشور، وضرائب عند الخروج من آشور والأناضول عند المدن التي يمرون منها ، وضريبة رؤوس ، وأخرى عن ارساليات الذهب والفضة الى آشور.

**التجارة الخارجية :**

اهتم الآشوريون بالتجارة منذ عصور استقرارهم في بلاد آشور وازداد ذلك الاهتمام بعصورهم المتأخرة ، وقد عزا كثيرون الازدهار الآشوري في تلك العصور الى انتعاش التجارة ، وقد استورد الآشوريون مختلف انواع المعادن كالذهب والفضة والقصدير والنحاس والرصاص ومختلف انواع الأحجار الكريمة وشبه الكريمة والصخور وأصناف من الأخشاب مثل الارز والأبنوس وخشب القس واللؤلؤ والعاج والكثير من المواد الضرورية التي لاتتوفر في بلادهم . ولعدم ثبات توفر المواد الغذائية بصورة دائمية ، حيث كثيرا ماكانت تشح نتيجة قلّة مياه الارواء او عدم توفرها او زيادتها لحدوث فيضان مدمر بسبب الآفات الزراعية ، فقد صار اهتمام الآشوريين بالتجارة الخارجية كبيرا . وذكر الملك آشور- بيل- كالا عن استحصال والده تجلات بليزر الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق. م) على حيوانات أراد تكاثرها في بلاد آشور كالجمل ذي السنامين لابد ان جاء بها التجار عن طريق جبال زاجروس . وربما يكون حيوان البورخيش الذي ذكره هذا الملك هو ثور التبت الطويل الصوف الضخم المعروف بالياك الذي وصل هو الآخر الى آشور عن طريق التجارة ، وجلبوا اللؤلؤ من الخليج العربي والعاج من الهند ومصر وأفريقية سواء بصورة مباشرة او عن طريق الفينقيين،وتدل كثرة قطع العاج التي عثر عليها في المواقع الآشورية خاصة في نمرود على مدى اعتماد الآشوريين على التجارة الخارجية خاصة في جلب هذه المادة وجلب الصنّاع المهرة الذين يتقنون قطعها وتزيينها ، ويبدو ان تجارة العاج كانت بين الهند وديدان حيث نقل





الديدانيون العاج الى فينيقيا وربما استحصله الآشوريون من ديدان مباشرة. وقد اشتهرت صور في تجارة العاج حتى شبهها سفر حزقيال من العهد القديم بسفينة ذات مصاطب من الخشب مغطاة بالعاج ورغم انه لم يعثر على شيء من العاجيات الآشورية خارج الممتلكات الآشورية، الآ انه يمكن الافتراض ان الآشوريين صدروا العاج المحفور ومنتجاتهم من الزجاج الشفاف الملون والطاسات المعدنية والصحون.

تعرضنا الى جلب الآشوريين للقصدير من مناطق جبال قرة داغ قرب تبريز بايران ومن وادي فرغانة بأواسط آسيا ومنطقة شمشارة في شمال العراق الشرقي، وربما استحصلوه في عصورهم المتأخرة عن طريق الفينيقيين الذين كانوا يحضرونه في الغالب من صقلية وجزائر كورنوال بانكلترا التي عرفت باسم جزر القصدير، وربما بادله الآشوريون معهم بالمنسوجات والصناعات الأخرى. ولم يعثر على القصدير في المواقع الآشورية بحالة نقية بل عنصرا في صناعة البرونز حيث يشكل $\frac{1}{10}$ - $\frac{1}{7}$ من المادة. اما النحاس فقد أتى الآشوريون به من ارغان معدن (ارغانة) وفي العصور التالية من مناطق القفقاس وخراسان وبحر الخزر وقبرص وعمان عن طريق البحرين (دلمون). ومنذ عهد سرجون الثاني استحصل الآشوريون النحاس من قبرص وربما من عمان. وكانت المدن الكلدية في حوض الفرات الأدنى ودجلة ذات علاقة مع أفريقية بالذهب والساج والعاج التي لابد ان تم تبادلها بصناعات شرقية وبالفضة والقصدير والنحاس والحديد. وكانت ماري تستورد القصدير ثم تعيد تصديره الى حلب وقطنة (مشرفة في سهل حمص بسوريا) وخاصور (تل القداح في فلسطين) كما عملت تجارة الذهب والأحجار الكريمة والخشب. ونقرأ ايضا عن تجارة لها في الحيوانات والخمر والأعشاب الطبية، وكانت أنواع النبيذ تصلها من حلب وكركميش. وكان الرصاص اكثر شيوعا في بلاد آشور في العصور الاولى، وربما كانوا يجلبونه من سورية والجبال القريبة، وكانت الفضة موجودة في شمال الأبواب الكليكية بآسيا الصغرى حيث مناجم بلغار معدن وقد ضمن الملك شيلمنصر الثالث المدخل الى هذه المنطقة الثرية بالفضة عندما سيطر على تدي والتي سرعان ماخسرها ثم استرجعها تجلا تبليزر الثالث الذي وصل الى المناجم نفسها. وكم حاول الملوك من سرجون الثاني حتى أسرحدون الحفاظ عليها، ولكن غزوات القبائل البربرية من الشمال اوقفت جهودهم.

استورد الآشوريون اللازورد من بد خشان في أفغانستان وبكتريا. وربما استوردوا العقيق الأحمر واليشب والجزع (العقيق اليماني) من عربستان حيث وجد منها في حوض نهر الكرخة، او انهم استحصلوها من الهند، وجلبوا الزمرد والشذر من مصر، كما حصلوا على احجار شبه كريمة من أرمينيا واستوردوا الصخور المنحوتة على شكل جعارين من مصر. وحصل الآشوريون على كثير من الأحجار الكريمة من صيدا والمدن البابلية والمصرية. وقدمت القبائل الميدية جزيتها الى الملك أسرحدون باللازورد الذي قدمته ايضا المناطق شمال شرق ميديا الى تجلا تبليزر الثالث والتي كانوا يستحصلونها من بد خشان، وعثر سرجون الثاني على كميات كبيرة من اللازورد في قصر مصاصير (بمنطقة راوندوز)، ويعزى ثراء مصاصير الى ارتباطها بخطوط التجارة عبر جبال زاجروس بأواسط آسيا وبد خشان، كما استحصل الآشوريون على الأحجار الكريمة من بلاد العرب وساحل البحر الأحمر وقدمت ايدوم اليهم جزيتها بالزمرد، وقدمت مناطق نائيرى وسورو جزيتها الى الملك توكولتي ننورتا الثاني (٨٩٠-٨٨٤ ق.م)، بالحديد. وقد استحصل شيلمنصر الثالث اربعمائة طالن حديد كجزية من الحيثيين وقد





لاستحصل الآشوريون على الحديد من منطقة كوما عنين شمال غرب آشور كما جلبوه من حرّان ايضا. وربما يكون معدن الأموتوم هو المعدن الغالي الثمن الذي استحصلوه في عصور اولى.

ذكر هيردوتس (٤٨٠ - ٤٢٥ ق. م) أن البضائع الآشورية كانت ضمن صادرات الفينقيين الى بلاد اليونان منذ عصور قديمة دون ان يخبرنا بطبيعة تلك البضائع. وقد تكون من هذه البضائع المنسوجات الزرقاء والمطرزة. وكان الحرير خلال العصور الرومانية من الصادرات الآشورية الأساسية. وتكلم الشاعر الروماني هوراس من القرن الأول على الناردين الآشوري وقد ذكر الشاعر الروماني فرجيل الهيل الآشوري وتعرض يتبولوس الى العطور الآشورية وربما وصلت كل هذه الى الرومان عن طريق الفينقيين الذين استحصلوها بالتبادل التجاري من الاشوريين.

جلب الآشوريون الخيول من كباد وكية والسهول اليتسية غرب ميديا، وكان الحصان الذي استعمله الآشوريون متوسط الحجم نحيف البنية تبرز يداه الاماميتان قليلا الى الاعلى اكثر من رجليه الخلفيتين. وتقرأ في رسالتي الملك آشور - او بالط الى معاصرة الفرعون المصري امنحوتب الرابع (اخناتون) من عصر العمارنة ارسال الأول للثاني خيولا، ويقدم دليل الضرائب وجود انواع عدة من الخيول امثال الخيول الواردة من منطقة ميسو (شرق آشور) والخيول الكوسية والماسية الخ مما يدل على تنوع مصادر استيرادها. وهناك وثيقة بارسالية قدرها سبعمائة وثلاثون حصانا، وهي دليل مهم عن التجارة الدولية بالخيل، وربما كانت مرسلة الى الدولة لأهميتها العسكرية. وقدمت ميديا جزيتها الى الآشوريين بالخيل.

أورد سفر حزقيال من العهد القديم (٢٧ : ٢٣ - ٢٤) ذكرا لتجارة الآشوريين مع مدينة صور في الملابس الزرقاء المطرزة، حيث ورد "حران وكنّة وعدن تجار شبا وآشور وكلمد تجارك. هؤلاء تجارك بنفائس بأردية اسمانجونية ومطرزة وأصونة مبرم معكومة بالجبال مصنوعة من الأرز بين بضائعك" وقد استورد الآشوريون الشب والنطرون من مصر استخدموها مواد مثبتة للألوان على خبوط الغزل والنسيج والملابس. وقد عرض آشور بانيبال على مدينة ارواد الفينقية دفع نوعين من الصوف المصبوغ بالأرجواني الذي يؤتى به من مناطق سورية حيث المراعي الكثيرة، وقدمت بعض المدن السورية جزيتها للآشوريين بالصوف، وذكرنا قدم شهرة آشور بصناعة المنسوجات المختلفة التي كانوا يصدرونها الى بلاد الأناضول.

أتى الآشوريون بخشب الارز من لبنان وجبال الأمانوس (الماداغ في شمال غرب سوريا) وجلبوا خشب الساج والأبنوس من الهند وأفريقية المدارية، وكانت صور تستورده، وسمح الآشوريون لمدينتي صور وصيدا ان تقطع الخشب من جبال لبنان شريطة ان يدفعوا عنها الضرائب عند وصولها الى المخازن، وقد أثارت هذه السياسة الفينقيين حتى ان جامع ضريبة آشوريا قد قتل، مما دفع الآشوريين الى اخماد الفتنة عسكريا وفرضوا بعدها قيودا على الصادرات، وصار الخشب يرسل الى بلاد آشور.

أتى الآشوريون بالبخور من بلاد العرب واستوردوا الدارصين من جنوب شرق بلاد العرب، وربما من سيلان، حيث دخلت هذه المادة في تركيب الدهن المقدس. اما تجارة المحصولات الزراعية فكانت قائمة على قدم وساق. وذكر بلني الكبير في موسوعته ان الكثير من الأمم حاولت زراعة التفاح الآشوري نظرا لحمله الفاكهة طيلة السنة، واستوردته من بلاد آشور في جرار مزودة بثقوب لتنفس الجذور. وكان من الفواكه التي تظهر على الموائد الآشورية في المنحوتات عددا مما يشبه الأصابع متصلة بالقاعدة احيانا تمثل مجموعة من الموز واذا كانت كذلك فربما كانت مستوردة.





ومن العصر البابلي القديم تورد النصوص ارسال القمح الى ماري التي كانت بحاجة دائمة اليها، وكانت تحصل عليها من بلاد ايمار (مسكنة قرب حلب) والقطن الذي ادخله الملك سنحاريب سنة ٦٩٤ ق. م. ربما استحصله من مصر التي ربما كان يصلها من الهند ان لم يكن قد وصل اليها من الخليج العربي حيث كان يصل اقطاره من الهند ايضا. وفرض الآشوريون على مناطق الجبال والسهوب امثال تابال، تايانا، نائيرى وبيت زماني عند منابع دجلة وميديا دفع جزيتها بالمواشي ايضا وقدمت الملكة العربية شمسة الى سرجون الآشوري جزية ضخمة من الجمال. وجلب آشور بانيبال من انتصاراته بالغرب اعدادا كبيرة من الجمال مما أدى الى رخص اسعارها في الأسواق المحلية الآشورية.

يقدم دليل الفخار البرهان على وجود تجارة قوية بين السنوات ١٦٠٠- ١٤٠٠ ق. م بين بلاد آشور وقبرص حيث وجدت في آشور الكثير من الاوعية الفخارية القبرصية المهشّمة من زمن الملك آشور- بيل- كالا. كما عثر في مصر على معجم بكلمات مصرية وما يقابلها من معان باللغة الآشورية لابد انها تعود الى تاجر آشوري قصد مصر للتجارة، وكان في مدينة اوغاريت (رأس شمرة شمال غرب سوريا) مستوطنين من حوالي ١٤٠٠ ق. م. يعملون في التجارة، وقامت اوغاريت بدور وسيط في التجارة مابين آسيا الصغرى، حيث مصادر النحاس والذهب والفضة وبين مدن العراق القديم. ويعود سبب تحرك الآشوريين خلال القرن العاشر ق. م. الى سوريا الى الصعوبات التي حلّت بآشور نتيجة التحركات الآرامية في سوريا، وكان ذهابهم الى سوريا هو للسيطرة على الطرق التجارية المؤدية الى البحر المتوسط، وفعلا نجحوا في ذلك حوالي منتصف القرن الثامن ق. م. وسيطروا على كل سوريا وفينيقية، وكان الآشوريون يسيطرون على اقتصاد وتجارة المناطق التي يسيطرون عليها. وربما يكون سبب الصراع بين دولتي ارارات وآشور هو النزاع على الخطوط التجارية خاصة وان مشكلاتهم قد تركزت في شمال سوريا وجنوب كليكيا والمنطقة جنوب شرق بحيرة اورمية (رضائية) خاصة وان سوريا مهمة تجاريا وسعى الاثنان الى السيطرة عليها. وان السيطرة على كليكيا يفتح الطريق الى المستعمرات اليونانية بآسيا الصغرى وموشكي (فريجيا) وبلاد اليونان الى جانب اهمية شمال شرق العراق التجارية في نقل التجارة من المشرق الى آسيا الصغرى فاليونان، وحرص الآشوريون في عصرهم المتأخر على احكام قبضتهم على شمال العراق الشرقي واشاعة الأمن والاستقرار في ربوعه من ناحية وجعل شمال غرب سوريا مزدهر تجاريا، لذلك اقاموا القلاع والحصون فيها. كما فتح الطريق الى دلمون (البحرين) خلال العصر الآشوري المتأخر للحصول دون شك على منتجات الخليج المختلفة التي كانت تصل اليه تجاريا من الهند والنحاس من عمان.

وقد اعلمتنا قائمة المنتجات والمواد التي قدمها مردوخ ابلا أدينا (مردوخ بلادن) الى تجلا تبليزر على غنى منطقة الخليج العربي. فقد ذكر ضمن المواد تراب الذهب وكثرته وأوعية ذهبية واحجارا كريمة ولؤلؤ وقلائد الخ. وان سرجون الثاني الآشوري هو أول حاكم آشوري نجح في اجبار مصر على فتح العلاقات التجارية مع آشور واعتبر سرجون هذه المسألة على غاية من الأهمية. وبذلك خرجت مصر من عزلتها التجارية التي عبر عنها سرجون بالقول (حدودها المغلوقة). وهذه أول اشارة نعرفها حاليا عن اهتمام الدولة الآشورية بالتجارة واشراكها في العلاقات التجارية الدولية. ويذكر أسرحدون اعطاءه البابليين امتيازا بحرية التجارة غير المقيدة لهم مع جميع انحاء العالم المعروف آنذاك. وتدل هذه على ان التجارة البابلية والآشورية قد بدأتا منذ





بداية الألف الأول ق. م. وربما صار الاثنان وسطاء في التجارة بين الهند وشرق العراق الى البحر المتوسط. وتوضح معاهدة أسرحدون مع بعل حاكم صور اهتمام الملك الاشوري بالتجارة ودرجة التجارة البحرية للساحل السوري التي صارت الآن حكرا للفينقيين. ولم يطلب أسرحدون فيها زيادة الجزية المفروضة عليهم عما كانت عليه زمن شيلمنصر الخامس بل طلب تعويضا عن الخسارة التي نجمت عن هبوط قيمة العملة. ولم ينظر الفينقيون الى هذه كجزية بل دفع عن أقيام سبق تسلمها. ويظهر من بنود المعاهدة ان الفينقيين هم الرابحين من بنودها اكثر من الآشوريين كما تدل معاهدة أسرحدون مع راماتايا الميدى حاكم اورو كازايارنا حرص الملك الآشوري على حفاظ تابعه على السلام والتعاون مع آشور الضروريان للتجارة. وكانت معاهدة مابين تود جلبا الملك الحيثي وبين تابعه شوشكا مورواش ملك عمورو بسوريا فرض الملك الحيثي على تابعه فيها مقاطعة بلاد آشور تجاريا حيث أخبره "ان تجارك يجب ان لايذهبوا الى بلاد آشور ولا تسمح لتجاره (الملك الآشوري) في بلادك وان لايمرون فيها. واذا اتى واحد الى بلدك اقبض عليه وارسله الى الملك ا لحيثي (الشمس في النص)". واعتبر الملك الآشوري هذا تهديدا خطيرا لمصالحه التجارية في سوريا جعله يبدأ الحرب.

كان الكثير من البضائع يصل الى بلاد آشور من الخارج خلال الألف الأول ق. م، خاصة ولكن أغلبها كان على شكل غنائم حرب او جزية ابتداء من زمن الملك توكولتي ننورتا الأول الى جانب تسلم الدولة للكثير من الضرائب العينية. وكان ميزان الدفع دائما لمصلحة آشور،فمهما يكن الصرف الآشوري فان التوازن يتم بالمصدرين الآخيرين (الجزية والغنائم)، وكان الدفع بالذهب والفضة، وفي تملك الذهب كانت على رأس القائمة الآشورية صور التي كانت مركز تجارة دولي في العصر الآشوري الأخير. وأحيانا كانت الدول التابعة لآشور، كما لاحظنا، تدفع جزيتها بمنتوجاتها المحلية التي كان الآشوريون يستفيدون منها في التجارة الدولية.

وقد ظهر الرصاص في العصور الآشورية واسطة تبادل الى جانب الفضة. وفي زمن الملك سرجون الثاني كانت نسبة الفضة الى الذهب ١ : ١٠ اي ان فضة العملة أصبحت أرخص نوعا. وكانت الفضة المختومة واطئة من حيث الجودة خلافا للفضة التي كانت تستعمل صناعيا، وكانت الأنظمة الرسمية الآشورية تمنع استعمال هذه الفضة حيث ورد في النص: "اذا صهرت قطعا فضية تحوى علامة فانك ستكون مذنبا بحق الدولة" وكانت هذه العلامة المختومة تشير الى أن محتواها الأدنى من الفضة مضبوطا. وهكذا تعد مزيجا فضيا وليست فضة خالصة. وجاء في نص القول "ارسل لي فلان ٢٠ شيقل فضة كانت ثلاثة منها فقط جيد النوعية اما البقية فمختومة بعلامة" وورد في نص آخر: "٥ شقلات فضة لقاء ثلث شقل ذهب"، ويحدد نص آخر سعر الذهب والفضة بالنسبة الى المعادن الاخرى.

١٠ طالين نحاس تعادل $\frac{١}{٧}$ ٣ شيقل فضة
٣٧ من رصاص تعادل $\frac{١}{٢}$ ٥٥ شيقل فضة
٤ طالين و ١٧ من حديد تعادل $\frac{٢}{٣}$ من و $\frac{٢}{٣}$ ٢ شيقل فضة

وكانت الفضة تخزن في اماكن خاصة وبعهدة موظفين مؤتمنين، وكان خروج هذا المعدن كما يستدل من احدى الرسائل لايكون الا بامر الملك أو مبعوثه الشخصي. وقد استعملت الفضة واسطة تبادل أشبه بالعملة. وان الرسائل الآشورية من الفترة السرجونية الأخيرة مليئة بالاشارات لذلك. وقد ورد ذكر شيقل رأس عشتار من الفضة او رأس شمش، ثم قطع نصف شقل للملك سنحاريب.





ومن قبل ذلك ورد ذكر حلقات فضية في الكتابة للملك آشور ناصربال الثاني (٨٨٤ - ٨٥٩ ق. م) كلها لضمان الوزن.

**التجارة الداخلية :**

تظهر الوثائق الخاصة بمختلف أوجه النشاط التجاري، أمثال صفقات البيع والشراء والقروض والمساهمات بالاعمال المتنوعة سواء الخاصة بالانتاج ام التجارة والصيرفة (استثمار، اعتماد) وما الى ذلك، سعة حجم التجارة الداخلية في بلاد آشور. فقد كانت البضائع والمواد المختلفة تنقل من المناطق التي تنتجها وتضعها الى تلك التي تحتاجها وتفتقر اليها. فمنتجات المنطقة الجبلية كانت تجلب لتصريفها الى جميع المدن الآشورية، ويتم نقل المحصولات الزراعية والمواشي والمنتجات الصناعية المختلفة من مدينة لأخرى بواسطة التجار المحليين الذين اما ان يبيعوا لتجار آخرين او الى باعة المفرد. وكانت العلاقة قوية بين جنوب العراق وشماله حيث يتم نقل ماتحتاج اليه المدن الشمالية من منتجات الجنوب ونقل مايحتاجه الجنوب من محصولات وصناعات الشمال. وكانت بلاد آشور تشكل مصدرا مهما لتصدير خشب الحور الذي يستعمل في البناء وخشب الاسل المهم في صناعة السفن، وتدرج وثيقة البيع عادة القيمة التي تمت الموافقة عليها بين البائع والمشتري ثم العقوبات على من ينكث البيع منها وينتهي العقد بأسماء الشهود والتاريخ، وتقرأ دائما العبارات (الآلهة هم سادة قضيته) او (الآله آشور هو سيد قضيته) او (أدى القسم بالملك الذي هو سيد قضيته) وكثيرا ما تدرج وثائق البيع عقوبات جزائية على الناكث او أطفاله مثل أكل نبات شوكي حتى يثقب اللسان او حرق ابنته الكبرى او ابن الناكث الأكبر او اجباره على تضحية خيول بيضاء. وأحيانا تلزم العقود الناكث تعويضا عن الخسارة التي الحقها بالطرف الآخر تصل احيانا الى دفع عشر اضعاف قيمة الصفقة. وفي الكثير من الأحيان تتم الصفقات بالتبادل.

كانت هناك اجراءات اعتمادية في بلاد آشور لتسهيل التجارة، وكان المعبد والصيارفة يتعاطون الاقتراض بالفضة لأغراض التجارة والعمل حيث يقرضون المال الذي يسترجعونه وقت الحصاد او وقت آخر عينا وفي حالة عدم الدفع فيقدم المقترض فائدة أكثرها بالحبوب. وكانت المدن تتبادل مع منتجاتها بعضهامع بعض. فالمنطقة حول حرّان زمن الملك سرجون الثاني كانت مركزا كبيرا لجمع البلوط الذي يستحصلوا منه الى جانب الثمر العفص والصبغ القرمزي المعروف ببلوط الدودة اوبلوط القرمز التي يصدروها الى المناطق التي تحتاجها. كما كان التجار يشترون الأخشاب من الجبال ليبيعوها في المدن. فأتوا بالسيسبان من جبل حمرين والجزيرة الفراتية والسرو من الجبال الشرقية والتي استحصلوا منها على المن خاصة الذي تفرزه انواع من البق. ثم الجليان الذي يحضروه للبيع من منطقة الشرقاط. وأتوا بخشب الصنوبر من جبال زاجروس. وكانت الخمر تنتج في المناطق الجبلية الى شمال وشمال شرق نينوى ويجلب للبيع بواسطة تجار الى المدن الآشورية ومنها نينوى. وهناك عقد بين بارتاما ومانوكي نينوى حيث أوعد الأول ان يسلم الثاني حوالي مائة غالون خمر بنينوى خلال شهر مايس واذا لم يقدم الخمر فعليه ان يعطي بالفضة مايعادل مئة غالون بالسعر الذي عليه الخمر خلال ذلك الشهر. وهذا يدل على تقلب الأسعار حسب الفصول والأشهر حسب الأوضاع الاقتصادية (العرض والطلب).

وكانت كثرة الغنائم تؤدي الى هبوط الأسعار، فكثرة الغنائم التي جلبها الملك آشور بانيبال من حركاته التأديبية ببادية الشام جعلت أسعار الجمال تهبط بصورة ملحوظة.

كان الشعير هو المقياس في العصور الاولى عند تقويم اثمان البضائع الى جانب المعادن الثمينة خاصة الفضة، ويبدو ان الآشوريين الاوائل استعملوا الرصاص والنحاس ايضا. وذكر سنحاريب صب

اشكال كبيرة وقال ان عملها كان سهلا كسهولة عمل نصف الشيقل. وفي جرة عثر عليها في آشور اكتشفت قطع فضة قطعت على شكل قضبان وحلقات. كما عثر على قوالب للمعادن الثمينة على شكل نجمة، وهلال وحيوانات مختلفة وهي خالية من أية كتابات. وعلى الرغم من تصريح سنحاريب سنة ٦٩٤ ق. م بصبه شكلا برونزيا (مثل صب نصف شيقل) عرف برأس عشتار ورأس شمش فان النقود لم يكن لها دور في اي دور، ولم تكن هناك نقود في بلاد آشور. وقد استخدمت المعادن غالبا وسيلة للتبادل كقطع ذات وزن ثابت معين تضمنه الدولة. واستخدمت معادن الفضة، والذهب، والقصدير، والنحاس، والبرونز لهذا الغرض، ولوأنه الأكثر أهمية في العصر الآشوري الحديث كان الفضة التي استخدمت احيانا مقياسا.

**الخطوط التجارية :**

طرق التجار الآشوريون خطوطا تجارية كثيرة في الوقت الذي كانت فيه جميع الطرق التي تسير بها الجيوش الآشورية ممرات للقوافل التجارية، وحضيت بحماية الدولة.

ومن الطرق التي اتبعها التجار الآشوريون كان الطريق الذي يأتي من حوض بحيرة رضائية عبر مضيق كيلي شين منحدرا الى راوندوز ومتبعا مجرى نهر الزاب الكبير الى حرير حيث تعبر السهل الى نينوى. وقد عثر في كل من طوبزاوه وكيلة شين على نصب حجري مدون بكتابة مسمارية باللغتين الآشورية والاراراتية (الخالدية). ونصبت الأولى على الطريق العام الذي يصل سيده كان بممر كيله شين، تورد مساعدة روسا ملك ارارت (المعاصر لسرجون الثاني الآشوري) لحليفه ارزانا ملك مصاصير ضد الآشوريين.

وطول نصب كيله شين حوالي المترين وعرضها ستون سم تذكر انتصار ملك ارارات اشبوايني وولده منوا على الآشوريين وضم منطقتي مصاصير ونائيرى لمملكته، وان وجود هذين النصبين المتقاربين على هذا الطريق يدل على كثرة استعمال هذا الملك للتجارة عبر جبال زاجروس. ثم الطريق الذي يربط بلاد آشور مع ميديا ويصل من شمال اكباتانا (همدان) الى السليمانية الحالية عبر مضيق بانة ومن هناك الى كركوك ويعبر الزاب الاسفل عند التون كوبرى ثم يمر بأربيل فنينوى. وقد ذكر ديودوروس الصقلي من القرن الاول التجارة التي كانت تصل الى بلاد آشور من ميديا وبارايتا سيني (منطقة البختارية). وهناك الطريق عبر وادى الزاب الاسفل فجبال قنديل الى لدجيهان. وكذلك الطريق الذي يمر من سفوح جبال سنجار حتى كركميش (جرابلس، تفساح) حيث يعبر نهر الفرات ثم ينثني جنوبا الى تدمر فدمشق والمدن الفينقية. وهناك طريق آخر يصل نينوى بمدينة حرّان ويستمر الى كركميش حيث يتصل بالخطوط الذاهبة الى شمال سورية من جهة وآسيا الصغرى من جهة أخرى. ثم الطريق الذي يربط نينوى بمنطقة بحيرة وان والذي يتبع وادي دجلة على طول فرع بتليس جاى. وكذلك الطريق الذي يربط نينوى بنصيبين على طول جبال طور عابدين ذاهبا الى اميدا (آمد، دياربكر) فالعزيز وملاطية.

وكان الطريق بين جبلي مكحول ويحمة الذي يسير به الآن الطريق الحديدي طريق قوافل حيث كان يمر به طريقان الأول مارا بالثرثار عبر جبل سنجار الى وادى الخابور والثاني الى تلعفر ثم الى نصيبين. وهناك الطريق الذي يربط بلاد آشور باشنونا التي تتصل بها الخطوط الذاهبة الى الشرق والغرب. وكان هناك طريق يربط بابل بآشور على طول الثرثار. وربما كان هناك طريق يربط بلاد





آشور بغرب الهند عن طريق كابل- هيرات، فالأبواب القزوينية وميديا، حيث عثر هناك على مسلة الملك شيلمنصر الثالث السوداء التي صور فيها فيل مع كركدن وجمل بسنامين، وكانت أخشاب الارز تنقل بحرا من صور الى أرواد ومنها الى الشمال حيث تنقل الى الفرات مع خشب الارز الذي يرد من جبال امانوس.

وحرص الآشوريون على ضمان أمن الطرق التجارية وسلامة التجار وبضائعهم، وكان ضمان القوافل التجارية وسلامتها وأمانها من المواضيع التي تطرق اليها الملك آشور اوبالط في رسالته الى معاصره اخناتون فرعون مصر، حيث ذكر الأول بأن سبب تأخر وصول رسلهم يعود الى البدو في منطقة الفرات الأوسط وأوعد بالضرب بيد من حديد عليهم. وذكر سرجون الثاني الآشوري حربه ضد القبائل الأمامية الذين ظلوا يهاجمون قوافل البابليين.

كانت سيطرة شيلمنصر الثاني على سهل مرج بني عامر في فلسطين مفتاح وصوله الى ساحل البحر المتوسط، لأن هذا السهل كان دائما هو الطريق المباشر للخطوط التجارية التي تربط دمشق وحوران بالبحر المتوسط. كما سيطرت آشور على ميناء غزة الذي تصل اليه تجارة العرب الجنوبية في طريقها الى البحر المتوسط. وربما كان استيلاء سرجون الثاني على غزة السبب باسراع كاريبي ايلي عاهل سبأ في اليمن بارسال الجزية اليه حسب ادعائه. وسيطر الآشوريون على تابانا وفرضوا عليها الجزية. وكانت تابانا تتحكم بالطريق الممتد من طرسوس عبر جبال طوروس الى سينوب على ساحل البحر الاسود. كما قوى سرجون الثاني الآشوري علاقته مع تابال وزوّج ابنته اخت أبيشا لملكها واعطاها كصداق مدينة هيلاكو التي كانت محطة توقف للقادمين من كليكيا في طريقهم الى الطرواد في شمال غرب آسيا الصغرى.

وخلال العصر البابلي القديم كانت مارى التي سيطر عليها لفترة الملك الآشوري شمشي ادد الأول تسيطر على خط القوافل الذي يربط الخليج العربي بسوريا وساحل البحر المتوسط. وكانت تصل الى مارى منتجات عدة من أقطار بعيدة لاعادة تصديرها. وفي عهد شمشي- ادد الأول وصل وفد من دلمون (البحرين) الى شوبات انليل (شغر بازار) وكان رجوعه الى بلاده عن طريق مارى. وكانت لمارى علاقة قوية خاصة خلال فترة ولاية يسمخ- ادد ابن شمشي- ادد مع مدينة قطنة التي كانت مركز مقاطعة ثرية بالحبوب حيث توجد أشجار الزيتون والعنب وتقع على احد النهايات القصوى لخط القوافل من نهر الفرات الى تدمر.

وكانت صلات قطنة مع البحر قد ضمنها ممر طرابلس حيث تشق القوافل طريقها بين جبال لبنان والأنصارية. والى شرقها حزام مع الأراضي الرعوية. وتشير رسائل مارى الى مراعي قطنة. وقد تزوج يسمخ- ادد من ابنة ملكها ايشخي أدد. وكان لقطنة صلات تجارية مع مارى التي استحصلت منها على القصدير.

### وسائط النقل:

نقل الآشوريون بضائعهم بالطرق البرية المختلفة وبالأنهار ولم يكونوا ملاحي بحار، ولم يركبوا البحر حتى عندما وصلوا الخليج العربي والبحر المتوسط. وتركزت خطوطهم التجارية المائية في نهري دجلة والفرات وروافدهما التي شكلت بالنسبة لهم خط المواصلات الطبيعي بين تلك الأنهار. وكانت مياه هذه الأنهار عميقة ولايمكن خوضها، ولذلك استخدموا الكثير من وسائط النقل كالقفف والأكلاك سواء أكانت جلدية، حيث تشد بعض القرب المنفوخة بعضها مع بعض ويرصف سطحها بالألواح الخشبية، ام انها كانت على شكل

عوامات من القصب او الخشب حيث تشد قطعا خشبية او جذوع اشجار بعضها الى بعض، ويمكن الافتراض بأن الآشوريين استخدموها منذ بدء امبراطوريتهم. وهناك ايضا مختلف انواع السفن التي زخرت بها كافة الأنهار وفروعها امثال تلك التي تسير مع مجرى الماء او عكسه او سفن نقل الحمولات او المسافرين. كما كانت السفن تختلف بالأحجام فقد يصل طول السفينة الى ثمانية عشر مترا حدا أعلى وتتراوح حمولتها بين نصف طن وخمسة وعشرين طنا.

والمعروف ان صناعة السفن قد تطورت بصورة ملحوظة في العصر الآشوري الأخير وطرأ عليها تحسن كبير. فنقرأ عن بناء سفن لآشور في المدن الفينيقية امثال صور وصيدا وحتى عن جلب صنّاع سفن الى بلاد آشور من المدن الفينيقية وجزيرة قبرص في العصر الآشوري الأخير، وفي الغالب جلب سنحاريب الخشب الصالح لبناء السفن من لبنان الى نينوى لافتقار آشور الى الخشب الجيد الصالح لبناء السفن. وأدى الاتصال بفينيقية وقبرص الى جعل الآشوريين بناة سفن مهرة وتحسنت سفنهم النهرية الى حد كبير. فقد حل محل القوارب الطويلة غير الجميلة الشكل من الفترات الاولى قوارب خفيفة وجميلة تشبه القوارب الفينيقية. وكانت مارى خلال العصر البابلي القديم مركزبناء سفن من مختلف الأحجام. وقد ورد في الرسائل التي عثر عليها في قصر مارى عن اوامر تسلمها يسمخ أدد ابن الملك شمشي ادد الأول من والده من أجل بناء سفن. ويخبره في رسالة ان يبني ستين سفينة دون ذكر احجامها ويأمره بأخرى بصنع قوارب صغيرة وكبيرة. وفي رسالة الى يسمخ ادد يذكر ملك كركميش احتجازه لثلاثين رأس ماشية في توتول (مدينة على الخابور غير هيت على الفرات التي عرفت هي الأخرى باسم توتول) وخمسين جرة خمر وزوجة ملاح. وقد فضل الاشوريون النقل المائي لرخص تكاليفه واستيعابه الكبير. ونعرف ان الملاحين كانوا يشكلون جماعة مترابطة ويأخذون عوائلهم في الغالب معهم بالسفن. ونقرأ منذ زمن تجلا تبليزر الأول عن قوارب استخدمت في مخر نهر الفرات مصنوعة من الأغصان المجدولة ومغطاة بالجلد ومطلية بالقار. ومثل هذه السفن تكون عادة كبيرة الحجم. ونجد في منحوتة قاربا من هذا النوع حاملا عربة ويجذفها ملاحان. وقد ازداد عدد ملاحي القوارب في العصور اللاحقة حيث صاروا أربعة وكثرت حمولات السفن. ويظهر من الصورة ان سير السفينة لم يكن اعتياديا حيث يجلس الجذافون في المقدمة يواجه كل منهم الآخر.

وبالوقت الذي يقوم من في مقدمة السفينة بالسحب، فان الذين عند المقود يدفعون. وكانت السفن في المنحوتات الاولى ذات صوارى (اعمدة) قصيرة تنتهي في رأس على شكل فأس صغيرة او مطرقة. وفي السفن المتأخرة هناك في الجزء المماثل للفأس منها مايشبه شفرة مقوسة مثقوبة. ونلحظ في المنحوتات الاولى قاربا يديره سبعة جذافين (ثلاثة من كل جانب وقائد الدفة). وهذا النوع من القوارب يكون عادة طويلا وضيقا وبأرضية مستوية ومدورة باتجاه المقود والمقدمة ولاتحوى اي شراع او صارى، وفي الوقت الذي تكون فيه مجاذيف الملاحين متماثلة فان مجذاف قائد الدفة اطول منها جميعا وينتهي بشفرة بيضوية ومثبت الى قضيب قائم قرب مقود السفينة. ولابد ان اعطت الشفرة مجذاف القائد قوة كبيرة بالماء. علما بأن قائد السفينة يستعمل كلتا يديه. وعندما تكون الحمولة كبيرة وثقيلة فتنقل في قوارب طويلة ذات أرضية مستوية، وحيث لايكون فيها مكان للجذافين فانهم يستخدمون الساحبين في جرها بالحبال المتينة التي تثبت اما بالقارب نفسه او بالحمولة. وتبنى الآشوريون أخيرا السفينة ذات





صف من الجاذيف من كل جانب. كما شيدت السفن الكبيرة التي يديرها ثلاثون جذافا يجلسون في صفين الواحد فوق الآخر على جانبي السفينة في حين نجد في الوسط هناك ٨- ١٠ اشخاص ولم يتبنّ الآشوريون الشراع او الصوارى لسفنهم، ربما بسبب سرعة تيار الأنهار العراقية. وان قوة الجذافين مطلوبة لمواجهة قوة تيار الماء. وفي السفن الكبيرة فان مجاذيف الصف الأول تعمل بوساطة ثقوب جوانب القارب. وليس للقوارب الآشورية مسند للمجذاف وصورة المجاذيف موضوعة دون سند على الحافة العليا من جانب السفينة. وفي منحوتة ثبتت المجاذيف القليلة بواسطة وتدين ثبتا في قمة جانب السفينة.



من وسائل النقل المائية (عن منحوتة جدارية)

ظلت الحمير لفترة طويلة هي واسطة النقل المهمة في الطرق البرية، وعلى الرغم من دخول الخيل فيما بعد فان استخدامها ظل قليلا جدا، وكذلك البغال. كما استخدموا العربات التي تجرها الثيران او الحمير في الغالب ذات عجلتين. وقد دخل الجمل منذ اواخر القرن الثاني عشر ق. م والذي استخدم حيوان ركوب ونقل. فالجمل يمكن ان يحمل احمالا كثيرة يقطع بها يوميا حوالي الثلاثين ميلا. واذا وضع على الجمل سرج فانه يمكن وضع سلال وأكياس بضائع اوهودج للركاب الى جانب تقدم الناقة حوالي غالون ونصف من الحليب يوميا يمكن صنع زبدة وجبن منها. كما يمكن صنع خيام وملابس من وبره. وصارت القوافل في الألف الأول ق. م تتألف في الغالب من الجمال.

## المراجع :


(١) تقي الدباغ، الثورة الزراعية والقرى الاولى، حضارة العراق، ج ١، (بغداد : ١٩٨٥).

(٢) سامي سعيد الأحمد، المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى، سومر، مجلد ٣٣ (١٩٧٧) ص ٧٠- ٩٦.

(٣) فاضل عبد الواحد وعامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة (الموصل : ١٩٧٩).

(٤) مارتن ليفي، ترجمة : محمود فياض المياحي وآخرون، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين (بغداد : ١٩٨٠).

(٥) I.E.S. Edwards and others, Cambridge Ancient History, Vols 1— 3, (Cambridge, 1970--)

(٦) Paul Garelli, Les assyrienns en Cappadoce, (Paris, 1963)

(٧) N.B.Jankowska, Some problmes of the economy of the Assyrian Empire M. Diankonoff, ed., Ancient Mesopotamia, (Moscow, 1969).

(٨) M.T. Larsen, Early Ashur and internal trade, Sumer, Vol.35 (1979) pp. 349— 347.

(٩) A.T. Olmstead, History of Assyria, (Chicago, 1923).

(١٠) Louis L.Orlin, Asyrian Colonies in Cappadocia, (The Hague— Paris, 1970).

(١١) Georg E' Rawlinson, Seven Great Monarchies of the Ancient Eastern World, (New York, 1885), Vol. 2.

(١٢) H: W.F. Saggs, The Greatness that was Babylon, (New York, 1963).

(١٣) H.W.F. Saggs, The Might that was Assyria, (London, 1984).

(١٤) K.R.Veenhof, Aspects of Old Assyrian Trade and its terminoolgy, (Leiden, 1972).

# الصِّناعَةُ

أ.د وليد الجادر

الصناعة أحد الأركان الثلاثة التي قامت عليها الحياة الاقتصادية في العراق القديم بعد الزراعة والتجارة. ومع أن نشاط العراقيين القدماء في الزراعة والتجارة كان يفوق نشاطهم في الصناعة، الاّ انهم مع ذلك، برزوا في الصناعة ووضعوا الأسس العلمية الرصينة للعديد من الصناعات واستغلوا ما كان متيسرا لديهم من مواد لصناعة مختلف الآلات والأدوات والحاجيات. ونظرا لافتقار المنطقة الى بعض المواد الخام، كالأحجار الجيدة والأخشاب والمعادن المختلفة الضرورية لتطور الصناعة، فقد عملوا منذ فترة مبكرة جدا لجلبها من المناطق المجاورة والبعيدة كما سبق أن أشير الى ذلك في الفصل السابق. وكان لبلاد آشور مكانة متميزة في مجال الصناعة، سيما وان اتساع حدود الامبراطورية الآشورية قد يّسر الطريق لجلب الكثير من مواد الخام من أرجاء الامبراطورية المختلفة، ومن البلدان والأقاليم التي كانت على علاقة مع الدولة الآشورية، وفضلا عن ذلك، فقد قام العديد من الملوك الآشوريين بجلب الصنّاع والحرفيين المهرة من أرجاء الامبراطورية للمشاركة في بناء القصور والمعابد ونحت التماثيل وصناعة الأثاث من الخشب وتطعيمها بالعاج والى غير ذلك. كما كان لتوفر بعض المواد الخام في منطقة الموصل أثره في أزدهار بعض الصناعات ولاسيما صناعة التماثيل والمنحوتات الجدارية.

وقد بدأ الانسان منذ استقراره في المستوطنات والقرى الزراعية بتشييد الدور وصناعة العديد من الالآت والادوات والحاجيات الضرورية لادامة حياته المستقرة، وكان لمنطقة الموصل دور رئيس في نشوء تلك الصناعات وتطورها طالما احتضنت العديد من القرى الزراعية الاولى التي استقر فيها الانسان، وبتطور الحياة وتقدم أساليبها نشطت صناعات مختلفة وتطورت وشهدت أوج ازدهارها في العصور الآشورية المتأخرة، ومع ذلك، اتسمت جميع الصناعات بالبساطة وبأنها كانت يدوية، وتصح تسميتها بالحرف اليدوية.

وسنحاول في الصفحات التالية التطرق الى أهم الصناعات والحرف التي عرفت في منطقة الموصل مركزين في ذلك على العصور الآشورية الحديثة (القرون الثلاثة الأخيرة من حياة الآشوريين).

## ١ – صناعة المواد الغذائية :

تعد عمليات تحضير المواد الغذائية من العمليات التقنية المهمة سواء في منطقة الموصل او غيرها من المناطق قديما وحديثا، وتشمل هذه العمليات تجهيز واعداد المأكولات والمشروبات من المواد الأولية المتيسرة وتخمير بعضها وأساليب حفظ الأطعمة بواسطة التقديد والتمليح واستخدام البهارات والمطيبات وخبز بعضها الآخر، واستخدام المواقد والتنانير والأفران.

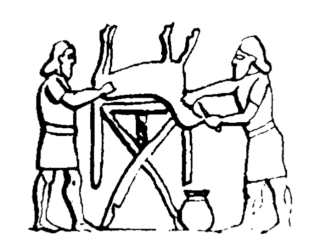
ويأتي الخبز، بطبيعة الحال، في مقدمة الأطعمة في العالم القديم ولاسيا في مناطق البحر المتوسط، وكان يعد من الحبوب المختلفة، وكانت صناعته تستلزم معرفة كاملة بأسلوب التخمير التي أفادت في صناعة المشروبات الكحولية ايضاً.

واستلزمت صناعة الخبز معرفة صناعات أخرى متممة، كصناعة الأواني الفخارية والتنانير،





وكانت صناعة التنانير سابقة على صناعة الفخار، ولاحقة بالتأكيد لمراحل كانت فيها صناعة الخبز على الحجر مباشرة في مواقد مفتوحة كما استخدمت الحبوب المشوية والمطحونة التي كان يتم تناولها على شكل عصيدة من فترة الألف السادس قبل الميلاد في جرمو[1].







تفاصيل طبخ وتحضير اطعمة (من منحوتات حجرية)

وقد عرف الخبز بالسومرية بكلمة ninda التي يقابلها بالأكدية كلمة أكلُ aklu ، وقد استخدمت كلمة اخرى مشتقة من الجذر نفسه للدلالة على الطعام مما يشير الى أهمية الخبز باعتباره الطعام الرئيس عند العراقيين القدماء.

وكان هناك انواع متعددة من الزيوت، كما اختلفت أساليب استخدامها ومصادرها. فكان زيت الزيتون يستخرج بواسطة الرحى الكبيرة باسلوب مشابه الى ماهو معروف في الموصل والقرى المحيطة بها حتى اليوم[2].

وعرف سكان العراق القدماء استخدام الملح منذ أقدم العصور التي وردت الينا منها نصوص مدونة، وقد استخدم مصطلح طابت tabtu للدلالة على الاطعمة المطيبة بالملح كما ذكر انه يساعد على حفظ الاطعمة[3].

وكان الملح الصحراوي من أحسن انواع الملح كما عرف ملح الأنهر غير النقي، وكان الحصول عليه يتم بعد تجفيف المياه او تبخيرها، وعرف الملح من وسط النهر بأنه الملح البشري الذي يستخدم لتطييب المأكولات. وكان الملح يعد واحدا من الحاجات الضرورية في حياة الانسان حتى انه عدّ مشوبا بنوع من القدسية.

والى جانب الملح، كان الاهتمام كبيرا بالتوابل والبهار والمطيبات الأخرى، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، بعضا منها:

**الخل:**

وكان يطلق عليها باللغة الأكدية التسمية نفسها المستخدمة بالعربية وكان يعرف بأن الخل ينتج عن تحول النبيذ الى حامض، وقد عرف منه النوع القوى الذي خصص لاستخدامات المطابخ، كما استخدم في مجالات متنوعة منها الصيدلة وصناعة الدواء، وكان يذكر في الغالب مع الزيت في النصوص الطبية.





ويلاحظ بهذه المناسبة ذكر اعداد وأنواع كثيرة من المواد التي ترد في النصوص الطبية وتستخدم في الوقت عينه في تطييب المأكولات ، ومنها الثوم والبصل :

وعرف الكركم والكمون ومنه الكمون الأبيض والكمون الحلو وكمون الصحراء والكمون الجبلي والكراث والسماك او السماق ، وعرفت للأخير استخدامات متنوعة منها استخدام بذوره للتوابل وأوراقه للدباغة.

اما الخردل فكان ذا أهمية وانتشار واسعين سواء في مجال تحسين نكهة الطعام او في الخلطات الطبية ، وذكر منه النوع الأسود الذي يساوي الفلفل الأسود المعروف عندنا اليوم والذي يقارب في أهميته الملح ، وذكر ايضا من انواعه الملكي .

كذلك عرفت الكزبرة ولفظها هو نفسه في الأكدية، وكذلك النعناع . اما الطعام الرئيسي المعروف في العراق ومعظم مناطق العالم اليوم وهو الرز، فكان يسمى في البابلية الحديثة "شابي" وهو الرز غير المقشور ويقرب كثيرا من تسمية الشلب في العراق ولا يبدو انه كان من المأكولات الرئيسية او المفضلة قبل هذه الفترة ، ولهذا فان ذكره جاء متأخرا في النصوص المدونة من القرون العشرة قبل الميلاد ، وبعكسه كانت معرفة العراقيين القدماء بالسمسم الذي كان من الوجبات الغذائية المعروفة وخاصة زيته الراشي واسمة في البابلية مركبا ويعني زيت النبات ، وجاء بلفظة شمن او سمن النبات .

ومن الاصول التي استخدمت فيها المطيبات والعطور وأنواع عديدة من الزيوت النباتية ، منها زيت اللوز وزيت ثمرة البان وزيت الخروع والحنظل وزيت الخس والكتان وزيت الزيتون وزيت الفجل ، في حين عرفت الزيوت الحيوانية من قبل المتخصصين بصناعة العطور، فذكر شحم الثور والخراف والأوز في النصوص القديمة الخاصة بتجهيز مواد التجميل وذكرت شحوم الحيوانات المقدمة كقرابين في النصوص الطبية بشكل خاص [٤].

ومن المعطرات الطبيعية التي كانت تستخدم ، بذور نبات اليانسون ، ورحيق قطن الطب ، وزهور نبات الشيشم الأسود وخشب السدر وجذور الزنجبيل وورد عباد الشمس وأوراق وأزهار النعناع وأزهار الورد وأوراق ونبات الليل الجبل وأزهار الحلفاء وخشب الصندل [٥] .

أن اساليب استخراج رحيق النبات وعصاراته من الجذور والأزهار والأوراق وحتى أغصان النبات وسيقانه كانت تتم بدون ادنى شك بالوسائل المألوفة اليوم حيث يتم استخلاص السوائل المعطرة من هذه النباتات بالتقطير. وتعرف عملية استحضار العطر من الورد بتنقيع الازهار في طبقات او شرائح من السمن وبعد ان يتشرب الدهن بعطر الأزهار ويستخدم لذلك السمن الحيواني ويتم حفظ السمن المشبع بعطر الزهر على شكل كرات او مخاريط صغيرة تستخدمها النساء بشدها على شعر الرأس .

ومن الأساليب الاخرى الخاصة بالحصول على العطر تنقيع الازهار في الزيت او السمن الساخن وبدرجة حوالي ٦٥٪ ، ثم يتم عصر الخليط وهو ساخن . وتعرف طريقة ثالثة وهي عصر الازهار او البذور بواسطة الخشب او الحجر او بواسطة القماش ويستخدم لذلك عيدان في كل طرف من طرفي القماش .

ومن الجدير ذكره عن الاساليب العلمية الخاصة بحفظ الاطعمة ، ومنها اللحوم كلحوم البقر والاغنام والخنازير والغزلان والارانب والطيور والاسماك والدجاج ..... ، اضافة الى استخدام الاملاح والمواد المطيبة والمعطرة هي اساليب الحفظ بالتقديد والتدخين المعروفتين.

وبعض الاثمار والفواكه كانت تحفظ في العسل ويمكن ان تكون هذه مانعرفه "بالمربيات". وكان العسل معروفا بانواعه ومناطق شهرته كما هي اليوم ،





فكان عسل الجبل معروفا في اللغة الاكدية ويعرف من أنواعه الأسود والأحمر والأبيض. اما الدبس وهو عصير التمر والعنب فكان معروفا ويسمونه "دشبو".

ومن اجل اعداد المأكولات حسب المواصفات المدونة على بعض رقم الطين التي وصلت الى ايدي المنقبين ومن التي تمت دراسة تفاصيلها المشوقة وجد ان هنالك انواعا عديدة من الأواني اللازمة لانجاز عمليات متنوعة، وقد استخدمت وسائل عديدة للطبخ، منها التنانير والافران المقامة على شكل القباب، والقدور المتنوعة، ومنها المغلقة والأخرى المفتوحة والمزودة بعرى. ومن مضامين اربعة وعشرين رقيما طينيا وجد انها تحتوي على اربعمائة موضوع، بينها رقيمان متميزان يحتويان على قوائم خاصة بالطعام مدونة باللغتين السومرية والأكدية. وتذكر هذه القوائم مابين ثمانية عشر وعشرين نوعا من الوجبات واكثر من مائة نوع من الحساء وحوالي الثلثمائة نوع من الخبز. وميزة كل نوع بما يحتويه من مواد كالحليب والزبدة والزيت والبيرة والبهارات والمواد السكرية... ومن أشكاله يعرف النوع الكبير جدا والصغير ومنه ما كان يصنع على شكل القلب او اليد، وحتى مايصنع على شكل المرأة. ولقد تم اكتشاف حوالي خمسين قالبا لصنع مثل هذه الانواع من الخبز من خلال مكتشفات مدينة مارى (تل الحريري) وحدها وذلك من فترة معاصرة لفترة حكم حمورابي، اي في حدود القرن الثامن عشر قبل الميلاد. ومن هذه النوعيات من الخبز ماكان محشوا بالجبن او غيره من المواد التي ذكرناها. ويحتوي رقيم طيني على مائتي سطر تضم وصفا متكاملا لعشر "طبخات" لانواع من الطيور الاليفة ومعها اخرى من الطرائد (طيور برية).

وفي نص آخر نقف على خمس وعشرين وصفة لأنواع من الأطعمة التي عرفت بأنها تحضر مع الماء والسمن ووصفت بأنها تطهي في اوان مغلقة. وبين هذه الأصناف واحد وعشرون صنفا تطهى باللحوم والأربعة الأخرى تطهى بالخضر، ويضاف اليها مايناسبها من البهارات والفلافل والمطيبات الأخرى، فضلا عن انواع من الحشائش وقطع من الأغصان النباتية المعطرة والمطيبة. ونرصد من بين المأكولات هذه مايوصف حرفيا بـ "فخد حمل مسلوق بالماء" و "يخني معلاق" وغير ذلك مما هو قريب من أصناف الطعام المعروفة حاليا في العراق. وكانت الأطعمة والمأكولات المتميزة تستمد اسماءها من الأقوام الذين عرفوا باجادة صنعها او من نوعية الخضر المستخدمة في طبخها.

وتشير المعطيات التي بين ايدينا الى مايسميه أهل العراق بـ "المعلاق" وهو الكبد والرئتان والقلب، كان يطبخ كاملا بدون ان يقطع، كما تشير الى طبخ فخد حمل وأعضاء أخرى معه بما في ذلك الطحال.

وأكثر الوصفات الخاصة بالطعام اختصارا هي تلك التي ترد في رقيم يتكون من أحد عشر سطرا، ويبدو خاصا بوصف اسلوب عمل "الكبة" ومما جاء في النص مايأتي:

- تنظف المادة ثم تشطف بالماء البارد ويضاف اليها القليل من الخل. يسحق النعناع مع الملح وتفرك "الكبة" بهذا الخليط.
- رشح السائل في قدر مع اضافة نعناع الى السائل المرشح.
- ضع الكبة فيه مع اضافة قليل من الماء البارد ثم حرك الخليط.

وترد تفاصيل وصفة أخرى بتحضير انواع من الطيور في تسعة وأربعين سطرا مدونة على رقيم طيني، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

"اقطع الرأس والأرجل ثم افتح الجسم وارفع الحواصل والمعلاق، شق الحوصلة واسلخها (قشرها)، أغسل الطيور بالماء النقي ثم حضر اناء وضع فيه الطيور والحواصل والمعلاق جميعا".





ويأتي وصف المرحلة التالية من تحضير هذه الطبخة كالآتي :

"أغسل بالماء النقي اناء وضع فيه حليبا مخلوطا وضع الاناء على النار. اسكب "وشل" الاناء الذي يحتوي على الطيور والحواصل والمعلاق وأضف الملح ثم ضع الجميع في الاناء الذي يحتوي على الحليب. ضع بعض السمن وعندما تصل حرارة الاناء على النار الى درجة الغليان ضع كمية من الكراث والثوم والبصل ومادة أخرى (يسميها النص ساميدو، samidu ) اسحق حبوبا... ولينّها بالحليب وضع عند الحاجة بهارات مملحة وزيتا بحيث يصبح أشبه بالعجينة اللينة .وضعها على النار لفترة ثم اقطعها نصفين.

(وهناك نقص في تفاصيل أخرى بسبب كسور في الرقيم الطيني ومع ذلك امكن استخلاص بعض التفاصيل ومنها ان العجينة التي توصف في الأسطر الأخيرة هي بدون أدنى شك من أنواع الخبز وتصبح بعد ذلك متابعة النص بالتفاصيل الآتية :

خذ اناء كبيرا يكفي كل الطيور.

ضع العجينة (قطع من الخبز) في قعر الاناء الكبير.

وأخرى ضعها فوق النار.

حتى تنضج .

ضع قطعا من الطيور على العجائن (قطع الخبز) .

«شرّب» الحواصل والكبد الباقية مع بعضها .

(رطبها) جميعا واجعل عليها غطاء وارسلها الى المائدة .

وتعبر التفاصيل الدقيقة النادرة في مثل هذه النصوص عن الاهتمام الذي كان يوليه العراقيون آنذاك بل وحتى خلال الفترات اللاحقة بالأطعمة والمأكولات المتميزة ، ولاسيما المشهيات والمقبلات من الخضراوات الطازجة وأنواع البهار والفلافل والمطيبات والوصفات العديدة الى الحد الذي أوحى الى العديد من الباحثين المتخصصين بأن الوصفات التي ترد في هذه المجموعة من رقم الطين هي وجبات خاصة بتأدية طقوس دينية قبل ان تكون خاصة بمطابخ فردية او عامة .

ولعل الأقرب الى الواقع ان مثل هذه الوصفات كانت على الأغلب معدة لارشاد طباخي القصور والمعابد وبيوت الذوات المتميزين في المجتمع العراقي القديم ، حول كيفية اعداد طبخات يبدو انها كانت وطنية او محلية ، وقد تكون حتى أكلات شعبية مع اختلاف معقول في نوعية المواد الأولية المستخدمة وكمياتها بطبيعة الحال .

وكان الشعير يستخدم ايضا في صناعة تخمير الحبوب ، ويستلزم ذلك تخمير حبات الشعير في الماء في مكان دافيء ، وبعد التخمير تتحول المحتويات من النشويات الى مادة تبعث في النفس نشوة . وبعد عملية التحّول هذه يتم دق حبوب الشعير وهرسها ، ثم يتم عجنها وتكويرها على شكل اقراص الخبز بحيث يمكن بوضعيتها الأخيرة نقلها وحفظها ثم يمكن تفتيتها ثانية واذابتها في الماء لتتخمر بالحرارة .

وتشير الوثائق المدونة بالمسمارية ايضا الى ان الشعير كان يرطب ويوضع في الشمس ليجف ، وكان هذا من عمل المتخصص بصناعة البيرة ، ثم تتم عملية الجرش والغربلة . وتوضح لنا الكتابات المسمارية تفاصيل وافية عن مراحل الصناعة هذه ، ومع ذلك فان تفاصيل دقيقة أخرى مازالت غير مفهومة ولكنها مدونة عندهم منذ مراحل كتابتهم الصورية المبكرة ومن هذه التفاصيل مايضاف الى المحلول من مواد معطرة او مايمكن تسميته بالمطيّبات ، ثم فترة بقاء المحلول المتغيرة وذلك من أجل الحصول على درجات مختلفة من الصناعة التي تحدد فيها نوعية المحلول من حيث قوة التأثير. ومن ذلك انواع من البهار على شكل فطائر.





نماذج لصور ادوات وطرق تحضير اطعمة ومشروبات

وما تذكره التعابير والاصطلاحات عن مثل هذه النوعيات يقارب مايعرف اليوم في مثل هذه الصناعة. وتذكر النصوص نوعيات مميزة من المشروب، منها السوداء (التي توصف بكونها قوية التأثير) ومنها البنية وذات اللون الفاتح والحمراء وتلك التي من الدرجة الاولى والمصفاة والمثيرة... او تلك المعروفة بأم "الدوخة".

ومن أوصافها التي تخص جودة صناعتها ونوعيتها وصف بعضها بالجيدة والأخرى من الصنف الحسن والخفيفة جدا والنقية وذات المذاق الحسن والمحسنة والحادة والتي تستخرج من الجريش. وترد نوعيتها البيضاء والبيرة المقطوعة على ٥٥٪ والأخرى المقطوعة على ٣٣٪ وعلى ٢٥٪.

ومن بعض تفاصيل هذه الصناعة ماتوضحه ايضا الكتابة المسمارية التي تذكر مثلا انه كان يكفي لانتاج (٨٠) لترا من نوعيتها السوداء تحضير (١٨) لترا من القمح المنقى من القش و(١٨) لترا من القمح الأبيض و (٢٤) لترا من الشعير المخصص لهذه الصناعة و (٣٦) لترا (من نوعية أخرى من الشعير)، وقد اصطلح السومريون على تسمية هذه النوعية بالتعبير وتعد هذه النوعية من النوعيات المعروفة بالمشروب الشعبي ومنها نوعية اخرى معروفة بالسوداء التي سبق ذكرها.

اما في مايخص انتاج البيرة السوداء من النوع الجيد جدا فان المواصفات لاتذكر الحنطة في التحضير، ويكتفى بذكر الشعير الخاص لذلك، ويذكر الباحث هوبر قائمة بتسعة عشر نوعا من البيرة السومرية، يشخص منها ثمانية انواع من الصنف الجيد الذي يستخدم في صناعته الشعير المخصص لذلك بدون اضافة اية انواع من الحبوب الأخرى.

ثم يشخص الباحث نفسه ثمانية انواع أخرى يسميها بيرة الحنطة، وهي المعدة من كمية من الشعير مضافا اليها نسبة معينة من الحنطة. ثم يسمي ثلاثة انواع أخرى يدعوها بالبيرة الخليطة. والأخيرة يمكن ان تكون خليطة ايضا باضافة مواد من حشائش وعطور خاصة لتمييزها.

ويجدر بالاشارة ان الشعير المخمر والمجروش مع البهار كان معروفا بوصفه خلطة توضع في دنان خاصة بالتخمير ثم ينقل السائل المخمر وينقّى في اوان خاصة تترسب فيها كل الشوائب المتبقية. وأخيرا تنقل البيرة الخالصة الى اوان تكون معدة للشرب منها.

لم تكن صناعة البيرة معروفة فقط، بل كان النبيذ هو الآخر معروفا، من حدود الألف الثالث قبل الميلاد، وتذكر النصوص ان مجالس الشراب كانت واسطة لتعميق الألفة والعلاقات الطيبة بين الأفراد.

وكان استخدام النبيذ في العلاجات الطبية واردا ويشبه العلاج بالزيت، وكذلك كان النبيذ يستعمل، وبصورة أساسية، لتذويب العقاقير والأدوية وخلطها. وكانت عادة تقديم القرابين من النبيذ الى الآلهة شائعة ومألوفة، وتمارس يوميا كذلك كان استخدامه في الاحتفالات الخاصة بتقديم القرابين من الحيوانات.

وكانت تفاصيل عمل النبيذ معروفة ولكنها غير مدونة، كعادة العراقين القدماء في عدم ذكر تفاصيل العديد من الحرف والمهن، ومع ذلك فاننا نتزود ببعض التفاصيل عن ذلك من خلال الحكم والأمثال او من خلال المدونات الكيمياوية والطبية وأحيانا من النصوص المتعلقة بتجارته. وفي الحقيقة كانت تجارة النبيذ والكحول بشكل عام معروفة وشائعة، وهذا مانلحظه من خلال الكلمات والاصطلاحات الخاصة بها.

واشتهر النبيذ المستخرج من كروم المناطق الجبلية، ويرد من التعابير في اللغة الأكدية مايوضح ذلك، فمن ذلك مثلا ان شيكار شادى





تعني «الشراب المسكر» من مناطق الجبال . ولكثرة الاصطلاحات التي ترد في اللغة الأكدية عن انواع النبيذ ودرجاته يمكن التكهن بتعدد اساليب استخراجه وصناعته وتنوع مصادره ايضا .

ومن الواضح ان العراق القديم له تقاليده في تصفية النبيذ وصناعته وهي قريبة حتى من أساليب صناعته في العراق اليوم ، ومن هذه التقاليد عادة اضافة كميات مناسبة من المطيبات مثل العسل وغيره في المراحل الدقيقة من صناعة النبيذ وتحضيره وتكون من اختصاص المحترفين من الصنّاع .

ومن الطبيعي ان يكون المتخصصون بصناعة النبيذ في العراق القديم قد عرفوا النبيذ المستخرج من العنب اليابس الذى يترك مع اغصانه لتجف ثم يتم طحنه .وتساعدعملية الطبخ او الغلي على تحسين حتى النوعيات غير الجيدة من العنب .

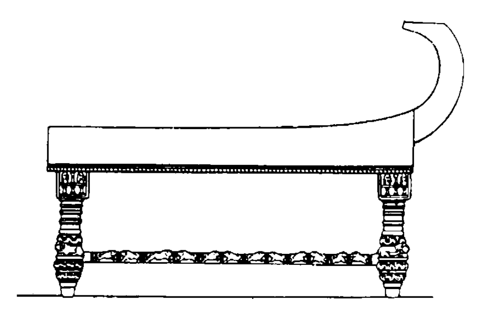
ومن المعروف عن التقطير انه عملية غلي السائل المقصود عدة مرات واستخلاص بخاره ، وكان ذلك بأساليب متنوعة وعديدة وبالعملية نفسها كانت تتم عملية صناعة العطور.

## ٢ – صناعة الأثاث :

تمدنا المنحوتات الحجرية ، ولا سيا تلك التي كانت تزين جدران قصور الملوك الآشوريين ، والمشاهد المحفورة على الأختام او المسلات ، فضلا عن ماذكرته النصوص المسمارية الكثيرة بمعلومات وافية عن اشكال وزخارف وأساليب صناعة ومعرفة الأثاث من الخشب والعاج ، واحيانا من المعادن .

وقد أشير في الكتابة المسمارية الى المادة الأولية الرئيسية في صناعة الأثاث الخشبية بكلمة جِش gis ويسميها الأكديون إصُ. وأشاروا الى المتخصص بصناعة الخشب بمصطلح (naggaru) وهو عند السومريين ( NAGAR ) وتشير الكلمة الى أول مرحلة تخضع لها مادة الخشب الى الصناعة . وتبدو في الكتابة المسمارية في مرحلتها الصورية الاولى عبارة عن عملية قريبة من عملية اجراء التثقيب في كتل مقطعة من الخشب ، هذا علما ان معظم الأثاث المصنوع في العراق كان يركب بطريقة الفجوة واللسان ، كذلك توضح مصطلحات أخرى عديدة أساليب صناعة وتركيب قطع الخشب ، فضلا عن اسماء بعض الأدوات المستخدمة .التي تبدو واضحة على المنحوتات او الاختام ومنها الفؤوس والبطات والمناشير والزوايا والمثاقب .

والمعروف عن انواع من الأشجار المألوفة الاستخدام في صناعة الأثاث أنهاكانت معروفة في العراق وأنواع اخرى كانت تستورد خصيصا لذلك من جبال لبنان وتركيا . ومن تلك الأشجار المذكورة في الكتابات المسمارية اشجار التين (تينو) والصفصاف ( سارباتو) وأنواع متعددة من أشجار التوث والحمضيات اضافة الى خشب الساج وأشجار الصنوبر والسرو وأنواع أخرى لم تشخص بعد على الرغم من ورود ذكرها في الكتابات المسمارية .



ومن الجدير بالملاحظة ان طبيعة الشكل المعمارى لقطعة الأثاث ترتبط كما في الشكل المعمارى للبناء بطبيعة المواد الأولية المتوفرة والممكن توفيرها. حيث عرف النجار العراقي تلبيس القطع الخشبية الرئيسية بقطع من العاج والأحجار الكريمة

والمعادن ، فضلاً عن الفرش الملونة لمقاعد البعض من قطع الأثاث . وكانت انواع من الأقمشة المزخرفة تستخدم لزينة واكمال قطع الأثاث هذه والتي تبدو انها كانت ذات أثمان غالية وكانت عادة تصليح الأثاث المزود بالقماش "الدوشمة" معروفة .

وكان مستوى التأثيث المنزلي يختلف بطبيعة الحال ، فالبيت الاعتيادي البسيط كان يحتوي على مقاعد هي عبارة عن اكتاف من اللبن وحتى الطين ، وتكون عبارة عن دكاك او مقاعد جدارية ، فضلا عن مقاعد على الأرض من الحصير والبسط .

وكان استخدام الديوان majsltu والفرش ershu مزدوجا للجلوس والنوم ، ويمكن صناعتها من الخشب او من اللبن المزود بفرش منسوج ويكون عند الاغنياء مزينا وملبسا بقطع وصفائح المعدن او مزينا بتراكيب ومنحوتات ووحدات زخرفية او قطع من الأقمشة .

وعلينا ان نشيد بمهارة الحرفيين العراقيين القدماء وقابلياتهم للخلق والابداع في انتاج نماذج من قطع الأثاث التي تعد قطعا فنية ذات أهمية كبيرة تشير الى تطور الجانب الفني الى جانب التطور التقني الكبير.

والملاحظ ان النجارين البابليين والآشوريين خاصة أدركوا خلال تجاربهم العريقة ، وخاصة في انتاج قطع الأثاث للقصور والمعابد عوامل تقلص الأخشاب والشقوق والاعوجاجات ومواسم قطع الخشب وأنواعه وميزاته ومصادره .

### ٣- صناعة النسيج والسجاد :

تعد صناعة النسيج من أقدم الصناعات التي ابتكرها الانسان لتوفير مايحتاجه من الملابس منذ فترات مبكرة جدا من حياته .

وكانت ايدي الانسان الأدوات الاولى الرئيسة لهذه الصناعة التي تطورت على مر العصور، فمن أجل الحصول على الخيوط اللازمة كانت يدا الانسان المدربتان كافيتين لانجاز عملية فتل الخيوط . ثم كانت الأدوات المصنعة من قبل الانسان ، وهي المغزل الذي كان ولا يزال عبارة عن عود من الخشب في أول أمره ثم زودّ بقرص من نفس المادة ، ثم صنّع من الطين ومن مواد أخرى فيما بعد. ويكتشف المنقبون من الآثاريين اعدادا كبيرة من أقراص المغازل هذه ، وهي مصنوعة في الغالب من الطين المجفف بالشمس ومن الطين المفخور، وتعود هذه الى فترات معيشة واستقرار التجمعات السكانية في شمال العراق من الألف السابع قبل الميلاد ، ومن الفترات اللاحقة وصولا الى الفترات التاريخية ومرحلة الكتابة وشكل المغازل في مرحلة الكتابة الصورية ، ثم الفترات القريبة من فتراتنا وحتى اليوم ، حيث مازال المغزل بنفس شكل مغزل الأمس ووظيفته (٦) .

وكان الصوف من اولى المواد الأولية المستخدمة في صناعة النسيج ، وقد ظل يؤلف المادة الرئيسية لصناعة النسيج حتى العصور المتأخرة ، وتوضح الكتابات المسمارية المختلفة أنواع الأصواف المستخلصة من الحيوانات ، وكانت عملية جز الصوف من العمليات الاحتفالية القومية الكبيرة حيث كانت تتم تحت اشراف المعبد ، ثم أصبحت باشراف الحاكم والملك ، وكانت التنظيمات الخاصة بادارة قطعان الأغنام والمواشي والعاملين في هذا القطاع وغيره قد تطورت بشكل كبير وارتبط هذا التطور بالتدوين والتقنية الزراعية ووسائل الري وشيوع استخدام المعادن وتطور نظام المؤسسات (٧). وتمخضت مثل هذه التنظيمات عن نشوء مايعرف بدار الجزمتباينة حسب الأعمار والحالة الصحية ،وتميزت في الصناعة النوعيات من الدرجة الاولى والثانية والثالثة والرابعة (٨) ، واستمرت شهرة العراق من سومريين وبابليين وآشوريين وغيرهم بانتاج هذه النوعيات المتميزة ، وكانت من أهم الصادرات الى





بعض دول الخليج وآسيا الصغرى ، سواء كانت على شكل منسوجات او قطع ملابس عرفت شهرتها ايضا الشعوب المتاخمة للبحر المتوسط[٩] .

اما المراحل الخاصة بانجاز عملية غسل الأصواف فانها في الواقع من المراحل المهمة والناتج منها يتراوح بين ١٥ – ٧٠٪ من أصل وزنها . ومثل هذه النسبة توضح كثرة المواد العالقة ودرجة التخلص منها ، يعتمد على الأساليب الواجب اعتمادها ، علما بأن حوالي نصف وزن المواد العالقة يمكن تحليلها بالماء ، وهنالك عوالق أخرى تستلزم تقنيات خاصة لها .

وتعد مرحلة غسل النسيج او الصوف هنا عملية تسبق عملية التلوين او الصباغة ويعني احيانا تبييض النسيج ، وذكر عن استخدام نوع من النباتات التي تستخلص من اجزائها مساحيق كانت معروفة بقابليتها على المساعدة في مثل هذه العمليات، وكانت هذه المرحلة وهذا التخصص الحرفي لازما ، وتذكر مواد زيتية وكاربونات الصودا والبوتاسيوم وانواع من الاملاح تستخدم على شكل مساحيق متنوعة لتنظيف الأصواف . كذلك عرفت انواع من الزيوت النباتية التي كانت تستخدم لقصر وتنظيف خيوط النسيج بشكل عام سواء أكانت من مصادر نباتية كالكتان وغيره او من الصوف ، واستخدم الصابون على نطاق واسع في مراحل التنظيف الخاص بالأنسجة المعدة للصناعات المختلفة[١٠] .

وكانت صناعة الأنسجة من نبات الكتان من أكثر صناعات الأنسجة أهمية ، وعرفت منذ عهود مبكرة .

ويرد ذكر مراحل صناعة الكتان في الكتابات السومرية ومن خلال مضمون قصيدة طويلة تأتي على ذكر النبات وهو يتلاعب في الفضاء ويمتد عاليا ، وكيف كانت عمليات صناعته التالية لمرحلة الجني ، حيث يذكر النص تمشيط خيوط النبات وغزله وتقويته بالبرم ، ثم مدها وتوتيرها وأخيرا نسجها وبعد العملية الأخيرة تأتي مرحلة تقطيعه حسب الأطوال المنشودة[١١] .

ويرتبط اسم الكتان بالسومرية (GADA) المشير الى الكتان واستخدامه في الأكدية بنفس المفهوم بالمعاني الدالة على القدسية والطهارة والنقاء والجمال ايضا واعتبر لبسه في احيان خاصة رمزا من رموز الملكية ، هذا فضلا عن اتخاذه رمزا للأبهة .

وتمكن العراقيون القدماء من التوصل الى معرفة نسيج جديد مستخلص من النبات وهو القطن ، والمعروف عن شجرة القطن انها أولا من عائلة النباتات المسماة بالخبازيات ، وثمر الشجرة عبارة عن غلاف ينفتح عند النضج ويترك البذور المحاطة بكومة من الياف القطن ، اما ارتفاع الشجيرة هذه فيكون حوالي المتر الواحد وتكون جذورها عميقة بشكل بالغ .

اما مراحل تصنيع خيط القطن فكانت تتلخص من جني الثمر وتنظيفه ، وتتم عملية فصل الألياف عن البذور، ثم تتم بعد ذلك عمليات تسوية خيوطه ، وتسمى هذه المرحلة بالتصحيح والتسوية ، وفي الحقيقة فان عملية التسوية هذه توفر خيوطا مستقيمة ونقية بفعل التمشيط المتكرر الذي يخلص الخيوط من الشوائب والشعيرات المتنافرة والحال نفسه يكون بالنسبة لخيوط نبات الكتان ، كذلك يتم التخلص بواسطة عملية التمشيط هذه من شمع القطن الذي يكون مغلفا في العادة للخيوط المعدة للنسيج .

ولقد كانت عملية صناعة النسيج من القطن في العراق معروفة بوضوح عند الآشوريين ، ويذكر الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق. م) عن جلبه للشجرة التي تحمل الصوف وانه كان قد نسج نتاجها من أجل عمل الملابس[١٢] .

وكانت الهند والسودان ومصر قد عرفت صناعة الأنسجة من القطن قبل هذه الفترة، ويحتمل ان يكون الملك الآشوري سنحاريب قد حصل عليها من السودان عن طريق مصر او من الأخيرة مباشرة[١٣].

وتتبع عملية التنظيف هذه صناعة المنسوجات التي تعد من العمليات التقنية المهمة ايضا ،وذلك لما تتضمنه من معارف خاصة بالكيمياء وبعض العناصر الخاصة بعلم الأرض والفيزياء، وخاصة الفيزياء الضوئية ومنها تلك المرتبطة بالألوان، ثم الدراسات الدينية والنفسية، ومنها المفاهيم المرتبطة بهذه الالوان وتأثيراتها النفسية والاجتماعية.

كان اللون الأزرق بأطيافه المتنوعة اكثر الألوان شيوعا، كما استخدم اللون الأحمر بأطيافه المختلفة، وكان لكل من هذه الألوان مفاهيم خاصة مازال الاعتقاد ببعضها قائما لحد الآن. كما استخدمت الوان اخرى لتزيين الأنسجة منها الأصفر والأخضر.

**اصناف المنسوجات:**

من أهم اصناف المنسوجات تلك المخصصة لصناعة الملابس ثم الأنسجة المستخدمة للأثاث والطنافس، وأكثرها شيوعا القباء او الجبة او المعطف والشال، وكل مايوضع فوق القميص، ويكون الملبوس الشائع الاستخدام بالدرجة الثانية[١٤]. وكانت تعرف قطع عديدة أخرى من الملابس المستخدمة من المنسوجات المتنوعة والمصنفة حسب نوعيات موادّها الاولية وحسب أسماء وردت في اللغتين السومرية والأكدية وبعض من هذه الأسماء مازال مشيرا الى نفس المعاني والمفردات الخاصة بقطع الملابس وحتى اليوم.

اما مايخص المنسوجات المستخدمة في الاثاث فانها ترد في مناسبات عديدة في الكتابات المسمارية، ومنها تلك المغطية للارائك وفرش النوم وقطع الأثاث ومنها الستائر. ويرد ذكر النسيج المصنوع من الكتان في مقدمة الانسجة المستخدمة في تأثيث مرافق الآلهة بما في ذلك البياضات والاغطية، وترد في مناسبات عديدة كيفية تنظيفها وذكر المنظفين المتخصصين بأسمائهم[١٥].

وتشير الكتابات المسمارية ايضا الى تخصيص كميات من الذهب لزينة فرش مخصصة لآلهة أخرى، فضلاً عن ذكر فرش عديدة للملوك بأنها مزينة بالذهب ويراد بذلك زينة أقمشة ومنسوجات عدة الفراش، وقد تكون ايضا لزينة الأجزاء الخشبية وبعض قطع المعادن المزينة لهذه الأجزاء بما في ذلك صبغة لون التذهيب المفضلة عندهم، وذكر في نص واحد تذهيب كمية من الفضة تتراوح بأوزاننا الحالية مابين كيلو واحد وكيلو غرام واحد ونصف لاصلاح مجموعة من الكراسي المستخدمة في معبدي آلهين آشوريين[١٦]. ومن الملاحظ استعمال الفعل خاطو khatu القريب من العربية اشارة في الاكدية الى الغطاء المصنوع من القماش والمستخدم لاصلاح هذه المجموعة من الكراسي الآنفة الذكر ويأتي من معانيه تثبيت وخياطة الحلي الذهبية ومنها القطع على شكل الزهرات والمستخدمة للمعبودة زوجة اله الشمس شمش[١٧].

وتعد الخيام واحدة من المصنوعات المنسوجة من أنواع مختلفة من خيوط النسيج.. والخيام تعتبر واحدة من نماذج المساكن شبه الثابتة والمتنقلة والتي تستخدم في حالات عديدة في معظم مناطق الوطن العربي والعراق بشكل خاص. وتبدو انواع من هذه الخيام المنسوجة وبعضها بزخارف جميلة تشابه تلك المعروفة على سروج الخيول ومظلات العربات الآشورية وزخارف الطابوق المزجج المزين لبوابات بعض المدن الآشورية ومداخلها وزخارف مانسجته من المنسوجات المعروفة بالطنافس، فضلاً عن زخارف التطريز على ملابس الملوك والخاصة.





ومن نماذج الخيام المنحوتة على منحوتات عليها مشاهد الحياة اليومية الآشورية في حالات السلم والحرب تبدو سميكة ومشدودة على عمد، وتبدو من نماذجها هذه المتطورة والجيدة الصناعة اذا ماقورنت بنماذج الخيم المصنوعة والمستخدمة من قبل أعراب الجزيرة وحتى اليوم. وترد مفردات عديدة في النصوص المدونة بالمسمارية وهي تشير الى الخيمة وصناعتها من النسيج وترد اشارات اخرى الى الحبال والشرائط المعدة لربط قطع او شقق النسيج الى بعضها وخاصة في حالات نصبها بحجم كبير حيث قربوا الشقق الى بعضها بحلقات تستخدم ككلابات من المعدن او تخيط الى بعضها او تشد بحبال وشرائط.

وتمثل صناعة الطنافس والسجاجيد بأنواعها واحدة من أهم صناعات النسيج في المنطقة وفي العراق ايضا. وكانت هذه الصناعة مكملة ومتطورة بنفس اتجاه التطور الاقتصادي والعمراني، وكذلك الحال بالنسبة لتطور صناعة الستائر والمنسوجات المعدة والمكملة لصناعة الاثاث. وكانت هذه الصناعة قد تطورت عند الآشوريين والبابليين المتأخرين بشكل خاص قبل ان تتطور وتنمو صناعتها لدى الايرانيين الذين اشتهروا في هذا الجانب من الصناعة في الفترات اللاحقة، وبعد تأثرهم الواسع بهذا الفن العراقي القديم المعروف، فضلا عن تأثرهم بالفنون الأخرى[١٩].

وكانت دقة نسيج الطنافس العراقية القديمة وبالذات الآشورية منها لا تنفصل عن تلك الدقة والحذق اللذان تميز بها الحرفيون المتخصصون بصناعة الزخارف وتطريزها على الأنسجة، وكانت هنالك موضوعات وعناصر زخرفية مألوفة في العمارة وفي زينة الفخار وعلى المعادن وعلى الألبسة وعلى الطنافس، ومن هذه الوحدات الزخرفية زهرات اللوتس وزهرة الربيع اللؤلؤية وهي زهرة البابونك المألوفة النمو وحتى اليوم وبغزارة في كل المناطق المحيطة بنينوى وفي منطقة الجزيرة.

ومن غير المحتمل ولا من الواقع في شيء ان نعثر على نماذج حية من الطنافس العراقية القديمة، ولكن تتوفر ود[illegible] طقية، اضافة الى وثائق أخرى مكتوبة ومادية غير مباشرة عن تطور وشيوع هذه الصناعة عند الآشوريين بشكل خاص. فقد تم العثور على قطع من المرمر بنقشة الطنافس مزينة أرضيات ومداخل بعض المدن الآشورية ومنها خرصباد (دور شروكين) ومساحة واحدة من هذه القطع المرمرية تبلغ حوالي الثمانية امتار مربعة، وتبدو نماذج أخرى من هذه القطع المزخرفة بوحدات قريبة من زخرفة هذه القطعة المرمرية.

ويبدو ان الاصطلاح مارداتو mardatu والذي يرد في اللغة الأكدية ليدل على الهدب المزينة لأغراض الأنسجة بشكل عام وللطنافس بشكل خاص مايشير الى أسلوب عمل الطنافس، حيث يتم عقد الخيوط وبالألوان والتي تستلزم دقة متناهية خاصة حين تنفيذ وحدات زخرفية دقيقة كالأزهار مثلا[٢٠].

كذلك نعرف الاصطلاح مشاكو mashaku الذي يشير الى نوعية الطنافس التي تستخدم في المعابد[٢١].

ولقد انتقل العديد من الحرفيين المتخصصين بحياكة الطنافس والمنسوجات الأخرى الى خارج العراق، ومنهم من رحل جبرا الى بلاد فارس، وبالذات الى سوسة عاصمة العيلاميين وذلك بعد مجيء الأخمينيين الى العراق، ولقد ذكر عن پليني اشادته بالسجاجيد البابلية التي ورد ذكرها في كتابات المؤلفين والمؤرخين الرومان. كذلك ذكر عن منسوجات معبد جوبيتر في مدينة اولمبي انها كانت منسوجة على طريقة النسيج الآشورية[٢٢].

ويذكر عن الصوف وخاصة الأنواع الجيدة منه بكونها ملائمة لصناعة الطنافس فضلا عن وبر الجمل الصغير السن، وكان تحضير الصوف لصناعة الطنافس معروفا في العراق وبشكل مستمر، وتنامت هذه الصناعة اليدوية في شمال





العراق بشكل متميز، وتتوفر في مثل هذه المناطق امكانية جيدة للرعي والحصول على الأصواف الجيدة، اضافة الى خيوط أخرى بما في ذلك خيوط الحرير. وتتوفر عناصر الألوان وخاصة النباتية منها والملائمة للحصول على صبغات ثابتة للخيوط، ظلت معروفة ايضا حتى اليوم، وفي صناعات خاصة للطنافس ادخلت خيوط الذهب والفضة في نسيج اللحمة أو السداة. ومثلما هو الحال عند الآشوريين فقد أجاد الحرفيون من العراقيين في تنفيذ اشكال وصور آدمية وحيوانية ونباتية في نسيج الطنافس هذه[٢٣].

كذلك كانت الوحدات الزخرفية واحدة من المعالم الدالة على أماكن صناعة الطنافس والسجاجيد وأصبحت هذه من الرموز المميزة لمدرسة تطورت من صناعة محلية لتصبح واحدة من السمات الفنية والحرفية البارزة. وكانت صناعة الطنافس ووحداتها الزخرفية والألوان المستخدمة لكل منها في بلاد وادى الرافدين وعلى مر العهود دلالات كبيرة،ولكل من هذه مفاهيم ذات علاقة بالطبيعة والسحر والمقدسات، كذلك لها علاقات اخرى ترتبط بنفسية وروح الانسان في هذه المنطقة. ومن أبرز العناصر الزخرفية الشجرة. وكانت الشجرة ومنذ اولى عصور العراق التاريخية رمزا للحياة والخصوبة وعنوانا لموضوعات لها علاقة بالخلود. وبسبب من المغالاة في استخدامها كموضوع وكعنصر زخرفي، فقد التجأ الحرفيون الى تحوير شكل الشجرة والرمز بها بأكثر من نوع واحد. وكانت النخلة وشجرة الرمان من انواعها المألوفة في العراق القديم[٢٤]. وتداول الفنانون المسلمون مفاهيم مشابهة وقريبة لتلك التي كانت مألوفة في العراق القديم والمناطق المجاورة، ومنها وادي النيل. وأصبحت الشجرة عندهم رمزا للحياة الدنيا والحياة في الآخرة: فتحت ظلالها يستريح المخلصون في الجنة ويأكلون من طيب ثمارها.

**الملابس:**

هناك دراسات وتصانيف مختلفة لأنواع الملابس وأساليب ارتدائها وصناعتها وزخرفتها، أمكن وضعها استنادا الى ماهو متوفر من معلومات مدونة او مشاهد منحوتة على المنحوتات والأختام وغيرها. فهناك مثلا ملابس الحياة اليومية والملابس الخاصة بالاحتفالات والأعياد الدينية والقومية، ثم هنالك الملابس الخاصة التي يرتديها الفرد لطرد الأرواح الشريرة او لكشف فأل معين وتلك التي يلبسها البعض عند اصابتهم بأمراض معينة. ثم هنالك ملابس الأبهة والعظمة[٢٥]. وهي الملابس الباذخة والثمينة التي اقتصر ارتداؤها على الملوك والمعبودين وبعض الخواص وتتميز بالزخرفة المبالغ فيها والمنفذة بالتطريز بخيوط الذهب والفضة والمزدانة بالأزهار المصنوعة من الذهب وبقطع الأحجار الكريمة والمليئة باللمعان والضياء والنور والاشعاع... الخ.

وكان مفهوم الأبهة والعظمة موازيا للنفوذ السياسي والعسكري الذي بلغته الدولة في العراق على توالي العصور سواء ايام السومريين والأكديين والبابليين أو أيام الآشوريين. كذلك كانت الملابس الخاصة بالجيش، وتبين هذه الأخيرة المراتب والمناصب العسكرية من شارات ورموز على الرأس والمكملات من الزينة سواء اكانت من الأسلحة أم الحلي. والمعروف ان ازدهار صناعة الملابس والأزياء ومكملاتها يرتبط بالوضع العام والاقتصادي منه بشكل خاص. وكانت حرفة الخياط ومركزه الاجتماعي مرموقين، فقد نص قانون أشنونا[٢٦] (وهو أول قانون مدون باللغة الاكدية وثالث قانون من ناحية التسلسل التاريخي ويسبق في زمنه قانون حمورابي الشهير) في مادته الرابعة عشر على اجرة الخياط وتساوي حوالي ٢٠٪ من قيمة الملبوس. والأجرة ايضا كانت تختلف حسب المكان والزمان





وتصل أحيانا الى وزن كمية من الفضة تعد ضمن الأسعار المعروفة في العراق القديم عالية جدا وخاصة في الفترة الآشورية المتأخرة[٢٧].

وكان هنالك تنظيم للحرف في العراق القديم ومن ذلك تنظيم حرفة الخياطة والنساجة والعاملين فيها وذلك على شكل نقابات[٢٨]. كذلك كان هناك رئيس للخياطين ومنهم المشهورين باسمائهم، وكانت المعبودة عشتار التي تمتلك اختصاصات متعددة، كأن تكون ربة او الهة الخياطين، ويراد بها هنا النموذج المثالي والرائد في هذا القطاع الصناعي والفني المهم.

وكان الثوب او القميص اهم قطعة من الملابس، وأصبح الزي العام لكل العراقيين رجالا ونساءا، ولكنه اختلف في طوله، ويكون فوق الركبتين او دونها قليلا عند الرجال وطويلا عند النساء ويتميز بأردان قصيرة في الغالب ويكون مدورا عند الرقبة وفصاله عريضا فضفاضا يسمح بحرية الحركة والعمل.

وكانت القطعة الرئيسة الأخرى من الملابس هي المعطف، وكانت توضع في العادة فوق القميص، ويمكن تسميتها ايضا بالقباء او الزبون. ويكون في العادة من ملابس الأغنياء والموسرين ورجال الدين والحكام.. ويكون القباء في العادة مفتوحا من الامام ومن الاعلى الى أسفل ويشد طرفاه على طول الجسد والملاحظ استمرار هذا الملبوس في العراق منذ عهود الأكديين والبابليين والآشوريين، ويمكن أن نجد بقاياه حتى يومنا هذا.

والى جانب هاتين القطعتين الرئيسيتين كانت هنالك ملابس الاحتفالات والأعياد والملابس المستخدمة خلال اجراء الطقوس الدينية. ولمثل هذه الأزياء او قطع الملابس الاحتفالية اسماء معروفة، وهي في العادة مزينة بتطريزات متنوعة مستنبطة من المعالم الطبيعية من حيوان ونبات ومن

المظهر الخارجي لاحد الملوك الاشوريين.

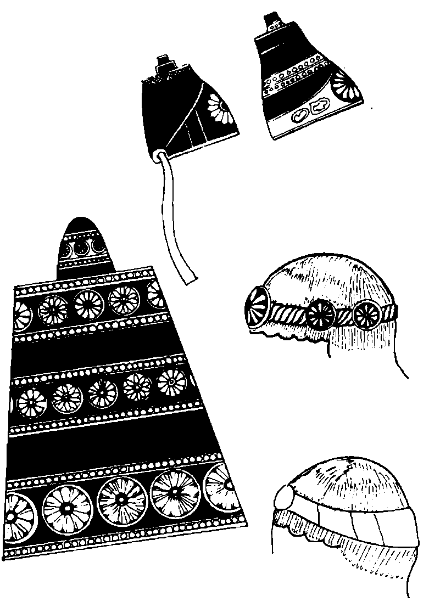
رموز وأشكال اسطورية، وتكون هذه التطريزات بأشكال متنوعة بعضها بارز وبعضها ضمن خطوط النسيج في السدى او اللحمة، وتكون من خيوط المعدن او الخيوط الملونة، ومن الملابس المزينة بقطع حقيقية من الذهب والأحجار الثمينة[٢٩]. ولهذه الاحجار مسميات وصفات خاصة، ولها لمعان اريد به ان يكون على علاقة بالنجوم والكواكب، وفي هذه الأحجار امكانات سحرية اريد بها اطالة الحياة وعمر الانسان وتبديد الخوف وابطال تأثير أذى الحسد والعين الشريرة... وكان لمثل هذه القطع من الملابس دور معنوي كبير في

عمليات اجراء الطقوس الدينية فتنوب احيانا ملابس الملك عن حضوره الشخصي لاحتفال معين،وتمتلك الحلي المزينة لهذه الملابس تأثيرا شديد الفعالية على الأعداء وتفقد الأخيرة تأثيرها حين ارتدائها من قبل الآخرين(٣٠).

ان قطع الملابس المترفة كانت رمزا من رموز العلاقة بين السلطان او الحاكم والمعبود، وفي الوقت نفسه كانت رمزا من رموز الملكية والوراثة. ونفهم فلسفة اهداء ملبوس كخلعة وشيوع هذا التقليد خلال العصور اللاحقة.

وكانت زينة الرأس من أهم عناصر المظهر الخارجي للفرد والتاج،وهو رمز الأبهة،كان في أول أمره تاج المعبود اله القمر وهو على شكل هلال، وما يصدر منه من ضياء ولمعان له علاقة برمز القوة والبأس وعن هذه القوة كان يرمز بقرون الثور،

وهكذا كان الرمزان اي صورة القمر في شكل الهلال ونوره وقرون الثور من علامات الآلوهية في العراق القديم. اما لباس الرأس الآخر والذي لايزال معروفا حتى اليوم فهو العمامة او العمة،



وتبدو مثلا على رأس جوديا ملفوفة بعناية، وتبدو مزخرفة بوحدات وقريبة حتى من تلك المعروفة اليوم. وهنالك لباس الرأس الآخر المعروف بدوره خلال كل العصور وهو العقال (العگال).

وهنالك انواع من العصابات تحيط بالرأس وتتدلى منها شرائط هي بمثابة رموز وشارات لحامليها من المرموقين وبعض المسؤولين، وتبدو أحيانا مزينة برموز وشارات تكون عبارة عن تطريزات او قطع من الحلي وأحيانا تبدو مزينة النهايات بهدب(٣١).

وكانت مثل هذه العصابات المزودة بوردة واحدة او اكثر من الشارات الدالة على المراتب العسكرية وتبدو واضحة على رؤوس كبار الضباط وقادة الفرسان. وتشير ازياؤهم الخاصة الى





تخصصاتهم الحربية ، وتشير ايضا الى تطور وتنظيم كبيرين .

وتعد ملابس القدم مكملة للمظهر المترف واستكمالا للأبهة ، وخاصة بالنسبة للأفراد من القوات المسلحة وتبدو ذات تفاصيل مهمة وخاصة انها موضحة بتفاصيلها الدقيقة سواء في النصوص المدونة او على المنحوتات او في الرسوم الجدارية المنفذة بالألوان. وتبدو ملابس القدم من الأحذية والصنادل المختلفة الأنواع وتدل صناعتها على استخدام مواد أولية عديدة منها اضافة الى الجلود والقماش قطع المعدن والحجارة الثمينة ، وتذكر الأحذية المبطنة وتلك المزودة باشرطة [٣٢] .

ومن المظاهر المتممة والمكملة للمظهر الخارجي للأفراد عموما كانت الأحزمة وكانت تعرف قديما بنفس الاسم. وللحزام دور نفعي وآخر جمالي،وكان في البداية يستخدم لحمل العدد والأسلحة ، ثم استخدم لشد الملبوس الى وسط الجسم وأخيرا استخدم كقطعة ملبوس جمالية مضافة عليها لوحات هي عبارة عن تطريزات من عناصر زخرفية [٣٣] . واستخدمه بأبهة عظيمة الأغنياء وذوو النفوذ ، ومن قماش ثمين يبدو عريضا على نحو مبالغ فيه احيانا وهو عند غيرهم مثل اليوم عبارة عن قطعة قماشية بسيطة وقد يكون خيطا او حبلا يشد القميص الى وسط الجسم.

واستخدم الشال على نطاق واسع ، وهو عبارة عن قطعة قماشية كانت توضع على الجسم وفوق القميص وبأساليب متنوعة تقرب احيانا من صورة وشكل المعطف وقد تكون في الأصل بداية لتفصيله وشكله المنتظم في آخر هيئته وبالشكل المسمى بالقباء او المعطف.

وحركة وأساليب استخدم الشال ذات مرونة كبيرة تتبع وتتعلق بالظروف الطقسية والحاجة ثم الشكل ، ومازال يستخدم بصورة ظاهرة اليوم بنفس المرونة وبتسميات عديدة معاصرة. وكان يتميز بألوانه المنسجمة مع لون القميص وللالوان بطبيعة الحال والمواد الأولية المستخدمة في صناعة الملابس أهمية ودور معروف يكون بحثها مكملا بشكل طبيعي للمظهر الخارجي .

وكان يتم اختيار الوان الملابس وفق مفاهيم ومعايير معينة ، فكان اللون الأبيض يدل على النقاء والطهارة ، لذا كان لون أزياء الكهنة . ومن الألوان المفضلة الأخرى اللون الأحمر باطيافه المتعددة ومنه الأحمر المائل الى الوردي والأحمر الناري. وكان البعض من رجال الدين وبعض طبقات الجيش يتخذونه لملابسهم وذلك لاعتقادهم بأنه يجلب الخسوف ويطرد الأرواح الشريرة وبعض الأمراض كالحصبة كذلك كان يتخذ غطاء لدفن الأموات وذلك اعتقادا بكونه يبعد الأذى عنهم ، فضلا عن كل مايسيء ، ويوصف اللماع من القماش الأحمر لذلك بصورة خاصة .







ومن الألوان الشائعة في العراق القديم كان اللون الأزرق وأنواعه العديدة ، ومنه الأزرق الغامق والأزرق البنفسجي والأرجواني، ومصادره المعروفة كانت من ا لمعادن والأحجار وخاصة حجر اللازورد. ومن مصادره النباتية صبغة النيلج او النيلة اوصبغ النيل، حيث كان يتم استخلاص عصارة النبات الطبيعية ، وهي ذات لون أخضر في أول الأمر وبعملية التأكسد تصبح زرقاء غامقة(٣٤) .

وعرف اللون الارجواني بأطيافه العديدة وكانت من مصادره الرئيسية القواقع البحرية ، وتكون العصارة المستخرجة منها جيدة جدا وتثبت لمدة طويلة على الملابس. ولقد عرف العراقيون القدماء مصادر أخرى معدنية لهذا اللون وذلك لندرة الحصول عليه دائما من القواقع . والمعروف ان استخدامه كان مقتصرا تقريبا على الشخصيات الكبيرة واعتبر لذلك لونا مقدسا ورمزا للقوة والسلطان ورمزا للآلوهية ورمزا للعوائل المتسلسلة من أصول نبيلة ولازال حتى اليوم واحدا من الألوان المستخدمة من قبل الطبقات الكهنوتية العليا.

واستخدم اللون الأصفر ايضا ، ولكن على نطاق ضيق واستخرج اللون من نبات الزعفران والكركم وثمار شجر الرمان.

ولصبغ الشعر استخدمت صبغة اللون الأصفر وبأطياف واستخدم لذلك نبات البابونك المخلوط مع ماء الورد والشب مادة مثبتة ، وكان اللون الأصفر رمزا للحكمة وهو لون الذهب ، وأحب العرب الملابس الصفر للمرأة.

استخدمت أيضا الوان أخرى كالأسود والأخضر ولم يكن اللون الأسود رمزا للحزن كما هو معروف عند الناس اليوم ، وكان اللون البنفسجي هو الذي يرمز للحزن والموت، والحال نفسه عند اليونان ، واستخدمت ألوان أخرى كانت مصادرها معدنية وحيوانية ونباتية ، وكانت مادة الشب مستخدمة على نطاق واسع لتثبيت هذه الألوان على الأنسجة ، كذلك استخدمت انواع من الأملاح لنفس الغرض ومنها أملاح الحديد والنحاس وأنواع من الحوامض والاوكسيدات(٣٥) .

**٤ – صناعة الجلود :**

لم يقتصر اهتمام اقتصادي وادي الرافدين القدماء على تربية الأغنام والماشية فقط ، وانما نلمس اهتماما خاصاً بتربية الماعز بأنواعه المختلفة ، فقد كرّس السكان جهودهم وبشكل مستمر وعميق للرعي وتربية الحيوانات ولا عجب في ذلك ، فالمنطقة كانت زراعية بالدرجة الاولى ، وقد عرف هؤلاء استغلال الماشية معرفة جيدة فاتخذوا من أصوافها مادة أولية في صناعة الملابس وغيرها ، كما وفرّت جلودها مادة أولية مهمة للعديد من الصناعات واستخدمت هذه المادة الجلدية في صناعة قطع من الملابس لاكمال المظهر الخارجي. وقد استخدمت جلود الحيوانات في صناعة الملابس والاحذية والعدد الحربية من خوذ وحمالات اسلحة وجعاب سهام ، كذلك استخدمت هذه الجلود في صناعة وعمل أجزاء غير قليلة من عدة النوم وكغلاف وقائي وجمالي لبعض العربات سواء الحربية منها او المعدة للتنقلات الملكية في حالات السلم ، كذلك استخدمت مادة الجلد غلافا وزينة لبوابات الدور وسجاجيد ، فضلا عن استخدامها أواني لأنواع عديدة من الأطعمة والمشروبات مثل القرب والأكياس وحتى العلب المستخدمة في حفظ المواد الثمينة او غيرها ، كذلك كانت مادة الجلد تعد المادة الأولية الرئيسية في صناعة وعمل عدة الخيول(٣٦) والحمير والبغال من أعنقة وسروج وسياط ، اضافة الى استخدام المادة هذه في صناعة اجزاء من القوارب والعربات وتدخل نفس المادة في صناعة الآلات الموسيقية كأوتار القيثارات والأجزاء الرئيسة في صنع (الدمامات) والطبول والدفوف(٣٧) .. واستخدم الصاغة هذه المادة في عمل المنافخ الخاصة لرفع درجة وقوة النار المستخدمة في التصهير.





ومن القوائم اللغوية التي ثبتها علماء المسماريات ذكر لانواع الحيوانات التي استخدمت جلودها في صناعات مختلفة، ومن هذه، جلود الخنازير والجمال والاسود وحتى جلود القطط والكلاب والحمير والبغال[٣٨].

ان معاملة واشتغال جلود الحيوانات المذكورة أنواعها في وادي الرافدين القديم وفي مرحلتها الاولى بالذات كانت تتم بنزع الجلد عن الحيوان، ويظهر ان عملية نزع جلد الحيوان كانت تتم بطريقتين: الاولى: نزع الجلد مع غطائه سواء كان من الصوف او الشعر، والثانية: كانت تتم بنزع الصوف او الشعر من جلد الحيوان قبل فصل الجلد عنه ولكلتا الطريقتين استعمالاتها الخاصة.

**طريقة معالجة جلود الحيوانات:**

**الدباغة والصياغة:**

يراد بالدباغة هنا تحويل جلد الحيوان المنزوع الى مادة غير متعفنة ومتماسكة وقليلة المسامات وبالنتيجة نحصل على مادة نسميها الجلد. ومن طرق الدباغة المذكورة في النصوص المسمارية ترك الجلد المسلوخ في حوض من الماء للسماح للبكتريا المتوفرة ان تمارس فعالياتها اما طبيعياً او بنوعية الماء والمواد الموضوعة فيه فتختلف حسب نوعية الجلد الذي يرغب في الحصول عليه[٣٩].

وبالنسبة لدباغة الجلود غير المنزوعة الصوف او الشعر بعد فانها كانت تشبع بمحلول دهني، ثم تضرب بالعصي او بواسطة أخرى ليتم ادخال الأجزاء الدهنية في اجزاء الجلد ومساماته، ثم تنزع كل الشوائب من الجلد: الشعر او الصوف وبقايا اللحم....

تشير النصوص المسمارية ايضا الى الأشخاص المتخصصين في كل مرحلة من مراحل العمليات السابقة، اما المتخصصون في صناعة الجلود على اختلاف مراحلها في اللغة الأكدية فهم ashkappe واللفظ مأخوذ من اللغة السومرية ASHGAB وقد انتقلت الكلمة الى لغتنا على هيئة اسكافي، ويعرف هؤلاء المتخصصون حسب نصوص الكتابات المسمارية منذ منتصف الالف الثالث ق م.

ان هؤلاء المتخصصين اي الـ ashkappe، فضلا عن قيامهم غالبا بانجاز كافة مراحل تحضير الجلد، من دباغة وتلوين كانت نوكل اليهم ايضا مهمة صناعته، وخاصة في عمل الأحذية[٤٠]. نفهم ان عملية الدبغ المعروفة والمدونة في أحد النصوص الآشررية كانت تستلزم استعمالا لمادة العفص والجيد منه المستورد من تركيا، من مناطق الحيثيين، والواقع ان الحيثيين اشتهروا بهذه المادة التي استخدمها الآشوريون في الدباغة على نطاق واسع، كذلك اشتهروا بتصديرهم لمادة الشب المستخدم كذلك في الدباغة، ومما تذكره النصوص الآشورية في كيفية استخدام العفص مادة دابغة، وتعرف من هذه النصوص ان بقرة ذبحت لاكمال طقس ديني ولاستخدام جلدها بعد ذلك لعمل طبل خاص يستخدم في الاحتفالات الدينية[٤١].

لقد استخدمت مادة الشب gabû على نطاق واسع من قبل المتخصصين بالدباغة في وادي الرافدين القديم، اما فائدة هذه المادة في هذا الحقل من الصناعة فكانت للحيلولة دون تعفن الجلد وفساده، وهكذا يلعب الشب دورا لايقل اهمية عن دور مادة العفص في دباغة الجلد. وتأكيد دباغي وادي الرافدين القدماء على استخدامهم لمادة الشب يستلزم معرفتهم لعملية ضمن مراحل الدباغة ينتج عنها الحصول على جلد رقيق وناعم ولين، ويتم ذلك بمعاملة الجلد بمسحوق الشب المحلول بالماء بعد تنظيفه وينتج عن ذلك تلون المحلول بلون خفيف ويحصل على جلد جيد، ناعم ورقيق ولّين طالما يبقى الشب متداخلا في مساماته[٤٢].





بعد عرضنا لما هو متوفر من طرق مختلفة ومواد متعددة استلزم استخدامها لدبغ الجلود على أنواعها في وادي الرافدين القديم نأتي على ذكر الطرق المختلفة المستخدمة في تلوين الجلد، والمعروف أنه حتى اليوم في مناطق الشرق الأوسط يستخدم لحاء بعض ثمار الأشجار وأوراق نبات السماق وبشكل خاص في مناطق شمال العراق وسوريا في تلوين الجلد، وعرف "السماق" من قبل الآشوريين تحت كلمة spiru، ويمكن تقريب هذه الكلمة من الكلمة العربية صفّر الشيء أي جعله أصفر اللون [٤٣].

ان الصبغة المستحضرة من نبات السماق تستخدم في تلوين جلود الحيوانات المدبوغة، وكذلك استخدمت لتلوين الأقمشة، وتؤكد لنا النصوص المسمارية من الفترة الآشورية ان الآشوريين استخدموا هذه المادة في تلوين الجلود والأقمشة، ومازال استخدام هذه المادة حتى اليوم لنفس الغرض في شمال العراق وتركيا بشكل خاص [٤٤].

وقد بحث أحد النصوص، وهو عبارة عن عقد عثر عليه في مدينة كركميش في سوريا تجهيز الآشوريين بمادة السماق والعفص، وذلك لاستخدامها في صناعة الدباغة، وكان طرف العقد الآخر هم جماعة من الأرمن من منطقة ميتاني [٤٥].

لقد اشتهر الآشوريون والبابليون في الواقع بانتاجهم للجلود ذات الألوان البراقة التي انجزت لشغلها في مواضيع عديدة، ولقد اشتهر بشكل خاص نوع سمي دوشو dushû، وهو يرمز للمعان الشمس ووهجها [٤٦]، ومعنى الكلمة في الأصل هو "البلور الصخري" [٤٧]. وتعني الكلمة ايضا أحد الوان الجلد المأخوذ من العنزة Parutu، ويراد به لون الرخام الأبيض وهو نوع من الجلود المدبوغة والمصبوغة، وتعني الكلمة ايضا dushu حسب ورودها في النصوص الخاصة بالملوك الآشوريين تجلا تبليزر الاول - آشور ناصر بال الثاني وشيلمنصر الثالث «جلود حيوانات منفوخة تستخدم في صناعة الأكلاك للنقل البحري» [٤٨].

**الحرفيون المختصون بالدباغة :**

كّون الدباغون فيما بينهم نوعا من التجمع يشبه مانسميه اليوم نقابة، وكانوا يعيشون في تجمعات سكنية خاصة بهم، كذلك الحال بالنسبة لمحلات شغلهم [٤٨]، وعندنا التعبير في الأكدية المشير الى المكان المخصص لسكنى الدباغين وهو âl (bit) sha (amêl) ashkappé [٤٩].

والمعروف ان هناك سببين رئيسيين أديا الى ان يتجمع هؤلاء الدباغون في محل واحد: الأول: طبيعة عملهم التي تستلزم الاشتغال في امكنة متقاربة، والثاني: هو التقليد المتبع في تجمع اصحاب حرفة واحدة وممارستها في محلة واحدة او اكثر في نفس المدينة، وهو تقليد معروف في عالم الحضارات القديمة، وبشكل خاص في وادي الرافدين ومصر وفلسطين وآسيا الصغرى وايران، ومازال جاريا بوضوح بشكل نسبي حتى يومنا هذا.

اما عن مكانة الدباغين من الناحية الاجتماعية، فيبدو أنهم والاسكافيين أو الخفافين كانوا من المميزين في المجتمع البابلي ومثلهم اصحاب حرف اخرى معروفة كالنساجين، ونعرف ان حمورابي نفسه ثبت في قانونه الشهير اجور الدباغين والنساجين [٥٠].

**٥ - صناعة الأحذية :**

تتوفر لدينا العديد من الرقم الطينية التي تذكر بشكل واضح استعمالات الأحذية (الصنادل)، كذلك تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من المنحوتات [٥١] التي تعرض تفاصيلها أحذية متنوعة في أرجل الأشخاص الممثلين على هذه المنحوتات، وتعكس تفاصيل الأحذية ونوعيتها





والطبقة التي ينتمي اليها ذلك الفرد سواء كان من الالهة او الملوك او الجنود او الأجانب او العبيد (٥٢) .

ومن ناحية صناعة الأحذية نعرف انها كانت احدى الدعامات الرئيسة في الصناعة الجلدية ليس فقط في وادي الرافدين وانما في كل حضارات الشرق الأوسط القديم (٥٣) .

ونعرف ان جل الاهتمام المكرس في صناعتها كان لاستخدامها من قبل الطبقة البرجوازية ، ومنهم قادة الجيوش وأصحاب المراتب العليا وكذلك الكهنة الكبار.

استخدم سكان وادي الرافدين كعبا اضافيا اضيف الى النعل الرئيسي المسطح ، وميّز هؤلاء عن اليهود ذوى الأحذية المغلوقة على كل القدم ، وتصل الى مافوق الكاحل ايضا ، ونرى نماذج احذيتهم واضحة في مسلة الملك الآشوري شيلمنصر الثالث والمحفوظة اليوم في المتحف البريطاني (٥٤) .

إن أحذية الآشوريين التي نراها على الكثير من المنحوتات البارزة منحوتة بشكل جانبي بطريقة نرى بها بوضوح النعل والأجزاء الجانبية والكعب وحتى الأشرطة التي تكون على شكل حلقة يمر بها أصبع القدم الكبير وتمر بمحاذاة كعب القدم وتشد بعد ذلك من الخلف او الجانب على شكل عقدة.

والواقع ان الحلقة الجلدية التي يمرر بها أصبع القدم الكبير ظهرت في عصر متأخر كذلك الثقوب المعمولة لمرور الأشرطة وتوضع فوق كعب القدم على هيئة حلقتين لامرار الأشرطة ، والحلقة الجلدية التي يمرر فيها اصبع القدم الكبيرة تكون أحيانا مزينة بقطعة من المعدن الثمين (٥٥) .

وفضلا عن الأحذية (والصندلات) عرف سكان وادي الرافدين القدماء الحذاء الطويل العالي الذي يصل الى أسفل الركبتين وهو مانسميه اليوم (بالبوتين) القصير منه والذي انتشر استخدامه بنحو خاص من قبل الفرسان المحاربين من الآشوريين وتحت هذا النوع من (البوتين) كان هؤلاء الفرسان يلبسون الجوارب المشدودة الى اعلى الساق بشريط (٥٦) . إنّ الجزء الامامي من البوتين مربوط الى القدم والساق بواسطة شرائط دقيقة وغير سميكة . ان انتشار هذا النوع من الأحذية عند الآشوريين بشكل خاص – كان لسهولة السير به – في المناطق الجبلية .

كذلك نعرف عن تقليعة جديدة ظهرت في عصر آشور بانيبال(٦٦٨– ٦٢٦ق. م) الملك المثقف والمحارب الجيد ، والتقليعة هذه تتلخص في عمل حذاء ذي نعل رقيق وخاصة في الجانب الخلفي من القدم ، ويغطي جلد الحذاء من خلف القدم وجانبيه الخلفيين ايضا ، وتمرر الأشرطة التي تشد الحذاء الى القدم من ثقوب نفس الجلد ويجعل لها حلقات معدنية للتقوية وتشد على شكل عقدة على جانب القدم.

اما الحذاء الآشوري الاعتيادي فهو عبارة عن (صندل) (يسمى باللغة الاكدية نعل naûl المشابهة للفظ العربي المستعمل لنفس الشيء) ذي نعل رقيق وكعب واطئ مصنوع من عدة طبقات من أشرطة جلدية عريضة (٥٧) .

اما الأحذية بأنواعها المختلفة فقد كانت في زمن الملك الآشوري سنحاريب(٧٠٥– ٦٨١ ق. م ) أقل دقة ورشاقة ومتانة مما اصبحت عليه في زمن الملك آشور بانيبال على الرغم من كون العناصر المكملة والمزينة لها أكثر وأغرز وخاصة الزينة المعمولة على شكل وردات والأشرطة المجملة للأحذية من الأمام (٥٨) .

اما عن تلوين الأحذية بشكل عام فقد ابدع الآشوريون والبابليون في ذلك وخاصة في استخدامهم للألوان البراقة في تلوين جلود الأحذية وتزيينها بالقطع المعدنية الثمينة والاحجار





الكريمة وتطريزها بخيوط مصنوعة من جلد الماعز المدبوغ[٥٩].

كذلك استخدموا الأشرطة الملونة في تزيين العدة الحربية المصنوعة من الجلد وخاصة اشرطة الأحذية الحربية الطويلة.

ان الألوان المتبقية على اجزاء المنحوتات البارزة الآشورية تؤكد لنا أن أحذية الملوك الآشوريين كانت تصنع من الجلد الملون بالألوان المتعددة والمنسقة لاخراج الحذاء الواحد بشكل منسجم، ومنحوتات مدينة خرصباد (دور- شروكين) تثبت لنا هذه التقليعة[٦٠] وبعض الأحيان وجد ان جلد الصندل الواحد والأشرطة المكملة له ملونة بلون واحد وهو اللون الأحمر.

وفضلاً عن مصادرنا في هذا الموضوع من الوثائق الشاخصة، من المنحوتات وغيرها من البقايا الاثرية، فاننا نجد في النصوص المكتوبة بالكتابات المسمارية مفردات عديدة تعني ملحقات مكملة منها ضرورية لشد الحذاء الى القدم، ومنها ملحقات كمالية جعلت للزينة والقصد منها الظهور بمظهر العظمة والبذخ.

وأخيرا نقول بأن دبغ الجلود في وادي الرافدين واستغلاله بشكل واسع يؤكد لنا وحدة وتكامل الصناعة الواحدة مما يميز هذه الصناعة بالذات، وكذلك الصناعات والمهن الأخرى عما نجده في بقية الحضارات المعاصرة.

هذه الوحدة والتكامل جاءت نتيجة الحاجة الى تبديل وتطوير المواد الأولية منذ وجود الجلد على الحيوان وهو حي الى استغلاله في صناعة كاملة. وهذا التطور حدث ايضا نتيجة لتوفر النوعية الجيدة والمتنوعة من الحيوانات ومن الجلود.

**٦- صناعة المعادن:**

كان توصل العراقيين القدماء واهتداؤهم الى تصنيع معدن النحاس واحدا من المعالم الصناعية والفكرية الكبيرة، ويتضمن تصنيعه مالا يقل عن اربعة معارف تصنيعية هي عملية طرقه وعملية اذابته وعملية استخلاصه من المعدن الخام، ثم معرفة مزجه بمعدن آخر، والعملية الأخيرة تعد بحد ذاتها طفرة نوعية في تصنيع المعادن بشكل عام. وتصنيع معدن النحاس بشكل خاص ومرونة النحاس وليونته في الصناعة كانت خطوة كبيرة في استخدامه بديلا عن الأدوات الحربية في كل العالم، وأصبح استخدام النحاس في صناعة الأدوات شائعا، وظهرت طبقة صناعية تتمتع بمستويات تقنية وفنية وأصبحت اشكال الالآت والأدوات متنوعة وتزداد بازدياد الحاجة وبتوسع الاقتصاديات الزراعية، وكان هذا التطور الصناعي والعلمي الجديد واحدا من العوامل الرئيسية لانتقال التجمعات السكانية في العراق والعالم من مجتمع القرية الى مجتمع المدينة[٦١].

وكان اهتداء الانسان الى هذا المعدن قد جعل المتخصصين يسمونه بعصر النحاس ثم تلاه عصر آخر سمي عصر البرونز.

وتتوضح أهمية توفير المعادن لدى العراقيين من زيادة الاتجار به على نطاق واسع جدا.

ومن اجل الحصول على معدن اقوى من النحاس عرف خلطه مع معادن أخرى فتصهر بدرجات أدنى كثيرا من درجة انصهار النحاس، ومن ذلك الرصاص ٣٢٥ درجة مئوية والقصدير ٢٣٢ درجة مئوية.

والبرونز هو خليط من نسبة عالية من النحاس ومعادن أخرى من الرصاص والانتيموان او الزرنيخ[٦٢] الآ ان خليط النحاس مع القصدير يعد اجود الأنواع. وفي حالات فقد مزجوا ٩٨٪ من النحاس وحوالي ١٪ من القصدير وحبات قليلة من النيكل او الحديد يمكن ان تكون مصنوعة من





البرونز كليا. ويرى البعض في نسبة القصدير والنيكل والحديد بأنها شوائب بينما يرى بعض آخر بأن خلو مايقل عن ٢ ٪ طبيعيا، وكان العراقيون يسمون القصدير والرصاص تحت لفظة أناكو anâku ولكن تميز الرصاص في معظم النصوص تحت الاصطلاح ابارو abâru و ashgiku.

والجدير بالملاحظة ان نسبة خلط القصدير مع معدن النحاس لجعله قويا ظلّت متقاربة ولا تتجاوز في متوسط الحد الأعلى العشرة بالمائة(٦٣)، على الرغم من تحليل قطع عديدة من المصنوعات البرونزية من فترة النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد، وجد ان نسبة القصدير فيها كان حوالي ٢ ٪(٦٤).

وتعد عملية خلط النحاس مع القصدير هي المفضلة، وبالتجربة العملية توصلت الجماعات المتخصصة الى عصر جديد اطلق عليه عصر البرونز.

اما بالنسبة لمعدن الحديد وتاريخه ومصادره، فمن المعروف ان سطح الكرة الأرضية يتشكل من ٤ ٪ - ٥ ٪ من الحديد، وهو بهذه النسبة التي تبدو كبيرة جدا على شكل خليط مع الصخور، ويكون على شكل فلزات، ومنها أكاسيد الحديد والهياتيت وهو خام الحديد الأحمر والليمونيت، وهو اوكسيد الحديد المائي الاصفر والمغنيت وهو اوكسيد الحديد المغناطيسي وفحمات الحديد الطبيعية.

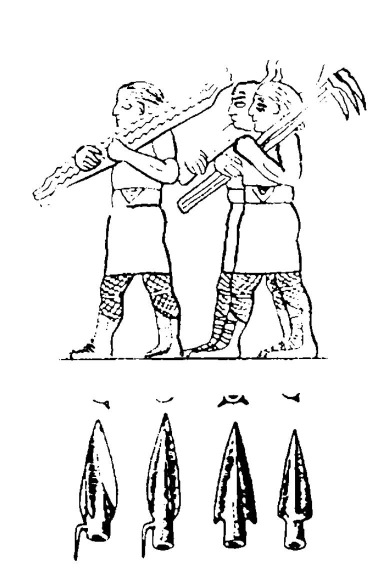
ويستخلص الحديد من مادته الخام بنفس الأسلوب الكيمياوي الذي يستخلص به النحاس وغيره من المعادن وذلك بالتعريض للحرارة بواسطة الحطب والفحم. وعملية الاستخلاص هذه تترك الحديد كتلة غير متراصة يستلزم اجراء عملية تنقيتها بالطرق المتواصل، وليس صب الحديد من العمليات السهلة مثل تلك التي تحدث للنحاس والبرونز بواسطة القالب وعلى الصنّاع المهرة صهر الحديد وقولبته بالطرق. وتلك عملية تستلزم قدرة ومهارة كبيرتين.

والمصدر الآخر للحديد هو من النيازك التي تهوى احيانا على الارض وتتألف في معظمها من الحديد.

ولقد عرف العراقيون الحديد وأولوه اهتماما كبيرا، وذكره باللغة السومرية دليل واضح على عمق معرفتهم به منذ فترة حوالي الألف الثالث قبل الميلاد وذكروه بالاصطلاح آن- بار -AN) (BAR وتعني كلمة آن السماء وبار تعني الحديد ويترجم الاصطلاح معدن السماء او المعدن - النيزك وسموه ايضا بالمعدن المعظم، كان قد عرف من مصادره الطبيعية في جبال طوروس وفي ارمينيا منذ الألف الثالث قبل الميلاد وعرفت تجارته منذ الألف الثاني قبل الميلاد. درجة انصهار الحديد ١٥٣٠ درجة مئوية (سنتغراد) وتزيد على درجة انصهار النحاس بحوالي ٥٠٠ درجة، فهل كان من الممكن ايصال الحرارة عند السومريين قبل خمسة آلاف سنة من الآن وهل كان شيوع استخدام الحديد المتأخر نسبيا راجعا الى هذا السبب ام بسبب ندرة حصوله في العراق، وقد يكون السببان هما الأكثر قبولا، والمعروف انه كان يكفي لصهر طن واحد من الحديد الخام ثمانية اطنان من الفحم. ويثبت ماتذهب اليه تأخر شيوع استخدام الحديد الى فترة حوالي بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد اتجاه معظم البحوث العلمية للمتخصصين في الآثار واللغات القديمة الى ان شيوع استخدام الحديد في الصناعة كانت بدايته من فترة النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وكان الآشوريون قد استخدموه على نطاق واسع ابتداءً من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومن نماذج قطع الحديد المصنع والتي تم العثور عليها في مناطق الآشوريين في شمال العراق رؤوس سهام ومطارق ومعاول وقطع مصنعة أخرى من هذا المعدن تدخل في صناعات أخرى مكملة بما في ذلك الأثاث اضافة الى العثور على مناشير تصل اطوالها الى ١,٦٥ و ١,٨٠م(٦٥).

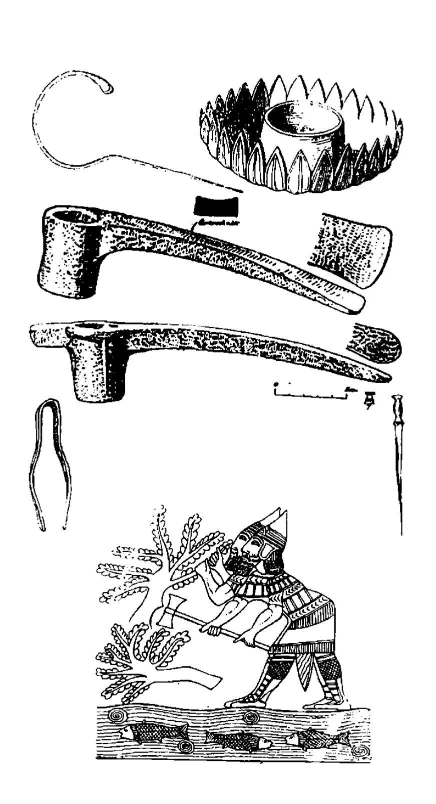






وكانت الورشات الخاصة بصناعة الاسلحة عند الآشوريين معروفة ، ويشار اليها احيانا بوضوح وتحت تعابير مباشرة أحيانا مثل : bit kutali وفي أحيان أخرى بصورة غير مباشرة ، ومن ذلك ذكر عمليات صب المعادن وخاصة الحديد لعمل الأسلحة ، ويعرف العاملون من المتخصصين في صناعة الأسلحة sha ḫallupti – shunu وأماكن ورشاتهم المحددة في مكانين في مدينة نمرود مثلا (٦٦) .

وتشير الأدلة المادية والمدونة الى ان الحديد كان مألوفا في صناعات بعض الاسلحة الخفيفة والحلي خلال فترة القرن الرابع عشر قبل الميلاد في معظم المناطق الكائنة من مصر وسوريا من جهة والعراق وآسيا الصغرى من جهة أخرى (٦٧) . هذا فضلا عن استيراد الآشوريين لبعض الأسلحة المصنوعة من الحديد من بعض مناطق آسيا الصغرى ، ومنها الخناجر وذلك مقابل عدد وصناعات برونزية (٦٨) ، ويبدو واضحا ان الحديد المستورد من آسيا الصغرى كان من نوعية جيدة ويصفه الآشوريون بالحديد الجيد او الطيب . parzillu damqu وتصف رسائل الملوك المتبادلة بين الآشوريين والحيثيين خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد بأنه كان يستخرج في مناسبات ووفق ظروف خاصة .



ويبدو كذلك ان كميات الحديد المتوفرة قريبا من منطقة دهوك الحالية لم تكن كافية للصناعة الآشورية ، وكانت عملية تسهيل حصول الآشوريين على كميات كبيرة من خلال الاورارتين مألوفة (٦٩) ، فضلا عما كانوا يحصلون عليه من كميات كبيرة أخرى من منطقة ديار بكر (خانيكلبات) (٧٠) كمعدن خاص من هذه المنطقة والمناطق المجاورة التي كانوا يسيطرون عليها .

اما المعدنان النبيلان الذهب والفضة فقد عرفها العراقيون القدماء منذ العصر الحجري



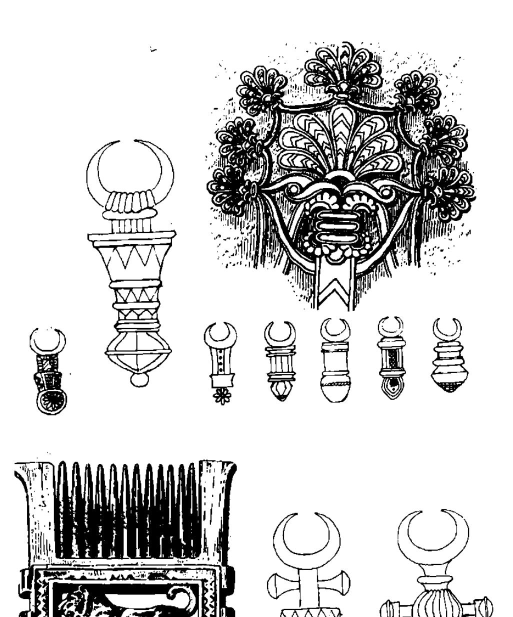


الحديث ، ولكنها لم يتوازيا بما يوازى أهميتها الاّ من بداية شيوع استخدام المعادن والتطور الحضاري الكبير في بداية العصور التاريخية[٧١] . وامكن استخدام المعدنين مقياسا لتقويم الأشياء وذلك من خلال تحديد الكمية بوحدات الوزن التي اوجدوها ومنها الشيقل الذي يساوي حوالي ثمانية غرامات ونصف (من اوزاننا الحالية) ولقد ظلّت وحدة القياس من الفضة بهذا الوزن لفترة تزيد على الثلاثة آلاف عام وعرفت لفظة مثقال في العربية لتشير الى نفس الاشتقاق اللغوى.

وفي الحقيقة فقد كان استخدام الفضة والذهب في العراق القديم والعصور اللاحقة شائعا بصورة مبالغ فيها ايضا ، فضلا عن استخدامها في صناعة بعض الاسلحة الخاصة من استخدامات الملوك وبعض افراد الطبقة الحاكمة فقد كانا يستخدمان في صناعات عديدة منها الالآت والادوات الموسيقية ، وأكثر من ذلك كله في صناعة التماثيل الخاصة بالالهة والملوك ، وكانت تخصص لمثل هذه الصناعة كميات كبيرة من الذهب والفضة ، وتشير الكتابات المدونة من قبل السومريين والبابليين والآشوريين الى اهتمام الملوك بعمل نماذج من صورهم من الذهب والفضة ومحتويات من هذه الرسائل توضح مدى الاهتمام الظاهر بمتابعة العمليات المتخصصة بالصهر والخلط وصب القوالب وحفظ المواد المعدة لاجراء العمليات هذه.

وفي الحقيقة كانت كميات الذهب والفضة تدخل في عمليات أخرى خاصة بزينة القصور والمعابد والأثاث المزينة في داخلها سواء كانت بعض الكراسي والفرش او الاعمدة وبعض الواجهات وخاصة اجزاء في مداخلها. وتشير الى تفاصيل ذلك رسائل عديدة مع ذكر المتخصصين اللازمين لانجاز مثل هذه الأعمال وذكر اسمائهم[٧٢] ومن هؤلاء الفنان Ashur beltakkin و Arad Nabu[٧٣] مثلا.

وعن تفاصيل ومراحل التنقيات الخاصة بانجاز اعمال الصب لصناعة الزينة من الذهب في العقود الآشورية من الفترات الحديثة تتوفر رسائل عديدة عن ذلك مع ذكر المتخصصين لانجاز العمليات ايضاً ، ومن ذلك مايرد في رسائل نُورية عديدة[٧٤] .



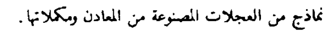
نماذج من الحلي الاشورية منها مشط خشبي





كذلك كانت انتاجات الصناعة من العراقيين القدماء معروفة في تصنيع الذهب والفضة لانتاج الحلي بأنواعها المختلفة ، سواء تلك المزينة لرؤوس الرجال والنساء او عبيدهم ومعاصمهم وملابسهم .

وكانت صناعة هذه الحلي مألوفة وشائعة بين الأحياء والأموات ، وكان الأخيرون يتزينون بها قبل اجراء عملية الدفن ونعثر باستمرار خلال التنقيبات على نماذج من المصوغات الذهبية على شكل اوراق نباتية ومعاضد وأساور وقلائد بعضها تزين الجبين والرأس .



نماذج من العجلات المصنوعة من المعادن ومكملاتها .





وأشتهرت الملابس المزينة بقطع من الذهب على شكل وردات ودوائر وقطع عديدة متنوعة تبدو اشكالها على المنحوتات، وقسم منها تم العثور عليه خلال التنقيبات وتفاصيل صناعة معظم مثل هذه الحلي يرد وصفه وصناعته في الكتابات المسمارية، ومما يرد في الأخيرة تكريس ٧٠٠ وردة من الذهب بلغ وزنها على الثوب حوالي أحد عشر كيلو غراما ونصف(٧٥)، كذلك استخدمت الخيوط المعدنية سداة ولحمة النسيج، وتعمل أحيانا هدب الملابس من الذهب او تعمل نهاياتها على أشكال تزيينية مختلفة من المعادن الثمينة وبالذات من الذهب(٧٦)، ولقد انتشرت صناعة هذه الحلي والملابس المسماة أحيانا بالملابس الذهبية او المذهبة في العصور اللاحقة وعرفت بين أهل الحضر وسكان الحواضر الاسلامية والعربية، ولا زلنا نتفاخر نحن المعاصرين بها ونتخذ من الذهب والفضة رموزا لليسر الاقتصادي والأبهة الاجتماعية.

## الهوامش:

(١) هـ. ساكز، عظمة بابل، لندن ١٩٦٤، ترجمة: عامر سليمان، ص ٢٩.

(٢) Forbes, R.J., Studies in Ancient Technology, Leiden — Brill, Vol. III 1955, pp. 146 — 48

(٣) CAD, Vol.6, pp. 137 — 38

(٤) Forbes, Op. cit, p.7

(٥) Ibid, p.8

(٦) Speiser, E.A. Excavations at Tepe Gowra, Vol. I, Levels 1 — VIII University of pennsylvania Press PhiLadelphia 1935

(٧) العراق القديم، تأليف جماعة من علماء الآثار السوفييت، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد، سلسلة الكتب المترجمة (٢٨) ١٩٧٦، ص ٦١.

(٨) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر بغداد، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٢، ص ١٣٣، ١٤٠.

(٩) Garell, p. Les Assyriens En Cappadoce, Bibliothèque archeologique et historique de L'Institut Francais d'Archeologie d'Istanbul — Paris 1963

(١٠) الحرف والصناعات ص ١٤٨.
Van Dijk, J.J. A. La Sagesse Sumero — accadienne Leiden, 1953, p.65

(١١) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر، بغداد مطبعة الاديب ١٩٧٢. ص ٩٨ — ٩٩.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٠٦ — ١٠٩.

(١٤) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدية في العصر الآشوري المتأخر، ص ٢٣٢، الملابس الشعبية في العراق، بغداد، وزارة الاعلام، ١٩٧٠.

(١٥) Eiko Matsushima — Toyama . e Lit de shamash et le Rituel du Mariage ā L' Ebabar in: Acta Sumerologica No.7 1985

(١٦) Journal of Cuniform Studies, New Haven IV (1950) p. 191
Vorder Asia ische Schrittdenkmäler (= VAS) 6 1: 4

(١٧) CAD, A, p.152.

(١٨) من الاصطلاحات هذه (زارات — Za — rat) وزارتو ورد في نصوص كثيرة في العراق القديم، انظر للتوسع:
CAD Jcs xxl
p. 66.

(١٩) انظر في مجالات التأثير العراقي القديم على فنون الأقوام الأخرى وما صاحب ذلك في تأثيرات فكرية وحضارية أخرى:
Ghirshman, R., Parthes et Sassenides, Paris 1962,
---------, Les Achēmēnides, Paris 1963
وليد الجادر، الحرف والصناعات، ص ١٢ — ١٣.

(٢٠) CAD ... VIII, p. 255. IV, 346a
Revue d' Assyriologie et d' Arch. xxxvl p. 204
ساكز. هـ. عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان ابراهيم، ط ٢، لندن ١٩٦٢، الترجمة العربية، الموصل ١٩٧٩، ص ٥٤٤٣.

(٢١) الحرف والصناعات، ص ٣٢٥.

(٢٢) Pausanias, Liv V ch.xll

(٢٣) Griffin, G. Lewis. The Practical Book of Oriental Rugs. 5 edition 1920, p. 75..

(٢٤) انظر في احدث الدراسات المتخصصة عن أشكال الشجرة المقدسة ومفاهيمها في العراق القديم:
Christine Kepinski: L' Arbre Stylise en Asie occidentale au 2 Millenaive avant J. C. edit. Recherche Sur Les Civilisations Paris 1982
Tariq MadhLoom "Types of Trees". In Sumer Vol. xxvl (1970) p 137 — 42

(٢٥) Cassin, E. La Splendeur divine. Introduction ā Lē tude dela mentalite mesopotamieaae Paris. Lahaye 1968

ايضا مجلة سومر، مجلد ٢٤ (١٩٦٨).

(٢٦) رضا جواد الهاشمي، "القانون والأحوال الشخصية" في موسوعة حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥، ص ٦٣- ١٠٨.

(٢٧) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، بغداد، مطبعة الأديب، ١٩٧٢.

(٢٨) الحرف والصناعات اليدوية،....

(٢٩) وليد الجادر وضياء العزاوي، الملابس والحلي عند الآشوريين، بغداد ١٩٧٠.

(٣٠) Cassin, E. La Splendeur

وجلة سومر، العدد ٢٤ (١٩٦٨) ص ٢٣١ - ٢٣٤.

Oppenheim, L. "The Golden Garments of the Gods" In Journal of Near Eastern Studies. VIII. (1949).

(٣١) وليد الجادر وضياء العزاوي، الملابس والحلي عند الآشوريين، كذلك انظر:

(٣٢) "الأزياء والأثاث" في موسوعة حضارة العراق، ج ٤، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٦٢- ٣٦٣.

(٣٣) كان الحزام ولازال رمزا للستر وحل الحزام يعني اشارة ودعوة وتمهيد لعلاقات خاصة.

(٣٤) عن المزيد من التفاصيل الخاصة باستخراج هذا اللون. الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، ص ١٧١.

(٣٥) Forbes, R.J. Studies in Ancient Technology. III, Leiden 1956.

(٣٦) من المنحوتات الآشورية البارزة نرى بوضوح العديد من الخيول الملكية وخيول القواد الآشوريين من الفرسان ونلمس، بنحو جيد الاهتمام الكبير في اظهار هذه الخيول بشكل مترف ومميز ومن ذلك اعنة الخيول بتفاصيلها والقطع المعدنية والصدفية المزينة للاشرطة الجلدية المكونة لجزء كبير من زينة الخيول هذه.
ان ماممكن رؤيته من هذه التفاصيل يشهد بأن صناعة الجلود عند الآشوريين قد بلغت مرحلة ممتازة من التطور. فالعنان والنير ومقبضه كانت تقوى بشريط جلدي ايضا او بشريط معدني. ونعرف من بقايا الوان المنحوتات الآشورية البارزة ان الشرائط المصنوعة من الجلد لأعنة بعض الخيول الملكية كانت ملونة باللون الأحمر: انظر Gosse. H. Assyria, p. 234
كذلك كانت مادة الجلد المادة الرئيسة في صناعة سروج الخيول، اضافة الى الاقمشة وكان السرج بدوره يزين بتحليات على أشكال زهرات بأحجام وبفروع متعددة.

(٣٧) Grawford: Sumerian Economic Texts from the First Dynasty of Esin, 1954, text no. 206

(٣٨) انظر المصادر التي تذكر عن استخدام جلود هذه الحيوانات من قبل حرفيي وادي الرافدين المختصين بصناعة الجلود وذلك في أسفل ص ١٩٤، من نفس العدد من سومر.

(٣٩) انظر: سومر، ص ١٩٥، ملاحظة ٢٠.

(٤٠) سومر، ص ١٩٥، ملاحظة ٢٢.

(٤١) Thureau— Dangin: Rituels accadiens. Paris, 1921, p.21

(٤٢) عرف دباغو سكان وادي الرافدين القدماء انواعا عديدة من الشب كانت غالبيتها تستورد من وادي النيل بشكل خاص. انظر تسميات الشب في اللغة السومرية والأكدية واستيراده من مصر القديمة في سومر: نفس العدد، ص ١٩٦، ملاحظة ٢٥.

(٤٣) انظر مرادفات الكلمة واستخدامها في الملاحظات المذكورة في مجلة سومر، نفس العدد، ص ١٩٦، ملاحظة ٢٦.

(٤٤) Post, G. E. Flor of Syria and Palestine I. 285

(٤٥) Olmstead, A. T. History of Assyria, Chicago 1925, p. 560.

(٤٦) انظر المصدر في نفس العدد من سومر، ص ١٩٧، ملاحظة ٣٠.

(٤٧) انظر المصدر في نفس العدد من سومر، ص ١٩٧، ملاحظة ٣١.

(٤٨) نفس المصدر، ص ١٩٧، ملاحظة ٣٧، ٣٨، ٣٩.

(٤٩) نفس المصدر، ص ١٩٧، ملاحظة ٤٠.

(٥٠) Driver and Miles. The Babylonian Laws. p. 274

(٥١) Layard, H. Nineveh and its remains. II, Vols.

(٥٢) Layard, H. Monuments of Nineveh; Genouillac (H.de) "La chaussure chez Les Assyriens" in RA. VII, 4 1910, p. 157 "La chaussure Sumerienne" in RA xxxvI, 1939. p. 43— 45

(٥٣) انظر مجلة سومر، نفس العدد، ص ١٩٨، ملاحظة ٤٩.

(٥٤) سومر، نفس العدد، ص ١٩٩، ملاحظة ٥٧.

(٥٥) سومر، نفس العدد، ص ١٩٩، ملاحظة ٥٨.

(٥٦) سومر، نفس العدد، ص ١٩٩، ملاحظة ٥٩.

(٥٧) نجد بقايا الوان مزينة لبعض المنحوتات الآشورية البارزة، ومن هذه الألوان ماهو لأعنة الخيول المنحوتة كذلك نجد بقايا الوان مكونة من اللون الأحمر واللون الأبيض كزينة لأحذية الآشوريين، انظر سومر، نفس العدد ص ١٩٩، ملاحظة ٦٠.

(٥٨) سومر، نفس العدد، ص ٢٠٠، ملاحظة ٦١. كذلك انظر حذاء الملك آشور بانيبال المستخدم بصورة خاصة هنا مع





ملابسه لاكمال طقس ديني خاص قبل ذهابه للصيد (الشكل ٢ / أ).

(٥٩) سومر، نفس العدد، ص ٢٠٠، ملاحظة ٦٢.

(٦٠) سومر، نفس العدد، ص ٢٠٠، ملاحظة ٦٣.

(٦١) وليد الجادر، "صناعة التعدين"، حضارة العراق، ج ٢، (١٩٨٥) ص ٢٣٩.

(٦٢) Garelli, p. Les Assyriens En Cappadoce Paris. 1963, p. 271

(٦٣) Limert, H. Les travail du métal au Pays de Sumer au temps de La 3e dynastie d' Ur, Paris 1960, p. 64

(٦٤) Ibid

(٦٥) Bottéro. J. "Métallurgie" In = Dictionnarie archéologique des techniques. ll Paris 1964. p. 654 – 55.

و وليد الجادر، صناعة التعدين، حضارة العراق، ج ٢ (١٩٨٥)، ص ٢٣٩...

Maxwell – Hyslop. "Assyrian sources of Iron, Survey of the Historical and Geographical L'Age du fer Evidence In. Iraq. xxxvl. 1974. p. 143 Au Caucase Nord. Estratto Attidel VI Congresso internazionale delle Scienze Preistoriche eprotostoriche – Sezioni V – Vlll, 1966, p. 88 – 89 Perrot

Lantiquite p. 721 et Chipiez: Histore de Lart dans 721.

(٦٦)

(٦٧)

(٦٨)

(٦٩)

(٧٠) ونعرف خانكلبات في المصادر الآشورية

طه باقر، ص ٢٦، وانهارينا في الآرامية، ودولة ميتاني في مصادر أخرى.

(٧١) وليد الجادر، "صناعة التعدين"، في حضارة العراق، جـ ٢، (١٩٨٥)، ص ٢٣٩ – ٢٦٨.

(٧٢)

(٧٣)

(٧٤) وعن اهداء الملوك الآشوريين بكيات من الذهب الى ابنائهم، انظر: المصدر نفسه، الرسائل المرقة:

ومن الرسائل الأخرى التي كانت تخص موضوع صناعة المعادن، وخاصة الذهب والفضة من هذه الفترة المعروفة السرجونية:

(٧٥) . وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، بغداد ١٩٧٢، ص ٢٨٤.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٢٨٢.




د. علي ياسين الجبوري

**مقدمة :**

كان للحياة الاجتماعية في بلاد وادي الرافدين في مراحلها الأولى أثر كبير في تطور مفهوم الملكية ونظام الحكم فيما بعد، فالصراع الذي خاضه الانسان في عصوره المبكرة عندما عاش في المستوطنات المكشوفة، ثم في القرى الزراعية وما تحتاج اليه من ادارة وتنظيم لشؤون ابناء القرية، لابد ان ينتج عنه تنظيم اجتماعي واداري قادر على تسيير امور الجماعة التي عاشت في تلك المستوطنة او القرية، ولو اننا نجهل طرق ممارستها لتلك النظم.

ثم كان ظهور المعبد الذي نهض بدور مهم في وضع أسس النظام الذي أصبح فيما بعد، وكما سنرى، المركز الأساس لتنظيم الشؤون الدينية والدنيوية لدول المدن التي تطورت أساسا من القرية الزراعية.

**الملكية : Sarrūtu**

كان الاعتقاد السائد بين سكان بلاد وادي الرافدين أن الملكية مقرها في السماء، هبطت قبل الطوفان في مدينة اريدو ثم صعدت الى السماء في





اثناء الطوفان، ونزلت مرة ثانية الى مدينة كيش، كما يرد هذا في جداول الملوك السومريين[1]. لقد جسّد العراقيون القدامى الملكية برموز خاصة يطلق عليها عادة «شارات الملك» وكان الاعتقاد ان مقر هذه الشارات في السماء وهي مقدسة وموجودة قبل وجود الانسان على الأرض، حيث تذكر اسطورة انانا أنّ "الآلهة لم تعين ملكا بعد لشعبه المجهول، وفي ذلك الوقت لم يكن قد لبس رباط الرأس والتاج، والصولجان لم يكن قد رصع باللازورد..... وكان الصولجان ورباط الرأس والتاج والعصا مودعة في السماء امام آنو، ولم يكن هناك توجيه (ملكي) (ثم) هبطت الملكية من السماء[2]. وبعد أن هبطت الملكية بحث الاله انليل وانانا (عشتار) عن (راع للناس) ولكن ليس هناك ملك في الأرض، وفكّر انليل مع نفسه لتعيين ملك"[3]. فالملكية اذن اسبق من صنع البشر، وانما اضيفت الى المجتمع الانساني بواسطة الآلهة، وكان على الملك ان يكون عند حسن الاختيار بالنسبة لمختاريه، والاّ فانها، اي الآلهة، تستطيع تحويل الملكية الى شخص آخر ترتئيه وفي أي زمان ومكان.

### الملك : Šarru(m)

### نشأة الملكية وتطورها

يكتنف نشأة النظام الملكي في بلاد وادي الرافدين كثير من الغموض والتعقيدات والمشكلات، ويبدو ان الملكية ظهرت تحت ظروف قاهرة في مجتمع لايعترف أساسا بالملكية، ثم أصبح بعدها تحت سلطة واحدة. كما يبدو ان أساس نظام الحكم كان يقوم على ماعرف لدى بعض الباحثين بالنظام الديمقراطي البدائي الذي كان أساسه وجود مجلس في كل مدينة يتكون من الأحرار كافة.

وكانت طبيعة نظام المجتمع آنذاك قروية، وكان الأشخاص المسنون الذين يختارون للمجلس هم ليس فقط من المتنفذين بل من رؤساء العوائل، ومن المحتمل فان هذا النظام من الادارة قد اصبح قيد الوجود في فترة ماقبل السلالات، والدليل على وجود هذا المجلس ورود علامات صورية من فترة العصر الشبيه بالكتابي خاصة بالمسنّين (šebutu) والمجلس (Puḫru) وقد كان هذا النظام خاصا بكل مقاطعة او دولة مدينة.

كان الحاكم في الحقبة المبكرة من دولة المدينة السومرية يدعى بعلا EN= bēlu(m) أي سيدا، ويقوم بالاعمال الدينية ممثلا للاله على الأرض، ويمارس الاعمال الدنيوية ومقره في المعبد الخاص بأله تلك المدينة. ولكن، على مايبدو حدث انقسام بين اعماله الدينية والدنيوية، حيث نجده في فترة لاحقة يقيم في مقر خاص به، وبطبيعة الحال فقد اصبحت له حاشية من الموظفين والخدم. ورافق مصطلح بعل كلمة أخرى وهي ENSI= Išš'aku الذي كان يحكم دولة مدينة صغيرة، او مناطق أكبر منها مساحة في احيان أخرى. واستخدم هذا المصطلح منذ عصر فجر السلالات الأول واستمر لقبا وظيفيا ليعني الحاكم على مدينة واحدة او دولة مدينة تحت نفوذ اله تلك المدينة، وفي حالات أخرى يعين هذا الحاكم موظفا مدنيا من قبل الملوك الأقوياء من ذوي السلطة المركزية وينقل من مدينة الى أخرى حسب رغبة سيده، كما نجده مواطنا من بين الذين اصبحوا تابعين لملوك سلالة اور الثالثة[4]. استمر لقب ENSI في الاستخدام في كل من سلالة آيسن، ولارسا وبابل، وكذلك استخدمه الملوك الآشوريون للدلالة على أنهم حكام الآله آشور (ENSI d Aššur).





وبسبب الخلافات والصراعات المستمرة بين دول المدن السومرية كان على الرجال المسنين في مجلس المدينة ان يختاروا قائدا كفئا لدرء الأخطار وليصبح مسؤولا عن المدينة وقت الطوارئ والازمات، ولقب هذا الشخص المختار بـ «الرجل العظيم» (LUGAL). ان اصل الكلمة مكون من مقطعين سومريين هما رجل = LU = awiLu(m)، وعظيم (الكبير) GAL = rabû(m) ومن مثل هؤلاء القادة المنتخبين من الذين مارسوا نفوذا سياسيا لفترة مؤقتة استمر بعضهم في مراكزهم القيادية. وقد كان هذا الرجل العظيم اما من المسنين او من ذوى الحكمة والرأى والمؤهلين لهذا المنصب او من الشباب الأقوياء.

وعلى الرغم من انفراد مثل هؤلاء بالحكم فاننا نجد دور مجلس دولة المدينة السومرية واضحا ومؤثرا في اتخاذ القرارات المصيرية والحاسمة يسانده في ذلك ابناء المدينة الآخرون رجالا ونساءا والذين يشكلون ما يسمى بمجلس العموم (الشباب). ان معلوماتنا عن دور هذين المجلسين متأتية من قصة الصراع الذي كان قائما بين جلجامش ملك الوركاء وآجا حاكم مدينة كيش والمناقشات التي دارت بين جلجامش ومجلس مدينة الوركاء بخصوص امكان دخول الحرب ضد آجا. واستنادا الى هذه القصة افترض ياكبسون نظريته المسماة «بالديمقراطية» البدائية في بلاد وادي الرافدين (٥).

اصبح المصطلح لوجال LUGAL، اي حاكم، يشير الى ان سلطة واسعة قد تمتد الى اكثر من دولة مدينة واحدة، ونجد من بين دول المدن السومرية مثل كيش أن حاكمها كان دائما يلقب بلوجال، واستخدم هذا اللقب ايضا ملك اور مسانيبادا (Mesannipadda) بعد ان اخضع مدينة كيش لحكمه. أما لوجال زاجيزى فقد اطلق على نفسه لقبا جديدا وهو ملك البلاد (LUGAL KALAMA) والذي يشير بوضوح الى انه اصبح حاكما على بلاد سومر، اما في العصر الاكدي فقد أضاف سرجون مصطلحا آخر وهو «وملك الجهات الأربعة» (٦). ولما كان اللقب مخصصا للآلهة التالية: آنو، وانليل، وشمش، فقد تكون اشارة الى ان سرجون قد وحد دول المدن السومرية تحت حكمه. واستخدم هذا اللقب، اي لوجال الملوك المتأخرون حتى نهاية العصر الآشوري الحديث.

ان انتقال مركز الحكم من الجنوب الى الشمال ونشوء مراكز حضارية جديدة في كل من بابل وماري وآشور كان من المتوقع ان يحدث تغييرا في المصطلحات السياسية السابقة. ولكن الملاحظ هو الاستمرار في التقاليد القديمة التي ظهرت في الجنوب، فمثلا المجالس الآشورية Puḫru والى جانبها كلمة الأمراء rubu الذين كانت واجباتهم مشابهة الى حد ما لواجبات الـ ENSI في بلاد سومر وأكد، وفي الحقيقة فإن الأمير rubu كان يحمل اللقب نفسه بما يخص علاقته بآله المدينة الآشورية اي Išš̌aku حاكم. ولكن التغير حدث منذ زمن شمشي ادد الأول (١٨١٤ - ١٧٨٢ ق. م) حيث أشار هذا الملك الى اسلافه بلقب ملك "لوجَال - LUGAL" بدلا من «رُبُ» "rubu" و «أمير» هذا بالاضافه الى استحداثه لقبا جديدا هو "ملك العالم" (شَركَشتِ) "šar kiššati" وهذا المصطلح يشابه المصطلح الاكدي «ملك الجهات الاربع»، فضلا عن استخدامه للألقاب السومرية، مثل SANGA أي كاهن، وكذلك (GARᵈEnlil) اي حاكم الاله الانليل، ومن هذا نلاحظ أن شمشي ادد الأول ابقى على الألقاب السومرية التقليدية في سبيل اضفاء الشرعية على مدينة آشور، وخاصة بالنسبة الى اللقب الأخير باعتبار الاله انليل هو الذي عين الملكية على الأرض، كما كان الاعتقاد سائدا، طبقا لأمر الآلهة الذي أصدرته في مجلس الآلهة، كما يمكن ايضاح العلاقة بين الاله القومي





آشور والاله انليل من خلال زوجاتهم، فزوجة الاله آشور هي Ninlil والتي استخدمها الآشوريون بصيغة Mulisi وهي في الأصل زوجة الاله انليل الذي مقره مدينة نيبور (نفر) مما يشير الى ان عبادة الاله انليل كانت موجودة منذ نشوء السلطة الآشورية على أساس انه الاله الخاص بتعيين الملوك، او لأنه الاله القومي لبلاد سومر، وقد ابقى ملوك الأمبراطورية الآشورية الحديثة اتصالهم بالحضارة السومرية والبابلية من خلال استخدامهم للألقاب الملكية الخاصة بها.

يتضح من النصوص الملكية الآشورية ان الآلهة هي التي تختار الملك في مجالسها، ولهذا يقول أسرحدون (٦٨٠ – ٦٦٩ ق. م)، "..... عندما رفع الآله رأسي بخصوص أحقيتي بالعرش والحكم فقد استفسروا من الآله شمش وأدد آلهة الفأل، فأجابوهم بالايجاب: "نعم انه خليفتك"[٧]. وفي مكان آخر يقول "أنا (الملك) المختار من قبل الآله آشور"[٨].

أما آشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق. م) فيقول عن نفسه: "الآله آشور والآله سين، اعلنوا عن اسمي للملكية منذ الأزل"[٩]. اما تسويغ هؤلاء الملوك لاختيار الآلهة لهم في احيان كثيرة يشار اليها على أساس انها من أجل رفاهية الناس الذين خلقتهم الآلهة خدما لها، ولهذا السبب فلديه الخيار في تقرير مصيرهم، ولكن رحمة الآلهة لابنائها تجعلها تختار هذا الملك من أجل ان يتمتعوا بالرفاهية تحت حكمه او بكلمة أخرى فان التعبير عن شعور المواطنين مرتبط أساسا برغبة الآلهة.

ولم يقف الملوك الآشوريون عند هذا الحد وانما تجاوزوه الى الادعاء بأنهم خلقوا من قبل الاله من دون أب او ام كما يقول آشور بانيبال عن نفسه: "أنا عبدك آشور بانيبال الذي خلقتني (بنيتني) من دون أب أو أم"[١٠]، في حين شبه حمورابي نفسه بالآله شمش: «انا السامي كالاله شمش على ذوي الرؤوس السود أنانور البلاد. انا حمورابي الراعي»[١١].

اما ادد نيراري الثالث (٨١٠ – ٧٨٣ ق. م) فقد شبه حكمه بشجرة الحياة المقدسة للشعب الآشوري[١٢] واستخدمت الألفاظ نفسها لوصف أسرحدون من قبل احد رعاته، حيث يخاطبه "الملك سيدنا منحنا الحياة، وقد زرع نبات (عطر) الحياة في انوفنا"[١٣]. فالملك هنا ايضا وصف بشكل مجازى وكأنه مانح الحياة لابنائه.

**ولاية العهد:**

كان الاعتقاد هو أن الملك يستمد سلطته من الاختيار الآلهي، وهذا ماتؤكده النصوص الملكية الآشورية، وبصورة خاصة النصوص الخاصة بولاية العهد. ومن الملاحظ ان الملوك الآشوريين من السلالة السرجونية حاولوا تجنب المشكلات والفتن عند نقل ولاية العهد الى ابنائهم، وذلك بأن وضعوا الترتيبات اللازمة لذلك سلفا، فكان الملك يستفسر من الآلهة عن رغبتها في اختيار أحد أبنائه خليفة له بالطرق المعتادة لديهم. ومن خلال الكهنة، وليس من الضروري ان يكون الابن البكر.

وبالرغم من قسم الأخوة الآخرين باسم الاله عند تعيين احد الأخوة وليا للعهد واعلان تأييدهم له، الا ان هذا لايمنع بعضهم من المعارضة بعد وفاة الأب.

وبعد ان يعلن عن اختيار ولي العهد، في احتفال كبير يحضره عادة كبار القادة والحكام والأمراء، يرسل ولي العهد الى قصر ولاية العهد (بيت ريدوتي)[١٤] لكي يتلقى التدريب والتثقيف اللازمين لاعداده للملكية. فأسرحدون يوضح لنا بالتفصيل مجريات الأحداث التي رافقت توليه العرش قائلا: "لقد كنت أصغر اخوتي البالغين الاّ أن أبي الذي انجبني (رفع) اسمي بين





اخوتي بأمر من الألهة ، آشور، شمش ، مرودوخ ، نابو، وعشتار نينوى ، عشتار اربيل قائلا "هذا هو خليفتي" واستفسر من الآله شمش وادد عن طريق الفأل ، وأجابوه مؤكدين : "انه هو الذي يجب ان يخلفك". وبهذه المناسبة المهمة والكريمة دعوت الآشوريين كبيرا وصغيرا ، فضلا عن اخوتي الذين ولدوا في بيت الأبوة وامام الآلهة و آشور و سين ، وشمش و نابو و مردوخ و والآلهة الآشورية ، وآلهة السماء والأرض ، جعلتهم يقسمون وليحترموا اولويتي (منزلتي الاولى) ، وفي يوم جميل من شهر نيسان وطبقا للارادة الالهية دخلت الى بيت (قصر) ولاية العهد "bit redûti"[١٥] .

من هذا يتضح لنا ان ولي العهد كان يرسل الى بيت ولاية العهد حيث يتدرب على شؤون الحياة الثقافية والسياسية والعسكرية فمثلا يقول آشور بانيبال "أنا آشور بانيبال الذي تعلم الحكمة من نابو وكافة فنون الكتابة ، كما يمارسها جميع النساخين (الكتاب) تعلمت الرماية بالفؤوس وركب الخيول والعربات"[١٦] وبعد انتهاء فترة التدريب كان ولي العهد يكلف عادة ببعض الاعمال نيابة عن والده . ولقد امدتنا الرسائل الآشورية بمعلومات مفصلة عن الدور الذي لعبه سنحاريب عندما كان وليا للعهد في منطقة الأناضول (Urartu) حيث لدينا حاليا ثلاث رسائل مرسلة منه الى والده سرجون[١٧] وكل رسالة من هذه الرسائل عبارة عن تقرير مفصل يتضمن مجموعة معلومات كان قد ارسلها له موظفون آخرون ، وهذه المعلومات تخص الاستخبارات العسكرية الآشورية في بلاد الأناضول وما جاورها . ومن دراسة هذه التقارير يمكن القول بأن سنحاريب كان يرأس مركزاً لجمع الأخبار العسكرية الخاصة بالتحشدات المعادية وتحركات الجيوش ، وطبوغرافية المنطقة والمناخ ، فضلا عن نتائج المعارك السابقة والتحقق من صحتها ان كانت سلبا او ايجابا من وجهة النظر الآشورية طبعا . ان مثل هذه المعلومات تفيد الملك الآشوري لرسم الخطط المناسبة واتباع أفضل الطرق واختيار الاجراءات الصحيحة عندما تكون لديه فكرة لدرء مثل هذه الأخطار . ان وجود ولي العهد في المناطق الحدودية على جبهات القتال فيه خطورة الى درجة كبيرة ، ولكن حرص الملوك الآشورية دفعهم الى ارسال اولادهم لممارسة مثل هذه المهمات الصعبة في سبيل ان تكون لدى ولي العهد صورة كاملة عن مجريات الأحداث في مواقعها والاطلاع على تحركات الأعداء والأحلاف التي تعقد بينهم مما سيزيد الخبرة والكفاءة السياسية والعسكرية لدى ولي العهد .

أما اسرحدون بن سنحاريب فقد عينه ابوه حاكما على المقاطعة الجنوبية من العراق عندما كان وليا للعهد[١٨] ، هذا فضلا عن قيادته لحملة عسكرية في شمال سوريا عندما اغتال اخوته والده ، فاضطر للعودة بأصعب الظروف من أجل القضاء على الفتنة واعتلاء العرش الآشوري[١٩] . ومن المحتمل أن أسرحدون حاول في سنواته الأخيرة تجنب وقوع مثل هذه الفتنة على ولاية العهد بين اولاده ، فقام بتقسيم الأمبراطورية بين ولديه ، على ان يكون آشور بانيبال ملكا على آشور وشمش- شوم- اوكين ملكا على بابل . "اذا مات أسرحدون وابناؤه صغار ، فعليكم مساعدة آشور بانيبال ولي العهد المرشح ، على عرش بلاد آشور ، وعليكم ان تنصبوا أخاه العزيز ، شمش- شوم- اوكين ، ولي العهد المرشح لبلاد بابل ، على عرش بلاد بابل"[٢٠] .

ويبدو ان هذه الخطة نجحت الى حد ما ، فقد اعتليا عرشيهما بعد اربع سنوات من تعيينهم لهما . وعاشا بسلام لمدة (١٧) سبع عشرة سنة ، ثم بدأ الخلاف بين الأخوين واستغلت مملكة عيلام ذلك وغذّت الخلاف بينهما الى ان تمكنت من اشعال نار الحرب بين الأخوين كما سبق أن أشرنا .





وقد بادرت الجدة Zakuiti (Naqi) a زاكية = نقية ارملة سنحاريب ، لتلافي الموقف فعقدت معاهدة ثانية بين الأخوين فقط ، حيث تؤكد هذه المعاهدة شرعية آشور بانيبال ملكا على بلاد آشور، وشمش شوم-اوكن ملكاعلى بلاد بابل [٢١] ، وعلى الرغم من هذه الاحتياطات التي اتخذها أسرحدون ووالدته لولاية العرش فان الفتنة أدت الى القضاء على شمش شوم – اوكن [٢٢] .

**التويج :**

بعد ان يختتم ولي العهد الممارسات والطقوس الخاصة بالدفن يتجه الى معبد الاله آشور ليتسلم الشارات الملكية (التاج والصولجان....) حيث انها كانت تودع هناك بعد وفاة الملك ، وتوضع امام تمثال الاله آشور، ولدينا حاليا نص آشوري يبين لنا بالتفصيل مراسيم التتويج : يحمل ولي العهد على الأكتاف في حين يسبقهم أحد الكهنة يدق على الطبل ويصيح "آشور الملك ، آشور الملك" باعتبار الاله آشور هو المانح للملكية في آشور ثم يدخل ولي العهد الى معبد الاله آشور، ويقبل الأرض ، ويشعل البخور المثبت على المنصة في نهاية الصالة حيث يقف التمثال ، وهنا يلمس الأرض بجبهته ويضع الهدايا التي جلبها للاله ، وينظم المنضدة الخاصة بقرابين الاله آشور بينما ينظم الكهنة مناضد الآلهة الأخرى ويتبع ذلك المراحل الأخيرة من متطلبات التتويج ، فيمسح الملك بزيت خاص يحمل باناء ذهبي وعندها يجلب تاج الاله آشور وأسلحة الآلهة ننليل زوجة الاله آشور، وتوضع على منضدة عند اقدام منصة الاله ، ويحمل الكاهن التاج والصولجان على وسادة مصنوعة من القماش يتقدمه الكاهن الاعلى ، وبينما يتوج الكاهن الاعلى الملك يردد العبارات التالية :

"التاج لرأسك ، عسى الآلهة آشور وننليل ، سادة تاجك
يضعونه عليك لمئة سنة
قدماك في ايكور، ويداك ممدتان
الى آشور الهك ، وعسى ان يفضلانك
امام آشور الهك ، عسى كهنتك وكهنة بلادك
يجدان العطف
بصولجانك المستقيم وسع بلادك
عسى الاله اشور ان يمنحك القناعة والعدل والسلام" [٢٣]

بعد هذا الدعاء الذي يقدمه الكاهن الاعلى تقام صلوات الاحتفال ثم يجتمع موظفو الدولة امام منصة العرش ، لتقديم ولاء الطاعة للملك ، حيث يقدمون هداياهم وينزعون شاراتهم الوظيفية ويضعونها امام الملك ، ويقفون وقوفا غير منتظم اي دون اعتبار للتسلسل الاداري ، مما يسهل على الملك المتوج ان يختار مستشاريه من بينهم ، او انه مجرد أن يقول "كل واحد يستمر في وظيفته".

**واجبات الملك :**

ان الأوامر الملكية تكون عادة متصلة بالأحداث المهمة ، فالملك شخصيا يستفسر عن مدى تنفيذها ، فهناك العديد من القضايا التي يصدر فيها الملك قراره الشخصي ، ويمكن ملاحظة هذا الاهتمام الملكي بجلاء من خلال الرسائل الملكية الآشورية . وقد تنوعت واجبات الملك بتنوع المسائل التي يعالجها ، ولكثرة هذه الواجبات نجد الملك احيانا يعين من ينوب عنه لمتابعتها والتأكد عن مدى تنفيذها ، فلهذا كثرت الوظائف والواجبات المنوطة بالموظفين في أغلب الأحيان وكانت لهم علاقة مباشرة بالملك شخصيا اوالقصر باعتباره المركز الاداري ، ويمكن ان ندرج هنا الاعمال التي كان الملك يقوم بها شخصيا .

**١ – ترجمة رغبات الآلهة :**

على الرغم من ان الملك مسؤول عن ترجمة





رغبات الآلهة ، ولكنه ليس من المفروض ان ينتظر حتى يتصل به الاله عن طريق الحلم او التعبد في المعبد ، فالظواهر الطبيعية ككسوف الشمس ، وخسوف القمر والهزات الأرضية او الفيضانات ، هي ايضا اشارات خاصة من الآلهة يفسرها الملك بأنها انذار من الآلهة وعلى الملك ان ينفذ رغبات الآلهة بهذا الخصوص . فقد وزع الملوك الآشوريون مهمة تفسير هذه الرغبات وتنفيذها على مجموعة من الكهنة من أجل تسهيل المهمة على الملك ، وعليهم ان يرسلوا تقاريرهم الى سيدهم لكي يطمئنوه عند حدوث مثل هذه الظواهر، فمثلا بعث الكاهن بلاسي[٢٤] الى الملك الآشوري أسرحدون بتقرير يخص كسوف الشمس قائلا "بخصوص كسوف الشمس الذي تحدث عنه الملك ، الكسوف لم يحدث ، سوف انظر مرة ثانية في السابع والعشرين وابعث بالتقرير. اما بخصوص سوء الطالع الذي يخاف منه الملك سيدى ، فأنا لاأملك اية معلومات نهائيا"[٢٥] . هذه الرسالة تشير الى ان الملك قد سمع عن الكسوف من مصدر آخر،ومن أجل ان يتأكد طلب من بلاسي ان يطمئنه عن صحة المعلومات ، فالرسالة في مقدمتها اعتذار من الكاتب للملك ، ثم اشعار الملك بأنه قد راقب السماء مرتين في السادس والعشرين من الشهرين المنصرمين ولم يلاحظ اي شيء.

وفي رسالة أخرى من بيل أشيزب (Bēl – Ušezib) الى أسرحدون تتحدث عن كسوف آخر يقول : "لقد حدث كسوف ولكن لم يكن مرئيا في العاصمة ، لقد مرّ بجانب العاصمة ، مدينة الملك ، مقر سكناى ، غطتها الغيوم ، ولم نكن نعلم فيما اذا حدث الكسوف ام لا . عسى ان يبعث سيدي الملك الى مدينة آشور والى كافة المدن الأخرى ، بابل ، ونيبور و واوروك و وبورسيبا، حتما لقد كان مرئيا في واحدة من هذه المدن.... الفأل الذي رافق الكسوف في شهري آذار ونيسان اصبح حقيقة وسوف أبعث بتقرير مفصل الى الملك سيدى ، الملك يجب ان لايهمل تعويذة التطهير الخاصة بالكسوف والتي يجب أن تنجز للتكفير عن أي الآلهة العظمى التي تسكن في مدينة الملك سيدى (العاصمة)غطّت السماء بالغيوم ولم تسمح لرؤية الكسوف قائلة : دع الملك يعلم بأن هذا الكسوف لم يكن موجها ضد الملك او بلاده ، دع الملك يفرح"[٢٦] .

توضح الرسالة خوف الملك من الكسوف الذي حدث ، ولكن بيل اوشيزب طمأنه بأن الحدث لم يكن موجها ضده ، ولكنه أكد للملك بأن الكسوف الذي ذكره الملك في التعويذة السابقة قد حدث متزامنا مع هذا الكسوف ، وهذا في الحقيقة دعم لموقف الكاهن وقدرته على التفسير والتنبؤ عند الملك وتوضح الرسالة ايضا فكرة نشر وتوزيع مثل هؤلاء الكهنة والمنجمين في المدن الآشورية الأخرى ، هذا فضلا عن تأكيد الكاهن على الملك باستخدام المطهر الخاص بالتكفير عن الذنوب التي من المحتمل قد ارتكبها الملك حتى لايصاب بأذى من جراء هذا الكسوف.

أما نابوأخي– اريبا (Nabû – ahhē – eriba) فيكتب الى أسرحدون أيضا بأن اختفاء المشترى والزهرة بسبب كسوف الشمس هي اشارة حسنة للملك[٢٧] . ولم يتوقف تدخل الكهنة والمنجمين في حياة الملك الشخصية بل تعداه الى ادارة شؤون دولته واستقبال الوفود ، وحتى في علاقته مع أقرب الناس اليه ، وهو ابنه وولي العهد كما تشير احدى الرسائل[٢٨] التي بعث بها بلاسي الى أسرحدون.

**٢ – تمثيل الشعب امام الاله :**

كانت نظرة العراقيين القدماء للملك بأن الآلهة قد اختارته لكي ينوب عنها في حكم شعوبها ، فهو اذن مسؤول أمامها عن تصرفات شعبه ، وهو





الوحيد الذي يستطيع ان يتقدم اليها باسمهم ، ففي العصر الآشوري كان الملك أول من يحاسب امام الاله عن كافة الذنوب التي يرتكبها الآشوريون ، فقد كان يمضي بعض الوقت كالتائب لذنوب المجتمع المخطئ ، وهذا واضح جدا في الرسائل الآشورية ايضا ، فهذا بلاسي ونابوأخي اريبا ، يكتبان الى أسرحدون قائلين : "هذا يوم مضى منذ بدأ الملك بالصيام ، ولم يأكل كسرة ، الى متى ؟ ، هل هذا هو السؤال ايجب ان لايأكل الملك طعاما اليوم ، الملك الآن شحاذ" [٢٩] .

إن الرسالة لاتشير اشارة واضحة الى السبب الرئيسي الذي من أجله اضطر الملك للصيام ، ولكن على الأغلب فانه قام بمثل هذه الممارسة من أجل التكفير عن الذنوب التي ارتكبها الملك نفسه او المجتمع الذي يمثله ،وكانت الآلهة تشعر الكهنة بغضبها عن طريق تفسير هؤلاء الكهنة للكوارث الطبيعة اوعن طريق الفأل والتنجيم ، فاذن العمل الوقائي الذي يقوم به الملك ضد كل حالة خطر يتعرض لها المجتمع او الدولة يعد جزء من واجباته الرئيسية ، ولهذا نراه يستفسر من بلاسي فيما اذا حدثت هزة أرضية في شهر معين ، وهل هذه اشارة نذر سيئة ، وهل سيكون هناك خطر كبير وأي الآلهة التي سببت هذه الهزة وكيفية تجنبها فيجيبه الكاهن:ان الاله ايا هو الذي أحدث الهزة ، ويؤكد له أنه ليس ثمة خطر كبير ، ولكن على الملك ان يمد ذراعيه بالدعاء والصلاة وان يعمل تعويذة التطهير [٣٠] . ولا يقتصر قيام الملك على عمل التعاويذ والمطهرات والزيت من أجل التكفير عن الذنوب او تجنب الأخطار ، وانما نجد في رسالة أخرى بأن الملك بقي سبعة أيام في كوخ من القصب كالذي أصابه مرض ويجب عزله عن المجتمع ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الملك يجب ان يطهر جسده من الأرواح الشريرة التي قد اصابته [٣١] .

**٣- المشاركة في الاحتفالات الرسمية :**

كان على الملك الآشوري ان يمضي الليلة الاولى من الشهر القمري في المعبد ، ويقدم الضحايا للآله ، هذا فضلا عن وجود اشارات عديدة على ان الملوك الآشوريين قد دعوا الآلهة لتحل محلهم في بعض المناسبات مثلا ادد نيراري الأول (١٣٠٧- ١٢٧٥ ق. م) يقول بأن الاله يحل محله سنوياً [٣٢] .
اما سرجون الآشوري الثاني (٧٢١- ٧٠٥ ق. م)، فعند انتهاء العمل في عاصمته دور شروكين (خرصباد حاليا) فقد دعا الآلهة العظام التي تقيم في بلاد آشور لحضور الاحتفال بهذه المناسبة [٣٣] ، وهذا دليل على مدى أهمية تلك المناسبة لدى الملوك الآشوريين والتأكيد على ان الحكم في الأصل للآلهة وانه نائب عنها .

يمكن تقسيم الممارسات التي يشارك فيها الملك شخصيا او من ينوب عنه في بعض الأحيان الى يأتي :

**أ- بناء المعابد :**

ان علاقة الملك بالاله توضح من خلال الاحتفالات التي يحضرها الملك شخصيا عند بناء او ترميم المعبد الخاص به ، وهذا يعد من الاعمال العظمى والتي يفضلها الاله على اية خدمات أخرى ، فمثلا أسرحدون يتفاخر باعادة بناء معبد الاله آشور الذي بناه اجداده قائلا : "ذلك المعبد لم أغيّر موقعه ، ولكني زينته بالذهب والفضة والأحجار الكريمة والتوابل وأخشاب الارز ووضعت أسس جدرانه وبنيت لبنه وأكملته" [٣٤] . ولم تكن اعمال أسرحدون العمرانية الدينية وقفا على بلاد آشور، بل امتدت الى بلاد بابل ايضا [٣٥] .

يتضح من خلال النصوص الآشورية أن الملوك الآشوريين ادعوا بأنهم كانوا يستلمون اشارات من الاله لبناء او ترميم معبده ، فعند ذلك





تجرى العديد من الاستعدادات الأولية من تنبؤات وقراءة الطالع ، فعندما تكون الاجابات طبيعية عند ذلك ينظف الموقع من الأنقاض ، وتسكب عليه الزيوت لتطهيره ، وهنا لابد من الاشارة الى ان بعض الملوك الآشوريين يتأسفون على المعبد القديم الذي بناه اجدادهم ، فهذا آشور بانيبال يقول : " بشديد من الأسى والحزن وضعت يداى (لاعادة بناء) ماهدمه الأعداء وبالأفراح اكملته" (٣٦) .
وبعد التطهير تجرى مراسيم عمل أول لبنة ونجاح عملها يعد أيضا من الاشارات الضرورية على قناعة ورضى الاله المعني على عبده ، ولهذا يجب ان تكون المواد الخاصة جيدة والقياسات صحيحة بحيث لاتكون هناك أية اشارة الى ردائتها وفشل عملها لأن هذا باعتقاد الملوك الآشوريين اشارة الى عدم الرضا عند الآله . ولقد ترك الملوك الآشوريون الكثير من الاشارات التي تبين مشاركتهم الفعلية في بناء المعابد كالتماثيل الفخارية والبرونزية والتي تحمل على رأسها سلال الطين والتي كانت تودع في زوايا أسس المعبد.
واحتفالا بمناسبة انجاز بناء المعبد فان الملك بوصفه وكيلاً للاله على الأرض عليه ان يرفع تقرير مفصل للاله بهذا الخصوص ، وقد كانت الفكرة الأساسية هي كتابة مخاريط فخارية يذكر فيها اسم الملك والعمل الذي قام به لانجاز بناء المعبد ، ولكنها تطورت في العصر الآشوري الحديث حيث اصبحت جزءاً من النصوص التأريخية المهمة للدولة الآشورية ، حيث تغير شكلها الى المنشور، ويذكر فيها الملك مجمل اعماله الأخرى حتى العسكرية منها وتودع في زوايا المعبد ، وهذه العملية لاتزال تمارس حتى الوقت الحاضر عند وضع حجر الأساس لأي مشروع او بناء رسمي . وقد اصبحت التقارير الآشورية لاتقتصر على الأعمال الدينية او العمرانية بل تجاوزتها الى الحملات العسكرية،وخير مثال على ذلك رسالة سرجون الآشوري الثاني الى الاله آشور والتي يسرد فيها اخبار حملته الثامنة ضد أعداء الدولة الآشورية (٣٧) .

**ب- احتفالات اعياد رأس السنة Akitu :**

يعد الاحتفال بعيد رأس السنة من المناسبات الرئيسية في ديانة وادي الرافدين ، وكان حضور الملك في هذه المناسبة شرطا أساسيا.

يقع عيد رأس السنة في الأول من نيسان من كل سنة ،وفي الايام الخمسة الاولى يكون الاحتفال في معبد ايسا كلا ، معبد الاله مردوخ في بابل ، وفي كل صباح يدخل الكاهن الاعلى الى المعبد بعد التطهير ويصلي للاله مردوخ وللآلهة الأخرى في حين يمارس بقية الكهنة واجباتهم اليومية في هذه المناسبة ، وفي اليوم الخامس ، وهو يوم التكفير، يكون الملك هو الممثل الرئيسي في الاحتفال ، ففي هذا اليوم يقوم الكاهن الاعلى شخصيا بتطهير المعبد ويقدم الصلاة للاله مردوخ ، وفي هذه الأثناء يدخل الملك بصحبته احد الكهنة الى المعبد ، حيث دكة المذبح ويتركه الكاهن المرافق هناك ، ثم يظهر له الكاهن الاعلى من قدس الأقداس الخاص بالمعبد وينزع من الملك جميع الشارات الملكية ، كالتاج والصولجان ... ويضعهن على منضدة امام تمثال الاله وعند ذلك يتقدم نحو الملك المخلوع من الشارات الملكية ، ويصفعه على وجهه ويجعله يركع قائلا :

انا لم ارتكب خطيئة ياسيد البلاد
انا لم اهمل قدسيتك
انا لم أدمر بابل

ويجيبه الكاهن نيابة عن تمثال الاله قائلا :

لا تخف .. ماقاله مردوخ
سوف يسمع صلواتك وسوف يزيد سيطرتك ومملكتك (٣٨) .

وبعد ذلك يعيد الكاهن الشارات الملكية الى الملك ويصفع وجهه ثانية آملا أن تنزل دموع الملك والتي تعد من الاشارات المستحسنة لدى الآلهة ، كل هذه الممارسات والاهانات التي تقع على الملك من الكاهن امام تمثال الاله لها دلالة على مدى





العلاقة بين الملك والاله من ناحية ، وكذلك فان الملك قد كفّر عن ذنوبه وأخطائه التي ارتكبها في السنة الماضية.

لقد مرّ بنا سابقا كيف ان ولي العهد عبّر بنفس الخطوات قبيل تسلمه للشارات الملكية ، وبعد هذه الممارسات يخرج الملك مرتديا شارات الملك ، ثم تقدم الضحايا والقرابين ، حيث يخرج ابناء المدينة للمشاركة بهذه المناسبة ، وفي اليومين الثامن والحادي عشر تجرى المراسيم في مدينة نيبور، حيث مجمع الآلهة ، والتي توضع حسب مراكزها في المجلس ويقوم الملك بدور رئيسي في المجلس والاحتفال.

لقد دّون الملوك الآشوريون المتأخرون زياراتهم السنوية الى بابل وأعطوا مبررات لتلك الزيارة ، فسرجون الثاني يقول : لقد دخلت فرحا الى بابل ، مدينة الاله سيدي ، بقلب مسرور وبكل رزانة ووقار مسكت يدى مردوخ السيد العظيم وزرت بيت اكيتو[٣٩] . وهذا لايعني ان كافة الملوك الآشوريين كانوا يذهبون الى بابل للاحتفال باعياد رأس السنة ، وذلك لأن هذا الاحتفال كان يقام في مدينة آشور ايضا ، وكان الاله آشور يقوم مقام الاله مردوخ ، ونجد ان النصوص التعاصرية اشارت الى مثل هذا الجفاء بالنسبة لبابل من قبل الآشوريين ، "في تلك السنة ، الملك لم يأت الى بابل ، الاله نابو لم يأت ، الاله مردوخ لم يخرج ، ولم يحدث الاحتفال باكينو[٤٠] .» ولقد عثر على بيت أكيتو في مدينة آشور من قبل اندريه ويصفه بأنه يقع على مسافة ٢٠٠ م خارج أسوار المدينة ، والذي تميزه كثرة الحدائق المحيطة به ، وكذلك الساحة الوسطية والمعبد ذي الهيكل الكبير[٤١] .

## ٤ – الواجبات الادارية :

يعد الملك الآشوري رأس الدولة ، وان القرارات الخاصة بالدولة تصدر عنه شخصيا ، فالحوليات والرسائل الملكية الآشورية خير دليل على هذه الممارسات الادارية ، كالقيام بحملة عسكرية ، او تعيين كبار الموظفين . لقد عثر على عدد من الرقم الطينية التي تبين الطريقة التي كان يتبعها الملك لاتخاذ قرار حاسم ، حيث انه يأمر بكتابة القرار على رقيم طيني ويضعه امام تمثال الاله شمش – باعتباره اله العدالة – للموافقة عليه ، وفي هذه المناسبة يقدم نذرا حيوانيا ثم يخرج كبده او الغدة الصفراء لفحصها من قبل الكهنة المختصين والتأكد من صحة الممارسة التي سيقوم بها الملك . ولدينا رسالة من أدد – شم أوصر الى أسرحدون يقول فيها "بخصوص الغدة الصفراء التي كتب لي الملك عنها ، أهي منحنية؟ . الفص (الشق) الثابت من الكبد انحنى والغدة الصفراء قد تدلت تحته ، هذا الوضع غير محبذ ، ماهو فوق اصبح تحت ، وخلال يومين جرى منه السائل (القيح) . انها اشارة جيدة على ان يكون الملك سعيد جداً[٤٢]".

كان على الملك قيادة الجيش بنفسه في اثناء الحملات العسكرية ، وهذا موثق بالحوليات الملكية الآشورية ، كذلك كان ينظر في شؤون المقاطعات الآشورية شخصيا والرسائل الملكية الآشورية المكتشفة في كل من نينوى ،وكلخو، وماري تبين مدى اهتمام الملوك الآشوريين وللاطلاع على كل صغيرة وكبيرة ، هذا فضلا عن وجود رسائل شخصية بعث بها مواطنون آشوريون يستجيرون بالملك لحل مشاكلهم ضد حاكم المقاطعة التي ينتمون اليها ، وهذا ان دلّ على شيء فانما يدل على مدى حرص الملوك الآشوريين على متابعة قضايا المواطنين[٤٣] . لقد اوعز العديد من الملوك الآشوريين الى حكامهم بالكتابة اليهم باستمرار حتى وان لم يكن ثمة مشكلة تذكر وهذا مايفسر العثور على عشرات الرسائل من هذا النوع بعث بها حكام المقاطعات الى سيدهم قائلين بعد الدعاء لحياة الملك "أنا بخير والمقاطعة بخير" وهذا تأكيد على مدى حرص الملوك الآشوريين للاستماع الى اخبار المقاطعات.





من الأعمال الأخرى التي اهتم بها الملوك الآشوريون حفر القنوات ومشاريع الارواء، والتي تعد من الأعمال الرئيسية التي تفاخر بها ملوك بلاد وادي الرافدين عامة والآشوريون بشكل خاص، حيث قام آشور ناصر بال الثاني بحفر قناة لايصال الماء الى مدينة كلخو (نمرود) اما سنحاريب فقد حفر قناة لايصال الماء الى مدينة نينوى(٤٤). هذا بالاضافة الى الاشارات المستمرة في حولياتهم ونصوصهم التذكارية حول هذه المشاريع.

## الملك البديل: (٤٥) Šar pûhi

من وجهة النظر الدينية لسكان بلاد وادى الرافدين كان الملك الواسطة بين الاله والشعب، الآلهة هي التيمنحتهالشارات الملكية المقدسة، وقد اعطى هذا الاعتقاد الملوك الآشوريين مركزا مرموقا ومقدسا واحتراما كبيرا من قبل الآشوريين حتى أنهم ربطوا سلامة البلاد ورفاهيتها بسلامة الملك نفسه، لذا في الحالة التي يشير فيها الطالع بأن البلاد ستتعرض الى كارثة، وان الملك شخصيا في خطر، فقد يكون السبب ان الملك لم يخدم الاله على نحو صحيح، وعليه فان استمراره في الادارة ملكا لبلاد آشور يعني جلب الدمار لها. ومن ناحية اخرى، مادامت الآلهة هي التي اختارت الملك لحكم بلاد آشور وشعبها، فيجب على الآشوريين ان يحموا الملك من أي خطر وايجاد الوسيلة للابقاء على حياته المرتبطة بمستقبل البلاد. لذا في حالة التنبؤ بوجود خطر على حياته كان لابد من ارسال بديل عنه آملين بأن الملك نفسه سينجو من الخطر المحدق به او ببلاده.

ولابد ان يكون لظهور مثل هذه الممارسات جذور في تاريخ العراق القديم، ففي بعض المناسبات التي يكون حضور الملك فيها وجوبا، ولكنه لايستطيع الحضور بسبب سوء الطالع فانه كان ينيب شخصا عنه ليحل محله والحضور الى تلك المناسبة او ان يبعث بشيء ما يتعلق به شخصيا كتمثاله او ردائه. الاّ ان فكرة الملك البديل تطورت كثيرا في العصر الآشوري الحديث، وهذا التطور قد يرجع اساسا الى بعض الممارسات السرية الخاصة بفكرة الأساطير مادام وجود رداء الملك بديلا عنه يمكن ان تحدث نفس التأثير في نفوس الناس. كما لو كان موجودا شخصيا، ومن ناحية أخرى قد تكن متطورة من فكرة استخدام حماية للملك، وخاصة في المعارك الحربية، فقد كان يعمل بعض السحر والذي يجب القاؤه على جيش الاعداء، فالملك هنا يجب ان لايشارك في هذا السحر اوغيره من الممارسات حتى لايعرض نفسه للخطر الذي قد يحدثه هذا النوع من السحر. في هذه الحالة فان اختيار احد الموظفين او القادة العسكريين لكي يمثل الملك في هذه الممارسة ضروريا بل حاجة ملحة لكي يتجنب الملك الخطر، فاذا مرّ كل شيء بخير، وعلى الرغم من تعريض الملك البديل نفسه للمخاطر فهذه اشارة حسنة واحتمال النصر في المعركة كبير، فضلا عن رفع معنويات الجند الاشوريين، ومن المحتمل فان هذه الممارسة تطورت اكثر فأكثر حتى أصبحت تمارس على نحو رسمي من قبل الملوك الآشوريين المتأخرين، وخاصة عند ظهور العوارض الطبيعية، والتي تفسر بأنها خطر على حياة الملك. فكان تعيين ملك بديل واجب وأصبح يحكم مائة يوم ثم يقتل على أمل انه سيأخذ معه كافة المخاطر التي كانت تخيف الملك الحقيقي، كما يشير الى ذلك مار- عشتار في رسالة الى أسرحدون قائلا: "الملك البديل الذي وصل في اليوم الرابع عشر عند مغيب الشمس، امضى ليلة الخامس عشر في القصر الملكي، لقد حدث الكسوف بحضوره. دخل مدينة أكد في اليوم العشرين بدون اية حادثة (مشكلة) وبقي هناك. جعلته يتلو الابتهالات وكما هي في النص الملكي امام الاله شمش. لقد أخذ على عاتقه كافة توعدات السماء والارض، ثم حكم كافة البلاد. عسى ان يكون





ذلك بعلم الملك سيدى".[٤٦] وهذه الرسالة تبين بوضوح واجبات الملك البديل، وكذلك محل اقامته في القصر الملكي واستعداده لتحمل تبعات الطالع والكسوف.

وبعد انتهاء مهمة الملك البديل وزوال الخطر كان يقتل، ولو اننا لانعلم الطريقة التي يتم فيها قتل الملك البديل، الاّ ان هناك رسالة من العصر الآشوري الحديث فيها تأكيد على مقتل الملك البديل مع سيدة من القصر وافقت ان تتحمل المسؤولية معه، وعلى الأغلب فانها مثلت دور الملكة، فالضحية هنا شخص يدعى دامقي وهذه مقتطفات من الرسالة: "دامقي وسيدته من البلاط، وكما هو مناسب، قد أخذوا على عاتقهم مسؤولية الملك البديل، بدلا من الملك (آشور-بانيبال) سيدى، وبدلا من شمش‌شوم-اوكن اتخذوا قرارهم (كملك وسيدته)، لقد لقي حتفه، فبنينا له قبرا، هو وسيدته من البلاط، جهزوا للدفن وسجوا في نعش مكشوف، ثم دفنوا وندبوا"[٤٧] اذا فالملك الأصيل كان آشور بانيبال، اما بالنسبة الى دامقي فهو ابن ناظر بلاد أكد وحاكم مقاطعة آشور وبابل، وهذا مما يدل على المكانة المرموقة للملك البديل، وكذلك تأكيد على مشاركة امرأة من البلاط لهذه المهمة، ولم يكونا من الطبقة العامة، وكذلك فان الرسالة تشير بوضوح الى مصيرهم ونعيهم رسميا.

فالسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو كيف يوافق مثل هؤلاء الأشخاص على قبول هذه المجازفة؟ هناك احتمالان يمكن ان يفسرا مثل هذه الممارسات: أولا، قد تكون محاولة ذكية يقوم بها الكهنة للتخلص من بعض الملوك الذين تتضارب مصالحهم مع مصالح الكهنة والذين باستطاعتهم التأثير على العرافة باعطاء النذر المطلوب ايجابا او سلبا. وبهذا سوف يتنحى الملك الأصيل عن العرش وعندها ينفذون مآربهم معتمدين على سوء الطالع، فاذا مات الملك الأصيل فسيبرر بأنها ارادة الآلهة، وقد نفذت رغباتها في معاقبة الملك المذنب على الرغم من تنحيه عن العرش كما حدث للملك آيسن الأمورى.[٤٨]

ثانيا، يمكن اعتبارها وسيلة أخرى من وسائل الملوك للتخلص من بعض الشخصيات التي تظهر لها مطامع على العرش، فيتم الاتفاق سرا بين الملك والكهنة لاختيار الشخص المقصود عن طريق العرافة ليكون الملك البديل، ثم يقتل للتخلص منه بطريقة ذكية، وبهذا استطاع تحقيق مايصبو اليه من دون اثارة الشكوك، والدليل على ذلك ان الملك الاصيل، وعلى الرغم من تنحيه عن العرش الاّ ان الرسائل تبين بأنه كان يمارس سلطاته ملكا، حيث اشارت الى ذلك الرسالتين السابقتين.

**الوفاة والدفن:**

ليس هناك علاقة بين مراسيم دفن الملك وتتويج ولي العهد ملكا وان كان ولي العهد يشارك في هذه المراسيم، حيث يبين لنا نص من العصر الآشوري الحديث، مراسيم الدفن والطقوس التي ترافقه والأشياء التي يفترض انها كانت تدفن معه:

"في القبر، المكان الخفي  
وفي المرج الملكي  
جعلته يرقد بسلام  
التابوت الحجري والفتحة لغطاءه  
غطيت الفتحة، بنحاس قوي  
وثبتت رقيته الخاصة (ضد السراق، والأرواح الشريرة)  
التجهيزات من الذهب والفضة  
والتي تناسب القبر  
والشارات الملكية التي يحبها والتي





عرضتها على ضوء الشمس
ثم وضعت كل هذا في القبر
مع أبي الذي انجبني
وقدمت الضحايا
للسلطات الالهية ، الانوناكي
والى الآلهة التي تسكن الأرض
وشقت القنوات
فأجابتها الجداول
واسود وجه الأشجار والفواكه
وبكت البساتين وكل شيء
أخضر..... »(٤٩) .

وعلى الرغم من وجود اشارات في هذا النص تدل على الحزن . فاننا لانعلم فيما اذا دخلت البلاد في حداد أم لا ، رغم ان الحداد هو المتوقع استناداً الى رسالة من العصر الآشوري الحديث تبين ردود الفعل لدى سكان مدينة آشور عندما علموا بوفاة الملك وكيف خرجوا لتشييعه باكين نادبين على الصدور فضلا عن الاحتياطات التي اتخذها حاكم المدينة لتفادى المشكلات التي قد تقع حيث تقول الرسالة "لقد خرجنا للطم على الصدور والبكاء على الميت... في اليوم الذي سمعنا بأن الملك قد مات ، سكان مدينة آشور خرجوا للنحيب عليه"(٥٠) ، وهذا دليل لايقبل الشك من أن مراسيم الحداد كانت تقام على الملك المتوفى .

وعلى الرغم من أن بعض الملوك الآشوريين المتأخرين بنوا عواصم لهم أمثال آشور ناصر بال الثاني كلخو، (نمرود) وسرجون دور شروكين (خرصباد) وجدد سنحاريب بناء (نينوى) ، الا اننا نجد انهم دفنوا في مدينة آشور، وهذا دليل على أهمية المدينة وقدسيتها من الناحية الدينية باعتبارها مركز عبادة المهم القومي آشور. ولهذا وجهوا اهتمامهم اليها بالاعمار والصيانة وحتى اعفاء سكانها من الضرائب كما يذكر سرجون ذلك "مدينة آشور التي لم يعرف سكانها اعمال السخرة منذ القدم " شيلمنصر" والذي لم يهب ملوك العالم ، رفع يديه لعمل الشر ضد المدينة وفرض على سكانها اعمال السخرة بالقوة واعتبرهم اتباعه ولغضب سيد الآلهة قضى على حكمه . أنا سرجون ....اعدت لها حريتها "(٥١) .

## الهوامش :

للمختصرات انظر: The Chicago Assyrian Dictionary

(١) Th. Jacobson, The Sumerian king Lists (Chicago, 1973) 71; i. 1 – 3; 77'i: 40 – 43

(٢) A. T.Clay, Babylonian records in the Librarq of J. Pierpont Morgan, Vol. IV, No.2, i; 6 – 14. Cf. S.H. Langdon, "The Old Babylonian Version of the Myth of Etana," Babylonica XII, 10 – 11, I.Engnell, Studies in the Divine Kingship in the Aneient Near East (Oxford, 1971).
انظر: باقر، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (بغداد : ١٩٧٣) ، ص ٣٨٤ .

(٣) Langdon. Op. cit. g.

(٤) CAH. I. 509

(٥) Th. Jacobson "The Primitive Democracy in Aneient Mesopotamia", *JNES* II (1943) 159 – 172; "Early political Development in Mesopotamia" Z A xvIII (1956) 91 – 140. See also. H. Frankfort, Kingship and Gods (Chicago 1965). 215 – 410.

(٦) Tohru Mocda, "King of the Four Regions in the Dynasty of Akkad, *Orient* xx (1984) 67 – 82.

(٧) III R.15 – 16, i: 1 – 16; ARAB II 500

(٨) vs. 1, No. 78; ARAB II. 577

(٩) III R. 35, No.5, ARAB II.

(١٠) K. 3515, 15ff. *OECT*. 6.73. i: 15

(١١) CH. V: 4ff; Cf.I: 40ff.

(١٢) IR. 35, i:2. Cf. L. Oppenheim, *BASOR*, 107; 10.

(١٣) ABL. 771: 5ff Cf. ABL 831.

(١٤) سليمان ، عامر، "اكتشاف مدينة تربيصو الاشورية" آداب الرافدين ، ١١ (١٩٧١) ص ١٥ – ٥٠ ، ١٥ – ٥٢ .
See also. J.E. Curtis. and A.K. Grayson, "Some Inscribed Objects from Sherif Khan in the British





Museum", *Iraq* xLIV.(1982) 87 – 94.

(١٥) IIIR. 15 – 16, i: 1 – 16 + VAT 3458, ii: 1 – 15, ARAB. II. 500. See also 835 – 840.

(١٦) III R. 35. No. 5. i (Rassam Cylender). ARAB II. 767.

وقد حظي بيت ريبوديٍ بمكانة كبيرة لدى آشور بانيبال فقام باعادة بنائه.

III R.35, No. 5. x: 15 – 20 :انظر

(١٧) ABL 197 – 198, Cf. SLA, 11 – 12; se also ABL 1079.

(١٨) D.J. Wiseman, "The Vassal Treaty of Esarhaddon," *Iraq* xx (1952) 7.

انظر ترجمة هذه المعاهدة في فرحان، وليد محمد صالح، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، اطروحة ماجستير، غير منشورة (جامعة بغداد: ١٩٧٦) ص ١٤٨ – ١٧٣.

(١٩) III R. 15 – 16'i' 1 – 16 + VAT: 3458i: 1 – 15 ARAB II' 502 – -06.

(٢٠) Wiseman. Loc – cit, 1.83.

(٢١) زاكوتي (Zakuti) وبالآرامية تكتب Naqia زوجة سنحاريب، ABL. 1239, والدة أسرحدون، جدة آشور بانيبال، لعبت دوراً كبيراً في سياسة الدولة الآشورية الحديثة، ويبدو أنها كانت ذات سلطة كبيرة في شرق دجلة، حيث تشير الكثير من عقود البيع والشراء الآشورية الى ممتلكاتها في تلك المنطقة. انظر:
ADD 301: 1 – 3 = ARU.535: 447: 1 – 4 = 61. See also. H. Lewy, JNES xl (1952) 264 – 286. Cf. J. Nougarol, Syria, xxxIII (1956) 156 – 160.

(٢٢) هنا لابد من الاشارة الى نفس الفتنة التي حدثت بين الأخوين الأمين والمأمون بعد وفاة والدهم هارون الرشيد.

(٢٣) K. F. Müller, "Das Assyrische Ritul", MVAG xli (1937).

(٢٤) بلاسي (Balasi) احد الكهنة والمنجمين للملك الآشوري اسرحدون ولدينا عدد من الرسائل التي بعث بها هذا الكاهن الى اسرسيده، وهي: ABl. 74 – 79, 351 – 356, 413, 687, 694.

(٢٥) ABL. 687: r. 12 – 19 Cf. LAS 41; SLA 315.

(٢٦) ABL. 895: 1 – 10, r.1 – g, Cf. SLA 276.

(٢٧) ABL. 407: 1 – 17; Cf. LAS 61: SLA.325.

(٢٨) Cf LAS 45; SLA 328.

(٢٩) ABL 78: 9 – 15 Cf. SLA 265.

(٣٠) ABL 355: 9 – 15 LAS 35.

(٣١) ABL. 370 9 – 15 LAS 203.

(٣٢) ARAB I. 94.

(٣٣) ARAB II. 699.

(٣٤) ARAB II. 702.

(٣٥) ARAB II. 670.

(٣٦) ARAB II. 982.

(٣٧) Thuearu. Dangin, Une relation de la huitieme Compagne de Sargon (Paris, 1912).

انظر كذلك: الأمين، محمود "تعليقات تأريخية على حملة سرجون الثانية" سومر ٥ (١٩٤٩)، ص ٢١٥ – ٢٤٥.

(٣٨) H. Zimmern, *AO* xxv (1926) 12.

(٣٩) ARAB II 70.

(٤٠) ABC. Chr. 7; ii: 1 – 24.

(٤١) W. Andrae, Das Wiedererstandene Assur (Leipzig, 1938) 151 – 154.

(٤٢) ABL. 363 CF. LAs 152; SLA. 337.

(٤٣) هذه الرسالة بالذات مرسلة من امرأة اسمها سارا ومعنونة الى سكرتير القصر، وذلك لعرض قضيتها على الملك، بخصوص مواشي أخذها حاكم المقاطعة.

(٤٤) J.E. Reade, "Studies in Assyrian Geography, part I. Sennacherib and the water of Nineveh", *RA* LXyll (1978) 47 – 72; part II. 150 – 180.

انظر: سفر، فؤاد، اعمال الارواء التي قام بها سنحاريب (في نينوى وأربيل) سومر ٣ (١٩٧٤)، ص ٧٧ – ٨٦. وكذلك سومر ٢ (١٩٤٦) ص ٥٠ – ٥٢ (باللغة الانكليزية).

(٤٥) تشير النصوص المسمارية الى ان أقدم حادثة معروفة عن مثل هذه الممارسات يرجع تأريخها الى العهد البابلي القديم، عندما اختير ملك بديل للحكم بدلا من ملك آيسن ووقع الاختيار على بستاني، وحدث ان مات الملك الاصيل في اثناء تناوله الطعام. وعلى الأغلب مات مسموما.

ساكز، عظمة بابل، لندن، ١٩٦٢، ترجمة عامر سليمان، ص ٤١٦.

(٤٦) ABL. 629: ر – 14. Cf. SLA. 323.

(٤٧) ABL 437: 5 – 14 LAS. 280 see also ANET. 3625f.

(٤٨) انظر الملاحظة ٤٥ اعلاه.

(٤٩) E. Ebeling, Tod und Leben nach der verstellungen der Bobylonier (Leipzig, 1931) 57, No. 12 See also. W. Von Soden, *ZA* XLIII, 254ff.

(٥٠) ABL. 473. See R. Campell Thompson, "An Assyrian parallel to an Incident in the Story of Samiramis", *Iraq IV* (1937) 35 – 43.

(٥١) K. 134g, Winckler, Sammlung II, No.1; ARAB II 69. See also R.Campell Thompson, ibid. 42.





**مقدمة :**

تعد النصوص المسمارية المكتشفة في نهاية القرن التاسع عشر من اهم الوثائق التي نعتمد عليها في دراسة حضارة وادي الرافدين وقد ترجم قسم من هذه النصوص في بداية القرن العشرين . وركز العلماء والمؤرخون اهتمامهم على العصور الاولى من تاريخ بلاد وادي الرافدين ، الا انه في الفترة المتأخرة بدأ الاهتمام بالعصر الآشوري الحديث[1] . ويرجع الفضل في هذا الى الاكتشافات الجديدة في مدينة كلخو ( نمرود )[2] ، والنصوص التي عثر عليها تشكل انواعاً من الرسائل والعقود التجارية والنصوص الادارية التي وسعت معرفتنا بخصوص الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للامبراطورية الاشورية الحديثة بالاضافة الى ادارتها التي ستكون موضع البحث هذا.

منذ بداية ظهور الدولة الاشورية في مطلع القرن الثامن عشر ق. م استطاع الآشوريون من نشر ادارتهم الى البلدان المجاورة[3] وكانت الادارة الاشورية في بداية تكوينها تشبه الى حد ما نظام الادارة في العصور السابقة في حضارة وادي الرافدين والتي محورها الاساس القصر الملكي في العاصمة ، وبقدر توسع حدود الدولة يزداد تعقيد النظام الاداري وان ظل يرسم ويخطط من قبل القصر الملكي ، والذي ظل المركز الرئيسي للدولة من الناحيتين السياسية والاقتصادية.

كان الملك في العصر الآشوري القديم ممثلاً حسب اعتقاد الاشوريين للاله اشور على الارض ، وهذا مايعكسه لقب إشّاكو iššaku بمعنى «حاكم الاله» الذي تلقب به الملوك الاشوريون. وقد اضفت هذه العلاقة، مع الاله نوعاً من الشرعية على حكم الملك واكسبته الاحترام. وبتوسع حدود الدولة الاشورية ، انتشرت عبادة الاله اشور على الرغم من ان عبادة الاله اشور لم تكن اجبارية على رعايا الدولة ، وهكذا نجد الملك الآشوري يلقب نفسه «بملك العالم».

ولأن الملك كان ممثل الاله على الارض ، لذا كان الوسيط بين الاله والشعب. ولهذا فقد اصبحت له شخصية مهمة جداً في الديانة الاشورية ، ومن خلال النصوص المتوفرة حالياً نستطيع ان نقول بان حضور الملك في الطقوس والمراسيم الدينية هو من اجل سلامة البلاد.
وظلت هذه العلاقة بين الملك الاشوري والاله اشور معترف بها خلال العصور الاشورية التالية الوسيطة والحديثة ، الا ان سلطات الملك توسعت وغدا الملك صاحب السلطة المطلقة في البلاد وتقلصت تبعاً لذلك سلطات مجلس المدينة وموظفو اللّمو وامتيازاتهم السياسية فالسياسة العسكرية للدولة الآشورية الحديثة جعلت الملك في حالة حرب دائمية حيث يتوجب عليه ان يكون ذا قرار حاسم من اجل النجاح والتوفيق بين حكمه كملك وكقائد للجيش الاشوري.

اما بالنسبة للموظفين الاداريين فاننا نعرف اسماء اعداد كبيرة منهم ويمكن ترتيبهم حسب اهمية التسلسل الاداري والوظيفي علماً بان الادارة الآشورية لم تنظم على اساس التخصص او ان

يكون هناك فرق بين الوظائف العسكرية والوظائف المدنية .

ولو انها كانت مشخصة بما يتعلق بالوظائف المركزية للتعليم الاداري للموظفين بل كان الموظف يزود بكاتب اداري لمساعدته في قضايا المراسلات والتدوين . الا انه هناك مرسوم ملكي من القرن الثالث عشر ق. م والذي يخص فرض اختبارات على موظفي البلاط قبل ان يدخلوا الى القصر ، ولكن طبيعة هذا الامتحان غير واضحة ، وهل كان يجري لاول مرة عندما يعين الموظف داخل القصر ام انه نوع من الاساليب الضرورية لمعرفة العاملين في البلاط .

ان ماهو معروف قليل جداً عن طريقة اختيار الموظفين كما اننا لانعلم الى متى تبقى هذه الوظيفة مشغولة من قبل موظفها وهل هي وراثية في عوائل معينة ام لا . فقد سبقت الاشارة في الفصل السابق الى ان الملك الجديد حينما يتوج فان كافة الموظفين ينزعون شاراتهم الوظيفية عند قدميه كجزء من طقوس التتويج ، ولكننا لانعلم بالضبط هل ان هذا مجرد ممارسة ام ان الملك الجديد كان يقوم فعلا بتعيين موظفين جدد للوظائف العليا ولو ان هناك ا شارات الى وجود عدد من الموظفين الكبار الذين عاصروا اكثر من ملك اشوري[٤] .

هناك اربعة جوانب رئيسية لنظام الادارة في العصر الاشوري متصلة مع بعضها البعض .

### الادارة المركزية (ادراة القصر)

المركز الحقيقي للامبراطورية الآشورية هو القصر الملكي *ekal mašarrāti* في العاصمة ، ولم يكن مجرد رمز بل كان يعد المسيطر المباشر على كافة التراكيب الادارية والتي كانت جميعها بيد الملك . وبالرغم من المركزية التي يمتلكها الملك الاشوري فان القائمين على ادارة القصر فعلياً مجموعة من الموظفين الادارين خمسة من الموظفين الكبار وهم :-

١- تُرتانُ — lu turtanu
٢- رَب شاقي — lu rab šaqî
٣- ناگر ايكالّي — lu nagir ekalli
٤- آبَرَكُّ رَبو — lu abarakku
٥- سُكَلُّ رَبو — lu sukallu

كان الاشخاص الذين يحتلون هذه الوظائف ينحدرون اصلاً من طبقة النبلاء *rabânu* التي تتكون من اعضاء العائلة المالكة والطبقة الارستقراطية وان هذه الوظائف كانت تورث للابناء او تبقى على الاقل في نفس العائلة ، وتشير المسلات التذكارية التي تركها حكام المقاطعات من العصر الاشوري الوسيط والحديث عن مثل هذه الممارسات[٥] . وقد كشفت نصوص مدينة نوزي من القرن الرابع عشر ق.م عن وجود عوائل آشورية ذات نفوذ وتأثير كبيرين وبيدها وظائف عالية . كما كانت لديها املاك متعلقة بوظائفها ، وهذه العوائل ذات علاقة قربى فيما بينها ، فهي بهذا تحاول احتكار الوظائف العليا والامتيازات لنفسها . ومثل هذه العوائل استمرت في العصر الآشوري الحديث ولدينا امثلة عديدة عنها ومحاولة البعض منها الاستقلال ذاتياً عن السلطة المركزية .

وكانت قوة هذه العوائل السياسية والعسكرية تشكل خطراً مباشراً على سلطة الملك ، وهناك العديد من الاشارات في الكتابات الملكية الاشورية عن محاولات هذه العوائل للاطاحة بالملك الاشوري ، ولهذا اضطر الملك الآشوري تجلاتبليزر الثالث من اعادة تنظيم المقاطعات وايجاد طبقة جديدة في النظام الاداري للمقاطعات حتى يقلل من قوة هؤلاء السياسية والعسكرية .

### الترتانو lu turtanu

اعلى وظيفة آشورية في القصر وهو قائد للجيش بالاضافة الى كونه حاكم مقاطعة تمثل اسم وظيفة lu *turtanu pahut ša* . بحيث يشير تجلاتبليزر





الثالث الى توسيعها على حساب بلاد الاناضول[٧] ، ويأتي الترتانو الاول في تسلسل اللمو الاشوري بعد الملك مباشرة[٨] حتى ان معظمهم احتل منصب اللمو لاكثر من مرة دليلاً على اهميته الادارية فمثلا شمشي ايلو (šamši – ilu) اصبح لمّو سنة ٧٨٠ و ٧٧٠ و ٧٥٢ق. م وكان حاكما في تل بارسب. فقد ترك هذا الحاكم نقوشا وكتابات تخلد نشاطاته العسكرية ضد بلاد الاناضول، حتى انه لم يذكر اسم الملك الاشوري الذي عاصره[٩] ولهذا فقد كان قادراً على تمثيل نفسه راكباً على عربة ملكية، وهذا دليل على محاولته الاستقلال عن السلطة المركزية الاشورية. ومن المحتمل ان مثل هذا الاجراء لم يرض عنه الملك الاشوري تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق. م) مما اضطره لمحاولة ازالة هذه النقوش والكتابات عندما اصبح ملكاً على بلاد اشور وكدليل على اعمال الترتانو العسكرية نجد ان أدد نيراري الثاني قد امر آشور – ديني – آمر (Aššur – dini – amur) والذي يحمل لقب ترتانو بالبقاء خارج حدود بلاد آشور "ابقيت في مدينة نصيبين آشور – ديني – آمر الترتانو"[١٠] وكذلك بعث شلمنصر الثالث ديان – اشور (Dayan – Aššur) الترتانو ضد بيت زماني في سنة ٨٣١[١١] ق. م ، كما امره ثانية بالتقدم ضد خويشكيا و ماراشي و وبارسوا[١٢] ولاهمية هذا الترتانو فقد اصبح لمّو لمرتين ٨٥٣–و٨٢٦ ق. م وتاكيداً على دوره العسكري فلدينا رسالة موجهة الى حاكم مقاطعة النمرود بخصوص ٤٠ اربعين اسيراً من بلاد بابل ، فالكاتب يترجى الحاكم بان يتكلم مع الترتانو عن عشرة اسرى من مدينة رابيقو وعلى مايتضح من الرسالة بان الترتانو لم يكن مرتاحاً من ناحيتهم[١٣] اما عن دوره السياسي الى جانب اعماله العسكرية فواضح من خلال التقرير المقدم من قبل عشتار شم – إقيشا الى الملك الاشوري بخصوص حاكم المقاطعة المجاورة الى قبائل الزكرتو حيث أن سفيرهم الذي حضر لدى كاتب التقرير يتهم حاكم المقاطعة بعدم اخبارهم بخصوص هجوم الاناضوليين على اراضيهم – فالكاتب في تقريره يحاول ايضاح اللبس بان الحاكم بريئ من هذا الاتهام راجياً من الملك الاستفسار من السفير الثاني لانه كان حاضراً عندما قدم الزكرتيون تقريرهم الى الترتانو[١٤] . وهذا يشير الى دوره ممثلاً عن الحكومة المركزية يتلقى المعلومات العسكرية عن البلاد المجاورة ، ومن المحتمل أن تقديم الترتانو مجموعة من الخيول الى القصر الملكي سنوياً لها علاقة باعماله العسكرية اوكضريبة من مقاطعته[١٥] .

يظهر الترتانو في النقوش الجدارية بالزي الرسمي لابساً الى الركبة مع او بدون الشال القصير وقد يتقلد السيف ولكنه لايحمل الصولجان ، فمثلا نقش تل بارسب العائد الى شمش ايلي يظهر ملتحيا ولابساً شريط الرأس وهو عريض نسبياً من الخلف عنه في الامام، اما في نقوش مدينة دور شروكين (خرصباد) فان شريط الرأس يظهر اعرض نسبياً ، ويتكرر استخدام هذا الشريط في المشاهد الحديثة لاشور بانيبال، وهذا مما يدل على ان شريط الرأس كان يستخدم من قبل الموظفين الكبار في الدولة الاشورية[١٦] . ان المركز المرموق الذي يتمتع به الترتانو الاشوري يمكن تشخيصه من خلال التكريم والامتيازات الممنوحة له على سبيل المثال في احدى الرسائل التي تشير الى توزيع الجزية على الموظفين الكبار نجد ان الترتانو يتسلم نفس الكمية من الفضة والحاجيات الاخرى التي منحت الى ولي العهد[١٧] . وهناك وثيقة تؤكد هذا المركز المهم حيث يظهر بعض الموظفين التابعين للترتانو وهم الطباخ والمزارع والخباز[١٨] . كما يتضح ان زوجة احد الترتانو كان لديها املاك خاصة بها[١٩] .

### رب شاقي ${}^{lu}$rab – Šāqî

المعنى الحرفي للوظيفة «كبير السقاة» ، ان طبيعة هذه الوظيفة في العصر الاشوري الحديث لاتنطبق





على المعنى الحرفي لها. ومن المحتمل فانه في السابق كان يشرف اداريا على الاعمال الخاصة بالري والقنوات، ولكن مركزه الاداري ضمن القصر الاشوري بدأ بالتدرج حتى اصبحت ثاني اهم وظيفة في القصر وفي اللّمو ايضاً، كما انه حاكم مقاطعة خاصة بوظيفته (pahut ^lu^rab šâqi) مقاطعة الرب شاقي كما يرد ذلك في حوليات تجلا تبليزر الثالث[٢٠]. كما ان هذا الملك بالذات امر الرب شاقي التابع له بتجهيز حملة ضد بلاد تاپال (فريجيا) ومرة ثانية ضد مدينة صور[٢١]. اما شمشي ادد الخامس فقد امر موتاقن - اشور الرب شاقي بالتوجه الى بلاد نائيري اثناء حملة الملك الثانية الى تلك البلاد[٢٢]. وهذه الشواهد تؤكد دوره العسكري للدفاع عن الامبراطورية الآشورية. وتاكيداً على مرافقته للحملات الملكية يذكر، ان سنحاريب بعث مع رب شاقي برسالة للتفاوض مع اهالي القدس اثناء حملته على مملكة يهوذا حيث يطلب منهم الاستسلام كما يرد ذلك في التوراة[٢٣] وهذا يبين دوره السياسي والعسكري في آن واحد ومن نقوش سرجون الثاني هناك منظر لنقش يظهر منه رأس وكتف وقبعة رجل في مشهد حصار مدينة ومن المحتمل انها تمثل الرب شاقي[٢٤]. والرسائل الاشورية من نينوى تبين السلطة الادارية ضمن المقاطعات لبعض منهم كما هو الحال بالنسبة الى نائد - ايلو الرب شاقي من خلال رسائله العديدة والموجهة الى القصر[٢٥].

وتاكيداً على سلطته الادارية نرى الكاهن بلاسي في احدى رسائله يشكو الرب شاقي الى اسرحدون بخصوص مصادرة هذا الموظف الحقول والبساتين العائدة للكاهن نفسه. نحن نعلم اهمية هذا الكاهن لدى اسرحدون من عدد الرسائل البالغ (١٧) الا ان الراب شاقي لم يتوقف من اتخاذ قراره ومن المحتمل فان املاك هذا الكاهن تقع ضمن مقاطعة الرب شاقي وقد زودتنا قوائم اللمو الاشوري والرسائل باسماء بعضاً منهم رقم (٢)

**ناگر ايكالي ^lu^nagir ekalli "منادي القصر"**

من الوظائف القديمة في وادي الرافدين، وهي متصلة بالقصر مباشرة وهوالذي يقدم الوفود والزائرين الى الملك بالاضافة الى تصريحاته نيابة عن الملك كاستدعاء الجند او مجلس المدينة للحرب مثلا، وهوالمسؤول عن كل مايجب ان يسمعه العامة من الناس، اما في العصر الاشوري الحديث فنجد انه كان يكلف للقيام باعمال اخرى كقيادة الجيش مثلا للدفاع عن البلاد مما جعل لديه صلاحيات واسعة حتى ان قسماً منهم اصبحت لديه مقاطعات تحمل اسمه الشخصي مما حدا بهم الى محاولة الاستقلال الذاتي وخاصة خلال القسم الاول من فترة العصر الاشوري الحديث الاول ٩١١ - ٧٤٥ ق. م.وفي فترات ضعف السلطة المركزية، وقد عثر على كتابات ونقوش بعضهم امثال بيل خران - بيل - اوصر(bēl-harran-bēl-usur)والذي عاصر كل من شيلمنصر الرابع وتجلا تبليزر الثالث ٧٨٢ - ٧٢٧ ق. م وقد اصبح لمّو في سنة ٧٤٨، ٧٢٧ ق. م وقد ترك لنا مسلة تسجل اعماله العمرانية في مدينة (Dûr-Bēl- harran-bel- usur) دور بيلي - خران - بيل اوصر (تل عبطة حالياً)[٢٦].

إن الرسائل الآشورية الحديثة تبين بان الناگر ايگالي كان يدير كثير من الاعمال التي تخص القضايا العسكرية نيابة عن الملك فمثلاً، في فترة حكم سرجون الاشوري الثاني نلاحظ بان زير - ابني الذي اصبح لمّوسنة ٧١٨ ق. م يقوم بجمع المعلومات العسكرية واعطاء اوامر الى حكام المقاطعات المحليين في بلاد الاناضول كما هو موضح الرسالة المرقة ٤٠٩ والمرسلة من اوزرانا حاكم مدينة موصاصر[٢٧] اجابة على الاستفسار الموجه اليه من





الناكر ايگالي عن مكان ملك بلاد الاناضول فكانت الاجابة بانه في مدينة أويسى الاناضولية. وقد حصل اورزانا على هذه المعلومات من الحكام المحليين لكل من مدينة اويسي ومن بلاد الاوكيين اثناء زيارتهم له عندما قدموا للمشاركة بالاحتفالات الدينية في مدينة موصاصر طبعا هذه المعلومات قدمت الى سرجون للاطلاع عليها واتخذ مايلزم ، فالرسالة تستمر باعطائنا صورة اوضح عن صلاحيات الناكر ايگالي الادارية نيابة عن سرجون حيث نجد بانه يصدر أمراً الى اورزانا يحذره قائلاً "من دون امر الملك ولا واحد منكم يجب ان يضع يده في هذه الاحتفالات" وهذه تبين فعلاً ان الحكام المحليين في بلاد الاناضول لم تكن لديهم حرية التصرف في الامور التي لها علاقة بملك الاناضول نفسه ، هذا بالاضافة الى العديد من الرسائل الاخرى المشابهة والتي تخص المنطقة ذاتها . وفي رسائل اخرى نجد الناكر اگلّي يبعث بتقرير الى الملك الاشوري بخصوص المهمة التي كلف بها . وهي مفاتحة اهالي بلاد قوي (Que) حيث يصفهم بالعناد والرفض بالنزول من الجبال للتحدث معهم كما انه يحاول تذكير الملك بتصرفهم المشابه عندما كانوا في نينوى في حضرة الملك قائلا "عندما كنت في نينوى قلت : انه من غير المفيد التحدث معهم انهم لايطيعون ويرفضون تقديم المقاتلين ، في حينها الملك أمر قائلا "خذ اثنين او ثلاثة من مدنهم والتي اعطيتها الى بيل دور Bēl – dûr [٢٨] . الان وضعتها تحت تصرفك "سوف اذهب واتصل بهم وان لم يستمعوا لي سأكتب الى الملك سيدي" اما الرسائل المرقة ٥٧٩ فعلى مايبدو تتعلق باعمال نفس الحاكم في بلاد قوي (Que) وهي ايضا اجابة لاستفسار صادر من الملك بخصوص جنود من تلك البلاد . ومن هذه الرسائل ورسائل اخرى يمكن الاستدلال على ان الناكر ايگالي خلال العصر الاشوري الحديث وبالرغم من اقامته في القصر الملكي الا أنه كان يكلف ببعض الاعمال وخاصة العكسرية خارج حدود الدولة الاشورية او يرسل كمندوب عن الملك للتفاوض مع سكان البلاد الحدودية والخلاصة فان سلطة الناكر ايگالي لاتقتصر على القصر فقط وانما خارجه ، ولديه موظفون تابعون ، بامكانه الكتابة الى الملك مباشرة وهو ايضا يستلم الرسائل من المقاطعات وخاصة التابعة او المجاورة لمقاطعته الخاصة كما كان يبت في بعض القضايا الادارية فمثلا زير ابني المذكور آنفاً . يتهم من قبل مردوخ اريبا بانه سجنه ووضع الاغلال في يديه ففي الرسائل المرقة ١٥٤ يدافع زير ابني عن هذاالاتهام .

### الاباركو $^{lú}$abarkku

يترجم المصطلح «وكيل» ولكن الافضل مسؤول المالية [٢٩] وزير المالية رابع اكبر الوظائف بالنسبة للدولة الاشورية حسب مايرد ذلك من قوائم اللّمو الاشورية وعلى مايبدو فان $^{lú}$abarakku rabû) هو المسؤول عن هذه الوظيفة يتبعه عدة موظفين موزعين في المقاطعات نيابة عنه . من الاعمال الرئيسة التي يقوم بها هو القضايا الاقتصادية ويشرف بشكل خاص على توزيع الجزية والضرائب التي تصل الى العاصمة ، وكانت لهذه الوظيفة مقاطعة خاصة بها تصبح تحت تصرف الشخص الذي يشغل هذا المنصب الاباراكو. قد يقود الجيش في اوقات الازمات (انظر الرسالة ١٠٠) . احسن من نعرف من الموظفين الآشوريين خلال الفترة السرجونية هو (طاب – شار – آشور) [٣٠] والذي شغل وظيفة $^{lú}$abarakku – rabu واصبح لمّو سنة ٧١٧ ق. م [٣١] وهناك العديد من الرسائل التي توضح مركز طاب – شار – آشور المالي فمثلا نجده يكتب الى سرجون عن استلامه لكمية من الفضة (الرسالة ١٧٣) . كذلك اوكلت اليه مهمتان الاولى بخصوص معبد الاله آشور (الرسالة ٤٣٣) والثانية تتعلق بمعبد الاله سين في حرّان (الرسالة ٤٨٩) . هذا بالاضافة الى اشرافه الشخصي على تقسيم الاعمال المناطة بكل من

حاكم مقاطعة كلخو (نمرود) وحاكم مقاطعة ارّابخا (كركوك) بخصوص بناء سور مدينة دور شروكين وتحديد مسؤولية كل منها (الرسالة٤٨٦).

أما ابارّاكو مدينة دور شروكين (خرصباد) والمدعو (ina šar – beli – allak)[٣٢] اينا – شاربيلي – ألاك – فيعطينا صورة اوضح بخصوص واجباته المالية في رسالته ١٦٧ والموجهة الى سرجون وهي تخص ذهابه الى مدينة شاباريشو لاستقبال الاشخاص والثيران التي بحوزتهم من گوزانا (تل حلف) ولقاءه بهم ثم اعطاءه تقرير عن المفقودات وكيف ارسل شخصياً الى كوزانا للبحث عنها ثم يعطينا موقفا عن المأكولات والمشروبات التي قدمها الى معبد الاله نابو.

مما تقدم يتضح ان الوظائف الأربع (الترتانو – رب شاقي – ناگر – ايگالي والاباراّكو) تعتبر اعلى اربعة وظائف في النظام الاداري الاشوري وكانوا يشغلون اللمو بعد الملك، وبالرغم من اقامتهم في العاصمة وعلى الاغلب في القصر الملكي بدليل الرسالة ٤٣٣ والخاصة بالاباراكو طاب – شار – آشور حيث يقول فيها – عندما اوكلت الي مهمة خاصة بمعبد الاله اشور في مدينة آشور "في اليوم الاول عندما خرجنا من القصر" – ويبدو ان المناصب الثلاثة الاولى السالفة الذكر كان اصحابها قادة للجيش وحكام مقاطعات في آن واحد، وعلى الاغلب يمكن اعتبارهم مستشارين للملك الاشوري.

### السوكالّو lu Sukallu

خلال حكم اسرحدون استحدثت وظيفة جديدة مكملة للوظائف الأربع السابقة وهي السوكالّو واول من اصبح لّمو في هذا المنصب هو أبي – رام حاكم مقاطعة خانيگلبات عام ٦٧٦ ق.م.

لقد كانت هذه الوظيفة معروفة في بلاد وادي الرافدين قبل الاشورين وكان شاغلها يعتبر ثاني اهم شخصية بعد الملك وقد اعادها اسرحدون الى النظام الاداري الاشوري. وباعتقاد كينيير ولسون[٣٣] فان هؤلاء الموظفين كانوا يشكلون نوع من المستشارين للملك الاشوري وهم يشرفون على تنفيذ القضايا القانونية وفي شكوى من مواطن اكدي ضد احد الموظفين الآشوريين مدعياً بانه اخذ بعض الافراد التابعين لعائلة والده وبعض من اراضيهم، عين الملك الآشوري قضاة لهذه المسألة وهم سوكالّو وسارتّنو وامرهم بما يلي "احكمو في القضية بعدالة وحق في بلاديَّ بنص".[٣٤]

وفعلاً قضى السوكالّو والسارنتو في شكواه واخرجوا عن اتباع والده المدعي ولكن على مايبدو فان نفس الموظف الاشوري المشتكى عليه قام بالاستيلاء عليهم مرة ثانية فهذا المثال خير دليل على عمل السوكالّو كما تم في القضايا القانونية وهناك العديد من الرسائل المعنونة الى دائرة السوكالّو.

يساعد هؤلاء الموظفين الكبار مساعدون يدعون (Šanu) "الثاني" ينوبون عنهم في حالة غياب اسيادهم، فكلما وردت كلمة Šanû بعد اي لقب اداري آشوري فانها تعني نائب فمثلا تورتانو شانو (lu trurtanu šanû) "الترتانو الثاني"، في الختام لابد من ذكر ان ولي العهد يأتي على رأس قائمة هؤلاء الموظفين الكبار حيث كانت توكل اليه مهمات ادارية تاهيلية للعرش (بهذا الخصوص انظر المبحث السابق).

حيث نراه يتسلم العديد من الرسائل الادارية المهمة كما هناك العديد من الرسائل الادارية التي بعث بها ولي العهد كاوامر ادارية صادرة منه الى حكام المقاطعات او الموظفين التابعين.





**الكتبة :**

كان لهؤلاء دور مهم في ادارة بلاد اشور وذلك لانهم القلة التي تجيد القراءة والكتابة ولهذا فان مساعدتهم في الادارة كانت ضرورية لكافة الموظفين.كان الكتبة في البلاط الاشوري يجيدون اكثر من لغة في آن واحد كالارامية والمصرية القديمة (الهيروغليفية). ويظهر قسم من هؤلاء الكتبة في النقوش الجدارية امام الملك الاشوري، وكأنهم يدونون احاديثه واقواله حيث ان احدهم يحمل لوحاً طينياً بينما الثاني يحمل ورقة قد تكون من البردي او اية مادة اخرى[٣٥] هذا بالاضافة الى ورود اشارات في الرسائل الملكية بخصوص توثيق بعض القضايا الادارية باللغتين الارامية والاشورية فمثلا هناك رسالة من كوزانا (تل حلف) والكاتب يحاول تبيان الاتهامات والجرائم التي ارتكبها ستة موظفين من كوزانا، واحدى ذنوبهم بخصوص دفع مقدار من الفضة كضريبة فانه يبين بانه قد كتب لهم عقدين بالاشورية والارامية[٣٦] الى جانب الكتابة فان هؤلاء الموظفين كانوا يجيدون ادارة مكاتب اسيادهم (السكرتارية) حيث هناك العديد من الاشارات التي توضح دورهم في استلام الرسائل او حتى اعطاء بعض التعليمات الادارية نيابة عن اسيادهم ويقسمون الكتبة الى :

١ - كاتب البلاد — $^{lu}$tupšar matati

٢ - كاتب القصر — $^{lu}$tupšar ekalli

٣ - كاتب الملك — $^{lu}$tupšar šarri

لكل واحد من هؤلاء واجباته الخاصة، فمثلا الحوليات الملكية من اختصاص كاتب الملك والذي يرافقه في كافة اسفاره الادارية والعسكرية والترفيهية (كالصيد) لتدوين اعماله واقواله. اما المكتبة فهي على الاغلب من واجبات كاتب القصر وعليه تقع واجبات الاستنساخ والبحث عن النصوص التي قد يطلبها الملك احيانا هذا بالاضافة الى المحافظة على الوثائق المكتوبة وكل مايتعلق بالحوادث اليومية التي لها علاقة بالادارة الملكية والاوامر الصادرة عنها وفهرست الرسائل الواردة وترتيبها بعد الاستعمال وكذلك استنساخ الحوليات الملكية. ولهذا فقد كان له مركز مرموق جداً بين موظفي البلاط الاشوري، وقد عثر على غرفة خاصة لمثل هذا الكاتب في الجناح الشمالي الغربي لقصر اشور ناصربال الثاني في كلخو. ولدينا الرسالة المرقمة ٢٢٠ والمعنونة الى كاتب القصر وهي شكوى امرأة اسمها سارا بخصوص اشخاص اعتدى عليهم حاكم المقاطعة ولهذا فهي ترجو كاتب القصر باشعار الملك بذلك.من هذا يستدل على العلاقة المباشرة بين الملك وكاتب القصر والا لما لجأت هذه الامرأة اليه مباشرة.

اما كاتب البلاد فله دور واضح في الادارة وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الخاصة بالمدن الاشورية والمقاطعات فمثلا هناك رسالتان معنونتان اليه الاولى برقم ٦٢ والكاتب هو نابو- شم- إدنا يطمئن كاتب البلاد عن احوال مقاطعته اما الثانية ٢٢١ فهي من تابني[٣٧] بخصوص زيارته الى نينوى ومقابلته للملك كما انه يطمئنه عن شخصية ثانية وبامكان كاتب البلاد الاعتماد عليه ويمكن ملاحظة اهمية وظيفته الادارية من نصيبه في الغنائم التي وزعت على القصر الملكي وموظفيه الكبار فكاتب البلاد يقف الى جانب الترتانو والرب- ريشي والسارتنو والسوكالّو والشاپان ايكالي[٣٨] عمل الكاتب يتطلب فترة طويلة من التدريب والخبرة والمهارة فقد كانت هناك عوائل آشورية متخصصة في هذه الوظيفة والتي اصبحت وراثية فيها ومن تواقيع هؤلاء الكتبة على النصوص التي دونوها تتضح لنا اهمية هذه الشخصيات.لقد استطعنا لحد الان احصاء عائلة اشورية عملت في كل من كلخو ونينوى وهي نابو- زقوب- كينو الذي ورث هذه الوظيفة عن ابيه مردوك- شم- اقيشا والذي كان يحمل لقب رئيس الكتبة $^{lu}$GAL A.BA حفيد گابي- إيلاني ايرش الذي كان يعمل في بلاط





اشور ناصر بال الثاني ووالده توكلتي نتورتا الثاني . كما انه (اي نابو زقوب كينو) والد عشتار- شم ايرش الذي اصبح رئيس كتبة لاسرحدون واشور بانيبال والاخير قد جمع اعمال والده الهائلة وخاصة المستنسخات الدينية والادبية ومختلف النصوص الاخرى والتي تتعلق بارشيف المعبد الاشوري من طقوس وادعية عامة وخاصة وصلوات ومن المحتمل بانه استنسخ احدى الواح ملحمة جلجامش واضافها الى مكتبة اشور بانيبال في نينوى والتي كان يعمل فيها[٣٩] .

**رئيس تشريفات القصر          Ša pān ekalli**

الترجمة الحرفية تعني "الذي (يقف) امام القصر"، الا ان الادلة المتوفرة لدينا توضح انه يقابل رئيس التشريفات وخاصة من طبيعة الاعمال التي يناط بها. فقد كان يحضر مع الوفود والشخصيات او حكام المدن والمقاطعات عندما يأتون الى العاصمة لاداء القسم الملكي " (adû ša Šarri) تقع على هذا الموظف مسؤولية تدوين هذا المرسوم وبصورة غير مباشرة يكون مسؤولاً عن الكتبة ايضاً بحكم علاقتهم في كتابة المراسيم .طاب صلي ابشارا حاكم مقاطعة اشور، وكانت الرسالة ٩٠ الى سرجون يخبره بخصوص وثيقة اداء القسم وان الموظفين التابعين الى الشا- إن- ايگالي وحمايته قد جاءوا الى آشور لآخذ الوثيقة وبصحبتهم النبلاء وفي ساحة معبد الاله آشور طلب رسول الشايان ايگالي الذي حضر معهم من الكاتب ان يسلمه الوثيقة الخاصة بالقسم وفعلاً سلمها له. اما الرسالة ٢٠٢ فهي ايضا توضح دوره في اداء القسم الخاص باهالي بابل ولكن بيل- ابني (Bel – ibni) حاكم ارض البحر فانه حضر مع الشايان ايگالي الى مدينة كسك (Kisik) حيث مكان تجمع ابناء هذه المنطقة واقسموا ولاء الطاعة للملك الاشوري . مما تقدم يتضح ان الشايان ايگالي- وبالرغم من اقامته في القصر الملكي الا ان الملك قد يكلفه بمهام خارج القصر.

وكان من واجباته الاخرى داخل القصر تنظيم الاشخاص والوفود التي تقابل الملك وكان المسؤول عن الوثائق والاوامر الخاصة بهذا الجانب حيث نجد في اجابة اشور بانيبال لسكان نيبور بخصوص مقابلته لنصف وفد نبلائهم (Šibutu) كضيوف فيقول "انها ليست غلطته (اي الملك) فالضيوف قد نظموا (لمقابلتي من قبل حاكم نيبور بالتعاون مع الشايان- ايگالي"[٤٠] والدليل على عمله هذا داخل القصر يظهر من حواره لشخص محركاً يده وكانه يقدم الناس الى الملك وفي بعض الرسوم الاخرى يظهر وهو يحمل الشارة الخاصة بوظيفته وهي عصاتين مربوطتين سوية وفي الرسالة ٥٦٨ الواردة اعلاه الخاصة بتوزيع الغنائم نرى ان نصيب الشايان- ايگالي هو ٥ مَنْ من الفضة وخمسة ارواب، بينما كان نصيب الترتانو نصف هذه الكمية مما يدل على اهمية مركزه الاداري، كما كان لديه مساعد يدعى Šanû.

**رئيس رجال البلاط          $^{lu}$Gal – Ša – ŠAG**

رجال البلاط الاشوري ša – rēši يشكلون اكبر مجموعة من موظفي القصر وعملهم داخل القصر يكون مقتصراً على خدمة الملك ويكون مقر تواجدهم في القاعة الداخلية bitanu ةوالتي تضم الجناح الخاص بالملك وفيها موظف مسؤول وهو LU rab bītani او يلقب احياناً ša muhhi bītani وهو المسؤول عن خدمة جناح المعيشة في القصر وتعتبر من الوظائف الادارية المهمة داخل القصر كما تبين ذلك رسالة توزيع الغنائم ٥٦٨. وكذلك يتواجد Ša rēši في القاعة الخارجية bābānu والتي تضم مجلس القصر ومن بين مجموعة رجال البلاط العاملين في هذه القاعة تأتي وظيفة LU rab rēši "رئيس رجال البلاط" وهي ثاني اهم الوظائف بعد مجموعة الامراء والنبلاء

الآشوريين[42] يظهر (sa rēši) رجال البلاط في النقوش الجدارية والمنحوتات وهم غير ملتحين فمثلا هناك ختم لحاكم مدينة كلخو بيل - تارصي - ايلوما. وكذلك ختم آخر لنركال ايرش وهم غير ملتحين علما بان الاول كان يحمل لقب šā rēši بالاضافة الى كونه حاكم المدينة[43] ومن هذه المجموعة الادارية يعين حكام المقاطعات خاصة منذ عصر تجلا تبليزر الثالث ٧٤٥ ق.م حيث بدأ الملوك يذكرون الفقرة التالية عند تعينهم للحكام "عينت عليهم احد موظفي البلاط كحاكم مقاطعة وهؤلاء الحكام من وجهة نظر الملك ليس من الضروري ان يكونوا من عوائل معينة او غنية بقدر ولائهم وطاعتهم له. ومن المحتمل فان تجلا تبليزر الثالث استخدمهم كاداة لتقليص نفوذ طبقة (abânu $^{lu}$ الامراء والنبلاء حيث ان معظم الثورات التي هزت الامبراطورية الاشورية الحديثة كانت نتيجة تآمر مثل هذه العوائل وخاصة المقربين للملك شخصياً ورغبتهم بالاستحواذ على السلطة. احسن مثال لدينا في الوقت الحاضر عن وظيفة rab rēši رئيس رجال البلاط هو سن - شم - أشر الذي كان رئيس رجال البلاط للملك آشور ايطلي - ايلاني حيث يظهر من خلال النصوص الملكية التي تركها هذا الملك ان هذا الموظف كانت لديه قوات عسكرية خاصة به[44]. اما النصوص الاخرى التي اعطتنا صورة اوضح عن سن - شم - اشر فهي بالدرجة الاولى نصوص الهدايا والاملاك والامتيازات الممنوحة له من الملك الاشوري اشور - ايطل ايلاني. تقديراً لجهوده الخاصة التي قدمها للملك، نذكر على سبيل المثال واحداً من النصوص والتي ترجمها بوستكيت[45] نرى انه بعد وفاة الملك اشور بانيبال، كانت هناك ثورة داخلية بزعامة نابو - رختو - اوصر في بابل ضد الوريث اشور - ايطل - ايلاني، الا ان سن - شم - أشر سحق هذه الثورة بمساعده عدد من قواته الخاصة وتقديراً لهذا العمل اهداه الملك الاشوري كل هذه الاملاك والامتيازات ولو ان هذه ليست الحالة العامة، حيث ان سن - شم - أشر عاش في السنوات الاخيرة من الامبراطورية وخاصة عندما انهارت السلطة المركزية تماما هذا بالاضافة الى اننا لانعلم الا القليل عن الاوضاع الداخلية لتلك الفترة حتى نعطي صورة كاملة عن قوة مثل هذه الشخصيات، ولكن ومن المحتمل فان الملك اشور ايطل - ايلاني حاول الموازنة بين $^{lu}$rabânu الذين لايزالون يؤثرون على العرش الاشوري وبين مجموعة رجال البلاط الذين اصبح قسم كبير منهم حكاماً لمقاطعات وعليه فانه افراطه في المنح والامتيازات الخاصة لرئيس البلاط وذلك لكي يقف هو ورجاله الى جانب الملك في محاولة هؤلاء النبلاء للاطاحة به وفعلاً حدث ماكان متوقعاً

**المقربون $^{lu}$qurbutu**

وهي المجموعة الاخرى التي تعمل ضمن القصر وكانوا يشكلون مجموعتين الاولى الحرس الملكي، وهؤلاء يختارهم الملك من بين مجموعة رجال البلاط Šā rēši والذين يراهم اكثر ولاءً وطاعة ويمكن اعتبارهم الحرس الخاص بالملك - اما المجموعة الثانية من هؤلاء فهم الذين يعتبرون حلقة الاتصال مابين الملك والمدن والمقاطعات فهم وظيفياً يكونون تحت امرة الملك مباشرة وينفذون الاعمال التي يوكلها اليهم، فمثلا كانوا يمثلون الحكومة المركزية عند جمع الضرائب وكان عليهم جمع وارسال الجنود المنقولين من سلطة حاكم مقاطعة الى مقاطعة اخرى[46].

إن الاشارات الكثيرة من المقربين من الرسائل الملكية في كل من نينوى وكلخو تعطينا صورة جزئية عن نشاط هؤلاء الموظفين فمثلا يظهرون كممثلين عن الملك ويرسلون الى مكان فيه مشكلات





تستوجب تدخل الملك شخصياً فكاتب الرسالة ٢٢٨ يطلب من الملك ان يرسل احد المقربين (qurbūtu) من اجل ان يضع حدا لمشاكله مع اخيه الذي استولى على اراضيه ، بينما مار- عشتار كاتب الرسالة ٣٣٩ [٤٧] يستنجد لارسال بالملك قربوتو من اجل الاستفسار من حاكم المقاطعة- lúbēl pāhete الذي فتح خزينة المعبد عنوة واخذ منها ذهباً. في حالة مشابهة نجد ان موظفين من مقاطعة ارابخا (كركوك) يستنجدان بالملك لارسال قربوتو بخصوص بيت سيدهم-هدية الملك-التي اخذها حاكم المقاطعة.

من الاعمال الرئيسة التي يناط بها هؤلاء المقربين هم اسرى الحرب فهناك رسالتان بعث بها بيل- ابني حاكم ارض البحر بخصوص اسرى ولاجئين من بلاد عيلام حيث يطلب من الملك ارسال قربوتو للاهتمام باطعام ١٠٠٠ الف اسير منهم اثناء نقلهم الى نينوى [٤٨] . وكذلك هناك رسالة اخرى برقم ٦٠٠ تخص طلب مشابه للاهتمام بخمسين اسير [٤٩] .

من الاعمال الاخرى التي يكلف بها القربوتو هو التفتيش فهناك طلب الى الملك مقدم من مار- عشتار الى الملك لارسال قربوتوا بخصوص الاعمال العمرانية في معبد مدينة دير والتي تسير ببطء [٥٠] ولكن دور القربوتوا في رسالة اخرى فهو تفتيش المواشي التي ارسلت الى معبد الاله نابو في مدينة سيبا كقرابين ملكية [٥١] . هناك اشارات الى قيام القربوتو بنقل معلومات سرية بخصوص مدينة اوروك والعيلامين. [٥٢] . او قد يمثل الملك في الاحتفالات الدينية [٥٣] تشير الرسائل الملكية الى قيام القربوتو بنقل البضائع الثمينة حيث ان نابو- ليثو القربوتو جلب ذهب واحجار كريمة الى الخزينة الملكية [٥٤] .

ومن واجباته الاخرى هوالقضايا العسكرية فقد ارسل احدهم للاستفسار عن اوضاع قبائل البقودو puqudu على الحدود العيلامية [٥٥] مما تقدم يمكن القول بان واجبات القربوتو الادارية غير محدودة بوظيفة معينة وانما كان تواجده ضمن القصر والى جانب الملك الذي يحتاجهم باستمرار لتمثيله في مختلف القضايا.

الى جانب المقربين هناك مجموعة اخرى يمكن تسميتها "باللذين يقفون امام الملك" man-zaz pān šarri.ولقد وردت قائمة باسماء هؤلاء في نص من نينوى (K4393) وعلى الاغلب فان هؤلاء ليس لديهم عمل ثابت وانما كانوا يلبون طلبات الملك ، وخلال فترة حكم سرجون الاشوري الثاني واشور بانيبال نرى بان واجباتهم بدأت تتركز على القضايا المنزلية والصيد.

### الاطباء والمنجمون والعرافون

ولا يحتل هؤلاء مناصب ادارية مهمة او خطرة او واضحة للعيان الا انهم كانوا يؤثرون على سياسة الملك شخصيا وكما بينا في المبحث السابق كان الملك هو الشخصية الرئيسية في الديانة الاشورية من خلال تواجده في العديد من الطقوس والاحتفالات. وان مثل هذه المارسات تكون بارشاد ونصح هؤلاء الموظفين، فمن الطبيعي ، ومن خلال هذه المارسات الملكية كانوا يؤثرون عليه. ويمكننا تقديم الكثير من الادلة لتوضيح هذا التاثير خاصة من الرسائل الملكية التي ترجمها باربولا [٥٦] . ومن خلال تراجمهم للطوالع فانهم كانوا يؤثرون على الملك بخصوص القضايا المهمة كالحملات العسكرية او ترشيح الموظفين الكبار وكما بينا في المبحث السابق فانهم كانوا يتدخلون في الايام المفضلة لحضور ولي العهد الى والده [٥٧] وكانت هذه الطبقة من الموظفين تتمتع بامتيازات مهمة وخاصة وكان الملك يدافع عنهم ضد النبلاء وحكام المقاطعات فهذا بلاسي الكاهن يشتكي الى اسرحدون من الرب شاقي الذي صادر حقله واحد رجاله (الرسالة ٣٥٣). ومن الطبيعي فان هذه المجموعة من الموظفين تعتمد





في استمراريتها على التدريب والخبرة والممارسة وتصبح وراثية في بعض العوائل وعلى سبيل المثال فان ابن أدد- شم- اوصر المعروف لدينا من ارشيف نينوى كان عرّافاً وورث وظيفة والده.

**الاعاشة والخدمات :**

القصر في العاصمة يعدّ المركز الرئيسي لاعادة توزيع الواردات والضرائب من المقاطعات والجزية من الحكام التابعين، وتؤكد النصوص المسمارية بان الضرائب في بلاد آشور نفسها ومن مقاطعاتها تعتبر المصدر الرئيسي للدخل القومي والذي هو بالتالي مصدر تزويد الجيش بالمؤن والارزاق، ودفع نفقات الموظفين الاخرين اما الغنائم التي يحصلون عليها من الحملات فكانت على الاغلب من المعادن الثمينة والنادرة والاشياء الكمالية والتي اما تدخل كهدايا الى المعبد او القصر او قد تبقى في الخزينة الملكية، في حين كانت الجزية من ضرائب المقاطعات توضع جانباً للحكومة المركزية وتخزن ثم توزع من قبل اقسام خاصة بها ولهذا فقد كانت هناك اقسام متعددة في القصر تتعامل مع المدخولات باختلاف انواعها. والجناح الخاص بها هو "القصر المسؤول عن تجهيزات البلاد" (ekal paqidat kalama). في نينوى عندما كانت العاصمة وهو المسؤول عن هذه الدوائر المتعددة.

من الاقسام الرئيسية المعروفة لدينا في نمرود هو قسم (دائرة) الخيول والمسؤول عنها lúrab urate[٥٨]. الا ان أرشيف نينوى يلقي الضوء على اعمال هذا القسم وخاصة الرسائل التي كتبت من قبل نابو- إدنا وشخصية اخرى هو نادينو وهي عبارة عن تقارير يومية عن اعداد الخيول التي يستلموها[٥٩]. ومن الاقسام الاخرى هو قسم استلام الاخشاب، وقسم الاغنام، والابقار، والحبوب، والتين، والمنتجات النباتية، والحيوانية، وتجهيزالجيش، ومن الطبيعي فان القوى البشرية العاملة ضمن هذه الاقسام تتشعب الى اقسام اخرى كتسجيل الوصولات الخ..[٦٠]. وكل قسم من هذه الاقسام يرأسه موظف اداري ولديه وكيل (Sanû) وكاتب. ويمكن اضافة الخبازين والطباخين والقصابين والسقاة الى هؤلاء ايضاً[٦١] وكافة هؤلاء العاملين في القصر يكون المسؤول عنهم هو ال lúrab ekalli اشرف على القصر[٦٢] وللمزيد من المعلومات على هذا الموظف واعماله فيمكن النظر في ارشيفات القصر الملكي في كلخو[٦٣].

ولايفوتنا ان نذكر الجناح الخاص بالحريم، وقد لقيت الشاكنتو lúšakintu دوراً مهماً في ادارة هذا الجناح وعلى الاغلب فانه يضم :

| | |
|---|---|
| والدة الملك | Ummi ša šarri |
| الملكة | MÍ sinnišat ekalli |
| اولاد الملك | mār/ marat šarri |

كان لبعض الملكات الاشوريات دور سياسي واداري مهم في بلاد آشور وتعد sammuramat (سمير أميس) والدة ادد نيراري الثالث خير مثال على ذلك حيث انها اصبحت وصية على ولدها القاصر[٦٤]. ولكن زاكوتي (ناقيئة) Zak-uti/ Naqîa ارملة سنحاريب، فقد كان دورها واضحاً ومؤثراً ليس في ادارة الدولة نفسها فحسب بل تدخلها في شؤون القصر نفسه فنجدها تفرض تنفيذ الاتفاقية الخاصة بولاية العهد التي ابرمها اسرحدون بين اولاده لكي يكون اشور بانيبال ملكاً على آشور واخيه شوم- اوكن ملكاً على بابل[٦٥] وذلك بعقد اتفاقية ثنائية بين الاخوين مرة ثانية بعد وفاة والدهم[٦٦] هذا بالاضافة الى سلطاتها واملاكها الواسعة في مقاطعة لاخيرو[٦٧]

**ادارة المدينة :**

ترتكز ادارة المدن الاشورية على مجموعة من الموظفين الادارين وهم :





المحافظ $^{lu}$hazannu

لهذا الموظف الاداري تاريخ طويل في بلاد وادي الرافدين حيث يرد ذكره في النصوص السومرية من مدينة الوركاء والعصر الاكدي والبابلي القديم في نصوص ماري ثم انتقل الى بلاد آشور ففي المدن الاشورية الرئيسة مثل اشور، نينوى كلخو وفي عواصم بعض المقاطعات هناك اكثر من خازانو[٦٨] . اما في المدن الصغيرة فهناك خزانو واحد. خلال العصر الاشوري الوسيط وخاصة في نصوص نوزي كان واجبه تطبيق القانون والتعليمات الملكية الصادرة اليه بالتعاون في الوحدات الادارية الاخرى والموجودة ضمن مسؤوليته[٦٩] . اما في العصر الاشوري الحديث فانه استمر بنفس المسؤولية ولكنها اصبحت لاتتعدى اسوار المدينة. فمثلا نرى خزانوا مدينة كلخو سجن احد الكهنة بتهمة سرقة ذهب وفضة من معبد الاله ننورتا (الرسالة ٤٩٣) وحسب المعلومات التي زودتنا بها هذه الرسالة بخصوص السجين فان الخزانو اعتمد على معلومات ادلى بها كاهن اخر. اما التعاون بين الخزانو والموظفين الادارين الاخرين ضمن المدينة فيتضح من خلال الرسالة المرقة ٩١ والمرسلة من حاكم مقاطعة اشور طاب- صلّي- ايشارا والتي تخص اصلاح التصدع الذي حدث في بيت الفرن الحديدي التابع للقصر في اشور والتي حدد مسؤوليتها الكاتب على كل من الخزانو والاوراسوا ومجلس المسنين في آشور.

اما في عواصم المقاطعات الاشورية فان وظيفة الخزانو اقل وضوحاً عنها في المدن الاشورية الرئيسية (العواصم) وخاصة فيما يتعلق بتحديد المسؤوليات لكل منها لدينا اشارة في احدى الرسائل الاشورية الحديثة من نينوى بخصوص مشاركة الخزانو في الاحتفالات الدينية التي تقام في معبد الاله نابو في كلخو[٧٠] ولكن في رسالة من اهالي آشور والتي تتعلق بموت الملك الاشوري فانها تشير الى ان حاكم المقاطعة نفسها قد امر رجاله ان يقفوا امام مبنى الخزانو وقد البسهم ارواباً حمراء وقلدهم بحلقات ذهبية ليصطفوا امام الخزانو وعلى مايبدو فان هذه اشارة الى اقامة مراسيم تشييع الملك ومشاركة الخزانو رسميا وبالملابس الرسمية لها[٧١] .

ولكن عشتار نائد- خزانو مدينة آشور فانه يكتب الى الملك عن عدم امكانيته من طرد حاكم (امير) قبائل الاتوء (Ituʾa) والذين يتجولون في ضواحي (qannu) مدينة آشور ويعرقلون الحياة اليومية ويقطعون الطرق والبوابات[٧٢]. وهذا مما يفسر تحديد مسؤولية الخزانو في العصر الاشوري الحديث الى داخل اسوار المدن فقط بعكس زميله في العصر الاشوري الوسيط[٧٣] .

كان تعيين الخزانو يصدر مباشرة من الملك الآشوري كما يشير الى ذلك سن- نائد خزانو مدينة اشور (سن نائد، خزانو مدينة اشور الذي عينني، الملك سيدي)[٧٤] ويبرز دور الخزانو الاداري في العقود التجارية ضمن الفقرة الخاصة بالاشخاص الذين يمكن ان يطالبوا في المستقبل بالاضافة الى ظهوره شاهداً على كثير منها.

### شا- موخي آلي $^{lu}$ša muhhi āli
### "المشرف على المدينة"

هذه الوظيفة الادارية لها علاقة مباشرة بوظيفة الخزانو حيث يظهران سوية في الرسائل الاشورية[٧٥] . ويكون تعيينه من قبل الملك شخصياً. ومن المحتمل فان وجوده الى جانب الخزانو في ادارة المدينة وذلك من اجل تقليص صلاحيات الخزانو الواسعة في العصر الاشوري الوسيط وخلق نوع من الموازنة بينه وبين الخزانو.





**كاتب المدينة lu tupšar āli**

كاتب المدينة ، وهو ثالث اهم وظيفة في ادارة المدينة الاشورية حيث يظهر الى جانب شا- موخي - آلي كمسؤول اداري في الرسالة ٥٣٠ والتي هي عبارة عن شكوى الى الملك الاشوري ، فالمشتكي قد عوقب بالسجن بسبب عدم تقديمه المساعدة لاعادة بناء احدى المدن الاشورية الا ان تبريره لعدم المساعدة بانه في حينها اخبر المفتشين lu dayalu وكاتب المدينة طوب - شار - آلي - وكذلك شا موخي آلي. ولهذا فانه يرجو الملك بالافراج عنه لكونه غير مذنب باعطاء المعلومات اليهم. ومن المحتمل فان الديّالو كمفتش اشوري قام بدور مهم في ادارة البلاد من خلال الواجبات التي يكلف بها وعلى مايبدو فانه كان هناك مفتشين خاصين بالمدن الرئيسة فمثلا هناك ديالّو مدينة نينوى وديّالوا مدينة كلخو (الرسالة ١٥٢).

**مجلس المدينة : lu Sibutu (الشياب)**

ان ادارة المدينة الاشورية تكون مسئولة عن اوائل الناس الذين هم جزء منها والتي هي القصر، والمعبد ، وهؤلاء هم اصحاب الحقول والبساتين المجاورة للمدينة نفسها ويمثلهم ادارياً في الدولة الشياب (šibutu) وهؤلاء على اغلب الظن ينتخبون من بين اغنياء المدينة وهم الـ lu qaqqadati . واجبات هذا المجلس هو حل المشكلات القانونية والمالية والدفاع عن المصالح والامتيازات الممنوحة لابناء تلك المدينة كالاعفاء من الضرائب واعمال السخرة ويتعامل هؤلاء الشياب مع الملك مباشرة. هناك العديد من الرسائل من نينوى وكلخو توضح اهمية هذه المؤسسة ادارياً كما تبرز اهميتها وقوتها السياسية خاصة في اوقات الازمات.

والى جانب ماذكر من موظفين فيجب ان نذكر مجموعة اخرى من الموظفين الخاصين بحراسة بوابات المدينة abullāte وبرأسهم lu rab abullati حيث يظهر بدور مفتش.

**ادارة المعابد :**

بالرغم من ان المعابد الاشورية كانت ثاني اكبر مؤسسة اجتماعية ، اقتصادية الا اننا لانعرف الا القليل عن تنظيماتها الادارية والاقتصادية في بلاد اشور اصبح المعبد تابعاً وبشكل عام الى الحكومة المركزية على اساس ان الملك الاشوري يعتبر الشخصية الرئيسية في الديانة الاشورية وحضور الملك في المناسبات الدينية له اهمية كبرى في هذه الديانة هذا بالاضافة الى اتخاذ الملوك الآشوريين القاب الكهنة انفسهم Šangû من الالقاب الدينية الرئيسية للملوك الاشوريين مثال Šangû Aššur او Šangû Enlil وفي العصر الاشوري القديم والوسيط هناك اشارات الى ان كلمة Šangūtu (كهانة) كانت تستعمل كمرادف šarrūtu ملكية من قبل الملوك الآشوريين[٧٦] .

النصوص المسمارية تبين ان مايحتاجه المعبد من ناحية الابنية او الموارد المالية كانت من مسؤوليات الحكومة المركزية والتي تستخدم عدة طرق من اجل تخطيطها :

١- الهدايا المباشرة من الرجال والاراضي المعفوة من الضرائب من قبل الملك.
٢- هدايا الاراضي لموظفي المعبد.
٣- اصدارات الملك بالعفو عن ضرائب الاراضي لبعض الناس وبالمقابل كان عليهم تقديم الخدمة بأنواعها لديمومة المعبد.
٤- اية هبة من أراضي ورجال الى المعبد يعتبر من واجبات الحكومة المركزية.
٥- كان على حكام المقاطعات وموظفي الدولة الكبار تقديم قرابين الى المعبد باستمرار.





٦- الملاحظ في الحوليات الملكية الاشورية بان التجهيز المستمر من القرابين الى المعبد يشكل جزء من الجزية التي تجلب من البلاد المفتوحة او من الحكام التابعين للدولة الاشورية[٧٧].

يقوم على خدمة المعبد ادارياً اعداد كبيرة من الموظفين ولكننا لانعرف الا القليل عن طبيعة اعمالهم، الادارية او الاقتصادية وحتى حياتهم الدينية، الا ان اشهر الوظائف الادارية للمعبد يشغلها الـ Šangû في نص من نمرود برقم ٥٥٤٥ فيرد ذكر أيا - موداموق يحمل لقب Šangû mahhu للملك الاشوري اشور ناصر بال الثاني. الا انه لم يرد ذكره ثانية بالرغم من انه يعتبر اعلى مرتبة دينية للمعبد الاشوري[٧٨]. ويأتي الى جانب هذا اللقب Šangû rabû (الشانكو، الكبير) و Šaugû Šanû (الشانكو الثاني). يظهر الـ Šangû كمسؤول عن مفاتيح مخزن الاله اشور (الرسالة ٤٩٨) اما شانكو الاله ننورتا في كلخو فيظهر كمشتري لعبد للمعبد[٧٩]. وهذا مما قد يفسر دوره الاداري في المعبد.

الى جانب هؤلاء الكهنة فهناك الـ Šatammu واحسن مثال لدينا هو ان والد وجد أيا - موداقق الوارد اعلاه كانا يحملانه هذا اللقب:

كما ان بعض الموظفين الاداريين الكبار كالترتانو كانوا يتلقبون به ايضاً. فمثلا بيل - ابالط وشمشي إيلو كانو يلقبون بـ Šatam ekurrate وعلى الاغلب فانه لقب فخري فقط لهؤلاء الموظفين الكبار اهناك وظيفة اخرى تدعى erib bi'ti اي "الذي يدخل المعبد" يعني المسؤول عن بيت الكهنة داخل المعبد[٨٠]. وضمن هذه المجموعة نجد شخصية احد الكهنة المهمين لاسرحدون وهو أكولآنو والذي كان e'rib bi ti لمعبد الاله اشور في آشور نفسها، وهو صاحب (١٨) ثماني عشرة رسالة موجهة منه الى اسرحدون[٨١]. هذه الرسائل تخص قضايا دينية ترجمة للظواهر الطبيعية كالكسوف والخسوف والزلازل، كذلك مشكلات الموظفين الادارين بخصوص المعابد الآشورية ويظهر أكولآني نفسه هو الذي اشتكى على حكام المقاطعات الذين تأخروا عن ارسال القرابين الرسمية لمعبد الاله آشور[٨٢] وضمن مجموعة الـ erib bi'ti هناك الكهنة الخاصين بتطهير وتلبيس وتطعيم الالهة وكذلك الفنانين والنحاتين هذا بالاضافة الى الكهنة الذين يشاركون في المراسيم الدينية، اما الكآلو kalû ومنشدي التعاويذ العرافة (mašmašu) والمغنين فترجع الى نفس المجموعة[٨٣].

ومن الاشخاص الاخرين والمرتبطين بالمعبد اداريا العاملين في أراضي المعبد (الفلاحين الرعاة). او الذين يقومون على اعمال المعبد التجارية كالتجار (tamkaru) وقد ظهرت نصوص كثيرة من معبد الاله نابو من نمرود تبين النشاط الاقتصادي لتجار هذا المعبد فمثلا نراه قد قدم قرض من الحبوب بفائدة معينة على انه يسترجع القرض عند الحصاد. اما القرض الثاني فهو كبير نسبيا[٨٤].

**ادارة المقاطعات :-**

كانت بلاد اشور نفسها بالاضافة الى البلاد التابعة مقسمة الى مقاطعات تدعى كل منها pahutu وهذه بدورها مقسمة الى وحدات ادارية اصغر nagû وكل منها يتكون من وحدات ادارية اصغر qannu او URU.ŠE قرية زراعية (مزرعة) او kapru (كفر) قرية ايضا.

خلال فترة العصر الاشوري الحديث اصبح هناك موظفون متخصصون لكل وحدة من هذه الوحدات وعليه تقع مسؤوليات معينة. وقبل الحديث عن هؤلاء الموظفين لابد من اعطاء صورة تقريبية عن الاساليب التي اتبعها الآشوريون في ادارة المقاطعات ضمن بلاد اشور او في البلاد





التابعة. فبعد اول اتصال عسكري بين الاشوريين والبلدان المجاورة تكون هناك محاولة من الملوك الاشورين باتباع اساليب ادارية غير مباشرة وذلك بالابقاء على الملوك والحكام المحليين انفسهم. الا ان هؤلاء في الوقت الذي يشعرون باي ضعف في داخل الدولة الاشورية او عندما يحصلون على مساعدات عن طريق التحالف مع الملوك والحكام الذين تنسجم مصالحهم معهم او تحريض من ابناء البلد نفسه نجدهم يثورون ضد الملك الاشوري. في هذه الحالة نجد ان الملك الاشوري اما يقدم على خلع الملك والحاكم المتمرد او في بعض الاحيان يعيده الى عرشه مدعيا بانه كان رحيماً معه ومع عائلته وفي معظم هذه الحالات كان من شروط ذلك القسم بالاله اشور، او ان تضاعف الجزية والضرائب المفروضة سابقا على الملك او الحاكم. التابع او أن يقوم بتعين احد ابنائه او اخوته كحاكم محلي بدلا من الحاكم المخلوع وهناك العديد من الاشارات في النصوص الملكية بان الملوك الاشوريين كانو يجلبون ابناء هؤلاء الحكام الى العاصمة الاشورية، وذلك لكي يتربى في كنف الملك وعند الحاجة كما في الحالات السابقة اي موت الاب او ثورته فيعين الملك الاشوري هذا الابن على عرش والده وبالتالي فانه سيخدم سيده بامانة واخلاص كرد للجميل. وهكذا ادعى سنحاريب بانه ربي بيل ايني البابلي في قصره وعينه فيما بعد حاكما على سلاله القطر البحري[٨٥]. وهذه الممارسة على تدريب ابناء الملوك ترجع باصولها الى اشور ناصر بال الثاني[٨٦].

من الاساليب الادارية الاخرى التي اتبعها الملوك الاشورين المتأخرين مع الحكام والملوك التابعين هو تعين مندوب اشوري في بلاط ذلك الحاكم يدعى قيبو (qēpu) بقصد جمع المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكرية عن تلك البلاد والبلدان المجاورة وخير دليل على ذلك هو قيبو اسرحدون في مدينة صور[٨٧]، اما قيبو آشور بانيبال في مصر فقد تمكن من كشف مؤامرة ضد خليفة تارقوا ملك مصر وذلك بتعاون رؤساء القبائل المصرية فيما بينهم ورفضهم ان يكونو تابعين لاي شخص وتقسيم بلاد مصر الى قسمين الا ان قيبو اشور بانيبال تمكن من القبض على هذه الرسالة والمتآمرين وارسالهم الى نينوى[٨٨].

هناك اشارات عديدة في العصر الاشوري الحديث الى قيام الملوك الاشوريين بعقد معاهدات مع ملوك دول اخرى، فمثلا اشور نيراري الخامس عقد معاهدة مع ماتع - إيلو Matiʾ– ilu[٨٩]. كذلك أسرحدون مع بعل ملك صور[٩٠] وأخيراً اسرحدون مع رماتايا والحكام التابعين وابناء بلاد اشور بخصوص ولاية العهد على ان يكون اشوربانيبال ملكاً على بلاد أشور وشمش - شم - اوكن ملك على بلاد بابل[٩١]. هذا بالاضافة الى ورود كلمة معاهدة adû في الرسائل الملكية والتي تخص حكاماً تابعين في اقاليم صغيرة. والاسلوب الاخر لادارة البلاد التابعة هو الزواج السياسي، وتشير النصوص الى هذا النوع من الزواج بين ابنة الملك الاشوري آشور او بالط وابن الملك الكشي خلال العصر الاشوري الوسيط[٩٢]. كما ان اشور بيل كالا تزوج ابنة ادد ابلا - إدنا[٩٣] اما سرجون الاشوري الثاني فقد زوج ابنته الى ملك تابال[٩٤]. ان الهدف من هذا الزواج هوتقريب وجهات النظر ومن المتوقع فان الاولاد والاحفاد بالتالي ان لم يكونو الى جانب اجدادهم الاشوريين فانه من المستبعد ان يكونوا اعداءاً لهم.

وفي المناطق الحدودية والمضطربة نجد ان الملوك الآشورين يحاولون استخدام اكثر من اسلوب لادارة هذه المنطقة فاذا فشل الاسلوب الاول حاولوا الاسلوب الثاني





وهكذا. ولكن بالنسبة للمناطق التي يفشل فيها استخدام اسلوب او اكثر نجد ان الملك الاشوري يكون مضطراً لتغير سياسة الادارة غير المباشرة الى الاسلوب المباشر وهو تعين حاكم آشوري من رجال البلاط على تلك المنطقة ويعتبرها جزءاً من بلاد اشور.[٩٥]

توضح الرسائل الملكية في ارشيفات نينوى وكلخو الواجبات المهمة المناطة بـ البيل – باخيتي في الشؤون العامة والخاصة لمواطني المقاطعة فمثلا نرى الرسالة ٩٢٠ وهي شكوى ضد حاكم مقاطعة في جنوب العراق بخصوص اسرى من ارض البحر وفي حالة مشابهة اخرى الكاتب يترجى البيل باختي بالتحدث مع الترتانو بخصوص اسرى بابلين[٩٦]. ولكن بيل – إقبي كاتب الرسالة ٧٧١ فانه يكتب الى الملك نيابة عن قبائل الگامبولو بخصوص احد المجرمين الذي قتل احد ابناء عشيرتهم، وجلبوه الى بيل باخيتي للمحاكمة او لسجنه لحين المحاكمة وعلى مايبدو فان البيل باخيتي لم يقدر المسؤولية مما اضطرهم الى الشكوى الى الملك وهذه تؤكد عمله الاداري وتدخله في الشؤون الاجتماعية كممثل للملك في المقاطعة وكانت تقع عليه مسؤولية توقيع المعاهدات مع ابناء المقاطعة او المقاطعات المجاورة[٩٧]. كما ان وجود لقبه الاداري في المعاملات التجارية في الفقرات الخاصة بالمطالبة اوالشكوى المؤقتة وأيضاً استلامه للتعويض، المتفق عليه في الصفقة في حالة فشل الصفقة فهذه ادلة اخرى على دوره الاداري ممثلاً للحكومة المركزية، من ضمن اعماله في المقاطعة هو جمع الضرائب فالرسالة ND ٤١٣ توضح هذا العمل بينما في رسالة اخرى نجده يتدخل في جمع الضرائب المترتبة على التين والطعام من بلاد دأناني Daunanni[٩٨]. وهناك اشارة تؤكد ارسال اطعمة الى القصر[٩٩] كذلك فان جمع الخيول وارسالها الى العاصمة من الواجبات الرئيسية التي يقوم بها حاكم المقاطعة[١٠٠]. هذا بالاضافة الى الانواع الاخرى من الضرائب[١٠١].

ان عملية جمع الضرائب تحتاج الى كادر وظيفي يكون متصل ادارياً بحاكم المقاطعة مباشرة أو قد يكلف لهذه المهمة اشخاص من القصر لمساعدته اثناء الجمع ومن الموظفين المتخصصين هم الماكيسو LU makisu وكذلك LU rab karani اما الموظفين الذين يبعث بهم القصر فهم القربوتو LUqurbūtu والقيبو LUqepu وعلى الاغلب مهمتهم الاشراف والتوجيه اما (LUMušarkisu) موشاركسوا فقد كان واجبه الرئيسي الاشراف على جمع الضرائب الخاصة بالخيول[١٠٢] والكتابة الى الملك مباشرة عنها[١٠٣]. وكان قسم من هذه الضرائب يرسل مباشرة الى العاصمة وقسمٌ آخر يبقى في عاصمة المقاطعة لكي يستفاد منها الحاكم في تمشية اموره المالية او قد يستفاد منها لتجهيز الجيش الاشوري في حالة مروره في تلك المقاطعة[١٠٤].

من الاعمال الاخرى والمهمة التي يشرف عليها حاكم المقاطعة (بيل باخيتي) هي الاعمال العمرانية الملكية والرسمية التي تقع ضمن مقاطعته هذا بالاضافة الى تقديم العمال لمثل هذه المشاريع، مثلا حاكم مقاطعة كلخو اشرف بنفسه على العمل الجاري في بوابة خالزي Halzi[١٠٥]. نتيجة لهذه المسؤولية فقد يحدث سوء فهم من قبل بعض الحكام بخصوص تحديد العمل الاعماري المطلوب ففي الرسالة ٤٨٦ نرى ان الملك يوكل احد موظفيه بخصوص تحديد مسؤولية العمل المطلوب لكل من حاكم مقاطعة ارّابخا وحاكم مقاطعة كلخو بخصوص بناء سور مدينة دور شروكين. كما ان تقديم العمال من حاكم المقاطعة لاعمال السخرة الخاصة لحفرقنوات الري يوضحها لنا طاب – شار – آشور حاكم مقاطعة تل موسىٰ حيث انه يعتذر الى الملك





عن اخفاقه بتجهيز المهندس المشرف على حفر القناة بالعمال الاضافين (الرسالة ١٠٢).

بالرغم من الصلاحيات الواسعة التي يتمتع بها الـ بيل باخيتي، الا انه ليس مخول للتدخل في شؤون وممتلكات المعابد التي تقع ضمن مسؤولياته الا ان بعضهم تجاوز على هذه الصلاحيات فمثلا ماو عشتار (الكاهن) يكتب الى اسرحدون بخصوص القضية التي اخرجها حاكم مقاطعة دور شروكين من دون تصريح ملكي[١٠٦].

وكممثل للملك الاشوري في المقاطعة التي يديرها كان عليه المشاركة في الاحتفالات الدينية الرسمية نيابة عن الملك- فاوزرانا حاكم مدينة موصاصر يشير في الرسالة ٤٠٩ الى حضور حكام المقاطعاتَ البيلي باختي الى مدينة أويسي للمشاركة في الاحتفالات المدنية. اما اكولانّي فكتب الى اسرحدون بخصوص حالة مشابهة هذا بالاضافة الى مسؤولية حاكم المقاطعة لارسال القرابين الخاصة بالمعابد الاشورية ففي تقرير ثانٍ من نفس الشخص الى اسرحدون فيه شكوى ضد كل من حاكم مقاطعة بارخالزا، رصابا كيليزي، إيسانا، كولانّيا أربادا[١٠٧].

كان على حكام المقاطعات الحدودية الدفاع عسكرياً عنها بالاضافة الى جمع وارسال المقاتلين في حملات الملوك الاشوريين. وقد يرسل قسم منهم بحملات عسكرية ضمن مناطق معينة فمثلا سرجون بعث احدهم الى مدينة موصاصر خلال حملته الثانية[١٠٨] وفي ٧١٠ ق. م أمر حاكم اخر للتوجه الى بابل[١٠٩] اما حكام المقاطعات الشرقية لبلاد آشور فالبعض منهم ذهبوا الى بلاد عيلام[١١٠] اما سنحاريب فيذكر بانه ذهب لنجدة حكام المقاطعات الذين اتجهوا ضد مردوخ ابلا ادنا في مدينة كيش[١١١]. كما ان الرسائل الملكية الاشورية تشير الى مقتل العديد منهم اثناء هجوم الاعداء عليه[١١٢]. كان على حاكم المقاطعة تجهيز الجيش الاشوري بالمؤن في حالة مرور الحملة عبر مقاطعته[١١٣].

اما دور حاكم المقاطعة في العلاقات السياسية وعقد المعاهدات نجده واضحا من خلال الدور الذي لعبه بخصوص استقبال الوفود والسفراء التابعين الى الدول المجاورة لمقاطعة فمثلا عشتار- شم- اقيشا يكتب الى سرجون بان البيل- باختي برئ من الاتهام الذي وجهه له سكان الزكرتو بسبب اهمال وعدم ارسال المعلومات عنهم الى الملك (الرسالة ٢٠٥) وقد ارسل بيل باختي آخر للتفاوض مع سكان بلاد الاناضول (الرسالة ٥٤٨).

من المواطنين الاداريين الرئيسين الى جانب حاكم المقاطعة الشاكن- ماتي - (lu sakin mâti)[١١٤] وهو المسؤول المباشر امام الملك ويمثل السلطة المركزية كما يتمتع بمركز مرموق ضمن الادارة الاشورية. فمثلا يشار الى وظيفته حاكماً لمقاطعة اشور في قوائم اللّمو الاشورية ويأتي مباشرة بعد موظفو القصر الخمسة السالف ذكرهم[١١٥]. لقد كان دوره الاساسي في المقاطعات مشابه الى حد كبير الى البيل-باخيتي. ولو انه على مايبدو من خلال الرسائل الملكية والمرسلة منه الى الملك كانوا يمثلون نطاقا اداريا سياسيا وعسكريا اوسع من البيل- باختي فقد كان تعيينه من الملك نفسه ولهذا ومنذ العصر الاشوري الوسيط والحديث نجد ان بعض المقاطعات الاشورية يكون فيها شاكن- ماتي- باخيتي في آن واحد ماعدا مقاطعة آشور فانها مخصصة للشاكن ماتي، حتى ان قسما من حكام المقاطعات الاشورية كان يتمتع بصلاحيات هذين الموظفين بآنٍ واحد[١١٦]. من الملاحظ بان الشاكن ماتي وحده بين حكام المقاطعات ترك لنا مسلات تذكارية باسمهم تودع في معبد الاله آشور[١١٧]، والرسائل الملكية تشير الى ان صلاحيات الشاكن- ماتي في المقاطعة اكثر من زميله، البيل- باخيتي.





من البديهي فان الاعمال الادارية التي يكلف بها حاكم المقاطعة والتي اوردنا سابقا لابد إن تنفيذها يعتمد على عدد من الموظفين التابعين له[118]. ومن اهم هؤلاء هو راب آلاني (lu rab alan) مسؤول (مشرف) القرى، يقابل حاليا مدير ناحية وبدوره يكون مسؤولا عن وحدات ادارية اصغر وهي ناگو (nagû) وقنو (qannu) وان واجباته هو الاشراف على جمع الضرائب والتي في الغالب تدقق من قبل حاكم المقاطعة قبل ارسالها الى العاصمة. وهوايضا مسؤول عن تطبيق القانون ضمن وحدته الادارية وهناك العديد من الحالات المسجلة بخصوص دوره في الدفاع عن حدود البلاد فمثلا في احدى الرسائل الكاتب يلوم الرب الآني لانه لم يساعده في مهمته العسكرية[119]. كما ان ناسخر- بيل- كاتب الرسالة 424 يؤكد دور الرب الآني في تجهيز الجيش بالمؤن، وكذلك فانه كلف الرب ايلاني في مهمته عسكرية ونتيجة لهذا المهمة فقد طعن الرب- الاني وثلاث من رجاله بسهام الاعداء[120].

ولما كان على حاكم المقاطعة تزويد الجيش الاشوري بالرجال اثناء الحملة العسكرية من ابناء مقاطعته، فلا بد من وجود موظف متخصص باستدعاء وجمع هؤلاء المقاتلين وتقديمهم الى حاكم المقاطعة والذي بدوره يرسلهم الى العاصمة. فان مثل هذه المهمة كانت توكل الى رب كصر (lu rab kisir) وعلى الاغلب تكون لديه احصائية عن اولئك الاشخاص المؤهلين للخدمة العسكرية وعليه تقع مسؤولية تقدير الاشخاص الذين سيؤدون الخدمة العسكرية الفعلية ومن الذي سيكون احتياط. ومن الذي سيكلف باعمال السخرة. فمثلا في الرسالة ١٤٣٢ نجد ان حاكم المقاطعة أُمر شخصيا من قبل الملك للقيام بجمع الرجال بدلا من الرب كصر والسبب هو اهمال الاخير في اداء واجبه- وبعد ان يجمع هؤلاء المقاتلين فانهم يوضعون تحت إمرة احد القربوتو (lu qurbūtu) والذي سينفذ الاوامر الملكية بخصوص التصرف بهم[121].

ومن اجل ضمان قيام الحكام الادارين باعمالهم بشكل كامل ودقيق وخاصة فيما يتعلق بمصير الامبراطورية (الناحية العسكرية) لهذا فقد كان على الملك الاشوري ان يمارس سيطرة مباشرة على ادارة المقاطعات والتي تاخذا اشكالا متعددة.

١- كان على الحكام ان يرسلوا تقارير مباشرة الى الملك. وهذا مؤكد من خلال ارشيفات نينوى وكلخو.
٢- للتاكد من مدى انجاز هؤلاء الحكام لاعمالهم الخاصة بجمع الضرائب فان الملك يوكل الى موظفين اداريين في داخل القصر تدقيقها، وفي الحالات المشكوك فيها فان هؤلاء الحكام حق الاعتراض الى الملك كما يتضح هذا جليا في العديد من الرسائل الملكية مثلا الرسالة ٤٢١ نجد انه مردوك- شم- اوصر يرفع شكوى ضد حاكم مقاطعة بارخالزا على اساس انه خطأ صادر حقلا يعود الى والد المشتكي حيث انه كان جزء من دائرته، ولهذا فانه يلتمس الملك حمايته واعادة الحقل المذكور (قانون الرسالة ٤١٥) والشكوى هنا ضد حاكم مقاطعة اراتخيا وفي هذه الحالات فان قرار الحكم يكون بيد الملك نفسه والذي يتدخل ايضا في القضايا الاخرى في المقاطعات.

### الهوامش

المختصرات انظر .The Chicago Assyrian Dictionary

1. D.D. Luckenbell, Ancient Record of Assyria and Babylonia (Chicago, 1926) Waterman Assyrian Babylonian Letters, Johns, Assyrian Deeds and Documents, E. Forrer, Die provinzeinteilung des





Assyrischen Reiches (Leipzig), 1920), E. klauber, Assyriaches Beamtentum, (Leipzig, 1910).

2. ND, D. J. Wiseman, *Iraq.)* (1950),XIII (1951) xIv (1952), xx (1958), H. W. F. Saggs, iraq XVII (1955) XvIII (1956), XX(1958), XXI (1959) XXv (1963) XXvII (1965) XXvIII (1966), XXv (1963) XXvII (1965) XXvII (1966), NWL, GPA.

3. L.L.Orlin, The Assyrian Colonies in kapadokia (Paris, 1970).

٤- انظر ص ٦- ١٢.

5. W.Andrae, Die Stelenreihe in Assur (Leipzig, 1913), C. Saporetti, "Some considerations on the Stelae of Assur", *Assur* 1/2 (1974) 1- 12.

6. P.Machinist, "Provincial Governors in Middle Assyrian and Some New Texts from Yale", Assur III (1982). J.N. postgate, "Administrative Archives from the city of Assur in the Middle Assyrian period", *Sumer* XLII (1986) 100- 105.

7. P.Rost, Die keilschriftexte Tiglat- pileser III (Leipzig, 1893).

8. Ep.

9. F. Thureau- Dangin, et M. and, Til- Barsip (Paris, 1936) 141- 151.

10. KAH. II 84, 64 = ARI.II 429.

11. Layard, 95: 141- 146, E. Michel, Wo II (1954- 59) 224- 226.

12. Layard 96: 156- 174. E. Michel Ibid. 24.

13. ND 424- GPA. 194.

14. ABL 205.

15. TCAE. 16.

16. J. E. Reade, "The Neo- Assyrian Court and Army: Evidence from the Sculptures", *Iraq* XXXV (1972) 89, 94.

17. ABL 568.

18. ND 455= GPA. 199.

19. ND 2605, see Iraq XX III (1961) 36.

20. P.Rost, Op. cit II, 32. 30- 31; I. 46.

21. P.Rost, ibid II. 14- 16; I. 72.

22. IR. 30, ii; 16- 21.

٢٣- الجبوري. علي ياسين «التوراة مصدراً للتأريخ الاشوري دراسة نقدية» بحث مقدم الى ندوة الدراسات التاريخية في العراق، جامعة الموصل، آذار ١٩٩٠.

---

24. Read. Loc- cit, 94.

*PKOM* III (1917) 5f.

25. ABL. 192- 195, 24+ 729, 1018, CT. 53, 7; 74+ 125; *Iraq* VII, 99.

26. E. Unger, "Stele des bel- harran- bel- uṣur in *PKOM* III (1917) 5f.

٢٧- اورزانا، اصلا ملك مدينة موصاصر (مودجيسر قرب راونلوز حاليا) اصبح حكما تابعا لسرجون الاشوري الثاني في سنة ٧١٤ ق. م.

(F. Thureau- Dangin, Une Relation de la Huitieme Compagne de Sargon, (Paris, 1972) 309, 346, 350, 403.

ثم اضيفت موصاصر الى حدود الدولة الاشورية ووضعت تحت امرة الناكر ايكالي، والذي على الاغلب زير ابني نفسه.

(H.Winckler, Die Keilschriftexte Sargon II (Leipzig, 1889) II. 36: 3- 4 = I. 26: 137- 138).

٢٨- بيل- دوري، معروف في النصوص الاشورية بانه يشغل وظيفة LU rab biti (JADD 467: 7) وانظر كذلك R.H. Pfeifer, state Letters of Assyria (New- Haven, 1935) No. 101,113.

29. Cf. TCAE. 23, NWL 36.

٣٠- كاتب الرسائل التالية:

ABL. 160- 162, 103+ 104- 107; 173, 180, 433, 452 485+ 486- 489 [1635, 1049] 1458; CT 53.82 [144], 628 K. 19147.

31. Sg.II.8: 427; ADD 391: r. 18= ARU 394.

٣٢- كما كان لديه رسائل اخرى مرسلة الى سرجون

ABL. 990. [1081].

33. NWL. 36.

34. ABL 716= Pfeifer. ibid 199.

35. D.J. Wiseman "Assyrian Writing- Boards", *Iraq* XVII . (1955)3- 13; see also NWL. 62- 63.

36. CT 53: 46. (ABL 633+ unpublished). See F. M. Fales, "New Assyrian Letters from the koynjik Collection" *AFO* xxvII (1980) 142- 146.

37. ABL 62 = Pfeifer. ibid. 190; ABL. 221 = Pfeifer 138.

بخصوص تابني انظر

APN. 227

38. ABL 568 = Pfeifer. 99.

39. APN 164- 165; 133, 78, 107.

40. ABL 238 = Pfeifer. 89.

41. JADD. 1936, See also E. klouber ibid. 26.

42. NWL. 46

43. GPA.

44. See Van. Dreil, "Land and People in Assyria: Some Remarks", *Bior* XXvII (1970) 169.





45 NARGD 38 – 46.

انظر كذلك الهدايا والاملاك الممنوحة لـ نابو – شم – اوصر. رئيس رجال البلاط من قبل آشور بانيبال. (NARGD 30 – 31).

46. LAS. 293 = Pfeifer 353.
47. LAS. 415 = Pfeifer 171.
48. ABL. 79 = Pfeifer. 46; 794 = Pfeifer. 45.
49. Pfeifer 107

للمزيد من المعلومات بخصوص هذا انظر

(ABL 306; 336. 964)

50. ABL 476 = LAS. 277.
51. ABL. 1202 = LAS 281 = Pfeifer 350.
52. ABL 266 = Pfeifer 194. Cf. ABL 90 = Pfeife 213
53. ABL 956 = LAS 190.
54. ABL 340 = LAS 76.
55. ABL. 267. Cf. ABL 685.
56. LAS.
57. ABL 356 = LAS 45. Cf ABL 354 = LAS 46.
58. NWL. 53 – 54. Cf J.N. Postgate. S. Dally....
59. TCAE. 7. Cf. pp. 8 – 9.
60. ibid. 230.
61. NWL. 78 – 89.
62. E. Klauber. ibid.; NWL. 46, 78.
63. D. Oates, *Iraq* XXI(1959) 109 – 110. See also NWL. 78.
64. R – C. Thompson, An "Assyrian Parallel to qu Incident in the Story of Samiromes", *Iraq* IV(1937) 35 – 43.
65. D.J.Wisemon, "The vassal Treaty of Esarhaddon, *Iraq* xx (1958).
66. ABL. 1239.
67. H. Lewy, "Nitokris = Naqia, *JNES* XI (1952) 264 – 286, J. Nougayral", Asarhaddon et NoqiCa sur un Bronze du Louver "(AOZO)"*Svria* XXXIII (1956) 156 – 160.
68. ADD 61.
69. HSS. xv. 1: 7 – 14. انظر الجبوري، علي ياسين، «وظيفة الخزانو في العصور الاشورية بحيث مقبول للنشر في مجلة سومر. Haser
70. ABL 65 = Pfeifer. 217.
71 ABL 473. Sec. A.Y. Ahmad, Some New – Assyrian Provinuial Admimistrators. Upnblis h, Ph.D. University of london, 1984,.
72. ABL 419; See also CTWB.
73. HSS. XV.1: 15;22
74. ABL. 150. Cf. ABL. 91; 419; 716; 812.
75. ABL. 150; 710; 1034. ND.
76. Van. Dreil, The Cult of Assur 70; 73.
77. Van. Dreil. ibid 189 – 191; *BiOr.* XXVII (1970) 169 NARGD 5 – 7; 27 – 41, J.N. Postagate, "Some Remarks on CONDitions in the Assyrian Countryside". JESHO XVII (1974) 225 – 243; "The Economic Strudure of the Assyrian Empire" in M.T, Larson. (ed.) Power and Propaganda: A Symposium on Ancient Empires (Copenhagen, 1979) 193 – 223.
78. Van. Dreil, ibid, 179 – 180. NWL. 21 – 23.
79. JADD 642.
80. NWL. 23.
81. LAS. 298 – 316.
82. ABL 43 = LAS 308.
83. NWL. 23 – 24.
84. B.Barker, "Ecomomic and Legal Texts from Nabu Temple at Nimrud". *Iraq* XIX (1957) 125 – 136.
85. D.D.Luckenbell, The Annales of Sennacherib, 54: 54; 57: 13; Cf. 158: 22, 23; 27; 28.
86. AKA. 231: 16 – 17; ARI 569.
87. ASrah. 108: 6 – 14.
88. Abp. II. 12,: 121 – 126, 128 – 131.
89. E.Weidner, *AFO* VIII (1932) 17 – 34.
90. Asarh. 107 – 108; i: 1 – 2, r. iii: 15 – 22, iv: 20 E. Weidrer, ibid. 29 – 34.
91. D.J.Wiseman, *Iraq* xx (1952) 29, i:2 – 5; 31, i: 43 – 45.
92. ABC 156, i: 8 – 17 = ARI.I 321 – 323.
93. ABC 156, ii, 23 – 37 = ARI.II. 285; See PKB. 137 – 144.

وفي حالة مشابهة تزوج ادد – نيراري الثاني ملك بلاد آشور ونابو – شم – اوكن ملك بلاد بابل (ABC. 166, ii: 10 – 11 = ARI 459).

94. Sg.II. 65: 29 – 32; Sg.II.I. 102. J. N. Postgate, *Iraq* xxxv (1973) 31.
95. A.Y.Ahmad, Some Neo – Assyrian provincial Aduinistrators. Unpublished Ph.D. Thesis University of London. (1984) pp.93 – 150.
96. ND 424 = GPA. 794.
97. ABL. 129.
98. ND. 462 = GPA. 195.
99. CT. 53, 1, 19 – 21.
100. TCAE. P. 7.
101. A.Y.Ahmad ibid pp. 114 – 115, Fig. 3.





102. ND. 2386 + 2730, B.Borker, *Iraq* XXI، 23, TCAE 374F.
103. ABL. 122, 127, 153, 630.
104. H.W.F. Saggs. *Iraq* xxv (1963) 148.
105. Nd. 425 = GPA 193.
106. ABL 339 = LAS 293.
107. ABL 43 = LAS 309 See TCAE 247 – 248.
108. Sa. II. 8. 333.
109. Lie. Sg. II. 56: 382.
110. Lie Sa.II. 74:2
111. D.D.Luckenbell, The Annals of Sennacherib 50: 20 – 22.
112. ABL. 101, 144 – 146; 148; 197 – 198.
وانظر كذلك
ABL. 380 – 381, 490 – 491; 619; 1079.
113. GPA. 185 = TCAE. 231; 381; Saggs, *Iraq* xxvlll (1966).
114. Ahmad. ibid. 151 – 197.; Saggs' *Iraq* xxv (1963) 148.
115. اللتو
116. Ahmad. ibid 167; Fig. g.
117. W.Andrae, Die Stelenreihe in Assur (Leipzig, 1913)
118. Ahmad ibid 112 – 143; Fig 7.
119. Nd 403 = GPA 209.
120. Cf. ABl. 1295.
121. See ABL 127, 564, 660, 721' 760, 791, 860'888' 1012, 1019.

# الأوضاع الإجتماعية

أ.د. فاروق ناصر الراوي

**تمهيد :**

تعد دراسة الأوضاع الاجتماعية لمنطقة الموصل من الدراسات المعقدة والغامضة نسبيا ، وذلك لقلة المعلومات المتوافرة عنها وغيابها كليا بالنسبة لبعض الفترات الزمنية التي مرت على المنطقة ، وفضلا عن ذلك فلقد تتابعت على سكنى المنطقة أقوام متعددة ، كما احتك سكانها بأقوام مختلفة . لذا فان ما سنقدمه في الصفحات التالية عن الأوضاع الاجتماعية في المنطقة سيركز على الفترة الآشورية ، ولاسيا في عصريها الوسيط والحديث ، وهي الفترة التي زودتنا التنقيبات الأثرية عنها ببعض النصوص المسارية ، وفي مقدمتها بعض النصوص القانونية والوثائق الاخرى .

ومن الجدير بالاشارة هنا ان حضارة اية منطقة مهما كانت متقدمة ومتطورة ، في فترة معينة ، لاتمثل حضارة خالصة خاصة بسكان تلك المنطقة في الفترة المعنية،وهذا ماينطبق على حضارة منطقة الموصل في الفترة الاشورية ، وهي فترة الازدهار الحضاري في العصور القديمة ، حيث أنها لم تكن حضارة آشورية خالصة ، بل كانت خلاصة ماتوصل اليه الانسان العراقي القديم خلال عصوره المتتابعة من تقدم وتطور حضاري . وقد عرف الآشوريون بمحاولاتهم احياء التراث القديم والمحافظة عليه ، فكان ذلك من العوامل المساعدة التي حافظت على العادات والتقاليد والنظم والقوانين التي نظمت الحياة ، ولاسيا الحياة الاجتماعية التي لاتتغير وتتبدل بسهولة كتغير غيرها من المظاهر الحضارية ، ومع ذلك ، ظلت المنطقة تحتفظ بسماتها الخاصة وصفاتها المميزة .





## التكوين الاجتماعي وطبقات المجتمع الآشوري :

كان المجتمع الآشوري كغيره من المجتمعات القديمة او الحديثة يتألف من عدة فئات من الناس، كان على رأسها الفئة الحاكمة المتنفذة والمتمكنة ماديا والمسيطرة على الأمور الدينية والدنيوية، والأخرى الفئة المحكومة الخاضعة لما تمليه عليها مصالح الفئة الحاكمة، وأخيرا الطبقة المملوكة.

وكان غالب سكان بلاد آشور من الفلاحين والمزارعين الذين يملكون الأراضي او يستأجرونها للزراعة، ويرتبطون عبر سلسلة ادارية متصلة مرورا بالقرى والقصبات والمدن حتى العاصمة التي كانوا يدفعون اليها الضرائب ويؤدون فروض العبادة لآلهتهم المشتركة ويشاركون في الاحتفالات والأعياد، فضلا عن ولائهم المطلق الى الملك الذي كان يمثل الآلهة على الارض "وراعي ذوى الرؤوس السود" دون تمييز من أعلى موظف حكومي الى العبيد، اذ لم تؤد التغيرات السياسية في يوم من الأيام الى تغيير اجتماعي جذري على الرغم من وجود الطبقات الاجتماعية المتباينة، بل اقتصر الأمر على تبدل الملك او العائلة المالكة وحدها.

وقد دخل بلاد آشور العديد من الأقوام المختلفة القوميات، لكنها كانت موحدة في ظل الدولة الآشورية، ولم يكن هنالك تمييز فيما بينها حتى ان بعض الأفراد من غير الآشوريين كانوا من كبار الاداريين كالخوريين والفينقيين وأحدهم انحدر من أصل بابلي. كما أن بعضا منهم عمل في الصناعات الحرفية او في الجيش. بل ان كلمة "اشوراي" Aššuraia الواردة في القوانين الآشورية الوسيطة، وكذلك في العصر الآشوري الحديث، كانت تدل على طبقة العامة وهم كل من سكن بلاد آشور ووقع تحت لواء الأمبراطورية الآشورية.

لقد كان الدين من العناصر التي وحدت المجتمع الآشوري، فوجود معابد مخصصة لآلهة مختلفة، على الرغم من وجود الآله القومي آشور، ربما يشير الى حرية العبادة التي تمتع بها المجتمع الآشوري في وقت تعددت فيه القوميات، خاصة بعد منتصف الالف الثاني ق. م، وكثرت الهجرات المتعددة للأقوام الهندو اوربية، وخاصة الحثية والاورارتية، والميدية، والهجرات الامورية، والآرامية وغيرها. فضلا عن الأقوام التي اتصل بها الآشوريون عن طريق الحرب او السلم كشعوب بلاد ايران - والفريجيين، وقبائل بلاد الشام ومصر وأثيوبيا وليبيا وغيرها. ولقد دأب الملوك الآشوريون الى اسكان الأقوام والقبائل التي اخضعوها تحت سيطرتهم في المدن الآشورية كما فعل الملك آشور ناصر بال الثاني في مدينة كلخو (نمرود) او سرجون الثاني في مدينة دور شرّوكين (خرصباد).

ولعل اللهجة الآشورية التي استخدمت كانت من اكثر العناصر التي وحدت المجتمع الآشوري والتي لم تكن تختلف الا قليلا عن اللهجة البابلية، فضلا عن دخول اللغة الآرامية جنبا الى جنب مع الآشورية في الفترات المتأخرة، حيث كانت لغة رسمية. ولدينا منحوتة تصور كتبة آشوريين وآراميين يقومون باحصاء غنائم الملك تجلا تبليزر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق. م). ان وجود هذا العدد الكبير من الأجانب في الأمبراطورية الآشورية، فضلا عن تربية عدد مماثل من أمراء الدول الحليفة في البلاط الآشوري يمكن ان يقودنا الى الاستنتاج بوجود لغات عديدة كانت معروفة آنذاك، فضلاً عن وجود مترجمين للغات بلدانهم يعملون في البلاط الملكي [1].

### الطبقات الاجتماعية :

على الرغم من ان معرفتنا عن الحياة الاجتماعية الآشورية، مازالت غير متكاملة، لأننا لانملك





سوى القليل من الوثائق التي لاتعكس لنا بوضوح طبيعة التدرج الطبقي، فالمعروف ان المجتمع الآشوري، ككل المجتمعات القديمة، مرّ بمراحل عديدة حتى وصل الى ماهو عليه في العصر الآشوري الحديث، الاّ ان عملية التطور اختلفت من عصر لآخر. وما يمكن ان نستخلصه من أحسن الفترات التي يمكن ان نتعرف من خلالها على طبيعة هذا المجتمع، وهي الفترة الآشورية الوسيطة، من القوانين التي عثر عليها في آشور) يمكننا القول بأن المجتمع كان يتألف من طبقتين رئيسيتين الأولى طبقة الأحرار التي أطلق عليها بالآشورية آويلُ awēlu، أي (الاحرار)، والثانية طبقة العبيد والتي تعرف بالآشورية آردُ ardū أي (العبيد)، فضلا عن طبقة أخرى تعرف باسم آشورايا Aššuraia (الآشوريون). ويبدو ان الطبقة الأخيرة كانت هي الأخرى طبقة حرّة على ان بعض الفقرات القانونية قد ميّزت بين Awelū و Aššuraia وجعلت الأخيرة أقل منزلة.

ويعتقد بعض الباحثين بوجود ثلاث طبقات في المجتمع الآشوري: الاولى، وهي طبقة الأحرار المتنفذة، والثانية Aššuraia أو muškenu وهم جماعة الآشوريين من مختلف الدول الخاضعة او المتحالفة مع آشور، والثالثة Ardū وهي طبقة العبيد المسيطر عليها، الاّ أن الصعوبة تكمن في تساوي الآويلو والآشورايا في بعض فقرات القانون[٢].

كانت طبقة الأحرار او Awelu تمثل الفئة الغنية والحاكمة، وعلى رأسها الأسرة الحاكمة، ومنها الملك الذي اكتسب على مرّ العصور قدسية خاصة باعتباره يمثل الاله في الأرض، ويليها فئة النبلاء وأصحاب الاقطاعات الكبيرة وكبار الكهنة والموظفين العسكريين والمدنيين، وكذلك المتنفذون اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا[٣]. وقد وصلت هذه الفئة الى تلك المنزلة بفضل اغداق الملوك المال والسلطة لها، حتى بات الابن يرث وظيفة أبيه ووصلت ملكيات بعض منهم من الأراضي الى الف هكتار[٤].

اما الفئة المحكومة او المشكينُ muškenu فكانت ايضا من الأحرار وكانت تتألف من جمهور المواطنين وكافة الرعايا العاملين في الحقول والمزارع والحرفيين غير المهرة. وقد راعت القوانين هذه الفئة من خلال الأحكام اللينة نسبيا عليها[٥].

ان هذا التمييز بين أفراد الطبقة الواحدة والاعتراف بوجود اكثر من فئة كان موجودا منذ أقدم العصور السومرية، الاّ انه لم يعتمد اساسا على انحدار الفرد الاجتماعي ومركزه، بل على حالته الاقتصادية. وعلى الرغم من الآراء العديدة حول معنى مصطلحي Awelu و muškenu فان الغموض مازال يكتنفها. فالاولى ترجمت (رجل او سيد اورجل حر)، ولعل الكلمة الاكدية ترتبط في معناها بالكلمة العربية الواردة في القرآن الكريم "اولى الأمر منكم" او بكلمة (أول) وكلتاهما تدل على المركز القيادي للفرد. كما ان هذا المصطلح ورد في النصوص غير القانونية للدلالة على الموظفين ذوى المركز العالي او على اشخاص عاديين وأحيانا حتى على النساء. اما مصطلح muškēnu الذي يقابله في العربية كلمة (مسكين) التي تدل على الخضوع وقلة المال وفقر الحال فمعناه مازال غامضا في النصوص القانونية، اذ ان كافة المواد القانونية الخاصة به في قانون حمورابي مثلا قد نصت على مبدأ التعويض في حالات الاعتداء على أحد افراده في حين نصت على القصاص اذا كان المجني عليه من فئة الآويلو[٦].

اما الطبقة المملوكة وهي طبقة الارقاء فمعلوماتنا عنها أكثر غزارة، فالذكر في هذه الطبقة كان يسمى بالأكدية Ardu (اردو) والأنثى أمتو Amtu التي تقابل كلمة (امة) في اللغة العربية. ولكن في الوقت نفسه ربما عنت كلمة Ardu





(الخادم) ، فغالبا مايكتب الحكام او الملوك الموالين لبلاد آشور الى مليكهم قائلين " عبدك فلان" وحتى الملك نفسه يمكن ان يقول عن نفسه "عبد الآله فلان" ولكن العبد من طبقة الأرقاء كان شخصا اعتياديا دون حقوق قانونية،يمتلكه شخص آخر وله الحق في التصرف به كيفما شاء[٧] .

ولا يعرف بالضبط متى بدأ نظام الرق في المجتمع العراقي القديم ، ولابد أن ذلك ارتبط باولى الحملات العسكرية او الرحلات التجارية . فأقدم النصوص المسمارية التي ذكرت الرقيق تعود الى النصف الأول من الألف الثالث ق. م ، حيث أشارت علاماتها الصورية الى ان مصدرهم كان من المناطق الجبلية الواقعة في الجهات الشرقية من العراق،حيث ازدادت اعدادهم بعد ذلك في الفترات اللاحقة[٨] ، حتى وصل معدل عددهم في كل بيت آشوري في الألف الأول ق. م الى اربعة عبيد[٩] .

وكان هنالك مصدران للرقيق ، الأول خارجي والثاني داخلي. فالمصدر الخارجي كان من أسرى الحروب ، ويظهر أن الملوك قاموا بجلب الأسرى معهم الى بلادهم ، عوضا عن قتلهم ، لكي يقدموا الدليل القاطع على انتصارهم في سوح المعارك واستخدموهم في الأعمال المختلفة ، لاسيما ان بعضهم كان من ذوى الحرف والمهن حتى أصبح عددهم بعد العودة من الحملات العسكرية مدعاة للفخر لدى الملوك الآشوريون ، واكتسبوا أهمية كبيرة حتى أنهم كانوا من ضمن مافرض من الجزية على الأقاليم المغلوبة .

وتشير النصوص الآشورية المتأخرة الى ان الملوك المنتصرين كانوا يحتفظون بقسم من الأسرى داخل قصورهم ، في حين يوزع القسم الباقي على الموظفين العسكريين والمدنيين، وكذلك المعابد في المدن الآشورية كلها[١٠] . الاّ أنهم مع ذلك لم يكونوا عبيدا بكل مافي الكلمة من معنى،اذ غالبا ما أشار ملوك آشور الى ذلك قائلين "جعلتهم كآشوريين" أي انهم ربما كانوا كالآشوريين الفقراء فاذا ماوظفوا في الأرض وبيعت بعدئذ فسيباعون معها ، ولكن لايمكن بيعهم افرادا كما أنهم كانوا يدخلون جنودا في الجيش الآشوري دون الاشارة الى كونهم عبيدا ، ولايوجد مايدل على وجود تمايز بينهم وبين أقرانهم من الآشوريين[١١] .

وكان الرقيق من الأسرى يعيش في اماكن معينة اذ ورد ذكر (بيت الأسرى) وبالأكدية Bit asiri مما يؤكد أنهم كانوا تحت اشراف موظفين مختصين يقومون بتسجيل كافة المعلومات عنهم والحرف التي يتقنونها ويوزعون عليهم الأرزاق شهريا .

اما المصدر الخارجي الثاني فكان عن طريق التجارة ، وعلى الرغم من انه لم تكن هنالك تجارة متخصصة في هذا المجال فان التاجر كان يقوم بهذه العملية باعتبارها جزءا من اعماله الاخرى ويقوم بالاتفاق مع الأفراد او الأسر بغية السفر الى مناطق معينة لجلب اعدادا منهم ، ولاسيما الاناث[١٢] .

وكان داخل البلاد مصدرا من المصادر الأخرى للرقيق ، فثمة احتمال ان يتحول الفرد الحر الى عبد وذلك نتيجة للعوز والحاجة . فقد يبيع الأب اولاده وبناته او زوجته وحتى نفسه لحاجته الى المال لتسديد دين او عدم تمكنه من تربية اولاده او لأي سبب آخر. وقد يخطف الأطفال او يولد أطفال غير شرعيون يلقى بهم في الطرقات او على أبواب المعابد تخلصا من العار الذي سيلحق امهاتهم منهم ، وفي أغلب هذه الحالات يصبح الأطفال ملكا لمن يشتريهم او من يعثر عليهم . كما ان هذا المصدر يشمل ايضا الرقيق المولودين لأبوين من الرقيق ، وكذلك بعض الأحرار الذين أدت جرائمهم ، كانكار الابن لأبيه المتبني او انكار الزوجة لزوجها ،





الى الحكم عليهم بالعبودية [١٣]. كما شمل ايضا بعض الأحرار المنذورين الى المعابد والمقدمين الى آلهة معينة لأغراض خاصة.

اما عمل الرقيق فقد اختلف بالنسبة الى جنسهم اذا كانوا ذكورا ام اناثا. فالذكور عملوا في البناء والزراعة والخدمة في القصور والمعابد وأصحاب الحرف منهم عملوا في بعض الصناعات والمشاغل. اما الاناث فكن يعملن في بعض الصناعات اليدوية وفي البيوت الموسرة خادمات وجوارى للذكور من اعضاء الأسرة [١٤].

لم يتمتع الأرقاء بشخصية كاملة طالما كانوا ملكا لأصحابهم، اذ انهم كانوا يمثلون قيمة مادية ويعدون من ضمن الممتلكات المنقولة، لذا أشير اليهم بالعدد وليس بالاسم، فيقال مثلا «كذا رأس من العبيد»، وكان لمالكهم كل الحق في التصرف بهم كيفما شاء، يبيعهم، او تأجيرهم، او مبادلتهم او اهدائهم، او تشغيلهم والاستفادة منهم، فضلا عن حق التمتع بهم، لذلك لم ينسب الرقيق الى أبيه بل الى مالكه وربما كان يعلم بعلامة خاصة تميزه عن غيره من الرقيق، وتعرف بصاحبه حيث يكتب على رسغ الرقيق اسم مالكه بوساطة الوشم، فاذا انتقلت ملكيته الى شخص آخر كتب اسمه ايضا جنب اسم المالك الأول وهكذا [١٥]. ولانعرف بالضبط ماهية هذه العلامات المميزة التي تدل على الرق، فقد يكون الوشم او الكي بالنار او بكتابة اسم المالك على قطعة من الطين او المعدن مربوطة بسلسلة لايمكن فكها بسهولة تعلق في رقبة الرقيق [١٦]. كما ميّز الرقيق ايضا اذا كانوا خارج بيوت مالكيهم بطريقة قص شعورهم او بوساطة القيود [١٧].

ولما للرقيق من قيمة مادية، فان اسعارهم كانت تتغير من فترة لأخرى ومن مكان لآخر تبعا للتغيرات والازمات الاقتصادية التي تمر بها البلاد، وكذلك تبعا لجنس الرقيق وعمره وقابلياته الجسمية والعقلية والفنية وسلوكه وحتى أصله وعموما وصل معدل سعر الذكر في العهود الآشورية المتأخرة بين ٥٠ – ٦٠ شيقل فضة، فيما كان سعر الاناث منهم بحدود ٤٠ شيقل [١٨].

لقد عدَّ التشريع والعرف الآشوريين العائلة التي ينتمي ربها الى طبقة الرقيق وحدة متكاملة يسري عليها جميع مايسري على ربها من بيع وشراء من قبل المالك ولأي سبب كان، ويشمل فضلا عن رب الأسرة زوجته وأطفاله وأقرباءه. وكان البيع او الشراء يتم بموجب عقد محرر ومشهد عليه يضمن فيه البائع للمشتري عدم خضوع الرقيق للخدمة لدى الدولة وحسن سلوكه وعدم تمرده او هربه وسلامته من الأمراض [١٩].

لقد عدَّ القانون الرقيق جميعا من القاصرين ومنع التعامل التجاري معهم الاّ اننا نجد ان مركزهم قد تحسن كثيرا في العهد الآشوري الحديث، كما ان القوانين اعترفت بحقهم في تكوين أسر شرعية، غير ان الاطفال المولودين من ذلك يرثون العبودية من أبيهم الاّ اذا تزوجوا من أمراة او رجل من الأحرار فيكون الأولاد أحرارا في هذه الحالة. او قد يتزوج المالك من أمته فاذا ولدت له أطفالا واعترف بهم غدت الأمة حرّة بعد وفاته ويحق لأولادها اقتسام تركة أبيهم. كما أصبح لهم الحق بالسكن في بيوت مستقلة. وجاز للفرد منهم ان يعمل لحسابه الخاص، بعد ان يتفق معَ مالكه، في مهنة يختارها لنفسه ويقدم له مبلغا شهريا متفقا عليه يدفع بأقساط ثابتة وبعدها يكتسب حريته، حتى ان قسما منهم نال مركزا يفوق مركز بعض الأحرار وتقلد مناصب حكومية عالية وامتلك الأموال المنقولة وغير المنقولة، ويضمنها الرقيق، وقام بعمليات البيع والشراء والاقتراض واداء الشهادة وختم الوثائق والعقود، حتى أن بعض النصوص أطلقت عليهم صفة Awelu [٢٠].





وبسبب من هذا الوضع والمركز الاجتماعي للرقيق فقد الزمت القوانين الآشورية المالكين تحسين معاملتهم للرقيق فيما حددت العقوبات الواجب اتخاذها بحق كل من يعتدى عليهم حيث اعتمد مبدأ التعويض المادي الباهظ في تقدير عقوبة الجاني ان كان من الأحرار. اما اذا ارتكب رقيق جريمة ضد رقيق آخر، فالعقوبات تبدو سهلة جدا بالمقارنة مع نفس العقوبات المفروضة على الأحرار.

وقد أشارت هذه القوانين ايضا الى محاولات الرقيق للهرب من أسيادهم الاّ انها لم تشر الى العقوبات الواجب اتخاذها بحقهم بل نصت على معاقبة كل من يساعد على هربهم او ايوائهم او احتجازهم او مساعدتهم على ازالة علامة العبودية من أجسادهم بعقوبات قاسية وصلت حد قطع اليد والاعدام وأحيانا التعويض الباهظ [٢١].

## الأسرة والأحوال الشخصية وقوانينها

### الزواج :

ان التغيرات السياسية والتأثيرات الأجنبية، لاسيما ابان الغزو الأجنبي للعراق لم تؤثر على طابع الحياة الاجتماعية العراقية الأصلية بعاداتها وتقاليدها وتقاليد الزواج، ولاسيما عند الأوساط الشعبية، فظلت الى يومنا هذا تحمل نفحة من نفحات الماضي. فقد كانت العادة ان يتم اختيار الفتى لفتاته من خلال ذويه، وليس ثمة اشارات حول خطوبة تمت بين فتى وفتاة دون علم ذويها، بل ان القوانين عدّت ذلك غير شرعي [٢٢]، وكان الزواج يسبقه عادة فترة الخطوبة والتي لم تكن لتتم الاّ بموافقة والدي الفتاة حيث تقدم الهدايا اليها في احتفالات وطقوس خاصة. وقد تضمنت هذه الهدايا الحلي والمواد الغذائية وكان الفتى يقوم بصب العطور والزيت على رأس خطيبته وزوجته المقبلة.
وحالما ينتهي ذلك تصبح الفتاة مرتبطة بخطيبها وأسرته، وقد تطول فترة الخطوبة او تقصر تبعا للظروف، ولكن عند فسخ الخطبة من قبل والد الفتاة تعاد الهدايا التي قدمت اليها مضاعفة. اما اذا فسخ الفتى الخطبة فانه سيخسر كل ماقدمه من هدايا، كما نصّت على ذلك المادة (٤٢) من القوانين الآشورية الوسيطة، واذا توفي الفتى حق لوالده ان يزوج خطيبة المتوفي الى احد اولاده البالغين، فاذا لم يكن لديه جاز له ان يتزوجها هو او يسترد هدايا الخطبة. وفي حالة موت الفتاة كان يحق للخطيب ان يتزوج احدى اخواتها او ان يسترد هداياه [٢٣].

وبعد اجراء مراسيم الخطوبة يتم الزواج ويثبت ذلك بعقد مكتوب، ويشهد عليه الشهود ويبرم بين الرجل وولي أمر الزوجة تماما كما يحدث في الوقت الحاضر وفي بعض الحالات كان من الممكن ان ينوب عن الفتى والفتاة في عقد الزواج أبواهما أو اخوانها ويضمن هذا العقد حقوقا اجتماعية وقانونية للمرأة زوجة وأما وعضوا في المجتمع وواجبها توفير المسكن الهادي لزوجها وأطفالها ورعايتهم، وفي المقابل كان على الزوج ان يوفر مستلزمات المعيشة لافراد اسرته واحترامه واجب وسلطته في منزله هي العليا [٢٤]. وبعد انتهاء ذلك كانت هنالك مأدبة العرس ويليها مايعرف اليوم باسم (الزفة) [٢٥].

لقد كان الزواج يتضمن ثلاثة انواع من المبالغ المنقولة او غير المنقولة او كليهما، الأول يقدمة الزوج الى عائلة زوجته المقبلة (ترخاتوم) لكنه يستردها اذا ماتت الزوجة بدون مولود ذكر. والثاني هو مبلغ او هدية تقدمها عائلة الفتاة عند الزواج (شيريقتوم) حيث يكون وديعة عند الرجل له الحق بالتصرف به مؤقتا فاذا توفي الرجل ولم يكن له ابناء يرثونه فان زوجته ستسعيده. اما الثالث فكان هدية الزوج لزوجته (نودونوم) بعد اتمام الزواج او بما يعرف اليوم باسم (الصبحية) [٢٦].

وكان الزواج بالنسبة للمرأة هو أن تترك عائلتها التي ولدت فيها وتدخل بيت زوجها اوتبقى في بيت





ابيها ، والحالة الأخيرة قد قادت بعض الباحثين الى الاعتقاد بأنها ذات صلة بالزواج المبكر استنادا الى اشارات وردت في القوانين الآشورية عن زواج الأولاد بعمر عشر سنين، فيفترض ان الزوجة الحدث كانت تبقى في بيت ابيها حتى تكون بالغة بما يكفي لكي تذهب الى بيت زوجها[٢٧] .

وكان يحق للزوجة الزواج ثانية اذا غاب زوجها لفترة جاوزت خمس سنوات كما حددت ذلك المادة (٤٥) من القانون ودون ان يترك لها معيلا ولم يكن لها اولاد بالغين[٢٨] . ولكن اذا كان غياب الزوج لأسباب خارجة عن ارادته كالقبض عليه من قبل قطاع الطرق فربما استطاع الادعاء على زوجته حتى بعد خمس سنوات ولكن ذلك متوقف على موقف الزوج الثاني من ذلك . اما اذا كانت أسباب غيابه قاهرة كالخدمة لدى البلاط الملكي فليس لدى الزوجة الحق بالزواج ثانية حتى بعد مرور خمس سنوات .

أما الزوج فيحق له الزواج ثانية اذا كانت زوجته عاقرا او مريضة بحيث يتعذر عليها القيام بواجباتها الزوجية او لسوء أخلاقها . وفي الحالة الاولى كان يحق للزوج في بعض الاحيان اتخاذ أمة لهذا الغرض وحينما تلد أطفالا فانهم سيعدون ابناءا للزوجة[٢٩] . اما في الحالة الثانية فاذا ثبتت خيانة المرأة لزوجها دون ان تثبت انها اغتصبت بالاكراه فكان يحق لزوجها انزال عقوبة الموت بها وبعشيقها مما يدل على حرص المجتمع الآشوري على سلامة العائلة وترابطها . كذلك اذا سرقت المرأة متاعا من بيت زوجها وأعطته لرجل غريب فعقوبتها الموت ولكن الزوج قد يكون رحيما فيقطع اذنيها فقط ، اما اذا سرقت متاع اناس غرباء فعلى الزوج ان يعيد المسروقات الى صاحبها ويقطع اذن زوجته[٣٠] . وفضلا عن ذلك فقد أشارت القوانين الآشورية الوسيطة الى حق الزوج ضرب زوجته وسحب شعرها في حالات معينة[٣١] .

وربما اتخذ الزوج زوجة ثانية ذات منزلة أقل من الزوجة الاولى ، وهذا ماجاءنا من وثائق قليلة من العصر الآشوري الحديث[٢٣] ، ولدينا عقد زواج من العصر الآشوري القديم (بداية الألف الثاني ق .م) نص على منع الرجل من اتخاذ زوجة ثانية اواية خليلات، وكان الزواج من ارملة لايصبح شرعيا الاّ بعد معاشرتها لمدة سنتين ، أما الزواج من الخليلة فكان يمنحها مرتبة صورية مع الحجاب وكان الرجل اذا أراد ذلك فعليه ان يحجبها امام خمسة او ستة من جيرانه ويعلن ذلك أمامهم[٣٣] . كما ان القوانين حددت المحارم بالنسبة للرجل فلا يجوز له الزواج من امرأة متزوجة او الاتصال بالابنة وزوجة الابن اوالأخت وعاقبت كل من يتصل بأمه بعد وفاة أبيه بالموت حرقا هو وأمه[٣٤] .

**الطلاق :**

كانت العلاقة بين الزوج وزوجته مشابهة للعصر الحديث فهنالك الحب والانسجام بين الشريكين مثلما تكون المنازعات بينهما والتي ربما أدت الى الطلاق . وحينما يحدث ذلك كان يثبت بعقد مكتوب بحضور الشهود وقد يستلزم ذلك قطعه لحاشية ثوب مطلقته أمامهم . ولم يكن الزوج ملزما لاعطاء مطلقته تعويضا ، على الرغم من انه في بابل كان هنالك ذكر لنقود دفعت بعد الطلاق للمرأة المطلقة ، لذا فانها كانت تعيد الهدايا التي اعطيت لها عند الزواج[٣٥] . اما في حالة مرض الزوجة العضال وكان لديها اولاد فلا يحق لزوجها تطليقها وانما الزامه باعالتها مدى الحياة ولكن اذا لم يكن لها اولاد حق له طلاقها وهذا يعرف بـ (الطلاق العادل)[٣٦] .

ولم تكن للمرأة حقوق مماثلة للطلاق كما للرجل ، فاذا جازفت بالاعلان عن مثل هذه الرغبة فانها ستواجه عقوبة شديدة[٣٧] . ولكن في حالات معينة كاخلال الزوج بالتزاماته الزوجية مثلا او





بسبب عشيقته كان يحق للمرأة طلب الطلاق[٣٨] .

**التبني :**

عرفت الأسرة الآشورية نظام التبني وكان للابن المتبني حقوق تساوي حقوق الابن الشرعي . وكان يحق لأي شخص تبني واحد او اكثر من الأطفال الذكور اوالاناث،ويتم ذلك بموجب عقد مكتوب امام الشهود،وكان على الأب ان يعلمه ويثقفه وبالمقابل فان الابن المتبني عليه احترام والده[٣٩] . وكانت دوافع التبني عدم قدرة الزوجة على الانجاب او اذا لم يكن للزوج من يرثه او يقوم بمراسم دفنه بعد وفاته او لغرض تكريس الابن او الابنة للخدمة في أحد المعابد عندما يكبر او لغرض بيع وشراء الأراضي التي لايمكن نقل ملكيتها ، وأخيرا لتعلم مهنة الأب المتبني[٤٠] ، حيث ان نظام الوراثة كان متأصلا في المجتمع الآشوري،فالابن يتعلم صنعة أبيه ويشاركه العمل حالما يكون بمقدوره المشي وكان الحرفيون المهرة يتعهدون الأولاد ، كما تشير الى ذلك النصوص الكثيرة التي الزمت التعهدات على كلا الطرفين[٤١] .

**الارث :**

وكان على نوعين :

أ- توزيع ممتلكات الشخص في اثناء حياته او (الهبة) كهبة الأب لابنه او الزوج لزوجته . وفي هذه الحالة ربما اقتطع الزوج قسما من عقاره ليكون لزوجته بعد وفاته ولكن قانونا سيبقى قسم من عقاره طالما هو على قيد الحياة .

ب- توزيع ممتلكات الشخص بعد وفاته (التركة) مثل حصة الاولاد والبنات من تركة الأب وحصة الزوجة من تركة زوجها ، وكان الابن والزوجة يأخذ كل منها نصيبا واحدا ،وللابن الاكبر الحق في أخذ النصيب الأول (الأكثر)،اما البنات فكن يأخذنّ جهازهنّ من تركة الأب فيما خصصت حصة تساوي ثلث حصة الذكر الى البنت من صنف الكاهنات التي لم تحصل على هدية زواج قبل وفاة أبيها .

وفي حالة وفاة الزوج وتركه صبية صغارا تكون الزوجة وصية عليهم،واذا تزوجت ثانية فسينتقلون مع امهم الى بيت الزوج الثاني ، وتقع على كليهما مسؤولية المحافظة على تركتهم ويثبت ذلك في وثيقة محررة . واذا كان للأب اولاد من امته واعترف بهم فسيصبحون أحرارا بعد وفاته ويأخذون نصيبهم من التركة ، أما اذا لم يعترف بهم فسيصبحون أحرارا بعد وفاته دون أخذ اي شيء .

اما اذا توفيت الزوجة فان تعيين حصص الورثة لم يختلف كثيرا ، ولكن اذا كان الابناء من اثنتين من الزوجات فسيرث كل من الابناء تركة الأم على انفراد في حين يتقاسمون تركة الأب بالتساوي[٤٢] . وعلى اية حال فان كل ماتمتلكه المرأة حتى لو انها استرجعته معها الى اسرتها سيكون لأولادها ويستطيع الزوج في الوقت نفسه ان يحرم احد ابنائه من الارث[٤٣] .

**مركز المرأة :**

لقد تمتعت المرأة الآشورية بحرية القيام بالاعمال المختلفة ،وخاصة في العصر الآشوري القديم ، ولكن في العصر الآشوري الوسيط تدهورت مكانتها وأصبحت تباع مع اطفالها في حالة عدم قدرة زوجها على دفع مابذمته من ديون او قد يضعها زوجها تحت عبودية الدائن ، وعند الطلاق لا يدفع لها زوجها شيئا ، واذا أخذت حاجة من بيت زوجها دون موافقته فستتهم بالسرقة وتعاقب عليها . لكن





المرأة استعادت مكانتها في العصر الآشوري الحديث فمارست شتى الاعمال فظهر بعضهن تاجرة وشاهدة وكاتبة وقاضية واشترى بعضهنّ الأراضي والعبيد ورهنّ الدور وشاركن الرجل في المناصب الحكومية العالية[٤٤].

اما النساء الآشوريات الحوامل فكنّ يخضعن لعناية دقيقة، على الرغم من أن ذلك كان قضية سحرية بحتة تضمنت الالتزام بالتمائم والطقوس والتعاويذ، فهنالك احجار تربط حول خصر المرأة لتساعدها في الولادة ووصفت لها بعض الأدوية مخلوطة بالزيت والنبيذ، كما ان المسح بالمراهم كان شائعا. واستعملت ايضا الادوية النباتية كلحاء اية شجرة تمضغه المرأة في اثناء آلام المخاض ليساعدها على الولادة، وهنالك ذكر لنوع من الأوتاد الخشبية يدحرج فوق بطنها، وكل ذلك كان يتم بمساعدة القابلات ذوات الخبرة وضمن حدود معينة فرضها الساحر الديني (المعزم)، فاذا لم تلتزم المرأة بها فستعرض نفسها ووليدها لخطر الشيطان المفزع الذي كان يزهق روح الأم ووليدها[٤٥].

**الحجاب:**

يعد الحجاب عند الآشوريات من أعلى المراتب شرفا. فالمرأة المتزوجة يجب ان تتحجب بين العامة، وكان ذلك يعدّ من العلامات المميزة لها في القوانين الآشورية الوسيطة، كما نصت بذلك المادة (٤٠) منها فيما حرم التحجب على الاماء والجواري، الاّ اذا تزوجن من رجل حر وأعلن ذلك امام شهود[٤٦]. واذا ضبطت احدى الاماء او الجواري مرتدية الحجاب فانها ستتعرض لعقوبة قاسية تصل الى خمس عشرة ضربة عصا، ويوضع على رأسها القار[٤٧].

ولا نعرف طبيعة التحجب أكان بوضع الخمار على الوجه فقط ام ارتداء العباءة التي تغطي الرأس والوجه والجسم، اذ لم يعثر على منحوتات او نصوص مسمارية تخص الحجاب[٤٨].

**الأولاد:**

ربما كان الأطفال الذين يصلون مرحلة البلوغ يشكّلون نسبة ضئيلة من ضمن المواليد، فالنصوص السحرية المعدة للحماية ضد خطر الشياطين التي تهاجم المولود وأمه في بداية حياة الطفل تتحدث عن البكاء على "اطفال صغار ماتوا قبل أوانهم" وكان هذا مقدرا على العائلة المالكة وبقية عوائل الشعب على حد سواء، وليس أبلغ من ذلك ان اسم الملك الآشوري سنحاريب يعني "الاله سين مكثّر الأخوة". وحتى عند ولادة الطفل بسلام كان يبقى تحت الخطر اذا ماجف ثدى الأم عن ادرار الحليب، وعلى الرغم من ان ذلك كان سهلا بالنسبة للموسرين باستخدام المرضعات فانه كان بالنسبة للفقراء يعني في أغلب الأحيان موت الطفل.

ولم يولد كل الأطفال اصحاء البنية، فذوو العاهات قد ذكرتهم النصوص ايضا فنجد مثلا طفلا ولد بقدم واحدة او خنثى او توأمين سياميين، وفي المقابل نجد اشارات حول ولادة اربعة توائم أصحاء. والطفل الصحيح الحديث الولادة كان يوضع في سلة كسرير له، وحينما يكبر قليلا فان امه او مربيته كانت تضعه في حمالة تشدها على ظهرها لكي تتمكن من التنقل به، وهو تقليد مازال موجودا في الشرق.

وكان الميل الى الأولاد الذكور اكثر من الاناث، لاسيما ان الذكور كانوا يعملون مع والدهم منذ الصغر ويتعلمون حرفته اومهنته. اما أولاد الموسرين فكان يخصص لهم مدرسون لقاء أجور معينة او يرسلون الى مدارس خاصة لتعلم حرفة الكتابة او تعلم الرماية وركوب الخيل. ويخبرنا آشور بانيبال (القرن السابع ق. م) كيف انه "درس حكمة نابو واستكشف فن الكتابة الخفي، وتعلم الرماية بالقوس وركوب العربات والخيل وكبح جماحها...."[٤٩].





ولم يكن للأولاد شخصية قانونية مالم يبلغوا السن القانونية ، فاذا تم ذلك كان على الوالد ان يبحث لهم عن الزوجة المناسبة ويجهزهم بما يحتاجون اليه من أثاث وهدايا وأموال ، اما البنات فكان على الأب ان يجهزهنّ للزواج ويخصص لهنّ مالا يتناسب وثروته كهدية لهنّ[٥٠] .

## الحياة اليومية والتقاليد الاجتماعية

### السكن :

كشفت التنقيبات التي أجريت في انحاء مختلفة من العراق عن العديد من الأحياء السكنية الخاصة بعامة الناس . ويبدو أن هنالك طرازين من البيوت شاعا في العراق ! الأول يضم عددا من الغرف المتلاصقة يكون سقفها مائلا الى أحد الجوانب او الى الجانبين بهيئة "الجملون" وهي معروفة في شمال العراق حتى الوقت الحاضر باسم (دام) . اما الطراز الثاني فكان يتألف من ساحة وسطية مربعة او مستطيلة مكشوفة يحيط بها عدد من الغرف المتلاصقة تراوح عددها بين واحدة وعشر غرف تطل مداخلها على الساحة ، وقد تتصل بمداخل صغيرة بعضها ببعض ، وينفذ الى داخل البيت عبر مدخل ضيّق منخفض يليه ممر ضيّق ، ومدخل البيت يطل مباشرة على الطريق اوالشوارع الفرعية الضيّقة .

وكان مخطط البناء ومواده وتأثيث البيت مرتبطا بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي ، وربما الحرفي لمالكه ، وبعدد افراد الأسرة والخدم والعبيد ، ولذلك ربما ضمّ المنزل الواحد طابقين.

وقد حددت القوانين أجرة بناء الدار استنادا لمساحته والعقوبة لمن شيّد دارا وسقطت وقتلت احد سكانه كما جاء في المادتين (٢٢٨ و ٢٣٣) من قانون حمورابي .

لقد جعل العراقيون القدماء بيوتهم بسيطة تقوى على مواجهة التقلبات المناخية لذا استعاضوا عن الشبابيك الواسعة بفتحات صغيرة مربعة او دائرية للتهوية والانارة كانت تغلق في الغالب بقطعة مثقبة من الآجر تسمح بدخول الهواء والضوء وتمنع دخول الحيوانات . وجعلوا جدران البيت سميكة واستخدموا الرمل الجاف في أسس الابنية والأخشاب والحصران للتسقيف وطلوا الأوجه الداخلية السفلى من الجدران بالقير لمنع تسرب الرطوبة اليها فيما طليت الجدران من الخارج في الغالب باللون الأبيض لكي يعكس وهج الشمس الحارة في الصيف . وكانت أرضية الساحات والغرف تبلط بالآجر احيانا ، وغالبا بطبقة من الطين الممزوج بالقش او التبن (تبنو)[٥١] . وقد بنيت البيوت من اللبن او الطابوق ، وأحيانا من القصب واستعملت الدعامات الخشبية والأبواب وعضاداتها واقفالها في البيوت الموسرة[٥٢] .

اما الانارة فكانت تتم بوساطة المشاعل المكونة من حزمة من القصب غطيت بالزيت اوالقير او بوساطة المسارج على شكل الحذاء والتي كانت ترمز لآله النار (نسكو) . والمسرجة تتكون من اناء صغير للزيت مع فتيلة صنعت من القصب او الصوف تبرز للأعلى من خلال ثقب صغير . والوقود المستخدم هنا هو زيت السمسم او زيت الزيتون ، اضافة الى وجود اشارات عن استخدام النفط الخام الذي كان يسمى (زيت الحجر) . وكانت تدفئة المنازل شتاءا تتم بحرق اغصان الأشجار او فضلات الحيوانات داخل مواقد صنعت من الفخار[٥٣] .

### أثاث المنزل :

على الرغم من أن النصوص المسمارية قد زودتنا بقوائم مفصلة ومفهرسة لكل شيء تقريبا ويضمنها





اثاث المنزل ، فان معظمها بقي غير معروف لحد الآن . ولم تكن كل عائلة في آشور القديمة تمتلك قطعا من الأثاث المتنوع ، فالفرد العادي ربما عاش حياته دون أثاث عدا حصران قليلة كانت لأغراض الجلوس او النوم وفي نهاية حياته للدفن .

من القطع الأساسية في تأثيث البيت الآشوري المقعد المصنوع من القصب على هيكل خشبي ، ولكن أثرياء المجتمع الآشوري كانت لديهم مقاعد صنعت من أخشاب قوية وطعمت بالعاج او الذهب . اما المقاعد الطويلة المعمولة من اللبن او الطابوق ونادرا ماتصنع من الخشب والتي كانت تثبت على طول الجدران ، وظهرت دلائلها الآثارية منذ عصور مبكرة في المعابد والمنازل ، فان مصادرنا عنها في الفترة الآشورية الحديثة قليلة قياسا الى الفترات السابقة(٥٤) . ويبدو ان افراد أسر العوائل الفقيرة كانوا يجتمعون قعودا على الأرض بعد فرشها بالحصران(٥٥) .

وهنالك ادلة آشورية غزيرة عن الكراسي ذات الهياكل المصنوعة من أخشاب مختلفة زينت في بعض الاحيان بتطعيم من البرونز اوالعاج المنقوش او الفضة او الذهب ، وربما غطي مقعدها بالحصران او ليف النخيل وحشي باللباد ، وأحيانا كانت تزود بأغطية كتانية سائبة على جوانبها ، وكذلك مساند او اعمدة يرفع عليها قطعة قماش تقي الجالس عليهامن وهج الشمس ، حيث كان لدى الملك الآشوري سنحاريب مايماثلها .

اما المناضد فقد صوّرت على المنحوتات ، وكانت تصنع عادة من الخشب وربما طعمت بالمعادن الثمينة ، وفي بعض الاحيان صبّت المنضدة من البرونز. وكان هنالك نموذج شائع للمناضد في آشور في الألف الأول ق. م بشكل مربع صغير متناسق ذى اربع أرجل مزخرفة قد تنتهي بشكل ظلف الثور. كذلك استخدمت الملاءات المعمولة من الكتان لتغطية المناضد ، فضلا عن المناديل التي كانت تقدم الى متناول الطعام ليجفف بها يديه بعد غسلها عند الانتهاء من تناول الطعام . ومن مستلزمات المناضد الملاعق التي صنعت عادة من الخشب او المعدن ، وأحيانا من العاج وكانت الملاعق في عصور مبكرة تصنع من القار، على الرغم من أن طريقة الأكل الشائعة كانت بوساطة اليد ، ووجد مايشابه الشوكات ذات أصبع واحد مصنوعة من العظم . وهنالك ايضا السكاكين والشفرات (المدى) المصنوعة من البرونز او الحديد ، وكذلك الصوان الذي استمر استعماله منذ العصر الحجري الحديث ، وقد عرفت ايضا السكاكين الصغيرة او (المطواة) .

اما الأسرة فكان استعمالها محدودا، وفي الأسر المترفة كان استعمال السرير مقتصرا على رب الأسرة ، أما بقية افراد العائلة فكانوا ينامون على الأرض ويلتحفون الجلود او "البطانيات" كما أشارت النصوص المسمارية لذلك ، وربما استخدمت الدكاك لغرض النوم اضافة للجلوس(٥٦) . وقد صورت الأسرّة الخشبية على المنحوتات الآشورية وذكرت كثيرا في النصوص الطبية حيث ان المريض كان يمدد على السرير(٥٧) .

صنعت الأسرّة عادة من هيكل خشبي شد بالحبال او النسيج الداخلي للقصب او بشرائط معدنية ، وبعضها جهز بجوانب خشبية . وكان السرير يستند على ارجل خشبية ربما كانت بأشكال مزخرفة او نحتت نهاياتها بشكل ظلف الثور او بشكل المخلب . اما أسرة الملوك فربما صنعت من الذهب او الفضة او كفتت بالعاج المنقوش . وكان هنالك الفراش الذي حشّي بالصوف او شعر الماعز او ليف النخيل وكانت اغطيته من الكتان او الصوف ، ويحتمل بأن تكون هنالك وسائد ، وقد استعملت كذلك مكملات للأسرّة ، وحصران





وضعت على الأرض من جانب واحد من السرير او من كلا جانبيه(٥٨).

وكان المطبخ يشغل احدى الغرف الصغيرة او زوايا الساحة الوسطية حيث ضم موقدا للطبخ وتنورا للخبز، وقد ضم المطبخ بعض الخزانات التي تراوحت بين علب صغيرة من الخشب او الجلد الى الخزانات الكبيرة المصنوعة من الخشب والتي امكن تمييز نوعين منهما استخدما لحفظ الخضروات. وربما استخدم القصب ايضا لصنع الخزانات الكبيرة والتي اذا ماطليت بالقار من الداخل كان بامكانها حفظ الأوعية ذات السوائل. واستخدم العاج ايضا، الاّ انه اقتصر على بضع علب صغيرة نظرا لارتفاع ثمنه(٥٩).

ومن الأدوات الأخرى أوان كبيرة من الفخار لحفظ الماء، وطاسات من الخشب او النحاس لحفظ الطعام والسوائل، وجرار خزفية وقدور، وقوارير شرب خزفية او معدنية، وقناني زجاجية، وكؤوس، وأطباق، وصحون، وحباب، وطاوات، ومدقات، وهاونات، ومطاحن، ومجارش، وطاسات، ومغارف طينية، وامثلة نادرة من الأدوات المنزلية من الفضة او الذهب، فضلا عن جرار خاصة لخزن النبيذ تتسع الواحدة منها لعدة غالونات عثر على امثلة لها في نمرود(٦٠).

**الأزياء:**

ان معظم مصادرنا عن الملابس في آشور تتركز على نوعين رئيسيين: الأول هو المعاجم اللغوية، على الرغم من ان معظم الصيغ الواردة فيها والخاصة بالملابس بقيت غير معروفة لحد الآن، والثاني هو الاعمال الفنية كالمنحوتات، والنقوش البارزة، والصفائح المعدنية، والنقوش العاجية، وأخيرا الأختام الاسطوانية(٦١).

كانت الملابس في الغالب تخدم مفاهيم سحرية حيث لعبت الألوان دورا في هذه المفاهيم، وبخاصة اللونان الأبيض والأحمر(٦٢). فالملابس الاحتفالية للملوك وكبار الكهنة كانت تعد رمزا للوراثة على العرش(٦٣)، فيما تألف رداء الملك الاعتيادي والذي نراه ممثلا في المنحوتات البارزة من قطعة تلف حول الجسم كالسارى بحيث يشكّل احد طرفيها قميصا والآخر غطاءا للرأس والكتف، وكان يزين بوفرة بالحلي والمجوهرات على شكل ورود مزخرفة بمشاهد دينية، وقد صنعت هذه الحلي من الذهب، والفضة، او البرونز(٦٤). وتراوح هذا القميص بين الطول والقصر وحينما ينزل الى أسفل الركبة يكون الجزء الامامي منه او من جانبيه مفتوحا وينتهي بشراشيب(٦٥). وفي حالات الصيد والحروب ارتدى الملك ملابس بسيطة الشكل مشابهة لما هو معروف اليوم باسم (الدشداشة).

اما الرجال من الموظفين العسكريين او المدنيين فقد ارتدوا قميصا يصل حتى الركبة وفوقه عباءة صنعت عادة من الصوف وأحيانا من الكتان او القطن ونادرا من الجلد وألوانها تضمنت الأزرق، والأحمر، والأرجواني، والأبيض. وقد نصت المراسيم الملكية على أنه اذا اقترف احد رجال الحاشية ذنبا فان عباءته ستخلع عنه، وفوق العباءة مباشرة كان هنالك رداء يشد على الرقبة يشبه رداء الكاهن الكنسي.

أما ملابس العامة والجنود المشاة فكانت قميصا فضفاضا لايتجاوز الركبة قصير الأكمام يشده حزام على الخصر والقسم أسفل الحزام كان متساوي الطول في الشراشيب العمودية، اما الجزء العلوي منه فنشاهد في بعض الأحيان اربطة جلدية تنحدر مائلة من كلتا الكتفين وتتقاطع عند الصدر.

وملابس النساء مكونة من قطعة قماش تمر بين ساقي المرأة لتغطي عورتها وتربط حول وسطها وفوقها وزرة فضفاضة من الكتفين حتى الكاحل قصيرة الأكمام ويشد على الوسط زنار(٦٦). فيما كانت ملابس الملكات تتألف من ثوب يصل حتى





القدمين وعلى الكتف شال عريض مزين بحلي دائرية صغيرة الحجم وينتهي الثوب والشال بشراشيب كثيفة وأروع نموذج هو ملابس الملكة آشور- شرات زوجة الملك آشور- بانيبال[٦٧] .

اما لباس الرأس فكانت العمامة لرجال الدين وتزين بشريط واحد،والتاج بالنسبة للملوك والذي زين بعدة شرائط مدلاة على شكل زهرة وأفضل مثال لدينا هو تاج آشور بانيبال . اما العامة من الرجال والنساء فقد ارتدوا مايشبه عصابة الرأس لكي يبقوا شعور رأسهم مشدودة[٦٨] وقد تميز الملوك الآشوريون بلحى كثة وشوارب طويلة وشعر مموج طويل لايغطي الآذان لكنه يتدلى بانسياب على الكتفين[٦٩] . وحلق الكهنة والاطباء شعر رؤوسهم تماما اشارة الى انتمائهم الى تلك الوظائف، اما الذين ظهروا على المنحوتات وغيرها بدون شعر الوجه فيحتمل أنهم كانوا اما فتيانا او مخصيين. وكان شعر النساء طويلا يساعده في بعض الأحيان ، كما ذكرت النصوص ، شعر مستعار يشد باحكام بعدة ظفائر، أما الجواري والاماء فقد ميّزت بالشعر المعقوص .

واستخدم الآشوريون الاحذية ، وكان الشكل الشائع منها هو الخف بكعب ربط بسير جلدي يمر فوق القدم وحول أصبعها الكبير،وهنالك ايضا حذاء يغطي كامل القدم له جزء فوق تقوسها صنع من مادة مختلفة ربما كانت قماشا طرّز بالجلد اضافة الى الجزم الطويلة التي ارتداها الصيادون عادة والرجال اثناء الحروب وكانت تلبس على جوارب طويلة ومقدمتها كانت من القماش ، اما البقية فمن الجلد . أما معلوماتنا عن أحذية السيدات فهي أقل غزارة ، ولكن لدينا لوحة لزوجة آشور- بانيبال ترتدي نوعا من الشباشب تغطي واجهة القدم[٧٠] .

**الحلي ومتطلبات الزينة :**

ارتدى الرجال والنساء على حد سواء المجوهرات ، رغم انها كانت غير متشابهة ، فنساء العامة ارتدين الخلاخل وهو تقليد استمر بين النسوة الريفيات في العراق حتى الوقت الحاضر. اما نساء الأثرياء فقد ارتدين حلياً زينت صدورهنّ صنعت من مواد نفيسة واحجار كريمة ، وبعضها تضمن قلائد من العقيق الأبيض وبسلسلة ذهبية وجد ما يماثلها في القبور وارتدى الرجال ما يشابهها وقد عرف ذلك من عقيقة حملت كتابة مسمارية تذكر « جوهرة رقبة تعود الى توكلتي- ننورتا الثاني » العاهل الآشوري الذي حكم بين ٨٩٠- ٨٤٤ ق. م.

وربما ارتدى الرجل ايضا تعويذة سحرية في رقبته بشكل رأس عفريت كتب عليها عبارات سحرية لابعاد الشياطين. وارتدى الرجال والنساء من الأغنياء الأساور في معاصمهم والتي مثلت في المنحوتات ، وكثيرا ما كان بها زينات بشكل ورود تجعلها تبدو وكأنها ساعات الرسغ . وارتداء الاقراط للرجال والنساء كان ايضا شائعا وهي ذات شكل هلالي صنعت من الذهب او الفضة ولحمت بها اشكال متدلية وقد صوّر توكلتي- ننورتا الأول ١٢٤٤- ١٢٠٨ ق. م على منحوته مرتديا الأقراط .

استعمل الآشوريون مرايا ذهبية ، وفضية ، او برونزية كانت تصقل بنوع خاص من الجلد ، وكذلك الأمشاط التي صنعت من الخشب او العاج ، فضلا عن شفرات الحلاقة ، وعلى الرغم من أنه ليس لدينا تفاصيل عنها ، فانها كانت على مايبدو حادة جدا بدليل حافات الشوارب واللحى المحددة بدقة . وكما في كل العصور كانت هنالك مشكلة الشعر الأشيب التي عولجت باحد المحاليل وبالتعاويذ السحرية .





اما النساء فقد استعملن الكلابات او الدبابيس وكمكات الشعر المصنوع بعضها من العاج او الخشب وكذلك المستحضرات التجميلية للعيون والبشرة. وقد عرف الكحل منذ الألف الثالث ق. م ، فالآلهة السومرية اينانا عندما كانت تستعد للنزول الى العالم الأسفل وضعت على عينيها مرهما يدعى "ليته يأتي ، ليته يأتي" وكانت هذه المستحضرات في آشور تصنع من عجينة الأثمد وتوضع على العين، بوساطة دبوس من العاج المنقوش.

اما الدلائل على استعمال احمر الشفاه فهي غير مؤكدة ماعدا ورود أحدى الصيغ السومرية في احد النصوص المعجمية والتي تعني "عجينة الذهب" وبالأكدية "خضاب الوجه الأحمر" (٧١) .

## المأكولات والمشروبات والمؤن :

كانت الغلّة الرئيسة لدى الآشوريين هي الشعير، تليها الحنطة بالدرجة الثانية ، والحبوب الشائعة الأخرى كانت الدخن ، وهنالك احتمال في أن الرز دخل بلاد آشور في الألف الأول ق. م. ومن النباتات الأخرى العدس والحمص ، والبصل ، والثوم ، واللفت ، والكراث ، والخيار، والأعناب ، والتين ، والزيتون ، والرمان ، والتمور، والكمون ، والكتان،والقطن الذي أدخله سنحاريب عام ٧٠٠ ق. م واستخدم في صنع الأقمشة (٧٢) .

وقد احتوت المائدة الآشورية على انواع مختلفة من المأكولات ، وكانت وجبات الطعام تتألف من الخبز المصنوع من الحبوب التي كانت تطحن وتعجن بدون تخمير ثم تخبز اقراصا رقيقة وبأحجام مختلفة ، فضلا عن البقوليات والفواكه والخضروات ولحوم البقر، والأغنام ، والماعز، والخنازير، والبط البري ، والوز، والحمام، والدجاج ، والاسماك ، والحليب ومشتقاته ، ووردت العديد من المأكولات في المصادر المسمارية ومنها (الكبة) وهنالك اشارات عن اكل الجراد ، لكنه لم يكن غذاءا رئيسا بل نوعا من انواع الترف. وصنع من دقيق بعض الحبوب انواع من الكعك والحلويات بعد خلطه بالعسل والحليب وزيت السمسم وبعض الفواكه (٧٣) . اما الشراب فكان يوزع بمعدل يزيد عل الغالون للفرد الواحد ، وكان يتألف من الجعة المستخلصة من الشعير وعصير التمر او نبيذ العنب ، حيث يخمر المزيج لمدة يومين او ثلاثة ثم يقدم (٧٤) .

وخزن الآشوريون الحبوب والسوائل مؤنا لهم وقت الحاجة في مخازن البيوت الخاصة اوالمخازن الكبيرة الخاصة بالقصر او المعبد ، فضلا عن مخازن الغلّة التابعة للجيش للاستفادة منها وقت الحروب (٧٥) . وخزنوا بعض انواع اللحوم وذلك بتمليحها وتجفيفها مع أن أكل اللحوم كان محددا بصورة عامة لكنه يزداد ايام الاحتفالات والأعياد (٧٦) .

## وسائل النقل اليومية :

استخدم الآشوريون وسائط نقل برية ونهرية ، فوسائط النقل البرية كانت مرتفعة النفقات ، حيث استخدمت عدة أنواع من العربات الصغيرة (٧٧) في حين استخدم الجيش عربات خفيفة صّورت على المنحوتات الآشورية تعقبها عربات صغيرة ذات عجلتين تنقل الأسرى من النساء والأطفال ، واستخدمت الحمير لجر مثل هذه العربات (٧٨) . اما الخيول التي استخدمت لسحب العربات الاحتفالية وكذلك لصنف المركبات والفرسان فقد دخلت العراق من الشمال او الجزء الشمالي الشرقي منه في الألف الثالث ق. م ، واصبحت ذات اهمية كبرى في آشور في الألف الأول ق. م واستخدمت الذكور منها بصورة خاصة





للأغراض الحربية. وكان هنالك جنسان شائعان من الخيول وبعدة الوان ماعدا البيضاء التي استخدمت للمناسبات الدينية. وقد تلقت الخيول نفس العناية التي لاتزال تتلقاها حتى اليوم.

اما الحمير والبغال والجمال فقد استخدمت لنقل البضائع للاغراض التجارية، فالحمير، فضلا عن سحب العربات الصغيرة، كانت تستخدم للتجارة مع وسط الأناضول، كما استخدمت كحيوانات ركوب ضمن وسائل الاتصال الملكية في آشور في الالف الاول ق. م اذ كانت اكثر أمنا من الخيول في الاراضي الصخرية في حين استخدمت البغال لأغراض الحمل والسحب اكثر من الركوب[٧٩]، ماعدا الجمال التي استخدمت للنقل التجاري عبر الصحراء العربية[٨٠].

وازاء ذلك كانت وسائط النقل النهرية ارخص ثمنا وتضمنت السفن والمراكب الشراعية والقوارب التي صّورت بكثرة على المنحوتات الآشورية واستخدمت لنقل البضائع مقابل اجرة معينة للملاح[٨١]. وللأهمية الكبيرة للنقل النهري عند الآشوريين جهزّت مدينة كلخو (نمرود) بمسناة عرضها ثلاثون قدما مؤلفة من صخور منحوتة[٨٢].

اما الطوافات فقد استخدمت لعبور الانهار سباحة، وكانت تصنع من جلود الماعز والأغنام، ويستعملها الى يومنا هذا صبيان الموصل، وظهرت كثيرا على المنحوتات الآشورية التي صّورت الحملات العسكرية. وعند ربط مجموعة منها بعضها مع بعض تصبح لديها القدرة على تعويم نموذج من الاطواف يدعى (كلك) استعمل للنقل المائي على الزاب ودجلة منذ الفترات الآشورية حتى الخمسنيات من هذا القرن[٨٣].

## تجهيز وتصريف المياه:

كانت القنوات والأنهر المصدر الرئيس لتجهيز المياه، ولم تكن هناك شحة فيها، الاّ ان تباين مستوى نهري دجلة والفرات جعل الأمر صعبا بالنسبة للري، لذا قام الملوك الآشوريون بأعمال هندسية ضخمة لجلب المياه الى عواصمهم بقنوات أرضية اومعلقة من الجبال. فسنحاريب قام بجلب المياه للحدائق التي أنشأها حول نينوى بحفر قناة من (جروانة) على بعد خمسين ميلا، وعمل السداد على نهر الخوصر لرفع مستوى مياهه حيث ذكر في احدى كتاباته "لقد حفرت قناة: الى مروج نينوى وأقمت جسرا من الصخر عبر الوادي العميق وتركت المياه تعبر فوقه "وقد فعل الشيء نفسه بالنسبة الى مدينة اربيل[٨٤].

اما المنازل فكانت تتزود بالمياه من مصادرها بالدلاء المصنوعة من النحاس اوالبرونز، وأحيانا من الخشب او بالقرب الجلدية، حيث كان الصبية اوالفتيات يقومون بنقلها الى منازلهم بأيديهم او على ظهور الحيوانات. ومن مصادر المياه الأخرى الآبار التي كانت توجد عادة اما في البيوت او الحدائق والبئر الجيدة منها كانت تبنى بالطابوق وبأعماق مختلفة[٨٥] وصل بعضها الى تسعون قدما، كما في كلخو، وذلك لتجهيز المدينة بالمياه في حالات الحصار. وكان الماء يرفع من الآبار بوساطة قدور فخارية بحجم نصف غالون تربط رقابها بالحبال لتشكل سلسلة متصلة وتدار الى الأعلى او الأسفل بواسطة رافعة وضعت فوق وسط فوهة البئر.

وكانت هنالك نظم دقيقة لتصريف المياه القذرة في القصور الآشورية تألفت من أنابيب فخارية يتصل بعضها ببعض مدفونة تحت مستوى ارضية الغرف وتنتهي لتصب في النهر او الوادي القريب، ونهاياتها سدّت بمشابك فخارية لمنع دخول الحيوانات اليها. كما ضمت البيوت ايضا مرافق صحية مشابهة لما هو موجود حاليا في معظم مدن العراق، وقد عثر في بعضها على اوان فخارية لحفظ المياه النظيفة، وفي احداها وجدت مغرفة صغيرة تشير الى استخدام المياه للتنظيف[٨٦]. اما في بيوت عامة الشعب فكان تصريف المياه القذرة يتم





بصبها في بلاليع صغيرة في وسط ساحة المنزل اعدّت لهذا الغرض ولم تكن هنالك مرافق صحية فيها، اذ كانوا يقضون حاجتهم في العراء خارج منازلهم (٨٧).

### الاحتفالات والأعياد :

كانت الأعياد تقام في ايام محددة من السنة ويشارك فيها عامة الناس ومنها أعراس تموز والزواج المقدس الذي كان يهدف أساسا الى زيادة الخصب والرخاء وتكاثر الحيوانات، وكذلك تقرير المصير للملك والبلاد حيث كانت مراسمه الخاصة تقام في المعبد في الجناح المعروف باسم (كيبارو) (٨٨). ومن الأعياد الأخرى عيد رأس السنة الجديدة الذي كان يستمر أحد عشر يوما حافلة بالاحتفالات والطقوس الدينية (٨٩).

وكان يرافق الاحتفالات والأعياد تقديم الطعام والشراب، حيث ذكر أسرحدون انه احتفل بالعيد لثلاثة ايام متوالية في ساحة معبد اي- شارا. ولاشك في أن الهدف من الاحتفال كان للاجتماع بالرعية لابراز عدالته واهتمامه بهم ومن ناحية اخرى لضمان أخلاص شعبه وحبه وولائه له. وهنالك العيد الذي اقامه الملك آشور ناصر بال الثاني بعد اتمام قصره واستمر لعشرة ايام، فضلا عن حفلة تتويج الملك التي كانت تجرى في آشور في معبد الآله آشور الذي يمنح الملوكية للملك الجديد (٩٠).

وكان الانتصار على الأعداء مناسبة عزيزة وجديرة بالاحتفال عند الملوك حيث تشهد ايام الاحتفال تكريم الأبطال من القواد والمقاتلين. وقد خلّد الملوك الآشوريون هذه المناسبة على المسلات والنصب والمنحوتات كما في منحوتة الملك آشور- بانيبال التي صوّرته جالسا في حديقة قصره في نينوى مع زوجته مستمتعين بتناول المشروبات وسماع الموسيقى احتفالا بالنصر الساحق الذي حققه الجيش الآشوري على العيلاميين (٩١).

اما العطل. فان الأعياد الدينية في الواقع كانت عطلا رسمية تتوقف خلالها جميع الأعمال والأنشطة وقد يستغرق ذلك بضعة ايام من كل شهر وليس على أساس وجود عطلة في نهاية الأسبوع كما في الوقت الحاضر (٩٢).

### الألعاب الرياضية وألعاب التسلية :

كان الآشوريون مغرمين جدا بالالعاب التي يمارسها لاعب واحد او اكثر وكان أشهرها الرماية والصيد، حيث كانوا في بعض الأحيان يصوبون سهامهم على أهداف ثابتة وأحيانا أخرى نحو الدّراج. وهنالك منحوتة آشورية في متحف اللوفر بباريس تبين اثنين من الصيادين يمارسان هوايتها في احدى الغابات كما ان الملك مارس الصيد وصيد الحيوانات الوحشية وبالأخص الأسود الذي كان بالنسبة له واجبا دينيا مقدسا، ويخبرنا تجلاتبليزر مثلا أنه قتل في اقليم غربي آشور الف أسد تقريباً "تنفيذاً لأمر الآله ننورتا الذي يحبني".

ومع أن الملوك الآشوريين المتأخرين لم يمارسوا صيد الحيوانات الوحشية فانّ رياضتهم المفضلة كانت صيد الاسود، حيث استوردوا أسودا من افريقيا كانوا يضعونها في اقفاص وراء اعمدة خشبية سميكة وفوق القفص خادم مهمته رفع باب القفص واطلاق الطريدة حيث يكون الملك بانتظارها في عربته وبجانبه حارسه الخاص وسائقه (٩٣).

### الأسماء الشائعة ودلالاتها الدينية والاجتماعية :

كان اختيار الاسم لدى العراقيين القدماء من الامور المهمة حيث شددوا على معناه الحسن الذي





يدل على البركة او النعم الآلهية. وقد يتألف الاسم من جملة كاملة لها معنى او قد يكون مركبا من اسم او صفة لأحد الآلهة الرئيسة(٩٤). وبعض الاشخاص أطلقوا على ابنائهم اسماً من اسماء شجرة النخيل العزيزة عندهم(٩٥). أنّ ممارسة التسمية تلك قد انتقلت الى الشعب من الأسماء التي اطلقت على الشوارع والأبواب والأسوار وغيرها، ولذلك كان اسم سرجون يعني "الملك الشرعي" وأسرحدون" اعطى آشور أخا" وآشور بانيبال "آشور خالق الابن الوريث" وغيرها(٩٦).

### الحمامات العامة:

لم تكن هنالك حمامات في بيوت عامة الشعب، فقد كان أهل المنزل يستحمون في الأنهار او الجداول، ولذلك اقتصر وجود الحمامات على القصور الملكية وبيوت الطبقة المترفة. وكان الحمام يشغل احدى الغرف الصغيرة او زوايا الساحة الوسطية حيث زوّد بالمياه النظيفة والمجاري لتصريف المياه القذرة(٩٧) واستخدمت لتنظيف الأجسام بعض المواد النباتية المستحضرة المخلوطة بالزيت والطين النقي بدلا من الصابون(٩٨) وحرص القوم عند الانتهاء من الاستحمام على مسح أجسامهم بالزيت لتنعيم البشرة(٩٩).

### الهوامش:

(١) Saggs, H. W. F., The Might that was Assyria, London, 1984, pp. 128 – 131.
(٢) Ibid. p. 131 f.
(٣) فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، ص ٥٩.
(٤) Saggs, Op. cit., p 132, 134.
(٥) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦٠.
(٦) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص ٦٣ – ٧٢.
(٧) Saggs., Op. cit., p. 133.
(٨) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٤٤.
(٩) هاري ساكز، عظمة بابل، لندن، ١٩٦٢، ترجمة عامر سليمان، ص ١٩٥.
(١٠) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٤٥ – ٤٦.
(١١) Saggs, Op. cit, p. 134.
(١٢) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٤٥ – ٤٦.
(١٣) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦١.
(١٤) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٤٨ و ٥٤ – ٥٥.
(١٥) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٠ – ٥١. فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦٢.
(١٦) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٤.
(١٧) ليوا وبنهايم، بلاد مابين النهرين، ص ٩٤.
(١٨) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٤٩.
(١٩) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٢. فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٩.
(٢٠) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٠ و ٥٥ و ٦٢. فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٨.
(٢١) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦٠ – ٦٢.
(٢٢) عامر سليمان، المدينة والحياة المدنية، ج ١، ص ١٤.
(٢٣) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، ص ٨٠.
(٢٤) فاروق الراوي، حضارة العراق، ج ٢، ص ٨٧. عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٥٦. فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦٧.
(٢٥) Saggs, Op. cit., p. 142.
(٢٦) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٧١.
(٢٧) Saggs, Op. cit., p. 141.
(٢٨) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦٦.
(٢٩) Saggs, Op. cit., p. 140, 143.
(٣٠) نور الدين حاطوم، موجز تاريخ الحضارة، ج ١، ص ٢١٩.
(٣١) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٧٤.
(٣٢) ليوا وبنهايم، بلاد مابين النهرين، ص ٩٦.
(٣٣) Saggs, Op. cit., p. 140.
(٣٤) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٥٦.
(٣٥) Saggs, Op. cit., p. 143.
(٣٦) ثلماستيان عقراوي، المرأة: دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ص ٤٥.
(٣٧) Saggs, Op. cit., p. 143.
(٣٨) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٢.
(٣٩) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٧٤.
(٤٠) ثلماستيان عقراوي، المصدر السابق، ص ١٣٧.
(٤١) Saggs, Op. cit., p. 147.
(٤٢) طه باقر، تاريخ العراق القديم، ج ٢، ص ٨٤.

عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٣ – ١٦٤.
(٤٣) موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العامة، ج ١، ص ١٥٣.
(٤٤) ثلماستيان عقراوي، المصدر السابق، ص ٤٤.
(٤٥) saggs, Op. cit., p. 138 H.
(٤٦) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦١.
(٤٧) Saggs, Op. cit., p. 141.
(٤٨) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٧٦.
(٤٩) Saggs, Op. cit., pp. 138 – 140, 147.
(٥٠) طه باقر، المصدر السابق، ص ٨١.

(٥١) عامر سليمان المدينة والحياة المدنية، ج ١، ص ١٦٤ – ١٦٦. فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، ص ٨١. فاروق الراوي، حضارة العراق، ج ٢، ص ٦٨٩.
(٥٢) E.R. Lacheman, p. 530.
(٥٣) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٨، فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٨١ و ٨٤.
(٥٤) Saggs, Op. cit., p. 159.
(٥٥) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٨.
(٥٦) Saggs, Op. cit., p. 157.
عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٨ – ١٦٩.
(٥٧) هاري ساكز، عظمة بابل، ص ٢٠٢.
(٥٨) Saggs, Op. cit., pp. 157 – 160.
(٥٩) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٩.
(٦٠) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٨١. عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٩. فاروق الراوي، المصدر السابق، ص ٦٩٠.
(٦١) Saggs, Op. cit., p. 152.
(٦٢) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، ص ٨.
(٦٣) وليد الجادر، الملابس والحلي عند الاشوريين، ص ٧.
(٦٤) وليد الجادر، حضارة العراق، ج ٤، ص ٢٧٤.
(٦٥) وليد الجادر، الملابس والحلي عند الآشوريين، ص ٧.
(٦٦) Saggs, Op. cit., p. 164.
(٦٧) وليد الجادر، الملابس والحلي عند الآشوريين، ص ٧.
(٦٨) Saggs, Op. cit., p. 153 – 154.
(٦٩) هاري ساكز، المصدر السابق، ص ٢٠٩.
(٧٠) saggs, Op. cit., p. 156.
(٧١) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٨٧.
(٧٢) Saggs, Op. cit., p. 154 – 163.
(٧٣) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٨٨. عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٧٠.
(٧٤) جورج كونتيناو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص ١٣٣.
(٧٥) Saggs, Op. cit., p. 164.
(٧٦) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٧٠.
(٧٧) Lacheman, E.R., Op. cit. p. 538.
(٧٨) جورج كونتيناو، المصدر السابق، ص ١٠٦.
(٧٩) Saggs, Op. cit., pp. 168 – 170.
(٨٠) فاروق الراوي، المصدر السابق، ص ٢٢٤.
(٨١) طه باقر، تاريخ العراق القديم، ج ٢، ص ١٤٧.
(٨٢) هاري ساكز، المصدر السابق، ص ٢٠٦.
(٨٣) saggs Op. cit., p 167.
(٨٤) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٨١ و ١٩٠.
(٨٥) Saggs, Op. cit. p. 161.
(٨٦) عامرسليمان، المصدر السابق، ص ١٦٧ و ١٩٠.
(٨٧) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٨٣.
(٨٨) فاضل عبد الواحد، الأعياد والاحتفالات، حضارة العراق، ج ١، ص ١٨٩ – ١٩٦.
(٨٩) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٧٦ – ١٧٧.
(٩٠) راجحة النعيمي، الأعياد في حضارة وادي الرافدين، ص ٣١.
(٩١) فاضل عبد الواحد، المصدر السابق، ص ١٩٢.
(٩٢) هاري، ساكز، المصدر السابق، ص ١٩٨.
(٩٣) جورج كونتيناو، المصدر السابق، ص ٢٣٢.
(٩٤) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٧.
(٩٥) فاروق الراوي، الحيوان والنبات، حضارة العراق، ج ١، ص ٦٤٢.
(٩٦) جورج كونتيناو، المصدر السابق، ص ٢٧٧.
(٩٧) عامرسليمان، المصدر السابق، ص ١٦٦.
(٩٨) هاري، ساكز، المصدر السابق، ص ٢٠٦.
(٩٩) فاروق الراوي، جوانب من الحياة اليومية، حضارة العراق، ج ١، ص ٦٩١.





# الجيش في العصر الآشوري

د. بهيجة خليل اسماعيل

**تمهيد :**

وصلت منطقة الموصل في العصور القديمة أوج ازدهارها الحضاري وذروة قوتها العسكرية في الفترة التي حكم فيها الآشوريون المنطقة، ولاسيما في عصرهم الحديث الذي استمر ثلاثة قرون كاملة (من حدود ٩١١- ٦١٢ ق. م) وطبيعي أن الآشوريين لم يحققوا ذلك الازدهار الحضاري ويمتلكوا تلك القوة العسكرية التي ذاع صيتها على مر العصور في غفلة من الزمن ومن دون أسباب وعوامل عدة، بل ان المعلومات المتوافرة عن تاريخ الآشوريين تؤكد، كما سبق وأسلفنا، أن ذلك كان نتيجة حتمية لتطور الآشوريين الحضاري في مختلف الميادين، وفي مقدمتها التقدم الذي حققوه في فنون الحرب وتنظيم الجيش وتدريبه وتسليحه حتى أصبح أقوى قوة ضاربة في الشرق القديم في العصر الأشوري الحديث.

واذا ماتجاوزنا الفترات الموغلة في القدم والتي سبقت مجيئ الآشوريين الى المنطقة، ثم تتبعنا بدايات تشكيل وبناء القوات العسكرية الآشورية لاحظنا انه لم يكن للآشوريين في عصرهم المبكر، الذي يعرف عادة بالعصر الآشوري القديم، قوات نظامية دائمة بل ان ظهور الجيش النظامي جاء في فترة متأخرة نسبيا. ومع ذلك ومع قلة المصادر المتوفرة، يبدو أنه لابد ان كانت هناك في العصر الآشوري القديم بعض القوات المدربة المستخدمة بصورة دائمية لحماية الملك وأفراد أسرته المالكة. ثم تطورت هذه القوات وغدت تعرف باسم الحرس الملكي الذي كان نواة للجيش النظامي الآشوري فيما بعد. وفي الوقت نفسه، جندت بعض القطعات العسكرية لحماية النقاط والمدن الحدودية من الاعتداءات الخارجية المتوقعة ووضعت تحت أمرة قادة مرتبطين بالملك مباشرة، الاّ ان اتساع حدود الدولة الآشورية وامتداد نفوذها تطلب بناء قطعات عسكرية دائمة يمكن ارسالها عند الحاجة الى تلك الحدود البعيدة لحمايتها من غارات الأعداء وهجماتهم، وكان على المقاطعات الآشورية المختلفة تقديم اعداد مناسبة من الرجال القادرين على حمل السلاح للمساهمة في حملة الملك العسكرية التي كان يعلن عنها. وهكذا ازداد تدريجيا عدد أفراد القوات المسلحة. وربما وصل في اواخر العصر الآشوري الوسيط (القرن العاشر قبل الميلاد) الى عشرات الألوف.

ومع ذلك، تظل معلوماتنا عن تنظيم الجيش وتسليحه وتدريبه في العصور السابقة للعصر الآشوري الحديث قليلة ولا تتناسب وأهمية المنجزات التي حققها. وتزداد معلوماتنا بتقدم الزمن حتى تصبح في غاية الدقة والغزارة في العصر الآشوري الحديث، حيث زودتنا التنقيبات الاثرية في منطقة الموصل بآثار كثيرة ومتنوعة انطوت على معلومات وافية عن الجيش وتنظيمه. وفضلا عن المنحوتات الآشورية التي حملت الينا مشاهد عسكرية متنوعة هناك النصوص المسمارية الكثيرة التي حدثتنا عن الحملات العسكرية التي كان يقوم بها الملوك الآشوريون الى الجبهات المختلفة.

ولقد كان للحملات العسكرية الكثيرة التي خاضها الجيش في بيئات مختلفة وظروف مناخية







متباينة مع أقوام مختلفة أكبر الاثر في زيادة خبرة قادة الجيش وضباطه وجنوده واكتسابهم قدرة قتالية عالية وتدريبا عمليا جيدا ، فضلا عن تعرفهم على أساليب القتال وفنون الحرب التي تميزت بها الأقوام المختلفة التي دخلوا الحرب معها . ثم انه قد كان لصلابة الفرد الآشوري وصبره وقدرته على تحمل الصعاب وشعوره بأنه في محاربته الاقوام التي تهدد حدود بلده انما يقوم بحماية وطنه تنفيذا لرغبة الهته القومية التي اعتقد بأنها اوحت الى الملك بالقيام بتلك الحملات ، اكبر الأثر في زيادة قوة الجيش ومعنوياته وقدرته على التفوق والانتصار.

واذا استعرضنا تاريخ الآشوريين خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد وجدنا أن الآشوريين قد تعرضوا خلال ذلك الى كثير من الأخطار والتحديات التي اضطرتهم الى شن الحروب واقتحام المخاطر باتجاه الشرق والغرب والشمال والجنوب وتأديب الطامعين في أرضهم ومياههم ، وان ماحققته القوات المسلحة الآشورية في ضرب الأعداء في أقوى تحصيناتهم العسكرية ازال خطر الأعداء والطامعين، وبخاصة العيلاميون ، في السيطرة على بلاد آشور والحد من نشاطها .

وهكذا فشلت كل المحاولات لتقويض الدولة الآشورية بل اصبحت دولة الآشوريين تتصدر القوى المعروفة انذاك وتتبوأ مركزا قياديا في الشرق القديم وانحصر زمام المبادرة في يدها على الصعيدين العسكري والدبلوماسي في العصر الآشوري الحديث.

وفي الصفحات التالية محاولة لالقاء الضوء على الجيش الآشوري واعطاء صورة موجزة عن تنظيماته وصنوفه وقادته وآمريه وكيفية تجنيد افراده وتسليحهم وعن الخطط والأساليب القتالية التي اتبعها والحملات العسكرية التي قام بها مستندين في كل ذلك على ماهو مقتبس من مصادر مسمارية ومشاهد عسكرية حملتها لنا المنحوتات الآشورية البارزة التي كانت تغلف جدران القصور الآشورية والمسلات والتماثيل والبوابات والأسوار.

**صنوف الجيش :**

لما كان الطابع العسكري هو السمة الغالبة على الدولة الآشورية منذ استقلالها فقد كان من الطبيعي ان تحظى القوات العسكرية باهتمام خاص من لدن السلطة الآشورية الحاكمة .

لقد تكونت القوات الآشورية في عهدها المبكر من مجموعة من الجند كان يتم تدريبها وتسليحها على نحو خاص ، وكانت تستخدم لحماية الملك والبلاط الآشوري ، وتقوم احيانا بتنفيذ واجبات معينة ، وقد أطلق عليها اسم ''الحرس الملكي'' الذي اصبح فيما بعد نواة الجيش الدائم[1] ، والى جانب ذلك كانت هناك من القوات العسكرية في بعض المناطق الحدودية والمدن الرئيسة مايقوم بحمايتها من خطر الأعداء ، ثم أضيفت اليها جماعات أخرى من الرجال القادرين على حمل السلاح من الآشوريين ، ونتيجة للمعارك الكثيرة التي خاضتها القوات الآشورية كانت الدولة تقوم باستنفار قوات الأقاليم التابعة لها . وهذا الاجراء بقي متبعا الى آخر الفترات التاريخية من حكم الدولة الآشورية .

وحدث التطور الكبير للجيش الآشوري في الالف الأول ق. م عندما اتسعت رقعة الدولة الآشورية مما دعا الى وجود التخصص في المهات العسكرية فظهرت صنوف أساسية للجيش منها :

١ – الصنوف المقاتلة .

٢ – الصنوف الثانوية او الملحقة ، وتقوم بمساعدة الصنوف المقاتلة وتهيئة المستلزمات الضرورية بحسب مانقتضيه ظروف المعارك وطبيعتها .

ثم الحق بهذين الصنفين صنف ثالث يقوم بالخدمات الادارية .



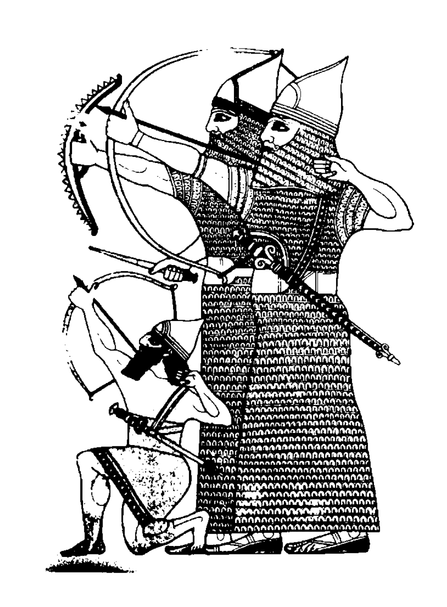


**الصنوف المقاتلة :**

وهي الصنوف التي يقع عليها العبء الأكبر في القتال ، وتشمل :

**صنف المشاة :**

وهو من الصنوف المقاتلة المهمة ، ويؤلف القسم الأعظم من القوات ، كما هو الحال في اغلب الجيوش ، ومهمته الأساسية في القتال الاصطدام المباشر مع العدو وتحطيم قوته الرئيسة . وكان من صفات هذا الصنف الصمود والثبات والسيطرة والحركة السريعة في القتال ، ويتألف هذا الصنف من العيارين ، اي حملة المقلاع ، والرماحين ، ورماة السهام ، وكانوا يلاقون الأعداء تحت كل الظروف في المناطق الوعرة والمنبسطة ، وكثيرا ما كانوا يجتازون الوديان ويصعدون الى قمم الجبال ويجتازون البطائح حتى يتمكنوا من القضاء على



مقاتلون اشوريون

الأعداء ، كما يترتب على المشاة ، ولاسيما رماة السهام وحملة المقاليع ، توفير الحماية للقوات المهاجمة في اثناء الاشتباك والاختراق وذلك باستمرار القذف المكثف على العدو لمشاغلته وشل فاعليته ويكلف المشاة (الرجال) بواجبات أخرى كالحراسات واشعال النار في معدات العدو وآلاته وتأمين الحماية اللازمة للقطعات المتقدمة نحو العدو.

وكان المشاة يخضعون الى قيادات فرعية وعليا وكان يرأس كل مجموعة من المجاميع المذكورة آمر.

وكان لهذا الصنف من القوات تأثير بالغ على نتائج المعارك وبخاصة في مقاتلة دروع العدو وتدمير اعداد كبيرة منه وكسب المعركة .

**صنف المركبات :**

ترجح اغلب المصادر ان استخدام العربات في المعارك على نطاق واسع كان في العهد الآشوري الحديث (الألف الأول ق. م).وقد اثبت هذا الصنف فاعليته في حسم الكثير من المعارك ، اذ انه يشكل عنصر الاسناد القوي للصنوف الأخرى في ميادين المعارك وحصار المدن وقد استخدمت العربات بقلة في المناطق الوعرة وبخاصة الجبلية منها ، وذلك لصعوبة الحركة في هذه المناطق. وكان للمركبات أهمية خاصة لانها تستخدم سلاحا هجوميا ، اذ هي في طليعة القطعات العسكرية وتقوم بالهجوم المفاجئ والخاطف على جبهة الخصوم. وقد اختلف عدد المركبات المستخدمة من معركة لأخرى ، ويخبرنا الملك الآشوري سرجون (٧٢١- ٧٠٥ ق. م) "بانه جهز خمسين مركبة ، ومائتي خيال ، وثلثمائة جندي مشاة" واستخدمها في احدى حملاته التأديبية . كما اختلف عدد عجلات العربات من فترة لاخرى ايضا . ففي زمن الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٤- ٨٥٨ ق. م) كانت العربة ذات







عربة اشور ناصربال الثاني تخترق صفوف الاعداء

العجلتين التي يجرها زوج من الخيول وتحمل شخصين او ثلاثة هي الشائعة وهؤلاء الأشخاص هم سائق العربة والرامي وحامل الترس.





اشور ناصربال الثاني يقود حملة عسكرية.

وللمركبات فوائد اخرى عدا الاشتباك، منها نقل المقاتلين الى جبهة القتال ومطاردة الهاربين من الأعداء، فضلا عن حماية صنف المشاة في اثناء المسيرة الى ساحة القتال، كما ان بعض المركبات كانت تحمل العتاد والذخيرة الخاصة بالمقاتلين وتكون قريبة من الجبهة.

**صنف الخيالة (الفرسان):**

لقي هذا الصنف اهتماما بالغا من لدن الملوك، حيث عنوا بترويض الخيول وترشيقها لتكون شديدة التحمل وسريعة الحركة، وقد صورت المنحوتات الجدارية جانبا من العناية بها واطعامها وتنظيفها. ان الواجب الأساس لهذا الصنف هو الهجوم المفاجئ وبسرعة فائقة ثم القتال في اكثر من مكان واحد وتمشيط المنطقة من جيوب الأعداء، وكان يرافق الفارس او الخيال شخص يركب جوادا ايضا ومهمته قيادة جواد المقاتل في اثناء القتال.

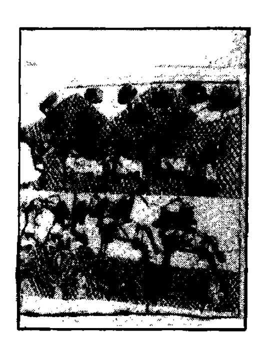
وعندما استخدمت السروج انتفت الحاجة الى الشخص الذي كان يرافق الفارس. وقد شاع استخدام هذا الصنف وبكثرة في الألف الأول ق. م ايضا، اي العصر الآشوري الحديث، لأن الخيول لم تكن شائعة الاستخدام قبل هذه الفترة على الرغم من ذكر الحصان في النصوص المسمارية (العقود الاقتصادية) منذ عصر سلالة اور الثالثة (٢١١١ - ٢٠٠٣ ق. م) حيث ورد اسمه بالصيغة





السومرية بالمصطلح ANŠE. KUR.RA "حمار الجبل" وباللغة الأكدية اطلق عليه لفظة (سيُس) "sisu" وهذا يعني ان الخيول كانت معروفة منذ عصر السلالة المذكورة، وربما منذ فترة أقدم.

ومن الواجبات الأخرى التي تقع على الفرسان الالتفاف على العدو من الخلف وشل حركته او مطاردة العدو بعد ايقاع الهزيمة به لمنعه من اعادة تنظيم صفوفه[٢].

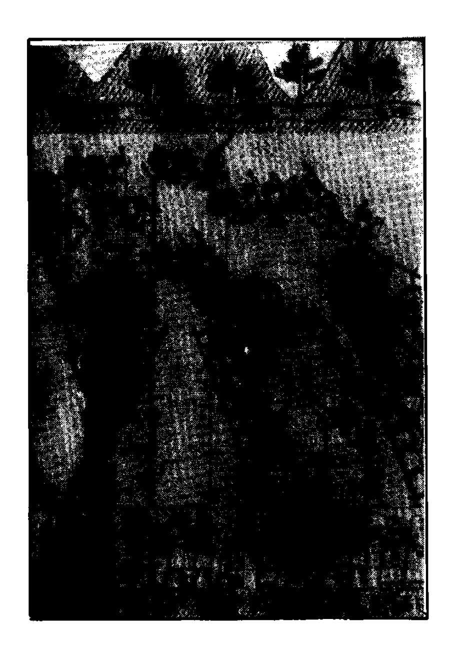


خيالة ومقاتلون اشوريون

## صنف المهاجمين بآلات الحصار:

ويضم المهاجمين الذين استخدموا اسلحة الحصار للهدم والتسلق، وكان لهم دور فعّال في تحقيق النصر والسيطرة على المدن، وكانت أهم آلات الحصار الكباش والدبابات والأبراج والزحافات ومواد أخرى مساعدة كالسلالم والحبال التي تستخدم للتسلق وأدوات تستخدم للهدم واحداث ثغرات في الاسوار لكي يتمكن الجند المهاجمون من الدخول الى المدن المحصنة.

كان القادة عند محاصرتهم للمدن والقلاع يسارعون الى تهيئة اعداد كافية من آلات الحصار



حصار جيش سنحاريب لاحدى المدن

وبخاصة الدبابات وكان مقاتلوُ الدبابات يقتربون من الأسوار لهدمها او فتح ثغرة فيها، لذلك عدّ هذا الصنف من الصنوف المهمة في الجيش، لأنه اول من يقترب من مواقع العدو وحصونه حيث كان رجاله يسبقون المشاة لتأمين الحماية لهم والوصول الى أقرب نقطة في السور للقيام بواجبهم، ومن واجباتهم ايضا تسلق الأسوار او رمي النبال وكرات النار المشتعلة من داخل الدبابة على الأعداء.

واستخدمت الأكباش فضلاً عن الدبابات، فيذكر الملك آشور ناصر بال الثاني ما يأتي:

"تقدمت واقتحمت المدينة وبمساعدة الانفاق وآلات الحصار والمقاليع والأكباش واستوليت عليها".

كانت الاكباش تضم برجين أحدهما مفتوح وعليه جنديان من رماة السهام والآخر مغطى بواقية للرأس يحتوى من الأعلى على عدد من المزاغل،





منظر يبين اساليب الحصار الآشورية

ويعتقد انه استخدم للمراقبة وكان يدفع الأكباش عدد من الجند من الخلف. ويرافق آلات الحصار عدد من المهندسين والعمال يقومون باحداث الثغرات في جدران معاقل الأعداء وحصونهم ويزودون بآلات للثقب، وكانوا على اتصال دائم بقواد الجيش لكي يتلقوا منهم الأوامر والتعليمات اللازمة. ونشاهد على احدى المنحوتات الآشورية التي تعود بزمنها الى عهد سرجون الآشوري ممثلة عليها صورة لأحد الجنود الأبطال وهو يتسلق الأسوار العائدة لمدينة موصاصير في اورارتو بواسطة الحبال ومنحوتة أخرى ترينا الجنود يتسلقون الحصون بوساطة السلالم اما آلات الهدم فكانت عبارة عن قضيب من الحديد يثبت على العجلة من الجزء الامامي لغرض احداث الثغرات في الأسوار(٣).

ولايفوتنا ان نذكر أن الآشوريين استخدموا الاكلاك والقرب والتقفف في عبور الأنهار. كما استخدموا الزوارق الصغيرة والكبيرة الحجم، وقد نقلت الينا بعض الألواح الجدارية مشاهد خاصة بوسائط النقل النهرية والبحرية تعود الى زمن سنحاريب وآشور بانيبال. وهذه الالواح معروضة حاليا في المتحف البريطاني في لندن، كما ورد ذكر لها في كتابات الملوك نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الملك شيلمنصر الثالث (٨٥٨– ٨٢٤ ق.م) حيث يقول:

"لحقت فلول الأعداء في القوارب المصنوعة من الجلد واشتبكنا في نزال عنيف فألحقت الهزيمة بهم وصبغت البحر بدمائهم"(٤).



الات حصار آشورية

هذه هي الأصناف الرئيسة التي يتألف منها الجيش الآشوري ، والى جانبها صنوف ملحقة او مساعدة ، والتي كانت تهيئ للصنوف المقاتلة كل ماتحتاج اليه من امور ادارية بعضها فني كالقيام باقامة الجسور وحفر الآبار والخنادق ، وشق الطرق وتهيئة الأطباء لاسعاف الجرحى ونقلهم والاستطلاع عن العدو، ومنها :

**المهندسون :**

كان لهم دور فعّال في سوح المعارك ، وبخاصة في المناطق الجبلية ، حيث كان المهندسون يقومون باصلاح الطرق التي تعوق تقدم الجيش وقطع الأشجار، وغلق المسالك الخطيرة ، واقامة التحصينات ومد الجسور واحداث الثغرات في حصون الأعداء والمعاقل وأسوار المدن وغيرها من الأمور التي تتطلبها العمليات العسكرية .

**الاستخبارات :**

تقوم باستطلاع أمر العدو وتحركاته وقوة جيشه وخططه ، ويختار لهذه المهمة العسكرية مجموعة من الجند الشجعان وذوى الخبرة والممارسة . وكان الشخص الذي يقوم بهذا الواجب يعرف باللغة الأكدية باسم (ديالُ) (d yalu) ولهذه المجموعة آمر او رئيس يعرف باسم (رب ديالِ) rab dayali وربما يقابل في الوقت الحاضر رئيس الاستخبارات العسكرية (٥) .

كانت هذه المجموعة من الجند على اتصال دائم بقواد الجيش لتلقي الأوامر والتعليمات منهم مباشرة والايعاز بتنفيذها دون تأخير ، ومهمتهم جمع المعلومات من حكام المقاطعات الحدودية والحلفاء والتجار والمراسلين والدبلوماسيين ومن المارة وغيرهم ، وكانوا ينتقلون من منطقة لأخرى ويتوزعون على الطرق والمرتفعات والمسالك والممرات الجبلية وغيرها ، ومن واجباتهم ايضا مرافقة الجيش كأدلاء ليدلوهم على الطرق ، فضلا عن قيامهم بحراسة الطرق والمنافذ الأخرى . وقد ورد ذكر الجنود الأدلاء والعيون في الكثير من كتابات الملوك نقتطف بعض العبارات التي وردت في كتابات الملك آشور ناصر بال الثاني ( ٨٨٤ - ٨٥٨ ق. م) حيث يقول :

"كنت أتنقل من مدينة لأخرى واقضي في كل مدينة مابين يوم او ليلة ثم استأنف السير بعد التأكد من سلامة الطريق" (٦) . وهذا يعني انه كان يأمر بارسال العيون والعسس للاستطلاع قبل ان يغادر المنطقة والسبب في ذلك يعود الى طبيعة الأراضي التي كان يمر بها الجيش ، فالأراضي الجبلية احيانا كانت تحجب الرؤية ، فضلا عن كثرة الوديان العميقة والمسالك الضيقة التي تتخللها ، كانت تستوجب ارسال الاستخبارات والعيون للاستطلاع .

ومن الواجبات المهمة الملقاة على عاتق هذا الصنف كشف الكمائن والدوريات وتعقيبها، ومواقع العدو وتقدير قوته واقتفاء آثاره وتحركاته.

وكان صنف الاستخبارات العسكرية يعمل بصورة متواصلة وبسرية وحذر ويقظة، ومن المرجح انهم كانوا ينقلون الأخبار الى الوحدات العسكرية او الى آمر الوحدة او الى رئيس الاستخبارات ليقوم بدوره بأخبار الملك بذلك.

فالملك سرجون الثاني (٧٢١- ٧٠٥ ق. م) كان له شخص خاص يرتبط به مباشرة وهو "آشور- ريشو Aššur – rešu" كان يزود الملك بجميع الأخبار والمعلومات عن حكام المقاطعات والولايات التابعة له، وعن الخطط العسكرية للجيوش المعادية وقطعات الجيش من حيث النوع والكم وذلك لدرء الأخطار قبل وقوعها وضرب العصاة داخل الامبراطورية الآشورية وخارجها[٧].

وقد استخدم هذا الصنف بكثرة في حالة السلم والحرب، ويعتقد أنه كانت هناك اشارات معينة او كلمة سر تستخدم بينهم وبين مسؤوليهم لفهم مضمون الأخبار، وبعضهم كان يحمل الرسائل السرية الخاصة، او مانسميه اليوم (سري وشخصي) سواء التي يبعثها الملك او التي يتسلمها من الملوك والحكام والمسؤولين، وقد ورد ذكر لمثل هذه الرسائل بالمصطلح الأكدي "tuppum ša tuppi niṣirtim" ومن خلال دراسة بعض النصوص المسمارية الخاصة بالملوك اتضح لنا أن الملوك الآشوريين كانوا حريصين أشد الحرص على توفير الأمن لقطعاتهم العسكرية، وذلك من خلال احاطة حركتها بالكتمان والعمل على حجب حقيقة توجهاتها عن الأعداء، كما كانوا يقومون بجمع اكبر المعلومات الممكنة عن الأعداء لكي تساعدهم المعلومات على تجنب المخاطر ورسم أدق الخطط العسكرية، ولاعجب في ذلك إذ أن السلطة الآشورية كان هدفها اشاعة الأمن والقضاء على الفتن والمؤامرات في ارجاء امبراطورية مترامية الأطراف احدقت بها الأخطار والتحديات من كل جانب.

وثمة أصناف أخرى تعد ايضا من الصنوف المساعدة، وهي صنف الشرطة او جهاز الشرطة الذي كان يقوم بحفظ النظام والأمن داخل الامبراطورية مثل حراسة أسوار المدن وبواباتها ومراقبة الوافدين. أي ان واجبهم الرئيس هو الاهتمام بشؤون الأمن والاستقرار في الامبراطورية الآشورية ومتابعة السارقين والهاربين، وغيرهم ممن يخلون بالأمن الداخلي للدولة. ويتولى مهمة الاشراف على جهاز الشرطة شخص برتبة "راب- ريدي- كبس rab redi kibsi ولربما يقابل هذا المنصب في الوقت الحاضر مدير الشرطة العام[٨].

وهناك بعض الصنوف الأخرى التي كانت ترافق الحملات العسكرية، منها مجموعة تقوم بالخدمات الادارية وهي توفير كافة المستلزمات التي يحتاج اليها الجيش في أثناء المعارك ومجموعة أخرى هم الفرقة الموسيقية العسكرية التي تضم مجموعة من العازفين على الاآت الموسيقية، ولربما كان يصاحبهم ايضا المغنون لانشاد الأغاني الحماسية. كما كان يرافق الحملات الحربية الأدباء الذين كانوا يلقون القصائد الحماسية ويذكرون الأعمال الجيدة التي قام بها اسلافهم، وذلك لاثارة الجند وحثهم على القتال في سبيل الدفاع عن أرض الوطن وكرامته، وكذلك المختصون بالتنبؤات ومعرفة الغيب والفنانون الذين كانوا يرسمون المسودات الأولية لمشاهد المعارك ومجموعة أخرى كانت تقوم بالخدمات الصحية، اذ كان الجيش يصطحب معه وحدة أووحدات طبية تضم مجموعة من الاطباء والمساعدين. فالدولة أدركت الحاجة الملحة الى وجود الأطباء وتوفر العلاج اللازم للجرحى، وكان

الاطباء يوزعون على طول الجبهة ويقومون بمعالجة المرضى واسعاف الجرحى واخلائهم من ساحة المعركة ونقلهم الى المخيمات الوقتية والمعسكرات القريبة او الثكنات لمعالجتهم ومداواتهم، ويحتمل انه كان يتم نقل المصابين اما على ظهور المقاتلين او بواسطة من وسائط النقل كالعربات والخيول او على ظهور الدواب وغيرها. وقد زودتنا النصوص المسمارية بقوائم تذكر عدد الجرحى من القوات المقاتلة كما وصلت الينا بعض المنحوتات يظهر فيها جندي يساعد زميله الجريح على الانسحاب من ساحة القتال ويحمي ظهر الجريح بترس وينقله الى الأماكن المعدة للاسعاف لمعالجته، وجندي آخر يحاول انقاذ زميله المصاب في المعركة.

وأخيرا لابد من الاشارة الى دور الكاتب والمترجم في ساحات المعارك وضرورة وجودهم ضمن الوحدات المقاتلة.

اتخذت وظيفة الكاتب والمترجم صفتها الرسمية خلال العهد الآشوري شأنها شأن الوظائف الأخرى التي الحقت بالجيش فكان الكتبة (النساخ) يقومون بتدوين أخبار المعارك بصورة مفصلة ابتداء من مسيرة الجيش والمواقع والمدن التي يمر بها ثم الصعاب التي يواجهها الجيش خلال مسيرته وبخاصة فيما يتعلق بشدة الحرارة او البرودة وقلة مياه الشرب والمشكلات التي تواجه الجند عند عبورهم الموانع الطبيعية كالمنحدرات الحادة والجبال الشاهقة وعبور القنوات والأنهار، وأخيرا وصف الواقعة الحربية وبطولات الجيش والانتصار على الخصوم، لأن الكاتب عاش في المنطقة الجغرافية التي دارت رحى الحرب فيها. ثم يقوم الكاتب بجرد النتائج فيذكر عدد القتلى من الأعداء وعدد الأسرى والغنائم، فضلا عن أنه كان يقوم بتحرير الرسائل الضرورية والمستعجلة للملك وكبار المسؤولين حيث ورد في النصوص المسمارية ذكر للكاتب الخاص بالملك باسم "ṭupšar šarri" وتعني حرفيا "كاتب الملك" مع العلم ان الكاتب الاعتيادي كان يعرف باسم ṭupšarru وكان الملك يصطحب الكاتب الخاص به في الرتل العسكري، وخير دليل على ذلك المنحوتة التي تم اكتشافها في مشروع سد القادسية (سد حديثة سابقا) في الموقع الأثري عنه، وتدل الصور الممثلة عليها الملك في عربته الحربية وهو يهاجم الأعداء ومعه الكاتب يمسك بيده رقيم طيني وقلم الكتابة، وهذه المنحوتة تعود بتاريخها الى حوالي ٧٥٠ ق. م، وهي معروضة في المتحف العراقي، وهناك منحوتة أخرى تعود بتاريخها الى زمن الملك تجلا تبليزر الثالث (٧٤٥- ٧٢٧ ق. م) عليها بالنحت البارز صورة كاتبان يدوّنان أخبار المعارك والحروب وأخرى نشاهد عليها كاتبان يقومان بعملية جرد لرؤوس القتلى من الاعداء التي يحملها الجنود (٩)

وكان المترجم الذي يطلق عليه باللغة الأكدية لفظة Turgumanu المضاهية للمصطلح العربي "ترجمان" يجيد التحدث بلغات أخرى غير لغته المحلية، وكان من بين المترجمين الرابشاقة، وهو أحد القادة العسكريين الآشوريين الذي كان يجيد التخاطب باللغتين العبرية والآرامية ودليلنا على ذلك هو الحوار الذي تم بينه وبين ممثل حزقيا، عندما أرسل الملك الآشوري سنحاريب الرابشاقة الى حزقيا ليتفاوض معه بشأن المدينة التي حاصرها الجيش الآشوري وهي مدينة (اورشليم) القدس، فقد تحدث الرابشاقة الآشورى باللغة العبرية فتوسل اليه ممثل حزقيا ان يتكلم بالآرامية لكي لايفهمه الناس الذين كانوا واقفين بالقرب من سور المدينة وهذا يوّضح لنا ان الرابشاقة كان يتكلم بلغتين غير لغته الأصلية.

صاحب الفنان الآشوري الحملات العسكرية وكان يقوم برسم مسودات لتفاصيل المعارك وعند عودته الى بلاده يبدأ بنحت تلك المشاهد على





المنحوتات او الألواح الجدارية في القصور الملكية، وقد وجدت مجاميع منها في مواقع آشورية مختلفة نذكر منها الألواح البرونزية التي تم العثور عليها في موقع بلوات من عصر الملك شيلمنصر الثالث يظهر فيها أحد النحاتين وهو ينحت على كتف جبل عند منابع نهر دجلة في الأناضول[١٠].

اما بخصوص نقل البريد العسكري فقد قام به صنف السعاة الذي يتألف من مجموعة من الموظفين العسكريين كانوا تحت أمرة مسؤول او مشرف عليهم، وهذا المسؤول يقوم بارشاد السعاة ومراقبتهم وتوزيعهم في محطات البريد، وقد استخدموا الحصان والعربة والدواب لنقل البريد.

**القادة:**

ان المتتبع لتاريخ العراق القديم يجد في خضم مسيرته وأحداثه عددا من القادة العسكريين الذين تركوا آثار سيرهم وبطولاتهم التي كانت مثار اعجاب واعتزاز تفخر وتحتذى به الأجيال على مر العصور، فقد امتازوا بشجاعتهم، وفروسيتهم، وعطائهم، وتضحياتهم من أجل الحفاظ على أرض الوطن ورفعة مكانته وادامة تواصل عطائه الحضاري ويأتي في مقدمة هؤلاء القادة الملك الذي كان يقود القطعات العسكرية الى ساحة القتال بصفته القائد الأعلى للجيوش، وقد ينيب عنه أحد أبنائه اوكبار قواده.

ان معلوماتنا عن القادة العسكريين تبدأ بالوضوح منذ منتصف الألف الثاني ق. م وما بعده حيث ضمّت المنحوتات الجدارية والقطع الآثارية مشاهد من المعارك، فضلا عن النصوص المسمارية التي تحكي لنا قصة المعارك الحربية المصورة على المنحوتات. وقد حظيت هذه المكتشفات الفريدة والنادرة والمهمة بالدراسات المختلفة سواء من الناحية الفنية او الاجتماعية او اللغوية وأمدتنا بمعلومات يستطيع الباحث ان يستنتج منها أموراً كثيرة عن قيادة الجيش وبخاصة في الألف الأول ق. م.

يأتي الملك على رأس القادة العسكريين بصفته القائد العام للقوات المسلحة ويسير في طليعة القطعات العسكرية ويقود الجيش بنفسه، ان وجود القائد في المقدمة كان لهدفين أولها توجيه القوات المقاتلة حسب اوامره بواسطة مركبته، حيث يصعب عليه توجيهها بغير هذه الطريقة، ويعتقد ان عربته كانت تتميز عن بقية العربات، وربما كانت عليها اشارة معينة او راية خاصة هذا فضلا عن ان العربة الملكية كانت لها مواصفات معينة تختلف عن باقي العربات. والهدف الثاني اثارة حماس المقاتلين ورفع معنوياتهم وحثهم على القتال بوجوده على رأس الجند.

كان الملك يتابع بنفسه تنظيم الجيش وحسن استعداده للمعركة ووضع الخطط العسكرية



الملك الاشوري بعربته الحربية





وتوزيع قطعات الجيش والأسلحة المتوفرة بصورة تؤمن الاستفادة منها الى أقصى حد ممكن لكسب المعركة وكان يحشد جميع الطاقات المادية والمعنوية لتحقيق النصر، وكان يعمل على سيادة روح النظام والانضباط في جيشه لأنه كان يعلم ان ذلك من مستلزمات النجاح والنصر، واعتمد في اتخاذ القرارات ومتابعة تنفيذها المقاتلين لها على دور القيادة .

وكان الملك يظهر في مقدمة الجيش حتى في الاستعراضات العسكرية لانه رأى نفسه بالدرجة الاولى قائد الجيش الآشوري وانه يقاتل من أجل نشر الحق الالهي. وقد وصلت الينا مجموعة من الملاحم الآشورية وهي قطع أدبية تتطرق الى موضوعات سياسية وتاريخية، اذ تصور لنا الملك الآشوري بطلا، وهو في مقدمة رجاله نقتطف من هذه القطعة الأدبية بعض المقاطع :

"لقد قبل جنود آشور دعوة الملك الى الحرب، وتبعوا الملك القائد ليقاتلوا وهم يرون الموت في الأعين، انهم يتطلعون الى عشتار راجين رحمتها، ويمجدون السيدة في معمعة القتال، انهم يندفعون بضراوة في حومة الوغى، يلوحون بالحراب.... رقص الرجال الأشداء الأقوياء في لعبة السلاح الفتاك، أمام القائد البطل.... انه الملك".

كان يحيط الملك عندما يصطحب الحملة مجموعة من الحراس الراكبين والراجلين ومهمتهم الدفاع عنه حتى الموت لأنه كان يقوم برعايتهم والسهر عليهم، وقد كان لحب الجند للملك أبلغ الأثر في احراز النصر على العدو.

ولكثرة واجبات الملك وتنوعها فقد اضطر احيانا للاستعانة بالقادة في قيادة بعض السرايا العسكرية، لذلك اختار بعض القادة لمساعدته في قيادة الحملات وتحقيق أهدافها. وفي بعض الأحيان كان ينوب عن الملك في قيادة الجيش ابنه وولي عهده وذلك في حالة غياب الملك او عندما يكون الملك كبير السن او في حالة عجزه او اصابته بمرض او عندما يكون مشغولا بادارة دفة الحكم وتسيير أمور المملكة في الداخل، فعندئذ تناط مسؤولية قيادة الجيش يولي العهد لتدريبه على تحمل المسؤولية[11]. فالملك أسرحدون أمر بتلقين ابنه آشور بانيبال فنون الحرب والقتال وعهد اليه مهمات عسكرية وكذلك فعل الملك الآشوري سرجون عندما عيّن ابنه سنحاريب قائدا عاما للقوات المرابطة على الحدود الشمالية وكان يرافق ولي العهد في حملاته ضابط برتبة ضابط ركن ومجموعة من الجنود لحراسته.

وللتطور الذي أصاب الجيش فقد اهتمت الدولة باختيار القادة الذين تناط بهم مسؤولية العمليات العسكرية وهم "الترتانو" Turtanu وكان هذا المنصب يمثل أعلى رتبة في الجيش الآشوري ويأتي بعد الملك وربما يقابل منصب رئيس اركان الجيش او رئيس اركان حرب القوات المسلحة الآن.

وكان يقود الحرب نيابة عن الملك او بدلا عنه وأحيانا كان ينوب عن الملك في ادارة شؤون الدولة، وهو المستشار الخاص للملك ايضا.

ورد في النصوص المسمارية ذكر "ترتان ثانٍ šanu turtanu وهذا المنصب يمثل مرتبة أدنى من مرتبة الترتان، ولكنه من المناصب العسكرية المهمة، ولربما كان بمثابة نائب رئيس اركان الجيش او معاون رئيس اركان الجيش وربما يكون المستشار الثاني للملك في الأمور العسكرية، وكان يقود العمليات العسكرية ويشرف عليها.

ثم يليه منصب الرابشاقة "rab šaqe" الذي كان ايضا يصاحب الحملات العسكرية ويقوم بقيادتها ويكلف ايضا بمهات عسكرية خاصة. وقد تولى الرابشاقة ادارة احدى الولايات الآشورية في زمن الملك تجلا تبليزر الثالث.





ومن المناصب العسكرية الأخرى "رب موجي" rab mugi وهو مبعوث الملك للشؤون العسكرية الى البلدان الخارجية ولربما تقابل في الوقت الحاضر وظيفة ملحق عسكري ورتبة عسكرية أخرى عرفت باسم "رب ش ريش" rab ša rēši ويقابلها بالمصطلح العربي كبير الضباط، وكانت مهمته الأشراف على الشؤون الادارية والمالية لضباط الجيش وربما تقابل وظيفة المدير العام للشؤون العسكرية. ثم يلي هؤلاء ضابط برتبة رب كيصير rab kisir التي تعني كبير او رئيس او آمر المجموعة وتضاهي منصب آمر السرية الآن.

وهناك ضابط من ذوى الرتب الصغيرة مثل رئيس الخمسين "رب خمشي" rab hamsi أي آمر فصيل تحت أمرته فصيل يتألف من خمسين جنديا ورئيس السبعين اي آمر فصيل يتكون من سبعين جنديا ورئيس العشرة اي آمر العشرة اي فصيل يضم عشرة جنود ثم آمر البوابات الذي يقوم بحراسة بوابات المدينة(١٢).

كان معظم القادة العسكريين البارزين من الطبقات العليا، وكان النظام العسكري يعتمد على وحدات من الجند يتبع حكام الأقاليم، ثم ادمجت هذه الوحدات في جيش منظم يخضع الى قيادات فرعية وعليا.

كان قادة الجيش الآشوري وعلى رأسهم الملك مخططين عسكريين ممتازين ولهذا فقد تأكد تفوق خططهم العسكرية على خطط الأعداء، هذا فضلا عن جودة معارفهم الحربية على معرفة الأعداء قادهم من نصر الى آخر، كما أفادوا من معرفتهم بطبيعة أرض العدو فاختاروا بأنفسهم الموضع الملائم للمعركة.

**تجنيد وتدريب الجند :**

كان الجيش الآشوري في عهده المبكر يجند من الرجال الاشداء القادرين على حمل السلاح من الآشوريين، وكان هؤلاء يستخدمون لحماية الملك وتنتخب تلك المجموعة من بين المقربين والذين يدينون بالولاء المطلق للملك، وقد اطلق عليهم اسم الحرس الملكي، وورد ذكرهم في النصوص المسمارية بصيغة (قربوت) qurbuti المضاهية للكلمة العربية القربى "او" المقربون" وبمرور الزمن انضم اليهم افراد من غير الآشوريين من المعروفين بولائهم للملك ايضا، وكانوا يكلفون بمهات خاصة عند الضرورة بالاضافة الى الحماية الدائمة للملك وللبلاط الآشوري.

ولما اتسع مسرح العمليات العسكرية باتساع رقعة الامبراطورية الآشورية أصبح القوام العددي للجيش لايفي بالمرام، لذلك تم تأليف جيش نظامي دائمي قوي من حيث الكم والنوع وكان مركز اقامته في العاصمة والمدن الرئيسة للأمبراطورية الآشورية، وفضلا عن ذلك فان الدولة غالبا ماتلجأ الى عملية تجنيد اعداد أخرى من الجند اذا مادعت الحاجة الى ارسال قوات كبيرة العدد حيث يفرض العدد المطلوب من الجند على كل مدينة او ولاية وهؤلاء يجندهم الحكام المحليون للمقاطعات الحدودية للأمبراطورية، ويظهر أن الحكام الذين يعينهم الملك كانوا مسؤولين عن استدعاء المقاتلين وتهيئتهم عند الضرورة بعد ان يتم تدريبهم في مناطقهم وتهيئتهم للحرب ووضعهم في حالة استعداد تام للقتال، ثم ارسالهم الى الجهة التي يوصي بها الملك، وقد ورد في رسالة وجهها أحد الأمراء الى الملك أسرحدون العبارات الآتية :

"انحني اليك اجلالا، ياسيدي الملك، قمت بواجبي وفي ما أمرتني به من اليوم السابع والعشرين الى اليوم الثامن والعشرين جمعت الجند في المدينة وأنبأتهم بأوامركم وسوف نرسل لكم العدد المطلوب" (١٣).

وكانت الدولة تستعين بفئات أخرى عند الحاجة، وقد أطلق عليهم اسم "دكوُت" dikutu





التي تعني "النفير" وفي نصوص أخرى dikūt mātī أي "جيش البلاد" وكانت عملية اعداد المقاتلين واستنفارهم تعلن في كل سنة تقريبا حتى اذا لم تكن هناك حملات عسكرية وانما للاستعراض العسكري. وعند قيام الحملات العسكرية كانوا يخرجون الى القتال تلبية لواجب مقدس، فلم يتخلف عنهم الاّ من له عذر مشروع، واذا ما نودى للحملات وتخلف عنهم احد تعرض الى عقاب شديد. فقد جاء في احدى الرسائل الموجهة من الملك الى احد الحكام "انذر المتخلفين من الجند بالتعرض للعقوبة الشديدة وأمرهم بالالتحاق بالجيش" وربما كانت العقوبة المترتبة عليهم تصل الى الاعدام.

كان الملك يقوم بالحملات عادة في شهر تموز او بعده، واحيانا في الشتاء ويعود في ذلك الى انتهاء موسم الحصاد طالما كان الجيش يتألف بشكل رئيس من المزارعين القادرين على حمل السلاح، الذين كانوا يستنفرون في المدن والقرى والأرياف للمشاركة في الحملات العسكرية حين تقتضي الحاجة ذلك. اما في حالات السلم فكان الرجال يعودون الى مزاولة اعمالهم الاعتيادية.

وفي زمن الملك الآشوري سرجون أصبح التجنيد الزاميا بالنسبة لسكان المدن الخاضعة للآشوريين، وأصبح التجنيد الالزامي من أبرز التنظيمات العسكرية للجيش الآشوري، فقد تم تجنيد فرق عسكرية من القبائل والأقاليم التابعة لها من الجنود المحترفين، فأصبح الجيش يتألف من الآشوريين، فضلا عن العناصر الأخرى، وأصبحت لهؤلاء مكانة لاتقل عن مكانة الجيش الآشوري حتى ان بعضا منهم انخرط في خدمة الجيش الملكي النظامي، وبهذه الطريقة تمكن الآشوريون من تجميع اكبر عدد من المقاتلين وتدريبهم وتسليحهم لمواجهة العدو والتغلب عليه.

كما كان القادة يعملون على اعداد المقاتلين اعدادا معنويا عاليا ويغرسون روح التضحية والبطولة والشجاعة في نفوسهم.

ولابد لنا من الاشارة الى ان بعض الأشخاص كانوا يحصلون على عفو خاص من الخدمة العسكرية، لأسباب تتعلق بحاجة الدولة الى خدماتهم، وكان بوسع المطلوب للخدمة العسكرية تقديم شخص آخر يخدم عوضا عنه (البدل الشخصي) او دفع البدل بالمواد العينية كالزيوت والحبوب والمعادن، وربما يقابل الآن (البدل النقدي) وكانت عملية التطوع معروفة ايضا وتشكل رافدا آخر لعملية تجنيد المقاتلين وتهيئة القوات اللازمة للدفاع عن الدولة وحماية أمنها، وكان ينضم الى الجيش عند مسيرته الى ساحة القتال الكثير من المتطوعين وأغلبهم من أهل القرى والأرياف الذين تركوا قراهم وأرضهم وعرضوا خدماتهم على الجيش.

لم تحدثنا المصادر عن حدود عمر المقاتلين الدنيا وعن سن الالتحاق بالخدمة العسكرية، ولكن يبدو ان الالتحاق بالخدمة العسكرية ربما كان يبدأ من سن الخامسة عشرة وتنتهي بانتهاء قابلية الجند على حمل السلاح والقتال دون التقيد بعمر معين وسن محدودة، اما عن عدد الجند فليس هناك ارقام واحصاءات ثابتة، غير ان هناك بعض الاشارات ترد في النصوص الخاصة بكتابات الملوك يمكن من خلالها التعرف على عدد الجند لفترة من الفترات، فيذكر الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٤- ٨٥٨ ق. م) مثلا ان عدد الجنود المشاركين في معركة القرقار بلغ خمسين الف مقاتل، ويذكر شيلمنصر الثالث (٨٥٨- ٨٢٤ ق. م) بأن عدد المقاتلين المشاركين في حملته العسكرية بلغ مائة وعشرين الف جندي. وكان يتم تدريب الشباب في مراكز تدريب خاصة ولربما في المعسكرات او الثكنات





البعيدة عن أهلهم، وكان عليهم ان يلبسوا ملابس لم يعتادوا عليها ويلتزموا بالأوامر والتعليمات كما هو الحال في وقتنا الحاضر. حيث كان يوفد الشباب الى تلك المعسكرات لكي يتعلموا فنون القتال . اوكان يتم تدريبهم في مناطق سكناهم على يد الضباط المسؤولين في الجيش ويشرف عليهم ضابط برتبة آمر.

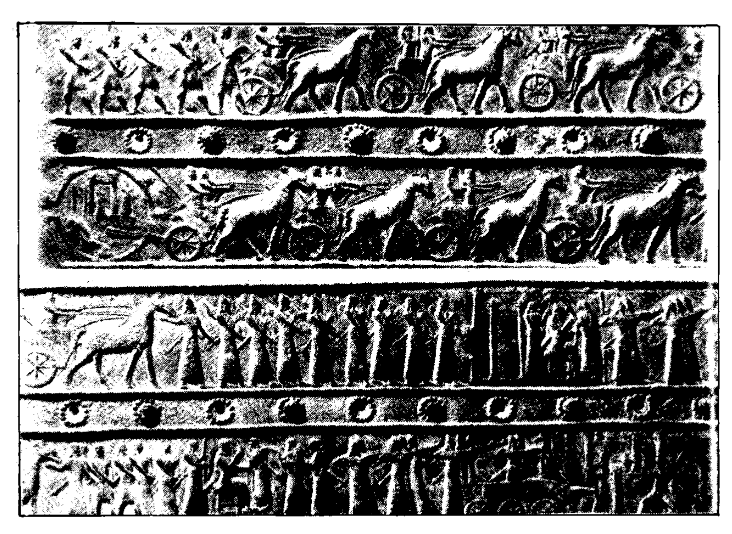
لم يقتصر تدريب الجند على الشباب الآشوريين فقط بل شمل سكان المدن الحدودية التابعة للأمبراطورية الآشورية وأسرى الحرب .

وبعد الانتهاء من الفترة المحددة للتدريب كان يتم توزيعهم على صنوف الجيش ويختار المسؤول المتميزين منهم للانضمام الى صنف الخيالة (الفرسان) .

**أساليب القتال :**

ليس لدينا معلومات وافية عن أساليب القتال التي عرفها الآشوريون ، ولكن من خلال قراءة النصوص المسمارية ودراسة المنحوتات الجدارية المثلة عليها مشاهد عسكرية مختلفة اتضح لنا ان الآشوريين اهتموا اهتماما بالغاء ببناء جيش قوي يدرأ عنهم اطماع القوى الخارجية والحد من توسعها ، فقد ساهم الجيش الآشوري مساهمة فعّالة في ترسيخ وحدة العراق وحمايته من التجاوزات التي قام بها بعض من الأقوام والدول الأجنبية المجاورة خلال بعض الفترات التاريخية الضعيفة حينما كان العراق ينتابه ضعف سياسي وتفكك نتيجة لتعدد السلالات الحاكمة وبخاصة في اواخر الألف الثاني ق. م ، ولكن من مطلع الألف الأول ق. م قام الآشوريون بتشييد صرح اكبر امبراطورية معروفة في تاريخ الشرق القديم ، وكان من أهدافها الأساسية تحرير الأجزاء التي تجاوزت عليها الأقوام الأجنبية ومنهم العيلاميون في الشرق وفي القسم الجنوبي ، وكذلك الأقوام الغربية الأخرى التي حاولت أن تأخذ رقعا من الارض لتضمها الى حدودها مما اضطر الآشوريين الى الدفاع عن بلدهم وشن الحملات الحربية عليهم .

امتاز الآشوريون باستخدام أساليب متنوعة في القتال ، وبرعوا فيها براعة أدهشت أعداءهم ،



مشاهد حربيه منقوشه على صفائح من البرونز كانت تغلف باب قصر آشوري في بلوات



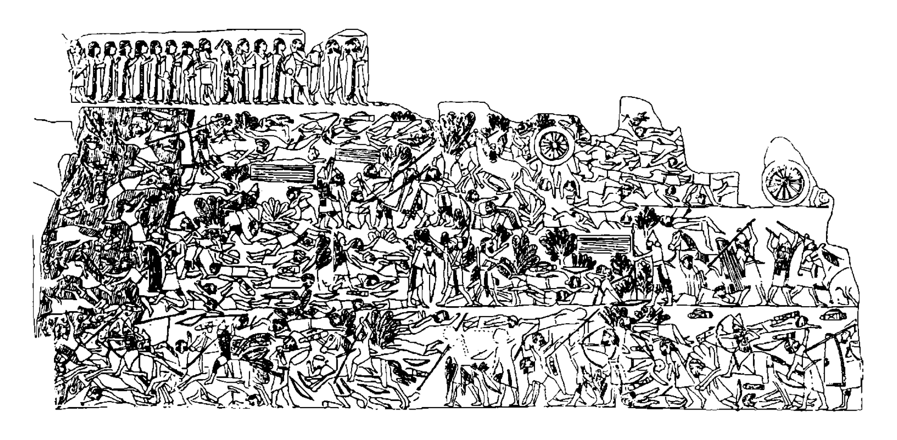


ودلت على عبقريتهم وامكاناتهم القتالية العالية. وكان القادة عندما يهيئون للحملات الحربية يؤكدون على التمسك بالحذر وكتمان أمر الحملات ليفوتوا على العدو فرصة التهيؤ ويرسلوا مجموعة من الجند تستكشف الطريق وتتحقق من عدم وجود كمائن او ارصاد للعدو وذلك لتأمين الحماية الضرورية للقطعات العسكرية اثناء سيرها.

واعتمد الجيش الآشوري في قتاله على مبدأ المباغتة لتوجيه ضربة قوية الى العدو قبل ان يكون قد استعد الاستعداد الكافي لذلك، وكانوا ينفذون اعمالهم القتالية بهجمات سريعة، فكانت مفاجأة للعدو وكان ذلك من أسباب انتصارهم وبأقل التضحيات، واستخدموا الكمائن للانقضاض على

الأعلى او من ينوب عنها وذلك لضرورة احكام القيادة وتحقيق مبدأ السيطرة على المقاتلين مما يساعد على سهولة الاتصال بالجند وتوجيههم ومراقبتهم عن كثب، ويضعون وراء صفوفهم عند القتال الحيوانات والاثقال والمركبات الحربية الاحتياطية والمؤن وبعض التجهيزات الضرورية بغية تأمين الحماية واعاقة العدو من الالتفاف على مؤخرة الجيش.

ومن أساليب القتال الأخرى ايهام العدو بوجهة الحملة العسكرية، فكان القائد حريصا على توفير الحماية لقواته والعمل على حجب حقيقة توجه الحملة عن اعدائه، فاذا أراد ان يقوم بمعركة وزّى بغيرها من أجل ان يفاجئ العدو. ان هذا التكتيك



مشهد معركة انتصار آشور بانيبال على تيومان العيلامي

جنود العدو المتقدمين واعاقتهم، كما قاموا باستدراج العدو ومهاجمته، وجعلوا من أرضه مسرحا لعملياتهم العسكرية لكي يبعدوا الأذى عن أرضهم فيفاجئ الخصم خصمه في عقر داره من غير انذار اواخبار.

كان الجيش الآشوري يتألف من القوات الآشورية المختارة في الوسط وحولها القوات الخاصة والحرس الملكي وفي مقدمة المسيرة الملك اوالقائد

العسكري الرائع استخدمه الملك الآشوري سرجون وآشور بانيبال في حملاتهم على العيلاميين.

وفي بعض الأحيان كانوا يسلكون طرقا وعرة وغير مطروقة سابقا للتمويه وحماية قطعاتهم، كما عرف الآشوريون اسلوب الهجوم الليلي الذي يعتمد على الخفة وسرعة الحركة والمباغتة مستغلين بذلك غفلة الأعداء كما كانوا يقومون بالاغارة الى جهات مختلفة حتى لايتمكن العدو من اكتشافهم[١٤]





ومن الأعمال السوقية التي استخدمها العراقيون القدماء التعبئة في الهجوم حيث برعوا في وضع الخطط الحربية الهجومية اذ كان لديهم مناطق تجمع للجيوش في مختلف ارجاء الامبراطورية الآشورية ، وهذه المناطق تعد مناطق دفاعية وهجومية في الوقت ذاته فكانوا يهجمون على العدو ثم يعودون للاحتماء بها .

ومما زاد في قدرة الآشوريين الدفاعية التحصينات العسكرية والاستحكامات المنيعة التي امتازت بها أسوار مدنهم واتخاذ الخنادق في كل الظروف تحسبا لكل أمر مفاجئ ،وكانوا مستعدين ايضا لحصار مدن الأعداء المحصنة حيث استخدموا آلات حصار مختلفة وقاموا بتهيئة الوسائل الكفيلة بذلك وبنوا تحصينات دفاعية على طريق العدو لاعاقته عن التحرك السريع وكسب الوقت لصالحهم .

هذه أهم مبادئ الحرب التي طبقها الآشوريون لحماية أرضهم من الاعتداءات ، فضلاً عن الروح المعنوية العالية التي كان يتحلى بها المقاتلون ، والاستبسال في الدفاع عن الوطن والذي يعد من أهم العوامل في حسم الحرب لصالحهم ، مع اعتقاد الآشوريين بأن نصرهم على الأعداء كان بأمر الآلهة وكان لهذا الاعتقاد تأثير كبير على رفع معنوياتهم ، لأن روح المقاتلين تشبعت بهذه الروحانية الدينية جعلت المواطن العراقي القديم يشعر بأن الآلهة معه وانه على حق في رد المعتدين والطامعين في أرضه .

**المعسكرات :**

مثلما برعت القوات العسكرية الآشورية في أساليب الهجوم المنظم فقد برعت في الأساليب الدفاعية في صد هجمات الاعداء على الأمبراطورية الآشورية والمناطق التابعة لها والدفاع عن المدن والأراضي . وقد تميزت الدولة الآشورية بحذرها واتخاذ الاحتياطات اللازمة ، فقامت ببناء اسوار منيعة لمدنها مثل مدينة آشور التي كانت محصنة بسورين داخلي وخارجي وتلك الأسوار كانت مدعمة بأبراج دفاعية ، كما قامت بحفر خنادق مائية دفاعية ، فضلا عن الأسوار، ونذكر منها على سبيل المثال مدينة خرصباد (دور شروكين) وكار توكلتي نينورتا (تلول العقر)[١٥] .

كما اهتمت الدولة بتأمين المواضع الدفاعية داخل الأمبراطورية وخارجها ، سواء أكان منها المواقع الثابتة او المتحركة . وقد زودتنا اعمال المسح والتنقيب التي قامت بها الهيئات الآثارية بمعلومات عن بعض المباني كالقلاع والمخافر والقواعد العسكرية والثكنات التي كانت تستخدم لحماية الجيش ولغرض خزن المعدات والأسلحة لاغراض التجهيز عند الضرورة ، كما كانت تستخدم ايضا قواعد لانطلاق الحملة العسكرية والعودة اليها في اثناء الليل لراحة الجيش،ودليلنا على ذلك هو النص المقتبس من كتابات الملك آشور ناصربال الثاني في احدى حملاته الحربية حيث يذكر:

"استوليت على المدن التي تقع في جبل نصير وأخذت ممتلكاتها وغنائمها وعدت الى معسكري وبقيت فيه طول الليل ، وفي الصباح الباكر تابعت سيرى من معسكرى وزحفت على الأعداء"[١٦] .

هذا فضلاً عن ان التحريات الآثارية في مشروع سد القادسية (مشروع سد حديثة سابقا) أمدتنا بمعلومات عن بعض الأبنية التي كانت الصفة العسكرية هي الغالبة عليها واستخدمت قلاع اوتحصينات عسكرية ودفاعية او قواعد عسكرية . وفي ضوء نتائج التنقيبات التي جرت في مواقع هذا السد يمكنا ان نحدد نوعين من الأبنية ، المجموعة الاولى : وهي المباني التي وجدت في مواقع





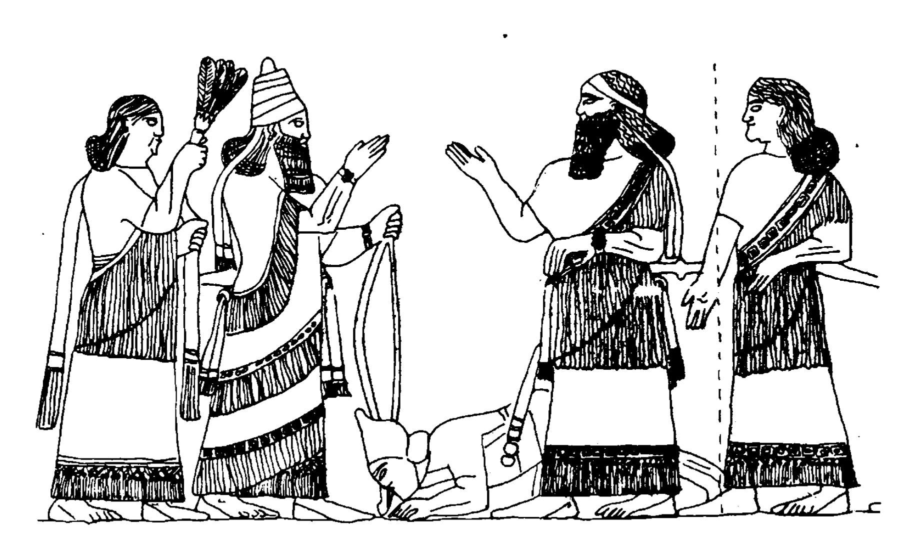
كليعة وجزيرة وسور تلبيس وجزيرة بيجان وقلعة عنة وموقع الزاوية وسور جرعة . اما المجموعة الثانية : فهي ابنية تمثل معسكرات وقتية مثل موقع الرياش والنفيلي والولادية والمرادية .

أما سور تلبيس فيضم سورا مشيدا بالحجارة واللبن بطول ٢٤١ م تتصل بجبهته الغربية قلعة مربعة الشكل مدعمة بثلاثة ابراج ، مبنية بالحجارة ،اثنان في الوسط ولربما يكون مدخل القلعة من هذا الجانب والقلعة مربعة الشكل وتتكون من ساحة وسطية مربعة الشكل ايضا تحيط بها مجموعة من الغرف تعود بتاريخها الى العصر الآشوري الحديث .

وجدت في مشروع سد القادسية مجموعة من الجزر محاطة بأسوار منها جزيرة عنة وبيجان وتلبيس ، هذه المواقع كانت محصنة ايضا ومحاطة بأسوار دفاعية وتعود بتاريخها الى العصر الآشوري الوسيط وقسم منها الى العصر الآشوري الحديث بدلالة اللقى الأثرية التي تم الكشف عنها في هذه المواقع . وجميعها محاطة بخندق عميق او وادي ولها أسوار مدعمة بأبراج .

اما اللقى الأثرية التي تم العثور عليها في بعض من هذه المواقع فتشتمل على مجموعة من الأسلحة منها رؤوس سهام من الحديد ومجموعة من الحلقات البرونزية ورؤوس حراب[١٧] ، وهذا دليل أكيد على انها كانت تستخدم لأغراض عسكرية دفاعية .

هناك صور لعدد من المعسكرات ممثلة على المنحوتات الجدارية ، اعطتنا بعض المعلومات عن تلك المعسكرات منها الدائري والبيضوي والمستطيل ، وهي عبارة عن معسكرات وقتية استخدمت للراحة وكانت مثل هذه المعسكرات تحاط بأسوار فوقها أبراج وفي داخلها خيام ، جلس في داخلها الملك سنحاريب يستقبل الوفود . أما الجند فكانوا يقومون بتهيئة الأسرة واعداد الطعام وغيرها من المستلزمات الضرورية للراحة[١٨] .



الملك تجلاتبليزر في زيه الرسمي وامامه اعداء يعلنون الخضوع



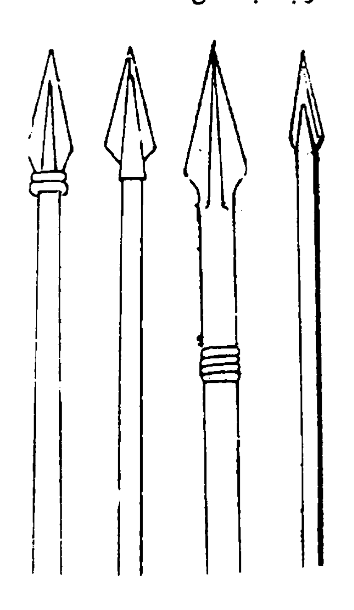


**الأسلحة والأزياء :**

تحقق الانجاز السياسي والعسكري للدولة الآشورية في الألف الأول ق. م بعد استخدام معدن الحديد في تصنيع قطع السلاح اللازمة للحرب وبخاصة آلات الحصار فتطورت الأسلحة وتنوعت ، لذلك يعزى نجاح الجيوش الآشورية في الحروب الى استخدامهم الأسلحة المتنوعة والمتطورة واتقانهم فنون الحرب في تلك الفترة.

استعمل الآشوريون انواعا مختلفة من الأسلحة ، ويمكننا ان نصنفها الى نوعين رئيسيين هما : الاسلحة الخفيفة والأسلحة الثقيلة.

فالأسلحة الخفيفة هي : الرمح ، والحربة ، والفأس ، والبلطة ، والقوس ، والمقلاع . ومن الاسلحة الخفيفة الأخرى الهراوة ، والمدية ، والخنجر ، والسيف . فقد استخدم الرمح للطعن في الاشتباك القريب وقد آلت الينا بعض الرماح القصار والطوال ، ونشاهد أن بعضا منها كان مزينا بالذهب والفضة وباشكال بشرية او اسطورية ، واختلفت أسنة الرماح من فترة لأخرى فتوجد أسنة أشبه بالورقة النباتية وأخرى شكلها معيني وغيرها مثلث الشكل ، وقد استخدمت هذه الرماح في الحروب صنوف المشاة والخيالة وجنود المركبات . اما الحربة فكانت من الأسلحة التي ترمى باليد ، وأما الفأس فقد استخدمها الجند المشاة لشق الطرق والمسالك في المناطق الوعرة وكسلاح ايضاً وهناك فؤوس مزدوجة وذات نصل مثلث الشكل وأشكال أخرى مختلفة ، والبلطة كانت للضرب والقطع والرمي وتمشيط الأرض من الادغال وكانت تصنع من المعادن القوية وسميت في النصوص المسمارية بصيغة بالطو paltu المضاهية للتسمية العربية ، واستخدم صنف الخيالة (الفرسان) القوس ، اذ يعد من الأسلحة المهمة وكان القوس يتألف من البدن والوتر ، والأقواس اما ان تكون منحنية الشكل اومثلثة ، وقسم منها مزين بزخارف ورأس حيوان كالأسد والبطة بدلا من العقدة.



استخدم العياريون المقلاع ، وأظهرت لنا التنقيبات الأثرية كثيرا من الكرات البيضوية الشكل مصنوع قسم منها من الفخار والآخر من الحجر من فترات زمنية مختلفة ابتداء من الألف الخامس ق. م وظلّت مستخدمة قذائف للمقلاع الى آخر الحقب الزمنية من تاريخ العراق القديم ، ولم يقتصر استخدامها على بلاد وادي الرافدين ، بل انتشرت الى الاقطار المجاورة شأنها شأن بقية الأسلحة ويضم المتحف العراقي مجاميع كبيرة منها عرضت مجموعة منها في بعض قاعاته ، ومن الأسلحة الخفيفة الأخرى هي المدك والمطرقة (القزمة) والكلاليب التي استعملت لثقب جدران الأسوار والمدن ، والهراوة لتهشيم خوذ العدو وكانت تعمل من الحديد ورؤسها ذات أشكال مختلفة يحمل القسم منها كتابة مسمارية للدلالة على منصب حاملها او رتبته.

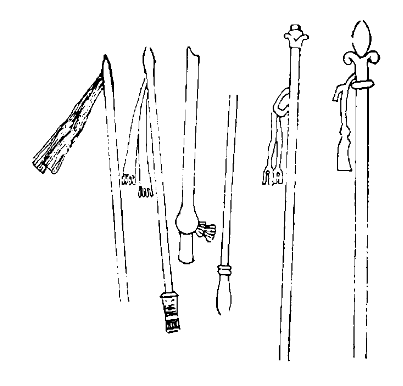




وهناك أسلحة أخرى مثل الخنجر والسيف، فقد استخدما للطعن في الاشتباك القريب، وقد حصلنا على مجاميع منها، قسم منها مؤطر ومزوق بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، واشكال السيوف كانت تختلف من فترة لأخرى، فضلا عن ان السيوف التي يحملها الملك وذوو الرتب العالية في الجيش تختلف من حيث الشكل عن مايحمله الضباط والجند.

وفضلا عن الأسلحة الخفيفة فان الجيش الآشوري استخدم انواعا أخرى من الاسلحة عرفت بالثقيلة ومنها العربة، وتعد من الأسلحة الهجومية المهمة، وكانت في بداية ظهورها بسيطة الشكل ثم طرأ عليها تحسن كبير في الحقبة الآشورية وبخاصة الحديثة منها. وتتميز العربات بسرعتها وخفتها في المناورة والحركة وخاصة العربات الحربية التي كانت خفيفة الشكل وتسحب بوساطة زوج من الخيول يركب عليها جنديان هما المقاتل والسائق، وأصبحت في الفترة الأخيرة من عمر الدولة الآشورية اكبر ثقلا وحجما وتضم ثلاثة ركاب فأكثر وجهزت بعجلات كبيرة، ومثل هذه العربات كان لها دور فعّال في حسم المعارك لانها كانت تسير في طليعة صفوف المقاتلين وتخترق صفوف العدو وتتوغل بين افراد جنده. ولا بد لنا من الاشارة الى ان العربة استخدمت ايضا في حالات السلم، مثل الاستعراضات العسكرية والاحتفالات والأعياد والصيد.

لم يقتصر الآشوريون على اعتماد هذه الأسلحة فقط، وانما استعملوا اسلحة أخرى وهي الزحافة والكبش المسلح والبرج المتحرك في حصار المدن والقلاع وحلّت محلها بمرور الزمن الدبابات التي كانت تتولى عملية أحداث ثغرات في الأسوار لكي ينفذ منها الجنود داخل المدن المحاصرة، وتصنع الدبابة من مادة الخشب وتغطى بصفائح من المعدن او الجلد، واستخدم الآشوريون السلالم والحبال للتسلق على أسوار المدن والقلاع لاقتحامها.



نماذج من الاسلحة الآشورية

ومن الأسلحة الدفاعية التي اهتم بها الآشوريون الدروع والتروس وألبسة الرأس والواقيات لحماية الذراع والرقبة وكذلك الأسوار والخنادق والقلاع وغيرها[١٩].

تظهر المنحوتات التذكارية والأختام والمسلات، وكذلك الاشارات الكثيرة التي وردت في الكتابات التي خلفها لنا سكان العراق القدماء، أن للملك القائد ولجنده المحاربين، أزياء عسكرية خاصة خضعت لمواصفات تمليها طبيعة عملهم ورتبهم العسكرية.

ارتدى الملك زيا خاصاً في اثناء الحرب وهو عبارة عن ثوب طويل ينتهي بحاشية وله كمان قصيران يتوسطه حزام عريض وأحيانا حزامان، وتتدلى من الحزام قطعة قماش تنتهي بحافة مشرشبة ويعتمر بالتاج ويحتذى نعلا ذا واقية للكعب ترتفع قليلا في الخلف ويتمنطق بسيف وأحيانا كان سلاحه القوس ايضا.

وماكان يلبسه ولي العهد فهو مشابه للباس الملك. ويرتدي رئيس اركان الجيش بدلة طويلة نهايتها السفلى مطرزة وذات شرائب وفي وسطها حزام عريض ويلبس ايضا شالاً مزخرفا يتألف من ضفائر طويلة اما كتفه اليسرى فكانت عارية وفوق رأسه عصابة مزخرفة من الامام، ويتدلى منها شريطان من الخلف ويلبس في قدمه حذاء مثل حذاء الملك،اما الرابشاقة فكان يرتدي لباسا مشابها للترتانو ويمكن تمييزه عن الترتانو بكونه غير ملتحي لأنه من المخصيين الذين يعملون في البلاط الآشوري، ولباس كبير الضباط (الربشاريش) الذي يقابل الآمر في الوقت الحاضر كان يتألف من ثوب قصير في وسطه حزام وعصابة على الرأس، اما سلاحه فكان السيف. ومنادى القصر او المنذر بالحرب كان يرتدي زيا فيه بعض الاختلاف وهو الوردة البيضاء المطرزة على الكتف اليمنى.

يختلف لباس الضباط بعض الاختلاف عن لباس المراتب العسكرية التي أشرنا اليها، ويعزى الاختلاف الى طبيعة المهنة التي تفرض لباسا خاصا. فقد ارتدى الفارس زيا خاصاً وهو عبارة عن ثوب قصير مفتوح من الامام ليسهل عليه ركوب الخيل وتوفر له حرية الحركة فوق ظهر جواده ويضع الفارس فوق رأسه الخوذة المدببة وكان حافي القدمين، اما لباس المشاة فكان عبارة عن ثوب قصير يصل الى الركبتين، وهو ذو أكمام قصيرة ضيقة ويضعون فوق رؤوسهم البيضة ويلبسون الجزم الطويلة وظهر بعض المشاة على المنحوتات وهم حفاة الأقدام.

والجند الذين يقومون باقتحام الأسوار كانوا يرتدون ثوبا قصيرا يصل الى الركبتين في وسطه شال مزخرف يمتد بين الساقين. ولباس رماة النبال كان عبارة عن درع أو زرد طويل يغطي معظم الجسم. ويرتدي العيارون ثوبا مشرشف الحافة وله أكمام ويعتمرون خوذا مخروطية الشكل ذات واقيات للاذن (٢٠).

لم يقتصر الآشوريون على اعتماد هذه الملابس فقط، وانما استخدموا لباسا عسكريا واقيا بأشكال وأحجام مختلفة تبعا للغرض الذي استخدم من أجله، وارتدوا فوق رؤوسهم الخوذ المختلفة ايضا.

ويتضح لنا من مجمل ماذكرناه اهتمام الآشوريين بالمعدات الحربية الضخمة والأسلحة الدفاعية لكونها ضرورة حتمية، والسبب يعود في ذلك الى طبيعة المهام التي اضطلع بها الجيش الآشوري وهي اعداد وتجهيز الحملات العسكرية المتتالية الى مناطق وجبهات مختلفة ليواجه اعداء من مناطق اجنبية مختلفة. وطبيعي ان تلك الحروب قد أملت على الآشوريين أساليب خاصة في القتال وانواعا متعددة من الأسلحة لتحقيق الانتصارات في مختلف الجبهات.

**الرواتب والأجور:**

لاتذكر المصادر المكتوبة شيئا وافيا عن رواتب القوات المسلحة ومقدار ماكان يتقاضاه كل جندي منهم،فالمعلومات عن ذلك قليلة جدا، ولكن من خلال دراسة بعض النصوص والقوائم يمكننا ان نعطي لمحة وجيزة عن مجمل الرواتب والأجور التي كان يتقاضاها الجند.

يبدو أن القوات المجندة من الأقاليم والمقاطعات كانت تتقاضى الجرايات من الأرزاق مقابل خدمتها العسكرية، وكان يعطى للمقاتل من المواد العينية كالحبوب وقد كانت المادة الرئيسة التي يعتمد عليها الناس في حياتهم المعيشية بالاضافة الى المواد الأخرى كالسمن والتمر والفواكه، وكذلك بعض المواد الأخرى. وتدفع بعض الرواتب الى الجند المتطوعين الى جانب ذلك، اضافة الى مايحصل عليه المقاتلون من غنائم، وبوسعهم شراء المواد الغذائية من عطائهم ومن الغنائم التي يحصل عليها الجيش في معاركه العسكرية.

وهناك أسلوب آخر وهو اقطاع أراضٍ زراعية للجند عوضا عن الرواتب، وقد عالج قانون





حمورابي بعض الرتب الخاصة وهم القناص والجندي اللذين كانا يمنحان اجرة عينية تتمثل بالأراضي عند تأدية الواجب العسكري[٢١] .

اما الرواتب فكانت تعطى لذوى المناصب العالية في الجيش الآشوري اسبوعيا او شهريا او سنويا ولم تعط لهم نقود وانما قطع معدنية ، لأن النقود كانت غير معروفة آنذاك. وتعطى القطع المعدنية ايضا للجند الذين يلتحقون بالحملات العسكرية عند النفير العام او دعوة الملك اليهم ولربما كانت تمنح للفرسان ايضا.

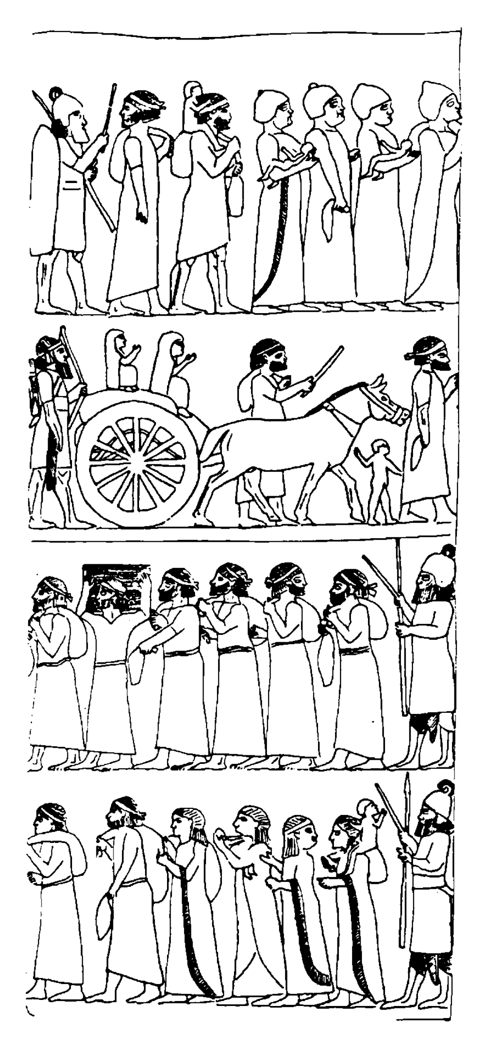
اما بالنسبة للتجهيزات العسكرية كالملابس والذخيرة والمؤونة فكانت الدولة مسؤولة عن توفيرها للقطعات العسكرية.

**الأسرى :**

زودتنا التسجيلات الكتابية وكذلك المشاهد الحربية المصورة على الألواح الجدارية والمسلات ببعض المعلومات عن كيفية معاملة الآشوريين لحكام الشعوب المغلوبة والأسرى ، فاذا عدنا الى حوليات الملوك والكتابات الملكية فاننا نجد تسامح الآشوريين في كثير من الأحيان مع بعض الشعوب الخاضعة ، وليس أدل على ذلك من اعادة تعيين الحكام الثائرين على عروشهم ، كما حدث في زمن الملك سرجون الآشوري عندما أعاد مردوخ ابلا أدينا الى الحكم ، وهكذا الحال بالنسبة الى الملك سنحاريب وتسامحه مع حكام مدن الساحل الفلسطيني ويحدثنا الملك آشور ناصر بال الثاني عن حملته ضد بلاد نائيري ما يلي :

"أسرت كل ملوك بلاد نائيري ، وبحضور سيدى الآله آشور جلبتهم أسرى ومقيدين ، ولكني اطلقت سراحهم مقابل الولاء لسلطة الآلهة"[٢٢] .

ومن هذا يتضح لنا ان الأسرى الذين دانوا بالولاء للآشوريين كانوا يعفون من العقوبات ، اما الذين يعصون ويتمردون ويتعاملون مع الأعداء



مشاهد لاسرى الحرب

فمصيرهم الموت،وهذا أمر مألوف في الحروب عند جميع الشعوب في مختلف العهود والازمنة قديما وحديثا.





يذكر الملك الآشوري سرجون في أحد انتصاراته بأنه ترك ماتبقى من سكان الخصوم دون أن يأسرهم بل تركهم أحرارا لكي يهربوا وينقذوا أنفسهم تمجيدا لنصر سيده الاله آشور. ويتحدث لنا الملك المذكور عن حملته التأديبية على بلاد اورارتو عندما تحالفت مع القبائل الجبلية وأخذت تضرب الحاميات العسكرية الموجودة على الحدود فيقول :

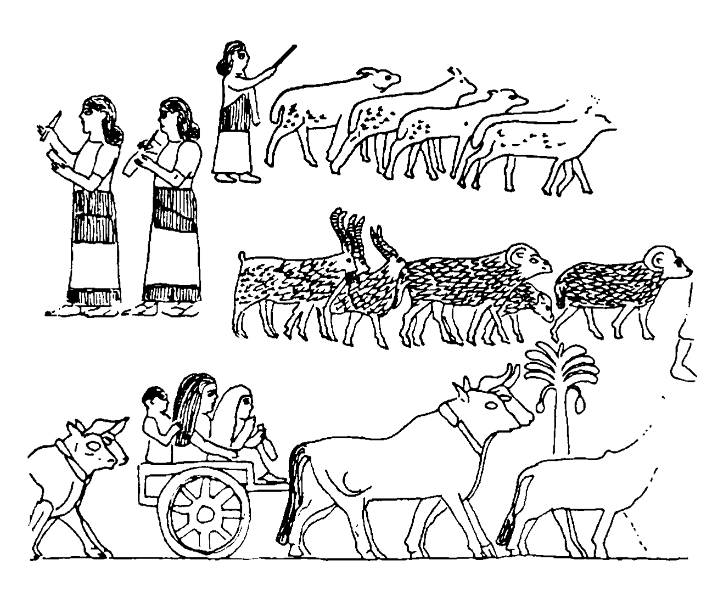
"تركت الأسرى يهربون الى مخيمات الأعداء والى أهاليهم ليقصوا عليهم ما خل بهم من ويلات الحرب".

كان لسياسة هؤلاء الملوك وحسن معاملتهم للأسرى اكبر الأثر في استمالة اعداد كبيرة منهم الى الجيش الآشوري ، فكان كثيرا من الأسرى وقوات الدول المندحرة الموالين للسلطة الآشورية يدخلون في صفوف القوات المسلحة وبخاصة في القرنين الثامن والسابع ق. م وكانت حقوقهم وواجباتهم مماثلة للجيش الآشوري.

واستخدم الأسرى ايضا في بعض الأعمال في البلاط الملكي الآشوري ، وكذلك الأعمال الحرفية وذلك لتوفير مستلزمات الحياة لهم[٢٣] .

لقد أوضحت بعض المشاهد الممثلة على المنحوتات التي عثر عليها المنقبون في المواقع الآشورية اسلوب معاملة الآشوريين للأسرى،حيث صوّرت بعض المشاهد للأسرى وهم في حالة استراحة (نساء جالسات يرضعن اطفالهن ، أسير يشرب ماء من جرة ، أسرى جالسون بالقرب من النار للتدفئة ، ومنظر آخر نشاهد فيه نساء واطفالا وشيوخ راكبين على العربات مع أمتعتهم او على ظهور الدواب غير مكبلة ايديهم بالسلاسل في حين نجد الرجال الأسرى يسيرون خلفهم وأيديهم مكبلة بالسلاسل والأغلال)[٢٤] .

أما الأسرى من المقاتلين الآشوريين الذين تم أسرهم في اثناء الحروب من قبل العدو فكانت الدولة تدفع الفدية عنهم لفكهم من الأسر وقد ورد



مشهد احصاء الغنائم من عهد تجلاتبليزر الثالث





بخصوص الأسرى الآشوريين الذين اسرهم العيلاميون في احدى الرسائل ما يأتي :

" دفعنا عنهم الفدية وتمت تهيئة ملابس جديدة لهم ليكونوا على استعداد للمثول امام حضرة الملك". كما حفظ القانون العراقي القديم للأسير حقوقه، منها استرجاع الأرض المقطوعة له عند اطلاق سراحه، ان كانت قد اعطيت لغيره لاي سبب من الأسباب. واذا كان للأسير ابن قادر على الايفاء بالخدمات والأعمال التي يجب اداؤها للدولة مقابل التمتع بأرض مقطوعة له، عندئذ يحق له الاحتفاظ بها نيابة عن أبيه. واعطى القانون لزوجة الأسير حق الاحتفاظ بالأرض المقطوعة لزوجها، وكذلك وجوب افتداء الأسير من مال المعبد او القصر اذا لم يكن لديه مايدفع من ماله الخاص. اذا صادف ان تزوجت امرأة الغائب او الأسير بآخر فعند عودة الغائب او الأسير ان يعيدها[٢٥].

## الهوامش

(١) عامر سليمان، "الجيش والسلاح في العصر الآشوري" الجيش والسلاح، ج ١، بغداد ١٩٨٧، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٢) يوسف خلف عبد الله، "الجيش والسلاح في العصر الآشوري" الجيش والسلاح، ج ١، بغداد ١٩٨٧، ص ٢٦٥ - ٢٨٠، وكذلك، "الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث" بغداد ١٩٧٧، ص ٥١ - ٥٣.

(٣) طارق مظلوم "الأسلحة الآشورية الثقيلة ج، الجيش والسلاح، ج ١، ص ٢٧٧ - ٢٨٢.

(٤) ANET, p. 279

(٥) يوسف خلف عبد الله، المصدر السابق، ص ٢٨٢ - ٢٨٥.

(٦) A. K. Grayson, Assyrian Royal inscriptions, Vol. II, W. Germany, 1976, p. 129.

(٧) يوسف خلف عبد الله، الجيش والسلاح في العصر الآشوري، بغداد ١٩٧٧ ص ٦٠ - ٦٢.

(٨) نفس المصدر السابق، ص ٦٦ - ٦٧.

(٩) Or. 35 p. 194.

(١٠) طارق مظلوم، "الفنان الآشوري يرافق الحملات العسكرية"، بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث أخرى، بغداد ١٩٨٧، ص ٢٤٨.

(١١) طه باقر، "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، بغداد ١٩٧٣ ص ٥٣١.

(١٢) يوسف خلف عبد الله، نفس المصدر، ص ١٥ - ٢٦.

(١٣) Waterman, Royal Correspondence of the Assyrian Empire University of Michigan Press, 1930, 35, 434.

(١٤) محمود الأمين، سومر، المجلد الثامن، بغداد ١٩٥٢، ص ٧٠ وما بعدها.

(١٥) مؤيد سعيد، "العمارة العسكرية في العراق القديم"، القلاع والأسوار وأنواع المعسكرات، الجيش والسلاح، ج ٢، بغداد ١٩٨٧، ص ٧٣ - ٧٤.

(١٦) A.K. Krayson, (2), pp. 130 — 133 and Arab I p. 149.

(١٧) رحمية رشيد، سومر، المجلد ٤٢، بغداد ١٩٨٦، ص ١٥ - ١٩.

(١٨) د. مؤيد سعيد، المصدر السابق، ص ٨٦.

(١٩) يوسف خلف عبد الله، "الجيش والسلاح في العصر الآشوري" رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٢٥٨ - ٢٦٤، وكذلك ص ٢٨٠ - ٢٨٥.

(٢٠) نفس المصدر السابق، ص ٩ - ٢٦، وكذلك وليد الجادر، "الألقاب والأزياء العسكرية الآشورية"، الجيش والسلاح، ج ٢، بغداد ١٩٨٧، ص ١٠٤ - ١٠٦.

(٢١) محمود الأمين، "قوانين حمورابي والقوانين البابلية الاخيرة"، مجلة كلية الآداب (٣)، بغداد ١٩٦١، ص ٢٠١ - ٢٠٤.

(٢٢) E. Michel, Die Texte Assurnasirpalis II Die Welt der Orient II, 1954, pp. 313 — 321 Iraq, Vol. 32, 1940, pp. 177 — 197.

(٢٣) فاروق الراوي، "التعبئة وأساليب القتال في الجيش الآشوري" الجيش والسلاح، ج ٢، بغداد ١٩٨٧، ص ١٦.

(٢٤) J.D.Hall, An Analysis of Power in Assyrian palace Relief Sculptures, Unpublished thesis, Australia.

(٢٥) فوزي رشيد، "الشرائع العراقية القديمة"، بغداد ١٩٧٩، ص ١٢٣ - ١٢٤، وكذلك بهيجة خليل اسماعيل، "مسلة حمورابي" بغداد ١٩٨٠، ص ٢٤.

# المُعتَقَداتُ الدّينيَة

أ.د. فاضل عبد الواحد علي

**مقدمة :**

لاشك في ان المعتقدات الدينية قديمة قدم الانسان نفسه. فمنذ ان وجد الانسان على هذه الارض قبل دهور طويلة كانت الطبيعة بمجموعتها الشمسية وانهارها واشجارها وتقلبات ظواهرها تشكل لغزا وتحديا كبيرين له. ولا شك ايضا في ان بعضا من الظواهر الطبيعية العنيفة كدوى الرعد ولمعان البرق وعصف الرياح ووقع المطر كان لها أثرها المفزع في نفس الانسان وانها سببت له احساسا بالرهبة وشعورا بالضعف امام تلك القوى. لذلك كان من الطبيعي ان يتصور الانسان وجود قوى خفية وحية في تلك الظواهر التي كان يتعرض لها في حياته اليومية وان يتعامل مع كل واحدة منها باعتبارها كائناً حيا وليس مجرد ظاهرة غير "عاقلة". ومن جهة أخرى لاحظ الانسان عن كثب ان في الطبيعة قوى حية أخرى ليس لها صفة القوة والعنف لكنها تعمل على نشر مظاهر الخصب والانماء مثل نمو الزرع والأشجار والثمار وتكاثر الانسان والحيوان. كما لاحظ ايضا ان الطبيعة بخصبها ووفرة مياهها وكثرة حيواناتها كثيرا ما تتغير وتتقلب فتحل فيها مواسم تقل فيها الأمطار والمياه وتختفي فيها مظاهر الخصب ويتناقص عدد الحيوانات التي كان يعتمد عليها الانسان في غذائه. ان مثل تلك التغيرات الطبيعية كان لها أثر خطير على حياة الانسان لانها كانت تهدد وجوده بالذات وخاصة في الأزمان التي سبقت معرفته للزراعة وتوصله الى تدجين الحيوانات.

لذلك وفي مرحلة معينة من مراحل تطور الانسان الفكري التي يصعب تحديد زمنها بدأ الانسان يتصور أن في مقدوره تفادي تلك النتائج السلبية التي تؤدي اليها تلك التقلبات، وذلك بمحاكاة قوى الطبيعة ذاتها من خلال تأدية طقوس معينة. لقد كان ذلك بداية الاعتقاد بقوة السحر القائم على مبدأ التشبيه اى الاعتقاد بامكان استحداث الشيء عن طريق تقليد عملية حدوثه من خلال الطقوس. ولهذا السبب كان الانسان يقيم طقوسا سحرية يتقمص من خلالها ظاهرة طبيعية معينة او شيئا معينا مما أصبحت الحاجة ملحة لوجوده مثل نزول المطر وزيادة المحاصيل وتكاثر الحيوانات.

لقد كانت هذه المعتقدات السحرية وراء الرسوم التي تركها الانسان على جدران الكهوف ظنا منه ان وجود صورها على جدران الكهف سيجعل الحيوانات ذاتها تحت سيطرته ايمانا منه بالاعتقاد السحري القائم على مبدأ التشبيه. وجدير بالذكر ان هذه الرسوم ترجع الى العصر الحجري القديم والى الدور الأخير منه على وجه التحديد والذي يعرف بالدور المجدليني (٣٠ - ١٢ الف سنة قبل الالف). واستنادا الى هذا المبدأ فقد صنع انسان العصر الحجري منحوتات صغيرة من الحجارة والطين والعاج والعظام يمثل قسم منها نساءا حبالى ذات أرداف وأثدية ممتلئة، والراجح ان مثل هذه الدمى كانت تهدف الى محاكاة القوى الخلاّقة في الطبيعة والتي كانت الأم احد مظاهرها البارزة





في المجتمع الانساني والتي عرفت فيما بعد "بالآلهة الأم".

ومن الطبيعي ان تلك الممارسات السحرية التي قام بها انسان العصور الحجرية كانت تنتهي بالفشل والاحباط في معظم الأحيان، وعدم تحقيق اي من النتائج المعقودة عليها. ويرجح الباحثون ان ذلك كان سببا مهما دفع الانسان الى اتباع اسلوب آخر للتعامل مع الظواهر الطبيعية وذلك باسترضائها واستعطافها فكان ذلك بداية لعبادة القوى العليا وظهور المعتقدات الدينية. ومن الطبيعي ان يجسد الانسان عندئذ كل ظاهرة في هيئة اله تصوره قياسا على البشر في جنسين مؤنث ومذكر. وكان منطقيا بالنسبة له ان يعزو كل مظاهر الخصب والنماء والتكاثر بما في ذلك تكاثر الانسان والحيوان والنبات الى قوى عليا هي اله والهة الخصب والتكاثر. ولما كانت الظواهر الطبيعية كثيرة ومتعددة لذلك تعددت الآلهة وكثرت،فكان هناك اله لكل من السماء والارض والقمر والبرق والريح والماء وغير ذلك كثير.

**المعتقدات الدينية: أهم سماتها:**

احتلت المعتقدات الدينية حيزا بارزا في مجتمع بلاد وادي الرافدين بعامة، وكانت ممارسة العبادة وتأدية الطقوس من الأمور التي أولاها الناس أهمية بالغة. لذلك اهتم الاقدمون اهتماما كبيرا ببناء بيوت الآلهة اي معابدها حيث كانوا يقدمون فيها الصلوات والقرابين للآلهة. وكان يشرف على ادارة تلك المعابد وتأدية الشعائر الدينية فيها كهنة مختصون يحملون القابا معينة. ويمكن القول بصورة عامة ان المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين اتصفت بخصائص رئيسية:

**١ - مبدأ الحيوية:** (اومايسميه بعض الباحثين بمبدأ الارواحية) اي الاعتقاد بوجود حياة او روح في الظواهر الطبيعية المحيطة بالانسان. فكل ظاهرة مهما كانت صغيرة ام كبيرة كان يعتقد ان فيها قوة حية تحركها وتجعلها فاعلة، ولذلك كان الانسان القديم يتعامل مع قوى الطبيعة على انها آلهة تحمل صفات البيئة الطبيعية للبلاد وخصائصها، ولا سيما العنف والتقلب.

**٢ - مبدأ التشبيه:** لقد خلع القدماء على الآلهة التي اعتقدوا وجودها صفات البشر كافة، كالصفات المادية كالصورة والاعضاء والفكر والرأي والعواطف، كما عند الانسان، فالآلهة تأكل وتشرب، لذلك كان من الضروري تزويدها بالأكل والشراب وهي ايضا تتزوج وتنجب على غرار البشر، ولذلك فقد نظم الاقدمون قوائم للآلهة وازواجها وابنائها. ثم ان الآلهة يمكن ان تحب وتكره وأن تدخل في صراعات وحروب طاحنة مثلما يحدث في المجتمع الانساني، كما تصوروا ان هناك دولة سماوية يأتي على رأسها اله السماء آنو وأن هناك مجلساً للآلهة يضم فضلا عن الاله آنو كبار الآلهة الأخرى حيث كانت تجتمع وتتخذ القرارات التي بموجبها تنظم شؤون الكون. ولعل الفارق الأساسي بين الآلهة والبشر في تصورهم ان الآلهة خالدة لاتموت (وان كان بعضها يموت احيانا) في حين كتب الموت على الانسان وصار حقيقة لابد ان ينتهي اليها كل مخلوق حي.

**٣ - ثم ان الديانة في العراق القديم كانت تقوم على مبدأ الشرك:** اي تعدد الآلهة وكثرتها. اذ كان لكل دويلة مدينة اله خاص بها تخصه بالعبادة مع تقديس واحترام آلهة المدن الأخرى. وقد وصلت الينا قوائم مطولة تتضمن اسماء مئات من الآلهة السومرية والبابلية. ويمكن القول بصورة عامة ان الآلهة في بلاد وادي الرافدين كانت من حيث الشهرة والنفوذ على صنفين:

الأول ثانوي كانت عبادته محدودة في حدود دويلة المدينة التي كانت تحت حمايته. والثاني كانت عبادته معروفة على صعيد البلاد كلها وهي الآلهة الرئيسية التي كان يتألف منها مجلس الآلهة والتي يأتي على رأسها آنو اله السماء. وجدير بالذكر في هذا الصدد ان مراكز الآلهة كانت تتغير احيانا بتغير الظروف السياسية فيرتفع شأن بعضها وينال حظوة كبيرة بين الناس مثلما حدث للاله مردوخ عندما أصبح اله الأمبراطورية البابلية في سيادة الأموريين والكلديين، ومثلما حدث ايضا للأله آشور ابان السيادة الآشورية.

وفيما يلي ذكر لابرز الآلهة التي تصور العراقيون القدماء أنها تحكم الكون وجسّدوها بأشكال مختلفة:

**آنو:**

كان الاله آنو في تصور العراقيين القدماء هو اله السماء واعظم الآلهة مرتبة وشأنا. يكتب اسمه بالنجمة وهي العلامة الدالة على الألوهية في الخط المسماري. ويبدو ان المنزلة الرفيعة التي كان يحتلها الاله آنو باعتباره "أبو الآلهة" قد جعلته في منأى عن مشكلات الآلهة والبشر فأصبح بمرور الزمن مجرد رئيس رمزي للآلهة. وكان مركز عبادته في مدينة الوركاء حيث شيّد له معبد مبني على مصطبة ترتفع الى مايزيد عن خمسين قدما، ويعرف معبده بين المختصين بالآثار باسم "المعبد الأبيض" نسبة الى طلاء الجص الأبيض على جدرانه. وفي هذه المدينة ايضا معبد آخر لابنته الآلهة انانا (عشتار).

**انليل:**

حسب التصور العراقي القديم بأن الاله انليل، اله الجو يأتي بعد الآله آنو في الأهمية. ويتكون اسمه في السومرية من مقطعين " en " بمعنى "السيد" و" lil " بمعنى "ريح، هواء"، وعلى الرغم من أن الاله آنو كان كبير الآلهة ورئيس مجلسها، فان انليل كان يتمتع بسلطة ونفوذ واسعين في مجلس الآلهة، كما ان انليل استحوذ، وفي وقت مبكر من تاريخ وادي الرافدين، على بعض الألقاب الخاصة بالاله آنو مثل "ابو الآلهة" و "ملك الآلهة". وهناك شواهد عديدة تشير الى أن الاله أنليل كان وراء العديد من القرارات الخطيرة التي اتخذتها الآلهة بخصوص الانسان. ومن ذلك ارسال المرض ثم القحط ثم الطوفان لانقاص عدد البشر بعد ان تكاثروا وعلا صخبهم وضجيجهم في الأرض. وقد اشتهرت مدينة نفر بكونها مركزا لعبادة الآله انليل، وجدير بالذكر انهاتكتب بالعلامات التي يكتب بها اسمه.

**انكي (ايا):**

يأتي الاله انكي في المرتبة الثالثة بعد آنو وأنليل. ويعني اسمه في السومرية سيد الأرض (سيد، أرض) وهو اله المياه ايضا. وقد عبده الأكديون تحت اسم ايا. وقد اشتهر هذا الاله في بلاد وادي الرافدين بكونه اله الحكمة ايضا، وقد صورته الأساطير السومرية والبابلية بكونه الها رحيما بالناس والآلهة على حد سواء، ففي قصة الطوفان البابلية "اتراخاسيس" نجد الاله ايا يستجيب لاستغاثة الناس فيدلّهم على الطريقة التي يتخلصون بها من القحط والمرض اللذين انزلها الاله انليل لمعاقبة الناس. واليه يعود الفضل ايضا في الايعاز الى رجل الطوفان بوجوب بناء سفينة للنجاة من خطر الطوفان الذي قررت الآلهة ارساله لاهلاك البشر. وللاله انكي (ايا) دور بارز في عملية خلق الانسان في كل من قصة الخليقة البابلية وقصة الطوفان التي بطلها اتراخاسيس وذلك من أجل ايجاد بديل عن الآلهة يقوم باعمار الأرض ويقدم لها الطعام والشراب. وكان مركز عبادة الاله انكي (ايا) في مدينة اريدو (ابو شهرين).





نتا (سين) :

عبد السومريون اله القمر تحت اسم ننا او ننار، في حين سماه الأكديون والآشوريون (سين). وتعد مدينة اور من ابرز المراكز الدينية لعبادة الآله ننا (سين). وقد أولى ملوك بلاد وادي الرافدين أهمية كبيرة لمعبد هذا الاله في اور، اذ كرس الملك سرجون الأكدي ابنته (انجيدو اناة)للخدمة في معبد الاله القمر بصفة كاهنة عظمى وفعل الملك البابلي نبونائيد الشيء نفسه عندما نصب ابنته كاهنة في معبد اله القمر في مدينة جران والتي تعد من المراكز الدينية في منطقة الخابورومازالت الزقورة الخاصة بمعبد اله القمر، المكونة من ثلاثة طوابق ، قائمة في مدينة اور الى يومنا الحاضر. ولأن الهلال يشبه القارب في شكله ، فقد اعتقد الاقدمون ان الاله سين يتنقل في قارب عبر السماء. كما أنهم نسبوا له زوجة هي الالهة ننجال (السيدة العظيمة) وابنته هي الالهة انانا (عشتار). وجدير بالملاحظة انهم جعلوا اله القمر ابا لاله الشمس. وقد تبدو هذه الفكرة غريبة بعض الغرابة لأول وهلة ، لكنها سرعان ماتصبح مقبولة عندما نعرف الأهمية البالغة التي احتلها القمر في حياة الأقدمين ذلك لأنهم لاحظوا تغير منازلة واعتمدوا ذلك في حساب الأيام والأسابيع والأشهر للسنة وفي تحديد المواسم الزراعية في حين كان شروق الشمس وغروبها ظاهرة يومية متكررة لاتفيدهم في معرفة التقويم.

اله الشمس اوتو (شمش) :

كان اله الشمس من الآلهة الشهيرة في بلاد وادي الرافدين ، وفي مناطق الجزيرة العربية والهلال الخصيب. وكان رمزه على المنحوتات قرصاً دائرياً ينبعث منه شعاع . وكانت مدينة سبار قرب اليوسفية من المراكز الشهيرة لعبادة اله الشمس ، حيث كان له معبد ضخم وزقورة شاهقة ومجموعة كبيرة من الكهنة والكاهنات. واقترن اسم اله الشمس بكونه اله العدل ومصدر القانون في بلاد وادي الرافدين. لذلك فانه صور في اعلى مسلة حمورابي وهو يسلم شارات العدل الى الملك حمورابي.

مردوخ :

احتل الاله مردوخ مركز الصدارة بين الآلهة في العصرين البابلي القديم والحديث على حد سواء ، وكان مركز عبادته في العاصمة بابل ، حيث شيّد له معبد ضخم اسمه "ايسا كيلا" ويبرز الاله مردوخ في قصة الخليقة البابلية باعتباره اعظم الآلهة البابلية شأنا حيث أنه قام بدور الاله المنقذ لبقية الآلهة من شرور "تيامة وجيوشها. وللاله مردوخ زوجة هي الآلهة "صربانيتم" وله ابن هو "نبو" الـه الخط الذي كان يعبد في مدينة بورسبا القريبة من بابل.

نبو:

ابن الاله مردوخ والذي كان مركز عبادته في بورسبا (برس نمرود) حيث شيّد له معبد ضخم اسمه اي- زيدا "البيت المكين"، كما شيدت له زقورة مازالت بقاياها شاخصة لحد الآن. وكان الاله نبو يشارك اباه الاله مردوخ في احتفالات رأس السنة البابلية. كما أنه اشتهر بكونه الها للخط وفن الكتابة. وكان للاله نبو زوجة اسمها "تشميتم" بمعنى "السامعة" وهو لقب يجسد في الحقيقة أحدى صفات هذا الأله الرحيم الذي تصفه النصوص المسمارية بأنه "ذو الاذن الواسعة".

وكبقية المظاهر الحضارية العراقية القديمة ، فقد استمرت عبادة الآلهة العراقية القديمة هذه والتي عرفت في العهود السومرية والأكدية والبابلية في الفترات الآشورية التالية ، ولم يطرأ عليها تغير جوهري ، الاّ انه برزت في مجمع الآلهة الآشورية بعض الآلهة التي لم يكن لها شأن كبير فيما سبق نتيجة حتمية لظهور الآشوريين على المسرح السياسي وارتفاع شأنهم وسيادتهم على المنطقة.

**آشور:**

بدأ شأن الاله آشور يزداد أهمية حتى أصبح اله الامبراطورية الأعظم والحقيقة ان كلمة آشور استخدمت للدلالة على ثلاثة أشياء: (١) الاله الذي عبده الآشوريون (٢) العاصمة القديمة التي تقع اطلالها قرب الشرقاط (٣) البلاد التي سكنها الآشوريون، ولا يعرف على وجه التحديد اي من هذه المعاني الثلاثة كان الأصل الذي استمد منه الآشوريون تسميتهم، وعلى اية حال فقد رفع الآشوريون من شأن الههم آشور فجعلوه في مقدمة الآلهة الاخرى. وفي قصة الخليقة البابلية التي اكتشفت نسخة منها في العاصمة آشور جاءت تفاصيل القصة كما رويت في الأصل البابلي باستثناء شئ واحد وهو أن اسم الاله آشور حَل محل الاله مردوخ وصار البطل المنقذ للآلهة. وجدير بالملاحظة أن اسم الاله آشور في كل الكتابات التاريخية الآشورية يأتي في مقدمة أسماء الآلهة الأخرى حتى أنه يسبق اسم الاله آنو وأنليل وايا. ويعزو الملوك الآشوريون الانتصارات التي حققوها الى الههم آشور. والحقيقة هي أن ايمان الآشوريين كان راسخا وقويا بالاله آشور وبقدرته على تحقيق النصر، وكانت هذه الثقة عاملا أساسيا في تبني سياسة الفتوحات العسكرية التي نتج عنها اقامة امبراطورية واسعة الأرجاء. ويظهر واضحا من الكتابات التاريخية ان الآشوريين كانوا يتصورون أنهم انما يحاربون بأسلحة الاله آشور وانهم كانوا يخوضون المعارك بأمره. ويظهر على المنحوتات كيف ان الملك الآشوري كان يرافقه الاله آشور اثناء المعركة ويحوم فوقه بقرصه الذي ينبعث منه جناحين. وجدير بالذكر هنا ايضا ان الاله آشور يمثل على المنحوتات بهيئة انسان يطير بجناحين وبيده القوس والسهم، والجناحان ينبعثان من قرص الشمس. وقد أخذ الأخمينيون هذا الرمز عن الآشوريين واستعملوه لالههم. وقد شيد الآشوريون معابد ضخمة للاله آشور في العاصمة القديمة آشور وفي غيرها من المدن المهمة، وسمي معبده في العاصمة آشور "أي- شارا". وكانت له زوجة هي الالهة ننليل التي كانت في الأصل لاله الريح أنليل. اذ يظهر ان بعضا من صفات هذا الاله الأخير قد اضفاها الآشوريون على الههم، كما أنهم لقبوه بلقب كور- كال "الجبل العظيم" وهو من ألقاب الاله انليل ايضا.

**انانا (عشتار):**

هي آلهة الخصب والحب والحرب، ويعني اسمها في السومرية "سيدة السماء"، في حين يدل اسمها في الأكدية (أي عشتار) على "الربة" بصورة عامة وعلى الآلهة الشخصية التي يتخذها الفرد وسيلة للشفاعة عند الآلهة الكبرى. ويتضح من القصائد الشعرية والنصوص الأدبية ان الأقدمين جسدوها بنجمة الزهرة التي هي من أجمل الكواكب السماوية على الاطلاق، ومما يدعو الى التساؤل حقا كيف اعتقد القوم ان الالهة انانا (عشتار) كانت تجمع في شخصها صفتين متناقضتين فتكون مرة الهة للحب ومرة الهة للحرب. وعلى اية حال فقد حفظت الأساطير السومرية والبابلية تفاصيل وافية عن قصة حب الآلهة انانا (عشتار) للاله الراعي دوموزى (تموز) الذي فضلته في النهاية على الفلاّح وتزوجت منه، كما وصلت الينا معلومات وافية عن المأساة التي حّلت بالاله دموزى (تموز) على يد حبيبته وزوجته أنانا وكيف انها سلمته الى شياطين العالم الأسفل ليكون بديلا عنها مقابل خروجها من هناك وذلك من خلال التفاصيل الواردة في التأليف الأدبي السومري المعروف بقصة نزول أنانا (عشتار) الى العالم الأسفل. وباعتبارها الهة للحرب ايضا فانها كثيرا ماتظهر على الأختام الاسطوانية والمنحوتات وهي تحمل اسلحتها المكونة من السيف والقوس والصولجان وتقف على أسد وأحيانا على أسدين.





## أدد :

كان من الآلهة المهمة التي عبدت في بلاد وادي الرافدين ، وهو إله الرعد ولذلك كان يرمز اليه في المنحوتات بشارة البرق المتشعبة . وكان ادد ضمن الآلهة التي صورت في مشهد بالنحت البارز في معلثايا قرب دهوك حيث يأتي في المقدمة الاله آنو وزوجته ومن خلفهما الآلهة انليل وايا وسين وشمش ثم أدد وأخيرا عشتار. وكانت عبادة هذا الاله شائعة عند الأموريين في بلاد الشام تحت اسم حدد كما ان اسمه دخل في تركيب كثير من أسماء الأشخاص ، وكذلك الملوك الآشوريون مثل شمشي ادد وادد نراري .

## نرجال وايرشكيجال :

ونختم حديثنا عن أبرز الآلهة في بلاد وادي الرافدين بذكر اله العالم الأسفل نرجال وزوجته ايرشكيجال . فالاله نرجال كان يعبد في مدينة كوثى (تل ابراهيم) التي ذكرتها التوراة بصيغة كوث . ومن المعروف عن الالهة ايرشكيجال ، حسب الاساطير السومرية والبالية ، انها كانت ملكة العالم الأسفل اي عالم الأموات والأخت الكبرى للالهة انانا (عشتار) ، وهناك اسطورة بابلية توضح كيف اصبح الاله نرجال زوجا للالهة ايرشكيجال ثم ملكا في العالم الأسفل . فبموجب هذه الأسطورة أقامت الالهة دعوة لملكة العالم الأسفل ، لكنها لسبب او لآخر لم تستطع الحضور فأرسلت من ينوب عنها في تلك الدعوة فوقفت الالهة اجلالا لمندوبها باستثناء نرجال، لذلك أمرته الالهة أن يذهب بنفسه الى العالم الأسفل ويعتذر من ايرشكيجال . وعندما ذهب نرجال الى هناك تكونت بينه وبين ملكة العالم الأسفل علاقة حميمة فتزوجها وأصبح ملكا على العالم الأسفل .

## الكهنة :

كان الاشراف على خدمة الآلهة في معابدها وعلى اقامة الصلوات والطقوس من واجب مجموعة مختصة من الكهان والكاهنات ، وكان لكل من هؤلاء لقب حسب المهنة التي يزاولها في المعبد ، ولم تكن مهنة الكهنة مقصورة على الأمور الدينية فقط بل كانت لهم مهام ثقافية وهي الاستزادة من المعرفة واستنساخ التآليف الدينية والأدبية من النصوص الأصلية ، وكانت لهم مهام تعليمية وهي تعليم الآخرين فنون الخط المسماري وقواعد اللغة . ومن المعروف أنه كان للمعبد ممتلكات واسعة تشمل الأراضي الزراعية وانها كانت تدر عليه مدخولات كبيرة . ولنا أن نفترض من دون شك أنه كان من بين الكهنة جماعة موكول اليها الاشراف على الشؤون الاقتصادية للمعبد وما يحصل عليه من موارد وفوائد على القروض الممنوحة للمواطنين وكذلك الاشراف على النفقات والمصروفات والأجور المدفوعة للعمال ممن يؤدون الخدمات للمعبد .

يأتي في مقدمة الكهنة في المعبد كبير الكهان الذي يحمل لقب " en " وتوازيه في المرتبة الكاهنة العظمى التي تعرف بـ " entu " ويبدو ان منصب الكاهن الاعظم كان في العصر الشبيه بالكتابي (دور الوركاء ودور جمدة نصر) مزيجاً من السلطتين الدينية والدنيوية ، وان السلطة الدينية انفصلت فيما بعد بظهور لقب enci الذي صار يحكم دويلة المدينة . وكان للكاهن الأعظم جناح في المعبد يعرف بأسم "كيبار". وقد قام ملوك بلاد وادي الرافدين بتكريس بناتهم لمنصب الكاهنة العظمى ليخدمن في معابد الآلهة مثلما فعل سرجون الأكدي ونبونائيد . وجدير بالذكر أن ام سرجون الأكدي نفسه كانت كاهنة عظمى . وكان ينظر الى الكاهنة العظمى





على أنها زوجة للآله ، ولذلك يفترض أنه لايحق لها أن تتزوج ، ولكن يبدو من بعض مواد حمورابي أنه كان يسمح لها بالزواج بشرط عدم انجاب الأطفال. ويفسر بعض الباحثين ذلك بأنه كان يحق للكاهنة العظمى الزواج بعد بلوغها سن اليأس وانتهاء خدمتها في المعبد. ومما تجدر ملاحظته بخصوص منصب الكاهن الأعظم والكاهنة العظمى أنه جرت العادة عندما يكون المعبود الخاص بالمعبد الها ذكرا ان تكرس له كاهنة عظمى لتكون زوجة له من الوجهة الدينية. والعكس صحيح فعندما يكون المعبود الهة انثى يكرس لها كاهن أعظم.

وفضلا عن الكاهن الأعظم والكاهنة العظمى فقد كان المعبد يضم اصنافا أخرى عديدة منها كاهن شنكو (كلمة سومرية الأصل من sanga) والذي كان يتولى الاشراف على مايقدم من الأضاحي الى الالهة وكان يترأس هذا الصنف كاهن يسمى شنكو- مخوأى (شنكو- العظيم) ، ويظهر أن عملية نحر الأضاحي كان يقوم بها فعليا كاهن يحمل لقب ناش- بطرى "حامل المدية".

وهناك ايضا كاهن آخر من صنف "بارو" الذي هو "العراف او البصار" والذي كان يقدم خبرته في استنباط العرافة للقصر الملكي حيث كان يستشيره الملوك لمعرفة الفأل في الحالات المهمة قبل القيام بحملة عسكرية او عند اسناد مهمة ولاية العهد لأحد الأبناء. وكان العراف "بارو" يصاحب الحملات العسكرية ولنا ان نتصور مقدار الحظوة التي ينالها عند الملك عندما يصيب في تنبؤاته ومقدار خيبته فيما لو أخطأ في توقعاته. وكان العراف يمارس مهنته على صعيد المجتمع ايضا اى انه يتنبأ بالفأل للاشخاص الذين يطلبون منه ذلك ، وهناك طرق عديدة يمارسها العرافون لمعرفة ماتقدره الآلهة من أسباب النجاح او الفشل والتي سنأتي على ذكرها عند الكلام على العرافة في موضع لاحق من هذا البحث. وهناك صنف آخر من العرافين يذكر احيانا الى جانب العراف "بارو" هو مايعرف بلقب شاعيلو (والمؤنث منه شاعيلتو). ويظهر من النصوص المسمارية ان هذا الصنف الأخير كان أقل درجة من صنف "بارو" وان الكاهن "شاعيلو" والكاهنة "شاعيلتو" كانا مختصين في تفسير الأحلام بالدرجة الأولى ، وقد كان لتفسير الاحلام أهمية كبيرة عند الأقدمين ذلك لأنهم اعتقدوا انها من الوسائل التي يمكن للآلهة من خلالها ان تفصح عن رغباتها للحكام ولعامّة الناس. وقد وصلت الينا مجموعة من الرؤى من عصور مختلفة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر حلم جوديا ، حاكم سلالة لجش الثانية ، الذي أمره الاله ننجرسو من خلاله بناء معبده الشهير المعروف بمعبد اى- ننو في مدينة لجش ، وقد وصلت الينا تفاصيل وافية عن هذا الحلم وتفسيره مدونة على احدى الاسطوانتين الكبيرتين لهذا الحاكم.

وكان المعبد يضم أصنافا من الكهنة يمارسون التعزيم لطرد الأرواح الشريرة ، وكان هؤلاء يمارسون مهنتهم في المعبد وفي بيوت المرضى من الناس. ومن هؤلاء العزام كالو " kalu " الذي كانت مهنته الأساسية استرضاء الآله من خلال الموسيقى. وترد في بعض النصوص المسمارية اشارات الى عملية تحضير الطبل المقدس من قبل هذا الصنف من الكهنة ، من العزامين من كان يطلق عليه نارو " naru " بمعنى "المنشد او المرتل" والذي كان يقوم بقراءة التعاويذ لطرد الأرواح الشريرة من جسم المريض ويبدو ان مهنته هذه كانت ذات علاقة وثيقة بالعزام من صنف "كالو". وتذكر النصوص المسمارية صنفي آخرين من العزامين هما





آشيبو "ashipu" ومشمشو "Mashmashu" كانا يمارسان التعزيم في المعبد وبيوت المرضى ايضا. اما شؤون الاغتسال والتطهير فكانت من واجبات كاهن يحمل لقب رمكو "Ramku" في حين كانت مهمة القيام بالدهان المقدس من واجب كاهن آخر هو باشيشو "Pashishu".

لقد وجد المعبد قبل كل شيء للعبادة واقامة الصلوات والطقوس وقراءة التراتيل الدينية، وكان الطعام والشراب يقدم للاله على دكة خاصة في المحراب كما كانت الصلوات امام ترفع بخشوع امام الاله واليد مرفوعة امام الفم، كما يظهر ذلك من مشاهد التعبد التي وصلتنا على المنحوتات.

**الأعياد:**

يعد عيد "أكيتو" ابرز المناسبات الدينية السنوية التي كان يحتفل بها سكان وادي الرافدين. وكان هذا العيد يقام بمناسبة حلول رأس السنة لذلك فهو يعرف في السومرية بأسم
وفي البابلية sag.mug-resh shatti ويظهر ان عيد آكيتو كان معروفاً في عصر دويلات المدن السومرية تحت نفس التسمية تقريباً ( Akiti )، ولكن عيد اكيتو اصبح في الألف الأول قبل الميلاد واسع الانتشار وصار يدور حول نقطتين رئيسيتين:
قصة الخليقة البابلية التي تتضمن صراع الآلهة القتيه مع الآلهة القديمة وهو الصراع الذي نتج عنه قتل ايسو ومن بعده تيامة وخلق السماء والأرض من جسدها على يد مردوخ اله بابل. اما النقطة الثانية فكانت تتعلق بالاحتفال بالزواج المقدس الذي يجرى من خلاله محاكاة زواج اله الخصب دموزى (تموز) من حبيبته الهة الحب والخصب انانا (عشتار) وسنحاول في ادناه أن نعطي ملخصا مركزا لكل من هذين الاحتفالين:
كان احتفال آكيتو يبدأ في اليوم الأول من شهر نيسان الذي يصادف في بداية السنة ويستمر لمدة احد عشر يوما. ويظهر من التفاصيل التي أوردتها النصوص المسمارية حول الأيام الأربعة الاولى منه انها كانت مخصصة لاقامة الصلوات وقراءة التراتيل والأناشيد الدينية. وفي مساء اليوم الرابع يقوم الكاهن بقراءة قصة الخليقة التي تحتوى على تفاصيل خلق الآلهة والكون بما فيه من سماء وشموس وكواكب وأرض ومياه. وبموجب هذه القصة يكون خلق الكون قد جاء نتيجة لصراع رهيب بين قوى الخير وقوى الشر التي كانت تتزعمها الالهة تيامة وانه نتيجة لاندحار تيامة فقد قام الاله مردوخ في القصة البابلية وآشور في القصة الآشورية بشطر جسمها الى شطرين خلق من أحدهما السماء ومن الآخر الأرض. وقد تبع ذلك خلق الانسان من دم قائد قوات الآلهة تيامة المسمى كنكو وذلك من اجل ان يقوم الانسان باعمار الأرض وزراعتها وتقديم القرابين للالهة لكي تنعم بالراحة.

وكان اليوم الذي يلي، اي اليوم الخامس، مخصصا لتطهير المعبد بالماء والبخور، ثم تمسح جدرانه بدم كبش ذبيح اعتقادا منهم أن ذلك سوف يزيل ذنوب السنة كلها. ثم يقوم الكاهن المختص بعد ذلك بالقاء جثة الكبش في النهر تخلصا من الشرور والآثام، وكان عليه ان يبقى في العراء خارج المعبد لحين الانتهاء من الاحتفال على اعتبار انه أصبح نجسا من خلال دوره في عملية التطهير. وفي اليوم الخامس ايضا يصل موكب الملك الى المعبد فيستقبله كبير الكهنة الذي يصحبه الى محراب الاله ثم يخلع عنه تاجه وشارات الحكم ويضعها امام الاله. وعندئذ يبدأ الملك بقراءة اعتراف يؤكد فيه أنه لم يذنب ولم يهمل، وأنه أقام الطقوس والشعائر الدينية على الوجه الاكمل. وعندما ينتهي الملك من ذلك يتقدم اليه الكاهن ويصفعه على وجهه ثم يعرك اذنه، والراجح أن مثل هذا التصرف من الكاهن كان يهدف الى تذكير الملك بطبيعته البشرية وبأنه مجرد انسان يحكم بتفويض من الاله وان





حصوله على رضا الاله أمر واجب في كل الأحوال. وفي مساء اليوم الخامس يشارك الملك الكهنة في تقديم ثور أبيض ضحية نلاله ويتم ترتيل أدعية خاصة بهذه المناسبة. اما اليوم السادس فكان مخصصا لوصول مواكب الآلهة من المدن المختلفة للمشاركة في الاحتفال.

اما الفعاليات المتبقية من أعياد اكيتو في الأيام الخمسة الأخرى فانهامازالت غير معروفة لدينا لعدم عثورنا على النصوص المسمارية الخاصة بها. وعلى اية حال فالراجح ان احتفال اكيتو كان يتضمن مسيرة الى "بيت اكيتو" الذي ربما كان معبدا يقع على مقربة من قناة خارج اسوار المدينة. ومعروف ان هذه القصة تعتبر مصدرا اساسيا للفكر الديني، اذ انها تذكر تفاصيل الصراع الالهي الرهيب الذي جرى بين قوى الخير وقوى الشر المتمثلة بالآلهة تيامة وكيف ان ذلك الصراع انتهى بمقتل الأخيرة وشطر جسدها الى شطرين خلق منها السماء والارض، والراجح ايضا ان الايام المتبقية من اعياد راس السنة كانت تتضمن مايعرف بين المختصين باحتفال "الزواج المقدس" الذي كان يجرى خلاله محاكاة لزواج اله الخصب دموزى (تموز) من الهة الخصب والحب انانا (عشتار) وذلك من أجل ضمان اسباب النماء والخصب والكثرة بين بني البشر وكذلك بين الحيوانات والنباتات وكان الملك او الكاهن الأعظم يقوم بدور الزوج الآلهي تموز في حين تقوم احدى الكاهنات بدور الزوجة الآلهية انانا (عشتار)، ولعل من أهم مايتضمنه الزواج المقدس هو مايعرف بتقرير المصير للملك والبلاد ولمدة سنة أخرى، اي ضمان حصول رضا الآلهة لأن تجدد الحكم للملك وتجدد منح الخيرات وزيادة المحاصيل وكافة أسباب الرخاء للناس خلال السنة القادمة، وكمثال على "تقرير المصير" من خلال الزواج المقدس نقتبس في ادناه مقطعا من دعاء توجهت به الكاهنة من اجل (زوجها) الملك شولجي وهي تقرر له المصير فتقول:

أنت ايها الراعي المختار في البيت المقدس<br>
انت يامؤازر العبد العظيم لآنو،<br>
في كل الاحوال انت كفؤ:<br>
لأن ترفع رأسك على العرش العالي – انت كفء<br>
لأن تجلس على عرش من اللازورد – أنت كفء<br>
لأن تضع التاج على رأسك – أنت كفء<br>
لأن تلبس ثيابا فضفاضة – أنت كفء<br>
لأن ترتدي لباس الملوكية – أنت كفء<br>
لأن تحمل الصولجان والسلاح – أنت كفء..<br>
فعسى أن تطول أيام قلبك المحبوب<br>
هكذا قرر المصير لك الآله آنو فعسى ألاّ يتغير<br>
والاله أنليل، مقرر المصير، فعسى ألاّ يتغير...

**السحر والتعاويذ، العرافة والتنجيم:**

يعد السحر من الممارسات القديمة التي عرفها الانسان منذ قديم الأزمان والتي مازالت معروفة في المجتمعات البشرية الى الوقت الحاضر. والسحر يقوم على مبدئين بدائيين! أولهما الاعتقاد بامكان استحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه وهو مايعرف بمبدأ التشابه. وينعكس هذا المبدأ في الكثير من الدمى التي صنعها الانسان لتمثل قوى الخصب في الطبيعة وخاصة الآلهة الأم، كما ينعكس ايضا في الرسومات التي نفذها الانسان على جدران الكهوف والتي اعتقد بأنها سوف تجعل في متناول يده صيد تلك الحيوانات أمرا سهلا، وعلى هذا الاساس ايضا فان صنع دمية تمثل شخصا معينا ثم اتلاف عينها او كسر أحد اعضائها سوف يلحق بالرجل الحقيقي نفس الأضرار التي حلت بالشبيه (الدمية)، اما المبدأ السحري الثاني فانه يقوم على الاعتقاد بأن الأشياء التي كانت في وقت ما جزءا من جسم الانسان فانها تبقى على صلة به حتى بعد





انفصالها عنه، وهذا مايعرف بمبدأ المصاحبة. ولذلك فقد كان يعتقد بأنه في مقدور الساحر أن يسبب الأذى لشخص معين من خلال تأثيره السحري في خصلة من شعر ذلك الرجل اوفي قلامة من ظفره او من جزء من ردائه.

ويمكن تصنيف السحر الى نوعين: الأول ضار لأن الغرض منه أساسا هوالحاق الأذى بشخص آخر،وقد حرمت القوانين العراقية القديمة هذا النوع من السحر وفرضت عقوبة الموت على من يثبت تعاطيه. اما النوع الثاني فهو يهدف الى تحقيق الفائدة للناس عن طريق شفائهم من الأمراض وخاصة تلك التي تسببها الأرواح الشريرة ولذلك فقد كان الساحر يقوم بعمل حرز يحمله المريض. وكان الحرز يتضمن عادة دعاء للالهة لأن تحمي حامله من شرور تلك الأرواح، وقد وصلت الينا حروز منها ماهو معمول ضد الشيطان "بازوزو" الموكول برياح الصيف اللافحة، ويحمل احد تلك الحروز المصنوعة من الحجر صورة بالنحت البارز تمثل هذا الشيطان بوجهه المكفهر وانيابه الحادة والذي له صدر كصدر طائر وبدان كيدي انسان لكنها تنتهيان بمخالب، كما أن له ذيلاً طويلاً معقوفاً وأربعة اجنحة، ويظهر فوق صورة الشيطان (بازوزو) كهنة عزّامون يلبسون في رؤوسهم اقنعة لحيوانات مختلفة. وهناك شيطانة سماها البابليون «المشتو» صورت على حرز حجري برأس أسد وجسم امرأة وهي تقف على حمار وترضع حيوانيين. وكان يعتقد انها تصيب النسوة المرضعات بالامراض كما وتصيب الرجال ايضا، ولهذا تورد النصوص المسمارية تفاصيل عن الطقوس التي كان يتوجب على كاهن التعزيم القيام بها لمعالجة المريض المصاب بفعل هذه الشيطانة.

ويذكر أحد النصوص المسمارية الخاصة بالتعزيم في هذا الصدد التوصيات الآتية: "عليك بتطهير المكان أولا ثم خذ شيئا من الطين واصبغ دمية "للمشتو" وضعها عند رأس الرجل المريض ثم املأ المبخرة بالرماد ودس فيها خنجرا ثم اتركها عند رأس المريض ثلاثة ايام. وفي اليوم الثالث، عند انتهاء النهار، خذ الدمية واطعنها بالخنجر ثم ادفنها في الزاوية عند الجدار.

كان العزام يقوم بفحص المريض لمعرفة نوع الارواح الشريرة التي اصابته واختيار التعويذة المناسبة لقراءتها مع اداء طقوس معينة. وكانت عملية التعزيم تجرى في المعبد وفي بيت المريض. ويظهر من النصوص المسمارية أن استعمال النار في اثناء التعزيم كان واحدا من الطقوس الفعالة لطرد الأرواح الشريرة من جسم المريض. فبعد اشعال النار يقوم العزام بدعوة واستشارة الهة النار الثلاثة (كيرا، ؛وكبل، ونسكو) للانقضاض على تلك الأرواح وطردها. وهناك طرق سحرية أخرى يلجأ اليها العزامون لشفاء المريض كأن يضع العزام دمية تشبه المريض ثم يدفنها في المقبرة مع دمية أخرى تمثل الروح الشريرة التي تسبب له المرض، وكان غرض العزامين من هذه العملية هو تحقيق هدفين، الأول القيام بدفن رمزي للروح الشريرة لاعادتها الى مقر الأموات في العالم الأسفل، والثاني ايهامها بأن المريض قد مات ولا جدوى من البقاء في جسده، وفي أحيان أخرى يلجأ السحرة الى طريقة توفير "البديل" اي توفير شيء آخر تحل فيه الروح الشّريرة بدلا من جسم المريض، ويكون هذا البديل في الغالب حيوانا كالجدي مثلا، فخلال قراءة التعاويذ واداء طقوس سحرية معينة يخرج الشيطان من جسم المريض ليحل في الجدي وبذلك يشفى المريض.

هذا موجز عن السحر وما يرتبط به من ممارسات خاصة بالتعاويذ وللتعزيم، اما العرافة فمن المعلوم أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعتقدات الدينية





والتقاليد الاجتماعية وهي تهدف أساسا الى الاتصال بالقوى العليا (الآلهة) لمعرفة ماتقدره للفرد من خير او شر. ولقد كان العراف يمارس مهنته على الصعيد الرسمي اي للملك والدولة وعلى الصعيد الشعبي لعامة الناس، كما كانت مهنة العرافة وثيقة الصلة بالمعبد لأن العراف (في السومرية bapu كان كاهنا شأنه في ذلك شأن العزام ومفسر الأحلام وغيرهما من كهنة المعبد. وترد اشارات كثيرة في النصوص المسمارية تدل على ارتباط العراف بالقصر وهو امر ناتج عن ان الملك كان يستشيره قبل اتخاذ القرارات المهمة لمعرفة مشيئة الآلهة بخصوصها مثل ولاية العهد او القيام بمشروع بناء او صيانة. وأهم من هذا وذاك، قبل القيام بالعمليات العسكرية للتعرف على مقدار احتمالات النصر او الفشل.

ويقسم الباحثون العرافة الى قسمين استنادا الى الطريقة التي تجرى بها. فهناك العرافة العملية، أي تلك التي يستعمل فيها العراف وسائل عملية من أجل الاتصال بالقوى العليا ومعرفة مشيئتها. ومن تلك الطرق:

١ – ضرب القداح وهي سهام صغيرة محززة كانوا يستعملونها لاستطلاع رأى الآلهة في مناسبات وقضايا معينة.
٢ – سكب الزيت بالماء ومراقبة حركة الزيت وما يتكون من حلقات طافية على سطح الماء واستنباط الفأل من ذلك.
٣ – حرق البخور ومراقبة حركة الدخان.

اما النوع الثاني من العرافة فهو مايسمى بالعرافة السحرية لانها تعتمد على قوى ومظاهر خفية لا دخل للانسان فيها حددت تغييرات في الظواهر الكونية والطبيعية كالخسوف والكسوف وحركة الرياح، كما انها تعتمد على رصد تغييرات تحدث في سلوك الطير او الحيوانات وفي احشائها الداخلية وخاصة عضو الكبد. وقد استمد العرافون القدماء العرافة من كبد الحيوان، فبعد ان يذبح العراف الكبش يبدأ بفحص احشائه بحثا عن عرافة يستنبطها من الوضع العام لعضو الكبد ومن شكله ولونه او تضخمه وضموره مع ملاحظة ماعليه من أعراض غير اعتيادية او تشوهات وخاصة الفقاقيع والتشققات ووضع الغدة الصفراء والقنوات. وقد استنبط العرافون من كل واحدة من تلك الظواهر فألا معينا ونظموا في ذلك قوائم خاصة تعرف بين الباحثين بالعرافة المستمدة من الكبد.

وقد عرف العراقيون القدماء التنجيم اي رصد الأجرام السماوية وملاحظتها للاستدلال من ذلك عما سوف يحل بالملك او المملكة او البلاد بصورة عامة، ومن الفأل المستنبط في رصد الكواكب انهم عرفوا بأن الهلال لايرى منذ اليوم السابع والعشرين ولكن اذا ماحدث وان شاهدوه في ذلك اليوم فإنه يعد نذير شؤم لهم. ثم انهم تطيروا ايضا من رؤية الشمس والقمر في اليوم الثاني عشر من الشهر وعدوا ذلك نذيرا بزوال الحكم وفناء السكان. كما انهم تطيروا من خسوف القمر وكسوف الشمس وعزوا ذلك الى فعل الشياطين وصراعها مع الآلهة، ومن الكواكب التي اهتموا برصدها كوكب الزهرة التي جسدوها في الآلهة عشتار والتي كانت تتميز بشدة لمعانها بين الكواكب الاخرى.

### أساطير الخليقة:

يجد الباحث في النصوص المسمارية، السومرية منها والبابلية، جملة من الأفكار والمعتقدات التي حاول الأقدمون من خلالها اعطاء تصور للحقائق الكونية والطبيعية ولعرض الكثير من القيم والمفاهيم التي كانت سائدة في مجتمعهم فنحن نقرأ، على سبيل المثال، عن صراع رهيب حدث في البدء بين قوى الخير المتمثلة بالآلهة الحديثة وقوى الشر المتمثلة بالآلهة القديمة والذي تمخض في النهاية عن انتصار الآلهة الحديثة وعن خلق الكون بما فيه من سماء





وأرض ونجوم وكواكب وأنهار، ونقرأ ايضا عن خلق الانسان ليكون بديلا عن الآلهة في اعمار الأرض. وهناك نصوص أخرى تدور حول الحياة والموت وعالم مابعد الموت وحول الثواب والعقاب والعدل الآلهي. ان هذه الموضوعات وغيرها كثير كانت من الامور التي وقف عندها الأقدمون وبينوا وجهة نظرهم فيها.

وبقدر مايتعلق الأمر بمعتقدات سكان وادي الرافدين حول خلق الكون فتعتبر اسطورة الخليقة البابلية من أهم المراجع الأساسية في هذا الصدد. اذ بموجب هذه الأسطورة فانه لم يكن في البدء سوى المياه المكونة من عنصرين أولها مذكر (المياه العذبة) وتسمى "ابسو" وثانيها مؤنث (المياه السطحية) وتسمى تيامة وانه نتيجة لامتزاج هذه المياه مع بعضها ولدت أجيال متعاقبة من الآلهة كان منها الاله آنو الذي صار الها للسماء. وسرعان ماتكاثر عدد الأحفاد وأصبح صخبهم وضجيجهم يزعجان جدهم الاعلى "ابسو" مما دفعه الى التفكير في وضع خطة للقضاء عليهم على الرغم من تحذير زوجته تيامة من مغبة عمله، لكن الالهة الحديثة اكتشفت المؤامرة المدبرة ضدها وانتقمت لنفسها في الوقت المناسب وذلك بقتل "ابسو" ولما علمت "تيامة" بذلك ثارت ثائرتها وعقدت العزم على الانتقام لزوجها من الآلهة الحديثة. وقد وقف عدد من الآلهة الموالين "لابسو" الى جانب زوجته وكونوا بذلك جماعة منشقة عن بقية الآلهة وراحوا يعدون العدة ويهيئون اسلحتهم الرهيبة لشن حرب على الآلهة الحديثة، كما أن "تيامة" اختارت الاله "كنكو" ليكون قائدا لقواتها كما انها اتخذت منه قائداً يتولى زعامتها وقيادتها لخوض معركة المصير. ولكن كبار الآلهة تراجعوا مذعورين الواحد بعد الآخر عندما رأوا الأسلحة الرهيبة التي أعدتها "تيامة" وأخيرا وبعد الأخذ والرد وقع الاختيار على "مردوخ" حسب القصة البابلية وقد حل الآله آشور في قصة الخليقة الآشورية محل الاله مردوخ ليكون القائد والبطل المنقذ للآلهة الحديثة.

تذكر أسطورة الخليقة البابلية أن "تيامة" جندت ماعندها من وحوش مركبة وأن مردوخ جنّد من جانبه كل مالديه من رياح وعواصف عاتية، ثم تقدم مردوخ وجنده من خلفه حتى صار على مقربة من "تيامة" فاطلق في وجهها كل الرياح الشريرة فاستقرت في جوفها وشلت حركتها، وعندئذ باغتها مردوخ بطعنة قاتلة ثم شطّر جسمها الى شطرين خلق منها السماء والارض، وعلى هذا النحو يكون البطل مردوخ قد انتصر على قوى الشر المتمثلة بتيامة وجيوشها وانقذ الآلهة الحديثة من شرورها.

وخلاصة القول ان البابليين عدّوا المياه أصل الوجود وان السماء والارض تكونتا نتيجة عملية انشطار جسم تيامة على يد مردوخ، اما بالنسبة للاساطير السومرية ذات العلاقة بخلق الكون والتي هي أقدم من قصة الخليقة البابلية، فأنها وان اختلفت عنها في التفاصيل فانها تتفق معها في الجوهر، فهي الأخرى تعد المياه أصل الوجود، وتعد خلق الكون قد تم نتيجة عملية انشطار ايضا.

وقصة الخليقة البابلية وكذلك قصة الطوفان البابلية التي بطلها "اتراخاسيس" من المراجع الأساسية عن خلق الانسان. فنحن نقرأ في الرقيم الأول من قصة الطوفان ان الآلهة العظام (آنو، انليل، ايا) اجتمعوا ليتدبروا الامر في شأن التمرد الذي قامت به الالهة الحديثة التي أوكل اليها مهمة اصلاح الأرض وفلاحتها فبعد أربعين عاما من العمل الشاق المتواصل أصاب هذه الالهة التعب فأعلنت عصيانها مطالبة بخلق بديل عنها يحمل "النير" على حد تعبير النص البابلي. وبعد الأخذ والرد وافقت الآلهة على خلق الانسان الأول من

الطين بعد مزجه بدم احد الآلهة ، واذا ما صرفنا النظر عن التفاصيل الجزئية يمكننا القول أن المآثر السومرية والبابلية تتفق على تفاصيل جوهرية بخصوص خلق الانسان يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١- ان الانسان خلق من طين ممزوج بدم أحد الآلهة.
٢- ان خلق الانسان لم يكن غاية في حد ذاتها او نتيجة مكملة لبقية مراحل خلق الكون ، وانما كان مسألة طارئة من أجل توفير بديل يحل محل الآلهة من أجل اعمار الأرض.
٣- انه خلق من أجل أن يكد ويكدح في الأرض ليريح الآلهة من عناء العمل ويقدم لها الطعام والشراب وانه كتب عليه الموت في حين احتفظت الآلهة لنفسها بالخلود.

**الموت وعالم الأموات :**

كان الموت وعالم الأموات من المعتقدات التي شغلت حيزا كبيرا في الفكر الديني عند القدماء في بلاد وادي الرافدين. من جهة اخرى كانت الحياة ونيل السعادة فيها من الغايات العزيزة التي تشبث بها القدماء ايضا ، وكان من اعز الأمنيات التي يمكن ان يتمناها الانسان القديم لنفسه أن تمنحه الآلهة عمرا طويلا. وعلى النقيض من المصريين القدماء ، فان سكان وادي الرافدين ، على الرغم من أنهم شغلوا ايضا بمسألة الموت وعالم الأموات ، إلاّ أنّ نيل السعادة ورضا الآلهة في هذه الحياة كان ، كما قلنا ، هدفهم الأول. وقد أكد العراقيون القدماء على ضرورة التمسك بالقيم والأخلاق الفاضلة وفي مقدمتها طاعة الآلهة واحترام الابوين والالتزام بالصدق والأمانة والقانون وحقوق الآخرين.

والموت في نظر العراقيين القدماء كان امراً حتميا فرضته الآلهة على الانسان منذ البدء في حين احتفظت لنفسها بالخلود. واذا كان هناك من خلود يستطيع الانسان تحقيقه في هذه الحياة . فان ذلك يكمن في امكان خلود الذكر من خلال الاعمال والمنجزات المفيدة على غرار تجربة جلجامش المعروفة. ولم يكن الموت في نظرهم يشكل فناءا مطلقا ، وانما هو عبارة عن انفصال الروح عن الجسد. ولهذا اكد السومريون والبابليون على ضرورة الاهتمام بشعائر الدفن وعدم ترك الجثة في العراء لأن ذلك مدعاة لعدم راحة واستقرار الروح في عالم الأموات ولخروجها احيانا على شكل اشباح تخيف الأحياء من الناس وتسبب لهم مختلف الأمراض الجسمية والعقلية.

كما ان تقديم ابناء الميت للقرابين كان من الأسباب التي تجلب الراحة الى الروح في مستقرها الأخير.

وعالم الاموات مكان مخيف تصوره الأقدمون تحت الأرض وله سبع بوابات يحرسها مردة أشداء. وتصوروه ايضا مكانا مظلما لايجد الموتى فيه غير التراب "مؤنا لهم" وعلى الرغم من أن فكرة الحساب في الآخرة غير واضحة في معتقدات القوم ، فيبدو من أحدى الأساطير السومرية ان كثرة الابناء كان سببا في انزال الموتى من الآباء منزلة حسنة في عالم الأموات ربما لما يقدمه ابناؤهم من قرابين.

**المعبد :**

يعد المعبد المكان الرئيسي المقدس لاقامة الصلوات وتقديم القرابين للآلهة. ولقد كان المعبد (في الأكدية "بيت") في بدايته عبارة عن غرفة صغيرة لايتجاوز طول ضلعها ٢,٥ م كما يظهر ذلك من الآثار المكتشفة في الطبقة السابعة عشر في تل العبيد. ولكن سرعان ماتطور بناء المعبد وازدادت مساحته وتعددت مرافقه وتوسعت مهماته. ويمكن القول بصورة عامة أن للمعبد في بلاد وادي





الرافدين خصائص معمارية رئيسية يمكن ايجازها بالنقاط الآتية :

١ – اتجاه زواياه نحو الجهات الأربع .
٢ – وجود مايعرف بالطلعات والدخلات في جدرانه وخاصة في الواجهة .
٣ – احتوائه على حجرة الهيكل التي يوضع فيها تمثال الآله والتي تعد أقدس مكان في المعبد وفي الغالب يوجد المذبح في هذه الحجرة ايضا .
٤ – وجود دكة القرابين.

ويمكن القول بصورة عامة ايضا ان المعبد في وادي الرافدين يتكون من قسمين رئيسيين ( الأول هو المعبد الأرضي ، والثاني هو المعبد العلوي اي البرج المدرج ( الزقورة ) . ويتميز المعبد الارضي ، كما قلنا قبل قليل ، بكون جدرانه ، وخاصة الواجهة منها ، مزينة بالطلعات والدخلات وهي ظاهرة معمارية قديمة عرفت في معابد عصر العبيد وظلّت ملازمة للمعبد في مختلف الادوار الحضارية واللاحقة. وكان مدخل المعبد يؤدي الى غرفة صغيرة يوصل من خلالها الى صحن المعبد ، وهو فناء واسع كان الناس يجتمعون فيه لاقامة الاحتفالات الدينية. وكان المرء يدخل من هذه الساحة الى غرفة تؤدي هي الأخرى الى حجرة الهيكل (Cella) التي تعد أقدس اجزاء المعبد حيث يوجد فيها المحراب ( Niche ) وتمثال الآله الذي جرت العادة على وضعه على دكة في المحراب . وفي حجرة الهيكل هذه يوجد ايضا دكة المذبح ( Alter ) التي تقدم عليها الاضاحي والقرابين للاله وفي المعبد اجنحة وغرف ومرافق اخرى تستعمل لاقامة الكهان والكاهنات والمشرفين على ادارة المعهد ولخزن الادوات والأثاث الخاص به مثل الطعام والشراب وأدوات الموسيقى وغير ذلك من المعدات الضرورية الأخرى . كما كان المعبد يضم مكتبة خاصة به تحتوي على وثائق دينية كالصلوات والأناشيد والقصص الخاصة بالخليقة والتكوين اضافة الى وثائق أخرى تمثل اهتمامات الكهنة الخاصة .

اما القسم الرئيسي الثاني من المعبد الذي يعرف بالزقورة (البرج المدرج) فهي كلمة أكدية تعني العلو والسمو وهي صفة معمارية ملازمة للمعبد في معظم المدن الرئيسية في بلاد وادي الرافدين. والراجح ان فكرة بناء الزقورة قد نشأت في الأصل من اقامة المعابد فوق دكاك (مصاطب اصطناعية) منذ اطوارها الاولى ابتداءا من دور العبيد. وتتكون الزقورة من ثلاث او سبع طبقات وهي اما ان تكون مربعة او مستطيلة الشكل،وقد جرت العادة ان يبنى غلافها الخارجي بالآجر في حين يبنى هيكلها باللبن تتخلله طبقات من الحصير والقير، وكان يشيد فوق الزقورة معبد صغير، يعرف بالمعبد العلوي ربما كان يحتوي على تمثال للاله . وهناك من الباحثين من يعتقد بأن الزقورة بمعبدها العلوي كانت تمثل محلا لاستراحة الاله وهو في طريقه من معبده الأرضي الى السماء. ومعنى ذلك أن مدرجات الزقورة انما ترمز الى سلم يمتد بين الارض والسماء. وجدير بالذكر ان مثل هذه الفكرة عن الزقورة لها مايشبهها في التوراة (سفر التكوين٩ : ٣ – ٥) : "وقال بعضهم هلم نصنع لبنا ونشويه شيّا فكان لهم اللبن مكان الحجر وقالوا هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء". ونقرأ في السفر نفسه (٢٨ : ١٢) عن حلم يعقوب : "ورأى حلما واذا سلم منصوبة على الأرض رأسها يمس السماء وهو ذا ملائكة اللّة صاعدة ونازلة عليها".

المراجع :

يجب علينا الاشارة هنا بدافع من الأمانة العلمية الى ان هذا البحث عن المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين قد استمد مادته من مراجع





عديدة ومن بينها عدة أبحاث للكاتب عن الفكر والمعتقدات الدينية في العراق القديم كانت قد نشرت في مناسبات عديدة وفي مجلات علمية متخصصة . ولذلك فقد لجأنا في بعض الأحيان الى الاقتباس من ابحاثنا تلك عندما لانجد جديدا نضيفه الى ماسبق وأن كتبناه عن موضوع من المواضيع التي تقع ضمن اطار هذا البحث.

فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة تموز (الطبعة الثانية) ١٩٨٦ .

ـــ" بين الواح سومر وسفر التكوين" ، مجلة كلية الآداب ٢٣/ ١٩ .

ـــ" الموت والعالم السفلي بين النصوص المسمارية والتوراة" مجلة بين النهرين ٢٧/ ١٩٧٩ .

ـــ" أناشيد الزواج المقدس تموز ونشيد الانشاد لسليمان" سومر ٣٤/ ١٩٧٩ .

ـــ" مقدمة في معتقدات سكان وادي الرافدين" ، آفاق عربية ، دوريات ٢/ ١٩٨٥ .

الاستاذ طه باقر ، عامر سليمان ، فاضل عبد الواحد علي ، تاريخ العراق القديم ، الجزء الاول (الحياة الدينية) ١٩٨٢ .

Saggs H.W.F., The Greatmen that was Balylon, 1966.

Kramer, S.N., The Sumerians, 1963.

Ksumer, S.N., (editer)Mythologies of the Anlient World 1961.

# ب . المعتقدات الدينية في فترة الاحتلال الاخميني والسلوقي والفرثي

أ.د. واثق اسماعيل الصالحي

ان المعلومات التي وصلت الينا عن المعتقدات الدينية في بلاد آشور خلال فترة الاحتلال الأخميني لاتكفي لرسم صورة واضحة عنها لافتقارنا الوثائق المكتوبة والتماثيل والألواح الفنية الأخرى ذات العلاقة،وعلى الرغم من ندرة المعلومات وقلتها فاننا نستطيع أن نحدد بعض السمات لتلك المعتقدات ، وهي انها لاتتعدى ان تكون استمراراً وتواصلا للمعتقدات الدينية في الفترات الأقدم عهدا ، أي الفترة الآشورية الحديثة ، حيث نضجت فيها مفردات الحياة الدينية في العراق القديم. وأن المعتقدات الدينية للأخمينيين المحتلين أنفسهم كانت متأثرة تأثرا واضحا بمعتقدات وادي الرافدين في الفترات السومرية والبابلية والآشورية [1] . وان الغزاة الأخمينيين قدموا القرابين والنذور في معابد العراق تقرّبا من آلهته العظام مثل مردوخ ونابو. اما في الفترة الهلنستية فقد استمرت المعتقدات العراقية القديمة ، ولكنها تأثرت بمعتقدات الأغريق الدينية والتي هي نفسها قد طرأت عليها تغييرات جوهرية في بلاد اليونان منذ بداية القرن الخامس ق. م . ويعزو الباحثون هذه





التغييرات الى حركة السفسطائيين الفلسفية التي احدثت حالة من التشكك في معظم المعتقدات المعروفة وخاصة تلك المتعلقة بعبادة الآلهة الاولمبية والتي اكتنفها بعض الغموض خلال الفترة اللاحقة، فضلا عن تأثير الديانات الشرقية التي بدأت تصبح واقعا حقيقيا في معظم مدن الأغريق على الرغم من بعض المظاهر الخارجية التي تتضمن انبعاث آلهة جديدة وتنبؤات جديدة وما يرافقها من احتفالات من شأنها ان تقوى من محاولات البعث الديني في بلاد اليونان[٢]. فالشخص الاغريقي اتبع تقاليد العبادة لأنها موروثة له من اسلافه، ولكنه افتقد الحماس في معتقده الديني. فعلى سبيل المثال ان معبد أبولو– اله الحكمة والمعرفة لدى الاغريق– في ديدما في آسيا الصغرى لم يكتمل بناؤه خلال أربعة قرون متعاقبة، ليس بسبب نقص في الأموال اللازمة لاكمال عمارته، وانما بسبب افتقار الحماس في تكريس المعتقدات الدينية الراسخة التي مكنت مدن الاغريق في فترات سابقة من اكمال معابدها الضخمة والجميلة خلال جيل واحد فقط[٣]. وأصبحت عبادة الآلهة الأغريقية التقليدية ترافق بعض الأفكار الفلسفية التجريدية مثل الصداقة والثروة والسلام والديمقراطية، فضلا عن انتشار بعض الأفكار التي تدعو الى الغاء التمييز بين الآلهة والبشر ورافقها اقامة محلات لتقديس الرجال البارزين الى الحد الذي دعى بعض الفلاسفة الى القول أن بمساعدة الرجال العقلاء نستطيع العيش مثل الآلهة[٤].

خلال هذه الفترة أخذت الثوابت التي تستند الى المعتقدات الدينية تتجه نحو الزوال، على الرغم من أن الطقوس الدينية القديمة مايزال الافراد يقيمونها اعتقادا منهم، عن ايمان راسخ، بأن مفرداتها يجب ان يحافظ عليها. وفي ذات الحين كان الشك في وجود تلك الآلهة يختزن في اعماق البعض الآخر حتى أنهم اقتربوا من الالحاد الديني. ولم تكن اقامة الشعائر والمراسم الطقوسية الدينية المألوفة تعني الشيء الكثير لعدد كبير من المتعبدين، بل إنّ غالبهم اهتموا فقط بمجرد اقامتها في حين تبنى اغريق آخرون عبادة آلهة شرقية متأثرين بمعتقدات الجاليات الأجنبية الصغيرة التي استوطنت مدن الاغريق وقد استمرت بعبادة الهتها الخاصة، ولكنها نادرا ما مارست الطقوس الخاصة بعبادة الآلهة الأغريقية المعروفة[٥].

تلك هي معتقدات الاغريق في الفترة التي سبقت غزو الاسكندر المقدوني للشرق في الثلث الاخير من القرن الرابع ق. م، وكانت من نتائجه سيطرته على بلدان العالم القديم في آسيا وأفريقيا. وقد برزت عندئذ المعتقدات الدينية بروزا واضحا، وبدت في مظاهرها متناقضة في بعض الأحيان، وذلك لأسباب عديدة منها انه خلال تلك الفترة القصيرة تأسست دول جديدة ملكية في نظام حكمها وصاحبتها أقامة سلسلة من المدن الجديدة لتوطين الاغريق والمقدونيين فيها، فضلا عن استيطانهم المدن الحاضرة آنذاك في بلاد اليونان وحوض البحر الايجي. وقد أخذت الدول الجديدة تشعر بتأثير الموقف الديني الجديد وتتبنى اعرافا جديدة لمعتقداتها الدينية. وبطبيعة الحكم السياسية تم الاتصال بشعوب غير اغريقية كانت لها تقاليد دينية خاصة وعبدت آلهة تختلف عن آلهة الأغريق. وقد شجعت حكومة الولاية او المدينة معتمدة على اقامة بعض الطقوس الدينية الخاصة لأسباب سياسية بحتة، وأخذت تتبنى عبادة طقوسية معينة من شأنها تأليه الحكام وزيادة الوعي عند الأفراد للحاجات العاطفية الشخصية في خضم الفصل الاجتماعي للسكان استجابة للحقائق غير المستقرة في ذلك العالم والتي انتجت تغييرات سريعة متناقضة مع "الحظ". ولهذا فان آلهة الحظ نفسها قد استجيرت كآلهة قوية. تجمعت هذه المعتقدات، والتحركات التي صاحبتها، لتخلق او





تؤلف صورة مشوشة لتلك التغييرات وهي صورة متغيرة الألوان ومن الصعوبة توضيحها. الا أنه من الملائم، ولغرض فهم تلك التغييرات، ان نحدد الفروقات مابين التطورات الدينية التي حدثت بدوافع سياسية وبتحريض من السلطة والملك او الحكومة وبين الطقوس والعبادات الدينية التي تبناها الأفراد برغبتهم المطلقة وبحرية تامة لأنها بدت لهم أنها تلبي حاجة متأصلة فيهم، ولغرض شخصي وثيق الصلة بحياتهم وشخصيتهم الفردية[٦]. فالملوك الجدد الذين اعقبوا الاسكندر المقدوني كانوا الى حد ما مغتصبي سلطة، لهذا اخذوا يبحثون عن سند وأساس ديني في جعل سلطاتهم قانونية ولتعزيز ادعاءتهم بالحكم، لذلك ظهرت بعض السمات الخاصة المتعلقة بالمعتقدات الدينية للأسر الحاكمة الجديدة من ضمنها تبنى عبادة اله مهم معين، وكان من الضروري جدا ان يكون هذا الاله من ضمن مجموعة الآلهة الاولبية لأنهم مابرحوا يعتقدون بقدسية آلهتهم التي نشأوا على عبادتها وتقديسها وأقامة شعائرها التقليدية العريقة. فعلى سبيل المثال ادعت الأسرة الحاكمة في مقدونيا انحدارها من الآله هرقل، ونقشوا صورته وبعض معطياته، وخاصة الهراوة، على نقودهم الرسمية لتصبح رمزا لحكمهم[٧]. في حين وجد الحكام السلوقيون في العراق والشام ضالتهم المنشودة في أبولو، آله الحكمة والمعرفة، واعتبروه الههم الخاص الحامي. واشتهر سلوقس نفسه بنسبه اليه وانه كان ابنه وحمل بنفسه رمزه وهو المرساة، التي كانت منقوشة على فخذه على انها علامة ولادية. وقد قبل السكان الأغريق بذلك الادعاء حيث نصت كتابة تذكارية مهمة، نقشت على شرف سلوقس نفسه، على منح الحاكم الجديد امتيازات عديدة من ضمنها الاشراف على مذبح يقوم الرياضيون المتنافسون بتقديم القرابين الجسدية فيه في كل سنة، فضلا عن تسمية أحد أشهر السنة باسمه واقامة احتفالات ملكية كل اربع سنوات تتضمن مسابقات في الموسيقى والفروسية والرياضة، وجميعها تكون تحت رعاية الآله ابولو "الجد الأعلى للسلالة الحاكمة"[٨]. وارتبط ادعاء الحكام الهلنستيين بآلهة خاصة مع التقاليد الشرقية الموروثة بتقديس الحاكم وهي في الاصل تدعو الى عبادة السلف ثم تطورت الى عبادة الملك وتقديسه في حياته واعتباره الها. وقد وجدت هذه الممارسة الطقوسية والعبادة ارضا ملائمة خصبة في معظم مدن الأغريق واستغل الحكام الهلنستيين هذه الظاهرة وما تقدمه من فوائد ومكاسب شخصية سياسية واقتصادية. وكان تطور هذه الممارسة بطيئا وغير منظم في البلاط السلوقي حيث استغرق فترة طويلة كانت المدن الأغريقية خلالها تجد المحفز والدافع المبرر لأعمال التكريس والتقديس للحكام. وقد أخذت مراحل عدة طريقها في عملية التطور لهذا المفهوم الديني الجديد وسبق أن ذكرنا الادعاء الخاص بسلوقس. فالقانون الذي صدر في عام ٢٨١ ق.م والذي تم به الاعتراف بسلوقس حفيداً للاله أبولو، يقترب في نصوصه ومفرداته ومضامينه من معطيات سمو الشرف الالهي. حيث تم تأسيس مبنى ديني ومذبح لتلقي التضحيات، وكذلك اقامة مواكب رسمية وألعاب وتراتيل دينية ومنح أكاليل ذهبية للرياضيين المتنافسين واقامة النصب والتماثيل، فضلا عن استعمال الاسم الملكي لتسمية قبيلة أو شهر في تقويم محلي. وقد أعلن انطيوخوس الأول ابن سلوقس ان والده اصبح في مصاف الآلهة وأضفى عليه لقب سلوقس "المنتصر" وهو أحد ألقاب الآلهة في حين يعد انطيوخوس الثالث ٢٢٣ – ١٨٧ ق. م أول ملك سلوقي يؤسس معبدا رسميا لتقديس نفسه ولأسلافه، كما تشير بذلك رسالة يعود تأريخها الى عام ١٩٣ / ١٩٢ ق. م كتبت بخط يده الى حاكم اقليم كاريا ويعين بموجبها كاهنة لمعبد زوجته[٩].





ان الدلائل التأريخية والدينية لاتلقي الضوء الكافي على معرفة الأهمية الحقيقية لظاهرة تقديس الحاكم او حتى تحديد جوهرها بتلك السهولة لأنها تنطوي على جوانب سياسية ذات اعتبارات متعددة. كما أن لها عبادة وطقوسا خاصة غالبا ماكانت تميز الحالة الملكية، وتدعم في نفس الوقت قوة وشرعية حكم ذلك الملك وسلالته. ان معظم التطورات الدينية الجديدة كانت استجابة للتغييرات في المواقف الشخصية وللتحولات الاجتماعية الجديدة. ومع اضمحلال قوة دولة المدينة بدأ يطرأ على ثقة الأفراد تدهور واضح في عباداتهم التقليدية واهتمام متزايد في الديانات الصوفية التي تضمنت القيام بمحافل سرية من شأنها التعهد بانقاذ الأشخاص، ونجد في المراسيم الاحتفالية في اليوسس وفي جزيرة ثامورثريس ابرز أمثلة لتلك الممارسات التي بقيت اغريقية في جوهرها خلال العصر الهلنستي وتزايدت شعبية بعض منها (مثل طقوس دايو نيسوس)[١٠]. وتطورت الحرية الشخصية للفرد الأغريقي في تلك المحافل او الجمعيات الخاصة بعد عام ٣٠٠ ق. م، ومن خلالها، اي من خلال القنوات الاعتيادية، دخلت العبادة الشرقية الى كل مدينة اغريقية أو جاليةاجنبية صغيرة كانت قد استوطنت، وتجمعت في نادي او جمعية لعبادة الههم الخاص، ومن المحتمل جدا ان الاغريق أنفسهم انضموا الى تلك الجمعيات[١١]. ان الميل الى الالهام الصوفي والمبادئ غير المنطقية كانت صفة ملازمة لممارسات تلك الجمعيات التي تأثرت الى حد ما ببعض الطقوس الأغريقية المعروفة، ومن الممكن ان تتوضح، على سبيل المثال، في معبد اسكلبيوس في ابيداريوس حيث يسعى الفرد الى الشفاء الاعجازي اوالخارق من الأمراض، وحيث أثرت تلك المعتقدات في أفكار المتعبدين الذين قضوا الليالي نائمين في المعبد سعياً وراء الشفاء.

وتؤكد الدلائل الكتابية التي وجدت منقوشة على الجدران، وكذلك الكتابات الدعائية التذكارية الأخرى، على ان هذه الممارسات قدوصلت الى ذروتها خلال الفترة الهلنستية، فضلا عما تقدمه انواع القرابين والنذور من دلائل من شأنها تعزيز تلك الاستنتاجات[١٢].

تبنت بلاد الأغريق نفسها عبادة الآلهة الشرقية، في حين قلّما عبدت الشعوب الشرقية آلهة اغريقية. فمثلا تقبلت مدينة دورايوربس (الصالحية) عبادة آلهة عراقية قديمة، وخاصة البابلية منها، في حين لم تدخل عبادة اله اغريقي واحد الى مدينة الوركاء مثلا[١٣]. وأخذت الآلهة الشرقية في بعض الأحيان أسماء الآلهة الأغريقية، ولكن دون معطياتها لأنها كانت، في معتقداتهم، الأقوى. لقد أدت هذه الظاهرة من بعد الى فشل الغزو الاغريقي لآسيا، لأن البلدان الشرقية قد وضعت في مجالها الديني مقياسا واضحا عبّر الاغريقي عن ضعفه في مواجهته. ان ماقدمه الاغريق الى البلدان الشرقية يتمثل في جوانب معينة من العلم والفلسفة وحتى هذه كانت مقتصرة في حد ذاتها على القلة القليلة من الافراد وليس الى الجماهير الواسعة. وقد مثّلت الالوهية بواسطة نمو الفكر التجريدي وهو ميل يمكن ان يتتبع خلال القرن الرابع، وان "الهة الحظ Fortune" كانت تمثل نوعا بارزا من الفكر التجريدي، وقد انتشرت عبادتها في العالم الهلنستي ولعبت دورا مهما في ديانة ومعتقدات هذه المنطقة وخاصة في حياة البشر الذين اهتموا بها بشكل خاص وكانت في الواقع تعبر عن مبدأ هلنستي بحت[١٤]. انها لم تكن الحظ الأعمى ولكنها كانت تمثل بعض العلاقات التي لايمكن للبشر ان يفهمها، فان الهة الحظ نفسها هي التي جعلت من بعض قواد الاسكندر حكاما ناجحين مسيطرين على أقاليم واسعة وانها قادت





البعض الآخر الى القبر، ولكنها لم تكن الهة قاسية غير عطوف او بدون رحمة او شفقة ولم تحرم الرجال من الأمل في الاعتقاد بأن "اليوم لك ولكن الغد لي". وكان لكل رجل حظه، اذ انها كانت تمثل روحه الفردية وفي كثير من الأحيان كانت تجسد شخصيته الفردية[١٥].

اهتمت الطبقة المثقفة بالعلم والفلسفة والثقافة بدلا عن المعتقدات الدينية، ولكن ذلك لم يؤثر على عقلية الفرد الاعتيادي الذي ايقن ان عليه أن يعبد شيئا ما. وبما ان الآلهة الاولمبية بدأت تضمحل، فقد بدأ شعور ديني حقيقي بالتطور، وأصبحت العبادة الشرقية تسيطر تدريجيا على نفسية المواطن، ولهذا يعتقد بعض الباحثين، وكما ذكرنا سابقا، بأن غزاة الشرق أنفسهم قد وقعوا فعلا أسرى الديانة الشرقية[١٦]. وعلى الرغم من أن تأثير الديانات الشرقية لم يصل الى ذروته الا بعد الفترة المسيحية، لكنها كانت تجمع قواها خلال هذا العصر بتأثيرات جاءت من بلاد وادي الرافدين وبلاد وادي النيل، وكان لتقديس الآلهة البابلية تأثيرا محليا، فضلاً عن انها غزت بلاد اليونان نفسها وبأسمائها الحقيقية او قريبة منها. لقد ازدهرت تلك الديانات بقوة على الرغم من انها، في بعض الأحيان، أخذت مظهرا أغريقيا. فعلى سبيل المثال تكشف لنا النقوش التي ضربت على النقود، وخاصة تلك التي يعود تاريخها الى العصر الروماني، عن خليط او مزيج من العبادات والديانات المعاصرة، وكان أهم الآلهة وأعظمها هو حداد او أدد، اله العواصف والأمطار في معتقدات وادي الرافدين، والذي استوعب عددا من الآلهة المحلية التي عبدت تحت اسم بعل، كما انه تطابق مع زوس، كبير آلهة الاغريق وكانت رفيقته أتركاتس التي هي، في أصولها ومعطياتها وصفاتها، الالهة عشتار البابلية التي تطورت وأصبحت في بعض الاحيان حامية المدينة. وقد عقد عليها الملك السلوقي انطيوخوس زواجا واصبحت الهة معظمة ذات قوة ونفوذ كبيرين. ولكن العطاء البابلي كان في عبادة الكواكب والتي يطلق عليها "علم الفلك" اذ ان جذورها تمتد بعيدا في وادي الرافدين، ثم تطورت الى أسلوب ناضج حيث اتضح لهم أن النجوم والكواكب انما كانت تتحرك في قبو السماء حسب قوانين ثابتة.

بعد هذا الاستعراض عن الجوانب العامة للمعتقدات الدينية في العصر الهلنستي يتضح لنا ان لبلاد وادي الرافدين تأثيراً كبيرا على تشكيلها بهذه الصورة. ولكن الأدلة الآثارية والكتابية في بلاد آشور عن هذه الفترة قليلة، وأهمها هي العثور في تل النبي يونس في مدينة نينوى على معبد صغير يعود تأريخه الى العصر الهلنستي. وقد تألف هذا المعبد من خلوة، ارضيتها مرتفعة يوصل اليها من خلال درجات قليلة من مقدمة خلوة تقع أمامها[١٧]. وعلى أحد جانبي الخلوة باب تؤدي الى غرفة جانبية صغيرة ذات جيوب شيدت من اللبن، وقد عثر فوق أرضيتها على آثار تؤرخ الى العصر الهلنستي استنادا الى مقارنتها بآثار مماثلة عثر عليها في الأدوار الاولى في مدينة سلوقية على نهر دجلة. ويشبه المعبد الصغير في تخطيطه المعابد الآشورية والبابلية الأقدم عهدا. واحتوت خلوة المعبد على دكة، خصص قسم منها لوضع تمثال الاله هرمز الذي عثر عليه خلال التنقيبات، والجزء الآخر منها احتوى على بقايا آثار حرق مما يدل على انه استخدم لحرق البخور. وهناك منصة أخرى من المحتمل انها استخدمت لوضع الهدايا والنذور المقدمة الى اله المعبد[١٨]. واعتبر هرمز رسول كبير آلهة الاغريق زوس، ولذلك يظهر وهو يحمل زوجاً من الأجنحة فوق رأسه وزوجاً آخر فوق نعله، وفي بعض الأحيان يظهر جناحان فوق عصاه السحرية. ومن صفاته التي اشتهر بها في الشرق الهلنستي انه كان حامي التجارة والهها وهو الذي يسبغ حمايته على





التجار ايضا. وتشير الدلائل الآثارية والكتابية الى انه، في بعض الأحيان أخذ بعض صفات ابولو، اله الحكمة والمعرفة في الأساطير الأغريقية وأهمها كونه مخترع الكتابة، وهي صفة مهمة لأبولو تطابق بها مع نابو نظيره العراقي القديم الذي عبده العراقيون القدماء بصفته مخترع الكتابة وهو الذي يمسك بالقلم. وهذا التطابق هو نتيجة طبيعية، كما أوضحنا سابقا، لتأثير الديانات الشرقية على المعتقدات الدينية الأغريقية. وفي مدينة كلخو (نمرود) احدى العواصم الآشورية، عثر المنقبون على مستوطن يعود تأريخه الى العصر الهلنستي ويؤرخ الى حدود ٢٤٠ – ١٤٠ ق. م، بدليل العثور على مسكوكات منقوشة ببعض اسماء الملوك السلوقيين، وكذلك فخار يعود تأريخه الى تلك الفترة الزمنية. ولابد أن هذا المستوطن قد تأثر بالمعتقدات الدينية للعصر وما صاحبها من التحام في مفرداتها المتشعبة[١٩].

ومن الأدلة الأخرى التي يعود تأريخها الى هذه الحقبة الزمنية بعض المزارات الصغيرة التي عثر عليها خارج المعبد الكبير في مدينة الحضر والتي مرّت بأدوار زمنية يعتقد أن الاولى منها تعود في تأريخها الى الفترة الهلنستية، حيث كانت تتألف من مقدمة خلوة او مصلى مستطيل الشكل وخلوة هي عبارة عن كوة في الجدار المقابل للمدخل وضع فيها تمثال لاله المعبد الصغير أو المزار. ومن أهم هذه المعابد الصغيرة هو الدور الأول للمعبد الثامن الذي من المحتمل انه كان مخصصا لعبادة الكواكب السيارة، حيث عثر فيه على تماثيل صغيرة تمثل الشمس والقمر والكواكب الخمسة الأخرى، وهي المريخ والمشتري وزحل والزهرة وعطارد، وكلها تدل على التأثيرات الدينية العراقية القديمة وخاصة تلك التي تتعلق بدراسة علم الفلك[٢٠].

لقد نضجت هذه المعتقدات الدينية والمبادئ الفكرية المعقدة خلال فترة الاحتلال الفرثي التي استطاعت خلالها شعوب المنطقة وأقوامها من ممارسة معتقداتها الدينية على الرغم من الاحتلال السياسي، وهذا ما أدى بالتالي الى ازدهار تلك المعتقدات بعيدا عن القيود السياسية التي فرضها الحكام[٢١].

وقد عثر على العديد من الدمى الفخارية التي عملت حسب الأسلوب الاغريقي والشرقي، وهي تمثل مجموعة متنوعة من الآلهة، وكانت قد قدمت للمعابد على هيئة نذور دينية رخيصة تعبيرا عن المعتقد الديني. ومن ابرز أمثلة الازدهار الديني للمعتقدات العراقية القديمة هي الاستمرار في تدريس التراتيل الدينية السومرية في مراكز العبادة، فصلاً عن ان الديانة والطقوس البابلية والآشورية قد استمرت وكان لها تأثير في معتقدات سكان مناطق واسعة بعيدة عن مناطقها الأصلية، وعلى الرغم من الانحسار السياسي للبابليين والآشوريين فان طبقة الكهنة حافظت على سيطرتها الثقافية[٢٢].

وخلال هذه الفترة ايضا شمل تطابق وتعريف الآلهة الغربية بنظيراتها الشرقية مجالات أوسع من العصر الهلنستي حيث تطابق مردوخ مع بيل، وأصبح الها عظيما لمجتمعات أخرى. واستمرت عبادة الالهة عشتار حتى أزمنة متأخرة، وكذلك عبادة ناناى ذات الأصل السومري وكلتاهما كانتا الهتي خصوبة، واستمرت طقوس عبادتيها الى فترات متأخرة من هذا العصر. وامتد التأثير البابلي والآشوري ليشمل تشكيل مجاميع الآلهة الى ازواج او تثليث، وفي بعض الاحيان، يدخل اله واحد في اكثر من تثليث واحد، كما حدث في تدمر[٢٣]. ويتواصل التأثير البابلي المهم في علم الفلك، فكان طلاب العلم يقصدون مراكز التعليم من اماكن بعيدة لدراسة هذا الخزين الغني من المعلومات التي تراكمت خلال آلاف السنين ليستطيع البشر بواسطتها معرفة طرق الأقدار. وبرزت عبادة الآلهة





العربية والآرامية خلال هذه الفترة ومعها العقائد الخاصة بها والتي تتركز حول الخصب والأمطار والمحاصيل الجيدة. وفي شمال وادي الرافدين حافظت المعابد على تقاليدها الآشورية العريقة وأقيمت الطقوس الدينية التي تضمنت اقامة الشعائر والمواكب الدينية، وكان من أبسط طرق التقديس التي وصلت الينا منقوشة على ألواح عديدة ، هي حرق البخور ورمي الحرمل في المباخر او المحارق الخاصة التي أعدت لهذا الغرض ، وفي بعض الأحيان نرى ان جدران المعابد قد نقشت بصورة جدارية منظمة في صفوف الواحدة فوق الأخرى. وتميزت عبادة الآلهة العربية بسمة خاصة وهي اسباغ صفات محلية للعديد من الآلهة ، فمثلا كان لكل منطقة « بعل » اله او سيّد « وبعلت » سيدة او الهة ، وكان لهم صفات خاصة بهم تتضمن شمول متعبديهم بالحماية او في بعض الأحيان يتم تخصيص آلهة معينة للحماية. وفي مجتمعات الجاليات الأغريقية اقتصرت اقامة الطقوس والمعتقدات الدينية الاغريقية على أفرادها. وان عبادة الآلهة التي يتوسل اليها او يناشدها المتعبد ربما كانت آلهة شرقية لأن تأثير الحضارة الهلنستية ، وكما بينّا سابقا ، اوجد حركة دينية جديدة امتدت الى مناطق واسعة وشملت العديد من الشعوب ،فازداد تطابق الآلهة الأغريقية مع آلهة شرقية متعددة الأصول والممارسات ، وشكلت الآلهة العربية أهمية مضافة في التطابق ، فمثلا تطابق بيل مع شمش وعشتار مع ناناى مع أترعتا مع اتركاتس ، وتطابق ابولو مع نابو، وتطابق هرقل الاله والبطل مع نرجال اله العالم الأسفل في الأساطير العراقية القديمة منذ العصر السومري وتطابقت الالهة العربية اللات مع اثينا ابنة زوس العذراء وتطابقت ايضا مع الالهة لينمسس/ الهة العدالة والانتقام في الأساطير اليونانية[٢٤] . وتوضحت معظم صيغ تطابق الآلهة في كتابات نقشت على قواعد التماثيل بلغات وخطوط مختلفة ، فمثلا كتابة واحدة باللغة الآرامية ثم تعقبها ترجمة باللغة الأغريقية ، وعندما دخل الرومان المنطقة أضيفت اللغة اللاتينية وقد عثر على بعض النصوص الكتابية منقوشة بثلاث لغات.

وازدهرت مدينة آشور– العاصمة الاولى للآشوريين خلال هذه الفترة مرة أخرى واعيد بناء معظم معابدها القديمة وحمل بعض منها صفات هذه الفترة ، فمثلاً بني معبد آشور القديم حسب مواصفات جديدة ، حيث دخل الايوان عنصرا مهما في عمارته. وهناك معبد آخر يعتمد العمود عنصراً أساسيا في العمارة ، في حين استمرت المعابد الاخرى بتخطيطها السابق الذي يستند الى المخططات الآشورية[٢٥] . وفي داخل هذه المعابد عثر على العديد من الدمى الفخارية التي تحمل بعض صفات العصر الاّ انها تعد استمرارا للتراث القديم. ومن أهم انواع الدمى تلك التي تصور المرأة العارية وقد أصبحت موضوعا للمناقشة، وأبدى العديد من المختصين آراءهم فيها. وحصيلتها انها اما تمثل الالهة عشتار نفسها بصفتها الهة الخصب اوكاهناتها ، اي انها لاتبتعد عن المغزى الديني وانها كانت هدايا نذرية للمعبد وقطع دينية للمتعبد في البيوت كان لها قيمة رمزية وطلسمية لمالكها[٢٦] . وتطابقت عشتار مع افروديت الهة الحب الأغريقية وانتشرت عبادتها انتشارا كبيرا حيث عثر على نماذج لتمثيلها في وادي الرافدين والصحراء السورية وهي تشير الى شعبيتها خلال هذا العصر[٢٧] . وقد عثر على العديد من نماذجها في مدينة آشور، كما وضحنا سابقا ، فضلا عن العثور على دمى عديدة في سلوقية وهي على نوعين: النوع الأول انجز وهو يحمل تأثيرا واضحا للأسلوب الاغريقي ، في حين يتميز النوع الثاني بصفات شرقية ولكن معظمها يرجع الى أصناف اغريقية معروفة وقسم منها يمثل أفروديت ، كما عثر على بعض دمى عملت تفاصيلها بشكل رمزى تخطيطي لنساء عاريات او نصف عاريات وهي





تظهر تأثيرا شرقيا قديما ، وهذا مايدعو الى الدهشة والاستغراب الى وجود هذه الدمى في مدينة تأسست في العصر الهلنستي[٢٨] .

وتميزت مدينة الحضر بمكانة دينية بارزة في تأريخ المعتقدات الدينية حيث عدّت بودقة انصهار للعديد من الديانات القديمة ، وأهمها الديانة العراقية القديمة/ البابلية والآشورية بوجه خاص ، فضلا عن التأثيرات الهلنستية التي سبق أن أوضحنا معالمها الأساسية ، ثم ديانة ومعتقدات القبائل العربية التي استوطنت منطقة الجزيرة واتخذت من مدينة الحضر مركزا مهما لها ، وقد ورد ذكرها في الكتابات الآرامية باسم عربايا اي بلاد العرب[٢٩] ، وقد استمر استعمال هذا المصطلح بعدئذ لفترة طويلة . وتشير الدلائل الآثارية الى ان الاستيطان في أرض الحضر قد بدأ في حدود القرن الثاني ق. م . وهناك افتراض بأنها قامت في موضع قرية كانت موجودة في زمن الآشوريين ، ولكن هذا الافتراض يفتقر الى الأدلة الآثارية التي تسنده .
احتوت المدينة في القرن الثاني ق. م على معالمها الرئيسة التي اتصفت بها بعد نموها وازدهارها وأهمها معبدها الكبير ، الذي ورد ذكره في الكتابات الحضرية باسم "هيكلا ربا " أو "بيت الها" اي بيت الاله[٣٠] ، وقد اتخذ شكل مستطيل كبير ضم العديد من المعابد المنفصلة والمتناثرة والتي خصصت لعبادة آلهة مختلفة . وفي المدينة ايضا ، بعض من معابدها الصغيرة شيّد حسب التخطيط البابلي- الآشوري للمعابد وكرّس لتقديس آلهة وادي الرافدين القديمة وآلهة العرب الرئيسة . واهتمت القبائل العربية في تشييد ابنيتها ومعابدها وتدفقت الأموال والهدايا من أجل جعل الحضر اغنى وابهى المدن خاصة بعد ان صمدت بوجه العدوان الروماني وتحدّت جيوشهم ببسالة أهلها الشجعان ومن حالفهم من القبائل العربية ، وازدادت معابدها فخامة وروعة واحتلت المكانة العظمى في ديانة العرب قبل الاسلام . لقد كان للعاملِ الديني موقع بارز في ازدهار مدينة الحضر ، فصلاً عن عوامل أخرى قامت بدور مهم ايضا وبخاصة العاملان العسكري والتجاري .

من أهم آلهة المدينة الاله شمش الذي خصص له أهم ابنيتها وأفخمها ، وقد تطابق مع زوس كبير آلهة الأغريق ومع بيل ايضا ، وقد صور في منحوتات المدينة بهيئة رجل يظهر على جبينه قرنان وخلف رأسه الهالة المشعة التي هي رمزه ، وقد نقشت صورته على مسكوكات المدينة حيث يظهر بشكله التقليدي الذي تحيط به هالة من أشعة الشمس ونقش اسمه ايضا عليها في عبارة تذكر "حطرا دى شمش" أي ان مدينة الحضر بأجمعها قد كُرست لعبادته ووصف بالاله العظيم وخالق الكائنات وسيد الأرض واله العدل .ويبدو أنه دخل في تثليث الهي مع الهين آخرين اطلق عليهم مرن (سيدنا) ومرتين (سيدتنا) وبرمرين (ابن سيدينا) . واستنادا الى الدلائل الكتابية والآثارية الفنية المستوحاة من دراسة تماثيل الاله شمش ومنحوتاته ، فان الاله قد نعت باسم مرن حيث تذكر كتابة مهمة ان برمرين قد شيد معبدا لوالده شمش ، وهي اشارة واضحة الى تطابق مرن مع شمش وان مرن (سيدنا) اصبح نعتا لشمش[٣١]، اما مرتن (سيدتنا) فيعتقد ، استنادا الى دلائل فنية تفصيلية مقارنة ، أنها صفة من صفات اللات ، الاهة العربية العظمى والتي خصص الحضريون لها معبدا ضخما يقع داخل المعبد الكبير. وتشير الدراسات الخاصةبالمنحوتات التي عثر عليها داخل معبد هذه الالهة بأنها قد تطابقت مع نيمسيس ، الهة العدل والانتقام في الأساطير اليونانية القديمة، حيث يظهر في احداها وهي تجلس على عصا ميزان تخرج من كفتيه ذراعان تتشابك أيديها في مصافحة تحالف وعقد ميثاق وهي اشارة واضحة الى الالهة نيمسس لأنها الالهة التي تحافظ على المعاهدات

والمواثيق ويستشهد بها ويقف أمامها الملك سنطروق بن نصرو مريا في حالة تعبد وخشوع، وهوالملك الذي شيّد لها معبدها الضخم وخصصه لعبادتها بعد أن زينّه بشتى الزخارف والألواح الفنية كان من أبرزها النحت الذي يمثل المشهد الموسيقي حيث يظهر عازفون على مختلف آلات النفخ الموسيقية في وضعيات وأشكال مختلفة، ويظهر آخرون يصفقون وقسم منهم يحتسي من كأس، وتبدو بينهم مغنية او راقصة. وفي المنحوتة الوسيطة لهذا المشهد تبدو الالهة جالسة على ظهر ناقة تتقدمها كاهنة تضرب على الدف ترحيبا بها وامامها تظهر حورية البحر وهي تمسك بميزان ذي كفتين، وهو رمز للالهة نيمسيس، وهذه اللوحة الوسطية تروى احدى أساطير الآلهة التي اشتهرت بها في بلاد اليونان والتي تخص قصة الحورية "ايكو" مع "نرجس" ابن اله النهر[٣٢]. اما برمرين (ابن سيدينا) فيعتقد بأنه نعت للاله سين، اله القمر في معتقدات وادي الرافدين، حيث يظهر الهلال بازغا من كتفيه وتحيط به ايضا هالة ولكنها في هذه المرة هالة القمر وليس هالة الشمس. وقد عثر على ثلاث منحوتات تمثل آلهة التثليث خلف معبد أطلق عليه المنقبون اسم "معبد التثليث" بسببها، وهو بناء يتألف من ايوان وسطي كبير وعلى جانبيه ايوانان صغيران بطابقين وخلفها سلسلة من الغرف. ووردت أسماء آلهة التثليث في كتابات الحضر وتكررت على نحو كبير في ادعية الحضريين وكتاباتهم التذكارية.

وعبد الحضريون الاله بعلشمين (سيد السماوات)، بدليل العثور على عدد من منحوتاته، وورد اسمه في كتابات المدينة وذكر في كتابات الذكرى والدعاء لآلهة الحضر الرئيسة، وقد نعت بالملك وبالاله الخالق للأرض وبالاله العظيم، ويظهر في نماذج النحت التي وصلتنا جالسا بين عجلين ويمسك بيده حزمة البرق التي أصبحت رمزه وهي دليل على انه اله الرعد والبرق والأمطار، ووظيفته الأساسية هي حماية المزروعات من خطر الكوارث وحزمة البرق هذه ترافق مطر الخصوبة التي تحول الصحراء الى مزارع وتحافظ على حياة الانسان والحيوان وتبرز عبادته في الصحراء وقد عبد في ساحل فينيقيا، وذكر في اتفاقية الملك الآشوري أسرحدون انه كان من بين الآلهة الكبار التي عبدت في صور ثم انتقلت عبادته الى سورية الداخلية حيث عبد في تدمر و دورايوروبس بين عرب الانباط في البتراء وفي خربة التنور، ووصلت عبادته الى مدينة الحضر عن طريق القبائل العربية. وقد خصص الحضريون لهذا الاله معبدا كبيرا ضمن الأواوين المتسقة حيث يبرز من أحد جدرانه نحت لمقدمة عجول ترمز اليه، وتشاركه في المعبد الالهة اترعتا – اتركاتس بصفتها رفيقته او زوجته، وقد خصص له المعبد الثالث من سلسلة المعابد الصغيرة وخصص المعبد الرابع المجاور له الى زوجته اترعتا، وكلا المعبدان يتبع في عمارته تخطيط المعابد البابلية الآشورية[٣٣].

ومن آلهة الحضر الرئيسية نرجول او نرجل الذي اقتبس الحضريون عبادته من الآشوريين بصفة اله العالم الأسفل "نرجال" وقد تطابق مع هرقل الاله الأغريقي في المعبد العاشر، وفي الباب الشمالية عثر على منحوتاته وتماثيله وأدلة كتابية تؤيد هذا التطابق، وقد عبد كاله وكبطل ونعت «رئيس الحرس» وعثر على تمثال مشابه في الباب الشرقية ايضا مما يدل على انه كان يحرس ابواب المدينة وانه كان معبود الجنود ويظهر هرقل – نرجول مصورا مع عدد من آلهة الحضر الرئيسية على منحوتات متعددة وهو عاري الجسم ويحمل هراوته المعتادة، ويضع جلد الأسد النيمي على ذراعه ويحمل كاسا[٣٤].

كما عبد الحضريون "سميا" او اله السماء ورمزوا له بالشمس والقمر والكواكب الخمسة الأخرى على شكل اقراص مزخرفة وبهيئات مختلفة تثبت





على عمود بشكل راية او علم يعلوها نسر، وهذه الراية ليست راية حربية وانما عبدها الحضريون رمزا لاله السماء، وتظهر على بعض المنحوتات بأقل من رموزها السبع، ومن المحتمل ان لكل قبيلة او بيت (سميا) خاصاً به تألفت من الشمس والقمر والكواكب ذات الفأل الحسن والتي تتجسد في الاعمال الجيدة ازاء القبيلة او البيت. وقد ورد ذكر الاله سميا في العديد من كتابات الحضر، وعثر على "الراية" منقوشة على عدد كبير من المنحوتات او مصورة بالألوان او الحبر على جدران الجص او بشكل حزوز دقيقة (٣٥).

وخصص معبد كبير لعبادة شحيرو او نجمة السحر، وقد ورد الأسم في كتابتين مهمتين ولا يعرف الكثير عن طبيعته. كما وخصص معبد لعبادة الاله نبو او نابو، اله الحكمة والمعرفة في الأساطير العراقية القديمة وهو مخترع الكتابة وماسك القلم وقد عثر على تماثيله ومنحوتاته، وورد ذكره في الكتابات ودخل في العديد من أسماء الأعلام المركبة. وقد تطابق نبو مع أبولو في المعتقدات الدينية منذ العصر الهلنستي بدليل أن سترابون الجغرافي عند اشارته الى الايزدا "معبد نابو في بورسبا" ذكر أنه مخصص لعبادة نابو/ ابولو، وان العراقيين عبدوه باسم نابو والاغريق تحت اسم ابولو. ومن صفاته في الحضر انه كان "كاتب" الاله مرن، كبير آلهة الحضر (٣٦).

وعبد الحضريون اله الحظ "Fortune" الذي برزت عبادته خلال هذه الفترة ونضجت المعتقدات الدينية المتعلقة به، وقد صوّر اله الحظ في الحضر "جندا" او "جدا" بهيئة الاله هرقل الأغريقي حاملا جلد الأسد والهراوة، ولكنه لم يظهر عاريا وانما مرتديا الملابس الحضرية كاملة. وقد ورد ذكر هذا الاله في العديد من الكتابات، وعثر على منحوتات عديدة تمثله ونعت في بعض الأحيان بالحظ العائد للعرب او بالحظ العائد للباب وخصص مبنى لعبادته وتقديسه على جانب كبير من الأهمية (٣٧). وخص الحضريون النسر بالعبادة ونعتوه "سيدنا النسر" أو "النسر سيدنا" واعتنوا بنحت تماثيله وزينوها بالقلائد المطعمة بالأحجار الكريمة وصوّروه بطريقتين، حيث يظهر في الاولى ناشرا جناحيه وهو بذلك يرمز على وجه الاحتمال، الى شمش، وقد ظهر بهذا الشكل ايضا على المسكوكات الحضرية، وفي الطريقة الثانية يبدو غير ناشر الجناحين، وعلى الأرجح أنه يرمز بهذه الوضعية لمرن.

وعثر في المدينة ومن خلال التنقيبات الأثرية على تماثيل لآلهة هلنستية او رومانية. فمثلا عثر على وجه من البرونز يمثل دابونيسوس، وعثر على جدران الأواوين المتسقة على وجه مدوسا / كوركون، ومهمتها طرد الأرواح الشريرة، فضلا عن تماثيل لبوسايدون اله البحر عند اليونان وابولو وايروس رسول الحب وهرمز ايضا، وجميعها تعود الى فترة متأخرة من تاريخ المدينة عندما تحالف الحضريون مع الرومان.

شيدت معابد الحضر الكبيرة من حجر الحلان المهندم وزينت بأنواع من التحليات والزينات المعارية، وتميزت واجهاتها بالأعمدة المندمجة وبالأقواس المزخرفة بأشكال آدمية تمثل آلهتها وملوكها وحكامها ونبلاءها، فضلا عن عناصر حيوانية كالخيول والأتنّ وما شابه ذلك. وخططت المعابد المهمة لتضم عددا من الأواوين الواسعة وهي صفة ابتكرها المعار العربي الحضري وشاع استعمالها منذ هذه الفترة. اما المعابد الصغيرة او المزارات فقد شيدت باللبن على أسس من حجر حلان مهندم واتبع التخطيط العراقي القديم- البابلي والآشوري في بنائها. وقد اشتمل المعبد على مقدمة خلوة او مصلى، كما يسميه البعض، وخلوة تحتوي على عدد من تماثيل ومنحوتات الاله الخاص بذلك المعبد، فضلا عن عدد آخر من منحوتات





آلهة أخرى اعتبرت آلهة مساعدة او ثانوية. وضم المعبد في تجهيزاته صندوقا للصدقات وضع بالقرب من خلوة المعبد لرمي الدراهم والنقود المتبرع بها، وقد عثر على معظم هذه الصناديق خالية من الزخرفة، الاّ ان بعضا منها كان مزخرفا بمناظر دينية مختلفة، وقد جاء معظمها بشكل اسطواني تعلوها أغطية بأشكال أنصاف قباب مثبتة بكلاليب لمنع سرقة النقود من داخلها، وعثر على احد الصناديق وهو بشكل مكعب وآخر ثماني الشكل حيث نقش على أوجهه النحات نقوش لآلهة ولكهنة ولمتعبدين. ويعتقد ان وضع النقود في تلك الصناديق المعدة يعد جزءا مكملا ومهما لاعمال التقديس التي مارسها المتعبدون تجاه آلهتهم، وتعد تقليدا دينيا متواصلا من حقب اقدم[٣٨].

جاء في كتابات الحضر بعض أسماء الوظائف الدينية المهمة منها " اوكلاربا " (الكاهن الأعظم) وهو لقب أطلق فقط على نشريهب مريا ونصرو مريا، وتعتبر من المناصب الرفيعة بين طبقة رجال الدين. وورد لقب "رب - بيتا" (السادن) أورب المعبد ووظيفته دينية ومدنية تتضمن الاشراف على المعبد وصيانته ورعاية زواره، وكان لبعض المعابد المهمة سدنة معينون لادارته. كما ورد ايضا سادن للمدينة، وكذلك سادن العرب. ومن الرتب الدينية الأخرى "كمرا" (الكاهن) و "كمرتا" (الكاهنة)، وتظهر على منحوتات الحضر وآثارها صور كهنة يرمون الحرمل او البخور الى مباخر او أنصاف[٣٩]. ومن الواضح ان لبعض المعابد المهمة فرقة خاصة من المزمرين او المزمرات والنائحين اوالنائحات، وكان عليهم رئيس او شيخ. كما ورد في كتابة مهمة تذكر "شيخ جميع المزمرات والنائحات التابعات لمعبد مرن" كما ورد لقب "رب قينتا" الذي يدل على أنه كبير النائحين او النائحات.

اما مقابر المدينة فيقع معظمها في الجهة الشرقية منها، وقسم منها داخل المعبد الكبير. ومدافن الحضر بنيت من الحجر المهندم على اشكال متعددة أبسطها ذات طابق واحد مربع الشكل يتألف من غرفتين يربط بينهما ممر ومدخل منحدر من الخارج الى الداخل. ومن الأبنية التي شملتها الحفائر الأثرية مدفن لقبيلتي تيمو وبلعقب، يتألف من طابقين، الطابق الأرضي تكون من ثلاث غرف وممر يوصل اليه من خلال مدخل ينحدر نحو الداخل بدرجات قليلة وهناك وفي احدى الغرف سلالم تؤدي الى الطابق الثاني الذي تألف من غرفتين، وتأخذ الأبنية الشكل المربع وتحتوي على غرفة مربعة واحدة زودت جدرانها برفوف او قواعد، ربما لوضع تماثيل الأموات الذين دفنوا في الأبنية المجاورة. لقد زخرفت بعض المدافن بتحليات وأعمدة نصف دائرية مندمجة بالواجهة وسقفت بالأقبية، وكانت تضاء عن طريق نوافذ ضيقة ترتفع عاليا في الجدران ومداخلها سدت بأبواب حجرية ثقيلة تدور على صنارات حفرت في العتبات السفلى للمداخل[٤٠].

**الهوامش :**

(١) A. T. Olmstead, History of the Persian Empire, Chicago, 1966, p. 460.
(٢) F. W. Walbank, The Hellenistic World, Glasgow 1981, p. 208.
(٣) W. W. Tarn, Hellenistic Civilazation, Cleveland, 1963, p. 357.
(٤) Walbank, p. 208.
(٥) Tarn, p. 338.
(٦) Walbank, p. 210.
(٧) ibid, p. 210.
(٨) ibid, p. 211.
(٩) ibid, p. 216.
(١٠) ibid, p. 218.
(١١) Tran, p. 338.
(١٢) Walbank p. 218.
(١٣) Tarn, p. 337.





(١٤) Walbank, p. 220.

(١٥) Tran, p. 240.

(١٦) ibid, p. 241.

(١٧) محمد علي مصطفى "اكتشاف تمثال الآله هرمز في نينوى ، سومر ١٠ (١٩٥٤) ، ص ٢٨٠ – ٢٨٣ .

(١٨) المصدر السابق ، ص ٢٨١ .

David Oates, Studies in the ancient History of Northern Iraq, London, 1968, p. 61.

(١٩) ibid, p.p. 63 – 66.

(٢٠) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، الحضر – مدينة الشمس ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ٣٦٠ .

(٢١)

Malcolm Colledge, The Parthians, London 1967, p. 104.

(٢٢) ibid, p. 104

(٢٣) ibid, p. 105.

(٢٤) Wathiq Al – Salihi, "Alat – Nemesis – Iconographical Analysis of two Religious Reliefs from Hatra, Mesopotamia, 25 (1985), pp. 131 – 146.

(٢٥) واثق الصالحي "العمارة في العصر السلوقي والفرثي" حضارة العراق ، الجزء الثالث ، ص ٢١٢ – ٢١٤ .

(٢٦) صبحي أنور رشيد "كتب جديدة – دمى من آشور في متحف الشرق الأدنى في برلين" سومر ٣٧ (١٩٨١) ، ص ٢٥٣ – ٢٥٨ .

(٢٧) واثق الصالحي "أفروديت عبر التاريخ" مجلة آفاق عربية ، السنة العاشرة ، كانون الأول ١٩٨٥ ، ص ٦٦ .

(٢٨) المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(٢٩) واثق الصالحي ، حضارة العراق ، الجزء الثالث ، ص ٢٢٤ .

(٣٠) Jabir k. Ibrahim, Pre – Islamic Settlement in Jazirah, Mosul, 1986, p. 123.

(٣١) واثق الصالحي "النحت في الحضر" حضارة العراق – الجزء الرابع ، ص ٢٠٦ – ٢٠٩ .

(٣٢) W. Al. salihi; "Allat – Nemesis", p. 131 – 146.

(٣٣) واثق الصالحي "بعلشمين – اله البرق والمطر في الحضر" مجلة كلية الآداب ، العدد ٢٠ (١٩٧٩) ، ص ٢٥٠ – ٢٦٤ .

(٣٤) واثق الصالحي ، حضارة العراق ، الجزء الرابع ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

(٣٥) Susan Downey "A Preliminary Corpus of the Standards of Hatra, Sumer 26, (1970), p. 195 – 225.

(٣٦) AL – Salihi, "The Shrine of Nebo at Hatra" Iraq, 45 (1983) pp. 140 – 145.

(٣٧) W. AL – Salihi, "Further Notes on Heracles – Gnda at Hatra", Sumer, 38 (1982) pp. 137 – 140.

(٣٨) واثق الصالحي "صندوق الصدقات ، ممارسة في تقديس آلهة الحضر" بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث أخرى ، عدد خاص ، المؤسسة العامة للآثار ١٩٨٧ ، ص ٢١٤ – ٢٢٣ .

(٣٩) سفر مصطفى ، ص ٤٧ .

(٤٠) واثق الصالحي "الحضر – التنقيب في مجموعة من المقابر" ، سومر٢٨ ، (١٩٧٢) ، ص ١٩ – ٣٠ .

# ج . المعتقدات الدينية في فترة الاحتلال الساساني

أ.د. عبد المنعم رشاد محمد

كانت العقائد الدينية في فترة الاحتلال الساساني التي دامت اكثر من أربعة قرون هي في الأساس نفس العقائد الدينية التي كانت سائدة في الفترة السابقة ، فالديانة العراقية القديمة استمرت بالوجود ، الاّ انها بدأت بالاضمحلال التدريجي ولكنها مع ذلك ظلّت هي الديانة الأكثر انتشارا في بلاد آشور، ولكن لعدم وجود دولة ترعاها وبسبب سقوط مدينة الحضر وتدمير الفرس لها فقدت هذه الديانة مركزا بارزا من مراكز عبادتها. كما ان بعض المعتقدات الفارسية أخذت بالظهور بسبب رعاية الدولة الساسانية لها ، فالدين الزردشتي – الدين الرسمي للدولة الساسانية – أخذ بالانتشار بسبب دعم الدولة له ورعايتها لدور عبادته ولرجال دينه ، وبتسامح الدولة الساسانية





مع اليهود أبقت ديانتهم حيّة في هذا الاقليم. فضلا عن أن سيطرة الدولة الرومانية على أقليم الجزيرة جعلها ترعى المسيحية في هذا الاقليم وتحاول نشرها بين سكانه. ولما احتل الساسانيون هذا الاقليم اضطهدوا المسيحيين على اعتبار أنهم رعايا دولة أجنبية عدوة لهم، ولكن بعد الانشقاق النسطورى أخذت الدولة الساسانية ترعى النساطرة وتساعدهم على نشر عقيدتهم بين مسيحيي المشرق. كل هذا أدى الى تنوع المعتقدات الدينية وتعددها في بلاد آشور في هذه الحقبة المهمة من التاريخ.

١ – المعتقدات الدينية العراقية القديمة :

كانت هذه المعتقدات منتشرة في بلاد آشور وبين القبائل العربية الموجودة في هذا الاقليم، وكانت آخر معاقل هذه الديانة هي مدينة الحضر التي كانت القبائل العربية تقصدها لأداء مراسيم عقائدها الدينية وطقوسها[١] وقد استقت هذه الديانة معتقداتها وطقوسها أساسا من الديانة الآشورية – البابلية، وديانة القبائل العربية التي قوامها المظاهر الطبيعية والعوامل المؤثرة على الرعي والتنقل وطابعها الميل الى التوحيد في المعتقد والعبادة، كما اختلطت بعض المعبودات الأغريقية التي جاء بها الاسكندر المقدوني مع العبادات المحلية في شمال العراق.

وكان للفرد أهمية كبيرة في الدين على الرغم من أن الديانة العربية القديمة ديانة جماعية تتعلق بالقبيلة، وعلاقتها وثيقة بالآلهة حيث يرث المرء هذه العلاقات ويتأثر بها باعتباره عضوا في المجتمع، وكان الدين نظاما للحياة، وكان للأعمال الاجتماعية العامة علاقة بالبشر والالهة، وكان الاعتقاد ان هناك علاقة متبادلة، فالاله يحمي القبيلة ويدافع عنها، وقد يضطر الى محاربة آلهة أخرى اذا اشتبكت قبيلته مع القبائل الأخرى، وبالمقابل على القبيلة تقديم فروض الطاعة والأضاحي والابتهالات للاله، لهذا لم يكن من اليسير على الفرد ان يغير ديانته – أي معبوده – الاّ اذا غيّر قبيلته او خرج عنها، وعند اختلاط القبائل او الشعوب ذات الآلهة المختلفة يؤدي اختلاطها الى اختلاف الآلهة، وقد يقتصر هذا على تغيير صفات الآله الأصلية أو أن تضاف اليه صفات أخرى او يصبح لها عدد من الأسماء وهذا ماحصل في الديانة الحضرية وديانة العراقيين في هذه الفترة[٢].

ولكن ضربة قوية وجهت الى هذه الديانة نتيجة قضاء الفرس على مدينة الحضر وتدميرها بعد حصار دام حوالي سنتين، ومع ذلك فان ديانة الحضر والعبادات العراقية القديمة استمرت بالوجود وانتقلت الى مراكز جديدة، فقد انتقلت الى مدينتي حران وأنطاكية وبقيت هاتان المدينتان مراكز دينية واضحة المعالم الى الفترة العباسية، حتى أن المدرسة الفلسفية الوثنية انتقلت في العهد الأموى من الاسكندرية الى انطاكية ثم الى حرّان في ايام المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ)[٣].

وكان من أبرز الآلهة التي عبدها العراقيون القدماء في هذه الفترة في بلاد آشور الآلهة الشمس والقمر وزحل وقد استمرت عبادة الآلهة السبعة التي كان الحضريون يمارسونها[٤]، وهذه الآلهة السبعة هي على عدد أيام الأسبوع، حيث تقدم اليها القرابين والنذور "يوم الأحد للشمس واسمها ابليوس، يوم الأثنين للقمر واسمه سين، يوم الثلاثاء للمريخ واسمه اريس، يوم الاربعاء لعطارد واسمه نابق، يوم الخميس للمشتري واسمه بال – بعل؟ يوم الجمعة للزهرة واسمها بلثي، ويوم السبت لزحل واسمه قرنس"[٥]، وكان هناك أعياد ومواسم في كل شهر من أشهر السنة يقدم فيها اتباع هذا الدين القرابين والنذور لآلهتهم الكثيرة التي لايحصيها عدد نتيجة لخلط الكثير من العقائد والعبادات المحلية بغيرها[٦]، ويقوم باداء الطقوس والاشراف عليها رجال دين يسمى أحدهم الكمر[٧].





واستمرت عبادة التثليث (الشمس والقمر وزحل) المأخوذة عن العراقيين القدماء، وعن عقائد الحضر[٨].

والتثليث يختلف أساسا عن الثالوث لأن الثلاثة لم يرقوا الى درجة الاندماج الكلي في اله واحد، الاّ ان عبادة الآلهة الثلاثة ساعدت كثيرا على التمهيد لتقبل الديانة المسيحية بثالوثها المقدس – الأب والابن وروح القدس – وذلك بالنسبة لسكان بلاد آشور الذين خسروا بذهاب الحضر مركزا دينيا على جانب كبير من الأهمية لم تستطع حرّان أن تعوضهم عنه مما جعلهم ولا شك يبحثون عن عقائد دينية أخرى تضمن لهم احتياجاتهم الروحية فوجد قسم منهم ذلك في الديانة المسيحية. ومع كل ذلك فقد بقيت الديانة العربية القديمة منتشرة بين الكثير من القبائل العربية الموجودة في العراق التي اقبلت أثر حروب التحرير العربية لبلاد العراق للدخول في الدين الاسلامي وبشكل جماعي وسريع.

## ٢ – الدين الزردشتي :

الدين الزردشتي هو أحد الأديان التي كان لها وجود محدود في بلاد آشور في الفترة الساسانية، وكان معتنقوه بالدرجة الاولى من الجاليات الفارسية التي جاءت الى المنطقة بعد احتلال الفرس لها[٩].

وقد رعت الدولة الساسانية الدين الزردشتي واتخذته دينا رسميا لها ولهذا كان من مصلحتها نشره بين السكان بمختلف الأساليب والطرق. ورعاية رجال دينه حتى أصبحت الدولة الساسانية والدين الزردشتي منسجمين لاتعارض بينها، وبذلك استطاعت الدولة ان تعتمد على رجال الدين في تثبيت اركانها ونشر الأمن فيها[١٠].

وتنسب هذه الديانة الى زراوشت الذي ظهر في القرن السابع قبل الميلاد في أقليم أذربيجان، الاّ ان تعاليمه لم تنتشر الاّ في الأقاليم الشرقية من بلاد ايران في أفغانستان، وجاء زرادشت بديانة مزدية معدلة، والمزدية هي الديانة الايرانية القديمة التي تؤمن بألوهية مزدا (الحكيم) وهو الآله الأكبر للقبائل الآرية المستقرة[١١].

وتؤمن هذه الديانة بأن العالم تسيره قوتان هما الخير والشر، مصدر الاولى اله الخير (اهوار مزدا) والثانية مصدرها اله الشر (أهريمن) والصراع بين الآلهين مستمر حتى نهاية العالم، ونتيجة الصراع هو انتصار اله الخير على الشر. وقد اعترفت هذه الديانة بالآلهة الشعبية للايرانيين: بحيترا – مهر (اله النور ورب الميثاق) وبالآلهة أناهيتا (الهة الماء والخصب) وبالنجم تشتريا (اله الجد) ولوثر غنا (اله الحرب والنصر) وغيرها من الآلهة[١٢]. كالشمس التي سميت (ميثرا – مهر) وعبادة الآله شمش منقول عن البابليين والذي جعله الزرادشتيون (الشمس التي لاتقهر)[١٣].

وكان للنار مكانة كبيرة في الدين الزرادشتي فهي رمز اله الخير واعتبرت (ابن الاله اهوارمزدا)[١٤].

وكانت النار المعبودة متعددة الأنواع فمنها نار البيت ونار القبيلة ونار القرية ونار مثل كورة او اقليم. وفي معبد النار يقف الهربذ وقد اخفى فمه بلثام لكي لاتلوث أنفاسه النار ليغذيها بقطع من الخشب طهرت تطهيرا دينيا، وهي في الغالب من نبات خاص مرتلا الأدعية الدينية المقررة ثم يقومون بكل الطقوس المتعلقة بذلك وهذه تأخذ اشكالا أخاذة في الأعياد السنوية، وكانت التراتيل لاتنقطع بألحان جميلة واصوات مرتفعة تارة ومنخفضة أخرى، وهم يرددون الأدعية والصلوات في أوقاتها المحددة وحسب التقاليد المرعية[١٥].

والكتاب الديني للزرادشتيين هو الافستا (الاوستا، الابستاق)[*١] ويحوى هذا الكتاب





على العظات المنسوبة لزرادشت مع التاريخ الخرافي لبلاد ايران وكانت مقسمة الى ٢١ نسقا دّمر الاسكندر النسخ المكتوبة منها ثم جمعت في العهد البارثي، وفي العهد الساساني تم جمع اجزاء منها، وكانت مقسمة الى ثلاث مجموعات: دينية وفلسفية وعلمية، ضاعت الأخيرة منها، وبقيت بعض اجزاء المجموعتين الاولى والثانية، ويعود سبب ضياع معظم اجزاء الافستا الى ان الزردشتيين أنفسهم أهملوا نسخ هذا الكتاب الضخم وبخاصة الأجزاء الفقهية والقانونية لأنها أصبحت عديمة الجدوى بالنسبة لهم في العصور الاسلامية لعدم وجود دولة مجوسية تطبق هذا الفقه.

كان لرجال الدين الزردشتيين مكانة مرموقة في المجتمع والدولة الساسانية، فالدولة تساندهم وتحميهم وبدورهم كانوا يدعمون الدولة ويحافظون على أنظمتها ويدفعون الناس الى طاعتها والالتفاف حولها، وكان رجال الدين يتدخلون في الشؤون الشخصية لكل فرد وفي مختلف أدوار حياته، ويعدون أنفسهم من طبقة الملوك، وكانت لهم أملاك واسعة واقطاعات يستغلونها تشكل قوة اقتصادية مهمة تدعم مركزهم [16]. وكان لهم تنظيم دقيق ومناصب متدرجة اوطؤها هي الموجان (الموغان او المجوس) الذين يديرون المعابد ويرأسهم موجان موج، والطبقة العليا من رجال الدين هي طبقة الموابذة ورئيسهم موبذان يصفه الخوارزمي بأنه "قاضي القضاة" [17] وكان يرأس رجال الدين في مقاطعته واليه حل المشكلات الدينية والعقائدية، وقد يتولى ادارة بعض المقاطعات، وهو مستشار الملك في الشؤون الدينية والمرشد الروحي له [18] والطبقة الوسطى من رجال الدين هي طبقة الهرابذة "الهربذ هو خادم النار" [19] وكانوا يديرون المراسم الدينية في المعابد مما يتطلب منهم معرفة خاصة ودقيقة بالطقوس الدينية ورئيسهم الاعلى هو هربذان هربذ، ولهم مكانة ادارية كبيرة، فقد كان حاكم دارا بجرد عند فتح العرب لها من الهرابذة [20].

كان للزردشتيين الكثيرمن الأعياد والمناسبات الدينية كانت في الأصل مما يحتفل بها الفلاحون واصطبغت بعد ذلك بصبغة رسمية، وأصبح لها طابع ديني يقوم رجال الدين بطقوسها ويصاحبها الكثير من المرح والملاهي الشعبية، وأصبحت هذه الأعياد متصلة بالتاريخ الأسطوري للايرانيين.

وأهم الأعياد عيد النوروز، وهو يوم رأس السنة، ويحتفل به رسميا فتسك به النقود الجديدة وتجبى الضرائب وتقدم الهدايا الى الملك ويدوم هذا العيد ستة ايام [21]. وعيد المهرجان من الأعياد المهمة وهو عيد (مترا) يحتفل به يوم مهر (١٦ من شهر مهر) وهو عيد خلق الانسان والأرض، ومن رسوم الملوك في هذا العيد لبس التاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة [22]. وهناك اعياد اخرى كعيد الربيع وعيد أكل الثوم وعيد التبخر (السذق) وعيد النساء وغيرها يحتفل بها في ايام الربيع والصيف. وكان في كل شهر من الأشهر الفارسية أعياد ترتبط ببعض الاساطير والمناسبات البطولية [23].

### ٣- اليهودية:

كانت اليهودية من الديانات التي كان لها بعض الجاليات في العراق، وكانت بلاد آشور تحتوي على عدد منها، وكانت لليهود محلة في الموصل [24]. كما كان لهم بعض الوجود في اربيل وكرخا بيت سلوخ - كركوك الحالية - وقد اشتغلوا بالتجارة والزراعة ومختلف الحرف. وفي عهد الدولة البارثية كثر عددهم في العراق بسبب استمرار الحماية التي اسبغتها عليهم الدولة. ونظمت جماعات اليهود منذ القرن الأول الميلادي تحت رئاسة "رأس الجالوت - ريش كالوتا" واعترف الملك البارثي بهم





كجماعة لها قدر من الاستقلال وعهد الى رأس الجالوت بتسلم الضرائب وتعيين القضاة لهم. وقد نشأت لهم بعض المدارس التي اهتمت بدراسة التلمود وكان يقوم بذلك الامورايم وهم جماعة من علماء اليهود.

كان الفرس على علاقة طيبة باليهود وأعطوهم الكثير من الامتيازات، وقد قابل اليهود هذا الموقف المؤيد لهم بالامتنان والتأثر بالعقائد الدينية الايرانية وكانوا طابورا خامسا للفرس في العراق، حيث درسوا الدين الزردشتي وأخذوا عنه الكثير من الأمور، تعلموا منه أن هناك قوتين في الوجود قوة الخير وقوة الشر وان يهوه يمثل قوة الخير. كما تأثر اليهود بالعقائد البابلية وأخذوا الكثير من القواعد الفقهية من القوانين العراقية القديمة، وفي بابل حيث كتب التلمود البابلي – وهو الشريعة الشفوية التي جاء بها موسى كما اعتقد الفريسيون – ادخلت هذه العقائد والتعاليم والتلمود بالنسبة لليهود أهم من التوراة على اعتبار انها كانت من التعاليم الشفوية التي باح بها يهوه لموسى ولم يعرفوها خوفا عليها من الانكشاف واطلاع الاغراب عليها[٢٥]. وهكذا فان الديانة اليهودية تغيرت تغيرا كاملاً بتأثير العقائد البابلية والزرداشتية.

وكان من نتيجة الرعاية الكبيرة التي اسبغها الساسانيون الفرس على اليهود ان احتكر هؤلاء الكثير من الموارد الاقتصادية، مما أدى بالعرب في العراق خاصة، الى كرههم وأصبحت اليهودية مقترنة بالنفوذ الأجنبي، واستمر الساسانيون بدعم اليهود ورعايتهم حتى أن الملك يزدجرد اتخذ له زوجة يهودية هي (شوشين دخت) ابنة راس الجالوت[٢٦].

بهذه الصورة نمت اليهودية بنمو اليهود، ولم يكن لها مؤسس واحد بل نمت على ايدي الأنبياء والكهان ورجال الدين الذين وضعوا اللمسات الأخيرة لهذا الدين في بلاد بابل[٢٧].

وقد حافظ اليهود على الكثير من عاداتهم وتقاليدهم الدينية القديمة وعلى اعيادهم المرتبطة بمناسبات دينية، وكانوا يصومون اياما معدودة في كل شهر من أشهر سنتهم القمرية المكونة من اثني عشر شهرا، وفي كل ثلاث سنوات يكبسون شهرا هو شهر – آذار الأول – وعدد أيامه ثلاثون يوما ليس فيه عيد او صوم وكان لايحل لهم العمل يوم السبت وكانوا يتشددون مع من يعمل يوم السبت حتى تصل عقوبته القبر[٢٨]. وعلى الرغم من وجود العديد من الفرق الدينية اليهودية فانها من ناحية اساسية متفقة على الأعياد وأيام الصيام.

**٤ – المسيحية :**

نشأت المسيحية في فلسطين حيث بدأ السيد المسيح يبث دعوته بين اليهود، فاستطاع أن يجلب له عددا من الحواريين والأتباع، فلما أدرك اليهود أن النبي الجديد يدعو الى مايخالف اتجاهاتهم قاوموه وألبوا عليه السلطة الرومانية وعلى أثر اختفاء المسيح من ميدان العمل اودع نشر الدين المسيحي الى تلامذته وحوارييه الذين انتشروا في الارض وأخذوا يبثون الدعوة بحماس للدين الجديد.

وقد ذهب بولس وبطرس الى روما لنشر الدعوة هناك وظفرا ببعض النجاح ويقال ان توماس (توما) ذهب الى بارثيا مبشرا بالمسيحية[٢٩]. وتقول بعض الروايات أن مار أدى احد تلاميذ المسيح الأثنين والسبعين وتلميذه ماري بشرا "في نصيبين والجزيرة والموصل وأرض بابل والسواد وبلاد العرب وأرض المشرق في المائة الأولى للميلاد"[٣٠]. الاّ ان هذا الانتشار المبكر – اذا صح – لابد أن يكون محدودا جدا وبعدد ضئيل من الأفراد، لأن الأخبار الموثوق بها تؤكد ان المسيحية أخذت بالانتشار التدريجي في هذه المناطق اعتبارا من القرن الرابع الميلادي[٣١].

وقف الساسانيون من المسيحيين موقف عدم المبالاة في بداية الأمر، ولكن هذا الموقف أصبح





متشددا بعد أن اصبح الدين المسيحي الدين الرسمي للدولة البيزنطية في عهد الامبراطور قسطنطين (٣٠٥ – ٣٣٧ م) وقد رعت الدولة البيزنطية هذا الدين في المناطق التي تحتلها من أقليم الجزيرة وبلاد آشور، ولكن بعد انتقال هذا الأقليم الى السيادة الساسانية تعرض المسيحيون الى اضطهاد ومعاملة قاسية من الفرس الذين عدوهم موالين لدولة أجنبية، ولكن بعد حدوث الخلافات الدينية وانشقاق النساطرة أخذ الفرس بمساعدة النساطرة ورعايتهم [٣٢].

وجاءت الرهبنة الى هذا الأقليم بحدود عام ٣٢٥ م من بلاد مصر على يد القديس اوجاتيوس الذي جاء مع ٢٨ من رفاقه من صعيد مصر فسكنوا في جبل ماردين ونصيبين وجبل سنجار، وتتلمذ على ايديهم عدد من أهل المنطقة، وقد تفرق هؤلاء وبنوا الأديرة في مختلف مناطق الدولة الساسانية، وكان من جملتهم مار ميخائيل الذي أسس ديره على نهر دجلة فوق الموصل، ولا زال قائما الى الآن [٣٣]. وقد قام الرهبان بدور بارز في نشر تعاليم الدين المسيحي بين الناس وحفظوا العلوم الدينية والدنيوية [٣٤].

وكان لبلاد المشرق اسقف تابع لبطريرك انطاكية يسمى الجاثليق كرسيه في مدينة طيسفون – عاصمة الدولة الساسانية [٣٥]، وقد أقامت المسيحية الشرقية دستورها الروحي في مجمع سنتي ٤١٠ و ٤٢٠ م المنعقدة في طيسفون تحت أنظار الدولة الساسانية، وتم هذا بمساعدة رسولين من قبل امبراطور بيزنطة هما الأسقفين ماروثا اسقف ميافارقين واكاس اسقف آمد [٣٦].

وقد حدث شقاق ديني في الدولة البيزنطية نتيجة الاختلاف حول طبيعة السيد المسيح، فان مجمع نيقية قرر أن المسيح آله بطبيعته انسان بصورته فهو اله وانسان، غير أن هذا المجمع لم يبحث العلاقة بين الطبيعتين، فظل الناس يختلفون فيها. وكان بعضهم يرى ان الطبيعتين متصلتان متحدتان وآخرون يرون أنهما منفصلتان، ومن هؤلاء نسطوريس الذي كان اسقفا لأنطاكية، ثم عيّن بطريركا على القسطنطينية، فأخذ يبث عقيدته التي ترى ان المسيح له طبيعتان منفصلتان احداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية، كما تؤكد عقيدته ايضا على ان السيدة مريم هي أم المسيح الانسان وليس أم الاله وبذلك انزل من مكانتها وقيمتها وأصبحت مجرد سيدة ولدت انسانا حلّت به روح المسيح. وحاول نسطوريوس نشر هذه الآراء، الاّ انه لقي مقاومة عنيفة باعتباره ينقص من قدر المسيح وأمه. وحسما للنزاع عقد مجمع أنسوس سنة ٤٣١ م تقرر فيه أن عقيدة نسطوريوس هرطقة وكذب فعزل عن منصبه.

واضطهد انصاره في الامبراطورية البيزنطية، فاضطروا الى الهجرة الى الدولة الساسانية حيث رحبت بهم وعاملتهم معاملة حسنة ومنحتهم حرية واسعة في الاقامة وفي نشر مذهبهم باعتبارهم اعداء للامبراطورية البيزنطية وعقيدتها الرسمية [٣٧]. وكان لبرصوما – مطران نصيبين – دور كبير في نشر هذا المذهب وفي اضطهاد اعدائه، كما أخذ بتطبيق بعض من تعاليمه كزواج القسس والكهنة خلافا للعادة القديمة. ويبدو أن بعضا من مسيحي نينوى ومنطقة الموصل قد نالهم الاضطهاد على يد برصوما [٣٨].

وفي سنة ٤٩٧ م انتخب بابي جاثليق المدائن بطريركا للنساطرة [٣٩]. وعقد مجمعا لتدبير شؤون كنيسته حضره العديد من الأساقفة، وقد ثبت هذا المجمع تعاليم برصوما بزواج الأساقفة والرهبان، وكان من نتيجة مجيئ نسطوريوس الى كرسي المدائن البطريركي أن اصبحت الوظائف الدينية حكرا على النساطرة فأخذ البطريرك لايسمي مطرانا ولا أسقفا الاّ من نحلته، كما أخذ المطارنة والأساقفة يقربون





رجال الدين والقسس النساطرة، مما شجع على نشر هذا المذهب بين مسيحي المشرق[٤٠].

وفي مجمع سنة ٥٤٤ م منع زواج رجال الدين حيث أصر المجمع على عدم سياسة المتزوجين من الأساقفة والبطاركة[٤١].

وكان من نتيجة طاعة ومحالفة الجاثالقة للملوك الساسانيين أن اصبح الجاثليق ملزما على مرافقة الملك الساساني في حروبه ضد البيزنطيين حيث تعد هذه المرافقة تشريفا وتكريما لرؤساء المسيحيين[٤٢]. الاّ ان الهدف الحقيقي من هذه المصاحبة هو أظهار مدى طاعة المسيحيين للحاكم الساساني ومساعدتهم له في حروبه مع البيزنطيين المسيحيين.

لقد كان لعلاقة كسرى ابرويز (٥٩١ - ٦٢٨ م) الجيدة بالامبراطور البيزنطي موريس وزواجه من ابنته ماريا وأثر عشيقته المسيحية شيرين - التي بنى لها قصر شيرين - أثره حملته ولا شك على رعاية المسيحيين وحسن علاقته بهم.

وقد اختار الأساقفة سنة ٥٩٦ م سير يشوع بطريركا جاثليقا تنفيذا لرغبة الملك الساساني، وكان هذا نسطوريا متشددا وكان في حظوة لدى ابرويز، وكانت الوفود البيزنطية تؤدي له الزيارة، وبقي محترم المكانة حتى وفاته[٤٣].

واستمرت العلاقة الجيدة بين الدولتين حتى عام ٦٠٢ م عندما نجح نوكاس باعتلاء العرش البيزنطي وقضى على موريس وأسرته ونشبت الحرب بين الدولتين حيث هاجم ابرويز بلاد الشام وآسيا الصغرى وفلسطين ومصر وكانت الانتصارات الفارسية نكسة كبيرة للبيزنطيين وللمسيحيين، فقد استباح الفرس هذه البلاد وقتلوا الكثير من المسيحيين وأخذوا بطريرك القدس أسيرا مع غيره الى المدائن، كما هددوا العاصمة البيزنطية وقطعوا القمح عنها من مصر، وبذلك اصبحت الدولة البيزنطية بأمس الحاجة الى بطل ينقذها من هذه الظروف الحرجة، وقد وجدت هذا البطل بشخص هرقل ابن حاكم قرطاجنة[٤٤]. الذي استطاع ان يخلص دولته من الاحتلال الفارسي سنة ٦٢٧ م ويستعيد ماخسرته من أراضي، كما أعيد الى بيت المقدس الصليب الذي اسره الفرس، وكان من نتيجة انتصار هرقل أن عزل ابرويز عن العرش وقتل وجاء بدلا منه ابنه شيرويه - ابن ماريا - البيزنطية الذي قام بعقد صلح مع هرقل وبمقتضى هذا الصلح عادت العلاقات الطبيعية بين الدولتين وعاد السلام[٤٥]، وانشغلت الدولة الساسانية بمشكلاتها الداخلية وعلى الأخص مشكلة الصراع على السلطة

**الهوامش :**

(١) فؤاد سفر، محمد علي مصطفى، الحضر مدينة الشمس، بغداد ١٩٧٤، ص ٤١ وما بعدها.
(٢) صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج ١، الطبعة الثالثة، بغداد ١٩٦٤، ص ١٦٦ - ١٦٧.
(٣) المسعودي، التنبيه والاشراف، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي، القاهرة ١٩٣٨، ص ١٠٥.
(٤) الحضر مدينة الشمس، ص ٤٥.
(٥) ابن النديم، الفهرست، مطبعة الاستقامة، القاهرة (دون تاريخ)، ص ٤٦١ وكذلك البيروني، الآثار الباقية من القرون الخالية، تحقيق: ساخاو: ليبزك ١٩٢٣، ص ٣١٨ وما بعدها.
(٦) ابن النديم، ص ٤٦١.
(٧) نفس المصدر، ص ٤٦٣، قارن الحضر مدينة الشمس، ص ٤٧.
(٨) الحضر مدينة الشمس، ص ٤١.
(٩) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، تحقيق: دي كويه، ليدن، ١٨٨٥، ص ١٢٩، سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي، بغداد ١٩٥٨، ص ٦ - ٧.
(١٠) كريستنسن، آرثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيي الخشاب، القاهرة ١٩٥٧، ص ١٣٠.
(١١) نفس المصدر، ص ١٩.
(١٢) نفس المصدر، ص ٢٠ - ٢١، انظر: وبد جرى، المذاهب الكبرى في التاريخ، بيروت ١٩٧٩، ص ١١٢ - ١١٣.
(١٣) Langlois, collections des historians anciens et moderens des L'Armenie, Paris 1867-9, vol. II PP. 197-237.





(١٤) كريستنسن، ص ١٣٥.
(١٥) نفس المصدر، ص ١٥٢ - ١٥٣.
(١٦) كريستنسن، ص ١٠٤ - ١٠٦.
(١٧) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، القاهرة ١٣٤٢، ص ٧١.
(١٨) كريستنسن، ص ١٠٥ - ١٠٦.
(١٩) الخوارزمي، ص ٧١.
(٢٠) البلاذري، فتوح البلدان، القاهرة ١٩٣٢، ص ٣٨٠.
(٢١) كريستنسن، ص ١٦٢.
(٢٢) البيروني، الآثار الباقية، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
(٢٣) نفس المصدر، ص ٢٢٥ - ٢٢٧، كريستنسن، ص ١٦٢ - ١٦٨.
(٢٤) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢٥) ابرلعيم خليل أحمد، أسرائيل والتلمود، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٦٩، غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الاولى، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٦٢ - ٦٣.
(٢٦) كريستنسن، ص ٢٥٨.
(٢٧) اسماعيل مظهر، ص ٣٣٠.
(٢٨) البيروني، ص ٢٧٥، ٢٨٥.
(٢٩) كريستنسن، ص ٢٥.
(٣٠) رافائيل بابو اسحق، تاريخ نصارى العراق، بغداد ١٩٤٨، ص ٢، انظر كذلك: المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ١٢٨.
(٣١) مارأغناطيوس افرام الأول برصوم، تاريخ طور عابدين، ترجمة: غوريغوريوس بولس بهنام، بغداد ١٩٦٣، ص ٢٠٠ - ٢٠١.
(٣٢) لوبون، مختصر تواريخ الكنيسة، ترجمة: يوسف داود، مطبعة الآباء الدومنيكيين، الموصل ١٨٧٣، ص ١٦٩ وما بعدها.
(٣٣) نفس المصدر، ص ١٤٦، انظر كذلك، بطرس نصرى للكلداني، كتاب ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، مطبعة الآباء الدومنيكيين، الموصل ١٩٠٥، ج ١، ص ٦٤.
(٣٤) لوبون، ص ١٤٩.
(٣٥) نفس المصدر، ص ١٧٨.
(٣٦) كريستنسن، ص ٢٨٤، بطرس نصرى الكلداني، ج ١، ص ١٠٩.
(٣٧) عن النسطورية، انظر: ابن حزم، الفصل في الملك والأهواء والنحل، بيروت ١٩٧٥، ج ١، ص ٤٩، ومطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، باريس ١٩٠٣، ج ٤، ص ٤٤ - ٤٥.
(٣٨) بطرس نصرى، ج ١، ص ١٢٥ - ١٢٦.
(٣٩) جاثليق تعني (الرئيس العام) واللقبان جاثليق وبطريرك استعملا منذ مجمع سنة ٤٢٤ م بصورة مترادفة للاشارة الى الأسقف المتقدم في كنيسة المشرق، وفي تقرير عن مؤتمر تحرير صوما النصيبي المنعقد سنة ٤٨٤م، يلقب رئيس الكنيسة مارافان "جاثليقا - بطريركا"، انظر: وليم دى فريس ترجمة: د. سرهد جمو، "نشأة بطريركية كرسي المشرق"، مجلة بين النهرين، ج٩ - ١٠، سنة ١٩٧٥، ص ٢٤ - ٢٥.
(٤٠) بطرس نصرى، ج ١، ص ١٦٢ - ١٦٣.
(٤١) نفس المصدر، ج ١، ص ١٧٢.
(٤٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١٧٩.
(٤٣) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ١٣٣، د. سرهد جمو، "ايشوعياب الكبير وعهده" مجلة بين النهرين، العدد ٦، ١٩٧٤، ص ٢٠ - ٢١، وكذلك: رافائيل بابو اسحق، ص ١٦ - ١٨.
(٤٤) سرهد جمعة، "ايشوعياب الكبير وعهده"، ص ٢٤.
(٤٥) Hussey, J.M. The Byzantine world, London, 1957, PP. 24–5.





# اَللُّغَةُ وَالكِتَابَة

أ.د عامر سليمان

**لغة منطقة الموصل في عصور ماقبل التاريخ :**

ان من أهم مايميز الانسان عن غيره من الكائنات الحية قدرته على التعبير عن نفسه بطرق ووسائل ارادية سمعية وبصرية[1] تمكنه من الاتصال بأخيه الانسان، وهكذا استخدم الانسان الاشارات والحركات ثم اللغة، كما استخدم الرسوم والعلامات والرموز المنقوشة، واخيرا الكتابة. وظلت جميع هذه الوسائل وغيرها مستخدمة جنبا الى جنب حتى يومنا هذا، غير أن أهمية كل منها وفائدته كانت تزداد او تنقص تبعا للظروف التي يتعرض لها الانسان.

وتعد اللغة من أهم وسائل التعبير الارادية السمعية التي استخدمها الانسان منذ أقدم العصور، ولا يمكن تصور مجتمع مهما كان بدائيا وفي أي زمان او مكان دون ان تكون له لغة يتفاهم بها أفراده فيما بينهم. ومع ذلك فان معرفتنا بلغة الانسان القديم محدودة ولا تتجاوز في معظم الأحيان تاريخ ابتداع الكتابة.

وفي شمال العراق، ومنه منطقة الموصل، عاش الانسان منذ فترة سحيقة في القدم تتجاوز تاريخ ابتداع الكتابة بعشرات الألوف من السنين حسبما هو متوفر لدينا من معلومات وأدلة آثارية، وبديهي ان الانسان استخدم خلال تلك العصور الطويلة لغة او لغات تفاهم بها مع أخيه الانسان، الا اننا لانمتلك معلومات عن تلك اللغة او اللغات، وذلك لأن الكتابة وسيلة لتدوين وحفظ ونقل اللغة الى الأجيال التالية لم تكن معروفة خلال القسم الأعظم من تلك العصور، وقد يمكن تخمين الفصيلة او العائلة اللغوية التي تنتمي اليها لغة السكان القدماء من خلال دراسة وتحليل آثارهم المادية وهياكلهم العظيمة الباقية ومعرفة انتمائهم او موطنهم الأصلي، الاّ ان الباحثين في تاريخ العراق القديم لم يتمكنوا بعد من تحديد فصيلة اللغات التي كانت سائدة في شمال العراق في العصورالحجرية القديمة والعصور التالية لها حتى انتشار استخدام الكتابة في بلاد آشور،وان جل مانعرفه عن تلك اللغات وجود بعض التسميات الجغرافية الغريبة عن اللغات التي انتشرت فيما بعد في المنطقة مما يدفع الى الظن بأن تلك التسميات تنتمي الى اللغات القديمة التي كانت سائدة في المنطقة، الاّ انها لم تحفظ بالتدوين. ولعل من ابرز تلك التسميات اسم مدينة آشور، الذي جاء في العديد من النصوص المسمارية على هيئة بال – تل، Bal til، وربما اسم بابل Babil وأربيل Erbil[2] وغيرها من الأسماء الجغرافية المشابهة من حيث الصياغة.

**لغة المنطقة في العصور التاريخية :**

بدأنا نتعرف على اللغات التي كانت مستخدمة في مختلف اجزاء العراق منذ أن بدأت الكتابة تستخدم للتدوين. وكان أول ابتداع الكتابة في القسم الجنوبي من العراق في اواسط الألف الرابع قبل الميلاد. وتشير الدراسات الآثارية واللغوية التي تمت عن أقدم ما اكتشف من الواح طينية تحمل علامات كتابية صورية يمكن فهم لغتها، وهي الألواح التي ترقى بتاريخها الى اواخر الألف الرابع قبل الميلاد. الى ان لغتها كانت اللغة السومرية، وهي لغة السومريين الذين كانوا يؤلفون العنصر الرئيس





الذي عاش في القسم الجنوبي من العراق خلال الالف الثالث قبل الميلاد. وقد دفعت هذه الحقيقة معظم الباحثين الى الاعتقاد، الذي تبين خطله فيا بعد، بأن السومريين كانوا أول من استقر في ارض جنوبي العراق. الاّ ان الباحث اللغوي لاندزبركر Landsberger قام بتفنيد هذا الرأي معتمدا في ذلك على دراسة وتحليل أقدم الآثار المادية المكتشفة في مدن جنوبي العراق وعلى دراسة أقدم النصوص السومرية والأكدية التي وصلت الينا وما فيها من تراث لغوي خلفه سكان تلك المدن الأوائل[٣] فقد أشار لاندزبركر الى ان هناك العديد من المفردات اللغوية الدخيلة، كأسماء المهن والحرف الرئيسة، والتسميات الجغرافية، ولاسيما اسماء المدن والأنهار، التي وردت في اقدم النصوص السومرية والأكدية وهي لاتنتمي الى اي من هاتين اللغتين. لذا افترض أن هذه المفردات والتسميات لابد ان تعود الى لغة كانت سائدة في المنطقة قبل استخدام اللغة السومرية واللغة الأكدية، غير انها لم تحفظ للأجيال التالية لأن الكتابة لم تكن معروفة وقتئذ، لذا لم تجد طريقها للتدوين باستثناء بعض المفردات والتسميات المشار اليها. وقد اطلق لاندزبركر على الأقوام التي تكلمت تلك اللغة مصطلح (الفراتيين الأوائل) — Proto Euphrates في حين سميت آثارهم المادية المكتشفة في مدن جنوبي العراق، ولاسيا في اريدو وتل العبيد التي ترقى بتاريخها الى الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد بآثار سكان طور العبيد[٤].

ومع الأخذ برأي لاندزبركر، تبقى اللغة السومرية تمثل أقدم اللغات العراقية القديمة، بل وأقدم اللغات العالمية المعروفة، من حيث تاريخ التدوين طالما كانت الألواح المكتشفة في جنوبي العراق في الطبقة الثالثة من مدينة الوركاء وفي جمدة نصر تمثل أقدم الكتابات المفهومة اللغة حتى الآن. وقد بينت الدراسات اللغوية ان اللغة السومرية هي لغة منفردة بخواصها ولا تشبه ايا من اللغات المعروفة لا في العراق ولا في غيره من البلدان شبها يصل الى درجة القرابة، اي انه لايمكن نسبتها الى اي من العائلات اللغوية المعروفة لدينا. وقد كان من نتائج عدم معرفة انتماء اللغة السومرية ان ذهب الباحثون مذاهب شتى في تحديد الاصول التي انحدر عنها السومريون أنفسهم. ويبدو، مع هذا الغموض، ان اللغة السومرية تنتمي الى عائلة لغوية قديمة كانت فروعها منتشرة في المنطقة، ربما في شمال العراق ايضا، ثم انقرضت تلك الفروع قبل ابتداع الكتابة وسيلة للتدوين في حين حالف اللغة السومرية الحظ، فظلّت مستخدمة الى ما بعد ابتداع الكتابة فدونت وحفظت ووصلت الينا من خلال الألواح الطينية الكثيرة المكتشفة في مدن جنوبي العراق، وظلّت اللغة السومرية لغة التخاطب والكتابة فترة طويلة امتدت الى الألف الثاني قبل الميلاد ثم انحسر استخدامها للتخاطب تدريجيا بزوال قوة السومريين السياسية واندماج السومريين مع الاقوام الأكدية والبابلية. ومع ذلك فقد ظلّت اللغة السومرية تستخدم لتدوين بعض النصوص لفترة أطول حيث وصلت الينا نصوص سومرية مدونة في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، وكان معظمها من النصوص الدينية او العلمية ذات الأهمية الخاصة. كما ظل الكتبة من العهود الآشورية المختلفة يعكفون على استنساخ النصوص القديمة، ومنها بعض النصوص السومرية، لأهميتها الدينية او العلمية وألفت القوائم والجداول الثنائية اللغة لتسهيل مهمة قراءة تلك النصوص وفهم محتواها. ومّرت اللغة السومرية خلال عمرها الطويل بعدة مراحل ميّزها الباحثون كما تمكنوا من تمييز عدد من اللهجات السومرية المدونة التي ظهرت تحت تأثيرات وظروف خاصة وفي فترات زمنية معينة[٥]. الاّ ان الآشوريين، وهم سكان القسم الشمالي من العراق، لم يستخدموا اللغة





السومرية لغة للتخاطب بل اقتصر استخدامها في عهود ازدهار اللغة السومرية على تدوين بعض النصوص الدينية والملكية فحسب بعد ان وقعت بلاد آشور تحت نفوذ دول وممالك القسم الجنوبي من العراق الحضاري، والسياسي احيانا، ولاسيما في العصر الأكدي وعصر سلالة اور الثالثة.

اما بالنسبة للقسم الشمالي من العراق، ومن ضمنه منطقة الموصل، والذي عرف في النصوص المسمارية باسم بلاد آشور، فيبدو ان الكتابة لم تستخدم فيه الاّ في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، اي بعد اختراعها في القسم الجنوبي من العراق بأكثر من الف سنة. اي اننا لانمتلك نصوصا مدونة من بلاد آشور تعرفنا بلغة سكان المنطقة في الفترة المصطلح على تسميتها بالعهد الشبيه بالكتابي (حدود ٣٥٠٠– ٢٨٠٠ ق. م) وعصور فجر السلالات (حدود ٢٨٠٠– ٢٤٠٠ ق. م) ومع ذلك فان الدراسات الآثارية عن هوية سكان المنطقة في هذه الفترة تشير الى وجود الآشوريين في المنطقة منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير. لذا لابد أن كانت لغة الآشوريين هي السائدة في المنطقة الى جانب بعض اللغات المحلية الأخرى التي لانعرف عنها شيئاً مهماً حتى الآن: وبما ان الاقوام الاشورية تنتمي الى مجموعة الاقوام التي انتشرت في بلاد الشام والعراق منذ فجر التاريخ والتي تعرف عادة بالأقوام العربية القديمة (الجزرية او السامية) لذا فلابد أن اللغة التي تستخدمها تنتمي هي كذلك الى مجموعة اللغات المتفرعة عن اللغات العربية القديمة (السامية)، وهذا ماتؤكده النصوص المسمارية في العصور التالية.

أما اقدم النصوص المكتشفة في بلاد آشور فترقى بتاريخها الى النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد،وتتمثل بعدد محدود من النصوص الملكية والنصوص الخاصة ببناء وتعمير المعابد،وذلك لأن الكتابة لم تستخدم في بلاد آشور على نطاق واسع كما كانت عليه الحالة في بلاد سومر وأكد. وربما كان من أسباب محدودية انتشار استخدام الكتابة في بلاد آشورذلك الاختلاف في طبيعة الحياة في المدن والقرى الآشورية التي اعتمدت الزراعة أساسا في حياتها الاقتصادية، عن مدن بلاد سومر وأكد بمعابدها الكثيرة والتي طغت على حياتها الاقتصادية التجارة التي استلزم تنظيمها استخدام المكاتبات، الى جانب الزراعة. وتشير هذه النصوص الى ان لغتها كانت من اللغات العربية القديمة (الجزرية) وانها تشبه اللغة المعروفة من النصوص المسمارية والمكتشفة في مدن جنوبي العراق والتي سميت باللغة الأكدية الى درجة أن عدّها الباحثون لهجة من اللهجات الأكدية.

إن ومصطلح اللغة الاكدية Akkadian Language مصطلح حديث استخدمه الباحثون منذ الخمسينيات من هذا القرن للدلالة على جميع اللهجات (اللغات) الأكدية والبابلية والآشورية التي استخدمتها الأقوام الأكدية والأقوام البابلية (الأمورية والكلدية) والأقوام الآشورية منذ اواسط الألف الثالث قبل الميلاد وحتى اختفاء آخر اللهجات البابلية المتأخرة في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد. ومما يلاحظ ان الباحثين الأوائل في لغة النصوص المسمارية والذين كتبوا بحوثهم في القرن الماضي ومطلع القرن الحالي استخدموا، خطأ، مصطلح اللغة الآشورية Assyrian Language للدلالة على لغة جميع النصوص المسمارية المكتشفة في المدن الآشورية والبابلية سواء أكانت آشورية ام بابلية،ويرجع سبب ذلك الى حقيقة ان أقدم النصوص المسمارية المكتشفة التي أثارت اهتمام العلماء الغربيين هي التي وجدت في





المدن الآشورية ، ولاسيما في العواصم الآشورية نينوى وآشور وخرصباد[٦] .

وقد تبع ذلك ان سمي العلم الخاص بدراسة هذه اللغة ، ولا زال يسمى ، بعلم الآشوريات Assyriology[٧] وبعد ان تم الكشف عن نصوص مشابهة في بلاد بابل تبين عدم دقة التسمية الاولى. فبدأ الباحثون بتسمية لغة النصوص المسمارية باللغة البابلية او اللغة البابلية – الآشورية او الآشورية – البابلية.

ومن خلال الدراسات اللغوية المستفيضة للنصوص المسمارية المكتشفة اتضح للباحثين أن لغة جميع تلك النصوص ، ماعدا النصوص السومرية ، مدونة بلغة واحدة اصطلح على تسميتها بـ (اللغة الأكدية) وان الاختلافات الموجودة بين لغة مجموعة النصوص المكتشفة في بلاد آشور عن تلك الموجودة في بلاد بابل او النصوص التي ترق بتاريخها الى الألف الثاني والألف الأول ماهي الا اختلافات تعكس لهجات أكدية متعددة في الأزمنة والمناطق المختلفة.

وقد استخدمنا مصطلح (لهجات أكدية) هنا للدلالة على لغة جميع النصوص الأكدية والبابلية والآشورية من مختلف العصور وان كان المصطلح لايعبّر تعبيرا دقيقا عما يقصد به. لأن اللهجة عادة تمثل لسان فريق من الناس روعيت فيه قيود صوتية خاصة تلاحظ عند الاداء ، كتدقيق الحرف وتفخيمه ، همزه او تسهيله ، سرعته او ابطائه ، امالته او عدم امالته. لذا فأن أكثر ماتظهر فيه اللهجة وتلمس من افواه الناطقين وألسنة المتكلمين بها. وهذا ما لا يتوفر لدينا في حالة اللغة الأكدية ولهجاتها التي تعرفنا اليها من خلال النصوص المدونة فقط ولم نسمع المتكلمين بها مباشرة بل اننا ميّزنا بين لغة مجموعة من النصوص الأكدية ، وأخرى استنادا الى الفترة الزمنية التي ترقى اليها واستنادا الى المنطقة التي استخدمت فيها أهي بلاد بابل ام بلاد آشور. ومما لاشك فيه انه كان هناك لهجات أكدية متعددة بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح تحدثت بها الأقوام العراقية القديمة في العصور والمناطق المختلفة حيث تدلنا القوانين التي تخضع لها اللغات في حياتها وتطورها الى انه متى انتشرت اللغة في مناطق وأقاليم واسعة وتكلمت بها أقوام وجماعات متعددة في فترات زمنية مختلفة ، كما حدث ذلك في اللغة الأكدية ، فانه يستحيل عليها الاحتفاظ بوحدتها الاولى أمدا طويلا بل انها لاتلبث تحت تأثير هذه الاختلافات ان تتشعب الى لهجات مختلفة تسلك كل منها في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها[٨] .

وكان للظروف السياسية والاجتماعية التي تعرضت لها بلاد آشور بصورة خاصة آثارها الواضحة على لغة السكان ولهجاتهم. فالمعروف ان الآشوريين اتبعوا سياسة تقضي بترحيل سكان بعض المناطق المتمردة الى مناطق أخرى من الدولة الآشورية ومن الطبيعي ان الاقوام التي تم ترحيلها لابد انها حافظت ، ولو لفترة زمنية محدودة ، على أصولها العرقية ولغتها المحلية الى ان اندمجت مع السكان المحليين ، وكان لها تأثيرها الواضح على لغتهم. كما كان لتعرض الآشوريين الى الاحتكاك المستمر بالقبائل الآرامية خلال الألف الأول قبل الميلاد آثاره في لغة الآشوريين حيث دخلت العديد من المصطلحات والمفردات الآرامية في لغة السكان. ومن جهة أخرى كان البلاط الآشوري يضم العديد من الأمراء والشخصيات الأجنبية من الذين جيْ بهم الى البلاط الآشوري ليربّوا ويثقفوا ثقافة خاصة تجعل منهم تابعين مطيعين للملك الآشوري متى نصبوا ملوكا او امراء على رأس الدول التابعة. وكان البلاط الآشوري يضم ايضا عددا كبيرا من الاداريين من ذوي الخبرات الأجنبية والمعرفة باللغات الأجنبية الى جانب المترجمين[٩] . وأخيرا كانت الأعداد الكبيرة من أسرى الحروب





الذين يؤتى بهم من البلدان الأجنبية المختلفة تؤثر دون شك في لغة السكان الذين احتكوا بهم او استخدموهم للقيام ببعض الأعمال.

وهكذا خضعت اللغة الأكدية الى هذه القوانين والتأثيرات والظروف فتشعبت الى لهجات محادثة يختلف بعضها عن بعض وتختلف بمجموعها عن لغة التدوين التي وصلت الينا من خلال النصوص المدونة. واذا كان الباحثون قد ميّزوا لغة بعض النصوص المسمارية عن غيرها وعدّوها لهجة مختلفة عن الأخرى فانه يصعب التعرف على لهجات المحادثة التي كانت سائدة في بلاد آشور في المناطق المختلفة عبر العصور.

وعلى الرغم من اختلاف اللهجات الأكدية التي تمكن الباحثون من تمييزها في النصوص المسمارية واختلاف أزمنة تدوين تلك النصوص فان المتخصص في دراسة اللغة الأكدية بصورة عامة يتمكن من قراءة النصوص المدونة بالمسمارية بأية لهجة أكدية ان هو الم الماما بسيطا بخصائص تلك اللهجة وتعرّف على اسلوب الكتابة في الفترة الزمنية المعنية. فالاختلاف الموجود بين لغة النصوص الأكدية في الفترات المختلفة والمناطق المختلفة هو أقل بكثير من الاختلاف الموجود، مثلا، بين اللهجات العربية،وذلك لأن المساحة التي انتشرت فيها اللغة العربية وتشعبت الى لهجات مختلفة هي أوسع بكثير من المساحة التي انتشرت فيها اللغة الأكدية،وان لذلك أثره في زيادة او نقصان اوجه الاختلاف بين لهجات اللغة الواحدة.

اما اللهجات الأكدية التي تعارف الباحثون على تمييزها في النصوص المسمارية فتشمل اللهجة الأكدية القديمة ثم اللهجات البابلية، القديمة والوسيطة والحديثة والمتأخرة واللهجات الآشورية. اما اللهجات الآشورية فيمكن تمييز لهجات رئيسة حسب المراحل الزمنية المختلفة وهي: (١٠).

**أولا: اللهجة الآشورية القديمة Old Assyrian:**

وهي المتمثلة بلغة نصوص الفترة ٢٠٠٠-١٧٥٠ ق. م، وعدد هذه النصوص قليل، ومعظمها ملكية اكتشفت في بلاد آشور الأصلية، فضلا عن الرسائل والوثائق الرسمية التي تجاوز عددها العشرة آلاف المكتشفة في المراكز التجارية الآشورية في أقليم كبدوكيا في آسيا الصغرى. ومن الطبيعي ان هناك اختلافات واضحة بين لغة النصوص المكتشفة في بلاد آشور نفسها عن لغة نصوص كبدوكيا.

**ثانيا: اللهجة الآشورية الوسيطة Middle Assyrian:**

وتتمثل هذه اللهجة بلغة النصوص التي ترقى بتأريخها الى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد اي التي تعود الى العصر المعروف باسم العصر الآشوري الوسيط. ومن أهم هذه النصوص القوانين الآشورية الوسيطة، وهي مجموعة من ألواح الطين التي تضم بعض القوانين الآشورية وجدت في مدينة آشور والعديد من النصوص والوثائق القانونية الأخرى وبعض الرسائل والنصوص الأدبية والملكية ومعظم النصوص الأدبية والملكية هذه تحمل تأثيرات بابلية.

**ثالثا: اللهجة الآشورية الحديثة New Assyrian:**

تعد هذه اللهجة أهم لهجة آشورية لأنها ممثلة بمجموعة كبيرة جدا من النصوص، منها ماهو غاية في الأهمية التاريخية، كالمراسلات الملكية والمعاهدات والاتفاقات والرسائل الشخصية المكتشفة في العواصم الآشورية، ومنها الوثائق الاقتصادية والقانونية.

وهنالك لهجة رابعة استخدمت في تدوين بعض النصوص الأدبية والحوليات الملكية في كل

من بلاد بابل وآشور في الفترة الواقعة بين ١٤٠٠ و ٦٠٠ قبل الميلاد. ويبدو ان لغة هذه النصوص لم تكن تستخدم للتخاطب او لتدوين النصوص الاعتيادية بل انها استخدمت فقط لتدوين نصوص من هذا النوع فحسب، وقد حوت أساليب وصيغا نحوية لاتستخدم عادة في اللهجات الأكدية الاعتيادية المشار اليها(١١).

وفضلا عن اللهجات الرئيسة هذه تميزت نصوص بعض المناطق، كمنطقة نوزى (كركوك حاليا) ونصوص العمارنة المكتشفة في مصر ونصوص منطقة مارى على نهر الفرات وغيرها بخصائص معينة نتيجة تأثيرات لغوية وظروف خاصة بكل منطقة. فمنطقة نوزى، مثلا، كانت خاضعة لنفوذ الأقوام الحورية في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، فدخلت لغتها الأكدية العديد من المفردات والمصطلحات الحورية كما تميزت أساليبها اللغوية عن غيرها من الأساليب نتيجة هذه التأثيرات. وما يقال عن اللهجة الأكدية في نوزى ينطبق على اللهجة التي استخدمت في مارى التي وقعت تحت تأثير الاقوام الأمورية في سوريا، وظهرت تلك التأثيرات واضحة ولاسيما في صياغة اسماء الأشخاص وصياغة الفعل وغير ذلك من الخصائص اللغوية.

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال ان مايسمى حاليا باللغة الآثورية التي يتكلم بها سكان بعض القرى في شمال العراق في محافظة نينوى هي ليست لهجة آشورية تنتمي بأصولها الى اللغة الأكدية بل انها لهجة آرامية شرقية دخلتها كثير من المفردات العربية والفارسية والتركية مما جعلها تبتعد عن اللغة الفصحى(١٢).

**تدوين اللغة الأكدية:**

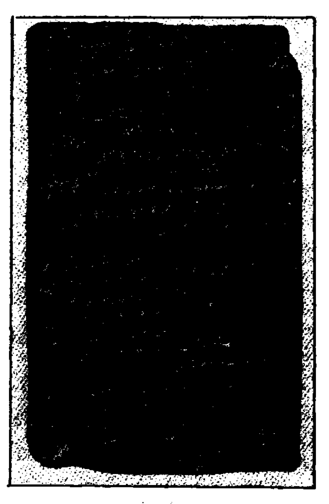
استخدمت الكتابة المسمارية لتدوين اللغة الأكدية. ومن المعروف ان الكتابة المسمارية ابتدعت أصلا لتدوين اللغة السومرية وللتعبير عن اسلوب نطقها تعبيرا دقيقا، لذا جاءت العلامات الصورية والرمزية والمقاطع الصوتية مطابقة الى حد كبير لاسلوب نطق اللغة السومرية. ومن المعروف ايضا ان اللغة السومرية تكاد تخلو من الأصوات الحلقية (ع، غ، ح، ق) والمفخمة (ط، ص، ض، ظ) وبعض الاصوات الأخرى (ث، ذ)، لذا كانت الكتابة التي وضعت لتدوينها خالية من العلامات المعبّرة عن هذه الأصوات. وعندما بدأت محاولات تدوين اللغة الأكدية، وهي من عائلة اللغات العربية القديمة (الجزرية) التي تزخر بالأصوات الحلقية والمفخمة، اضطر الكتبة الأوائل الى اهمال او تحوير بعض هذه الأصوات عند التدوين والتعبير عنها بوساطة علامات مسمارية تضم أصواتا قريبة منها، كاستبدال بعض الحروف الحلقية بالعلامات التي تعبر عن حروف العلة او استخدام العلامات التي تعبر عن صوت (د، ت) للتعبير عن صوت ط الأكدي وهكذا، وأحيانا خصص الكتبة علامات معينة استخدموها للتعبير عن أصوات أكدية معينة تعارفوا عليها او انهم ابتدعوا احيانا علامات جديدة لسد النقص الموجود في العلامات المسمارية، وبذلك تمكنوا من تدوين اللغة الأكدية، الاّ ان اللغة الأكدية فقدت نتيجة ذلك كثيرا من خصائص نطقها، في حالة التدوين على أقل تقدير. اما كيف قرأ الكتبة الأكديون والبابليون والآشوريون لغتهم المدونة بالكتابة المسمارية وهل قرأوها بأسلوب نطقها ولفظها الأصلي أم أنهم اعتادوا على قراءة النصوص كما كانت تكتب بالعلامات المسمارية المحوّرة فهذا سؤال وارد. غير انه من الصعب الاجابة عليه بثقة تامة. ويبدو لنا ان الكتبة حاولوا المحافظة على أسلوب نطق لغتهم الأكدية الى درجة كبيرة، ولاسيما في الفترات المبكرة من تدوينها، وتجاوزوا عند النطق النقص الموجود في الكتابة المستخدمة



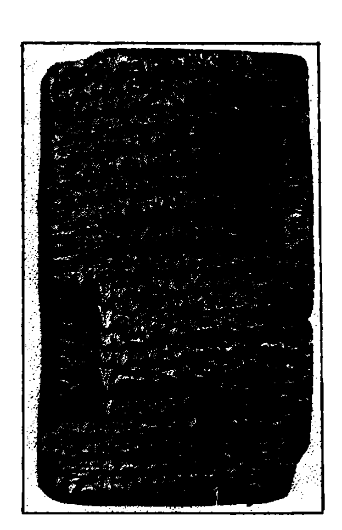


لتدوين اللغة خاصة وان الكتابة لم تكن منتشرة انتشارا واسعا لتؤثر كثيرا على اسلوب نطق اللغة بل اقتصر التأثير على اسلوب الكتابة فحسب[١٣].

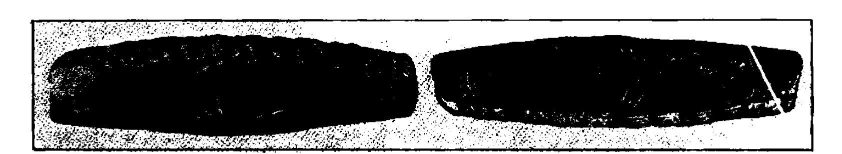
واذا كانت الكتابة المسمارية قاصرة عن التعبير بشكل دقيق عن أصوات اللغة الأكدية الفصحى فمن المؤكد انها كانت قاصرة ايضا عن التعبير عن بعض الاختلافات التي لابد أن كانت موجودة بين اللهجات الأكدية المختلفة، البابلية والآشورية، في حالة تدوينها. ومع التأثيرات السلبية التي نتجت عن استخدام الكتابة المسمارية في تدوين اللغة الأكدية الا أن ايجابيات استخدامها كانت مهمة جدا، ولعل في مقدمتها من حيث الأهمية ان اسلوب الكتابة المسمارية على الواح الطين او الحجر او المعدن قد حفظ لنا اللغة الأكدية لآلاف من السنين وقدّم لنا اقدم النصوص المدونة بأية لغة من اللغات العربية القديمة.



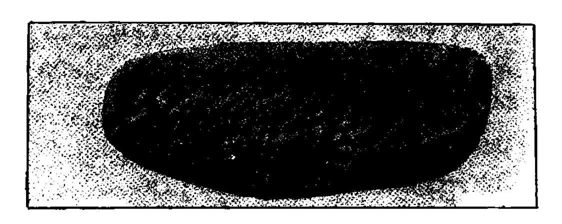
Obverse



Reverse



Edges



الكتابة المسمارية على وجه وقفا وحافات الرقيم الطيني





وظلت اللغة الأكدية تدّون بوساطة الكتابة المسمارية حتى أواخر الألف الأول قبل الميلاد ، ويرق تأريخ آخر النصوص الأكدية التي وصلت الينا الى القرن الأول الميلادي ، ثم بطل استخدام الكتابة المسمارية ومعها اللغة الأكدية ، وغابت عن الأنظار الواح الطين والحجر بعد ان هجرت المدن والقرى التي كانت عامرة بالسكان ايام الآشوريين ومن جاء بعدهم وانهارت عليها سقوف وجدران الأبنية المتهدمة وغطتها الأتربة ، وغدت في بطون التلول الكثيرة التي تتوزع في انحاء العراق ، وظلّت كذلك لمئات من السنين حتى تنبه العلماء الاوربيون الى ذلك ، وبدأوا محاولاتهم الجادة في حل رموز الكتابة المنقوشة على الطين والآجر والحجر وذلك في القرن التاسع عشر الميلادي . وبعد ان تمكن العلماء من فك رموز الكتابة المسمارية تعرفوا على لغة النصوص المكتشفة . وحيث أن اولى النصوص المكتشفة كانت من بلاد آشور فقد سميت لغتها باللغة الآشورية ، كما سبق أن ألمحنا ، وكان على العلماء الاوربيين بعد ان حلّوا رموز الكتابة المسمارية وتعرفوا على لغتها ان يجدوا طريقة مناسبة لنقل أصوات لغة تلك النصوص الى القارئ المعاصر بدلا من الكتابة المسمارية المعقدة التي لايستطيع قراءتها الاّ عدد محدود من المتخصصين . وكان طبيعيا انهم اختاروا لذلك رموز الخط اللاتيني المعروف لديهم على الرغم من عدم ملاءمة هذا الخط لنقل أصوات اللغة الأكدية ، اواية لغة أخرى من عائلة اللغات العربية القديمة ، لخلوه من الرموز التي تعبر عن الأصوات الحلقية والمفخمة . وهكذا قاست اللغة الأكدية وللمرة الثانية من اهمال اوتحوير بعض أصواتها الباقية بعد ان عانت من ذلك أول مرة عند كتابتها بالكتابة المسمارية ، كما اضطر الأوربيون الى ابتداع بعض الرموز الجديدة للتعبير عن بعض الأصوات الأكدية فاستخدموا ، مثلا ، الرموز التالية للتعبير عن الأصوات الأكدية المشار اليها الى جانبها .

| | | |
|---|---|---|
| ط = ṭ | خ = ḫ | ق = q, ḳ |
| | ص = ṣ | ع = ʿ |
| | ش = š | s= ʾ |

اما اذا أريد الأشارة الى أصول وجذور المفردات الأكدية الأصلية وما يقابلها في اللغات العربية القديمة الأخرى ، فقد كان عليهم استخدام الرموز الآتية : (١٤)

| | |
|---|---|
| ح = ḥ | ذ = ḏ |
| غ = ǧ,g | ض = ḍ |
| ظ = ṭ, z | ث = ṯ |

وبهذه الطريقة تمكن الأوربيون من تقديم اللغة الأكدية الى القارئ المعاصر دون ان يستخدموا لذلك الكتابة المسمارية،وغدت طريقتهم هذه هي الطريقة الشائعة والوحيدة بين جميع الباحثين المتخصصين حتى العرب منهم ، وبدت النصوص الأكدية المدونة بالخط اللاتيني برموزه وعلاماته المستحدثة غريبة تماما على القارئ العربي والعراقي بوجه خاص على الرغم من ان اللغة الأكدية هي لغة قريبة جدا من اللغة العربية ، كما انها لغة عراقية قديمة ، لذا بات من الضروري ايجاد طريقة جديدة أخرى لتقديم اللغة الأكدية الى القارئ العربي . وحيث ان الخط العربي برموزه الكثيرة التي تعبر عن الأصوات الحلقية والمفخمة الموجودة في كلتا اللغتين العربية والأكدية ، هو أكثر الحروف ملاءمة لنقل أصوات اللغة الأكدية ، لذا فاننا نرى ان استخدامه لهذا الغرض سيقضي على العديد من المشكلات والصعوبات التي تواجه الباحث عند نقله أصوات وألفاظ النصوص الأكدية بوساطة الحرف اللاتيني ، كما انه سيعبر بصدق ودقة عن أصوات اللغة الأكدية بأصواتها المشابهة لأصوات





اللغة العربية. وفضلاً عن ذلك، فانه سيظهر للقارئ، ولاسيما القارئ العربي، الشبه الكبير الموجود بين اللغتين الأكدية والعربية، ويفسح المجال امام الباحثين لدراسة أوجه الشبه هذه. ولعل في الأمثلة التالية مايوضح هذه الناحية.

| الكلمة الأكدية بالحرف العربي | جذر الكلمة | المعنى | الكلمة الأكدية بالحرف اللاتيني |
|---|---|---|---|
| أخُ | أخ | أخٌ | aḫu |
| طابُ | طيب | طيبٌ | ṭâbu |
| طَباخُ | طبخ | قتل (طَبَخَ) | ṭabâḫu |
| شطارُ | شطر | كتبَ (سطَر) | šaṭaru |
| صَلمُ | صلم | أسود، ظلام | ṣalmu |
| قلو | قل | يحرق، يقلي | qalû |

اما الأصوات الأكدية التي ليس ثمة مايعبر عنها بوساطة الحرف العربي فهي صوت الباء المخففة p وصوت الكاف الثقيلة g اذ يمكن التعويض عنها بالفاء الخفيفة والكاف الثقيلة (پ وگ).

## قواعد اللغة الأكدية العامة وخصائصها :

تمثل اللغة الأكدية بلهجاتها البابلية والآشورية المختلفة الفرع الشرقي من عائلة اللغات العربية القديمة (الجزرية) في حين تنتمي اللغة العربية الى الفرع الجنوبي حسب التقسيم الأكثر شيوعا، والذي يعتمد التوزيع الجغرافي لهذه المجموعة من اللغات[١٥]، وقد تميزت اللغة الأكدية ببعض الخصائص نتيجة الظروف التي عايشتها في بلاد وادي الرافدين ودخولها في صراع لغوي مع عدد من اللغات البعيدة عنها، كاللغة السومرية، والقريبة منها من حيث الأصل، كاللغة الآرامية. وكان للصراع اللغوي الذي دخلته الأكدية مع اللغة السومرية في مراحلها الاولى آثاره في دخول العديد من المصطلحات والمفردات اللغوية السومرية الى اللغة الأكدية، وقد انتقلت بعض تلك المفردات من خلال الأكدية الى لغات أخرى كالعربية والعبرية. فكلمة هيكل التي ترد بالعربية وغيرها من اللغات العربية القديمة ذات أصل سومري وهي مؤلفة من كلمتين: بمعنى (بيت) وگال بمعنى (كبير) او (عظيم) وبدمج الكلمتين تتكون الكلمة e.gal بمعنى (البيت العظيم) او (القصر) التي اصبحت بالأكدية ekallu(m) وحملت المعنى نفسه. كما كان للسومريين ولغتهم تأثير على أسلوب نطق اللغة الأكدية مما حرّف اسلوب نطق بعض الأصوات، ولا سيما الحلقية والمفخمة، التي لاتوجد اصلا في اللغة السومرية وان كنّا لانستطيع بيان مدى هذا التأثير أهو ناتج عن تأثير السومريين أنفسهم أم نتيجة استخدام الكتابة المسمارية السومرية في تدوين اللغة الأكدية، كما سبق أن أشرنا الى ذلك. وقد يكون من التأثيرات السومرية على اللغة الأكدية استخدام الفعل في نهاية الجملة خلافا لجميع اللغات العربية القديمة التي تميل الى استخدامه في مقدمة الجملة، علما بأن الوحدة الفعلية في اللغة السومرية تأتي في نهاية الجملة. وكان من صفات الفعل الأكدي ايضا ان له ثلاثة أزمنة أصيلة، اثنان منها شبيهان لما هو موجود في بقية اللغات العربية القديمة، وهما زمن الفعل الماضي والفعل المضارع. اما الزمن الثالث فيعبر عنه بالحالة المستمرة او زمن الاستمرار stative كما تميزت اللغة الأكدية بصيغتها المدونة على أقل تقدير، بسقوط الأصوات الحلقية والمفخمة وبعض الأصوات التي لم يتمكن الكتبة من التعبير عنها بشكل دقيق بوساطة الكتابة المسمارية، فضلاً عن بعض الخصائص النحوية الأخرى[١٦].

ومع الاختلافات التفصيلية بين اللغة الأكدية وبقية اللغات العربية القديمة (الجزرية)، ومنها اللغة العربية، فان هناك أوجه شبه كثيرة تشير الى الأصل المشترك لهذه اللغات وتؤكده على الرغم من أنها تنتمي الى فروع مختلفة، وفيما يأتي استعراض سريع جدا لأهم سمات قواعد اللغة الأكدية توضح علاقتها الوثقى ببقية اللغات العربية القديمة ومنها اللغة العربية.

فمعنى الاسم في اللغة الأكدية يحدد، كما في اللغة العربية، بأمور عدّة وهي الجنس والعدد وحالة الاعراب وحالة الاسم في الجملة. فمن حيث الجنس يكون الاسم اما مذكرا اومؤنثا، وليس هناك جنس محايد كالذي نجده في اللغات الأوربية، وليس للاسم المذكر علامة خاصة تلحق به. والأسماء المذكرة على نوعين حقيقي ومجازي، فأما الحقيقي فهو مادل على المذكر من الناس والحيوان مثل أويلُم awēlum بمعنى (رجل) وكَلبُم kalbum بمعنى (كلبٌ)، وأما المجازي فيعامل معاملة المذكر وهو ليس منها مثل بيتُم bîtum بمعنى (بيت) وصَلمُم Ṣalmum بمعى (تمثال). اما الاسماء المؤنثة فتلحقها غالبا تاء التأنيث التي تضاف الى جذع الاسم المذكر مثل حركة الاعراب تماما كما هي الحال في اللغة العربية ومثال ذلك الاسم مارتُم mārum بمعنى (أبن) حيث يصبح مارتُم martum بمعنى (ابنة).

ومن حيث العدد، يكون الاسم في حالة المفرد او المثنى اوالجمع، ويصاغ الاسم المثنى بزيادةالف ونون او ياء ونون اما الجمع فيصاغ اما بمد حركة الاعراب لتصبح واوا في حالة الرفع، وياء في حالتي النصب والجر او باضافة الف ونون الى الاسم المفرد قبل حركة الاعراب. وبالنسبة الى جمع المؤنث فالقاعدة الأساسية في ذلك مشابهة لجمع المؤنث السالم في اللغة العربية، حيث تتم باضافة الف وتاء الى جذع الاسم تلحقها حركة الاعراب المناسبة. وحركات الاعراب في الاسم ثلاث هي الضمة والفتحة والكسرة يلحقها التمييم. ومما يلاحظ ان صيغة المثنى كانت شائعة في اللهجة الأكدية القديمة واللهجة الآشورية القديمة، ثم بدأت تختفي تدريجيا ولم تعد تستخدم في اللهجات الأحدث من ذلك الاّ في حالات محددة. كما يلاحظ ان هناك أساليب جمع أخرى غير التي أشير اليها بالنسبة الى المذكر والمؤنث تعد من الأساليب الشاذة.

اما التمييم فهو مايعبّر عنه بصوت الميم الذي يلحق الاسم والصفة في حالة المفرد وحالات جمع المؤنث وذلك بعد حركة الاعراب مباشرة. وكان التمييم يستخدم في العصور الاولى بشكل منتظم، ولاسيما في العهد البابلي القديم، كما تشير الى ذلك لغة قانون حمورابي، ثم بدأ استخدامه يتناقص تدريجيا حتى اختفى وتلاشى في العصور الآشورية المتأخرة. وعلى الرغم من الشبه الكبير من حيث اللفظ والاستخدام بين التميم والتنوين في اللغة العربية الاّ انها يختلفان تماما من حيث الغرض من استخدامها. ويبدو التمييم من أهم خصائص اللغة الأكدية المميزة.

اما الصفة فتضم اللغة الأكدية اربعة أنواع منها، وهي الصفة النوعية واسم الفاعل والمفعول والعدد وضمائر الاشارة. وليس في الأكدية صفة الوصل (الأسماء الموصولة) ولا صفة التملك، بل يعبر عن كليها بالاضافة. وتتبع الصفة الاسم الموصوف من حيث التذكير والتأنيث وتتفق معه من حيث العدد وحالة الاعراب تماما كما في اللغة العربية.

وفي اللغة الأكدية انواع عدة من الضمائر، فهناك الضمائر الشخصية المنفصلة والضمائر الشخصية المتصلة بالاسم او الفعل، وقد يكون الضمير في حالة الرفع او النصب او الجر كالاسم تماما. وهناك اوجه شبه كبيرة بين الضمائر في العربية والضمائر في الأكدية من حيث اللفظ ايضا ولعل الجدول الآتي للضمائر الأكدية الشخصية المنفصلة وما يقابلها في اللغة العربية مايوضح هذا التشابه:

| الجنس والشخص | الضمير في حالة الرفع | مايقابله في العربية |
|---|---|---|
| المتكلم | anāku أناكُ | ana أنا |
| المخاطب المذكر | atta أتَّ | anta أنتَ |
| المخاطب المؤنث | atti آتِّ | anti أنتِ |
| الغائب المذكر | šū شو | (hū) huwa هو |
| الغائب المؤنث | šī شي | (hī) hiya هي |





اما الفعل في اللغة الأكدية فينقسم من حيث قوة أحرفه الى صحيح ومعتل، ومن حيث أصله الى ثلاثي ورباعي، ومن حيث معناه الى متعد ولازم. وللفعل في اللغة الأكدية اربع صيغ رئيسة هي الصيغة البسيطة والصيغة المضّعفة والصيغة السببة وصيغة المبني للمجهول. ويمكن اشتقاق صيغ جديدة من هذه الصيغ الأربع، وذلك باضافة تَ ta او تَن tan الداخلة بين أحرف الفعل لتحدد معنى الفعل. ويعد ذلك من خصائص اللغة الأكدية وان كانت الصيغة المؤلفة بادخال المقطع تَ ta الى داخل الفعل معروفة في بعض اللغات العربية الأخرى، كالعربية، (وصيغته صيغة إفتعل).

وللفعل في الأكدية ثلاثة أزمنة اضافة الى صيغة الأمر، هي زمن المضارع والزمن الماضي والحالة المستمرة، كما سبق أن أشرنا الى ذلك، وهناك من يميز زمنا آخر هو الزمن التام. ويصرف الفعل باضافة الضمائر الشخصية المتصلة الى بدايته ونهايته في حالتي الماضي والمضارع، وبذلك تختلف الأكدية عن غيرها من اللغات العربية القديمة في تصريف الفعل الماضي حيث تلحق الضمائر في الأكدية بأول الفعل وليس، كما في العربية، في نهايته [١٧].

من هذا العرض السريع لأهم القواعد الأساسية في اللغة الأكدية تتضح وجوه التشابه الكبيرة بين اللغة العربية واللغة الأكدية، ويضاف الى ذلك تشابه كبير في المفردات اللغوية. فأصول وجذور معظم الأفعال والمفردات اللغوية واحدة وان اختلفت بعض الأصوات وفق قواعد لغوية معينة تنبه اليها الباحثون كاستبدال الشين في الأكدية بالسين في العربية والضاد بالعربية بالصاد الأكدية وينطبق ذلك على الغين التي استبدلت بالخاء في الأكدية والذال بالراء وسقوط أغلب الحروف الحلقية في الأكدية واحلال حروف العّلة المناسبة بدلا عنها.

كما يلاحظ تغيّر بسيط في المعنى العام للكلمة، أما الاساس فهو واحد في كلتا اللغتين، وفيما يلي بعض الأمثلة:

| الكلمة العربية | الكلمة الأكدية |
|---|---|
| أب | أبُ abu |
| أَمة | أمْةُ amtu |
| بيتُ | بيتُ bîtu |
| قضى، دان | دانُ dânu |
| طاب | طابُ ṭabu |
| لسانُ | لِشانُ lišânu |
| مرض | مَراصُ marașu |
| صغير | صِحرُ siḫru |
| قرب | قريب qirbu |
| كبر، ربّى | ربَو rabû |
| سلم | شلامُ šalāmu [١٨] |

وأخيرا لابد من الاشارة هنا الى انه كان للعمر الطويل الذي عاشته اللغة الأكدية لغة تدوين وتخاطب، وللانتشار الواسع الذي حققته والصراع العنيف الذي خاضته مع غيرها من اللغات المحلية والأجنبية، أثره في دخول الكثير من المفردات اللغوية الأكدية في تلك اللغات وبالعكس. فقد انتقل العديد من المفردات الأكدية الى اللغات المحلية والأجنبية التي استخدمت في العراق منذ أواسط الألف الأول قبل الميلاد، عندما بدأ استخدام اللغة الأكدية يتقلص ويختفي تدريجيا. وهكذا دخلت تلك المفردات في اللغات الفارسية واليونانية والآرامية. وانتقلت بعض تلك المفردات من خلال هذه اللغات الى لغات أجنبية أخرى ولاسيما الى اللغات الأوربية في حين انتقل بعضها من خلال الآرامية الى العربية حين ظن بعضهم





خطأ ان تلك المفردات هي مفردات آرامية أصلا . وحيث ان اللغة الاكدية لم تكن معروفة للباحثين اللغويين قبل القرن التاسع عشر الميلادي ، لذا اكتفت المعاجم اللغوية ، ومنها المعاجم العربية باعتداد تلك المفردات الغريبة من الدخيل ، او الأعجمي . او ارجاع أصولها في أحسن الأحوال الى احدى اللغات الوسيطة كالفارسية او الآرامية ، وفضلا عن ذلك ، فهناك الكثير من الرواسب اللغوية الأكدية التي يمكن ملاحظتها في اللهجات المحلية سواء في اسلوب لفظ الكلمات او معاني المفردات ، وتلاحظ هذه الرواسب بشكل خاص في أسماء بعض النباتات والالات والأدوات الزراعية وما له علاقة بالحرف اليدوية التي كانت ومازالت شائعة في العراق . وقد قام المرحوم الاستاذ طه باقر بجهد مشكور في جمع بعض هذه المفردات ضمنها كتابه القيّم (من تراثنا اللغوي القديم) الذي جمع فيه عددا من المفردات اللغوية السومرية والأكدية التي دخلت لغتنا العربية وبعض اللغات الاوربية، ومن هذه المفردات ماحار بها اللغويون العرب ولم يتعرفوا على أصولها الى ان تبين أنها ذات أصول أكدية او سومرية . ونورد فيما يأتي قائمة بعدد محدود من المفردات الأكدية في اللغة العربية واللهجات العراقية العامية (١٩) .

| الكلمة باللغة العربية | الكلمة باللغة الأكدية (لفظها) |
| --- | --- |
| آجر | agurru أُكُرُّ |
| اسفين | suppinu سُبِنُّ |
| آكو، ماكو | akū, makū آكو، مَكو |
| بارية | burū بُرُو (نوع من الحصير) |
| تبلية | tabālu تَبالُ (نوع من الزنابيل يرقى به الى اعلى النخلة) |
| ترجمان | targumānu تَرگُمانُ |
| جص | gaṣṣu گَصُّ |
| خمّار | gišummāru گِشِمّارُ |
| خلال | Tuḫallu تُخَلُّ بلح لم ينضج بعد |
| خمط | ḫamāṭu خَماطُ أخذ بسرعة |
| خمش | ḫamāšu خَماشُ |
| دبس | dišbu دِشبُ عسل التمر |
| زمبيل | zabbilu زَبِّلُ |
| سعف | sappātu سَباتُ |
| سمسم | šamšammu شَمشَمُّ |
| شاقل | šiqlu شِقلُ |
| عدن | edinnu إدِنُّ |
| فَلش | Palāšu پلاشُ خرّب او نقض |
| قُفّة | quppu قُبُّ |
| كبة | kippatu كِپَّةُ |
| كتان | kitinu, kitu كتِنُ |
| كحل | guḫlu گُخلُ |
| كرسي | Kussu كُسُّو |
| كركم | kurkanu كُركَنُ |
| كلك | kalakku كَلَكُّ |
| مَر | marru مَرُّ |
| مسكين | muškēnu مُشكينُ |
| مشط | mušṭu مُشطُ |
| من | mina مِنَ |
| نفط | napṭu نپطُ |
| نير | niru نيرُ |

وفضلاً عن ذلك فان معظم أسماء أشهر السنة المستخدمة في العراق ترجع بأصولها الى اللغات العراقية القديمة (مثل نيسان ، آيار، تموز، آب ، تشرين ، كانون ، شباط ، وآذار) ، كما يرجع الى التراث اللغوي العراقي القديم اسماء العديد من المدن





والمواقع والانهار، امثال، اربيل وبابل والخابور والباليخ والفرات والزاب ودجلة وتكريت ونينوى وعانة وهيت وغيرها كثير. في حين أن اية دراسة دقيقة الى اللهجات العامية، ولاسيما في مدينة الموصل وضواحيها ستظهر لنا العديد من المفردات العامية، ذات الأصول الآشورية مثل: ختن بمعنى زوج البنت وتكّه بمعنى حبل لربط السروال، وغيرها.

## الكتابة

تعد الكتابة من أهم المنجزات الحضارية التي حققها العراقيون القدماء في اواسط الألف الرابع قبل الميلاد، وأصبح تاريخ ابتداعها لدى الباحثين الحد الفاصل الذي يفرق بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية. وقد المحنا في القسم الاول من هذا البحث الى ان السومريين، وهم سكان القسم الجنوبي من العراق، كانوا أول من ابتدع وسيلة تدوين لغتهم السومرية ثم اقتبسها منهم الأكديون ودوّنوا بوساطتها لغتهم الأكدية. وأخذ الآشوريون، سكان القسم الشمالي من العراق، الكتابة عن السومريين والأكديين في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، اي بعد أن قطعت الكتابة مراحل تطورها حتى وصلت الى مرحلتها النهائية بالشكل الذي وصلت الينا به النصوص الآشورية، غير ان الكتابة لم تستخدم على نطاق واسع في بلاد آشور الاّ منذ الألف الثاني قبل الميلاد.

وكانت الكتابة في اطوارها الاولى تضم مجموعة كبيرة من العلامات الصورية رسمت بوساطة قلم مدبب على الواح وقطع من الطين الطري تمثل الأشياء المادية التي أراد الكتبة الأوائل التعبير عنها. وطبيعي انه كان هناك اختلاف كبير بين الأشخاص في اسلوب رسم تلك العلامات ومدى مطابقتها للواقع، فكان ان أصبح هناك مجموعة كبيرة من العلامات الصورية التي تعبر عن الشيء المادي نفسه، كما كانت العلامات الاولى تضم جميع التفاصيل الدقيقة، وبمرور الوقت تعرّضت الكتابة الى عملية اختزال كبيرة في عدد العلامات وأشكالها وتفاصيلها فتقلّص عدد العلامات حتى أصبح لايتجاوز ٥٠٠ - ٦٠٠ علامة في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد بعد ان كان أكثر من ألفين علامة، كما اختزلت اشكال العلامات وسقطت تفاصيلها حتى فقدت العلامات تدريجيا علاقتها من حيث الشكل، بصورة الشيء المادي الذي تعبّر عنه. ومنذ فترة مبكرة ايضا حدث تطور آخر مهم في أسلوب الكتابة، حيث بدأ الكتبة الأوائل يستخدمون أسلوب طبع العلامات على الطين الطرى وذلك بضغط نهاية القلم، ذي المقطع المثلث او المستطيل، فينتج عن ذلك خطوط أفقية وعمودية ومائلة غائرة تنتهي بمثلث صغير، اي اصبحت العلامة الواحدة تتألف من مجموعة من هذه الخطوط التي يشبه كل منها المسمار او الوتد، ومن هنا جاءت التسمية (الكتابة المسمارية) Cuneiform Writing.



الكتابة في اطوارها الاولى

ومع هذا التطور في اختزال عديد العلامات وأشكالها وأسلوب كتابتها لم تكن الكتابة قادرة على التعبير عن الأفعال والمعاني الكثيرة التي لايمكن رسمها، فمن اليسر على الكاتب ان يعبر عن القدم برسم شكل القدم او عن اليد برسم شكل اليد او الذراع وعن الشمس برسم قرص الشمس او أشعتها، ولكن كيف يمكن التعبير عن المشي والركض والوقوف والقوة والأخذ والعطاء، وكذلك عن النهار والحرارة والى غير ذلك؟ لقد تعارف الكتبة الأوائل على استخدام العلامات الصورية المبسطة، كالقدم مثلا، للرمز الى جميع الأفعال والمعاني ذات العلاقة بذلك الشيء المادي. فرسموا القدم ليرمزوا الى المشي والركض والوقوف ورسموا قرص الشمس للرمز الى اليوم والنهار والحرارة وذلك فضلا عن المعاني الأساسية لعضو القدم ولقرص الشمس، ولبيان ماقصده الكاتب من رسم القدم اهو عضو القدم ام المشي ام الركض استخدموا علامات توضيحية أخرى الى جانبها. كما حاولوا اضافة بعض الخطوط او العلامات المكملة الى العلامة الصورية للرمز الى معان وافكار جديدة ذات علاقة. فأضافوا بعض الخطوط الى العلامة التي تعبر عن الرأس (بالسومرية SAG) للدلالة على الأسنان للرمز الى الفم وأصبحت علامة الرأس مع الأسنان تقرأ (فم) (بالسومرية KA)، او انهم ادمجوا علامتين وكونوا علامة جديدة، فكتبوا العلامة التي تدل على البيت E الى جانب العلامة التي تدل على صفة (العظمة) GAL فأصبحت العلامة الجديدة E.GAL تعني (البيت العظيم) أي (القصر) وهكذا، وبهذه الطريقة التي تسمى عادة بالرمزية Logogram تمكن الكتبة من التعبير عن أفعال وأفكار ومعان كثيرة، الا انهم ظلوا عاجزين عن التعبير عن جمل كاملة تضم أسماء اعلام وادوات نحوية وحروف وعلامات استفهام وافعال بازمنة وصيغ مختلفة والى غير ذلك. وكان هذا النقص حافزا قويا دفع الكتبة الأوائل الى ابتداع طريقة جديدة في الكتابة عرفت بالطريقة الصوتية Phonetic تعتمد اساسا على استخدام القيم الصوتية للعلامات الصورية والرمزية في كتابة كلمات جديدة دون الالتفات الى معاني تلك العلامات. فالعلامة [علامة مسمارية] التي كانت تقرأ Tl وتمثل سهم، أصبحت تستخدم للدلالة على كلمة (حياة) التي تلفظ بالسومرية Tl(L) ايضا كما استخدمت كمقطع صوتي لأى كلمة يدخل في تركيبها هذا المقطع سواء اكانت أسماً أو فعلا او أداة نحوية، وينطبق ذلك على جميع العلامات الصورية والرمزية التي اصبحت تستخدم مقاطع صوتية الى جانب استخدامها الأصلي كعلامات رمزية، أي بعبارة أخرى ان الكتبة استخدموا قيم العلامات الصوتية كما تستخدم الحروف الأبجدية تماما في كتابتنا،غير ان قيم تلك العلامات كانت مؤلفة من مقاطع صوتية، أي انها مؤلفة من اكثر من صوت حرف واحد، لذلك سميت هذه الطريقة في الكتابة بالطريقة المقطعية ايضا Syllabic. ولتوضيح هذه الطريقة نضرب مثلا فاذا أراد الكاتب ان يكتب اسم رجل معين، وهو اكوركال، فعليه أولا ان يجزئ الاسم الى عدة مقاطع، وبالنسبة لهذا الاسم فانه من الممكن تجزئته الى ثلاث مقاطع هي آ+ كور+ كال، ثم يبدأ بالبحث بين العلامات المسمارية عن علامات تلفظ كما تلفظ هذه المقاطع بغض النظر عن معانيها الرمزية ثم يبدأ بكتابتها الواحدة بعد الاخرى حسب التسلسل. وفعلا هناك علامة تلفظ (آ) وتعني (ماء) وأخرى تلفظ (كور) وتعني (جبل) وثالثة تلفظ (كال) وتعني (عظيم)، فاذا ماوضعت هذه العلامات بعضها الى جانب بعض تكون عندنا اسم (آكوركال) وهو اسم شخص، وليس (ماء جبل عظيم) ولكي يعرف الكاتب بأن المقصود من هذه العلامات هواسم شخص كان يضع امامها علامة





خاصة تعني (رجل) وتسمى هذه العلامة بالعلامة الدّالة determinitive وكان هناك علامات دالّة كثيرة منها مايوضع قبل الاسم ومنها مايوضع بعد الاسم وكانت توضح ماهية اوجنس او فصيلة او نوع الاسم الذي تأتي قبله او بعده. فهناك علامة توضع قبل اسماء الأشخاص من الذكور وأخرى امام اسماء القبائل والشعوب وثالثة بعد اسماء المدن ورابعة بعد اسماء الطيور وأخرى امام اسماء كل شي مصنوع من الخشب او المعدن، وهكذا بقية الأشياء والكائنات. وفضلا عن ذلك، وحيث ان طريقة الكتابة الرمزية ظلّت تستخدم الى جانب الطريقة الصوتية، فكان من الممكن استخدام العلامة الرمزية الواحدة لكتابة اكثر من كلمة او معنى اواستخدامها مقطعاً صوتياً فحسب. ولكي يوضح الكاتب الكلمة او المعنى المقصود من العلامة كان يكتب بعد العلامة مباشرة مقطعا صوتيا يمثل نهاية الكلمة المقصودة. فمثلا اذا



الكتابة المسمارية محفورة على الحجر

استخدم العلامة التي تقرأ ka بمعنى الفم، او inim بمعنى (كلمة) وأراد المعنى الثاني منها، فانه كان يكتب العلامة ويضع بعدها علامة أخرى تقرأ nim فقط، مما يشير الى أن المقصود من العلامة هو لفظة تنتهي بـ nim أي inim وهكذا.

وقد سميت هذه المقاطع الصوتية بالنهايات الصوتية او المتمم اللفظي Phonetic Complements[٢٠].

اما اسلوب الكتابة فقد تطور على مر العصور، فكان ان تم اختزال عدد العلامات وشكلها وأصبحت تكتب بوساطة طبع القلم على الطين بدلا من تحريك القلم وتغيرت اشكال العلامة التي اصبحت تتألف من خطوط أفقية وعمودية ومائلة فقط. وظل شكل العلامات يتطور ويختزل حتى وصلت الى آخر مراحل التطور في العصر الآشوري الحديث الذي استخدمت فيه الكتابة المسمارية في كثير من الأحيان على الواح الحجر والتماثيل اي بطريقة الحفر الدقيق، فاصبحت العلامات موحدة الأشكال ولا تختلف كثيرا من منحوتة الى أخرى او من رقيم الى آخر. وقد عدّ اسلوب الكتابة في العصر الآشوري الحديث من قبل الباحثين في الوقت الحاضر الأسلوب النموذجي المتطور ونظمت معظم القواميس والكتب الخاصة بالعلامات المسمارية استنادا الى ذلك، وكتب الى جانب كل علامة مسمارية من العصر الآشوري الحديث اشكالها القديمة من الفترة التي كانت ترسم فيها بشكل صوري مرورا بالعصر البابلي، او الآشوري القديم فالوسيط فالحديث مع بيان مختلف الأشكال التي وردت في النصوص المسمارية المختلفة





**حل رموز الكتابة المسمارية :**

عاشت الكتابة المسمارية حياة طويلة تجاوزت الثلاثة آلاف سنة وانتشر استخدامها في العراق وما جاوره من بلدان وأقاليم وخلّفت لنا مئات الألوف من النصوص المسمارية المدونة على الطين والحجر وغيرهما من مواد وذلك باللغة السومرية والأكدية او بعض اللغات الأجنبية الأخرى. وقد تميزت الكتابة المسمارية، كما اشير الى ذلك، بكثرة علاماتها التي تجاوز عددها الخمسمائة علامة بمرحلتها المتطورة والمختزلة، وبتداخل طرق استعمال تلك العلامات ووجود العديد من العلامات الدالّة والنهايات الصوتية التي كانت تكتب عادة ولا تقرا، لذا كان تعلّم الكتابة المسمارية وقراءة نصوصها من المهام الصعبة التي تحتاج الى خبرة طويلة. ومنذ اواسط الألف الأول قبل الميلاد، بدأ استخدام الخط الآرامي الأبجدي ينتشر في بلاد الشام والعراق بانتشار القبائل الآرامية واحتكاكها مع الأقوام الأخرى، ودخل في صراع عنيف مع الكتابة المسمارية. وقد تميز الخط الآرامي بسهولة كتابة رموزه ومحدودية عددها، حيث كان عددها أقل من ثلاثين رمزا. وكانت الغلبة في النهاية للخط الآرامي واللغة الآرامية في حين بدأ استخدام الكتابة المسمارية بلغتها الأكدية يتقلص تدريجيا الى ان توقف نهائيا في القرن الأول الميلادي حيث يرقى تاريخ آخر النصوص المسمارية المكتشفة الى حد الآن الى القرن الأول الميلادي. وبعد فترة وجيزة من توقف استخدام الكتابة المسمارية، دخلت تلك الكتابة في طي النسيان ومعها اللغة الاكدية وظلت نصوصها مطمورة تحت الانقاض وفي بطون التلال الأثرية لمئات من السنين ومعها تراث حضارة عريقة كان لها دور كبير في اغناء الحضارة الانسانية.

ومنذ القرن الثامن عشر الميلادي بدأت الكتابة المسمارية تظهر الى النور ثانية، حيث أثارت بعض النصوص المسمارية المنقوشة على قطع الآجر او التماثيل اهتمام عدد من العلماء الاوربيين، فبدأت محاولاتهم الجادة من أجل فك رموزها ومعرفة أسرارها. وكان العالم الألماني نيبور من الرّواد في هذا المجال حيث حقق نجاحا في قراءة بعض تلك النصوص، ثم تتابعت جهود العلماء المضنية من مختلف الدول الاوربية فعكف على دراسة النصوص المسمارية تيكسن ومونتر وغيرهما.

اما الألماني كروتفند، فكان دوره كبيرا في ايجاد مفتاح لفك رموز الكتابة، وأعقبه لاسن ورولنصون ونوريس وهنكس وغيرهم. ان الحديث عن كيفية حل رموز الكتابة المسمارية حديث طويل وشيّق يظهر مدى جدية وصبر اولئك العلماء في الكشف عن اسرار النصوص المسمارية والصعوبات الجمة التي واجهتهم في سبيل تحقيق ذلك، وقد تناولت بعض البحوث هذه الجهود بشيءمن التفصيل، ويكفي ان نشير هنا الى ان تلك الجهود استغرقت مايقرب من مائة سنة الى ان وصلت الى حل كامل تقريبا لرموز الكتابة المسمارية، وان الأسلوب الذي اتبع في حلّها شبيه الى درجة كبيرة بالأسلوب الذي اتبع في حل رموز الكتابة الهيروغليفية القديمة. فكما استعان العلماء بحجر الرشيد المدون بثلاثة خطوط قديمة وثلاث لغات، هو الخط الهيروغليفي والخط الديموطيقي والخط الأغريقي، كذلك استعان العلماء في حل رموز الكتابة المسمارية البابلية – الآشورية بعدد من النصوص المدونة بأكثر من خط واحد يمثل أكثر من لغة واحدة، ويأتي في مقدمتها نقش بهستون الذي نقش على سفح جبل شاهق الى جانب بعض المشاهد المنحوتة ليحكي بعض اعمال الملك الأخميني دارا الأول. وقد كتب هذا النص بثلاثة خطوط مسمارية هي الخط العيلامي الأبجدي والخط الفارسي والخط البابلي.

ودوّن بثلاث لغات مختلفة هي اللغة العيلامية واللغة الفارسية القديمة واللغة العراقية القديمة





(الأكدية). ويشير هذا النص الذي تبين أنه دّون من قبل أحد ملوك الأخمينيين الذين غزوا بابل وآشور عام ٥٣٩ ق. م وسيطروا على الحكم فيها الى ان الأخمينيين لم يتمكنوا من الاستغناء عن الحضارة العراقية القديمة الراسخة الجذور في المنطقة، لذا فانهم دونوا نصوصهم بلغة سكان العراق (الأكدية) الى جانب لغاتهم، كما يشير النص بما لايقبل الشك الى ان الأخمينيين كانوا قد اقتبسوا الكتابة المسمارية من العراق وحوّروها بما يتلاءم ولغاتهم الغريبة عن لغات سكان العراق الاقدمين. وقد أفاد الباحثون من هذه النصوص ثلاثية الخط واللغة حيث تمكنوا من فك رموز الكتابة الفارسية القديمة بالاستعانة بمعرفتهم السابقة باللغة الفارسية القديمة من خلال كتاب زندا أفيستا وتعرفهم على اسلوب كتابة أسماء الملوك وألقابهم. ويحظى حثيثة أمكن في عام ١٨٤٦ م الاعلان عن حل رموز النص الفارسي. وكانت محاولات فك رموز الخط العيلامي مستمرة، غير ان قلّة النصوص العيلامية المكتشفة حالت دون الوصول الى حل كامل لرموز هذا الخط، وان كان عدد علاماته لايتجاوز ٤٢ علامة. وبالنسبة للكتابة الثالثة التي تمثل الكتابة المسمارية البابلية بلغتها الأكدية، فقد استعان العلماء بما توصلوا اليه بشأن قراءة النص الفارسي، غير ان كثرة العلامات المسمارية واختلاف طرق استخدامها ووجود علامات استخدمت لدقة التعبير وغيرها، اثار صعوبات كبيرة امام الباحثين،وقد زاد من اهتمام العلماء ورغبتهم في حل رموز الكتابة البابلية انه تبين لهم ان تلك الكتابة هي الكتابة نفسها المنقوشة على العديد من الواح الرخام والرقم الطينية المكتشفة في نينوى وخرصباد ونمرود وآشور. وبمحاولات ناجحة وفرضيات علمية ومناقشات كثيرة توصلوا الى قراءة اسماء بعض الأخمينيين وألقابهم ورويداً رويداً تم لهم قراءة النص البابلي بأكمله ثم بدأت المحاولات في قراءة نصوص اخرى مماثلة. وقد افاد الباحثون من حقيقة ان لغة تلك النصوص، التي أطلقوا عليها اسم اللغة الآشورية، وذلك لأنهم اكتشفوا نصوصها في بلاد آشور، شبيهة جدا بما كان يعرف باللغات السامية (العربية القديمة) كاللغات العربية والعبرية والآرامية. وعلى الرغم من النتائج التي توصل اليها الباحثون في حل رموز الكتابة المسمارية فان الشك ظّل يساور عددا من المتشككين بصحة القراءات التي قدّمها العلماء، فقامت الجمعية الملكية الآسيوية في لندن باجراء مايشبه الامتحان لمعرفة دقة ماتوصل اليه الباحثون فوزّعت على الباحثين المعنيين في هذا الحقل من الذين ادعوا أنهم فكّوا رموز الكتابة المسمارية، نسخا من كتابة مسمارية مكتشفة في بلاد آشور وطلب اليهم قراءتها وارسال الترجمات الى الجمعية بشكل سري. وبعد شهرين وصلت الأجوبة الى الجمعية، وتبين أن النتائج التي توصلوا اليها كانت متقاربة، وان كانت هناك بعض الاختلافات البسيطة، وأعلن منذ ذلك الحين عن مولد علم قراءة النصوص الآشورية Assyriology أي (علم الآشوريات)[٢٢].

ومن الجدير بالتنويه هنا ان استخدام الكتابة المسمارية لم يقتصر على بلاد بابل وآشور، بل ان شعوبا وأقواما مجاورة كثيرة اقتبست هذا الأسلوب من الكتابة وحورّتها بما يتلاءم ولغاتها المحلية، فأضافت بعض العلامات وغيرّت من بعضها الآخر وهكذا. ومن هذه الشعوب والأقوام العيلاميون في جنوب غربي ايران والحثيون في آسيا الصغرى وشمال سوريا وبعض الأقوام التي استخدمت لغات عربية قديمة واستقرت في شمال سوريا وتركت نصوصا مسمارية مثل سكان اوغاريت (قرب اللاذقية) وابلا (قرب حلب) وألالاخ (عطشانة) وغيرها. كما استخدمت الكتابة المسمارية واسطة للتفاهم بين ملوك وحكام الشرق الأدنى القديم في اواسط





الألف الثاني قبل الميلاد ، كما تؤيد ذلك رسائل العارنة المكتشفة في مصر والمدونة بالكتابة المسمارية ، واللغة الأكدية والتي تمثل رسائل كان قد ارسلها ملوك وحكام الدول والممالك القديمة الى الملك المصري الذي لابد ان كان لديه في بلاطه من يقرأ تلك النصوص ويجاوب عليها بالأسلوب نفسه [٢٣].

## كتبوا على الطين :

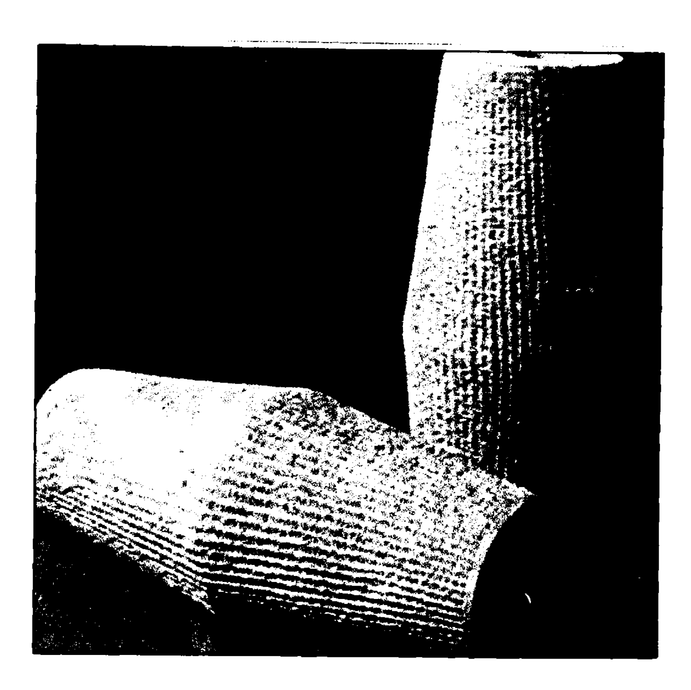
لعل أهم مايميز الكتابة المسمارية عن غيرها من الكتابات التي عرفت في العالم انها دونت على الطين بالدرجة الأولى. فأقدم الألواح التي تحمل علامات صورية مفهومة اللغة كانت من الطين وظلّت الواح الطين بأشكالها المختلفة المادة الأساسية التي دُونت عليها النصوص المسمارية عبر العصور التي امتدت الى آخر العهود التي استخدمت فيها الكتابة المسمارية. وربما كان من دوافع استخدام الطين للكتابة وفرته في القسم الجنوبي من العراق وسهولة الرسم او النقش عليه وهو طري ، كما تنبه العراقيون القدماء الى بعض خصائص الطين التي افادت في حفظ النصوص المدونة عليها ، فهو سريع الجفاف وقابل للفخر بالنار، فتزداد بذلك الألواح قوة وصلابة ومقاومة للعوامل الخارجية من رطوبة وحرارة ، بحيث يمكن ان يبقى اللوح الطيني المفخور لمئات بل آلاف السنين دون ان يتأثر الاّ بالكسر. وبذلك حفظ لنا الطين مئات الالاف من الألواح المدونة بالكتابة المسمارية ذات المضامين المختلفة ، ونقل الينا لغة العراقيين القدماء وتراثهم العلمي والحضاري بصورة عامة فأمكننا رسم صورة تقريبية واضحة ومتكاملة عن تاريخ العراق القديم عبر العصور.

ومع الخصائص الايجابية التي تميزت بها الواح الطين فهناك بعض السلبيات منها وزنها الثقيل وحجمها الكبير مقارنة مع مواد الكتابة الأخرى مما حدد حجم النصوص المسمارية المدونة واضطر الكتبة الى الاختصار الشديد احيانا. واذا مااضطر الكاتب ان يدون نصا طويلا كان عليه ان يستخدم اكثر من لوح طيني واحد وابتدع من أجل ذلك وسائل شتى للتعريف بتبلسل الألواح او الرقم الطينية. كما كان من السلبيات سهولة تحطم الرقم الطينية ، ثم فقدان جميع او بعض مادّون عليها. ومع ذلك انتشر استخدام الطين للكتابة انتشارا واسعا جدا على مدى اكثر من ثلاثة آلاف سنة ، ولم يقتصر استخدامه على العراق فحسب بل امتد الى الأقطار والبلدان المجاورة ايضا.

ولم تكن أشكال وأحجام الرقم الطينية واحدة في جميع العصور ولجميع النصوص ، بل تميزت كل فترة زمنية بأشكال وأحجام معينة من الرقم، كما كان يتحكم في شكل الرقيم وحجمه ماهية النص المدون عليه. وقد لايتضمن النص اشارة ضمنية الى مكان وتاريخ كتابته فيعتمد عند ذلك على شكله وحجمه لمعرفة تاريخ ومكان تدوينه. وقد لايعرف ماهية النص المدون على الرقيم بسبب تلف العلامات المسمارية اوفقدان بعضها فيستعان عندئذ بشكل الرقيم الخارجي وأسلوب كتابة علاماته لتخمين محتواه. وتشير الرقم الكثيرة المكتشفة في العراق الى ان العراقيين استخدموا رقما باحجام مختلفة تتراوح بين حجم لايتجاوز ٣ × ٣ سم ، وتمثل هذه الرقم وصولات تحمل التاريخ الذي دّون فيه الرقيم مع طبعة ختم [٢٤] ، في حين يبلغ حجم أكبر رقيم من الطين مكتشف بحدود ٥٠ × ٥٠ سم. اما أشكال الرقم المكتشفة فمتنوعة هي الأخرى ، فهناك الرقم المربعة والمستطيلة وبعضها مستدير او غير منتظم الزوايا ومنها البيضوية. ومعظم هذه الأشكال صغيرة وتعود الى فترة مبكّرة من تاريخ ابتداع الكتابة ، وكان معظمها مسطح الوجه محدب القفا ، يتضمن معظمها وثائق اقتصادية وادارية وقضائية ، اي مايسمى عادة بالوثائق



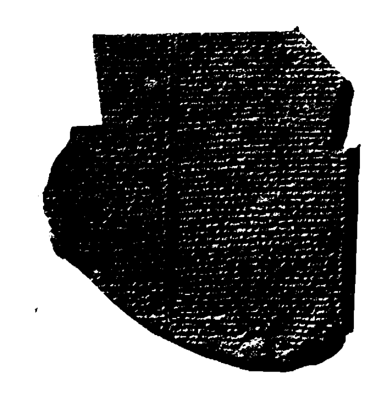




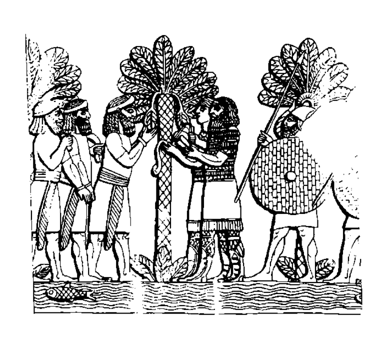
اسطوانتان من الفخار عثر عليها في معبد نرجال في تربيص وقد دونت على كل منها اخبار حملة سنحاريب العسكرية الاولى وتجديده للمعبد

اليومية ، وتؤلف النسبة العظمى من الرقم المكتشفة حتى الآن. ومن الرقم ماهو قرصي الشكل وغالبا مايمثل هذا الصنف من الرقم النصوص المدرسية التي استخدمت لتدريب الطلبة والمتعلمين على القراءة والكتابة. اما الرقم الكروية والمثقوبة من الوسط فكانت تستخدم للتعليق ، وتمثل غالبا وصولات تسلم مواد معينة او انها عبارة عن مغازل دائرية الشكل مدون عليها بضعة أسطر من الكتابة. ومن الرقم ماهو مثلث الشكل وفيها ثقوب لغرض التعليق ايضا مدونة ببضعة أسطر من الكتابة توضح مضمون الرقيم المحفوظ على الرف او في الجرّة ، أي ان هذا النوع من الرقم كان اشبه ببطاقة التعريف. وهناك رقم على هيئة مجسمات آدمية او حيوانية ، وقد وجد معظمها داخل جرار من الفخار وكانت توضع في زوايا الأبنية وعليها نصوص سحرية او تعويذية[٢٥] . ومن الرقم ماهو اسطواني الشكل وبأحجام مختلفة وعليه أكثر من حقل من الكتابة،وقد عثر على العديد من هذه الرقم في زوايا وأسس الابنية العامة ، .وتضمنت موجزا للأعمال العمرانية والعسكرية الخاصة بالملوك ، ولاسيما الملوك الآشوريين[٢٦] . وبعض الرقم من هذا النوع يأخذ أشكالا منشورية ذات ثمانية أضلاع اواكثر او أقل وتتضمن كذلك موجزا بالأعمال العمرانية والعسكرية للملك[٢٧] . وبعض الرقم ذات أشكال مخروطية دون عليها نصوص ملكية تذكر اسم الملك وألقابه واعماله العمرانية ، كما ان هناك بعض الرقم الهرمية الشكل من الصنف نفسه ، وأخيرا فانه من الممكن عدّ الآجر المفخور والمختوم ببعض الكتابات

التي تشير الى اسم الملك وألقابه وبعض اعماله العمرانية من جملة الرقم الطينية، كما ان هناك اشكالا أخرى مختلفة تحمل انواعا مختلفة من النصوص، منها على هيئة رئة حيوان اوكبد حيوان او يد حيوان والى غير ذلك من الأشكال.



رقيم من مكتبة اشور بانيبال

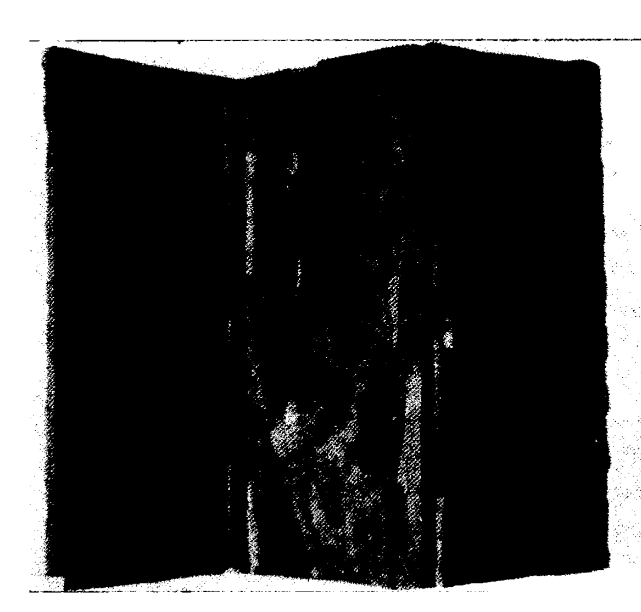
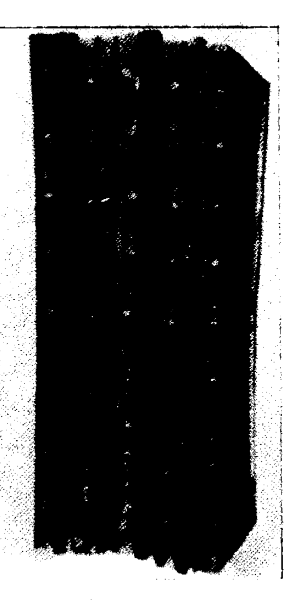


كتبة اشوريون

ولم تقتصر الكتابة على الطين بل استخدمت مواد أخرى كان أهمها في بلاد آشور الواح الحجر والرخام التي غطت ارضيات وجدران القصور الفخمة التي اقامها الملوك الآشوريون، ثم المسلات والتماثيل المصنوعة من مختلف انواع الحجر الصلب، كحجر الديوريد الأسود والبازلت، الذي لايتوافر في العراق، ومنها الثيران المجنحة الضخمة. كما دوّنت بعض الكتابات على الأحجار الكريمة وشبه الكريمة كالعقيق واللازورد وعلى الأختام الاسطوانية والخرز. وغيرها، وفي بلاد آشور استخدم العاج على نطاق واسع نسبيا لصنع بعض اجزاء الأثاث وأدوات الزينة، كما نقشت عليه بعض الكتابات المسمارية القصيرة، وابتدع الآشوريون طريقة جديدة في الكتابة على ألواح العاج بأن غطوا العاج بطبقة من الشمع ثم طبعوا الكتابة على الشمع ووصلوا بين الواح العاج المستطيلة الشكل بواسطة احزمة جلدية او معدنية، فكانت بذلك أقرب ماتكون الى اسلوب الكتابة على صفحات الكتاب. اما المعادن فقد استخدمت على نطاق ضيّق،وقد وصلت الينا بعض الكتابات مدّونة على اسطوانات اوالواح من النحاس اوالبرونز والفضة والذهب، كما نقشت الكتابة على التماثيل والأدوات والالآت المصنوعة من المعادن ايضا[٢٨]. وربما استخدم العراقيون القدماء، ولاسيما الآشوريون، مواد أخرى للكتابة كألواح الخشب وجلود الحيوانات وورق البردى، كما تدل على ذلك بعض الاشارات الواردة في النصوص الآشورية، الاّ ان طبيعة هذه المواد العضوية وعدم مقاومتها للرطوبة وغيرها من العوامل أدت الى تلفها وفقدانها، ولعل من حسن حظ الباحثين في الوقت الحاضر ان العراقيين القدماء لم يتجهوا الى استخدام هذا النوع من المواد سريعة





الواح من العاج مربوطة الى بعضها كانت مغطاة بطبقة من الشمع ومدون عليها بالكتابة المسمارية

التلف للكتابة واستمروا على استخدام الطين والحجر وغيرهما من المواد القوية للكتابة عليها.

**تعلم الكتابة :**

مع كثرة مالدينا من نصوص مسمارية آشورية متنوعة الاشكال والأحجام والمضامين فان معلوماتنا عن أسلوب التعليم في بلاد آشور تظل قليلة جدا ولا تقارن بما لدينا من معلومات عن الموضوع نفسه من بلاد بابل في الفترات السابقة، ولاسيما في العهد البابلي القديم. فمن بلاد بابل جاءتنا نصوص عديدة تتحدث عن المدرسة وادارتها وعن الطالب ومعلميه وعن مناهج الدراسة وأساليب التعليم، كما جاءتنا نصوص تحمل ذكريات الكتبة الخاصة ايام التلمذة ونصائح وأمثلة ذات علاقة بالمدرسة والتعليم وأهمية ذلك في حياة الفرد[٢٩]، ولنا ان نقيس على مالدينا من معلومات عن بلاد بابل ونفترض وضعا مشابها في بلاد آشور، ولاسيما في العصر الآشوري الحديث، عصر الازدهار والقوة. ومع هذا النقص في المعلومات هناك بعض الاشارات الى أهمية التعليم بالنسبة الى الأسرة المالكة، فمن عهد آشوربانيبال من القرن السابع قبل الميلاد يتفاخر آشوربانيبال بأنه "درس حكمة نابو واستوعب فن الكتابة بأكمله وكذلك معارف المتخصصين جميعهم، وتعلم الرماية وركوب الخيل وقيادة العربات ومسك اللجام". وفي مكان آخر يقول: "لقد قرأت نصوصا معقدة حيث كانت النسخة السومرية غامضة والنسخة الأكدية صعبة الفهم. وبحثت في الكتابات على الأحجار التي ترقى بتاريخها الى ماقبل الطوفان"[٣٠]

غير ان هذه المعلومات خاصة بأحد أفراد الأسرة المالكة، وهو الملك، وان ماأشير اليه لاينطبق على غيره من عامة الناس. ويبدو ان الكتابة والتعلم كانا مقصورين أحيانا على الكتبة والاداريين وأبنائهم الذين كانوا يأخذون عنهم حرفتهم وفنهم في الكتابة، ولابد أنه كان هناك مدارس مماثلة





للمدارس التي أشير اليها في بلاد بابل، فهناك مجموعة من الكتبة اطلق عليها اسم (كتبة كاليز kalizi) (وهي مدينة في شرق بلاد آشور)[٣١] . مما يشير الى وجود مجموعات عدة من الكتبة في بلاد آشور.

## المكتبات وأسلوب حفظ الرقم :

تمثل النصوص المكتشفة في العاصمة الآشورية نينوى والتي تعود الى مكتبة آشور بانيبال من القرن السابع قبل الميلاد. اروع وأثمن ماتم الكشف عنه من الكنوز الآشورية خلال القرنين الماضي والحالي. وقد احتلت مكتبة آشور بانيبال مكان الصدارة في العديد من البحوث والدراسات وذاعت شهرتها حتى اصبح الحديث عنها يمثل الحديث عن المكتبات القديمة بصورة عامة، ومع أهمية المكتبة القصوى فانها لم تكن المكتبة الوحيدة التي كانت موجودة قبل وفي عهد آشور بانيبال او بعده في نينوى او خارجها، فلقد دلّت التنقيبات التي اجريت في مدن بلاد بابل على وجود مكتبات عدة، فقد عثر على مجموعات كبيرة وصغيرة من الرقم الطينية في بابل وفي التل الأبيض في عقرقوف وفي الوركاء ونفر وكيش وفارة وغيرها[٣٢] من المدن وفي بلاد آشور لم يقتصر العثور على مجموعات من رقم الطين المسمارية على ماتم العثور عليه في نينوى بل كشف في عدة مواقع اشورية على رقم تمثل بقايا مكتبة آشور بانيبال وذلك في مدينة آشور وفي كلخو (نمرود) وفي سلطان تبة قرب حرّان جنوبي شرق تركيا. وقد نشرت معظم نصوص آشور المحفوظة في متحف برلين وثبت أنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة لمعرفتنا بالطقوس الدينية في آشور والى هذه المجموعة من الرقم الطينية تعود الألواح التي دّونت عليها القوانين الآشورية الوسيطة. اما الرقم المكتشفة في كلخو فتؤلف مكتبة الآله نابو، اله الكتابة، الذي كان معبده عادة يضم مكتبة خاصة به. وما عدا بعض الرقم فان غالبية نصوص هذه المكتبة لم تنشر بعد في حين نشرت نصوص موقع سلطان تبة بمجلدين وضمت نصوصا أدبية غاية في الأهمية[٣٣] .

اما الرقم التي اكتشفت في مدينة نينوى نفسها والتي تم اكتشافها في تل قوينجق في اواسط القرن الماضي والمعروفة برقم مكتبة آشور بانيبال، فقد أثبتت الدراسات التي تمت حولها بأن معظمها يعود الى مكتبة آشور بانيبال الملكية في حين يعود بعضها الآخر الى معبد الآله نابو في مدينة نينوى، كما ان هناك بعض الرقم تعود الى ملوك بابليين من القرن التالي لسقوط نينوى. ويدل مضمون بعض الرقم، كالرسائل او الوثائق الاقتصادية، على أن مكان حفظها لم يكن بالتأكيد في المكتبة الملكية بل في اماكن خاصة غيرها. ويبدو ان الالتباس في نسبة جميع الرقم المكتشفة في اواسط القرن الماضي في نينوى الى المكتبة الملكية ناتج عن عدم دقة التنقيبات التي أجريت آنذاك التي لم تهتم كثيراً في تثبيت معاثر الألواح الطينية في نينوى مما دفع المنقبين الأوائل الى عدّها كلها ضمن مجموعة واحدة، وتشير بعض النصوص المسمارية الى ان أصول المكتبات الملكية يرجع الى عهد تجلا تبليزر الأول (القرن الثاني عشر ق. م) الذي أسس مكتبة في معبد آشور، وعلى كل حال، فقد نقلت جميع تلك الرقم الى المتحف البريطاني في لندن وتعد الآن من أهم مايمتلكه المتحف المذكور من آثار، وقد قام العالم الألماني كارل بتزولد Carl Bezold بفهرسة هذه الرقم بخمسة مجلدات ضخمة في الفترة ١٨٨٩ – ١٨٩٩[٣٤] ، وأعقبه كنج L. W. King بأن اصدر ملحقا عام ١٩١٤. وحسب هذه الفهارس فقد بلغ عدد الرقم والكسر المسجلة اكثر من ٢٥ الف رقيم، اضافة الى عدد كبير من الكسر الصغيرة التي لم تفهرس أصلا. الاّ ان الدراسات التفصيلية لمحتويات الرقم أثبتت أن بعضها يمثل





اجزاء من نصوص معينة وان بعضها يكمل بعضها الآخر، لذا فانها تمثل بمجموعها حوالي خمس آلاف نص. ومن هذه النصوص ماهو نسخ مكررة قام باستنساخها الكتبة لأغراض التدريب والدراسة، وبذلك فان عدد النصوص المستقلة من حيث المواضيع يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ نصاً(٣٥).

وتوضح بعض النصوص المسمارية المكتشفة مدى اهتمام الملك الآشوري آشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٦ ق. م) بجمع النصوص وضمها الى مكتبته الملكية التي وجدت في بعض اجنحة قصره وقصر والده في تل قوينجق مما يدفع الى الظن بأن آشور بانيبال كان مثقفا ثقافة عالية ومحبا للعلم شغوفا بجمع النصوص خاصة وانه كان قد تدرب وتعلّم على مختلف العلوم والفنون منذ ان كان وليا للعهد في قصر ولاية العهد الذي تم اكتشاف بقاياه في مدينة تربيص الآشورية على مقربة من مدينة نينوى(٣٦). وهكذا نجد آشور بانيبال يتحدث عن نفسه في أحد النصوص قائلا:

"استقيت المعارف الخاصة بالكتبة وحذقت آيات السماء والأرض.... ودرست ظواهر السماء، وتمكنت من حل قضايا صعبة في القسمة والضرب واتقنت فن الكتابة السومرية والكتابة الأكدية الصعبة جداً، وكنت أحب أن أقرأ الأحجار والانصاب المكتوبة من أزمان ماقبل الطوفان..."(٣٧) وتأكيدا لوصوله الى هذا المستوى العالي من العلم والمعرفة، فقد عمد الى جمع النصوص القديمة واستنساخها وحفظها في مكتبته الخاصة لقراءاته الملكية، وهكذا نقرأ في تذييلات بعض الرقم الطينية، (والتذييل في النصوص المسمارية Colophone يمثل العبارات التي تذكر في نهاية النص والتي تذكر تفاصيل معينة عن الرقيم وأحيانا تسلسل الرقيم بين الرقم الأخرى والسطر الأول من الرقيم التالي)، مايؤكد ذلك:

"آشور بانيبال، الملك العظيم، الملك القوي، ملك الجميع، ملك بلاد آشور، ابن أسرحدون، ملك بلاد آشور (الذي كان) ابن سنحاريب، ملك بلاد آشور ايضا. كتبت هذا الرقيم في مجلس المتخصصين استنادا الى كلمات الرقم وألواح الكتابة (التي ترق) أصولها الى بلاد آشور وبلاد سومر وأكد [اي بلاد بابل]. لقد دققتها وقابلتها ووضعتها داخل قصري لمطالعاتي الملكية. وكل من يمحو أسمي ويكتب اسمه، عسى نابو، كاتب الكون، ان يمحو اسمه"(٣٨).

وبعث آشور بانيبال برسائله الى موظفيه وتابعيه بأن يجمعوا له النصوص المهمة والمفيدة او يستنسخوها، وهناك رسالة وان كانت لاتحمل اسم مرسلها، كما هي العادة في مثل هذه الرسائل، الاّ أن ذكر بلاد آشور وطبيعة مضمون الرسالة يشيران دون شك الى ان مرسلها كان آشور بانيبال. وتقرأ في الرسالة:

"أمر ملكي الى كود ورانو، عسى ان تكون بخير وعسى ان يكون قلبك فرحا.

في يوم قراءتك رسالتي، استصحب معك [وهناك اسماء عدة أشخاص وكذلك المثقفين في بورسبا، وهي مدينة قرب بابل] وفتش عن جميع الرقم المحفوظة في بيوتهم والرقم المودعة في معبد ايزيدا". وتستمر الرسالة لتحدد أسماء بعض النصوص والمسلسلات التي يريدها الملك بشكل خاص، ثم يقول:

"ابحثوا وارسلوا الي الرقم النادرة التي تعرفونها والتي تفتقدها بلاد آشور... وسوف لن يمنع احد عنكم النصوص. واذا كان هناك اي رقيم خاص بالطقوس لم اذكره لكم ووجدتموه جيدا لقصري، فاحصلوا عليه وارسلوه اليَّ".

ويشير البروفسور ساكز(٣٩) الى ان عناوين النصوص والمسلسلات التي طلب آشور بانيبال

جمعها او استنساخها تدل على ان معظمها كانت نصوص فأل او خاصة بالطقوس الدينية والتعاويذ والصلوات، وان لذلك علاقة وثقى بالدوافع الدينية الكامنة التي دفعت آشور بانيبال الى جمع تلك النصوص وتاسيس المكتبة أصلا، وذلك لكي يتمكن من الاستفادة منها في قراءة الطالع ومعرفة ماقد يحدث له او لمملكته من أخطار في المستقبل، من خلال نصوص الفأل والتنجيم مما يدعو الى اتخاذ التدابير اللازمة لدرء الأخطار باجراء الطقوس الدينية وقراءة التعاويذ اللازمة. وفضلا عن ذلك فان حفظ مثل هذه النصوص والمحافظة على نصوصها الدقيقة كان بحد ذاته يعد من الواجبات الدينية، ولهذا يلاحظ التأكيد على ان النص المدون هو نسخة طبق الأصل عن النص الأصلي دون اي تغيير،وهذا مانجده في تذييل عدد كبير من النصوص "كتب ودقق استنادا الى كلمات الرقيم، الأصل في كوثا". ومهما كانت الدوافع الكامنة وراء جمع واستنساخ الرقم الموزعة في بلاد بابل وآشور، فان آشور بانيبال لم يتوانَ عن ذلك وأرسل رسائله وموظفيه الى مختلف انحاء مملكته بجمع واستنساخ النصوص، وهكذا نجد أحد كتبته يبعث اليه برسالة يقول فيها: "سنسير على تعليماتكم الموجهة الينا بخصوص جمع الرقم المدونة باللغة السومرية" وفي أخرى يقول الكاتب "سوف أجلب الرقيم الطيني الخاص بالملك حمورابي" في حين يقول الملك في رسالة أخرى موجها: "اجلب الرقيم الذي فيه تعليمات رسمية من ملك بابل الى مدينة بورسبا". وكل هذه الرسائل مضافا اليها ماورد في تذييلات النصوص، كالتذييل المذكور آنفا، تؤكد ان غالبية نصوص مكتبة آشور بانيبال كانت قد استنسخت من اجله او انها جمعت من المكتبات في القصور والمعابد الأخرى.

لم تكن التنقيبات التي قام بها المنقبون الأوائل في القرن الماضي، ومنها تلك التي قام بها ليرد ورسام وغيره في تل قوينجق في نينوى، تتبع الأساليب العلمية الدقيقة التي تطورت اليها في القرن الحالي فتسجل معاثر اللقى الأثرية من رقم طينية وغيرها، بشكل دقيق وترسم مخططات الأبنية والى غير ذلك، وهكذا ضاع علينا الكثير من الأمور التي كنا نود معرفتها عن معاثر الرقم الطينية الكثيرة التي ضمتها مجموعة مكتبة آشور بانيبال وأسلوب تنظيم وحفظ الرقم الذي وجدت عليه والى غير ذلك من المعلومات التي قد تلقي الضوء على طبيعة هذه المكتبة الرائعة. ومع ذلك فانه من الممكن اعطاء فكرة عامة عن طبيعة مكتبة آشور بانيبال وأسلوب تنظيمها وغيرها من المكتبات الآشورية قياسا على ماهو معروف عن مكتبات أخرى وجدت في المدن العراقية القديمة، آشورية وبابلية، واستنادا الى بعض الاشارات الواردة في النصوص المسمارية.

فمن المؤكد ان مجموعة الرقم الطينية التي ضمتها مكتبة آشور بانيبال كانت محفوظة في أحد اجنحة القصر الملكي الآشوري الذي اتخذ مكانا للمكتبة طالما ان آشور بانيبال نفسه ادعى بأنه اراد جمع الرقم لحفظها في قصره، حيث جاء في تذييلات بعض الرقم العبارة: "لقد دققتها (يقصد الرقم) وقابلتها ووضعتها داخل قصري لمطالعاتي الملكية[٤٠]"، وكان بالقرب من المكتبة الملكية مكتبة معبد الآله نابو، اله الكتابة، التي ضمتها احدى غرف المعبد، وربما كانت المكتبة الملكية مزينة بعدد من التماثيل[٤١]. ولأهمية النصوص التي كانت تحفظ في المكتبة، لابد ان كان المسؤول عنها من كبار الموظفين. كما كان جزءا مهما من واجبات الكاتب يتمثل في العبارة الأكدية التي يمكن ترجمتها كالآتي:

"الدخول وأخذ الرقم وخزنها باستمرار في المكتبة"[٤٢] ولايعرف فيما اذا كانت البناية او القاعة المخصصة لحفظ الرقم الطينية تختلف في





تصميمها عن غيرها من البنايات او القاعات ام انها كانت مشابهة لها ، ويبدو انها لم تكن تختلف في التصميم عن غيرها كثيرا،لذلك لم يتمكن المنقبون من تمييزها من بين اجنحة المعابد والقصور المكتشفة الاّ من خلال العثور على مجموعات كبيرة من الرقم الطينية التي لاتحفظ عادة الاّ في المكتبات.

وحيث انه كان من سلبيات استخدام الطين مادة للكتابة عليها صعوبة استخدام الواح من الطين كبيرة الحجم خشية تحطمها في اثناء الكتابة والنقل وتشققها بعد الجفاف وصعوبة الكتابة عليها أصلا ، لذلك كانت اكبر الرقم المكتشفة حجما لاتتجاوز مساحة احد اوجهها ٥٠×٥٠ سم ، وهكذا كانت المساحة المتيسرة للكتابة على وجه الرقيم محدودة ، مما دفع الكتبة الى الكتابة على الوجه الثاني واحيانا على حافات الرقيم ايضا . ومع ذلك كانت المساحة لاتتسع لكتابة نصوص طويلة فاضطر الكتبة الى الاختصار والاختزال والى استخدام أقلام دقيقة لطبع العلامات ليتسنى لهم كتابة اكبر عدد ممكن من العلامات في المساحة المتيسرة حتى ان بعض الرقم ضمّت بعض الأسطر التي تصعب رؤيتها لأنها كتبت بشكل دقيق جداً [٤٣]

وفي احيان أخرى عمد الكتبة الى استخدام اشكال مختلفة من الرقم على هيئة اسطوانات او مكعبات او مجسمات هندسية أخرى لزيادة مساحة الأوجه المعدة للكتابة ولزيادة تماسك الرقيم خاصة وان مثل هذه الرقم كانت تفخر بالنار قبل حفظها في أسس الأبنية كما سبق أن ألمحنا الى ذلك . اما في حالات النصوص الطويلة الأخرى التي كانت معدة للحفظ في المكتبات ، كالأساطير والقصص الدينية والملاحم وبعض مسلسلات نصوص الفأل او التعاويذ وغيرها ، فقد كان على الكاتب ان يستخدم اكثر من رقيم واحد لتدوينها وان يبتدع وسائل مختلفة لبيان تسلسل تلك الرقم وعائديتها الى مجموعة واحدة ، فابتدع طريقة ذكر السطر الأول من الرقيم التالي ، مثلا في نهاية الرقيم الأول اي في التذييل Colophone ودون السطر الأول من الرقيم الثالث في نهاية الرقيم الثاني وهكذا [٤٤] ، اي تماما كما كانت الطريقة المتبعة في العصور العربية الاسلامية ، عند الاشارة في نهاية كل صفحة من صفحات القرآن الكريم ، كما ابتدع الآشوريون طريقة أخرى لتدوين النصوص الطويلة وذلك بأن استخدموا ، ولو كان ذلك في حالات قليلة ، الواحا مستطيلة من العاج مكسوة بطبقة من الشمع وربطوا بين تلك الألواح بأحزمة من الجلد او المعدن ، فكانت بذلك أشبه ماتكون بصفحات الكتاب . كما كانت وسائل حفظ الرقم توضح هي الأخرى عائدية عدد من الرقم الطينية الى مجموعة واحدة.

يبدو ان الرقم كانت تحفظ عادة في سلال مصنوعة من القصب ، ومطلية بالطين أحيانا ، او في صناديق من الخشب او الفخار او في جرار من الفخار. وكانت العادة ان يوضع الى جانب الرقم المحفوظة في السلة او الجرة ، بطاقة تعريفية تشير الى المحتويات . وقد وجدت بعض نماذج السلال في كل من تل قوينجق وتل حرمل قرب بغداد . ويبدو ان هذا النوع من السلال كان يستخدم ايضا لنقل الرقم الطينية من مكان الى آخر ولمسافات بعيدة[٤٥] ، وربما كان يوضع مع الرقم كمية من القش او التبن للمحافظة على الرقم من التحطّم ، اما في كيش فقد عثر على مجموعة من الجرار الفخارية محطمة وكانت مرتبة حول جدران بعض الغرف وفي داخل بعضها مجاميع من رقم الطين مصّنفة حسب المحتويات،ومن هنا جاء اسم مخزن حفظ الرقم (جرّة رقم). واسم الموظف المسؤول عنها (ابن جرة الرقم)[٤٦] . اما الصناديق فكان لها اغطية وكان يكتب عليها محتويات الصندوق من الرقم ، وكانت مثل هذه الصناديق في عهدة

شخص يدعى (مدير صندوق الرقم). كما كانت بعض الرقم تودع في كوّة في جدران الغرفة من الداخل وقد أمكن الكشف عن مثل هذه الكوات في بيت الكاهن في آشور. وطبيعي كانت السلال والصناديق والجرار معدة لحفظ اعداد محدودة من الرقم وكانت تودع عادة في بناية خاصة تسمى (بيت الرقم) بيت طپّي bît ṭuppi ، وهو الاسم الذي اطلق ايضا على المدرسة. وكانت بعض الرقم الخاصة ايضا تحفظ في ارشيفات مرتبطة بالمعبد او القصر، وفي فترة الاحتلال الاجنبي كان هناك بعض البيوت التي اختصت بحفظ الوثائق الاقتصادية وكانت تسمى (بيوت الوثائق) وكان لكل منها (أمين الوثائق)[٤٧] ، كما كانت بعض الرقم تحفظ في البيوت السكنية الخاصة كبيوت الكتبة والكهنة وبعض التجار.

وكانت السلال والجرار او الصناديق التي تحوى الرقم، وغالبا ماكانت تحمل بطاقات تعريفية، توضع على رفوف من الطين او الخشب على جدران الغرفة كما كانت عليه الحال في مكتبات المعبد المكتشفة في كل من نفر وكيش. وكانت بعض الغرف تخصص لأنواع معينة من النصوص، كالنصوص القواعدية اواللغوية اوالدينية، ولم يكن يوضع في الجرة سوى صنف واحد من النصوص ولابد ان كان هذا النظام هو الشائع في بقية المكتبات، كما كان الكتبة ينظمون نوعا من الفهارس كالتي وجدت في آشور، حيث عثر على فهرس بنصوص التراتيل وآخر بنصوص التنجيم، كما كانت توضح بطاقات، وهي رقم صغيرة، توضح عائدية الرقم، كما وجد ذلك في ماري[٤٨] .

ولم تكن استعارة الرقم من المكتبات غير معروفة بل كانت مألوفة عند العراقيين القدماء، وهناك اشارات عدة في النصوص الى ان المستعير كان يترك رقيما صغيرا يذكر اسم النص المستعار واسم الشخص الذي استعاره او تكتب ملحوظة مع الرقيم نفسه.

تمت استعارة الرقيم من قبل الشخص الفلاني. وقد عثر على رقيم في مدينة الوركاء يحمل الملاحظة انه من عهد سرجون الآشوري وانه نسخة لنص معار من القصر الآشوري، وبالتأكيد اعيدت النسخة الأصلية الى القصر في حين كان هناك رقيم، ورقيم آخر كان نبوبلاسر، ملك بلاد بابل (٦٢٦-٦٠٤ ق. م) قد استعاره لكنه لم يعده الى مكانه الأصلي في الوركاء وبطريقة ما، ربماأثناء الغزو الأخميني لبلاد بابل،انتقل الرقيم الى بلاد عيلام عندما وجده أحد كهنة الوركاء وتعرّف عليه فعاد به الى الوركاء وذلك في فترة الاحتلال السلوقي لبلاد بابل (٣١١-٢٨١ق. م). اما آشور بانيبال نفسه، فكما سبق أن أشرنا، لم يتردد أن يستعير أو أن يستولي على العديد من الرقم الطينية التي كانت محفوظة في مكتبات المعابد والقصور في ارجاء المملكة، كما انه حصل على بعض الرقم التي كانت مملوكة من أشخاص اعتياديين، كما تشير اسماؤهم المذيلة بها واستنسخ مايمكن استنساخه في حالة عدم تمكنه من الحصول على الرقيم الأصلي، وبهذه الطريقة تمكن من بناء مكتبة ضمت الآلاف من النصوص المهمة وذات المواضيع المختلفة[٤٩] .

وتبدو أهمية بعض الرقم والنصوص من الملاحظات المدونة عليها التي تحذر كل من يحاول استعارة الرقيم عن قصد ثم لايعيده الى مكانه اوانه يعمل على تحوير اواتلاف او محو ماهو مدون عليه او وضع اسمه بدلا من اسم صاحب الرقيم الأصلي، وذلك بانزال لعنات الآلهة عليه. في حين أنّ هناك دعاء بالخير والرفاهية لكل (كاتب لايغير، او ربما لايمحو النص، ولكنه يعيده الى مكانه في المكتبة) وقد تضم بعض النصوص رجاءا بعدم أخذ النص والاحتفاظ به.

### محتويات النصوص المسمارية الآشورية :

ان دراسة اقدم النصوص المسمارية المكتشفة والمفهومة اللغة وتحليلها تشير الى ان الدوافع





الأساسية التي حفزت العراقيين القدماء لابتداع وسيلة للتدوين لم تكن ، كما قد يتبادر الى الذهن ، لتدوين الأحداث والاخبار اوتدوين الصلوات والأدعية والتراتيل او لارسال الرسائل وتحرير العقود ، بل كانت دوافع اقتصادية بحتة تلبي حاجات المعبد والقصـ من خلال تسجيل مايدخل وما يخرج من مخازنها وعـ[illegible]ا الكثيرة من مواد . لذا كانت أقدم الألواح عبارة عن ألواح صغيرة من الطين عليها رسوم مواد مختلفة والى جانب كل رسم اشارات بسيطة على شكل دوائر اوخطوط تمثل ارقاما . وقد تم العثور على هذه الألواح في مراكز دينية مما يشير الى انها كانت خاصة بممتلكات المعبد في حين كشف عن بعضها الآخر في مقرات الحكام . وبمرور الوقت وشيوع استخدام الكتابة ، بدأ التدوين يشمل الى جانب ذلك امورا تعليمية ودينية وادارية وغيرها . وفي الألف الثاني قبل الميلاد ، اصبحت الكتابة وسيلة لتدوين جميع العلوم والمعارف وغدت تستخدم لتدوين المعلومات بهدف استخدامها في المستقبل وايصالها الى الآخرين باسلوب جيد، كما استخدمت الكتابة للأمور الدينية بشكل واسع . ومع تنوع مضامين النصوص المسمارية المكتشفة فأنه يمكن تمييز صنفين من النصوص يختلفان من حيث اسلوب وهدف الكتابة ، فهناك عدد كبير من النصوص التي تمثل التقاليد الموروثة ، وهي النصوص التي ظلت محفوظة بكل عناية عن طريق الاستنساخ والتقليد الدقيق لأجيال كثيرة متعاقبة ، وأما الصنف الثاني من النصوص فيمثل تلك النصوص التي تعكس نشاط الحياة اليومية في كل من بلاد بابل وآشور[٥٠] . وقد زاد في عدد النصوص من الصنف الأول وزاد من عدد النسخ المتوافرة من النص الواحد هو الأسلوب الذي سار عليه الكتبة في تدريب المتعلمين من الكتبة على الاستنساخ الكامل لنصوص قديمة ، وكذلك الرغبة في تكوين مكتبات خاصة وضرورة استنساخ النصوص القديمة بكل دقة لحفظها في تلك المكتبات ، كما فعل آشور بانيبال عند تكوينه مكتبته الشهيرة . وقد أفادت هذه الممارسات الباحثين في الوقت الحاضر، حيث تم العثور على نسخ متعددة لنص واحد في اماكن مختلفة فأمكن اكمال النواقص الموجودة في بعض هذه النسخ من النسخ الأخرى كما ان الدقة في الاستنساخ حفظت لنا النصوص بشكلها الأصلي الى درجة كبيرة دون أن تتأثر بتغير الأساليب اللغوية بالنسبة الى مكان وزمان الاستنساخ .

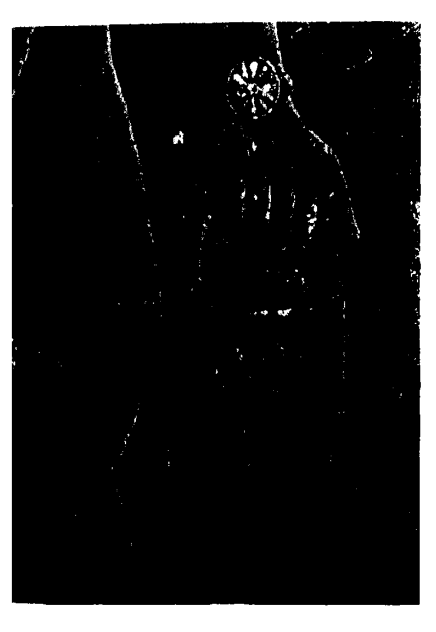
وقد ضمت الآثار الآشورية مختلف انواع النصوص التي كانت موجودة في بلاد بابل مضافا اليها بعض النصوص التي ظهرت لأول مرة في بلاد آشور، كالكتابات الملكية وقوائم الليمو الآشورية[٥١] . وفيما يأتي استعراض سريع لأهم مجاميع النصوص المسمارية الآشورية المكتشفة مصنفة حسب محتوياتها ومبتدئين بالنصوص التي اختصت بها بلاد آشور:

### النصوص الملكية الآشورية :

تعد النصوص الملكية الآشورية من أهم النصوص التي تطورت في العصور الآشورية ، وكانت بدايات هذا النوع من النصوص الملكية منذ العصور السومرية الاولى ، حيث كان الملوك يدونون بعض نصوص التكريس عندما يكرسون شيئا قدم الى الآلهة او تم القيام به من أجلها ، وقد تكون هذه النصوص بسيطة وموجزة وقد تكون معقدة ، وكانت تضم اسم الملك وألقابه وما قدّمه للآلهة سواء أكان شيئا ماديا او عملا معينا . وبمرور الوقت تطور هذا النوع من النصوص،وأصبح يضم اسم الملك وألقابه وعلاقته الخاصة بالآلهة وذكر للأحداث التي تحدد

الزمن وأخيرا سرد لاعمال الطقوس التي قام بها الملك ، وهي عملية بناء معبد او ترميمه غالبا. أما في بلاد آشور، فيبدو ان الملوك الآشوريين وجدوا انه من المناسب ذكر الحملات العسكرية التي قام بها الملك بعد ان يذكر اسم الملك وألقابه ، وتذكر تفاصيل تلك الحملات وقد بدأ ذلك منذ حوالي عام ١٣٠٠ ق. م. وأصبح هذا النوع من النصوص يضم جميع الأعمال العسكرية اما حسب الأقاليم او حسب تسلسل السنين. وكان أول من اتبع الأسلوب الثاني الذي يمكن تسميته بأسلوب الحوليات هو تجلا تبليزر الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق. م). ومن الجدير بالاشارة ان هذا النوع من النصوص لم يكن يدون من أجل ان يقرأه البشر طالما كانت النصوص تدون على اسطوانات ومناشير فخارية وتدفن في زوايا وأسس البناء الذي يقوم الملك ببنائه او ترميمه كما كان هذا النوع من النصوص يضم ايضا فقرة خاصة موجهة الى الأمراء والملوك الذين سيأتون الى الحكم ويعيدون بناء او ترميم البناء والطلب اليهم باعادة النص المدفون الى مكانه وفق طقوس دينية خاصة وعدم التلاعب بما يضمه من معلومات.

ومع ذلك لم تكن جميع النصوص الملكية مدفونة في الأسس ومخفية عن الأنظار بل كان بعضها مدونا على المنحوتات التي كانت تغلف جدران القصور من الداخل او على الثيران والأسود المجنحة التي كانت تحمي مداخل القصور والقاعات او على النصب التذكارية التي كان يقيمها الملوك في الأماكن التي يصلون اليها تخليدا لذكرى انتصاراتهم ، ولم يكن النوع الأخير من النصوص نصوصا مطولة. ويبدو ان الهدف من هذا النوع من النصوص الملكية هو أن يقرأها الناس جميعا وان كان هناك قلّة من الناس من يعرف القراءة والكتابة ولاسيما بالنسبة الى النصب التذكارية التي كانت تقام عادة في مناطق بعيدة حيث لايعرف معظم السكان الكتابة باللغة الأكدية.



نصوص ملكية على منحوتات جدارية

### قوائم الليمو:

وهناك نوع ثان من النصوص ذات الأهمية التاريخية التي ظهرت وتطورت في بلاد آشور وتعرف باسم قوائم الليمو Limu Lists وكان مصطلح ليمو يطلق عادة على بعض الطقوس الدينية الخاصة بالدولة ، وذلك في مدينة آشور. وكان الملك وكبار موظفيه يشغلون هذه الوظيفة بالتتابع حيث كان يشغلها كل منهم سنة كاملة وكان الملك يشغلها في السنة الاولى من حكمه، اما الآخرون فكانوا يشغلون الوظيفة بالتتابع ويحدد الشخص الذي يشغلها كل سنة اما بالقرعة او حسب الأسبقية الوظيفية. وكانت السنة تعرف رسميا باسم الشخص الذي





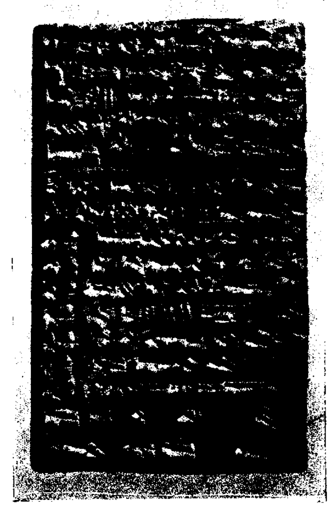
يشغل الوظيفة، وبذلك أمكن تثبيت تسلسل السنين وإيجاد طريقة جديدة لتاريخ السنين بدلا من تاريخها بواسطة أهم الأحداث وهي الطريقة التي كانت شائعة منذ أقدم العصور، او حسب تسلسل سنوات حكم الملوك، وهي الطريقة التي استخدمها الملوك الكشيون. وبموجب هذه الطريقة كان اسم الليمو يذكر، وأحيانا يذكر اسم المقاطعة التي يحكم فيها، والى جانبها بعض الأحداث المهمة التي وقعت في سنة اشغاله وظيفة الليمو، وكما في المثال التالي الذي يرق بتاريخه الى عهد تجلا تبليزر:

في لمو نرجال – ناصر في نصيبين
ثورة في كلخو
في لمو نابو – بيل – اوصرفي اليوم الثالث عشر من شهرآيار،
اعتلى تجلا تبليزر العرش
وفي
تشرين ذهب الى مابين النهرين
في لموبيل – دان في كلخوالى نامرى في ارباد
في لمو تجلا تبليزر ملك قهر أورارتو
بلاد آشور
في لمونابو – دانيناني، الى ارباد
التورتان

ومن حسن حظ الباحثين في التاريخ القديم ان قوائم الليمو المختلفة قدّمت لنا اسماء ٢٦٤ لمو متسلسلة أي انها عرفتنا بتسلسل ٢٦٤ سنة من التاريخ الآشوري. وفي احدى السنوات ذكر الى جانب اسم الليمو انه حدث في شهر حزيران من تلك السنة كسوف في الشمس، وبمساعدة الفلكيين امكن تحديد وقت كسوف الشمس المذكور بالنسبة الى الوقت الحاضر، وتبين أنه قد حدث في حزيران من عام ٧٦٣ ق. م. وبذلك تم تثبيت تسلسل السنوات المذكورة في قوائم الليمو استنادا الى هذه النقطة الثابتة التي حددها الفلكيون، وهذا يعنى انه أمكن ايجاد نقطة ثابتة في التاريخ القديم احتسب استنادا اليها تاريخ الملوك الذين حكموا قبلها وبعدها بصورة دقيقة وتثبيت ذلك بالنسبة لوقتنا الحاضر(٥٢).

**الرسائل:**

ان الرسائل من النصوص المهمة المكتشفة في بلاد بابل وآشور طالما انها تعكس لنا وبشكل صادق العلاقات التي كانت تربط الأفراد بعضهم



ببعض وأسلوب تعاملهم وتخاطبهم والأمور التي كانت تشغل بالهم في حين تعكس لنا رسائل أخرى العلاقات الرسمية التي كانت قائمة بين الملك وموظفيه اي ان الرسائل بمجموعها كانت على نوعين رسائل شخصية وأخرى رسمية. ومع انه تم الكشف عن اعداد كبيرة من الرسائل الشخصية في بلاد بابل فان عدد ماوصل الينا من هذا النوع من الرسائل من بلاد آشور قليل نسبيا. ومن هذه الرسائل مجموعة اكتشفت في اقليم كبدوكيا في آسيا الصغرى تعود الى العصر الآشوري القديم، وهي خاصة بالتجار الآشوريين الذين كانوا يقيمون في





اقليم كبدوكيا (في قانش وغيرها من المراكز التجارية) ويراسلون زملائهم التجار في بلاد آشور، كما ان هناك بعض الرسائل الشخصية من العصر الآشوري الوسيط (من اواخر الألف الثاني قبل الميلاد) وأخرى من العصر الآشوري الحديث. اما النوع الثاني من الرسائل، وهي الرسائل الرسمية، فقد تم الكشف عن بعضها في العواصم الآشورية آشور ونينوى وكلخو، وتجاوز عددها الألفين وترقى غالبيتها بتاريخها الى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. وطبيعي ان اكثر الرسائل المكتشفة في عاصمة الدولة تمثل الرسائل التي ارسلها مختلف الموظفين والتابعين الى البلاط الملكي واذا ماوجدت بعض الرسائل التي ارسلها الملك الى الموظفين فلابد أنها تمثل نسخا ثانية اعدت للحفظ او ان الموظف الذي ارسلت اليه قد جاء بها الى العاصمة لسبب ما اوانها كتبت ولم ترسل. وتضم الرسائل المرسلة الى الملك بصورة عامة نوعين من الرسائل، يمثل النوع الأول الرسائل التي كان يبعثها الكهنة المتخصصون الى الملك جوابا على بعض الاستفسارات الخاصة بقراءة الطالع بشأن قيام الملك بعمل ما، كالقيام ببناء معبد او ترميمه اوالقيام بحملة عسكرية او تعيين موظف كبير او اشعار الملك بوجود بعض علامات نذر معينة والى غير ذلك في حين يضم النوع الثاني الرسائل التي كان يبعث بها الحكام والموظفون المختلفون الى الملك بشأن مختلف القضايا الادارية والعسكرية والتقارير الخاصة بمنطقة الحاكم.

**الوثائق اليومية:**

من المعروف ان العراقيين القدماء لم يعترفوا بشرعية المعاملات ولاسيا تلك الخاصة بالأموال غير المنقولة والأحوال الشخصية، مالم تكن مدّونة ومشهداً عليها، كما ان اي تغيير في نص الوثيقة المحررة بدون موافقة الأطراف المعنية كان يعد من الجرائم المعاقب عليها. وكان من نتائج ذلك ان تم العثور على اعداد كبيرة جدا من الوثائق المختلفة التي يمكن وضعها تحت اسم الوثائق اليومية، وان كان معظمها ذا علاقة بالحياة الاقتصادية. ومن هذه الوثائق العقود على اختلافها، فمنها العقود التجارية وعقود الأحوال الشخصية والعقود الزراعية وغيرها.



ومنعا للتزوير، فقد عمد العراقيون القدماء الى وضع علامات خاصة على العقد تؤيد اعتراف الأطراف المتعاقدة كان يطبع على العقد ختم او أختام الأطراف المتعاقدة، وفي العهد الآشوري تظهر طبعة اظفار الطرف الثاني في العقود والى جانب الطبعة يذكر بأنها طبعة أظفر الشخص الفلاني او طبعة الخاتم او طرف ردائه. وفي بعض الاحيان كان العقد يوضع داخل غلاف من الطين ثم تعاد كتابة مضمون العقد على الغلاف ولا يسمح باخراج العقد من الغلاف الاّ امام القضاة في حالة نشوب اي خلاف حول المضمون (٥٣).





**القوانين**[٥٤] :

على الرغم من أهمية القوانين العراقية القديمة وفي مقدمتها قانون حمورابي الشهير فان الحفريات التي تمت في بلاد آشور لم تكشف لنا الاّ على نماذج قليلة وتالفة من القوانين الآشورية. وقد يكون من أسباب هذه الندرة في القوانين الآشورية عدم اهتمام الملوك الآشوريين أنفسهم بهذا النوع من النصوص في حين كان اهتمامهم كبيرا بتدوين النشاطات العسكرية والعمرانية كبيرا ، وقد يكون السبب ان التنقيبات لم تتناول بعد أماكن وجود القوانين الآشورية. ومهما كانت أسباب النقص في هذا النوع من النصوص فقد أمكن التعرف على بعض الالواح الطينية التي تمثل مواد قانونية من العهد الآشوري القديم وأخرى من العهد الآشوري الوسيط . فأما المجموعة الاولى فتضم ثلاثة ألواح في حالة رديئة جدا لايمكن معها قراءة محتواها بصورة دقيقة،وجل مايمكن معرفته عنها انها تحمل موادا قانونية تخص تنظيم المحاكم وأصول المرافعات ، ولاسيا تلك الخاصة بالتجارة حيث عثر على هذه المجموعة من الألواح في اقليم كبدوكيا في آسيا الصغرى حيث كانت تنتشر هناك بعض المراكز التجارية الآشورية . في حين تضم المجموعة الثانية عدداً من الألواح التي تضمنت مواد قانونية ترقى بتاريخها الى العصر الآشوري الوسيط . ومما يؤسف له ان غالبية هذه الالواح في حالة رديئة ايضا باستثناء لوحين فقط . وتشير الدراسات التي أجريت على هذه الألواح الى انها لم يكتبها شخص واحد كما انها لم تكتب في فترة زمنية واحدة وان اللوحين اللذين يمكن قراءتها يعودان الى فترة أحدث من فترة كتابة الألواح الأخرى ولايمكن التعرف على من قام بكتابة هذه الألواح او قام باستنساخها ولكن يمكن القول بأنها لم تكن صادرة عن الدولة او انها تمثل القوانين الرسمية السائدة وربما كانت عبارة عن مجموعة من السوابق القضائية ومقتطفات من القوانين مع بعض التعديلات، وبعض التفسيرات القانونية والتغيرات التي طرأت على القواعد القانونية وضعها بعض المهتمين بالقانون من رجال القضاء او غيرهم[٥٥] .

**نصوص التنجيم والتنبؤ:**

من النصوص الأخرى التي تطورت في بلاد آشور في الألف الأول قبل الميلاد نصوص يمكن ان نسميها بنصوص التنجيم ونصوص التنبؤ. وكان التنجيم،وهو نوع من العرافة ، يعتمد بالدرجة الاولى على مراقبة الشمس والقمر والنجوم سواء من حيث مواقعها او اشكالها او الوانها لاستنباط الفأل من كل ظاهرة،وكان الغرض من ذلك التنبؤ بالمستقبل على الصعيد الرسمي للملك وللدولة ، وقلما يستخدم على الصعيد الشعبي للأفراد. وكان التنجيم معروفا في بلاد بابل ايضا في فترة سابقة ، الاّ انه لم يأخذ شكله النهائي الذي نجده في بلاد آشور. وكان هناك عدد من الكهنة المتخصصين الذين يقومون بمراقبة النجوم والكواكب وتفسير ظواهرها ، وقد دونوا لنا تلك الظواهر وتفسيراتها في نصوص خاصة .

اما نصوص التنبؤ فهي قريبة من حيث الغرض الذي وجدت من أجله من نصوص التنجيم ، الاّ انها لاتعتمد على مراقبة الأجرام السماوية ، بل انها عبارة عن تنبؤات بعض الأشخاص ، وغالبا من النساء ، حول مستقبل الملك والدولة[٥٦] وقد ظنوا بأن تلك التنبؤات موحىً بها اليهم من قبل الآلهة كرسائل موجهة الى الملك من خلالهم لاتخاذ الاحتياطات اللازمة بشأن ماقد يتنبأ الشخص بحدوثه في المستقبل.

اما الصنف الثاني من النصوص المسمارية الآشورية ، فتؤلف غالبية النصوص الأخرى التي لاتشملها المجموعات المذكورة آنفا ، فهي النصوص المقتبسة أو المستنسخة بصورة مباشرة من بلاد بابل ،وأوضح مثال على هذا الصنف من





النصوص ماتم الكشف عنه من نصوص في مدينة نينوى تعود الى مكتبة ملكية خاصة بالملك الآشوري آشور بانيبال ، فضلا عن بعض المجموعات الصغيرة الأخرى من النصوص المكتشفة في آشور وكلخو وسلطان تبة (جنوبي شرق تركيا) والتي تعود الى مكتبات صغيرة. وقد ضم هذا الصنف من النصوص مواضيع مختلفة يمكن تصنيف أهمها كما يأتي :

**نصوص الفأل :**

تمثل نصوص الفأل اكبر مجموعة من النصوص المكتشفة في مكتبة آشور بانيبال ، حيث قدّر ان عددها بحوالي ربع نصوص المكتبة او يزيد. وتشير دراسة وتحليل ماورد في هذه النصوص الى ان الاعتقاد الذي كان سائدا عند العراقيين القدماء ، بابليين واشوريين ، ان الآلهة وان كانت قراراتها حتمية الاّ انها تركت للانسان بعض الدلائل التي تمكنه من التعرف على مشيئة الآلهة التي تصور القوم وجودها وسيطرتها على مستقبل الانسان. كما ظنوا ان



نموذج لكبد حيوان وعليه علامات خاصة لقراءة الفأل

نوايا تلك الآلهة ومشيئتها كانت تنعكس بشكل وقائع او احداث مهمة او بسيطة ، لذا فانهم ربط بين الظواهر والحوادث الكونية او الطبيعية ،وبين ما يقع بعدها مباشرة ، اي انهم لاحظوا تتابع الأحداث واعتبروا الظاهرة اوالحدث علّة لما يتبع من أحداث،كما تصوروا ان النتيجة ذاتها تتكرر اذا ماتكررت الظاهرة او الحدث مرة أخرى. وتلبية لمتطلبات هذا التصور نظّم العرّافون قوائم مطولة بالأحداث الاعتيادية وغير المباشرة بحركة النجوم والكواكب وما قد يظهر عليها من مظاهر والى جانب كل حركة او ظاهرة النتائج التي تنبؤا بحدوثها بالنسبة للملك والدولة ، في حين رصدوا حركة بعض الحيوانات او ظهورها ، كحركة النمل والكلاب والماشية والطيور والأفاعي والعقارب وغيرها من الحيوانات ، وفسروا كل حركة بأنها اشارة معينة لما قد يحدث في المستقبل ، كما كانت الأحلام هي الأخرى وسيلة من وسائل معرفة الطالع ، ونظموا بذلك قوائم مطولة ، وفضلا عن ذلك فقد نظموا قوائم بأشكال الولادات المشوهة التي تحدث عند الانسان او الحيوان وما قد تعنيه كل ولادة والى غير ذلك من الظواهر او الاحداث التي لادخل للانسان في حدوثها. وكانت هذه القوائم قد نظمت على نحو متسلسلات حيث كانت كل سلسلة تضم نوعا من هذه الظواهر او الاحداث وسميت كل سلسلة بأول سطر فيها ، فهناك سلسلة "اذا أقيمت المدينة على تل" ، وغدت هذه النصوص من الموروث الحضاري الذي تناقلته الأجيال منذ العصور البابلية ، وربما قبل ذلك ، وحتى العصر الآشوري حيث تم استنساخها من قبل الكتبة الآشوريون.

ونورد فيما يلي مثالا واحدا من هذه النصوص للتعريف، بطبيعتها فحسب :

"اذا اعتدى ثعبان على رجل ومسكه ولسعه فسيّمر بعده بأوقات صعبة

إذا مرّ ثعبان من جهة الرجل اليمنى الى جهة الرجل اليسرى فسيكون له اسم حسن.





اذا مر ثعبان من جهة الرجل اليسرى الى جهة الرجل اليمنى سيكون له اسم سيء.

اذا ظهر ثعبان في مكان حيث كان رجل وزوجته يتحدثان، فان الرجل والزوجة سيطلق أحدهما الآخر.

اذا ظل ثعبان يطوف في بيت رجل، فسيهدم ذلك البيت ويدمر،"[٥٧].

## النصوص المدرسية:

تأتي النصوص المدرسية في المرتبة الثانية من حيث عدد الرقم المكتشفة، وترجع بأصولها الى العصور السومرية والبابلية المبكرة، وتضم مجموعة من النصوص التي أعدت أصلاً لتعليم المبتدئين على القراءة والكتابة وتعريفهم باللغتين السومرية والأكدية، لذلك فهي تضم قوائم مطولة بالعلامات المسمارية ومعانيها ومرادفاتها وقوائم بالمفردات والمصطلحات السومرية وما يقابلها باللغة الأكدية، وهناك بعض النصوص المدونة باللغتين السومرية والأكدية. ومن حسن حظ الباحثين في الوقت الحاضر انه عثر على أكثر من نسخة واحدة من كل مجموعة من هذه النصوص مما أفاد كثيرا في املاء الفراغات وإكمال النقص الموجود فيها[٥٨].

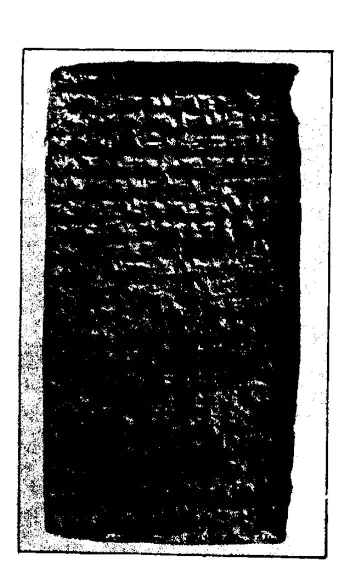
## نصوص التمائم والتعاويذ:

تمثل هذه المجموعة من النصوص عددا كبيرا من التمائم والتعاويذ التي أعدت لحماية الانسان، كما ظن العراقيون القدماء، من أخطار العفاريت والأرواح الشريرة، او للخلاص من العفاريت والأرواح الشريرة في حالة هجومها على الانسان والتسبب في مرضه، وقد اعدت بعض التمائم والتعاويذ للاستعمال في اجراء الطقوس الدينية الملكية في حين استخدمت نصوص أخرى من قبل الأفراد الاعتياديين. ومع ان أقدم اشكال التعاويذ يرقى بتاريخه الى اواخر الألف الثالث قبل الميلاد (حوالي ٢١٠٠ ق. م) الاّ انه لم تنظم تلك النصوص بمجموعات او مسلسلات حتى فترة متأخرة جدا. وتعرف المجموعات الرئيسة الثلاث باسم شُربُ ومَقلُ، وأُتُكِ لِمنُتِ (أي الأرواح الشريرة) وتوضح عناوين المجموعتين الأوليتين (وكلتاهما يعني "الحرق") ان النار كانت وسيلة رئيسة لطرد تأثيرات الشر على الرغم من وجود وسائل أخرى، وكانت هذه التعاويذ تهدف الى ابطال كيد السحرة والعّرافين، حيث كانت تتلى ويرافق ذلك حرق دمية من الشمع او الخشب تمثل الساحر او العراف الذي عمل السحر في حين كانت تعاويذ الشرب تهدف الى تخليص الشخص من الذنوب التي اقترفها والمحرمات الدينية او الخلقية التي انتهكها وسببت له المرض، اما النوع الاخير فهو خاص لطرد الأرواح الشريرة التي قد تهاجم الانسان لأسباب وفي ظروف كثيرة. وكان اجراء الطقوس الخاصة بهذه التعاويذ يتم من قبل كاهن يدعى اشيبو[٥٩].

## الأساطير والملاحم:

تختص نصوص الأساطير بنشاطات وأعمال الآلهة في حين تختص الملاحم بأعمال الأبطال من البشر مع مافيها من خيال، ويمكن ان نميز نوعين من الأساطير التي وضعها البابليون ثم انتقلت بعد ذلك الى الآشوريين، فالنوع الأول خاص بخلق الكون والنوع الثاني يتعلق بالصراع الذي قد يظهر بين الآلهة. اما المحاور الرئيسة التي تتحدث عنها هذه الأساطير فهي خلق الكون والصراع بين الآلهة وخلق الانسان ونظام الكون،. وتعد قصة الخليقة البابلية من أهم الأساطير التي تركزت حولها احتفالات أعياد رأس السنة في الألف الأول قبل الميلاد. وبالنسبة الى قصة الخليقة البابلية يبرز الاله مردوخ، اله مدينة بابل، على انه الآله البطل الذي

قضى على نيامة . وعندما أخذ الآشوريون هذه القصة جعلوا من المهم آشور بطلا للقصة.



اما بالنسبة للملاحم فما لاشك فيه ان ملحمة جلجامش تعد أهم وأشهر الملاحم التي وصلت الينا. وترقى أصول ملحمة جلجامش الى العصور السومرية المبكرة في الألف الثالث قبل الميلاد. وفي العصر البابلي القديم قام بعض الكتبة بجمع نصوص الملحمة السومرية وترجمتها الى الأكدية ووضعها بأسلوب أدبي فني رائع كما تضمنت قصة الطوفان. وتدور ملحمة جلجامش حول محور رئيس هو محاولات الانسان للوصول الى الخلود دون نتيجة. وقد انتشرت هذه الملحمة الى خارج حدود بابل وآشور وعرفت في معظم انحاء الشرق الأدنى القديم، وقد عثر على عدة نسخ منها في مجموعة النصوص المكتشفة في نينوى.

وفضلا عن ذلك فان هناك بعض الملاحم الاخرى المعروفة في بلاد بابل وملاحم نظمت في بلاد آشور نفسها غير انها كانت أقل أهمية وشأنا من ملحمة جلجامش (٦٠).

## أدب الحكمة :

كعادة الآشوريين في الحفاظ على النصوص القديمة واستنساخها وحفظها في المكتبات فقد قاموا باستنساخ العديد من القصص والنصوص الأدبية الرائعة التي يمكن عدّها من أدب الحكمة، والتي كانت أصولها في بلاد بابل. وقد أمدتنا مكتبة آشور بانيبال بثلاثة نماذج من أدب الحكمة البابلية الأصل، يمثل النموذج الأول مايعرف عادة بأول سطر ورد في النص "لأمجدن رب الحكمة" او مايسمى احيانا "بالتقي المعذب". ويتحدث في هذا النص شخص كان أميرا وذا مركز اجتماعي مرموق، غير ان الآلهة، ولأسباب لايعرفها، هجرته وسلبته وظيفته ومركزه الاجتماعي ووقع أسيرا لمرض عضال، ويذكر (المعذب) كيف انه لم يهمل بحق آلهته او يترك واجبا دينيا، ومع ذلك حل به ما حل من المصائب لأسباب غير معروفة طالما أن الأنسان لايعرف نوايا الآلهة وحكمتها.

اما النموذج الثاني فهو عبارة عن حوار بين معذب وصديقه حيث يشكو المعذب من ظلم الحياة في حين يقدم الصديق اجوبة ساذجة تدل على التقوى البابلية التقليدية. فعندما يذكر المعذب ان اولئك الذين يخدمون الآلهة يقاسون من المظالم، يجيب الصديق إنه في النهاية ستكافأ النفوس بالرفاهية، وعندما يشير المعذب الى الأشرار المرفهين، يجيب الصديق ويؤكد انهم سينالون عقابا في النهاية على اعمالهم الشريرة.

اما النموذج الثالث فهو مايعرف بحوار التشاؤم، ومن حيث أسلوب المحاورة فهو يشبه النموذج الثاني، الآ انه يختلف عنه في المضمون، والحوار هو بين سيد وعبده ويتألف من سلسلة من الآراء التي يقدمها السيد ويجيب عليها العبد متحمسا بالموافقة ثم يعود السيد ليغيّر من رأيه الذي ذكره فيعود العبد ليوافقه على ذلك، وهكذا وفي

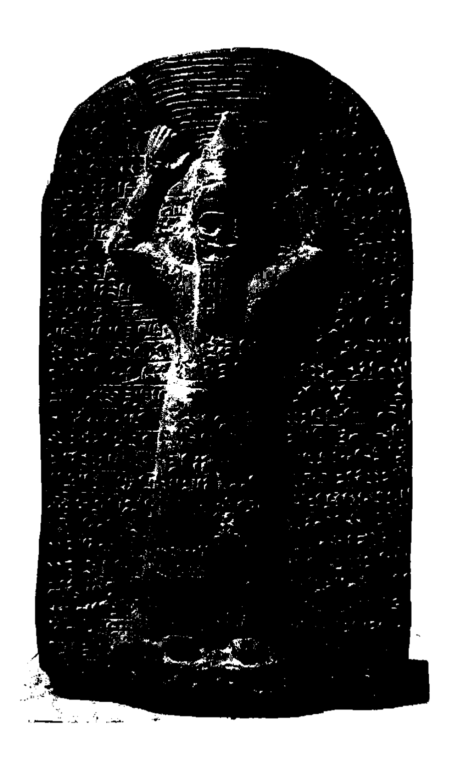




النهاية فقط يعرض العبد رأيا مخالفا ومستقلا فعندما سأله السيد بصورة مباشرة عن العمل ذي القيمة حقا، أجابه العبد دون تردد (ان تكسر رقبتي ورقبتك وترمي في النهر فذلك جيد)[٦١] .

### نصوص أخرى :

الى جانب هذه المجموعات من النصوص الآشورية فقد وصلت الينا نصوص أخرى من بلاد آشور لاتنتمي الى أي من المجموعات المذكورة وبعضها على درجة من الأهمية كبيرة. فمن النصوص الأدبية نص ربما كانت اصوله اشورية بحتة يحكي قصة فقير من مدينة نفر خدعه الحاكم مما دفع الفقير الى اتباع وسائل ذكية للأخذ بثأره من الحاكم والاعتداء عليه. كما ان هناك نصين تظهر عليها مسحة دينية، الاّ انها عبارة عن نصين دعائيين ضد بلاد بابل. ومن النصوص الأخرى المهمة رسالة سرجون التي بعث بها الى الآله آشور وذكر فيها تفاصيل حملته الثامنة الى بلاد اورارتو، كما ان هناك نصوصا غاية في الأهمية خاصة بالمعاهدات التي عقدت بين الملوك الآشوريين والملوك والحكام التابعين، وهناك وثيقة آشور وغيرها من النصوص الكثيرة الموجودة في المتاحف المختلفة والتي لم تجد طريقها الى الترجمة والنشر بعد. وباستمرار اعمال التنقيب في بلاد آشور، يزداد عدد النصوص المكتشفة سنة بعد أخرى وتظهر أصناف جديدة.



مسلة من الحجر لاشور بانيبال وقد غطتها الكتابة المسمارية

### هوامش البحث :

(١) حول الوسائل السمعية والبصرية واللمسية، انظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٧٤- ٧٩.

(٢) انظر: Saggs, H.W.F., The Might that was: Assyria, London, 1984, p. 22.

(٣) نشر بحث لاندزبركر المشار اليه في المجلة التاريخية لجامعة انقرة (١٩٤٣- ١٩٤٥)، كما نشر الاستاذ كلب بحثا مؤيدا لبحث لاندزبركر في المؤتمر التاسع لعلماء الآشوريات المنعقد في جنيف عام ١٩٦٠.

(٤) حول تفصيل ذلك وبيان أهم المفردات اللغوية الدخيلة، انظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٧٣، ص ٧٥- ٧٦، وكذلك: عامر سليمان، التراث اللغوي في كتاب حضارة العراق، ج ١، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٧٥- ٢٧٧.





(٥) انظر: فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، بغداد، ١٩٧١، صموئيل كريمر، السومريون، شيكاغو، ١٩٦٤، ترجمة: فيصل الوائلي، ص ٤٣٨– ٤٤٠.

(٦) انظر مثلا Delitsch, F., Assyrische Hand wortesbuch: Leipzig 1896, Muss Arnolt, A Concise Dictionary of the Assyrian Language, Berlin, 1905. etc.

(٧) انظر:ليواوبنهايم، بلاد مابين النهرين، شيكاغو، ١٩٦٤، ترجمة: سعدي فيضي، ص ١٧.

(٨) انظر: علي عبدُ الواحد وافي، علم اللغة، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٥٩– ١٦٥.

(٩) Saggs, Op.cit., p. 130.

(١٠) حول هذه اللهجات، انظر: Soden, W.Von., Grundriss der Akkadischen Grammatik, Roma, 1952, p., Lipin, L.A., The Akkadian Language, Moscow, 1973, p.

(١١) انظر: عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٢٩٤– ٢٩٩.

(١٢) حول تفصيل ذلك، انظر: سامي سعيد الأحمد، المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية، بغداد، ١٩٨١، ص ٣٢.

(١٣) انظر: عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٢٠١– ٢٠٢.

(١٤) انظر: عامر سليمان، الكتابة المسمارية والحرف العربي، موصل، ١٩٨٢، ص ١٤ وما بعدها.

(١٥) حول تقسيم اللغات العربية القديمة (الجزرية او السامية)، انظر: سامي سعيد الأحمد، المصدر السابق، ص ١٠– ١١، محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٥١– ١٩٣.

Wright, W., Lectures on the Compartive Grammer of the Semitic Languages, Cambridge, 1890.

(١٦) انظر: سامي سعيد الأحمد، المصدر السابق، ص ١٦، علي عبد الواحد وافي، المصدر السابق، ص ٢٤– ٢٥.

(١٧) حول قواعد اللغة الأكدية، انظر:

Soden, W.von, Grundriss der Akkadischen Grammatik, Roma, 1952; Lipin, L.A., The Akkadian Language, Moscow, 1973; Riemschneider, An Akkadian Grammar (translated), 1974. Mercer, S.A.B.' Assyrian Grammar, New York, 1921.

(١٨) حول المفردات الأكدية في اللهجات المختلفة ومعانيها، انظر: القاموسين المهمين التاليين: Soden, W. von, Akkadische Hand worterbuch, The Assyrian Dictionary.

اضافة الى القواميس الأخرى الأقدم من حيث تاريخ الطبع.

(١٩) انظر: طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم، بغداد، ١٩٨٣.

(٢٠) حول الكتابة المسمارية والمراحل التي مرّت بها، انظر:

Driver, G.R., Semitic Writing, Oxford, 1970; Gadd, C.T., Teachers and Students in the Oldest Schools, London, 1956;

فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، بغداد، ١٩٧٣.

بهيجة خليل اسماعيل، الكتابة في حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥، ج ١، ص ٢٢١– ٢٧٢.

عامر سليمان، الكتابة المسمارية والحرف العربي، موصل، ١٩٨٢.

(٢١) انظر: Labat, R. Monuel D'epigraphie Akkadienne, Paris, 1952, p. 175.

(٢٢) حول حل رموز الكتابة المسمارية، انظر:

محمود الأمين، حل رموز الكتابة المسمارية، سومر ١١ (١٩٥٦)، ص ٩٠– ١٠٠، ترجمة لمحاضرة بالألمانية للباحث لوتس كيلها مر القاها في ١٧/ ١/١٩٥٥).

فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، بغداد ١٩٧٢، ص ١١– ١٧. بهيجة خليل اسماعيل، الكتابة، المصدر السابق، ص ٢٢٩– ٢٣٥.

(٢٣) حول رسائل العمارنة انظر: Bezold, C, The Tell el– Amerna Tablets in the British Museum London, 1892.

(٢٤) بهيجة خليل اسماعيل، الكتابة في كتاب حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٤٤– ٢٤٥.

(٢٥) المصدر السابق، ص ٢٤٧– ٢٥٤.

(٢٦) عامر سليمان، الكتابة المسمارية والحرف العربي، موصل، ١٩٨٢، ص ٥٣ وما بعدها.

(٢٧) عامر سليمان، نتائج تنقيبات جامعة الموصل في سور نينوى الشمالي، آداب الرافدين، ج ١، ١٩٧١، ص ٨٠.

(٢٨) بهيجة خليل اسماعيل، المصدر السابق، ص ٢٥٧– ٢٦١.

(٢٩) انظر: صموئيل كريمر، السومريون، شيكاغو، ١٩٦٤، ترجمة، فيصل الوائلي، ص ٢٣٨. وكذلك: بهيجة خليل، المصدر السابق، ص ٢٦١– ٢٦٥.

(٣٠) Saggs, Op. cit., 147.

(٣١) ibid. p. 147.

(٣٢)

Driver, G.R., Semitic Writing, 3rd ed, Great Britain, 1976, p. 73.

(٣٣) Saggs, Op. cit., P. 278.

(٣٤) Bezold c., Catalogue of the cuneiform Tablets in the Kouyunjuk Collection of the British Museum (1889– 1890).

(٣٥) Saggs, Op. cit., p. 278.

(٣٦) انظر: عامر سليمان، الكتابة المسمارية والحرف العربي، موصل، ١٩٨٢، ص ٣٠– ٣٢.

(٣٧) بهيجة خليل، الكتابة، المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٣٨) Saggs, Op. cit., p. 281.

(٣٩) Ibid, p. 281.





(٤٠) Ibid, p. 281.

(٤١) Driver, Op cit, p. 73 m .7 (referring to Gadd, C.T. xxxv, 39, 1 R.L.3).

(٤٢) Ibid. p. 74.

(٤٣) مما يلاحظ في الرقيم المكتشف في معبد نرجال في مدينة تربيص والخاص باسطورة الاله زو، ان ثلاثة أسطر كاملة كتبت في مساحة عرضها أقل من نصف سنتمتر وبذلك كان من الصعب قراءتها:
Saggs' H. W. F., The Mousl University ZU Tablet, Adab al— Rafedain, Mousl, (1971) p. 43.

(٤٤) Driver, Op. cit., p. 69.

(٤٥) بهيجة خليل، الكتابة، المصدر السابق، ص ٢٦٥.

(٤٦) Driver, Op.cit, p. 74.

(٤٧) Ibid, p. 76.

(٤٨) Ibid., p. 75.

(٤٩) Ibid., p. 77.

(٥٠) انظر: ليواوبنهايم، بلاد مابين النهرين، شيكاغو، ١٩٦٤، ترجمة: سعدي فيضي، ص ٢١ - ٢٢.

(٥١) انظر: Saggs, Op.cit., p. 271 ff. وحول تفصيل ذلك، انظر: المبحث التالي من هذا الفصل.

(٥٢) انظر: موضوع التقويم في المبحث الخاص بالعلوم الانسانية و Saggs, Op.cit. p. 274.

(٥٣) Postgate , J.N., More Assyrian Deeds and Documents, Iraq, 32 (1970) pp. 129— 164.
وانظر حول تفصيل ذلك وأمثلته من هذه الوثائق: عامر سليمان، القانون في العراق القديم، موصل، ١٩٧٧، ص ١١٩ - ١٢٨.

(٥٤) Cardascia, G., Les lois Assyrienes Paris, 1969.

(٥٥) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٢٧٩ - ٢٩٤.

(٥٦) Saggs, Op.cit., p. 220 ff., p. 274.

(٥٧) انظر: ساكز، المصدر السابق، ص ٣٥٨ - ٣٦٤، وكذلك: ليواوبنهايم، بلاد مابين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي، ص ٢٤.

(٥٨) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٥٩) انظر تفصيل ذلك: ساكز، المصدر السابق، ص ٣٣٩- ٣٤٥.

(٦٠) Saggs, Op. cit, p. 285— 286.

(٦١) ساكز، المصدر السابق، ص ٤٩٤.

# العلوم الانسانية والطبيعية

د. فوزي رشيد

## من العلوم الانسانية: التاريخ والجغرافية

### ١ - التاريخ:

التاريخ ولا شك هو حصيلة التجارب التي خرج بها الانسان عبر تاريخه الطويل نتيجة تفاعله مع بيئته ونتيجة تعايشه مع ابناء جنسه، فهو اذن مجموعة النتائج التي تمخضت عن ممارساته سواء كانت تلك الممارسات سلبية او ايجابية. ومادامت رغبات الانسان وأهدافه في الحياة واحدة في الماضي والحاضر والمستقبل ايضا اصبح التاريخ لذلك خير مرشد لنا ويساعدنا على تجنب الممارسات ذات النتائج السلبية اذا مادرسنا احداثه واتعظنا بها. واستنادا الى هذه الحقيقة نجد الناس جميعا يرددون ان الانسان يتعلم من الأخطاء، لأن الأخطاء في حقيقتها هي نتائج لممارسات سلبية تم انجازها ودخلت في حيز الماضي، ولذلك فان التاريخ هو المختبر الذي تجرى فيه التجارب لاثبات صحة سلوكيات الانسان على نحو عام وصحة النظريات التي تتوصل اليها العلوم الانسانية.

ومما يزيد تأكيد هذه الحقيقة ان الانسان الذي فقد ذاكرته لايستطيع ان يعيش بحرية وأمان كما يعيش الشخص الذي يمتلكها، وبما ان التاريخ بالنسبة للأمة كالذاكرة بالنسبة للانسان فان من يجهل تاريخه لايدرك الأمور كما يدركها من يعرف التأريخ، ولذلك ذكر الفيلسوف الروماني سيسرو (= شيشرون) ١٠٦ - ٤٣ ق. م قوله الشهير





بخصوص التاريخ ومفاده : "يبقى جاهلا الى الأبد من لايجيد تأريخ أمته"[1] .

والآشوريون كما يثبت الواقع قد اهتموا بالتاريخ بشقيه المادي والفكري ، وفيما يخص الجانب المادي فقد تميز الآشوريون بتدوين أخبارهم الحربية والسلمية تدوينا مفصلا في حولياتهم ورسائلهم ووثائقهم الرسمية المختلفة ، ولذلك فان كتابات الملوك الآشوريين قد أعطتنا معلومات قيّمة عن الاورارتو وملوكهم ، وعن قبائل السكيثيين والكميريين والأقوام الايرانية مثل الميديين والأقوام الجبلية المختلفة في شمال العراق وشماله الشرقي وعن بعض القبائل العربية في بوادي الشام ، وبذلك يمكننا التأكيد على ان الكتابات الآشورية هي أولى الكتابات في تاريخ العراق القديم التي ذكرت لنا اسم العرب والكتابات الآشورية زودتنا ايضا بمعلومات عن المصريين الحثيين والبابليين، وعن شعوب آسيا الصغرى من بعد الحثيين. وبناء على ذلك فان ماوصل الينا من هذه الكتابات قد أضاف الى مصادر معرفتنا بتاريخ مثل هذه الشعوب امورا على غاية من الأهمية[2] .

وأما الجانب الفكري من التاريخ فخير شاهد على اهتمام الآشوريين به ذلك الاهتمام الواسع هو المكتبة . گير گيناكّو Girgina kku[3] التي عثر عليها في مدينة نينوى والتي يعود تأريخها الى فترة حكم الملك الآشوري آشور بانيبال ٦٦٨ — ٦٢٧ ق.م ، حيث احتوت هذه المكتبة على مايزيد على العشرين ألف رقيم طيني . وقد تضمنت بعض هذه الرقم على معلومات بعلم الفلك والتنجيم ، وبعضها الآخر على معلومات طبية وقانونية ودينية ، وفضلا عن ذلك فقد احتوت على اشهر الملاحم والأساطير التي انتجتها العقلية العراقية القديمة وعلى صلوات ورقى ووصفات كيمياوية ونصوص خاصة بكشف الطالع (= الفأل) ، ومما يجب ان يقال بهذا الخصوص أننا لو لم نعثر على محتويات هذه المكتبة لغاب عنّا الكثير من النتاجات الادبية والدينية والعلمية القديمة .

وعلى الرغم من ان المعلومات التي احتوتها مكتبة الملك آشور بانيبال تعود الى فترات زمنية مختلفة ، فان النصوص التي احتوت هذه المعلومات كانت مدونة بالخط الآشوري الحديث وباللهجة الآشورية ،وان دلّت هذه الحقيقة على شيء فانها تدل على ان القائمين على جمع التاريخ الفكري كانوا يقدمون المعلومات التي يجمعونها بالخط وباللهجة التي يدركها الآشوريون .

ومن الأدلة الصريحة على ان الآشوريين قد بذلوا الكثير من الجهود من أجل جمع ماله علاقة بتاريخ الفكر العراقي القديم مضمون الرسالة التالية . التي لانعرف بالضبط الى اي ملك تعود ، ولكنها على أغلب الظن تعود الى زمن الملك آشور بانيبال ومفادها مايأتي : "اننا بخير عسى ان تكونوا سعداء. عند تسلمكم هذه الرسالة استصحبوا معكم الرجال الثلاثة المذكورة اسماؤهم وعلماء مدينة بورسبا ، وفتشوا عن جميع رقم الطين وكل ماهو موجود منها في بيوتهم وفي معبد ايزيدا . ابحثوا عن الرقم الطينية الثمينة الموجودة في سجلاتكم والتي في آشور ايضا وارسلوها الينا . لقد كتبت الى الموظفين والمشرفين فما من أحد يمسك عنكم رقيما واذا رأيتم رقيما علميا او نصا دينيا لم اكتب لكم عنه وترونه مفيدا لقصرى فابحثوا عنه والتقطوه وارسلوا به الينا"[4] .

**أ— التقويم :**

كل شيء احتاج اليه الانسان في تاريخه القديم كسقوط المطر على سبيل المثال ، او نمو النباتات وتعاقب الفصول كان ولايزال متسقا مع دورة السنة الشمسية ، غير ان التغييرات التي تطرأ على قرص





الشمس في اثناء ايام السنة الواحدة لاتساعد الانسان على ان يحدد من خلالها الأسبوع اوالشهر ولاتساعده ايضا على معرفة عدد الأيام التي تمضي في السنة. ولهذا السبب بالذات كان الانسان مضطرا لأن يستعيض عن الشمس بالقمر عندما برزت حاجته الى معرفة اجزاء السنة والشهر والأسبوع، وذلك بعد أن تطورت التجارة واتسع نطاقها، لأن القمر أفضل تقويم في السماء يستطيع الانسان من خلاله معرفة الشهر والأسبوع وعدد الأيام التي مضت من كل منها ومن السنة ايضا.

واتخاذ الانسان للقمر اساسا لقياس الأسابيع والأشهر قد سّهل عليه هذه المهمة، ولكنه في الوقت نفسه قد خلق له مشكلة لابد له من حّلها، وهذه المشكلة تتمثل في عدم تطابق ايام السنة القمرية مع ايام السنة الشمسية.

والحل الذي أوجده سكان بلاد وادي الرافدين بما فيهم الآشوريون هو اضافة الشهر الكبيسي الى أشهر السنة الاثني عشر بعد مضي سنتين او ثلاثة.

والشهر الكبيس كان لايعطي اسما خاصا به وانما يسمى عادة باسم الشهر الذي يلحق به الشهر الكبيسي، فاذا كان هذا الشهر هو شهر كانون، فالشهر الكبيسي يسمى كانون الثاني ويلفظ باللغة البابلية والآشورية "كينونوشانو" وشهر كانون الحقيقي يعد كانون الأول. وبسبب هذه الحقيقة نجد في تقويمنا الحالي تشرينين وكانونين.

والحقيقة ان اضافة الشهر الكبيسي لَم يخدم على الاطلاق موضوع تاريخ الأحداث وتحديد فترات حكم الملوك وّالسلالات، بل كل ماقدمه هو مطابقة السنة القمرية مع السنة الشمسية، ولذلك ظَل موضوع التأريخ بحاجة الى حل مناسب لأننا نحن البشر نتحرك على الكرة الارضية بسرعة لاتمكننا من الشعور بالزمن الاّ وهو يجري باتجاه المستقبل، فضلا عن اننا نجهل بداية جريانه، ولذلك صار الزمن بالنسبة لنا مقياسا لايحتوى على نقطة ثابتة يمكن ان نقيس بموجبها عدد السنين التي مرّت على كل حدث من الأحداث بالنسبة الى تلك النقطة الثابتة.

واولى المحاولات الجادة لتعيين النقطة الثابتة على مقياس الزمن، أي تحديد نقطة الصفر هي ماقام به سكان بلاد وادي الرافدين منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد عندما بدأ ملوكهم يؤرخون سني حكمهم وفق أهم الأحداث التي تبرز في كل سنة من سني حكمهم. فتاريخ السنة الاولى على سبيل المثال كان يثبت عادة بحادثة تسلم الملك للحكم وتسمى تلك السنة، بالسنة التي تسلم فيها الملك فلان الحكم. والسنة الثانية تؤرخ على وفق أهم أحداثها، وكذلك الحال مع بقية سني حكم الملك الأخرى. وهذا الأسلوب ما كان يخلو من النقص، حيث ان كثيرا مايظهر الحدث المهم بعد مضي عدة أشهر على بداية السنة، ولذلك كان اصحاب المعاملات التجارية لايعرفون كيف يؤرخون عقودهم التي تبرم خلال الأشهر الاولى من السنة، لذلك اضطروا في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد الى ان يؤرخوا العقود التي تبرم قبل ظهور الحدث المناسب بحدث السنة الماضية فيقال: السنة بعد السنة التي حدث فيها كذا وكذا، ولذلك وجدنا ان عقود السنة الواحدة كانت مؤرخة بأسلوبين مختلفين، لأن عقود الأشهر الاولى تكون مؤرخة بحدث السنة الماضية والعقود الأخرى مؤرخة بالحدث العام الذي برز في تلك السنة،ولتلافي هذا الازدواج في اسلوب التاريخ فقد وجد العراقيون القدامى انه من الأفضل لهم ان يوحدوا تأريخ كل سنة من سنيهم، وبالفعل فقد بدأوا منذ بداية القرن التاسع عشر قبل الميلاد يؤرخون سنيهم بالنسبة الى أهم أحداث السنة الماضية، فالسنة التاسعة من حكم الملك حمورابي مثلا كانت مؤرخة بالصيغة الآتية: " السنة بعد السنة التي أمر بها الملك حمورابي حفر القناة المسماة – حمورابي هو الوفرة –"[٥].





وهذا الأسلوب الذي استخدمته السلالات العراقية المتعددة قد اختلف بطبيعة الحال من سلالة الى أخرى ، لأن كل سلالة من هذه السلالات كانت تنتخب الأحداث التي تهمها وتؤرخ بموجبها سني حكم ملوكها ، ولذلك كان كل اسلوب من هذه الأساليب المتبعة لاينفع الا ضمن السلالة التي اعتمدته.

وفي زمن الملك الآشوري أدد– نراري الثاني ٩١١– ٨٩١ ق. م ، أخذت الدولة الآشورية تعيش فترة ازدهار اقتصادي ثانية وتوسع عسكري[٦] مما حدا ذلك بالملك ادد– نراري الثاني وبالآشوريين أنفسهم لأن يبدأوا مرحلة بناء الشخصية الحضارية الآشورية ، وأول ماقام بتغييره هذا الملك هو أسلوب تأريخ السنين ، فاتخذ لنفسه نظاما جديدا يعرف بين المختصين بـ "الليمو" ، وهذا النظام يعتمد على تسمية السنة باسم الشخصية التي ترعى احتفال عيد رأس السنة ، حيث جرت العادة ان يقوم الملك برعاية احتفال عيد اكيتو ، اي عيد رأس السنة في السنة الاولى من حكمه ، ويرعى احتفال السنة الثانية الشخصية التي تلي الملك في المرتبة وهكذا . وأسلوب تأريخ الليموكان يبدأ عادة بذكر اليوم والشهر ثم يذكر فترة لمو فلان.

وكثيرا مايظهر الليمو بصيغ أخرى مثل الصيغة التالية :

من istu limmu PN (= اسم علم) ana šanat بعد فترة ليمو فلان ، بسنة واحدة)[٧] .

هذا وقد تم العثور على القوائم الخاصة بالليمو الآشوري ، والتي أشارت احداها الى حدوث كسوف الشمس زمن الملك آشور دان الثالث ٧٧١– ٧٥٤ ق.م ، واستنادا الى حسابات علم الفلك الحديث ، فقد أرجع هذا الكسوف الى شهر حزيران من عام ٧٦٣ ق.م. وهذه الحقيقة مكّنت الباحثين طبعا من تعيين السنة التي حدث فيها الكسوف بدقة وعلى أساسها تم تحديد بقية السنين الأخرى التي ذكرتها قوائم الليمو.

وبما ان بداية حكم الملك ادد– نراري الثاني قد اعتبرها المختصون في التاريخ الآشوري بداية ايضا للعصر الآشوري الحديث ، لهذا يمكننا القول ايضا ان تاريخ السنين على طريقة الليمو هو أسلوب ظهر بظهور العصر الآشوري الحديث .

هذا والمعلومات المتوافرة تؤكد ان الحضارة اليمنية قد تأثرت بالليمو الآشوري وأرّخت سنيها على نفس الغرار. ومما يؤكد ذلك ماورد في الصفحة (٤٠٠) من المجلد الثامن لتاريخ العرب قبل الاسلام ، للدكتور جواد علي ، حيث جاء فيها مايأتي :

„وقد يؤرخ بحكم موظف من كبار موظفي الدولة من حملة درجة "كبر، كبير" او غيرها من الدرجات العالية في الدولة او في المجتمع ، وذلك كما في هذا المثال : "بكبر هنا فأمن" ومعناه في "كبارة هانيء فأمن" و "هانيء فأمن" موظف من كبار الموظفين من درجة كبر" فأرخ النص بأيام حكم ذلك الكبير. وبالتأكيد ان كلمة "كبر" اليمنية متأثرة بكلمة "رابو" الآشورية والتي تعني الكبير ايضا .

وفضلا عن ذلك يبدو من أسماء الشهور اليمنية أن سكان اليمن لم يقتبسوا من الآشوريين أسلوب الليمو فقط ، وانما اقتبسوا ايضا الشهر الكبيس ، الذي كان يوصف عندهم بكلمة "أخرن" والشهر الذي يلحق به الشهر الكبيس يوصف بكلمة "قدمن" مثل :

" ورخ ذ نسور قدمن (= أي شهر نسور المتقدم "الأول") و "ورخ ذ نسور أخرن" (= أى شهر نسور المتأخر "الثاني")"[٨] .

**ب– الحوليات :**

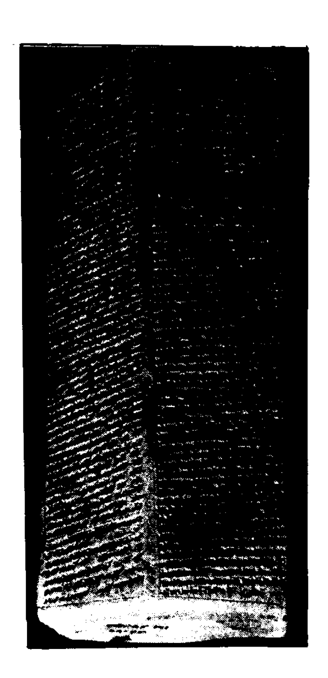
من الانجازات التي تحققت خلال فترة العصر الآشوري الحديث ، والتي تميز بها الآشوريون عن





بقية الشعوب الأخرى المناشير والاسطوانات الفخارية، التي نسميها بالحوليات.

والحوليات عبارة عن نشرات ملكية تصدر بعدة نسخ بين فترات متعاقبة تتحدث بالدرجة الاولى عن الحملات العسكرية وعن الانجازات العمرانية للملوك الآشوريين. وأول ملك آشوري بدأ باصدار الحوليات هوالملك شلمنصر الثالث ٨٥٨- ٨٢٤ ق. م، رابع ملوك العصر الآشوري الحديث. وعلى مايبدو ان انجازات هذا الملك الكثيرة هي التي دعته لاصدار مثل هذه النشرات، التي نسميها كما قلنا بالحوليات، حيث ان شلمنصر الثالث لم يكتف بالمحافظة على حدود الأمبراطورية التي خلفها عن والده آشور ناصر بال الثاني ٨٨٣- ٨٥٩ ق.م، بل قام بتوسيعها الى حدود لم تبلغها



موشور فخار للملك اسرحدون

الأمبراطورية من قبله. والحملات الحربية التي قام بتجهيزها جعلته سيد الشرق الأدنى وآسيا الغربية من الخليج العربي جنوبا الى منطقة اورارتو (= أرمينية) شمالا، ومن تخوم الأراضي الميدية شرقا الى سواحل البحر المتوسط غربا، وفضلا عن ذلك فقد دخلت بلاد بابل تحت سيطرته وفي مجال البناء والتعمير فقد قام بتجديد الأبنية في العواصم الآشورية، آشور ونينوى وكالخو، اضافة الى اعماله الأخرى[٩].

والحقيقة انه لنقص كبير ان لايتمتع جميع سكان الأمبراطوية الآشورية بهذه الانجازات العسكرية والعمرانية، ولذلك وجد شلمنصر الثالث انه من الضروري تعميم أخبار هذه الانجازات على نحو دوري بين مختلف المدن الآشورية. ولتوضيح كيفية صدور هذه الحوليات نشير الى ان أول حولية أصدرها الملك شلمنصر الثالث كانت بعد انجازه حملته العسكرية السادسة والحولية الثانية أصدرها بعد حملته التاسعة، وقد تضمنت هذه الحولية تلخيص لما جاء في الحولية الاولى مع تفصيل للانجازات التي تلتها. والحولية الثالثة أصدرها بعد الحملة السادسة عشرة[١٠]، وأما الحولية الرابعة والأخيرة فقد أصدرها في نهاية الحملة العشرين.

وحوليات الملك المذكور وخاصة الحولية الثالثة تبدأ بذكر الاله آشور والقابه مع ذكر اسماء وألقاب بقية الآلهة الأخرى التي قدسها الآشوريون الى جانب الاله آشور. ويلي ذلك ذكر اسم الملك شلمنصر الثالث والقابه، وبعد الانتهاء من ذلك تذكر الحولية اسم والده آشور ناصر بال الثاني والقابه، ثم تذكر الحولية الحملات التي قام بها الملك شلمنصر الثالث سنة بعد أخرى من سني حكمه، حيث تبدأ الحولية المذكورة بوصف الحملات العسكرية وهي مسلسلة حسب سني حكم الملك شلمنصر الثالث.

وحوليته الثالثة هذه لابد لها ان كتبت في السنة السابعة عشرة من حكمه، لأنها قد تضمنت انجازات الملك العسكرية والعمرانية التي كان يصلها الجيش الآشوري وان وصفها لهذه الطوبغرافية كان دقيقا خلال ستة عشر سنة من سني حكمه، وفي ختام الحولية جاء التاريخ الآتي :

Itu Tašritu u4. 22. kam Lim.mu Tak. Lak.a.na. šarri šakan uru Ni.mit. Iš tar.

"شهر تشرين، اليوم الثاني والعشرون منه، فترة وظيفة تلكاني شرى، ساكن مدينة- نيمت عشتار-".

أما حوليات الملوك الآخرين فلا تختلف في صياغتها عن حوليات الملك شلمنصر الثالث، الاّ بأمور طفيفة جدا، فحوليات الملك سنحاريب على سبيل المثال لم تتبع في سرد الأحداث العسكرية والعمرانية أسلوب تسلسل سني حكمه، وانما كان يسلسلها معركة فمعركة، ماعدا حولية واحدة فقد استخدم الملك سنحاريب في تأريخها "الليمو" وقد جاء فيها تأريخين لا أكثر ويمثلان تأريخ السنة ٦٩٦ و ٦٩٥ م وهما كالآتي :

1– ina Limu šul– mu– beli šakin uru Ṛimu.si

في فترة وظيفة شولموبيلي، ساكن مدينة ريموسي.

2– ina Limu Aš– šur– belu– uṣur Lú ša– kin mat Kat– mu. ḫi

في فترة وظيفة آشور بيلو أوصر، الساكن بلاد كاتموخي [(١١)].

وفيما يخص عدد النسخ التي يصدرها الملك من الحولية الواحدة فليس لدينا العدد الدقيق، ولكننا على ثقة أنها تزيد على الخمس، لأن حولية الملك آشور بانيبال الخاصة بوصوله الى مصر قد تم العثور على خمس نسخ منها حتى الآن. والاحتمال أكيد ان عدد النسخ الحقيقي يزيد على الخمس[(١٢)].

هذا وأنه من البديهي جدا ان ما يصدره الملك لابد له أن يخدم أهداف الدولة الرئيسة، وفيه مايرفع معنويات الأفراد ويتجنب ايضا افشاء اسرار البلاد، ولهذا كان لابد لهذه الحوليات ان تتجنب في سردها للأحداث كل ما من شأنه ان يضعف عزيمة الأفراد او يشيع فيهم روح الهزيمة والخذلان او يخدم العدو في مجابهة الحملات الآشورية.

وهذه في الواقع ظاهرة لم تقتصر على الكتابات الآشورية فقط وانما تميزت بها جميع الكتابات الرسمية عبر مراحل الحضارة العراقية القديمة، ولذلك فان الحوليات الآشورية كانت لاتتطرق بوضوح دائما الى عدد قواتهم التي كانوا يجهزونها للقتال، بل يكتفون بذكرها كوحدة قوية وعظيمة، غير ان الشيء الذي كانت لاتغفله الحوليات هو وصف طوبغرافية المناطق التي كان يصلها الجيش الآشوري وان وصفها لهذه الطوبغرافية كان دقيقا، وفي حديثنا عن مادة الجغرافية بيّنا الأسباب الموجبة لضرورة الصدق في وصف الطوبغرافية وصفا دقيقا وأمينا، لأن ذلك كما قلنا يساعد الجيش على التعبئة المناسبة في الحملات التالية.

## ٢ – الجغرافية :

من الحقائق التي لايشوبها الغموض أن الآشوريين كانوا من الأقوام الذين تمكنوا من تكوين امبراطورية مترامية الاطراف. وبناءا على هذه الحقيقة يمكننا التأكيد على أنهم كانوا على علم بجغرافية المناطق التي امتدت اليها حدود امبراطوريتهم، والاّ فانه من غير المعقول ان يتمكنوا من تحقيق هذا الانجاز الكبير من دون ان تكون لهم معرفة بجغرافية تلك المناطق التي احتوتها امبراطوريتهم.

ومما يزيد التأكيد على اهتمام الآشوريين بجغرافية المناطق التي وصلوا اليها هو تقرير الحملة الثامنة للملك سرجون الآشوري ٧٢١– ٧٠٥ ق. م،





التي جهزها باتجاه المنطقة الشرقية والشمالية الشرقية والتي اختتمت باحتلاله لمدينة مصاصير الواقعة الى الجنوب من بحيرة "وان"[١٣] ، حيث ان التقرير الخاص بهذه الحملة قد احتوى بنحو خاص على وصف دقيق لطوبغرافية المناطق التي سلكها الجيش الآشوري. والمعلومات الجغرافية التي وردت في التقرير المذكور منها من الدقة بحيث ان كتب الجغرافية في الوقت الحاضر تعجز من أن تقدم معلومات بهذا التفصيل ، وان دلّت دقة المعلومات على شيء فانما تدل على ايمان الآشوريين بأن المعلومات الجغرافية لابد لها ان تقدم على حقيقتها وعدم استخراج عنصر المبالغة معها على الاطلاق ، لأن المبالغة او المغالطة لاتخدم الجيش في حملاته العسكرية ، وقد تكلفه الكثيرمن الأرواح والمعدات ان كانت معلوماته خاطئة عن طوبغرافية المناطق التي ينوى الوصول اليها.

وقد تأكدت لنا هذه الحقيقة من خلال محاضرة للآثارى الالماني الدكتور "ر.م. بوومر" ، القاها في قاعة مكتبة المتحف العراقي ، وخلاصة المحاضرة هو ان الدكتور "بوومر" قد اثبت أن وصف الطريق الذي سلكه الجيش الآشوري في الحملة الثامنة للملك سرجون ودخوله الى مدينة مصاصير (الاسم الحديث مجيسير) أهم مدن منطقة أورارتو، كان وصفا صحيحا ، وينطبق تماما مع الطوبغرافية الحقيقية للمنطقة.

ومن الأدلة الأخرى على صدق الآشوريين في تقديم المعلومات المتعلقة بالجغرافية مشروع الملك سنحاريب الخاص لري مدينة اربيل ، حيث ان المعلومات التي ذكرها الملك المذكور عن الجبال والعيون التي كانت تزود نهر باستوره بالمياه ، ذلك النهر الذي جلب منه المياه العذبة الى مدينة اربيل ، كانت معلومات دقيقة وليس فيها مايمكن ان يوصف بالخطأ او المبالغة ، وفيما يأتي نص الكتابة الخاصة بالمشروع المذكور:

"أنا سنحاريب ملك العالم ، ملك بلاد آشور، حفرت ثلاثة انهار في جبال خاني ، وهي جبال في أعالي مدينة اربيل وأضفت اليها مياه العيون التي في اليمين واليسار من جوانب تلك الأنهار، ثم حفرت قناة تمتد الى أواسط مدينة اربيل موطن السيدة العظيمة ، الآلهة عشتار وجعلت مجراها مستقيما".

ولتوضيح صحة ماجاء في كتابة الملك سنحاريب نشير الى أنه في اعالي سهل اربيل توجد جبال سفين وصلاح الدين وبنة باوى ، ومن هذه الجبال تنبع فعلا مياه نهر باستوره. وهذه الجبال كما يبدو من كتابة الملك سنحاريب كانت تسمى من قبل الآشوريين بجبال خاني. وفي وديان هذه الجبال يجري عدد من النهيرات متجهة الى وادي نهر باستوره ، حيث تتجمع فيه بالقرب من القرى : سوسه ، زياره وقرزه ، وهي الأنهر الثلاثة المنوه عنها في كتابة سنحاريب.

اما العيون التي أضاف مياهها الى تلك الأنهار فهي كثيرة العدد ، فيها عين تقع الى القرب من قرية خوران وأخرى بالقرب من هانان والثالثة جوار قرية دنجيز آوه[١٤].

وبناء على ماتقدم نشير الى ان الكتابات الآشورية وان كانت لاتخلو أحيانا من المبالغة وعدم الدقة في اعطاء المعلومات ، فانها كانت باستمرار أمينة في تقديم المعلومات الجغرافية.

ومما يزيد التأكيد على اهتمام الآشوريين بالمعلومات الجغرافية انهم مع صدقهم في وصف تلك المعلومات في كتاباتهم فانهم كانوا يصورون على منحوتاتهم طبيعة المنطقة التي يتحدثون عنها ، فمعارك الملك آشور بانيبال في منطقة الأهوار على سبيل المثال لم تكتف بتقديم الوصف الدقيق

للمنطقة وانما صورت ايضا المنطقة تصويرا دقيقا. والآشوريون كانوا من أكثر سكان العراق القديم اهتماما بتصوير طبيعة المناطق التي كانت تجرى فيها معاركهم، وخير شاهد على ذلك هي الألواح الحجرية التي كانت تزين جدران قصورهم.

كل هذه الحقائق تؤكد ان الاشوريين اهتموا بالجغرافية اهتماما واسعا لأنهم من دون هذا العلم ما كان بامكانهم ان يكونوا امبراطوريتهم. وفضلا عن ذلك فان الآشوريين من قبل ان يكونوا امبراطوريتهم كانوا يتاجرون مع مناطق بعيدة عن عاصمتهم آشور مثل منطقة كبدوكيا وأبلا القريبة من حلب. وهذه الحقيقة تضطرهم ولاشك الى معرفة جغرافية المناطق التي وصلوا اليها، ولذلك كان الآشوريون اسياد التجارة البرية حتى خلال الفترة التي كانت الزعامة فيها بيد السومريين.

## من العلوم الطبيعية: الكيمياء والطب والرياضيات والفلك والتنجيم

### ١ - الكيمياء:

ان الآشوريين أنفسهم لم ينكروا على الاطلاق فضل السومريين والبابليين على نشأة الحضارة في بلاد وادي الرافدين، ومع ذلك فقد تميزوا عن السومريين والبابليين ببعض الصناعات التي تدخل في صنف الكيمياء، والتي لم يستطع سكان الجنوب مجاراتهم فيها على الاطلاق. ومن هذه الصناعات التي توارثوها عن سكان منطقتهم الأقدمين ما يأتي:

#### أ- تحضير الألوان:

ان التنقيبات التي أجريت في مناطق العراق المختلفة قد بيّنت لنا بوضوح تام ان الفخاريات التي صنعت في الأقسام الشمالية كانت متعددة الألوان مثل فخاريات حضارتي سامراء وحلف خلال الألف السادس قبل الميلاد، في حين كانت الفخاريات التي صنعت في الجنوب ذات لون واحد ويميل الى السواد. وان دلت هذه الحقيقة على شيء فانما تدل على خبرة سكان الشمال في تحضير الألوان، تلك الخبرة التي تولدت لديهم ولاشك نتيجة لتوافر النباتات التي يمكن ان تعطيهم الألوان التي استخدموها في تزيين فخارياتهم. وبسبب استيطان الآشوريين نفس المنطقة التي ظهر فيها الفخار الملون فقد تعلموا صناعة تلك الألوان وبرعوا في تحضيرها، بحيث انهم استخدموها في عدد من اعمالهم الفنية التي عثرنا على بعض منها في خرصباد، من زمن الملك سرجون الآشوري ٧٢١- ٧٠٥ ق. م ومن تل بارسب ومن آشور ونينوى ومواقع أخرى[١٥]. في الوقت الذي لم يستخدم الجنوب فيه الا لونا واحدا وعلى الصناعات الفخارية فقط، واختفى هذا اللون منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ولهذا السبب بالذات فقد استعاض السومريون عن فن الرسم باستخدام فن التطعيم، بينما الآشوريون مارسوا فن الرسم، فضلا عن ممارستهم لبقية الفنون الأخرى.

#### ب- التعدين:

من الحقائق التي يعرفها المختصون في تاريخ العراق القديم أن العصر الحجري المعدني، الذي كانت بدايته منذ حوالي ٥٥٠٠ ق. م قد ظهر لأول مرة في المنطقة التي سكنها الآشوريون فيما بعد. وهذا يعني ان بداية صناعة النحاس قد ظهرت في الشمال اولا، ثم انتقلت الى الجنوب. وسبب ذلك يعود في طبيعة الحال الى احتواء تربة المناطق الشمالية على شيء من مادة النحاس وافتقار تربة الجنوب الى هذا المعدن. وفضلا عن ذلك فان مصدر النحاس الرئيس كان في آسيا الصغرى ومن المنجم المسمى "ايركاني - Ergani"[١٦] والآشوريون كما قلنا كانوا أسياد التجارة البرية، لذلك عمل تجارهم على استيراد هذه المادة المهمة مما كان ذلك سببا في





تطوير صناعة النحاس وتعدينه في الشمال بصورة تفوق كثيرا صناعته في الجنوب، والمخلفات البرونزية خير شاهد على ذلك، حيث ان المواد المصنوعة من البرونز في القسم الجنوبي من العراق معظمها صغير الحجم ماعدا اللوحة البرونزية التي عثر عليها في موقع تل العبيد والتي تصور نسرا برأس أسد وهو يمسك بغزالين واللوحة المذكورة محفوظة الان في المتحف البريطاني[١٧] في حين ان القطع التي عملت في الأقسام الشمالية من العراق كان معظمها كبير الحجم.

ومما يؤكد ان المنطقة الشمالية وبالأخص مدينة الموصل ذات خبرة محلية واسعة في تعدين النحاس هي الأهمية التي اكتسبتها مدرسة الموصل في الصناعات المعدنية في الفترة الاسلامية، حيث لو لم يتوارث سكان الموصل الخبرات القديمة في تعدين النحاس لماتمكنوامن تزعم هذه الصناعة في القطر العراقي منذ أقدم الأزمان.

### جـ - صناعة الزجاج:

الصناعة التي هي بحق من ابتكار الآشوريين دون غيرهم من بقية سكان العراق القديم هي

رسم جداري ملون من ''كارتوكلتي ننورتا'' (الاسم الحديث تلول العقر) القرن الثالث عشر قبل الميلاد.





صناعة الزجاج التي انشعب عنها منذ بداية استخدام الزجاج في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد عملية تزجيج الطابوق.

وأقدم النماذج الزجاجية التي وصلت الينا تتمثل بآنية صغيرة وخرز وأقراص، اما تزجيج الطابوق فقد أشار الملك تجلاتبليزر الأول ١١١٥–١٠٧٧ ق. م، أنه قد بنى جدران قصره في نينوى بالطابوق المزجج[١٨].

وصناعة الزجاج لم تقتصر على آشور ونينوى وانما صنع في مناطق أخرى مثل نوزى، غير ان أفضل انتاجات الزجاج هي التي كانت تنجز في آشور. والنصوص المسمارية التي بينت لنا أن الآشوريين كانوا يقلدون في صناعتهم الزجاجية الأحجار الكريمة، أي أنهم كانوا يحرصون على ان تحمل منتوجاتهم الزجاجية صفة الأحجار الكريمة التي كانت معروفة لديهم. وهذه الحقيقة تدفعنا الى القول بأن الآشوريين قد حاولوا من خلال مادة الزجاج ان يتوصلوا الى تصنيع الأحجار الكريمة من مواد أخرى أقل قيمة، كما حاول من بعدهم كثير من الشعوب استخراج المعادن الثمينة كالذهب والفضة من معادن أقل قيمة منها، ومما يؤكد ذلك تلك الوصفات بعمل الزجاج والتي سنتطرق اليها بعد قليل.

وما دامت الغاية التي تكمن وراء تصنيع الزجاج هي الحصول على الأحجار الكريمة فقد أحاط الآشوريون عملية بناء الفرن الخاص بتصنيع الزجاج ببعض الطقوس التي كان لايجوز الاستغناء عنها. والفرن الخاص بتصنيع الزجاج يلفظ بالآشورية "كورو"[١٩] أو "كورو شا أبني = فرن الزجاج". وفيما يلي ترجمة حرّة لأحد النصوص التي تصف لنا كيفية بناء الفرن:

"عندما تضع أسس فرن لصناعة الزجاج، عليك أولا ان تختار الشهر المناسب واليوم البهيج، وبعد ان تنتهي من وضع الأسس، عليك ان تبدأ في بناء الفرن وبشرط ان لاتنسى وضع دمية الآله "كوبو" داخل بناء الفرن، علما أنه لايجوز ان يمر من قرب الدمية رجل غير نظيف. وعليك ايضا سكب الماء المقدس وتقديم الأضاحي الى دمية الآله كوبو.

وفي اليوم الذي تنوى فيه وضع مزيج الزجاج في الفرن عليك أن تقدم خروفا قربانا لدمية الآله كوبو، وعليك ايضا ان تضع البخور في المبخرة، وعليك بعد ذلك ان تسكب خليطا من العسل والزبد، ثم أشعل النار في الموقد اذا كنت قد وضعت المواد اللازمة لعمل الزجاج. والخشب الذي تشعله في موقد الفرن يجب ان يكون سميكا ومقشر اللحاء. وقطع الخشب يجب ان تكون مقطوعة من جذوع خالية من العقد ومربوطة بسير مصنوع من الجلد، وعلى ان تكون الجذوع مقطوعة من اشجارها في شهر آب، حيث ان هذا النوع من الخشب هو الذي يجب ان يستخدم مع موقد الفرن"[٢٠].



قنينة زجاجية آشورية، عثر عليها في اور، القرن الثامن قبل الميلاد.





وبعد تقديم الترجمة الحرة للنص الخاص باسلوب بناء الفرن نرى من الضروري ان نشير الى ان الآشوريين قد نظروا الى الفرن الخاص بتصنيع الزجاج نظرتهم الى رحم المرأة، ونظروا الى الخليط الذي يوضع في داخله بغية تصنيع الزجاج نظرتهم الى الجنين داخل الرحم، لأن الاله كوبو هوالاله الخاص بالولادات التي تحدث قبل موعدها[٢١]، فتقديم الأضاحي الى هذا الاله يهدف بلا شك الى قبول رضا هذا الاله كي لاتخرج المادة المصنعة ناقصة او ضعيفة كما هو الحال مع الاطفال الذين يولدون قبل موعدهم.

قنينة زجاجية آشورية من القرن الثامن قبل الميلاد.

وفيما يخص الوصفة الخاصة بتصنيع الزجاج نفسه فهناك نص آشوري عثر عليه في نينوى مع نفس النص الخاص بانشاء الفرن. وهذا النص يبيّن كيفية صناعة الزجاج الذي يشبه بلونه لون حجر اللازورد. وهذا النص والنصوص الأخرى هي التي أكدت لنا على ان الآشوريين حاولوا من خلال تصنيع الزجاج الوصول الى تصنيع الأحجار الكريمة او تقليدها كما تفعل في الوقت الحاضر صناعة الزجاج تقليدا للماس والكرستال. وفيما يأتي الترجمة الحرّة للنص المذكور:

"اذا أردت ان تعمل زجاجا بلون اللازورد، عليك ان تدق بصورة جيدة عشرة منات من حجر أمانكو وخمس منات من نبات كاكاو $\frac{1}{2}$ منا من نبات ابيض اللون وتمزج الخليط جيدا، ثم ضع المزيج في فرن له اربع فتحات للناروعلى ان يتوسط المزيج الفتحات الأربعة. بعد ذلك أشعل نارا خالية من الدخان حتى يذوب المزيج وينصهر، حينئذ عليك أن تخرج المادة المنصهرة من الفرن واتركها حتى تبرد. وبعد ان تبرد تماما قم بصهرها ثانية، ثم ضع المادة المنصهرة في وعاء وضع الوعاء في خزانة الفرن الباردة. وبعد ذلك قم باشعال نار خالية من الدخان واستمر في الاشعال حتي يصبح المزيج أصفر بلون الذهب. وعند اخراج المزيج يتولد لديك زجاج زوكو، اي الزجاج النقي القريب الشبه بحجر اللازورد. وبعد ذلك قم بوضع عشرة منات من النحاس في اناء خاص ثم ضع الاناء في حيز ساخن من الفرن، ثم اغلق فتحات الفرن ودع نارا خالية من الدخان تشتعل حتى يتحول مركب النحاس الى شعلة حمراء.

وبعد ذلك قم بطحن عشرة منات من زجاج زوكو، ثم أضف المسحوق الى مركب النحاس في الفرن، واغلق باب الفرن عليها، وبعد ذلك قم بتحريك الخليط بالاداة الخاصة بذلك. واذا ماتعلقت بعض فقاعات الزجاج على الأداة



قنينة زجاجية آشورية ، حوالي ٦٥٠ - ٦٠٠ ق. م.

الخاصة بالمزج ، عندها يكون المزيج قد حصل على لون قرمزى .... ،، (٢٢) .

وبناء على ماتقدم نستطيع ان نؤكد بكل ثقة ان العالم اليوم الذي يستخدم المصنوعات الزجاجية ويتمتع بجمال منظرها مدين في ذلك للآشوريين.

**٢ - الطب :**

ان المعلومات الطبية التي خلفتها لنا النصوص البابلية والتي حصلنا على عدد كبير منها من مكتبة الملك آشور بانيبال ، لايمكن بأي حال من الاحوال ان تكون هذه المعلومات من نتاج السومريين والبابليين وحدهم بل هي معلومات ساهم في التوصل اليها وأورثها للاجيال اللاحقة سكان المناطق الشمالية ايضا ، ومما يؤكد ذلك أن الجذور الاولى للمعلومات الطبية السومرية والبابلية ترجع بأصولها الى المنطقة الشمالية ، التي شهدت ميلاد الحضارات الزراعية خلال فترة العصر الحجري الحديث ، حيث أنه من غير المعقول ان لاتكون لسكان هذه الحضارات معلومات حول علاج بعض الأمراض بالأعشاب والنباتات التي تنمو في المنطقة ، وخاصة اذا ماعلمنا بأن الطبيعة لم توجد مرضا على الكرة الأرضية الا أوجدت الى جانبه نباتا يعالج ذلك المرض ، والحكمة من ذلك هي خلق التوازن بين مايهدد الحياة وبين مايساعد على ادامتها .

ومما يزيد التأييد على هذا الافتراض ان النصوص الآشورية قد ذكرت الى جنب الطبيب كلمة أخرى تلفظ ''أشيبو'' والمختصون في الدراسات المسمارية قد ترجموا هذه الكلمة ''بطارد الأرواح الشريرة'' (٢٣) وربما كانت هذه الكلمة تعني في الأصل العشاب ، اي الشخص الذي يطرد الجن من أجسام المرضى بالأدوية المستحضرة من الأعشاب ، ولذلك نجد أن النصوص الآشورية تضع الأشيبو على قدم المساواة مع الطبيب الذي يلفظ ''آسو'' (٢٤) .

هذا والحقيقة التي تجعلنا نؤكد ان جذور المعلومات الطبية السومرية تكمن في المنطقة الشمالية ، هو أننا من المؤمنين بأن السومريين هم في الأصل من سكان الحضارات الزراعية ، انتقل عدد كبير منهم الى الجنوب بعد تكوينه في الألف الخامس قبل الميلاد نتيجة لتزايد عدد السكان في المناطق التي شغلتها الحضارات الزراعية مثل حضارة حسونة وحلف وسامراء .

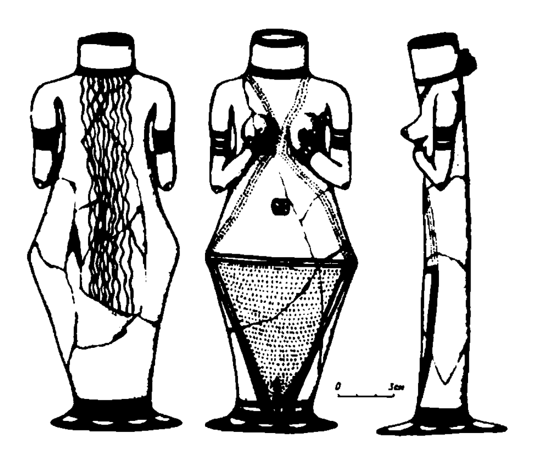
ومن خلال بعض الاصطلاحات الطبية التي ظهرت في النصوص السومرية المبكرة يبدو واضحا ان سكان المناطق الشمالية قد علموا منذ فترة مبكرة بان الأمراض تنشأ في الجسم نتيجة لدخول الجن الى جسم الانسان . وقد اكدت هذه الحقيقة من خلال كلمة مريض في اللغة السومرية ، التي تلفظ ''لوتورا'' وتعني حرفيا ''الرجل الذي دخل (في جسمه جن ) .





وحتى كلمة طبيب التي تلفظ سومريا "آزو" وتعني "العارف بالماء" تؤكد على ايمانهم بأن المرض هو نتيجة لدخول الجن (= الجراثيم) الى الجسم، حيث ان العلاج يتم بقراءة التعاويذ على الماء ليشربه المريض فيدخل الى الجسم، حتى يستطيع هذا الماء بما تم عليه من قراءة للتعاويذ ان يطرد الجن المستقر في جسم المريض.

وعلى مايبدو من بعض الآثار أن من المشكلات التي كان يعاني منها سكان هذه الحضارات، فضلا عن الأمراض موضوع عسر الولادة وشحة حليب الأم بعدها، لذلك كان العشاب او الطبيب يستخدم وسائله السحرية لمساعدة المرأة اثناء الولادة وما بعدها، بنفس الأسلوب الذي يستخدمه مع علاج الأمراض. والاناء على شكل المرأة هو الذي يشرب من خلاله الماء الذي يجهزه الطبيب.



اناء فخاري على شكل امرأة من موقع يارم تبة حوالي ٦٠٠٠ ق. م.

ومن الأدلة الواضحة على ان ماهو وارد في نصوص الفأل الطبية ترجع بجذورها الى المنطقة الشمالية اعتماد فقرات تلك النصوص على المبدأ السحري الذي ينص على ان العلل المتشابهة ينتج عنها نتائج متشابهة، وهذا المبدأ قداعتمدت عليه معظم الممارسات السحرية التي قام بها سكان الحضارات الزراعية، ومن التشخيصات المرضية التي تعتمد على هذا المبدأ الفقرتين التاليتين:

١- اذا رأى طارد الأرواح الشريرة وهو في طريقه الى بيت المريض خنزيرا ابيض فإن الرجل المريض سيعيش.
٢- اذا رأى طارد الأرواح الشريرة وهو في طريقه الى بيت المريض خنزيرا أسود فان الرجل المريض سيموت (٢٥).

ولتعليل هاتين الفقرتين وفق مبدأ العلل المتشابهة ينتج عنها نتائج متشابهة نشير الى ان اللون الأبيض يعني النور، والوضوح، والحق، أي انه شيء حسن، فلابد ان تكون النتيجة جيدة. واللون الاسود يعني الظلام، والحزن، والباطل، أي انه شيء رديئ. ولهذا لابد أن تكون النتيجة سيئة.

هذا ومن خلال النصوص الطبية التي جاءتنا من مكتبة الملك آشور بانيبال ومن مواقع أخرى يمكننا ان نقسم هذه النصوص الى مجموعتين الاولى هي المجموعة الخاصة بتشخيص الأمراض والثانية تمثل الوصفات الطبية لتلك الأمراض، ولكن هذا لايعني اطلاقا ان النصوص جميعا مصنفة هذا التصنيف، اذ هناك الكثير من النصوص التي تحتوي على تشخيص الأمراض ووصف العلاج لها ايضا.

وفيما يأتي بعض الفقرات الخاصة بتشخيص الأمراض:

١- اذا كان المريض مملوء ببثرات حمر من رأسه الى قدمه وجسمه أبيض، فهو مهاجم من قبل امرأة وهو في المنام، انها يد الاله سين.
٢- اذا كان المريض حاجبه ابيض ولسانه ابيض فان مرضه سيطول، ولكنه سيشفى (في النهاية).

٣- اذا ارتجفت الاذن اليمنى لرجل مريض فان مرضه خطر، ولكنه (مع ذلك) سيعيش.
٤- اذا كانت حلمات امرأة حامل مصفرة فانها ستسقط مافي رحمها.
٥- اذا ظلّت امرأة حامل تتقيأ فلن تكمل حملها.
٦- إذا أخذ طفل الثدي ولكنه لم يشبع وظل يصرخ فإنه مجروح داخلياً.

وفيما يخص نصوص الفأل الطبية الخاصة بوصف العلاج فهناك الكثير منها، ولكننا سنورد في ادناه بعض النماذج القليلة من أجل أخذ فكرة عن الموضوع فقط وهي مايأتي:

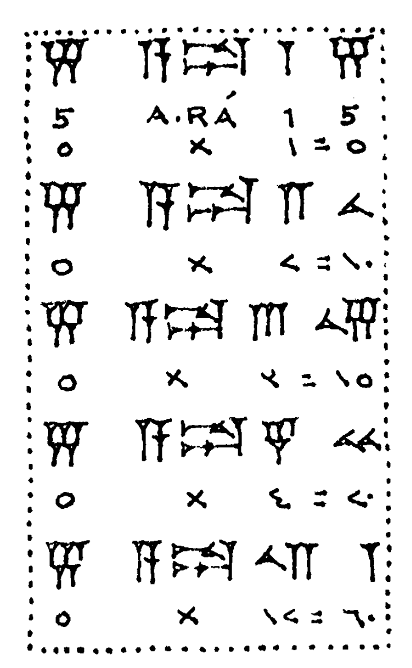
أ- اذا كان رجل مريضا بالسعال. أمزج صمغ الميعة بجعة قوية والعسل والزيت المنقى: اجعل لسانه يأخذه دون وجبة طعام، دعه يشربها وهي تتبخر (اي الميعة) من الحرارة في الجعة والعسل. دعه يتقيأ بواسطة الريشة، بعدها عليه ان يأكل مزيجا من العسل والخثرة ويشرب نبيذا حلوا ويشفى.
ب- للتخلص من حرارة المعدة اسحق الأدوية السبعة والقصب الحلو... والجلنيت والتمر وزيت التربنتين (نوع من أشجار الصنوبر)، وبعد ان تصفى تنقع بالجعة وتسخن بالفرن ثم تصفى بعد تبريده. وتضيف اليها قشور الشعير وتصب عليها ماء الورد، ثم تضع ذلك في شرج المريض، بعدها يشفى المريض[٢٦].

وفيما يخص الجراحة عند الآشوريين فليس هناك اشارات صريحة عنها، غير اننا نستطيع ان نؤكد مزاولة الأطباء الآشوريين لها، وذلك بسبب احتواء الجيش الآشوري على صنف الطبابة، لأن الجنود في اثناء المعارك يحتاجون الى الجراحة اكثر من احتياجهم للمعالجة بواسطة الأدوية.

وفضلا عن ذلك فان الجراحة كانت معروفة لدى سكان بلاد وادي الرافدين، وخير شاهد عليها هي المواد ٢١٥- ٢٢٥ من شريعة حمورابي، ولهذا فلابد للآشوريين ان تعرفوا عليها ومارسوها في حياتهم العملية.

### ٣- الرياضيات:

موضوع الرياضيات عند الآشوريين لايختلف عن موضوع الطب، حيث ان ماساهم به الآشوريون في مجال الرياضيات قد امتزج ايضا بالرياضيات السومرية والبابلية، وليس بامكاننا ان نحدد ماأنجزه الآشوريون لذاتهم، ولهذا فاننا مضطرون لأن نتحدث عن موضوع الرياضيات بشكل عام.




جزء من جدول ضرب الرقم خمسة





فمنذ الألف الثالث قبل الميلاد عمل المختصون بالرياضيات في وادي الرافدين على اعطاء الناس نتائج رياضية جاهزة لخدمة اعمالهم اليومية، وهؤلاء الناس لايعرفون كيفية الوصول الى هذه النتائج بما لديهم من معلومات ، وهذه الحقيقة قد تأكدت لنا من خلال النصوص الرياضية ، حيث ان هذه النصوص كانت تتألف من مجموعتين أساسيتين :

المجموعة الاولى : كانت تتمثل بالجداول الرياضية الخاصة بعمليات الضرب والقسمة واستخراج الجذر التربيعي وغيرها من الحالات الأخرى ، حيث ان هذه الجداول تعطينا نتائج ضرب الاعداد بعضها في بعض أو قسمتها من دون أن تبين لنا حقيقة عملية الضرب والقسمة ، ولذلك ان من يمتلك مثل هذه الجداول ، ماعليه الاّ ان

| | | | |
|---|---|---|---|
| IGI | 1 | GÁL-BI | 60 |
| تقيم | ١ | الناتج | ٦٠ |
| تقيم | ٢ | الناتج | ٣٠ |
| تقيم | ٣ | الناتج | ٢٠ |
| تقيم | ٤ | الناتج | ١٥ |
| تقيم | ٢٠ | الناتج | ٣ |

جزء من جدول قسمة الرقم ستين

ينظر في الجدول فيحصل على نتيجة الاعداد التي يروم قسمتها او ضربها مع بعضها ، على الرغم من أنه يجهل عملية الضرب او القسمة . وفيما يأتي نقدم نموذجين : الأول لجدول الضرب ، والثاني لجدول القسمة .

اما المجموعة الثانية : فتتمثل بالنصوص التي تتضمن حل المسائل الحسابية او الهندسية او الجبرية . ونصوص هذه المجموعة كسابقتها تعطينا النتيجة الصحيحة جاهزة من دون ان يعلم القارئ كيف توصل اليها كاتب هذه المسائل الرياضية .

هذا وقد ينتقد البعض هذا الأسلوب او يعده ناقصا ، الاّ أنه في حقيقته اسلوب واقعي ويتناسب وطبيعة الحياة آنذاك ، فمعرفة ابعاد الأشكال الهندسية ومعرفة الأوتار والأقطار والمساحات كانت ناحية ضرورية لكل العاملين في مجال البناء والاعمار، ولكن ليس بالضرورة ان يكون هؤلاء المهنيون مطلعين على المسائل الرياضية وكيفية الوصول الى حلها ، ولهذا فان نصوص هذه المجموعة تعطيهم النتائج جاهزة. ليستفيدوا منها في اعمالهم على الرغم من أنهم غير متخصصين في مجال الرياضيات .

وفيما يأتي نقدم مسألتين من هذه المجموعة (٢٧) :

ولكي يستطيع القارئ ان يتصور تماما ان سكان بلاد وادي الرافدين قد عرفوا فعلا مايسمى بنظرية فيثاغورس أعيد ترجمة الأسطر الأخيرة ابتداءا من السطر رقم ١٨ وحتى السطر رقم ٢٣ بشيء من التصرف لغرض التوضيح دون الاخلال بمضمون النص المسماري :

١٨ – ربّع الطول ب ج (وهو أحد الضلعين القائمين في المثلث أ ب ج ).

١٩ – فينتج واحد. احتفظ بالواحد في يدك ،





٢٠ – ثم ربّع العرض أ ب (هو ثاني الضلعين القائمين في المثلث أ ب ج)

٢١ – فينتج ٩/١٦ أضف مربع أ ب الى مربع ب ج (اي اجمع مربعي الضلعين القائمين)

٢٢ – فينتج ١ ٩/١٦ (= مجموع مربعي الضلعين القائمين، خذ الجذر التربيعي لهذا المجموع).

٢٣ – فينتج ١ ١/٤ طول الوتر أ ج (أي ان مربع الوتر في المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع مربعي الضلعين القائمين).

بحوالي ١٧٠٠ سنة. واختيارنا لهذا اللوح الرياضي يرجع الى سببين: الأول انه يبين المستوى العلمي الراقي الذي وصل اليه العاملون في مجال الرياضيات في العراق القديم. والسبب الثاني هو أن تل الضباعي يقع في منطقة تمثل وسط العراق، تلك المنطقة التي امتزجت فيها المعارف والعلوم الآشورية بالبابلية، ولهذا نعتقد ان المعلومات الواردة في هذا النص هي حصيلة العلماء البابليين والآشوريين على حد سواء. وفيما يأتي نقدم ترجمة النص المذكور:

١ – اذا سألوك عن مستطيل.

IGI - 7 - GÁL UŠ Ù A-ŠÀ GAR·GAR·MA 27

٢٧ = جمعت المساحة و الطول سبع

الترجمة الحرة: اذا جمعت سبع الطول مع المساحة، فالناتج هو ٢٧.

---

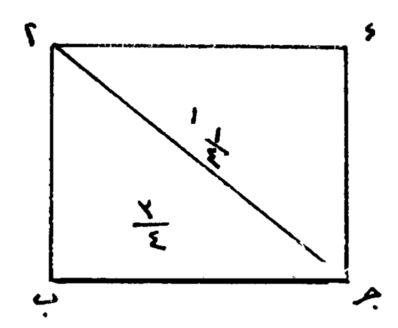
30 SAG UŠ Ù A.ŠÀ EN-NAM 42 UŠ 21 A.ŠÀ

المساحة ٢١ الطول ٤٢ كم ؟ المساحة و الطول العرض ٣٠.

الترجمة الحرة: - العرض هو ٣٠، كم هو الطول ؟ وكم هي المساحة؟

الطول يساوي ٤٢ والمساحة تساوي ٢١

وعلى الرغم من أن النصوص الرياضية لاتعطي تفاصيل الحل خطوة فخطوة فاننا تمكنا أن نعرف من لوح رياضي عثر عليه في تل الضباعي قرب بغداد الجديدة، وتأريخه حوالي ١٨٠٠ ق. م، بأن سكان بلاد وادي الرافدين قد عرفوا أن "مربع الوتر في المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع مربع الضلعين القائمين" قبل اليونانيين وقبل فيثاغورس








٢- (المفروض) على الوجه الآتي : القطر أ جـ = $\frac{١}{٢}$ ١، مساحة المستطيل أ ب جـ د = $\frac{٣}{٤}$

٣- (المطلوب اثباته) ما طول الضلع ب جـ وطول الضلع جـ د.

٤- (الحل) : ضع مايساوي طول القطر أ جـ.

٥- وأضرب بعضها ببعض فينتج $\frac{٩}{١٦}$ ١.

٦- احتفظ بهذا الرقم ($=\frac{٩}{١٦}$) بيدك.

٧- اضرب مساحة المستطيل أ ب جـ د (= $\frac{٣}{٤}$) في اثنين، فينتج $\frac{١}{٢}$ ١.

٨- اطرح $\frac{١}{٢}$ ١ من $\frac{٩}{١٦}$ ١ فيكون الباقي $\frac{١}{١٦}$

٩- ١٠- خذ الجذر التربيعي لـ $\frac{١}{١٦}$ فينتج $\frac{١}{٨}$، ثم نصف الناتج فتحصل على $\frac{١}{٨}$، ثم ضعف الناتج فيكون $\frac{١}{٦٤}$.

١١- أضف الى الناتج مساحة المستطيل أ ب جـ د ($=\frac{٣}{٤}$)

١٢- فينتج $\frac{٤٩}{٦٤}$. خذ الجذر التربيعي لـ $\frac{٤٩}{٦٤}$.

١٣- فينتج لديك $\frac{٧}{٨}$، ثم كرر الناتج،

١٤- ١٦- وأضف الـ $\frac{١}{٨}$ (التي ورد ذكرها في ترجمة السطرين ٩- ١٠) الذي ربعته الى احدهما (اي $\frac{١}{٨}+\frac{٧}{٨}$) واطرحه من أحدهما (اي $\frac{٧}{٨}$ - $\frac{١}{٨}$) فينتج (في الحالة الأولى) واحد، وهو مقدار ب جـ (وفي الحالة الثانية) $\frac{٣}{٤}$ طول أ ب.

فاذا كان الطول واحدا.

١٧- والعرض $\frac{٣}{٤}$، فما مقدار مساحة المربع وما هو قطره.

١٨- (أنت في) حلك ربع الطول ب جـ (= ١)

١٩- فينتج واحد، احتفظ بالواحد في يدك.

٢٠- (ارجع) وربع $\frac{٣}{٤}$ الذي هو العرض أ ب.

٢١- فينتج $\frac{٩}{١٦}$. أضف هذا الى مربع ب جـ

٢٢- فينتج $\frac{٩}{١٦}$ ١. خذ الجذر التربيعي لـ $\frac{٩}{١٦}$ ١.

٢٣- ٢٤- فينتج $\frac{١}{٤}$ ١ ويكون $\frac{١}{٤}$ ١ قطرك (اي طول أ جـ). أضرب طولك بالعرض، فتحصل على $\frac{٣}{٤}$ وهي مساحتك، أي مساحة المستطيل أ ب جـ د.

٢٥- هكذا يكون الحل[٢٨].

### ٤- الفلك والتنجيم :

من الحقائق الأكيدة أن التنجيم وعلم الفلك البابلي قد قاما على قاعدة متينة من المعلومات الفلكية التي توصل اليها سكان المناطق الشمالية الذين اعتمدوا في زراعتهم بالدرجة الأساس على المطر.

ولتوضيح هذه الحقيقة نشير الى ان نصوص الفأل البابلية للنصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد كانت تستخدم بالدرجة الاولى حركة الكواكب والنجوم لكشف طالع البلدان والملوك فقط، ولم تنظر الى الأفراد الاعتياديين، وهذه الحقيقة ولاشك تدعو الى الاستغراب والتساؤل، ولبيان هذا الموضوع لابد لنا ان نقول ان العلم





الحديث قد اكتشف بكل وضوح ان هناك علاقة فيما بين حركات الكواكب والنجوم والتقلبات الجوية التي تحدث على الكرة الارضية. وهذه العلاقة التي اكتشفها العلم الحديث تدفعنا الى الاعتقاد بأن سكان المناطق الشمالية لابد لهم ان اكتشفوا هذه الحقيقة نفسها وراقبوها وحددوا تأثيراتها على التقلبات الجوية على نحو دقيق، ولذلك أصبحت حركات الكواكب والنجوم دلالات على مستقبل البلدان والملوك، لأن هذه التقلبات تؤثر ولاشك تأثيرا مباشرا على مصادر غذاء الانسان، وخاصة اذا ماعلمنا أن الانسان القديم لم يستخدم نظم الري في سقي مزروعاته الاّ في حدود ٥٠٠٠ ق. م، وفي مناطق محددة فقط، حيث ان هناك مناطق لاتسمح طبيعتها الجغرافية الاّ بالاعتماد على المطر، وعليه فان حياة جميع البشر خلال الفترات التي سبقت التاريخ المذكور وبعضها حتى بعده كانت تعتمد كليا على المطر الذي يتأثر بالتقلبات الجوية.

وارتباط مصير الملوك بالتقلبات الجوية راجع الى ان الكهنة والحكام الذين مارسوا سلطاتهم الدينية والسياسية خلال الفترات التي سبقت الألف الثالث قبل الميلاد كانوا مسؤولين مسؤولية مباشرة عن توفير الغذاء لمجتمعاتهم، ولذلك فان النقص الذي يحصل في كميات الغذاء ينعكس سلبيا على الحكام وعلى مصيرهم، وبذلك أصبحت حركات الكواكب والنجوم علامات دالة على مستقبل البلدان وحكامها.

والذي يؤكد اهتمام سكان المناطق الشمالية بحركة الكواكب والنجوم كثيرا مجموعة الرسائل التي بعثت الى البلاط الآشوري من كافة أرجاء الأمبراطورية الآشورية والتي تتعلق بتحديد بداية الشهر وتحديد اليوم الأول من الشهر وتثبيت موعد الشهر الكبيس وغيرها من الأمور المتعلقة بالأمور المرتبطة بعلم الفلك. وفيما يأتي نقدم نص احدى الرسائل الى البلاط الآشوري :

"الى سيدي الملك : من عبدك ادد– شومو– اوصر، عندما راقبت الهلال في اليوم الثلاثين من الشهر وجدته عاليا... عاليا جدا بالنسبة لليوم الثلاثين من الشهر، وان وضعه يتناسب مع وضع الهلال لليوم الثاني من الشهر... فاذا كانت هذه المعلومات مناسبة لسيدي الملك، فخير على خير، والاّ علينا ان ننتظر التقرير القادم من مدينة آشور، وبعد ذلك يحدد اليوم الاول من الشهر"(٢٩).

هذا وقد يسأل بعضهم ويقول اذا كانت المعلومات التي جمعها سكان المناطق الشمالية حول حركة الكواكب والنجوم وعلاقتها بالتقلبات الجوية معلومات دقيقة وصحيحة، فكيف اذن تحولت لدى السومريين والبابليين الى مادة تخدم اغراض التنجيم ومن بعد ذلك لأغراض علم الفلك؟
للجواب عن هذا السؤال نقول : عندما انتقل الانسان منذ بداية الألف الخامس قبل الميلاد الى القسم الجنوبي من العراق واستخدامه للري في زراعته فلم يعد للمطر أي تأثير على حياته، ولذلك أهمل تلك المعلومات المتعلقة بحركة الكواكب والنجوم وعلاقتها بالتقلبات الجوية، لانها لم تعد تؤثر على حياته وعلى محاصيله الزراعية، غير ان الكهنة والمنجمين قد استغلوا هذه المعلومات لأغراض التنجيم المتعلق بكشف طالع البلدان والملوك.

هذا ومن الأدلة الأخرى التي تؤكد ان مراقبة حركة الكواكب والنجوم قد بدأت في المنطقة الشمالية أن معظم فقرات الفأل المتعلقة بهذا الموضوع تتحدث عن سقوط المطر او شحته. وفيما يأتي بعض النماذج :

١– اذا ظهر في بداية موسم البرد، أي في شهر ايلول او تشرين الأول الكوكب عطارد





اوالزهرة في جهة الشرق ، ففي هذه السنة سوف يسقط المطر الكافي .

٢ – اذا ظهر الكوكبان عطارد والزهرة سوية من جهة الغرب ، وكان ذلك في بداية موسم الحر ، فهذا يعني ان المطر لن يسقط .

٣ – اذا ظهر في بداية موسم البرد الكوكب عطارد او الزهرة في جهة الشرق وكان ضوؤه خافتا ، فهذا يعني مطرا قليلا وفيضانا ضئيلا .

٤ – اذا ظهر الكوكب عطارد في بداية شهر كانون الثاني والسماء قد أمطرت ، فهذا يعني ان المطر سيستمر لثلاثة ايام وفي اليوم الثامن منه سيأتي مطر غزير.

٥ – واذا ظهر الكوكب عطارد في اليوم الثاني من شهر كانون الثاني ، فسوف يسقط المطر في اليوم الرابع منه ، واذا ظهر في اليوم الخامس فان المطر سوف يسقط في اليوم السادس منه .

٦ – واذا ظهر الكوكب عطارد في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني فسوف يسقط المطر لمدة اربع ساعات في اليوم الخامس عشر منه .

٧ – اذا ظهر الكوكب عطارد في اليوم العشرين فسوف يسقط المطر لمدة ثلاث ساعات يوميا وغزارة المطر وقلته يتوقفان على لمعان الكوكب وخفوت ضوئه .

٨ – اذا ظهر الكوكب عطارد في بداية أحد أشهر الشتاء وصادف أن أمطرت السماء ، فهذا يعني ان المطر سوف يسقط في اليوم الثالث كذلك ، واذا حصل ذلك فعلا فسوف تمطر السماء في كل أربعة ايام .

٩ – اذا ظهر الكوكب عطارد في اليوم العاشر من أحد أشهر الشتاء فمنذ اليوم العاشر ولمدة ثلاثة ايام وثلث سوف يسقط المطر.

١٠ – اذا سار الكوكب المشتري والكوكب زحل سوية فهذا يعني ان المطر يسقط بغزارة لمدة ثلاثة ايام .

١١ – عندما يكون كوكب المشتري في برج الأسد والكوكب زحل في برج الدلو يمكن القول ان مطرا غزيرا ومياها عالية سوف تصب على البلدان ، وسوف تزيد القوة الشرائية وتحل الوفرة في الحبوب .

١٢ – عندما يكون الكوكبان المشتري وزحل سوية أما من برج الدلو او في برج الأسد يمكن القول ان المطر سيسقط بغزارة والمياه ستكون عالية .

١٣ – واذا استمر بقاء الكوكبين (اي المشتري وزحل) في موضعها (اي أما في برج الدلو او في برج الأسد) لمدة طويلة وانخسف معهما القمر ، اوانكسفت معهما الشمس ، فهذا يعني ان القحط سوف يحل وسوف تتضرر البشرية كثيرا[٣٠] .

هذا والمعلومات التي استخدمها الكهنة البابليون لأغراض التنجيم سرعان ماتطورت الى علم . والسبب في ذلك هو ان المعلومات التي استند عليها التنجيم البابلي هي معلومات دقيقة وناتجة عن مراقبة دقيقة لحركة الكواكب والنجوم وعلاقة تلك الحركة بالتقلبات الجوية ، وليس لها اية صلة بالشعوذة أو الدجل ، وخير شاهد على تطور التنجيم الى علم الفلك تلك المعلومات التي عرضناها فيما تقدم والمعلومات التي قدمها لنا رقيم طيني محفوظ في المتحف البريطاني ويعود بتاريخه الى فترة حكم الملك البابلي "آمي صادوقا" ١٦٤٦ – ١٦٢٦ ق. م ، حيث تضمن هذا الرقيم على معلومات لها علاقة بظهور واختفاء كوكب الزهرة بشكل خاص وبظهور واختفاء كل الكواكب التي يمكن مشاهدتها من على الأرض . والفقرة الآتية مقتبسة من النص المذكور:

"اذا اختفى كوكب الزهرة في الشرق في اليوم الحادي عشر من الشهر الثاني وبقي بعيدا عن السماء لمدة شهرين وسبعة أيام ، وبعد ذلك ظهر الكوكب





في الغرب في اليوم التاسع عشر من الشهر العاشر، فان الحصاد سوف يكون جيدا من الناحية الاقتصادية"... علما ان معلومات هذا الرقيم قد وضحت لنا أن ظهور واختفاء الزهرة لايحدث بصورة منتظمة خلال العام الواحد بل ينتظم الظهور والاختفاء من حيث المكان كل ٥٦ سنة. وهذه المعلومات الدقيقة لايمكن ان تكون لاغراض التنجيم، بل هي لأغراض علم الفلك الصرف(٣١).

وفي أدناه نقدم عددا من الفقرات الخاصة بالتنجيم البابلي ليستطيع القارئ ان يفرق بين ماهو لأغراض التنجيم وبين ماهو لأغراض علم الفلك:

١ – اذا حدث خسوف القمر في الشهر الحادي عشر وفي اليوم الرابع عشر منه، فان العدو سوف يستولي على جزء من بوابة المدينة، والملك سوف يخرج مع مجموعة من جيشه، ولكنه سوف يندحر، وبعد موت الملك فان البلاد سوف تحقق بعض النجاح وسوف يحل السلام.

٢ – اذا ظهرت الشمس في احدى ساعات المساء فان ذلك يعني فناء نصف السكان.

٣ – اذا ظهرت الشمس في احدى ساعات منتصف الليل فان ذلك يعني ان هناك ثورة ترتب في البلاد ضد الملك.

٤ – اذا ظهرت الشمس في احدى الساعات الليلية القريبة من الصباح فان ذلك يعني ان تلك المدينة سوف يكون لها ملك ثان»(٣٢).

وفي الختام وبناء على كل ماتقدم يبدو لنا الآن واضحا أن علم الفلك البابلي يقف فعلا على قاعدة من المعلومات التي توصل اليها سكان المناطق الشمالية من قبل ان يسكن القسم الجنوبي من العراق ويستخدم السكان فيه نظام الري في سقي مزروعاتهم.

هذا من جهة ومن الجهة الأخرى يبدو واضحا بأن الأبراج السماوية ماهي في حقيقتها الآ الاحداثيات السماوية التي يستطيع المنجمون وعلماء الفلك ان يحددوا بموجبها مواضع الكواكب والنجوم وامكان الظواهر الفلكية في القبة السماوية بشكل دقيق، وعليه فان وظيفتها في السماء لاتختلف عن وظيفة خطوط الطول والعرض على الكرة الأرضية.



الواقف على الكرة يمثل كوكب المريخ اله يوم الثلاثاء عند سكان الحضر.





## الهوامش

(١) H.Schmökel, das land Sumer, 2. AUFLAGE
(٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٧٣، ج ١، ص ٥٢٩ – ٥٣٠.
(٣) The Assyrian dictionary,(CAD), "G", r. 86.
(٤) ادوارد كييرا، كتبوا على الطين (= رقم الطين البابلية تتحدث اليوم)، ترجمه وعلق عليه محمود حسين الأمين، ص ١٨٨ – ١٨٩.
(٥) آفاق عربية، المصدر السابق، ص ٩٩، رقم ٣٩.
(٦) هاري ساكز، لندن، ١٩٦٦، وترجمة عامر سليمان، ص ١٠٩.
(٧) The Assyrian Dictionary "L" r.194 – 195.
(٨) جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام، المجلد الثامن، ص ٣٦٩.
(٩) المصدر السابق، ص ٥٠٢ – ٥٠٤.
(١٠) Cameron, G. The Annals of Shalmaneser III, King of Assyria Sumer (1950)p. 6 – 26.
(١١) Borger, R., Babylonisch – Assyridche lesestuecke, 1963, S. 73.
(١٢) نفس المصدر السابق، ص ٨١ – ٨٥.
(١٣) جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد آشور، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، ١٩٧٩، ص ٢٦٠ – ٢٦٧.
(١٤) آفاق عربية، السنة العاشرة، العدد (١)، كانون ثان ١٩٨٥، ص ٩٢ (نظم الارواء في العراق القديم).
(١٥) A. Moortgat A., alt vorder asiatische malerel Berlin, S. 14 – 17.
(١٦) مارتن ليفي، النحاس والبرنز في بلاد مابين النهرين، مجلة النفط والتنمية، عدد خاص، السنة ٨،٧ نيسان – مايس ١٩٨١، ص ١٢٧.
(١٧) Ander parrot, Sumer, pp. 158, 361.
(١٨) Oppem heim, L., glassmaking in ancientt, Mesopotamia, New york, 1970, p. 17.
(١٩) The Assyrian Dictionary, k, chicago, 1971, r. 571.
(٢٠) Glass and glassmaking in ancient Mesopotamia. New york, 1970, p. 32 – 33.
(٢١) D.O.Edzard, wörterbuch der mythologie, teili die mythologie der sumerer and akkader, 5.93.
(٢٢) Glass Oppeluim and glassmaking in ancient Mesopotamia, New york, 1970, p. 34 – 35.
(٢٣) The Assyrian dictionary, AII, Chicago, 1968, p. 431.
(٢٤) H.W.F.Saggs, The Might that was Assyria, London, 1984.
(٢٥) هاري سكالز، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، ص ٥٣٠.
(٢٦) فيما يخص فقرات الفأل الطبية، فهي مأخوذة من المصدر السابق، ص ٥٣١ – ٥٣٩.
(٢٧) Kurt vogel, vorgriechische mathematik, Teil II, Hannorer, 1959, S. 14.
(٢٨) طه باقر، مجلة سومر، المجلد الثامن عشر لعام ١٩٦٢، ص ٥ – ٢٠.
(٢٩) Bulletin, The Society for Mesopotamian Studies,5 May, 1983, r. 18.
(٣٠) افاق عربية، السنة العاشرة، العدد الثاني، تشرين الاول ١٩٨٤، ص ١٠٩ – ١١٢.
(٣١) EricaReiner, bibliotheca Mesopotamica, The venus tablet of Ammisaduq, 29 – 64.
(٣٢) فوزي رشيد، علم الفلك وقياس الاوقات في العراق القديم، افاق عربية السنة ١٠، العدد ٢، عام ١٩٨٤، ص ١١٠ – ١١١.

# فن العمارة

أ. د. عادل نجم عبو

## أولاً: المؤثرات الطبيعية والمواد الانشائية:

لدراسة الطرز المعارية القديمة في منطقة الموصل لابد من معرفة العوامل الأساسية التي تؤثر في التشكيل المعاري سواء أكانت في منطقة الموصل أم في غيرها، ويمكن اجمال ابرز هذه العوامل بما يأتي:

١ – العامل الجغرافي، ويقصد به طبيعة التربة وأنواع الصخور المتوافرة، وتوفر الغابات من





عدمه اذ تتحد الخصائص الطبيعية مع نمو المدينة القديمة وتخطيطها[1].

٢ – عامل المناخ من حرارة ورطوبة ورياح ... الخ.
٣ – التقاليد المتوارثة.
٤ – الابداع والابتكار.
٥ – التأثيرات الوافدة على المنطقة.

ويضيف البعض عوامل أخرى مثل العوامل الاجتماعية والدينية[2]، في حين ادخلنا هذه العوامل ضمن عوامل الابداع والابتكار. ويتفاوت مدى تأثير كل من هذه العوامل من منطقة لأخرى، فقد يكون للعامل الجغرافي تأثيره الأعم في منطقة في حين يكون للتأثيرات الوافدة الدور الأكبر في منطقة أخرى.

وللحكم على مدى اصالة أي طراز معماري لابد من البحث أولا عن مدى تأثير كل من العوامل المذكورة آنفاً.

كان العامل الجغرافي واضحا على العمارة في منطقة الموصل منذ نشوئها في العصر الحجري الحديث، اضافة الى العوامل الأخرى مثل عامل المناخ والابداع والابتكار وغيرها.

لقد جرت مناقشات عن أقدم المواد المستخدمة في العمارة، أهي الخشب أم الحجر، وكانت هذه الناحية على درجة كبيرة من الأهمية، اذ انها تحدد التنوع بالأشكال المعمارية تبعاً للمواد المستعملة[3]، ونرى أن توافر المواد هو الذي حدد أول استعمال لها، ولا يمكن تحديد مادة معينة كمادة أولى، فان استخدمت الأخشاب في ايطاليا مثلا فقد استخدمت الحجارة في مراكز أخرى. فاستخدمت الأخشاب في المناطق التي تتوافر فيها الغابات، واستخدم الطوف في منطقة الموصل في عصري حسونة وحلف وعن الطوف تطور ابتكار اللبن في عصر العبيد والذي أصبح المادة الاساسية المستخدمة في المنطقة طيلة الفترات الحضارية، ومازال يستخدم حتى الوقت الحاضر. ومع ذلك فقد تميزت كل فترة باسلوب معين من أساليب استخدام اللبن تبعا للحاجة التي أملتها الظروف[4]. فحين أدرك الأنسان خصائص اللبن كمادة متوافرة وعازلة شكّل مبانيه بها كمادة أساسية مع استخدام مواد ثانوية أخرى بالنسبة لها، وخاصة في فترات التاريخ الآشوري، فقد استخدم في تشييد المعابد والقصور بجدران ذات سمك يتجاوز المترين أحيانا، وكانت الغاية من المبالغة في السمك هو العزل والتعويض عن ضعف اللبن. كما استخدم اللبن في بناء أجزاء صلدة تماما كبناء الزقورات والمصاطب التي تشيد عليها القصور والمعابد في العواصم الآشورية والتي يصل ارتفاعها الى خمسة عشر مترا[5]، واستخدم الطين مادة رابطة "مونة"، كما استخدمت قطع الحصير لربط كافة أجزاء الجدار عند كل عدد معين من صفوف اللبن.

ويؤثر العامل الجغرافي من ناحية أخرى على قدرة استخدام الآجر اذ أن قلّة الوقود اللازم لفخر اللبن من أخشاب وغيرها أدت الى التقتير في استخدام الآجر. كما ان قلّة الأخشاب هذه ربما أثرت هي الأخرى على ابتكار مايعوض عنها، فكانت العقود والقبوات من أهم وسائل تغطية الفراغات سواء أكانت ضيقة أم واسعة وتطور عن هذا تقنيات خاصة في البناء كما سنرى.

مع ذلك لم يكن هناك ندرة او شحة في استخدام الآجر، فقد استخدم حينما كانت هناك حاجة اليه او حيثما كان الآجر أسهل في استخدامه من غيره، حيث استخدم في واجهات بعض المباني، واستخدم في واجهات بعض القبوات او في تشييد القبوات برمتها[6]، وكذلك في انشاء مجاري تصريف المياه[7] والآبار، بل وطور انسان منطقة الموصل صناعة الآجر فكان أول من ابتكر التزجيج على الآجر ليكون من خلال تراكب قطع الآجر لوحة فنية مترابطة أعدّ لها سلفاً.





ولمعالجة المنحنيات سواء في العقود والقبوات أو الآبار فقد أعدّ آجر بأحجام وأشكال تتناسب وفتحة العقد او القبو او البئر، اذ كان الآجر المستخدم في الآبار مثلا بشكل شبه منحرف يرصفه الى جانب بعضه بشكل دائرة ذات قطر معين. وبذلك يتخلص المعمار من الفواصل غير المنتظمة بين قطع الآجر وأمكنه تشييد البئر ثم العقد اوالبئر باستخدام الطين فقط كمونة للبناء[٨].

وفضلاً عن الآجر استخدمت الحجارة مادة ثانوية الى جانب اللبن، حيث استخدم حجر الكلس "الحلان" بشكل قطع طبيعية في بناء أسس القرى الزراعية الاولى في العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني، حيث استخدمت لبناء الأسس في عصر حسونة[٩] وما زال هذا النمط من البناء يستخدم في منطقة الموصل مع الجص اوالاسمنت.

اما في العصر الآشوري فقد استخدم نوعان من الحجارة المتوافرة في المنطقة، الحجر الكلسي "الحلان" والرخام، وهو نوع آخر من الحجر الكلسي، وكما جاء في لسان العرب، هو حجر ابيض سهل رخو[١٠] ويتفق هذا الوصف مع استخدام الآشوريين له، اذ استخدم في الأجزاء البعيدة عن تأثيرات المياه والشمس لتلافي العيب الذي يظهر في هذا النوع من الحجارة[١١]. اذ نلاحظ استخداما شاملا لهذا النوع من الحجارة في تأطير الأجزاء السفلى من الجدران الداخلية وفي عمل المنحوتات الجدارية. واستمر استخدام هذا النوع حتى الوقت الحاضر لنفس الأغراض التي استخدمت في العصر الآشوري.

وكان الرخام يجلب عادة من المقالع القريبة من نينوى مثل بلط أو بلاطو، او بلد او من المقالع الأقرب الموجودة حاليا في مدينة الموصل نفسها[١٢]، وان استخدام الآشوريين للحلان والرخام في مواضعها يشير الى ادراك الآشوريين لخصائص هذه المواد. كذلك استخدم الرخام في عمل التماثيل وخاصة الثيران المجنحة الحارسة لبوابات المدن والقصور الآشورية.

أما الحجر الكلسي الأبيض "الحلان" الذي يكثر في المنطقة ايضا[١٣]، فقد استخدم في تغليف الأجزاء الخارجية من القصور والمعابد والأسوار لمقاومته لعوامل المناخ، فاستخدم في تأطير الأجزاء السفلى من الجدران الخارجية بشكل ألواح على غرار الألواح الرخامية، وفي تنفيذ الأعمال الفنية مثل الثيران المجنحة وتماثيل الملوك والآلهة وفي تبليط الأرضيات واستخدمت في تغليف الأجزاء الخارجية من سور نينوى. وكان لبناء هذا النوع من الحجارة تقنيات خاصة تميزت بها العمارة الآشورية.

استخدم الطين مادة للشد بين قطع الحجارة وفي حشو الأجزاء الخلفية الى جانب الحجارة غير المهندمة. اما حين يكون البناء عرضة لسيول المياه مثل قنطرة جروانة التي تشكل جزءا من مشروع ري سنحاريب فقد استخدم القير بكثرة بين فواصل كتل الحجارة المهندمة ولتغطيتها.

الى جانب هذه الأغراض الانشائية استخدمت الحجارة لرصف الطرق الخارجية إذ وجدت بقايا طريق مرصوف بين بوابة نرجال الآشورية ومدينة تربيص[١٤] "شريف خان" ولعل مثل هذه الطرق كانت منتشرة في أجزاء أخرى من الامبراطورية الآشورية خاصة اذا علمنا أن أحد الطرق المؤدية الى آسيا الصغرى تميز باسمه "الطريق الملكي" وبذلك يكون الآشوريون قد سبقوا غيرهم بالاهتمام برصف الطرق الخارجية أمثال الرومان.

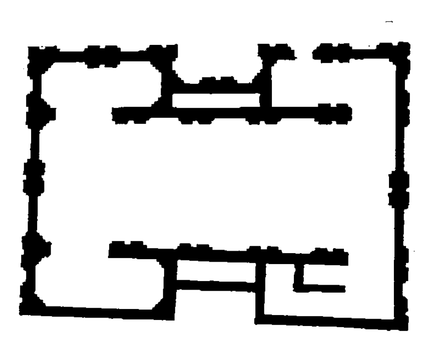




ثانيا : الطرز المعمارية :

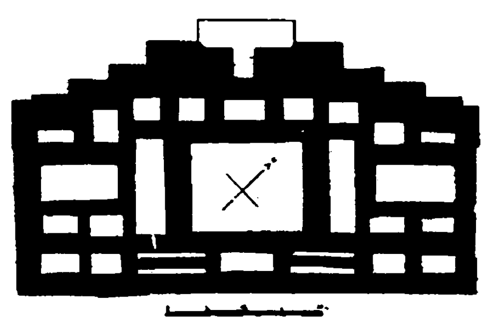
أ- المعابد والزقورات :

ظهرت اولى المعابد في المنطقة خلال عصر العبيد ، شأنها في ذلك شأن جنوب العراق ، وقد سارت المعابد منذ تلك الفترة في الشمال والجنوب جنبا الى جنب يكمل بعضها بعضاً في مجال التطور المعماري ، اذ يمثل معبد الطبقة الثالثة عشرة في تبة كورا ، شمال الموصل ، اقدم هذه المعابد ، ومع ذلك فان هذا المعبد يشكّل في تخطيطه وعناصره المعمارية الأساس الذي نلاحظه في معابد العصور اللاحقة مثل توجه زواياه نحو الجهات الرئيسية ، والطلعات والدخلات والارتفاع من مستوى المباني المجاورة وباحتوائه على المذبح ودكة القرابين[١٥] (الشكل ١) .



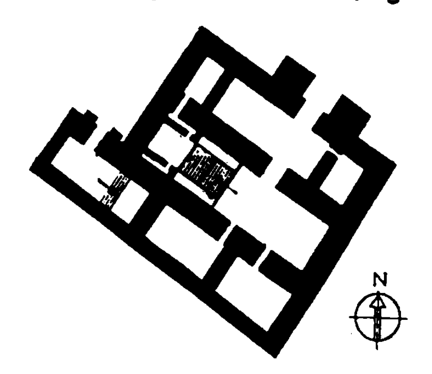
(الشكل ١) مخطط الطبقة الثالثة عشر في تبة كورا.

أما خلال العصور التاريخية التالية فيبدو أن العمارة في المنطقة قد تأثرت الى حد بعيد بالتطورات المعمارية في الجنوب مادامت خاضعة له سياسياً، وخاصة في العصر الأكدي وعصر سلالة أور الثالثة ، فالفن الآشوري مثلا اعتمد على الفن البابلي القديم[١٦] . وبدأت خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد تتبلور خصائص معمارية متميزة رغم احتفاظها بالأطار العام لمقومات حضارة وادي الرافدين من ديانة وفنون ونظم حكم[١٧] وغيرها ، كما بدأت هذه الخصائص تؤثر في العمائر الدينية في الجنوب[١٨] .



(الشكل ٢) مخطط معبد سن- شمس في آشور.

ففي عصر شمشي ادد الآشوري في القرن الثامن عشر قبل الميلاد توسعت الدولة الآشورية وتعدّت نطاق حدودها القديمة فشملت ماری وأرض الجزيرة الفراتية وتأسست أول امبراطورية شملت معظم شمال العراق[١٩] ، وقد صاحب ذلك ظهور خصائص متميزة في العمارة في بلاد آشور، فقد شيّد شمشي ادد الكثير من المباني في مدينة آشور مثل معبد الآلهة عشتار والاله آشور[٢٠] .

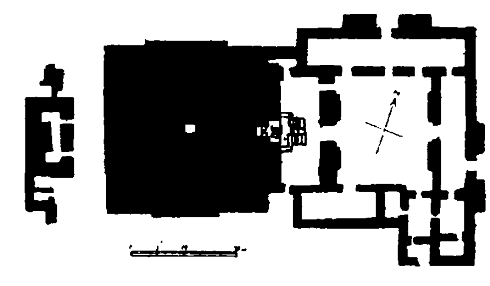



(الشكل ٣) مخطط معبد عشتار في آشور.

وكشف عن أدلة توحي بوجود تحول كامل في الفن والعمارة الآشورية خلال تلك الفترة مثل معبد







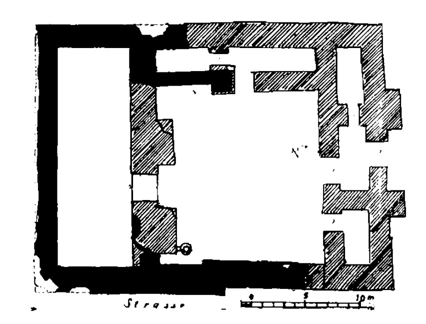
(الشكل ٤) مخطط معبد آشور في كار تكولتي ننورتا.

سن – شمش في آشور الذي يعزى بناؤه الى الملك آشور نيراري الأول (١٥١٦ – ١٤٩١ ق. م) الذي يمثل لأول مرة صفات آشورية خاصة وهو يعد أول نموذج للمعبد الخاص بالآشوريين(٢١) (الشكل ٢).

ويرى البعض أن الخصائص المتميزة للعمارة الآشورية ظهرت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ليس فقط في الأسلوب بل والموضوع ايضا(٢٢). فقد شكلت المواضيع الدنيوية بتأثير من الواقعية بحيث لم يكن هناك من عنصر بدون فائدة. وتعوض تصاميم المباني الدينية تشكيلات صارمة لاتسمح للبشر بمقابلة الآلهة وجها لوجه بل يمارس الطقوس الدينية أمام تماثيلها، وقد انعكست المفاهيم الدينية للآشوريين في بقية معابدهم ونصبهم الدينية منذ ذلك العصر(٢٣).

ونلاحظ في هذا العصر اعادة بناء معبد عشتار من قبل توكلتي – نينورتا الأول (١٢٥٠ – ١٢١٢ ق. م) والذي يرجع بالأصل الى عصر فجر السلالات، على نفس الأسس القديمة، ولكن مع التغييرات الممكنة ليتلاءم مع المعتقد الآشوري حيث أضيفت دكة الاله ولكن بشكل مختلف اذ اصبحت اعلى في مستواها مما كانت عليه في الجنوب او في مراحلها الاولى في آشور، فوضعت الدكة ضمن دخلة عميقة أشبه ماتكون بغرفة قائمة بذاتها يصعد اليها بسلم مدرج وهي احدى خصائص المعبد الآشوري(٢٤) (الشكل ٣). مع ذلك مازالت التأثيرات البابلية واضحة في بعض مباني توكلتي – نينورتا سيما في معبد الاله آشور الذي شيده لصق الزقورة في كار توكلتي ننورتا (تلول العقر) عبر نهر دجلة مقابل آشور(٢٥) (الشكل ٤).

ونتيجة للأوضاع السياسية المضطربة في الفترة بين القرنين الثاني عشر والتاسع ق. م ضعفت فيما يبدو النشاطات المعمارية، الا أن هناك بعض الشواهد على استمرار الآشوريين في بناء المعابد من هذا الطراز خلال الفترة المضطربة هذه مثل بنائهم لمعبد آنو – ادد في مدينة آشور الذي شيّد من قبل تكلات بلاصر الأول وأباه من قبله خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد(٢٦) والذي يتكون من معبدين متميزين وضعا جنبا الى جنب بين زقورتين مربعتين (الشكل ٥)، وهناك خلوة ضّيقة عميقة في جميع المعابد الآشورية.



(الشكل ٥) مخطط معبد انو – آدد في آشور.

ومن الواضح أن الكثير من تجارب تركيب الوحدات المعمارية قد ظهرت في هذا العصر، ومن المحتمل جدا ان الاختلاف بين العمارة الآشورية والبابلية يرجع الى الابتكار المتعمد من قبل الآشوريين(٢٧).

وشهد العصر الآشوري الحديث تطورا كبيرا في بناء المعابد، وقد كشف اعداد كبيرة من بقايا تلك

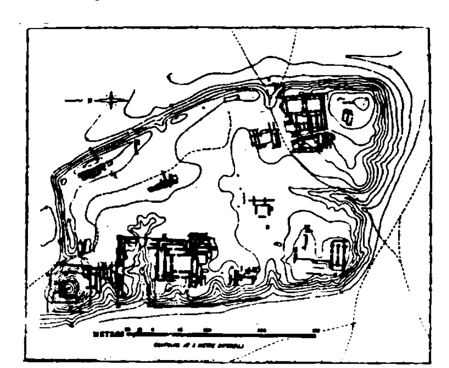




المعابد، لاسيما في آشور[٢٨]، كما شهد العصر الآشوري الحديث تغييرا مستمرا في العواصم السياسية من آشور الى كال في القرن التاسع ق. م ثم الى نينوى واستحداث دور شروكين وهجرانها والعودة الى كلخو ونينوى، ونتج عن ذلك حركة عمرانية كبيرة جدا تتناسب والعظمة العسكرية والسياسية التي تلقتها بلاد آشور آنذاك.

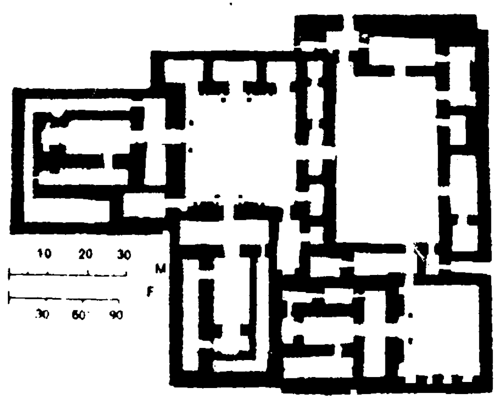
اقترن بناء المعابد في هذه الفترة مع بناء القصور الملكية التي شيدت على مصاطب صناعية من اللبن، خاصة في كلخو ونينوى ودور شروكين، بل وكانت جزءا منها احيانا. اذ ان الواجبات الدينية للملك الآشوري اختلفت عن سابقيه اذ مارس واجباته كوسيط بين المجتمع والآلهة[٢٩] ولايعني هذا عدم وجود المعابد في مناطق أخرى من المدينة، ففي دور شروكين مثلا عثر على معبد سيبيتي «الآلهة السبعة» في المنطقة المخصصة لدور السكن.

في قلعة كلخو (الشكل ٦) نلاحظ الزقورة والمعبد السفلي، معبد ننورتا، ومعبد نابو في الجانب الجنوبي الشرقي من القلعة[٣٠]، ومثل هذه المعابد نلاحظها في التلين الرئيسيين في نينوى، في تل النبي يونس



(الشكل ٦) مخطط قلعة كلخو.

وقوينجق، وتبدو الفكرة اكثر وضوحا في دور شروكين، فقد اقيمت ضمن باحة القصور. او القلعة المشيدة على مصطبة ترتفع بمقدار ثلاثة أمتار عن سبعة معابد تجاورها، ستة منها جمعت في بناء واحد هي معابد الآلهة سن وأدد وآيا وشمش وننجال وننورتا[٣١] الشكل ٧). وهناك معبد آخر هو معبد الاله نابو الذي يمثل في تخطيطه تخطيط معابد القصور. ان تفريد الاله نابو ببناء خاص متميز عن بقية معابد الآلهة الأخرى يعبر عن أن المدينة هي مقر اقامته، والمعروف أن نابو هو ابن الاله مردوخ، اله مدينة بابل، مما يعكس تعاطف سرجون مع بابل[٣٢]. هذا وقد تميزت المصطبة التي شيدت عليها القصور والمعابد في دور شروكين بارتفاعها عن الأرض المجاورة وتبليطها بالآجر والقير وبتزيين جدرانها الخارجية بالطلعات والدخلات المشيدة باللبن والمكسوة بطبقة بيضاء، واستخدمت مخاريط الفخار بشكل صفوف أفقية.



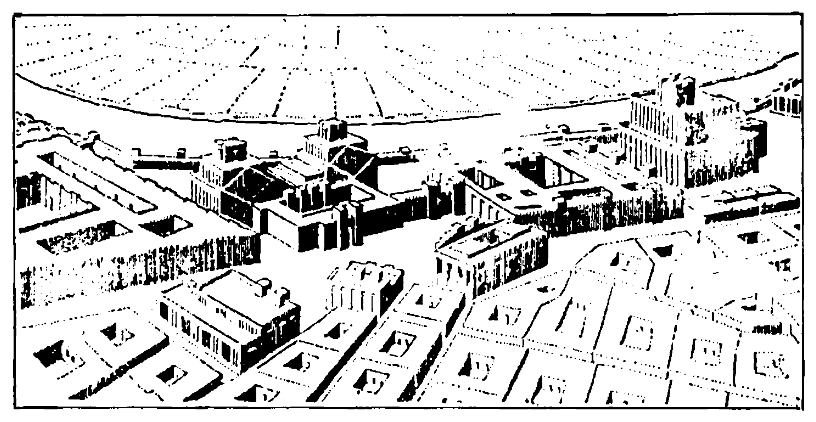

(الشكل ٧) مخطط معابد دور شروكين.

ولربما انعكست المفاهيم الدينية للآشوريين على الزقورات ايضا، فاختلفت بعض الشيء عن زقورات بابل نتيجة اتساع الهوة بين الآلهة والبشر، فكان للزقورات فهم خاص لدى الآشوريين مادامت ترتفع فوق مستوى عالم البشر. وكانت الزقورة ترتبط عادة بعدد من المعابد الآشورية.



لم تعد الزقورات الآشورية تحتوي الاعداد الكثيرة من السلالم لتسهيل عملية الصعود اليها بل حّورت لتجعل عملية الصعود اكثر صعوبة[٣٣]، ويبدو ان الزقورة اصبحت مألوفة في المدن الآشورية الكبرى فكانت هناك ثلاث زقورات في مدينة آشور وأخرى في كار توكلتي ننورتا[٣٤] (الشكل ٨) هذا وما زالت بقايا احدى زقورات آشور باقية بشكل واضح حتى الآن.

عن ابراج معابد اوزقورات جنوب العراق، فقد عثر على ثلاث طبقات وجزء من الطبقة الرابعة، ارتفاع كلٍ من هذه الطبقات ٥,٤٠ م تزينها الدخلات المتداخلة شأنها في ذلك شأن المباني الدينية الأخرى ولوّنت كل طبقة بلون فكانت الاولى بيضاء والثانية سوداء والثالثة حمراء والرابعة بيضاء، وربما كانت بالأصل زرقاء، فتغير لونها نتيجة تعرضها للتأثيرات المناخية، ذلك لأن وصف هيرودوتس لألوان برج



(الشكل ٨) منظور لمدينة آشور.

وهناك ايضا زقورة في كلخو لازالت انقاضها قائمة مع أسسها او اجزاؤها السفلى المغلفة بحجر الحلان. ويبدو أن الزقورة لم تكن تقتصر على المدن الكبرى او العواصم بل ظهرت حتى في المدن الصغيرة كالتي عثر عليها في تل رماح من منتصف الألف الثاني قبل الميلاد[٣٥].

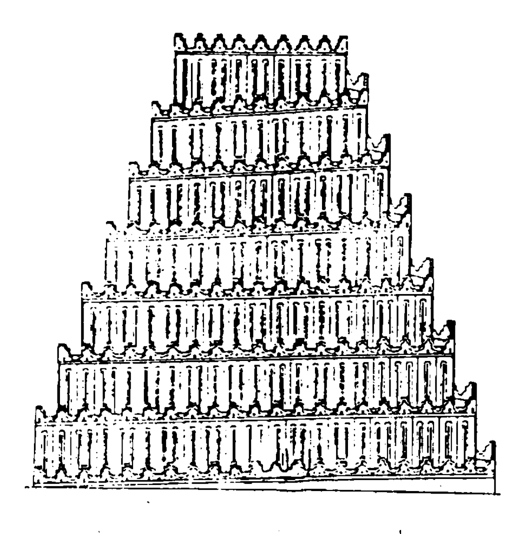
وتمثل زقورة خرصباد "دور شروكين" خطوة متطورة وفريدة في مجال بناء الزقورات. إذ تقوم زقورة دور شروكين وراء المعابد الستة التي ذكرناها سابقا بحيث يمكن أن تتصل بجميعها، وليس هناك مايشير الى ارتباطها بمعبد معين دون آخر.

حين كشف عن بقايا الزقورة في القرن التاسع عشر أوضحت تلك البقايا خصائص تختلف كليا

بابل ينطبق مع الألوان الثلاثة الأولى ويجعل من الرابعة زرقاء. ولا يعرف بالضبط ان كانت هناك سبع طبقات كما هو مقترح، فان كان الأمر كذلك ستكون قياسات الطبقة الأخيرة ١٥ × ١٥ م وبذلك سيكون المعبد صغيراً جدا، ومن أجل ان يجعل أصحاب الرأي القائل بوجود سبع طبقات في الزقورة اعتماداً على ماأورده سترابون عن برج بابل جُعل الارتفاع مساوياً لطول القاعدة. الاّ ان مايميز زقورة دور شروكين عن غيرها هو الاتصال المستمر بين الطبقات بوجود الممر الحلزوني الذي كان بعرض ١,٨٠ م والذي كان يحد جانبه الخارجي جدار متوج بالشرفات (الشكل ٩) وهذا معناه عدم وجود طبقات مفتوحة، بل طبقات محددة، تحددها نسبة الارتفاع لهذا المدرج[٣٦].








(الشكل ٩) تخطيط لزقورة دور شروكين.

ان هذا النمط من الزقورات ابتكار عراقي في المنطقة وكان له تأثيراته فيما بعد على العمارة الاسلامية في المآذن الملوية[٣٧].

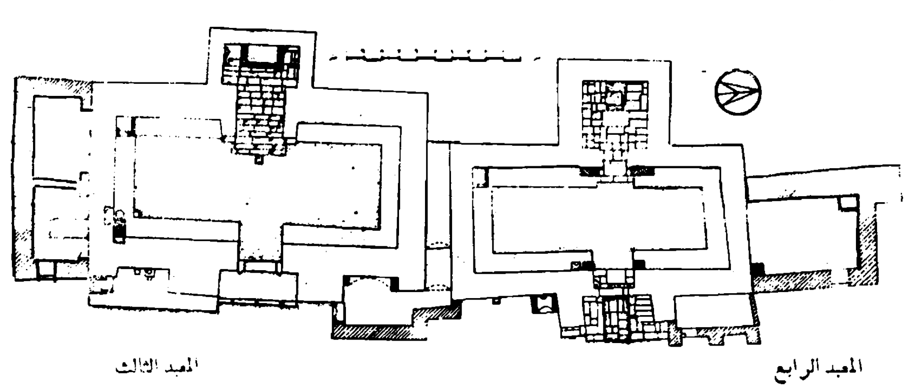
واذا انتقلنا الى مابعد العصر الآشوري لن نجد سوى معابد عصر السيطرة الفرثية المتمثلة بمعابد آشور والحضر باستثناء معبد صغير كشف في سفح تل النبي يونس عام ١٩٥٤.

نلاحظ في الحضر تمييزا للمعابد عن القصور، في الوقت الذي اجتمعت المعابد مع القصور في باحة واحدة في العصر الآشوري نلاحظ أن المعابد فقط هي التي انفردت بالساحة المركزية في الحضر[٣٨] في حين أن هناك اشارات الى احتمال وجود القصور الملكية خارج هذه الساحة[٣٩].

ونلاحظ في معابد الحضر الصغيرة اختلافاً او تطوراً كبيراً جدا عن المعابد العراقية القديمة رغم احتفاظها ببعض العناصر القديمة مثل وجود دكة الاله في المعابد الكبيرة في القاعة المركزية. ونلاحظ تواصلا أقوى في المعابد الصغيرة المنتشرة في الأحياء السكنية من المدينة، اذ مازالت تحتوي على القاعة وذكة القرابين وغرفة الاله، تلك الغرفة التي تطورت عن توسيع الدخله في العصر الآشوري (الشكل ١٠).

ان هذا التطور او بالأحرى التغيير في بناء المعابد ناتج عن تعرض المنطقة لتيارات سياسية ودينية مختلفة من الشرق والغرب مع ذلك فقد احتفظت المنطقة بالكثير من تقاليدها المحلية العربية القديمة الى جانب التقاليد الدينية[٤٠].

اما الفترة التي تلت هذه الفترة وهي فترة تغلغل الديانة المسيحية الى العراق والشرق عامة فان لدينا منها الكثير من الكنائس، الآ أن معظمها قد




(الشكل ١٠) مخطط لاحد المعابد الصغيرة في الحضر.





تناولتها يد التجديد والتعمير المستمرين بحيث ابتعدت عن أصولها الاولى. ومع ذلك لدينا كنيستان احتفظتا بمعظم عناصرهما الأصلية هما كنيسة مار سرجيوس[41] الكائنة في قرية قصر سريج قرب حكنه وكنيسة أخرى كشفت مؤخرا من قبل البعثة الآثارية لجامعة الموصل بالاشتراك مع جامعة كليرمونت فيران الفرنسية في قرية مصيفنه قرب زمار[42]. تؤرخ الاولى من القرن السادس الميلادي والثانية من بداية القرن السابع الميلادي.

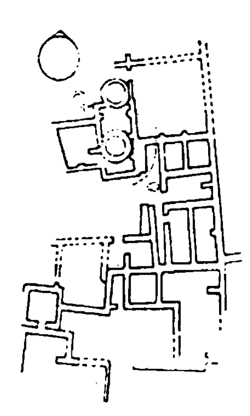
ان هاتين الكنيستين اللتين شيدتا على الطراز المعروف بالطراز البازليكي تعطيانا فكرة واضحة عن دور منطقة الموصل في تطوير هذا الطراز المعماري.

## ب- دور السكن والقصور:

لعل أقدم دور السكن المكتشفة في منطقة الموصل هي تلك التي كشف عنها في المستوطنات الزراعية الاولى مثل حسونة والأربجية وتبة كورا، ومغزلية، ويارم تبة، ففي هذه المستوطنات وضعت الأسس الأولى للبيت العراقي القديم والتي لم تتغير "في مجال الريف" حتى الوقت الحاضر، مادام هناك استقرار في المناخ واستخدام واحد لمواد البناء رغم التطور من استخدام الطوف الى اللبن.

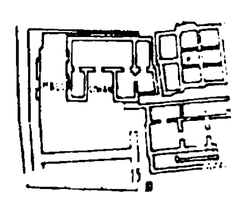
والفكرة الأساسية من هذا البناء هو فناء مكشوف تنتظم حوله أو حول بعض جوانبه حجرات ووحدات السكن. فمثل هذه الدور وجدت في تل حسونة في الألف السادس قبل الميلاد[43]، ومن المدهش أن نلاحظ في دور السكن الاولى هذه اهتماما خاصا ببعض الأمور الصحية مثل مجاري المياه التي استخدمت الحجارة في تشييدها (الشكل ١١- A).

وحصل تطور في بناء دور السكن، رغم الاحتفاظ بالأسس العامة، بين عصر حسونة وبداية العصر الآشوري. فكشف في تبة كورا من



مخطط لدار سكن في حسونة A

عصر الوركاء في الطبقة الثامنة عن دار سكن تضم نفس العناصر المعمارية التي وجدناها في حسونة مع اضافة غرفة مفتوحة على الفناء بكامل عرضها مغطاة بقبو من اللبن[44]، وبهذا تشكل هذه الغرفة على الأرجح بدايات عنصر الايوان الذي انتشر استخدامه في فترة السيطرة الفرثية كما يشكل ايضا بداية تصميم الدار المتناظرة حول ايوان مركزي[45] (الشكل ١١- B) وفي الطبقة الحادية



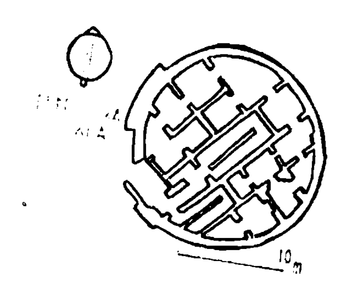
مخطط لدار سكن في تبه كورا B

عشر في تبة كورا كشف عن بناء غريب لدار سكن يمثل ابتكارا لم يكتب له أن يتطور ويحتوي على عدد من الغرف المشيدة بجدران متعامدة ويحيط بها جميعا سور دائري بمدخل واحد[46] (الشكل ١١- C).

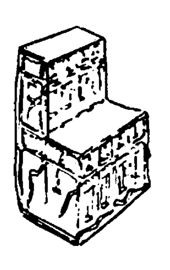
وحصل تطور واضح لدار السكن في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد في الدار المكتشفة في آشور وهي تحتوي على فناء يؤدي الى مجاز بنفس عرض







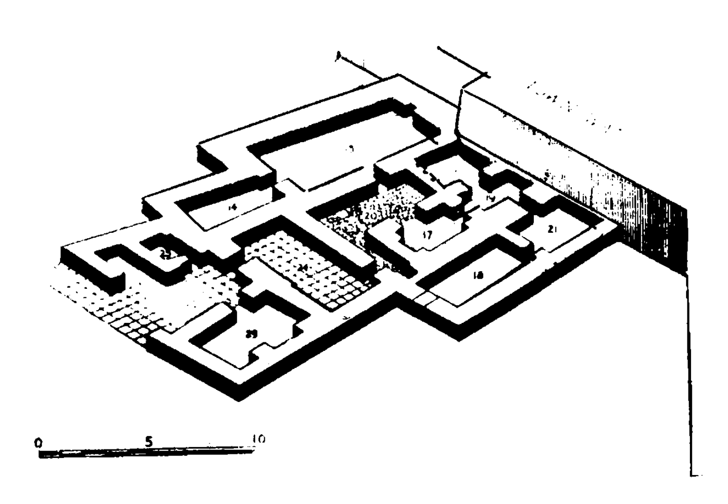

مخطط لبناء من تبه كورا C



نموذج لدار سكن من آشور D

الفناء يؤدي بدوره الى فناء داخلي تنتظم حوله غرف الدار ومرافقها -وتميزت هذه الدار بسعتها غير الاعتيادية اذ تشغل مساحة قدرها ٤٩ × ٢٠ م محاطة بجدران مطلية بالجبس وفرشت ارضيتها بالآجر، واستخدمت فيها مجارى المياه من الحمام والفناء لتجرى بها الى الشارع(٤٧).

ومن الطرز المعمارية الخاصة بدور السكن الطراز المعروف ببيت خيلاني الذي نشأ حسب ماتذكره بعض المصادر في شمال سوريا من العصر الحورى الميتاني منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد(٤٩). وهو طراز يتميز بمدخل تتقدمه سقيفة محمولة على أعمدة. وظهر هذا الطراز في بعض مواقع المنطقة




(الشكل ١٢) مخطط لدار سكن في كلخو

والى جانب المخططات الأرضية التي وصلت من هذه الفترة هناك اعداد كبيرة من نماذج فخارية لدور سكن كشف عنها في آشور توضح الأشكال العامة للدور(٤٨) (الشكل ١١ - D).

مثل نينوى وتل رماح وظهر بشكل جزئي في قصر سرجون في دور شروكين(٥٠).

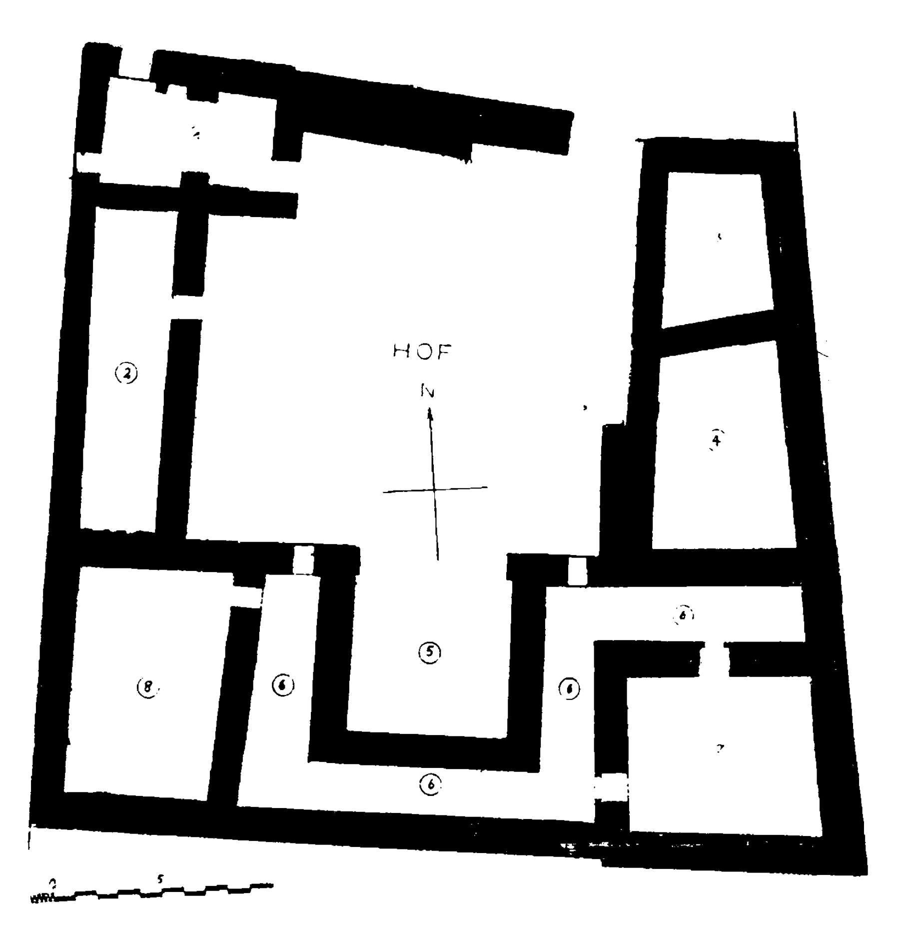
هذا وقد عثرت البعثة الألمانية في آشور على عدد من دور السكن الخاصة كما عثر على دور سكن آشورية أخرى في شيبانيبا (تل بلا) قرب



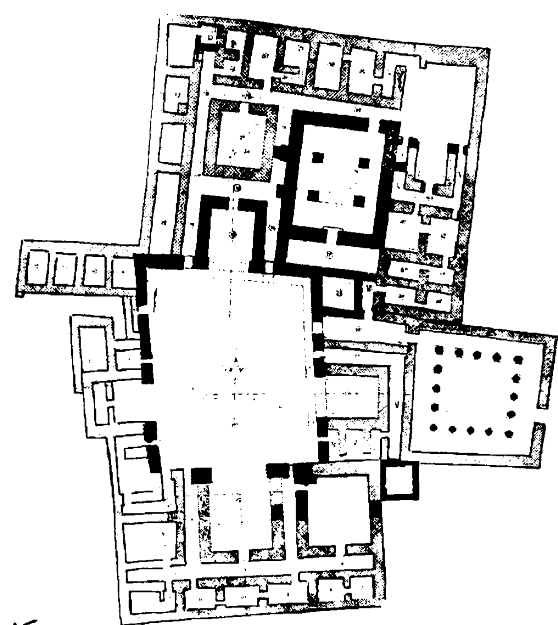


الموصل. كما عثر في كلخو على دور سكن ذات اهمية خاصة حيث كانت قريبة من القصر الشمالي الغربي ضمن القلعة الخاصة بالقصور والمعابد مما يعني أنها شيدت لأناس متميزين تختلف مبانيهم عن المباني الأخرى خارج القلعة. كشف عن ست دور للسكن تقع في الجانب الشمالي الشرقي من القلعة وتلتصق بسور القلعة الذي يبلغ سمكه حوالي ٣٥ مترا وأن قربها من القصر يشير الى أنها مخصصة لاناس مقربين للبلاط وتشير الأدلة الى أن احد هذه الدور يرجع الى تاجر وهو أكبر الدور اذ يحتوي على اثنتي عشر غرفة[٥١] (الشكل ١٢).

ويبدو ان لكل من هذه الدور الستة فناء في الجانب الغربي لمرور الشارع من ذلك الجانب (الشكل ٦) فدار السكن المذكورة آنفاً يدخل اليها من جانبها الغربي اذ يؤدي المدخل الى ساحة مبلطة بالآجر تؤدي الى قاعة الاستقبال وبقية الوحدات، وربما احتوت الدار بالأصل طابقا ثانيا خصص للنساء[٥٢].




مخطط لاحدى دور السكن في اشور



شكل ١٣) مخطط للقصر الفرثي في آشور.

وان كانت معلوماتنا عن دور السكن في العصر الآشوري محدودة، لقلة التنقيبات في الاحياء السكنية من العواصم الآشورية فان لدينا معلومات لابأس بها عن هذا الجانب من عهد السيطرة الفرثية من خلال ماكشف في الحضر وآشور. فالقصر الفرثي المكتشف في آشور[٥٣] يحدد أسس وجذور الكثير من العناصر المعمارية التي تطورت منذ ذلك الحين ووصلت ذروة تطورها في العصر الاسلامي مثل التخطيط المتقاطع على هيئة الصليب والايوان الذي شاع استخدامه في المدارس (الشكل ١٣). ويبدو أن الايوان اصبح العنصر الشائع في دور السكن الخاصة حيث كشف في آشور ايضا عن دار سكن كبيرة تحتوي على فناء مركزي تنتظم حوله الغرف ويشغل جانبه الجنوبي ايوان[٥٤] (الشكل ١٤) وهذا يعني احتفاظ دار السكن بالأسس القديمة ! الفناء والغرف المحيطة به مع اضافة الايوان في هذه الفترة او في فترة سابقة.

وكشف من نفس الفترة في الحضر عن مجموعة من دور السكن لها نفس الخصائص التي شاهدناها في آشور من دار السكن المعروفة ببيت معنو الذي يتكون قسمه المركزي من فناء واسع مربع وعلى جانبي الفناء الشمالي والجنوبي ايوانان متقابلان وعلى الجانب الغربي رواق ذي خمس فتحات[٥٥] مع وجود وحدات السكن الأخرى فيما وراء هذه الوحدات (الشكل ١٥).

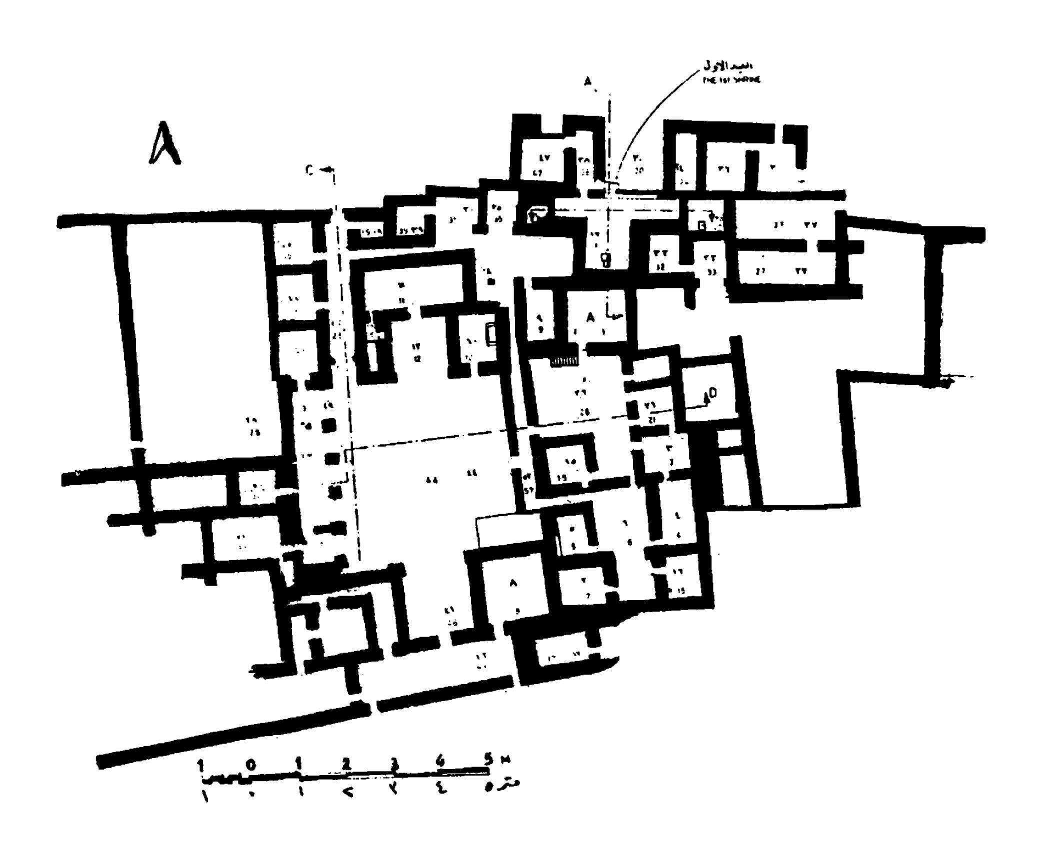
وكشف خلال التنقيب عن المعبد الثاني في الحضر، خارج حارة المعابد، عن جزء من دار سكن يعتقد أنها جزء من دار سكن لسنطروق الثاني او لزوجته[٥٦] تضم بعض العناصر المذكورة آنفاً كالايوان والأفنية والغرف.

وتوضح دور السكن المكتشفة حول المعبد الحادي عشر في الحضر مجموعة من دور السكن يحتوي كل منها على فناء مركزي لبعضها اواوين تفتح على الفناء وللبعض الآخر مجموعة تنتظم حوله[٥٧] (الشكل ١٦) ولنا في الصفحات التالية حديث عن الايوان والعناصر المعمارية الأخرى.





اما القصور فانها تختلف عن دور السكن الخاصة بسعتها وتعدد وحداتها والتي كانت في العادة تشيد لسكنى الملوك والحكام وذلك لاستخدامه في النواحي السكنية والادارية ، وقد تركزت تنقيبات البعثات الأجنبية في القرن الماضي في قصور نينوى وكلخوودور شروكين وآشور. وتم العثور على عدد كبير من هذه القصور، ترجع معظم القصور الآشورية التي وصلتنا الى الفترات المتأخرة من العصر الآشوري ، ولعل أقدم هذه القصور هو القصر الذي شيّده أدد نيراري الأول في آشور في بداية القرن الثالث عشر[٥٨] والذي تضم بقاياه مجموعتين من الغرف والقاعات تنتظم كل منها حول فناء ، الاولى خارجية تعرف «بابانو» والثانية داخلية تعرف «بيتانو». وقد وضع في هذا




(الشكل ١٥) مخطط بيت معنو في الحضر.

لقد امدتنا التنقيبات التي اجرتها البعثة الألمانية في أشور بمعلومات وافية عن دور السكن الخاصة من عهد السيطرة الفرثية، حيث تم الكشف عن بقايا العشرات منها. وتوضح البقايا المكتشفة التفاوت في تفاصيل البناء ومواده وخططه ووحداته تبعاً للمنزلة المادية لمالكه. فكانت المنازل الجيدة ذات اسس من الحجارة المهندمة، استخدم الجص في ربطها في حين كانت أسس مساكن غير الموسرين تشيد بحجارة غير مهندمة وفي كلا الحالتين كانت هذه الاسس تستقر على صف أو اكثر من اللبن. وشيدت الجدران التي تعلو الاسس الحجرية باللبن المكسو بالطين أو ربما بالجص احياناً. ويكاد لايخلو دار من دور السكن من مجرى لتصريف المياه والذي كان يشيد عادة بالجص او بالآجر. وتحتوي اغلب هذه الدور على ايوان في الجانب الشمالي في الفناء في الغالب ويشكل الايوان أبرز وحدات الجوانب بحيث تكون ثلاثة أواوين على أحد الجوانب. وتتميز الاواوين بكبر حجمها نسبياً عن بقية وحدات الدار، فايوان المسكن الذي عرف بالمسكن الكبير (الشكل ص ٤٠٤) يبلغ عمقه ٨,٣٠ م وعرضه ٧,- م إن اتساع عرض الايوان يبعد احتمال تسقيفه بالسقف المسطح المستند على عضادات خشبية ويحتم وجود القبو، يؤكد ذلك السمك الكبير للجدران الجانبية والبالغ ١,٤٥م.

ومع أن الفناء هو الوسيلة الرئيسية لربط وحدات البناء وغرفه فقد كان الايوان يعمل أحياناً على تحقيق هذه الوظيفة اما من خلال الأبواب التي كانت تنتظم على جوانبه أو من خلال دهليز يدور حوله لتحقيق الاتصال بالوحدات المرتبطة أو الملتحقة بوحدة ايوان. فهل ان هذا النظام من التخطيط المعماري يشكل الاصل لنظام تخطيط الاواوين في المدرسة المستنصرية والقصر العباسي في



واجهة معبد في الحضر- بعد الصيانة.

الدور وأهمها. وغالبا ما كانت دور السكن الفرثية من طابق واحد الا أنه هناك احتمال لوجود مباني ذات طابقين اذ أن سقف الأيوان كان يرتفع عادة الى علو طابقين أو اكثر. وقد تحتوي الدور على ايوان واحد أو اكثر وأما ان تتوزع الاواوين على جوانب الفناء، أي أنها تتوسط في الغالب بعض أو جميع الجوانب الاربعة للفناء، أو قد تتركز على أحد بغداد؟

وفي الحضر، يلاحظ في دور السكن المعاصرة لتلك التي تحدثنا عنها في آشور الاسلوب المعماري ذاته مما يشير الى وحدة التطور المعماري في العراق والى سيادة مدرسة العمارة العراقية في جميع انحاء العراق. ويشير ايضاً الى وحدة الاصول والظروف البيئية التي اثرت في كل من الحضر وآشور.



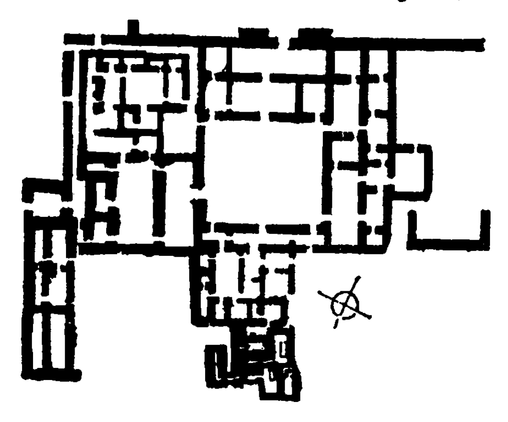


تركزت تنقيبات الحضر بشكل عام في حارة المعبد الكبير والمناطق المجاورة المحيطة بها. وقد عثر على عدد من المعابد الصغيرة وحين توسع التنقيب كشف عن دور سكن كبيرة ترتبط بهذه المعابد. وان حجم دور السكن هذه وموقعها القريب من المعبد الكبير والاستخدام الجزئي للحجر المهندم يوحي الى الاعتقاد بانها خاصة بافراد (الطبقة الحاكمة أو طبقة الكهنة. مع ذلك فلم تكن لتختلف كثيراً عن بقايا الدور الصغيرة في أشور باسلوبها وعناصرها ومواد بنائها وبطريقة البناء اذ تشترك المجموعتان بوجود الفناء المكشوف وبوجود عنصر الايوان اذ لايخل بناءٌ في الحضر من وجود ايوان أو اكثر الا القليل جداً. وهناك الوحدة باستخدام مادة البناء وهي اللبن المكسو بالطين او الجص والمشيد على اسس من الحجارة.

ويشكل عنصر الايوان وما يرتبط به هنا أصل اسلوب معماري ظهر في العمارة الاسلامية، اذ يظهر الايوان احيانا يحف به ايوانان صغيران أو غرفتان صغيرتان فيشكل بذلك اصل الطراز الذي عرف بالطراز الحيري والذي ظهر في سامراء ايضاً وعرف بالصدر والكمين.

(الشكل ١٦) مخطط لمجموعة من دور السكن في الحضر.

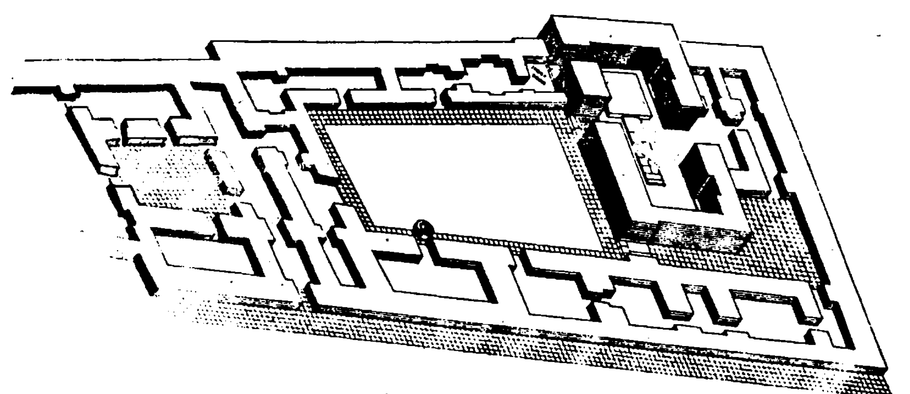
القصر المزايا الرئيسية للقصر الملكي الآشوري بشكل مستقل عن التأثيرات الحورية والميتانية [٥٩] (الشكل ١٧).



(الشكل ١٧) مخطط قصر ادد نيراري الاول في آشور.

وكشف في كلخو عن بقايا عدة قصور تؤرخ من القرن التاسع ق.م وما بعده منها القصر الشمالي الغربي [٦٠] الذي شيده آشور ناصر بال الثاني والذي يعد أول قصر ملكي كبير في العصر الآشوري الحديث، اعتمد في تخطيط القصر، التخطيط الذي اعتمد في قصر أدد نراري الأول في آشور من حيث أحتوائه على عدة أفنية تنتظم حولها القاعات والغرف والممرات وهي صفة نلاحظها ايضا في القصور التي شيدت بعده. (الشكل ٦) ويعتبر هذا القصر ايضا أقدم القصور الآشورية التي تميزت بكثرة منحوتاتها الجدارية المنفذة على ألواح كبيرة من رخام الموصل الأزرق والتي تمثل مشاهد حربية ومراسيم ملكية ودينية ومشاهد للحياة اليومية [٦١].

والى الجنوب من هذا القصر عثر على بقايا لقصر يرجع الى عهد ادد نيراري الثالث (٨٠٩–٧٨٢ ق. م) وفي وسط القلعة تقريبا كشف عن بقايا قصر عرف بالقصر المركزي والذي مر بعدة أدوار تعميرية يؤرخ بعضها من عهد آشور ناصر بال الثاني وشيلمنصر الثالث وتجلاتبليزر الثالث [٦٣]، وعثر في الزاوية الجنوبية الغربية من قلعة كلخو على قصر شيد من قبل أسرحدون عرف بالقصر الجنوبي الغربي [٦٣] ولم توضح التنقيبات فيه صورة كاملة عن مخططه. والى الشرق من هذا القصر وبجوار معبد نابو كشف عن قصر من بناء سرجون عرف بالقصر المحروق. كشف عن الجزء الأكبر من تخطيطه الذي يمثل نموذجا للقصور الآشورية من حيث سعة قاعة العرش فيه التي تمثل أكبر وحدات القصر. اذ يشير سمك جدرانها البالغ ٣,٥ متر الى ارتفاع سقفها. كما يتميز القصر بفنائه الواسع المحاط بالغرف من جميع جهاته [٦٤] (الشكل ١٨).

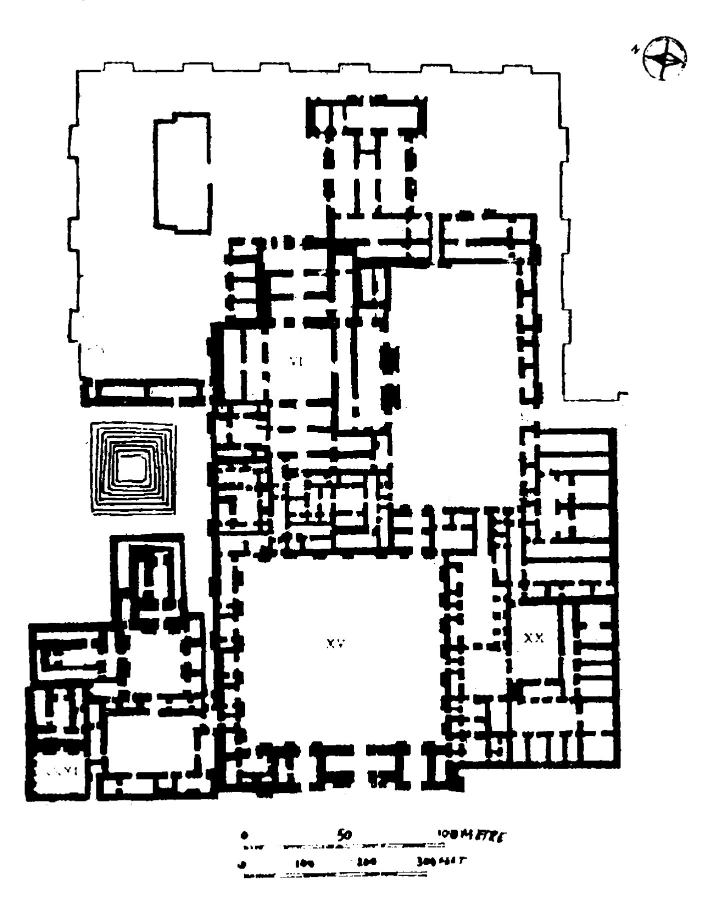


مخطط قصر سرجون





ان ظروف بناء مدينة دور شروكين التي انتهى الملك سرجون من بنائها عام ٧٠٦ وظروف هجرها ساعدتنا على معرفة المخطط الكامل للمدينة وللقصر الملكي فيها (الشكل ١٩).




(الشكل ١٩) مخطط قصر دور شروكين.

شيد القصر، كغيره من القصور على مصطبة من اللبن، ويتميز تخطيط القصر بالميل الشديد نحو التناظر، كما كان هناك اهتماما في هذا الموضوع في مجال تخطيط المدينة حيث حاول المصمم أن يجعل بوابتين في كل جانب من جوانب المدينة[٦٥]. الآ أن وجود مصطبة القصور والمعابد في الجانب الشمالي الغربي دفعه الى ان يضع في هذا الجانب بوابة واحدة.

رغم ان في قصر سرجون بعض الامتدادات لأصول عراقية قديمة ظهرت في قصور أخرى مثل أشنونا وماري[٦٦] فأن في تخطيطه العام نموذجا للقصور الآشورية التي كشف عنها لاسيما تلك التي كشف عن اجزائها الكاملة في كل من كلخو ونينوى من حيث احتواؤه على الأفنية المتعددة، فناء مركزي كبير تنتظم حوله وحدات كل منها تنتظم حول فناء صغير او كبير حسب موقعها

فباحتوائه على القاعات الطولية يمكن مقارنة مخطط هذا القصر بالقصر الشمالي الغربي في كلخو وبقصر سنحاريب في نينوى، هذا بالاضافة الى التركيز على البوابات بمجنحاتها المركبة وبكثرة منحوتاتها الجدارية المنفذة على الواح من رخام الموصل والتي كانت تغطي الأجزاء السفلى من الجدران الداخلية بمشاهد عسكرية ودينية واجتماعية او مجرد نصوص كتابية.

ويبدو أن قصور الحكام في الحضر لم تكن تتميز كثيرا عن دور السكن الاعتيادية، اذ لم يعثر بعد على قصر ملكي يضاهي في فخامته ابنية المعابد، فالعلاقة بين الحاكم والآلهة غير العلاقة التي تربط الملك الآشوري بالآلهة، لذلك عثر عن دور سكن واسعة بعض الشيء ربما ترجع لطبقة حكام الحضر مثل بيت معنو الواقع الى الجنوب من باحة المعابد وهو يحتوي على فناء مركزي تنتظم حوله وحدات البيت منها قسم خاص بالضيوف لاينفذ مباشرة الى داخل الدار بل من خلال مجاز[٦٧] (الشكل ١٥)، ويبدو أن هذا التنظيم كان امتدادا لما عرف في دور السكن العراقية القديمة بالبابانو والبيتانو، والذي استمر استخدامه حتى العصور الاسلامية بل والفترات المتأخرة منها.

## ثالثا: العناصر المعمارية وأصولها:

ان تناول الأصول المعمارية يحتاج الى بحث قائم بذاته. لذلك فاننا لن نتناول هنا جميع العناصر، بل تلك التي كان لمنطقة الموصل دور في ابتكارها او تطويرها، فكانت بذلك الأصول التي تطورت عنها في مناطق أخرى، وسنتناول بالتحديد المواضيع التالية: القبوات، والعقود، والايوان، وأساليب البناء، والأعمدة، والسلالم، والتهوية، والقباب.

### القبوات:

لم يكن للقبو دور بارز في المباني المدنية والدينية في عصر فجر السلالات في جنوب العراق واستخدم في مباني ثانوية كالمقابر في اور وبشكل يختلف عن المفهوم الكامل للقبو، اذ شيدت قبوات المقابر في اور بشكل صفوف من الحجارة تتدرج بالبروز لتشكل مايعرف بالقبو المتدرج[٦٨] ولم تركز تنقيبات القرن التاسع عشر في العواصم الآشورية على الجوانب المعمارية بقدر تركيزها على المنحوتات والقطع التحفية الأخرى، لذلك جاءت اعمال الباحثين في مجال العمارة في بداية هذا القرن مفتقرة للمعطيات التي أوردتها التنقيبات الحديثة، فكان من الشائع لديهم أن بداية استخدام عنصر القبو بالمفهوم الصحيح في العراق كان خلال السيطرة الفرثية، وفي الحضر بالذات[٦٩]. في حين أن التنقيبات الحديثة كشفت عن استخدام للقبو وبأساليب مختلفة كطريقة للتسقيف في منطقة الموصل منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد حيث كشف في تل رماح عن بقايا قبوة مشيدة باللبن من هذه الفترة واعتبرت من أقدم القبوات التي شيدت من نوعها وكذلك اعتبرت الهيئة العامة في تل رماح استنادا لذلك أن أصل استخدام هذا العنصر عراقيا[٧٠].

ومع بداية الألف الأول قبل الميلاد تصل الينا نماذج لقبوات تدل على تطور وتنوع في استخدامها، فقد شيدت قبوات من الآجر لتغطية مجاري المياه في كل من آشور[٧١] ودور شروكين[٧٢]. ويظهر استخدام القبوات المشيدة باللبن في مداخل البوابات الآشورية كما في بوابة أدد[٧٣] وبوابة آشور[٧٤] في نينوى، كما نلاحظ نماذج لواجهات هذه القبوات في مداخل المدن في المنحوتات الآشورية[٧٥] هذا وان الميل الشديد





للجدران الحاملة لهذه القبوات دفع بعض الباحثين الى الاعتقاد بأنها قبوات بيضوية[٧٦] ويرتب اللبن في القبوات الآشورية من هذا النوع ، وكذلك في العقود المشيدة باللبن بشكل شعاعي من مركز القبو او العقد ويشيد القبو من صفين او ثلاثة يتصل بينها صفوف معترضة من اللبن (الشكل ٢٠) وهناك أسلوب محلي آخر من التقبية انتشرت استخداماتها على الرغم من السيطرة الفرثية والساسانية التي لم تتمكن من ايقاف التطور الحضاري[٧٧]. وتشييد القبوات بهذا الأسلوب بالآجر ويرتب بوضعه بشكل عمودي على خط تجريد القبو أي على عكس وضع اللبن في القبوات الأخرى، ويكون الآجر المستخدم في تشييد هذه العقود عادة بشكل شبه منحرف وكان المعتقد أن هذا الأسلوب نشأ في عصر السيطرة الفرثية ، الاّ أنه عثر على دلائل في بوابة أدد الآشورية في نينوى كافية للقول بأن قاعة البوابة كانت مغطاة بقبو مشيد بالآجر وبالاسلوب الذي تطور فيما بعد في الحضر وآشور والذي عرف بـ "Pitced brick technique" فبقايا الآجر شبه المنحرف والمربع والمستطيل كانت تملأ الأجزاء السفلى من القاعة الى ارتفاع ستة أمتار تقريبا[٧٨] .

ويصل بناء القبوات درجة كبيرة من التطور في عصر السيطرة الفرثية سواء أكانت بالآجر أم بالحجارة المهندمة خاصة القبوات التي تغطي اواوين المعابد وبقية قاعاتها ووحداتها الأخرى بحيث كان القبو هو العنصر الرئيسي للتسقيف في الحضر.

0 50 100 200cm

(الشكل ٢٠) مخطط لقبوة مشيدة باللبن من نينوى.





**العقود :**

ان طبيعة مواد البناء المستخدمة في المنطقة والأنماط المعمارية لاتسمح باستخدام العقود الحرة، ومع ذلك فان واجهات القبوات كانت تصاغ بشكل وكأنها عقود ، واستخدمت العقود الحقيقية نصف الدائرية لتغطية الطاقات الصماء الصغيرة كما في بوابة أدد[٧٩] او في تغطية فتحات المداخل كما هو واضح في جميع القصور الآشورية والمباني الأخرى ، فقد عثر على مثل هذه العقود في كل من بوابة أدد وبوابة ماشكي وقصر سنحاريب في نينوى وقصر آشور ناصر بال الثاني وحصن شيلمنصر في كلخو، وعثر قبل هذا التاريخ ومنذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد في تل رماح عن نماذج لعقود مشيدة باللبن تدل أساليب بنائها على أنها قد تطورت عن نماذج أقدم منها[٨٠] .

ونلاحظ في نهاية العصر الآشوري استخدام الحجارة في تشييد العقود كتلك التي نلاحظها في بناء القناطر مثل قناطر جروانه وقنطرة في دور شروكين كما كشف في بوابة شمش في نينوى عن أحجار لعقد لم يحدد موقعه من البوابة .

ولدينا فيما بعد العصر الآشوري نماذج للعقود المحلية من الحضر وآشور خلال فترة السيطرة الفرثية ، ولدينا كذلك نماذج للعقود من مباني الكنائس القديمة مثل كنيسة مارسوجيوس[٨١] وكنيسة مصيفنة[٨٢] .

ان نماذج العقود هذه التي تغطي فترة تمتد من منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادي يمكن اتخاذها دلائل على تطور هذا العنصر المعماري في المنطقة ، فمن المعروف أن أبسط انواع العقود وأقدمها هي العقود المتدرجة ثم تليها البيضوية فالعقود نصف الدائرية ثم العقود نصف الدائرية المطاولة ثم العقد المتجاوز او المنفوخ او مايعرف بحذوة الفرس ثم العقد المدبب ثم تصل العقود ابعد مراحل تطورها في العمارة الاسلامية .

فالعقد المتدرج الذي استخدم منذ العصر السومري يبدو أنه استمر على الاستخدام في فترات شيوع استخدام عقود أخرى ، ففي بوابة أدد استخدم لتضييق البوابة في المراحل الأخيرة من تاريخها . ويكاد "العقد البيضوي" أن يكون من القرائن المميزة للعمارة الآشورية وذلك لملاءمته لمادة اللبن في البناء ، كما يلاحظ في واجهات القبوات المغطية للبوابات الآشورية والى جانب هذه العقود كانت العقود نصف الدائرية سواء كانت مشيدة باللبن لتغطية الفتحات الصغيرة او بالآجر او بالحجارة لتغطية المساحات الاوسع . ثم يتطور العقد نصف الدائري الى العقد المطول وذلك برفع قواعد العقد بدءا من خط تجريده قبل ان يعقد بشكل نصف دائري ، وهذا مانلاحظه في عقود الحضر وآشور خلال فترة السيطرة الفرثية . وتصل العقود مرحلة أكثر تطورا قبيل العصر الاسلامي اذ ظهر العقد المتجاوز او مايعرف بحذوة الفرس في كنيسة مصيفنة من القرن السابع الميلادي ، وكان هذا النمط من العقود لم يستخدم بعد سوى في الفتحات الصغيرة ولاغراض زخرفية أحيانا[٨٣] .

**الايوان :**

ارتبط ظهور الايوان كعنصر معماري بمنطقة الشرق الأوسط ، وانتشر استخدامه فيها . وذلك لملائمته والظروف المناخية والايوان قاعة مغطاة بقبو مفتوحة من أحد جوانبها القصيرة بكامل اتساع ذلك الجانب .

تشير كل الدلائل الى الأصل الشرقي للايوان ، الاّ أن البعض حاول أن يحدد هذا الأصل بايران من خلال ربط عنصر الايوان بالقبو[٨٤] رغم عدم توفر عاملين يعتبران أساسيان لتحديد أصل كل عنصر معماري العامل الأول هو النماذج الاولى للعنصر والعامل الثاني التواصل في استخدام





العنصر، اذ لم نجد في ايران نماذج أقدم من النماذج الكثيرة المنتشرة في العراق وفي عصر السيطرة الفرثية، كما لانجد التواصل في استخدام هذا العنصر حتى الوقت الحالي، اذ لازال منتشرا في الموصل والقرى المحيطة بها، بل ويستشهد أصحاب هذا الرأي بنماذج عراقية للتدليل على أصالة العنصر في ايران، اذ يوردون أواوين في سلوقية وايوان طيسفون «المدائن»(٨٥) والتي تشكل في حقيقتها حلقات من سلسلة التطور المعماري العراقي بل ويفترض نفس الكاتب، حين يدرك ضعف الأسس التي استند عليها في اعزاء هذا العنصر الى ايران، أن الأواوين المكتشفة في آشور قد جاءت حصيلة تطور طويل ويحاول أن يرجع فضل ذلك التطور للأغريق(٨٦) في حين ليس هناك من دليل على معرفة الأغريق لهذا العنصر في بلاد اليونان، بل ولم يستخدموه حتى بعد تأثرهم بالشرق بعد غزو الاسكندر.

استنادا لهذا، ولما عرضناه من مبان تحتوي على عنصر الايوان، يمكن القول أن هذا العنصر جاء حصيلة تطور معماري في منطقة الموصل متوافرا مع ملائمته مع الظروف المناخية، فقد كشف كما مرّ بنا سابقا عن بناء في تبه كورا من عصر الوركاء، يحتوي على هذا العنصر بكل تفاصيله(٨٧). (الشكل ١١ - B) وربما قد ساهم الطراز المعروف ببيت خلاّني في تشكيل هذا العنصر، فمن المعروف أن طراز بيت خيلاني يتكون من قاعة مفتوحة من أحد جوانبها من خلال سقيفة قائمة على أعمدة، ومع انتشار استخدام العقود والقبوات استغنى المعمار عن الأعمدة فأصبحت القاعة مفتوحة بكاملها ومغطاة بقبو. ثم يصل الايوان الدرجة المعروفة من تطوره في عصر السيادة الفرثية في الحضر وآشور. ونلاحظ تواصلا لاستخدامه بعد ذلك من خلال ايوان طيسفون "المدائن" وفي أواوين قصر المنصور في بغداد والمدارس في العصر العباسي المتأخر، بل وفي دور السكن حتى الوقت الحالي في الموصل وما جاورها.

**أساليب البناء:**

تحدثنا عن مواد البناء واستخداماتها، ونركز هنا في هذه السطور على التقنيات اوالأساليب الفنية التي استخدمت في بناء اللبن والحجر والآجر وغيرها.

ليس لدينا مانضيفه عن استخدامات اللبن سوى التأكيد على الافراط في استخدامه خلال العصر الآشوري سواء كان في أسوار المدن التي يصل سمكها، كما هو الحال في نينوى، الى مابين ١٥ - ٤٥ مترا، وما لايقل عن ١٥ متراً في الارتفاع. ونلاحظ مثل هذا الافراط في استخدام اللبن في تشييد الزقورات والمصاطب التي تقام عليها القصور والمعابد في العواصم الآشورية، ونلاحظ مثل هذه المبالغة باستخدام اللبن في جدران القصور والمعابد وبعض المباني المهمة الأخرى. وكان الافراط في استخدام اللبن تعويضا عن ضعفه كمادة بنائية، الأمر الذي حفظ معظم هذه المباني حتى الوقت الحاضر.

هذا وقد استخدم الطين مادة للربط الى جانب طبقات من الحصير توضع عند كل بضعة صفوف من اللبن. وكان اللبن أو جدران اللبن تطلى بالطين، وبدأ استخدام الجص لاكساء جدران اللبن من عصر السيطرة الفرثية في الحضر وما بعدها.

أما الآجر فكان استخدامه أقل اذا ماقورن باستخدام اللبن، ومع ذلك نلاحظ سيطرة تامة على قولبته واستخدامه، فهناك اشكال وأحجام مختلفة صيغت لتلائم مواضعها. فان أخذنا بنظر الاعتبار بوابة أدد في نينوى كوحدة معمارية اعتيادية ضمن مباني نينوى فاننا نلاحظ فيها مثل هذه السيطرة على قولبة الآجر من خلال بقايا الآجر فيها

اذ نلاحظ فيها آجر مربع بقياس ٣٦× ٣٦× ١٠ سم يستدل من خلال قياسه أنه استخدم لتبليط سطح القاعة او لبناء قاعدة او وسادة فوق جدران اللبن لترتكز عليها قبوة الآجر[٨٨].

وعثر ضمن الأنقاض في القاعة على نوعين آخرين من الآجر، الأول مستطيل ٣٨× ٣٦× ٩ سم، والثاني شبه منحرف ارتفاعه ٣٨ سم وقاعدته الكبرى ٣٦ سم والصغرى ٣٠ سم، وهذان النوعان وجدا بشكل كبير جدا في القاعة وبشكل متكافيء تقريبا مما يوحي بلاشك، بل وبشكل مؤكد أنهما استخدما لتسقيف القاعة. فلدى ترتيبنا لهذين النوعين بشكل متناوب، مستطيل ثم شبه منحرف يتكون لدينا قوس تزيد فتحته عن الستة أمتار بقليل، وهذه الفتحة تتطابق مع عرض القاعة فتمكن المعمار بذلك من استخدام الآجر بهذه الطريقة دون اللجوء الى مواد قوية للربط، اذ تخلص من الفواصل غير المنتظمة بين قطع الآجر. وهذه المعطيات تدل بشكل لايقبل الشك أن قاعة الحرس في بوابة أدد كانت مغطاة بقبوة نصف اسطوانية.

وعثر بين أنقاض القاعة عن قطع من الآجر ملونة بأشكال زخرفية من منحنيات صغيرة وبألوان مائية ثابتة مما يوحي الى استخدام الآجر للزخرفة، ولكن لايمكن حاليا معرفة موضعه من البناء.

ومن المعروف أن الآجر المزجج المقولب قد استخدم، وربما لأول مرة في العصر الآشوري في تشكيل لوحات جدراية كالتي عثر عليها في دور شروكين[٨٩] والتي تشير الى أنها متطورة عن بدايات سبقتها خلال ذلك العصر اذ عثر على دلائل ذلك في كلحو ونينوى من فترات سبقت فترة بناء دور شروكين.

اما في مجال استخدام الحجارة فنلاحظ أن منطقة الموصل بحكم موقعها ضمن مصادر الحجارة الطبيعية كان لها الأسبقية في تطوير تقنيات استخدامها.

استخدمت الحجارة في مجال الألواح الجدارية المزينة للأجزاء السفلى من الجدران في المباني العامة، وخاصة القصور والمعابد. وكانت الحجارة على نوعين، إما حجر الحلان او رخام الموصل، وقداستخدم رخام الموصل في الأجزاء المغطاة، واستخدم حجر الحلان في الأجزاء المكشوفة، ويمكن ملاحظة تفاصيل ذلك في المبحث الخاص عن فن النحت. الاّ أنه لابد من التركيز هنا على استخدام الحجارة في مجال البناء في العصر الآشوري وما بعده.

لقد استخدم الآشوريون، مثلا، الحجارة "الحلان" في تغليف الواجهات الخارجية للأسوار فقد كانت أسوار اللبن في العواصم الآشورية تغلف بسور خارجي من الحجر لمنع عمليات اختراق اللبن الهش عند الهجوم اذ كان سمك الجدار بحدود ٣,٥ متر وارتفاعه بين ٥ – ٧ متر بنيت واجهته بالحجارة المهندمة وملئ الفراغ بين هذه الواجهة وجدار اللبن بالحجارة الطبيعية والطين ولا يهمنا الحديث هنا عن تفاصيل بناء هذا السور برمته، ولكن تجدر ملاحظة عدة ظواهر تظهر لأول مرة وكان لها تأثيرها على العمارة بشكل عام.

أول هذه الأمور هو استخدام الحجارة المهندمة في البناء، وكانت تلك الحجارة تنحت بحيث تكون الحافات ذات قطع دقيق وناعم ويترك وسط القطعة خشنا، ويمثل هذا الأسلوب ابتكارا محليا انتشر فيما بعد الى اوربا خلال الفترة الهلنستية فنسب خطأً الى تلك الفترة.

والظاهرة الثانية هي قطع الأحجار لتلائم مواضعها المناسبة، فلم تكن قطع الحجارة تسير أحيانا بصفوف منتظمة من قطع قائمة الزوايا مربعة او مستطيلة، اذ أن القاعدة غير المستوية للسور

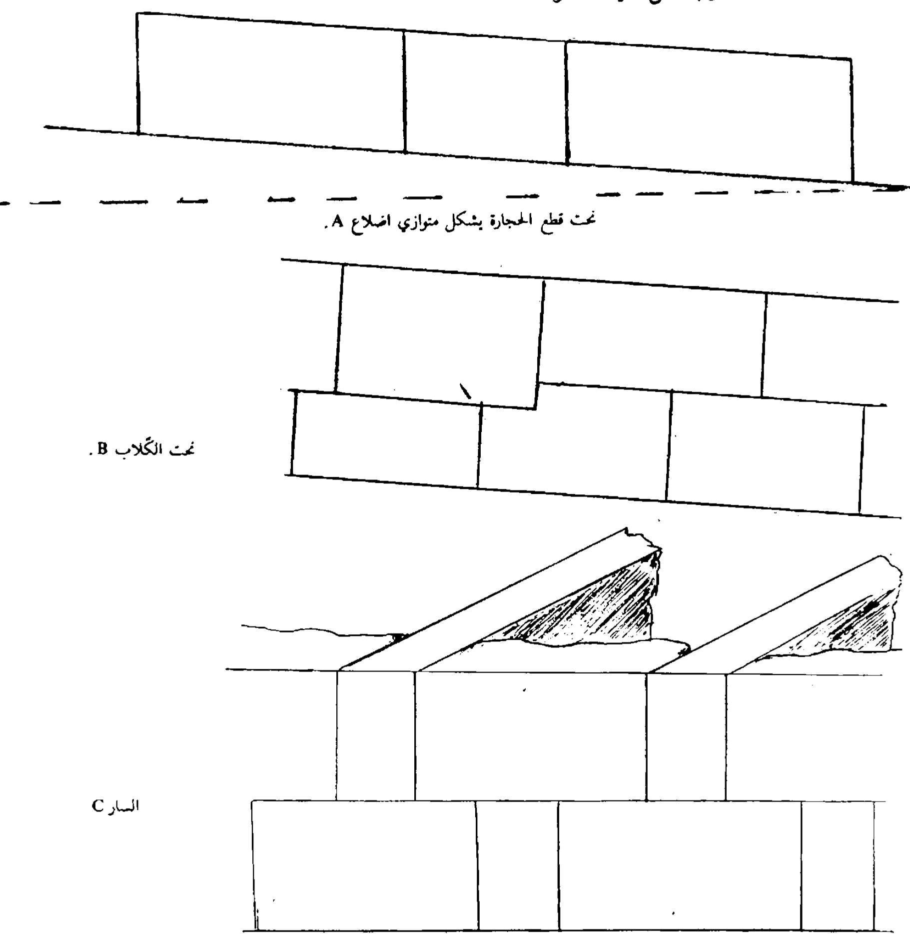




فرضت تحت القطع بشكل شبه منحرف للحفاظ على الفواصل بين قطع الحجارة قائمة على خط أفقي كما هو ملاحظ في بوابة أدد (الشكل ٢١ – A). ان هذه العملية اي عملية قطع الأحجار لتلائم مواضعها المناسبة نلاحظها في بناء العقود والقبوات في نينوى والحضر، وكذلك في عقود وقبوات وحنيات كنائس ماقبل الاسلام.

وحين كان الأمر يتطلب الانتقال من سمك لصف الحجارة الى سمك آخر أقل أو اكثر فقد كانت تنحت احدى الأحجار بشكل بحيث تكون ذات سمكين تعرف "بالكلاّب" (الشكل ٢١ – B).

ونلاحظ كذلك في انشاء سور نينوى والمباني العامة الأخرى المشيدة بالحجارة استخدام مايعرف "بالمسمار" وهو محاولة لشد الواجهة المهندمة بالمواد التي خلفها، اذ كانت الحجارة تشيد بشكل عام بوضعها بشكل أفقي بالنسبة لواجهة الجدار. الاّ أنه تتخللها أحجار توضع بشكل متعامد مع الواجهة تطورت هذه الناحية لتصبح الأحجار متناوبة مابين أفقية وعمودية في الحضر (الشكل ٢١ – C).




نحت قطع الحجارة بشكل متوازي اضلاع A.

والشرفات عنصر نشأ في بلاد آشور ونسبت هي الأخرى الى الفترة الهلنستية (٩٠) رغم أنه لم يحصل اي تغيير لها في تلك الفترة عن أصلها الآشوري. وهناك من نسب أصولها الى مصر استنادا الى صور على الأختام (٩١) رغم عدم وجود فعلي للشرفات في مصر قبل ظهورها لدى الآشوريين.

وفي مجال تخطيط وبناء التحصينات هناك الأبراج التي تدعم السور الحجري في العصر الآشوري والتي كانت ترتفع بمستواها عن مستوى السور الحجري. والأبراج في نينوى قائمة الزوايا عرض كل منها ٣,٥ متر، وتبرز عن واجهة الجدار بما يزيد عن متر قليلا والمسافة بين برج وآخر ١٣ مترا تقريبا، وتتكرر هذه الظاهرة في الحضر التي يدعم سورها ١٦٣ برجا من هذا النوع، الاّ ان الكبيرة منها والصغيرة أكثر بروزا عن أبراج الأسوار في المدن والمواقع الآشورية. ويبدو أن الأبراج القائمة الزوايا تطورت في العمارة الاسلامية لتصبح بشكل دعامات نصف اسطوانية.

وفي مجال تخطيط التحصينات نلاحظ التناظر في وضع بوابات سور دور شروكين،ومثل هذا التناظر نلاحظه في الحضر، ونلاحظه بشكل أوضح في بوابات واسط وبغداد في العصر الاسلامي.

**الأعمدة:**

لم يكن استخدام الأعمدة شائعا في العراق القديم الاّ أنه يبدو أن الآشوريين ادركوا أهمية وظيفة العمود فشيدت أعمدة أو بالأحرى اساطين من اللبن منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد اما بشكل اعمدة كاملة او نصفية (٩٢) وتؤكد ذلك الأعمدة المستخدمة في الطراز المعروف ببيت خيلاني. ومثل هذه الأعمدة النصفية والكاملة ظهرت في الحضر بشكل أساطين أي اعمدة من قطع اسطوانية من الحجارة.

ولعل تلك الأسس هي التي نشأ عنها نوعان من الدعائم استخدمت في العصر الاسلامي، الأساطين والأكتاف. فالأساطين التي كانت تشيد من قطع اسطوانية قليلة الارتفاع توضع فوق بعضها، كما هو الحال في مسجد الكوفة ومسجد واسط. اما الأكتاف فكانت دعامات ذات مقطع مستطيل او مربع تشيد من الآجر او اللبن او الحجارة المهندمة، بدأ استخدامها بالدعامات الداخلية في معابد عصور ماقبل التاريخ اذ ظهرت في أحد معابد تبة كورا الذي يرجع الى عصر العبيد (٩٣)، وقد استخدمت الأكتاف بكثرة في العمارة الاسلامية في المشرق والتي عزيت خطأ الى أصول ايرانية.

**السلالم:**

وتسمى الدرج أيضاً، اذ لم يعثر على تفاصيل هذه الناحية لتهدم الأجزاء العليا من الأبنية القديمة، ومنها الآشورية، الاّ أن بوابة أدد وبوابة سن تعطيانا الأدلة على استفادة الآشوريين من سمك جدران اللبن، فكان الصعود الى سطح السور في بوابة أدد يتم من خلال مدخل في قاعة الحرس يؤدي الى ممر لايعرف ان كان مدرجا أم منحدرا، ويستمر الممر بشكل حرف U، الاّ أنه مع ذلك لايعرف بالضبط كيف ينتهي، ومما لاشك فيه أن عملية الصعود الى السور كانت تتم داخل السور. ونشاهد هذه الطريقة ايضا في بوابة سن التي يشكل السلم فيها الشيء الوحيد المتبقي بشكل واضح من البوابة. ورغم تطور مواد البناء من اللبن الى الحجارة نلاحظ استمرارا في استخدام هذا الأسلوب في الحضر.

ان هذا لايعني ان هذه الطريقة هي الوحيدة المتبعة، بل كشف عن أساليب أخرى، ففي نهاية قاعة العرش في قصر آشور ناصربال في كلخو كشف عن مصطبة من اللبن شيدت لتدعم الدرج المؤدي الى السطح (٩٤).





## التهوية :

لاتختلف مسألة التهوية عن مسألة السلالم، اذ ان تفاصيلها ترتبط فيما يبدو بوجود الأجزاء العليا من الجدران التي تهدمت في معظم حالاتها، الاّ ان القصور الآشورية قد نظمت بشكل لتوفير عملية التهوية، فكان لمعظم القاعات الكبيرة فتحة رأسية ضمن سمك الجدار أو ربما اكثر من فتحة[٩٥]. وتستخدم قواعد هذه الفتحات رفوفاً توضع عليها جرار الماء لتبريدها، واستمرت هذه الطريقة متبعة حتى فترة متأخرة وبالامكان مشاهدة الكثير منها في مباني الموصل القديمة اليوم. وتعرف بالملقف ومجموعها ملاقف.

وتعطينا بوابة أدد طريقة أخرى للتهوية شوهدت في ممر الدرج، اذ عثر في الممر على ثلاث فتحات رأسية عرض كل منها ١٥ سم، ولا يمكن تحديد ارتفاعها لتهدم اجزائها العليا. وكانت هناك فتحات تتجه بشكل أفقي لغرض التهوية.

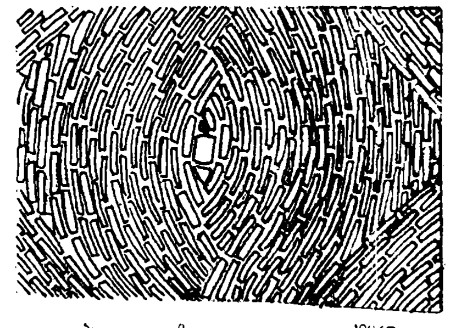
ويستدل من خلال أحدى المنحوتات (الشكل ٢٢) ان دور السكن الصغيرة كانت تهويتها تتم عن طريق فتحة في وسط السقف المخروطي.



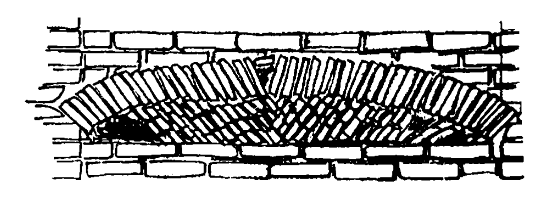
(الشـ ... تركيبة قبوة من تل رماح

## القباب :

لم يعثر على عنصر القبة في المنطقة خلال عصور ماقبل الاسلام، الاّ ان لدينا من الدلائل ماتؤكد مساهمة المنطقة في نشأته وتطويره فتشير منحوتة عثر عليها في نينوى (الشكل ٢٢) على استخدام القبة نصف الكروية والبيضوية، الاّ أن استخدامها فيما يبدو كان محدودا وفي الأبنية الفقيرة، ومع ذلك فان ماكشف عنه في تل رماح من منتصف الألف الثاني قبل الميلاد يؤكد التوصل الى معرفة الانتقال من القاعدة المربعة الى القاعدة الدائرية او القريبة من الدائرية لاقامة القبة، اذ عولجت الزوايا بالمثلثات الركنية Pendentives ثم أقيمت عليها قبة أو قبوة منخفضة من اللبن[٩٦] (الشكل ٢٣) وان اكتشاف نماذج لمعابد مربعة مغطاة بقباب معمولة من الرخام في الحضر تؤكد معرفة سكان المنطقة للقبة رغم عدم الكشف عن قبة حقيقية، وأن التنقيبات المقبلة كفيلة بالقاء المزيد من الأضواء على هذا العنصر والعناصر السابقة.







شكل ٢٢ مخطط لتركيبة قبوة لدار من نينوى

## الهوامش :

(١) H.W.F. Saggs, *"The might that was Assyria"* (London, 1984) p. 188.

(٢) عبد الجواد، توفيق أحمد، "تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى" (د. م. ١٩٧٠) جـ ١، ص ١٧٥.

(٣) هيغل، "فن العمارة" (ترجمة جورج طرابيشي، بيروت ١٩٧٩) ص ٢٩.

(٤) عن قياسات اللبن وأوصافه في مختلف العصور القديمة، راجع : أندريه بارو، "بلاد آشور" (ترجمة، عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٠) ص ٢٣٤ - ٢٣٦.

(٥) عبد الجواد، المرجع السابق، جـ ١، ص ١٩٦.

(٦) بارو، المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٧) فالتر أندريه، "استحكامات آشور" (ترجمة : عبد الرزاق كامل الحسن، الموصل ١٩٨٧) ص ٨٦.

(٨) عادل عبو، الصيانة وأساليب التسقيف في بوابة أدد الآشورية "سومر" العدد ٣١، ١٩٧٥، ص ١٦٢.

(٩) Saggs, Op. cit. p. 13.

(١٠) ابن منظور: جمال الدين بن محمد بن مكرم الأنصاري، "لسان العرب" (مصورة عن طبعة بولاق) جـ ١٥، ص ١٢٦.

(١١) بارو، المرجع السابق، ص ٢٧.

(١٢) مازال هناك مقلع يمتد تحت الأرض في المنطقة المحصورة بين باب سنجار وحي الثورة، ويشغل مساحات واسعة، أشبه مايكون بالمنجم، شكّل هذا المقلع المصدر الرئيس للرخام الذي كانت تحتاجه أبنية الموصل في العصر الاسلامي او قبله افترات طويلة.

(١٣) تكثر مقالع هذا النوع من الحجارة في منطقة الرشيدية وحمام العليل وقرب بعشيقة في منطقة ميركي.

(١٤) عامر سليمان، «اكتشاف مدينة تربيصو الآشورية»، "آداب الرافدين" العدد ٢، ١٩٧١، ص ١٩، هامش ١.

(١٥) H. Frankfort, *"The Art and Architecture of the Ancient Near East"* (London 1969) p. 3.

(١٦) *Ibid*, p. 65.

(١٧) اندرية بارو، المرجع السابق، ص ١٨.

(١٨) Badawy, *Alexander, "Architecture in Ancients Egypt and the Near East"* (California, 1960), p. 103.

(١٩) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، الجزء الثاني (بغداد، ١٩٨٣) ص ١٨٥.

(٢٠) Badawy, Op. cit p. 103.

(٢١) مورتكات، انطوان، "الفن في العراق القديم" ترجمة : عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ٣١٧ - ٣١٨.

(٢٢) Frokfort, Op. cit, P. 65.

(٢٣) *Ibid*, pp. 66 – 67.

(٢٤) Ibid, pp. 68 – 69.

(٢٥) مورتكات، المرجع السابق، ص ٣٢٤.

(٢٦) مورتكات، المرجع السابق، ص ٣٥٠.

(٢٧) Frankfort, Op. cit, p. 71.

(٢٨) عن هذه المعابد، راجع : فالتر، اندريه، "معابد عشتار القديمة في آشور" ترجمة : عبد الرزاق كامل الحسن، الموصل، ١٩٨٦) ص ١٢٧، وما بعدها.

(٢٩) Frankfort, Op. cit. p. 78.

(٣٠) عن هذه المعابد راجع، M.E.L. Mallowan, *"Nimrud and its Remains"* London, 1966), Vol I, p. 205.

(٣١) مورتكات، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣٢) نفس المرجع، ص ٤٠٣.

(٣٣) فرانكفورت، المرجع السابق، ص ٦٩ - ٧٠.

(٣٤) بارو، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٣٥) لويد، سيتون، "آثار بلاد الرافدين"، ترجمة : سامي سعيد الأحمد" (بغداد، ١٩٨٠)، ص ١٩٦.

(٣٦) Frankfort, Op. cit, p. 79.

(٣٧) Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture"* (Harmondsworth, 1958), p. 279.

(٣٨) يتوسط مدينة الحضر مساحة مركزية مستطيلة مسورة ذات مدخل رئيس في الضلع الشرقية وأحد عشر مدخلا آخر موزعة على الأضلاع الأخرى. أبعاد أضلاعها ابتداء من الضلع الشمالية ٤٣٥م، ٣٢١م، ٤٣٨م، ٣١٠م، وتنقسم هذه الساحة الى قسمين بجدار تتخلله بوابتان يفصلان بين الصحن والحرم. حول المزيد من التفاصيل راجع : فواد سفر ومحمد علي مصطفى، "الحضر مدينة الشمس" (بغداد، ١٩٧٤)، ص ٣٢٧.

(٣٩) سفر مصطفى، الحضر، ص ٣٥٢.

(٤٠) سفر ومصطفى، الحضر، ص ٤١.

(٤١) عن هذه الكنيسة، راجع :

Oates, David, "Oasr serij – A sixth century Basilica in Northern Iraq" *Iraq*, xxlv, 1962) pp. 78 – 89.

(٤٢) عن هذه الكنيسة، راجع : عادل عبو، "تنقيبات جامعة الموصل في مصيفنة» نشرت ضمن كتاب «بحوث آثار حوض سدصدام وبحوث أخرى» (الموصل ١٩٨٧)، ص ١٣٣ - ١٥٥.

(٤٣) فؤاد سفر، "حفريات تل حسونة"، سومر ١٩٤٥، م ١، جـ ٢، ص ٢٥ - ٤٠.

(٤٤) Badawy, Op. cit., p. 87 Vol. I. p. 36.

(٤٥) E.A.Speiser, *"Excavations at Tepe Gawara"* Vol. A. p. 36.

(٤٦) Badawy, Op. cit. p. 87.

(٤٧) *Ibid*, p. 88.

(٤٨) عن هذه النماذج راجع : فالتر اندريه "معابد عشتار القديمة في آشور" ترجمة : عبد الرزاق كامل الحسن (الموصل، ١٩٨٦)، ص ٥٣ - ٥٦.





(٤٩) مورتكات، المرجع السابق، ص ٣١٨.
(٥٠) Frankfort, Op. cit, p. 80.
(٥١) عن هذه الدور راجع:
Mallowan, Op. cit. Vol I. p. 186.
(٥٢) نفس المرجع، ص ١٨٦.
(٥٣) فالتر اندريه، "آشور المدينة الهلنستية"، ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن، (الموصل، ١٩٨٧)، ص ٤٨ - ٨٧.
(٥٤) اندريه، "آشور الهلنستية"، ص ٤٢ ومابعدها.
(٥٥) سفر ومصطفى، المرجع السابق، ص ٣٥٠.
(٥٦) نفس المرجع، ص ٣٥٢، والمخطط ١١.
(٥٧) نفس المرجع، ص ٣٦٦.
(٥٨) مورتكات، ص ٣١٩.
(٥٩) نفس المرجع، ص ٣٢٠ و٣٤٢.
(٦٠) عن تفاصيل هذا القصر، راجع:
Mallowan, Op. cit. Vol. I. pp. 146 ff.
(٦١) عبد الله أمين أغا وميسر سعيد العراقي، "نمرود" (بغداد، ١٩٧٣)، ص ١٦.
(٦٢) نفس المرجع، ص ٢١.
(٦٣) نفس المرجع، ص ٢٢.
(٦٤) Mallowan; Op. cit. Vol.I. pp. 203 – 4
(٦٥) Frankfort, Op. cit. p. 75
(٦٦) *Ibid*, p. 76
(٦٧) سفر ومصطفى، المرجع السابق، ص ٣٢٣.
(٦٨) Frankfort, Op. cit. p. 21
(٦٩) O. Reuther, "Presian Architecture, History, in, A. U. Pope, "A Survey of persian, (London and New york) 2nd eimp.) Vol. I. p. 425.
(٧٠) D.Oates, The Exacvation at Tell Rimah, 1964, IRAQ, xxvlll (1965) p. 77 and pl. xxl
(٧١) فالتر اندريه "استحكامات آشور" ص ٨٦.
(٧٢) B.Fletcher, *"A History of Arehitecture"* (London, 1963) p. 75.
(٧٣) عامر سليمان، نتائج حفريات جامعة الموصل في أسوار نينوى، "آداب الرافدين"، العدد ١، ١٩٧١، ص ٦٩ - ٧١.
(٧٤) طارق مظلوم وعلي محمد مهدي "نينوى" (بغداد، ١٩٧١)، ص ٢٤.
(٧٥) Frankfort, Op. cit. pls. 84, 85, 86, 95 and 106
(٧٦) مظلوم، المرجع السابق، ص ٢٤.
(٧٧) O.Reuther, Op. cit., Vol.I. p. 447.
(٧٨) حول هذه الدلائل راجع: عامر سليمان "أسوار نينوى" ص ٦٩ - ٧١.
(٧٩) عبو، "الصيانة"، ص ١٦٠.
(٨٠) سيتون لويد، "آثار بلاد الرافدين"، ترجمة: سامي سعيد الأحمد، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ١٩٨.
(٨١) D.Oates, "Qasr Serij" pp. 78 – 89.
(٨٢) عبو، "مصيفنة"، ص ١٤١.
(٨٣) عبو، المرجع السابق، ص ١٤١.
(٨٤) Reuther, Op. cit. Vol.I. p. 431.
(٨٥) *Ibid*, p. 432
(٨٦) *Ibid*, p. 434
(٨٧) Badawy, Op. cit. p. 87
(٨٨) عبو، "الصيانة" ص ١٦٢.
(٨٩) بارو، أندريه، المرجع السابق، ص ١١٤ - ١١٥، وانظر ايضا: لويد: المرجع السابق، ص ٢١٥.
(٩٠) Hugh Plommer, "Simpson's History of Architectural Development" (London, 1964) Vol.I. p. 243.
(٩١) لويد: نفس المرجع، ص ٢١٨.
(٩٢) لويد: نفس المرجع، ص ١٩٨.
(٩٣) لويد: المرجع السابق، ص ٨٦.
(٩٤) عبد الله أمين، وميسر العراقي، المرجع السابق، ص ١٧.
(٩٥) Mallowan, Op. cit. Vol.I, p. 106
(٩٦) لويد، المرجع السابق، ص ١٩٨.

# تخطيط المدن

د. جابر خليل ابراهيم

سبق الحديث في الفصول السابقة عن الجوانب المتعلقة بالانتقال الى المدينة وعن البدايات الأولى للقرى الزراعية وانماط توزيعها وخصائص ابنيتها. وسنتناول في هذا الفصل تخطيط المدن القديمة الواقعة في منطقة الموصل، لاسيما الجوانب التي تختص باختيار مواقع هذه المدن كانبساط اراضيها أو قربها من مصادر المياه، ومدى ملاءمة تلك المواقع لأن تتحكم من الناحية الجغرافية بحركة

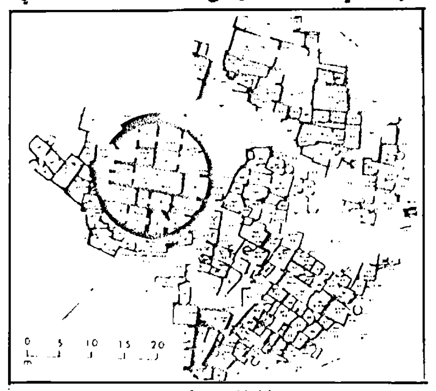




النقل. كما سيشمل البحث ايضاً اشكال هذه المدن واستعمالات اراضيها واقسامها وشوارعها وساحاتها، ثم المراحل التي مرت بها كل مدينة مابين نشوئها وآخر ماتوصلت اليه من التوسعات وبالقدر الذي وفرته المكتشفات الاثرية.

ومما يجدر ذكره ان معظم المقرات الزراعية المكتشفة، باستثناء كل من جرمو وتبه كورا وتل الصوان، لم تشمل الحفريات التي اجريت فيها الا اقساماً محدودة منها فقط فاكتفى المنقبون في معظم الحالات حفر خنادق عميقة لجس طبقاتها الاستيطانية وتحديد أدوارها الحضارية. أو ان التنقيبات كانت محدودة ولم تكشف الا عن قسم من هذه المستوطنات مثل حسونة واربجية وأم دباغية وابراهيم عزو والثلاثات ..... الأمر الذي لم يمكن الباحث من الحصول على كامل مخططاتها أو الوقوف على تفاصيل تركيبتها الداخلية على الرغم من ان النتائج التي قدمتها مكتشفاتها الاثرية تشير الى ان المجتمعات الزراعية في هذه القرى كانت الامثلة الاولى للاستثمار البشري للمنطقة الواسعة التي تحتل منطقة الموصل فيها مساحة شاسعة، فضلاً عن انها كانت النواة التي ضمت العناصر المكونة للمدينة.

وابرز ميزتين لبدايات مدن الألف الخامس قبل الميلاد في منطقة الموصل كان السور الخارجي

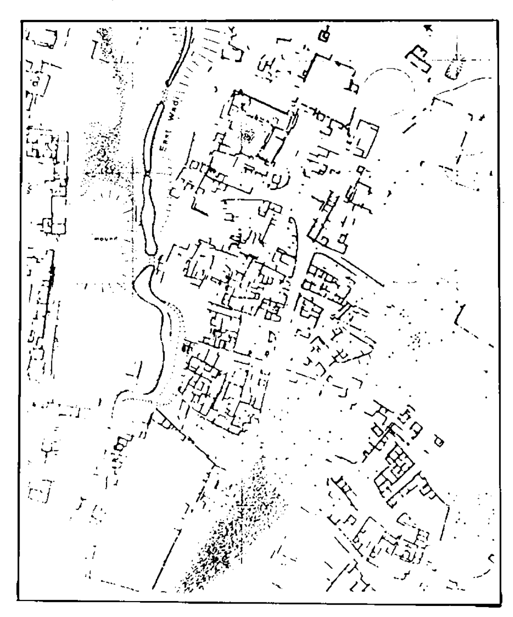


مخطط لابنية تبه كورا



للمدينة ذا الوظيفة الدفاعية، ومعبدها المحاط بسور دائري ايضا، اللذين شكلا معا ميزة معمارية حافظت عليها المدن التي شيدت بعدئذ. وتعد تبه كورا في هذا الخصوص، المعاصرة لاريدو الواقعة في السهل الرسوبي من العراق، نموذجا من بين قرى ماقبل التاريخ في منطقة الموصل من حيث تخطيط وتنظيم وحداتها البنائية.

وانه يصعب على الباحث في ان يبين بوضوح المعايير التي وضعها المختصون للتميز مابين المدينة الكبيرة والمدينة الصغيرة أهي المساحة ام كثافة


تخطيطات اسس ابنية من تل طاية

السكان الا انها على مايبدو مازالت قيد الافتراضات [١]. ومهما كانت هذه الافتراضات فان كلاً من المدن الصغيرة والكبيرة لايعرف ان كانتا قد نمت طبقاً لتخطيط عام او توسعت تلقائياً نتيجة ربط مجموعات مختلفة من المنشآت البنائية ذات وظائف مختلفة بعضها بالبعض الاخر وهو الراجح. وفي ضوء ذلك ربما يكون تل طاية، الواقع الى



الجنوب من تلعفر، من الناحية التخطيطية أقدم المدن المكتشفة في اعالي العراق سيما في المنطقة الواقعة بين نهر دجلة وتل براك على نهر الخابور الذي يعود كما يرى المنقبون الى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد[٢]. فقد خطط الاثاريون العاملون في هذا الموقع اثناء عمليات المسح جدران الابنية المتبقية واسسها وحددوا قطاعات سكنية فيها، يحتوي الواحد منها على وحدات بنائية موزعة على كتفي الوادي الذي يخترق هذه المدينة من الشمال الى الجنوب. وترينا الصور الفوتوغرافية لهذا الموقع ان وجها الجدار في ابنيتها شيدت بحجارة كبيرة مسواة الوجوه الى حد ما ملئ مابينهما بالحجارة الصغيرة[٣].

وفضلا عن التخطيط الواسع لابنية تل طايه التي لابد انها مكونة من مجموعة مختلفة من الاستعمالات ربطت الارض بعضها ببعض. فالاقسام المنقبة منها قد أرخت مكتشفاتها بعصر فجر السلالات او العصر الاكدي على الرغم من انها لاتشبه مباني هذه الفترة في بلاد وادي الرافدين من حيث استخدام الحجارة بديلاً عن اللبن الكثير الاستخدام في البناء آنذاك. وعلى الرغم من ان استخدام الحجارة يكون دليلاً على رفاهية سكان تل طاية من جهة ويقدم دليلاً آخر على ماوصلت اليه المدينة في الألف الثالث قبل الميلاد من الرقي والتقدم من جهة ثانية في الوقت الذي كانت معلوماتنا عن هذا العصر (فجر السلالات) مقتصرة على القسم الجنوبي من العراق ومنطقة ديالى معا فان هاتين المنطقتين كانتا مصدراً مهماً للوثائق والأدلة الاثرية الأخرى أمدتنا بتفاصيل واسعة عن المجتمع السومري لاتقاس من حيث الحجم بما كشف عنه في المواقع الأخرى من العراق[٤].

وألقت المسوحات الاثارية التي جرت على منطقة غرب الموصل، لاسيما الواقعة منها بين نهر دجلة وجبل سنجار، الضوء على ان مدناً من الفترة التي ازدهرت فيها مدينة تل طاية كانت كل واحدة منها محاطة باسوار محصنة لابد وانها كانت دفاعية وتحفظ استقلال الواحدة منها مثل تل ابو ماريا وتل خوشي وتل هذيل... وربما ان اكبر هذه المواقع سعة كان اكثرها نفوذاً لقيادة دول مدن المنطقة المشابهة في الاغلب للنمط المعروف في المدن السومرية في السهل الرسوبي من العراق[٥].

ويبدو ان الاتصالات المستمرة بين مراكز هذه المدن والمستوطنات المجاورة لها قد شجعت على الاسراع نحو المدنية، بعد ان كانت هذه المراكز متباعدة بعضها عن بعض. وكان من نتائج هذه الاتصالات في ان يصبح التنظيم القبلي أقل نفوذاً في التنظيمات الاجتماعية الذي تقوده حكومة منظمة على الرغم من ان التركيب الاجتماعي للمدينة الواحدة يمتد تأثيره الى خارجها بحكم الحاجات المتبادلة بين هذين النمطين[٦].

وكان من بين ابرز خصائص المدينة في تلك المرحلة ان يكون المعبد وحدة مركزية مسورة تشكل قلبها اصبحت تعرف بالمدينة الخاصة «لبي ألي» وهي معزولة عن الاحياء السكنية من جهاتها الاربع، بسور خارجي مدعم بأبراج فيه ابواب يحتوي البعض منها على قوانين تحذيرية. وعلى مقربة من كل بوابة ساحة أو فناء كان مخصصاً لعقد الاجتماعات العامة. ومابين هذه الساحة والبناية المركزية شوارع رئيسة تتفرع منها طرق اضيق تؤدي الى الاحياء السكنية.

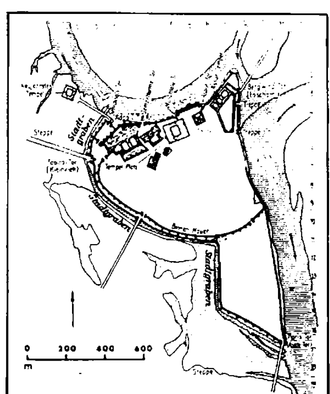
وتلحق بالمدينة المسورة ضاحية يسكنها المزارعون واصحاب المواشي ولا يعرف ان كانت هذه الضاحية مسورة على الرغم من كونها من الناحية الدفاعية قاعدة أمامية لتلك المدينة ويفترض ان تكون محمية باستحكامات دفاعية من سور وقلاع وابراج[٧].



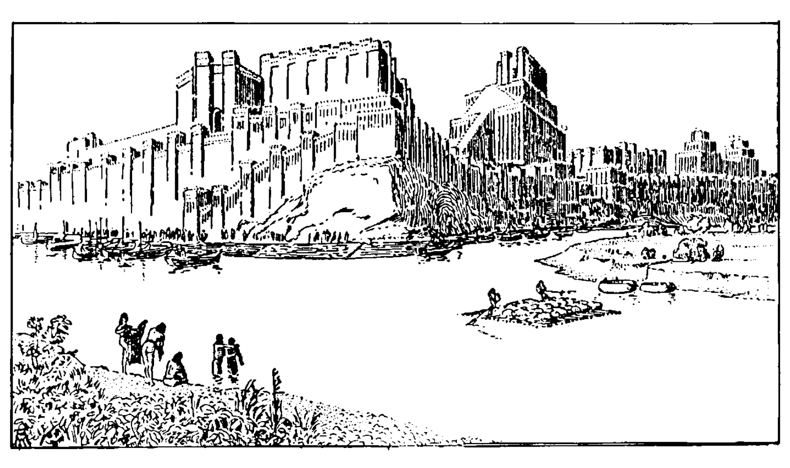


## الطوبوغرافية والتحصين :

تلعب العوامل الطوبوغرافية في الغالب دوراً مهماً في اختيار موقع المدينة وفي مقدمتها توفير الجانب الامني لها اذ كا نت ارض المدينة عاملاً يزيد من استحكاماتها الدفاعية في معظم الاحيان وفي بلاد آشور نماذج مختلفة من المدن ذات المواقع المختلفة كان للدور الطوبوغرافي اثر في نمائها وازدهارها كما كان له اثر في خططها. فاختار الآشوريون موقع مدينة آشور على الضفة اليمنى لنهر دجلة ، متوسطة مصب الزابين في ذلك النهر ليزيد في مناعة موقعها. كما يزيد في دفاعات هذه المدينة سلسلتان جبليتان ممتدان مع اتجاه نهر دجلة هما مكحول وحمرين حيث بداية كل منهما هي منطقة الفتحة الواقعة الى الجنوب من مدينة آشور التي تنتهي عندها مرتفعات مكحيل او ماتعرف محليا باسم «الخانوقة» عند روابي لاترتفع كثيراً عن الارض التي عليها هذه المدينة. الا ان هذه التلال تعود ثانية في غرب آشور وشمالها الغربي بهيئة هضاب مرتفعة تعرف بتلال القيارة بعيدة عن نهر دجلة. وتنحدر من هذه المرتفعات وديان وشعاب تنتهي في نهر دجلة واهمها وادي ام الشبابيط ووادي الجزناف




مخطط ارضي لمدينة اشور



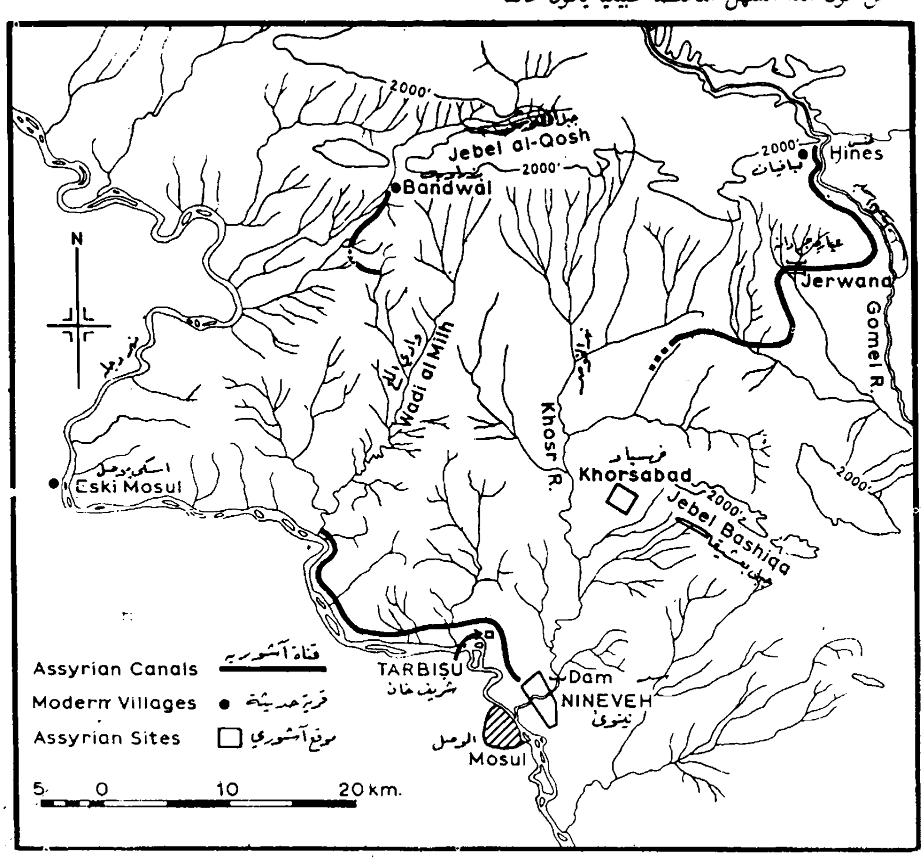
منظر تخيلي لمدينة اشور





وفروعها التي فيها عيون للماء ومناقع مالحة تزرع حافاتها وتصبح مراع للاغنام. وقد حددت هذه الطوبوغرافية موقع مدينة آشور على احدى تلك الروابي في زاوية من ارض صخرية مشكلة مايشبه المثلث غير الكامل، يكون ضلعه الشمالي الكتف الصخري الذي ينتهي عند دجلة مكوناً رأساً لهذا المثلث[٨]. ويبدو ان الآشوريين وظفوا هذه الخصائص لحماية هذه المدينة، ولكي تحد من توغل الاعداء اليها لاسيما وان نهر دجلة المعروف بعمقه وبسرعة تياره يحميها من الشرق ويسقي السهل الطموي الكائن في شمالها الذي تصب فيه كميات من الطمى سنوياً تزيد من انتاجه الزراعي فضلاً عن كون هذا السهل منخفضاً طبيعياً يكون عائقاً طبيعياً يحول دون الوصول الى المدينة سيما حينما يمتلئ بالماء في الوقت الذي يرتفع فيه منسوب نهر دجلة.

اما مدينة كلخو (نمرود) فانها تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة فوق مرتفع تحيط به اراض زراعية تكثر تموجاتها لاسيما الواقعة الى الجنوب والشمال الشرقي منها مثل جبل مخمور في جنوبها ومرتفعات الصفرة وجبلي مقلوب وبعشيقة في شمالها. وموقع كلخو الذي يتوسط العواصم الآشورية الأخرى يتميز بانحداره التدريجي نحو الشمال. لذلك وظف الاشوريون هذه الخاصية وأوصلوا مياه الزاب الاعلى الى هذه المدينة بواسطة قناة حفرت لهذا الغرض.



وتقع مدينة نينوى على ضفة دجلة اليسرى في منطقة تحيط بها المرتفعات من الجهات الشمالية والشمالية الشرقية مابين بلدتي بعشيقة والشيخان وتنحدر الوديان من هذه الجبال منسابة نحو الجهة التي تقع فيها هذه المدينة. واستخدم الاشوريون عدداً من هذه الوديان كأنهار جلبت اليها المياه من المناطق الاخرى مثل بندواية التي تتغذى من جبل القوش لتسقي المزارع والحقول عبر وادي الملح. كما واصبح الخوصر نهراً تصب فيه العديد من القنوات المنسابة كلها نحو قاعه مخترقة مدينة نينوى.

وتطوق مدينة دور شروكين (خرصباد) مرتفعات لاسيما الكائنة الى الشمال والشرق منها وتنحدر من هذه المرتفعات عدد من الوديان تغذي بعضها المياه الآتية من نهر الكومل.

وفضلا عن المرتفعات والوديان في منطقة الموصل فان السهول المحيطة بالمدن الآشورية المار ذكرها قد امتازت بخصوبتها وجودة تربتها وبالامكان ارواء بعض منها بواسطة جداول تأخذ مياهها من نهر دجلة او فروعه، او بالامطار الساقطة لاسيما الاراضي التي تقع فيها المدن المذكورة، ومنها سهل آشور الغربي الذي سبقت الاشارة اليه والواقع بين آشور (قلعة شرقاط) والقيارة فهو يكفي لاعاشة سكان هذه المنطقة. اما السهل الكائن الى الشمال والشمال الشرقي من كلخو فقد اشتهر بالزراعة الديمية. كما وان سهول كل من عقرة واربيل وكرملس وسنجار هي الأخرى غنية بالزراعة، وبفضلها أمن سكان هذه المنطقة على قوتهم ومياههم.

وفضلا عن ذلك فقد اعتمد الاشوريون على زيادة مصادر المياه في المدينة الواحدة دون الاعتماد على نهر دجلة والذي تقع على ضفتيه العواصم الآشورية باستثناء دور شروكين (خرصباد).

ومن المدن الأخرى في منطقة الموصل هي مدينة حترا (الحضر) الواقعة في بادية الجزيرة الى الجنوب الغربي من مدينة الموصل وعلى نحو ١١٠ كم. وهي على مسافة اربعة كيلو مترات من وادي الثرثار الذي يقع الى الشرق منها. والموقع الذي بنيت عليه مدينة الحضر يشكل عقدة تهيمن على طرق الاتصالات مابين آشور على دجلة وسنجار ونصيبين ودورايوربس (الصالحية) وطيسفون (المدائن) اما عبر جبل سنجار أو عن طريق وادي الثرثار او الطرق المحاذية للضفة الغربية من نهر دجلة [٩].

وتشرف الارض التي بنيت عليها الحضر على ماحولها من المناطق وبذلك اضافت الى استحطاماتها الدفاعية قوة لمقاومة حصارات اعداءها، ولمراقبة الطرق المجاورة لها والتي تسلكها جيوش اعدائها. وفضلاً عن الارض المنبسطة التي يقع عليها المعبد الكبير المخصص لعبادة الشمس فان في مدينة الحضر منخفضات واسعة تقع في القسم الشرقي من هذه المدينة، فتمتلئ بمياه الامطار التي تنساب عبر مسايل مختلفة، مشكلة مصدراً مائياً مهماً يستخدمه سكان هذه المدينة لفترة طويلة من السنة.

اما مدينة سنجار التي زاد من اهميتها كونها واقعة في عقدة تهيمن على الطرق التجارية والعسكرية. فانها تقع في سفح جبل يعرف بهذا الاسم، ويجري في وسطها واد فيه مياه عذبة تسقي البساتين والحقول. ويشرف موقعها على الطريق الذي يربط اعالي دجلة ببلاد الشام منذ الازمنة القديمة. وتتفرع من سنجار عدة طرق تصل بينها وبين المدن الأخرى في المنطقة ومنها نينوى والحضر وبلد (اسكي موصل) ومدن الفرات.





**الاسوار:**

احاط سكان اعالي بلاد الرافدين اماكن استقرارهم ومنها القرى والمدن بأسوار للمحافظة على مجتمعاتها من الاخطار. ويعد تل الصوان من الألف السادس قبل الميلاد النواة الاولى لاقدم تحصينات دفاعية في عصور ماقبل التاريخ. اذ يحيط بهذا الموقع سور مستطيل مبني من اللبن والطين، يحيط به خندق مواز له محفور في ارض حصوية بعرض مترين ونصف في قسمه العلوي ونصف متر عند القاعدة وعمقه ثلاثة امتار. وللسور ثلاثة مداخل الشمالي منه مزور وعلى الداخل الى القرية ان ينحرف وبزاوية قائمة بعد اجتيازه لممر نحو اليمين او اليسار[١٠].

ويحيط بتل طاية سور دائري الشكل يعود تاريخه الى عصر فجر السلالات او العصر الاكدي وهو على غرار سور المعابد المكتشفة في منطقة ديالى ومنها المعبد البيضوي في خفاجة وتل العبيد وتل الهبة من الفترة ذاتها. اذ يبلغ سمك ذلك السور مترين، مبني بالحجارة غير المنهدمة[١١]. وفي ذلك دلالة على الامكانية الاقتصادية لسكان تل طاية، فضلاً عن امكاناتهم البشرية والفنية.

ولم تكن لدينا ادلة في الوقت الحاضر ان مدينة آشور كانت مستوطنة في عصور ماقبل التاريخ الا انها كانت آهلة في عصر فجر السلالات او في عصر اور الثالثة. وكانت كما يبدو كثيفة بالسكان المتكلمين باللغة الاكدية في العصور الآشورية. وربما كان السبب في ذلك ان هذه المدينة كانت مركزاً تجارياً او عسكرياً في الوقت نفسه. ويعتمد الباحث في وصف مخطط هذه المدينة وشكل اسوارها وخططها الداخلية على ماتبقى من اثارها وعلى النصوص المسمارية وعلى ماكشفته الحفائر الاثرية من مبانيها وشوارعها، ويجد القارئ المعلومات المفصلة عن اسوارها وبواباتها في الكتاب الذي اعده الدكتور فالتر اندريه رئيس البعثة الاثارية الالمانية التي عملت في هذه المدينة للفترة من ١٩٠٣ ولغاية ١٩١٤[١٢].

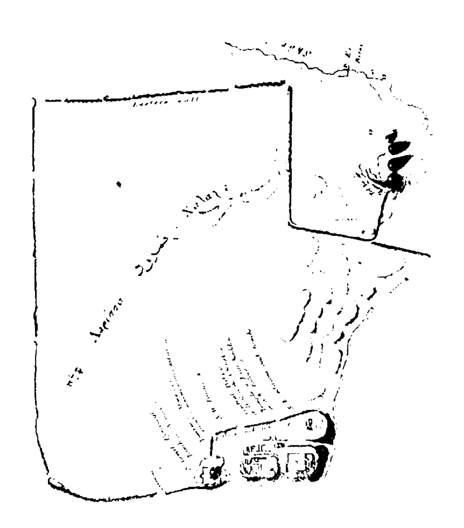
واذا مااستعان الباحث بالمخلفات الاثرية التي كشفها المنقبون من سور مدينة آشور وبالنصوص المسمارية فان بأمكانه ان يعطي جدولاً زمنياً باسماء الملوك الذين تولوا اعمال البناء والتجديدات والاضافات في اسوار هذه المدينة رغم ان التحصينات الأولى فيها التي تسبق العصر الاشوري القديم لم يبق منها سوى اماكن محدودة كشفها المنقبون في الساحة الامامية لمعبد آشور في جهة المسناة المطلة على نهر دجلة. ويحوي سور مدينة آشور على ثلاث عشرة بوابة لم تكشف الحفريات الا عن سبع منها مثل تابيرا وكركوري....[١٣].

وكانت كلخو قرية على مايبدو في الألف الثالث قبل الميلاد ولايعرف ان كانت قد استوطنت قبل هذا التاريخ. الا ان الادلة الاثرية التي كشفها المنقبون ترتقي الى نحو ١٧٠٠ قبل الميلاد اي انها كانت آهلة في زمن الملك حمورابي، واصبح لها شأن في زمن الملك الاشوري شيلمنصر الأول ١٢٨٠ - ١٢٦٠ قبل الميلاد.

وسور مدينة كلخو بهيئة مربع تقريباً طوله ثمانية كيلو مترات مازالت معالمه واضحة لكن الوقوف على تفاصيله من جدار وابراج وبواباته الاربع لايتم الا بحفريات واسعة. ويبدو ان الضلع الغربي من هذا السور متعرج آخذاً شكل مسار نهر دجلة أو مسناتها. ويحيط بهذا السور خندق عميق من الخارج. وللمكانة العسكرية التي كانت عليها كلخو كونها القاعدة التي تنطلق منها الجيوش الاشورية في حملاتها على الاقاليم المختلفة ينبغي ان تكون الاستحكامات الدفاعية فيها على درجة من الكفاءة.



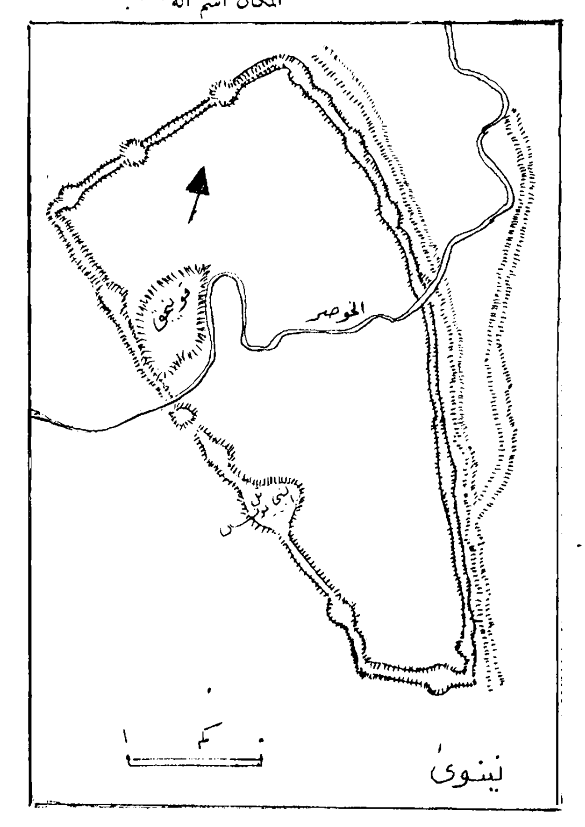




مخطط لمدينة نمرود

وكانت المدينة نينوى اشهر العواصم الآشورية واكثرها سعة، حيث تبلغ مساحتها ٨,٣٢٥ كيلو متراً مربعاً اي مايعادل ثلاثة آلآف دونم. يحيط بها سور ذو أضلاع مستقيمة قريب الشكل من شبه المنحرف. والضلعان الطوليان في سور نينوى يمتدان مع موازاة نهر دجلة مابين الشمال والجنوب. ويلي هذا السور خندق وسور ثان خارجي في الجهة الشرقية من المدينة يمتد من الشمال الى الجنوب يبلغ عرضه ١٥ — ٤٥ متراً[١٤].

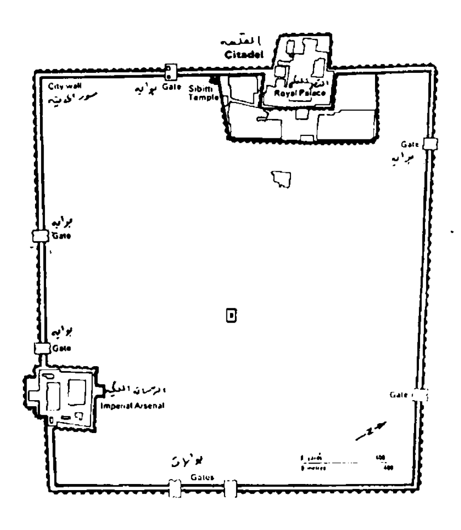
وفي سور مدينة نينوى ثماني عشرة بوابة موزعة على الأضلاع الاربعة بعد ان كان الاعتقاد انها خمس عشرة بوابة. وتحمل كل واحدة منها اسماً اما ان يكون اسم مدينة اوموضع يوصل اليه من خلالها او نسبة الى وظيفتها. ويقرن مع اسم الموضع أو المكان اسم اله[١٥].








وسور مدينة دور شروكين الواقعة على مقتربات الجانب الايسر من نهر الخوصر مربعاً غير منتظم طول محيطه سبعة كيلومترات ، يضم مساحة مقدارها ١٢٠٠ دونم. وأحكم سرجون الملك الآشوري تحصيناتها وجعلها مدينته المفضلة.




مخطط مدينة دور شروكين

وكانت المدينة الملكية تربيصو محاطة بسور ترابي يحاذيه خندق من الخارج مازالت بقاياه واضحة في الجهة الشمالية الغربية من الموقع [١٦] .

وهناك نمط آخر من المدن المحصنة تختلف عن المدن الآشورية الآنفة الذكر من حيث الموقع ومن حيث العناصر البنائية للاستحكامات الدفاعية فيها وهي مدينة الحضر. اذ احيطت هذه المدينة بسورين دائري الشكل تقريباً. الأول وهو الخارجي ترابي قليل الارتفاع. اما الثاني فهو على مسافة خمسمائة متر من الأول وهو سور المدينة الرئيسي ، مبني بالحجارة واللبن ومزود بأبراج مربعة او مستطيلة فيها الصلدة والمجوفة. ويحاذي الوجه الخارجي لهذا السور خندق عميق كشفت الحفريات الأثرية عن قسم منه عند البوابة الشمالية للمدينة.

ويقع سور المدينة الرئيسي وسور معبدها الكبير فوق ارض مستوية تقريباً تتماشى مع الخطوط الكنتورية ١٨٥ - ٢٠٠ م كما ترينا ذلك الخرائط الكنتورية للمدينة. وربما يعود ذلك الى معرفة الحضريين بالطوبوغرافية وكيفية توضيفها للاغراض الدفاعية.

وفي سور الحضر الرئيسي اربع بوابات رئيسة وعدد من البوابات الثانوية الأخرى ، وزعت الرئيسية منها على الجهات الأربع . وكشفت تنقيبات دائرة الاثار والتراث عن البوابتين الشمالية والشرقية بعد ان كان الاعتماد على التخطيطات التي وضعها فالتر اندريه رئيس البعثة الاثارية الالمانية في آشور الذي سبقت الاشارة اليه . وخطط الحضريون البوابات الرئيسية في سورهم بهيئة يضطر الداخل الى المدينة ان ينحرف اما الى اليمين او الى اليسار بعد اجتياز الممر الاول فيها. وهذا النوع من التخطيط

يعرف عند المختصين بالبوابات المزورة. وتجدر الاشارة الى ان كل من هاتين البوابتين تحوي على كوة كبيرة وضع فيها تمثال من الحجر الكلس لهرقل اكبر من الحجم الطبيعي يقابل الداخل الى المدينة او الخارج منها. وعلى الجدار الأخر كوة اصغر من الأولى وضع فيها لوح من المرمر القسم العلوي بهيئة نسر، اما القسم السفلي منه فعليه نص قانوني مكتوب باللغة الآرامية مؤرخ بشهر كانون لسنة ١٥١ ميلادية يحذر من السرقة ويحدد عقوباتها[١٧] . وبذلك كانت وظيفة البوابة في مدينة الحضر لاتختلف في وظيفتها عن بوابات المدن في عصر فجر السلالات في كونها تحتوي على الواح تحذيرية سبقت الاشارة اليها.

وهذا النوع من التخطيط الدائري الذي كانت الحضر وطيسفون انموذجاً له، يختلف كلياً عن تخطيط

خارطة الحضر الطوبوغرافية





خارطة كنتورية لموقع الحضر





1 Heracles niche كوة هرقل
2 Eagle niche كوة النسر
0 5 10 15 20 25 30m

البوابة الشمالية في سور مدينة الحضر

المدن المعاصرة لها في كل من سوريا وآسيا الصغرى فقد كانت مدن تلك الاقاليم اما انها مربعة او مستطيلة او ذوات اشكال غير منتظمة كما وان تخطيط الحضر يختلف ايضاً عن تخطيط كل من سلوقيا (تل عمر) قبال المدائن ودورابوربس (الصالحية) على نهر الفرات وانطاكيا على نهر العاصي وتدمر في الصحراء السورية من حيث الشكل. اذ ان الاسوار الدائرية قد احاطت بعدد من قرى ماقبل التاريخ في منطقة الموصل مثل تبه كورا كما كان مستخدماً في مدن الألف الثالث قبل الميلاد مثل تل طاية وغيرها التي سبق وأشرنا اليها. وفضلا عن ذلك كان السور الدائري معروفاً في بلاد الشام فكانت مدينة زنجرلي كاملة التدوير في القرن الثامن قبل الميلاد. الا ان التخطيط الدائري لاسوار المدن الذي ظهر مرة ثانية في الحضر وطيسفون كان له دلالته على احتفاظ سكان بلاد الرافدين بالتقاليد الفنية الموروثة، فضلا عن ان هذا التخطيط يوفر في مواد البناء اكثر من الاسوار المربعة أو المستطيلة ويجعل الاستحكامات الدفاعية فيها اكثر قوة.

اما مواد البناء المستخدمة في بناء اسوار المدن وبواباتها في العصور المختلفة والتي ورد ذكرها فقد بنيت باللبن والطين واستخدمت حجارة الحلان المهندمة اما لاسس جدرانها أو لتغليف الأوجه الخارجية لهذه الاسوار لاسيما الآشورية منها. وتشترك هذه الاسوار في المدن ذات الازمنة المختلفة كونها سميكة. ويجري مع الوجه الخارجي لكل منها خندق عميق عدا الاضلاع المجاورة للنهر. ويحتوي السور على بوابات رئيسة ترتبط بالمدينة بشوارع رئيسة كما سنرى. كما يدعم اسوار المدن المختلفة ابراج موزعة على الوجه الخارجي للسور. وتتميز أبراج الاسوار الآشورية كونها قليلة البروز الى الخارج على العكس من ابراج المدن المتأخرة في منطقة الموصل مثل الحضر وسنجار الكبيرة الاحجام والكثيرة البروز.

وان تنوعت اشكال الاسوار في المدن القديمة في المنطقة موضوعة البحث وتنوعت ابراجها واختلفت

تخطيطات بواباتها، فإنها جميعاً صممت لتخدم الأغراض الدفاعية.

**القصور والمعابد :**

من ابرز الخصائص التي ميزت المدينة عن سواها تلك المباني المقدسة التي تحتل قلبها او القسم الأوسط منها مكونة مايشبه وحدة مركزية مسورة معزولة عن الاحياء السكنية عرفت بعدئذ بالمدينة الخاصة. ويعد موقع تبه كورا الذي شهد البدايات الاولى للتمدن في الفترة الواقعة بين ٥٠٠٠-٣٠٠٠ قبل الميلاد افضل مثل من بين اماكن هذه الفترة في منطقة الموصل، فالطبقات الست الاولى كشفت فيها ابنية ومواد فخارية نسبت الى فترة العبيد ترينا أبنية مؤلفة من غرف مستطيلة يحيط بها سور دائري تحتل القسم الاوسط من المستوطن المذكور. ويضمن هذه المساحة معابد اعتمد في تخطيطها اسلوب المعابد المشيدة في أريدو. وكشفت الحفائر الاثرية في هذا الموقع على عدد من المعابد في الطبقة ١٢ تحيط بها وبالمباني الصغيرة الاخرى ساحة واسعة. ويسجل المعبد الشرقي أقدم وحدة بنائية فيها. اما المعبد الشمالي فيحتوي على جناحين بارزين. وبذلك يكون هذا القسم من المستوطن على مايرجح مشيد للاغراض الرسمية أو للاغراض العامة.

واذا ما القينا نظرة على مخططات المدن المكتشفة في اعالي بلاد الرافدين، فان عدداً منها لاتختلف في خططها عما لاحظناه في تبه كورا على الرغم من انها متأخرة في تاريخها عن ذلك المستوطن. ومن بين هذه المدن نوزي (يورغان تبه) المدينة الأكدية Ga – Sur التي كانت كما ترينا الدلائل مركزاً حضارياً مهماً في الألف الثالث قبل الميلاد، ومركزاً لمقاطعة خورية في الألف الثاني قبل الميلاد. واظهرت الحفائر الاثرية ان القسم الوسطي من هذه المدينة مايشبه المستطيل غير المنتظم التي ابعاده ٢٠٠ × ٢٢٠ م$^2$. اي ان مساحته ٤,٤٠٠ هكتار، تحتوي على قصر كبير ومعبد معقد يقع في القسم الشمالي منها، وقصر آخر عند الزاوية الشمالية. وتربط هذا القسم من المدينة بالاحياء الأخرى منها شوارع رئيسية مستقيمة كما سنرى.

وشيدت في المدن الاشورية قصوراً ومعابد تشكل المساحات التي بنيت عليها مناطق مركزية. وغالباً ماشيدت هذه المباني فوق انقاض مباني أقدم تعود ازمنة بعضها الى الالف السادس او الخامس قبل الميلاد او مابعدها. وتلقي المدونات الاشورية الملكية الضوء على ذلك لاسيما القصور والمعابد المشيدة في كل نينوى وكلخو كما سنرى،اذ كانت المباني المركزية في مدينة آشور تشمل قصور المدينة ومعابدها الرئيسية واقعة في القسم المعروف ب (لبي آلي) وهي اكثر مناطق المدينة ارتفاعا سيما المساحات المشرفة على نهر دجلة. وكانت معابدها كثيرة الارتفاع حتى انها اصبحت اكثر ارتفاعا من الربوة التي تقع عليها المدينة (١٨). كما ان معظم القصور التي تقع عند الزاوية الشمالية الغربية كانت كثيرة الارتفاع ايضاً لبنائها فوق المصاطب.

وفي كلخو نجدأن مبانيها المركزية التي فيها القصور والمعابد والمباني الأدارية الأخرى تقع في الجهة الغربية من المدينة الممتدة بموازاة نهر دجلة. وقد اتبعت في بناء كل من القصور والمعابد في هذه المدينة الخصائص المعمارية للقصور الملكية في مدينة اشور. ومما تجدر الاشارة اليه ان المنشآت البنائية في المدينة الجديدة كلخو ومنها الاسوار قد بنيت فوق أطلال مدينة اقدم. اذ حفرت اسس المباني الجديدة بعد ازالة انقاض تلك المستوطنات وحتى ظهور مستوى الماء (١٩).

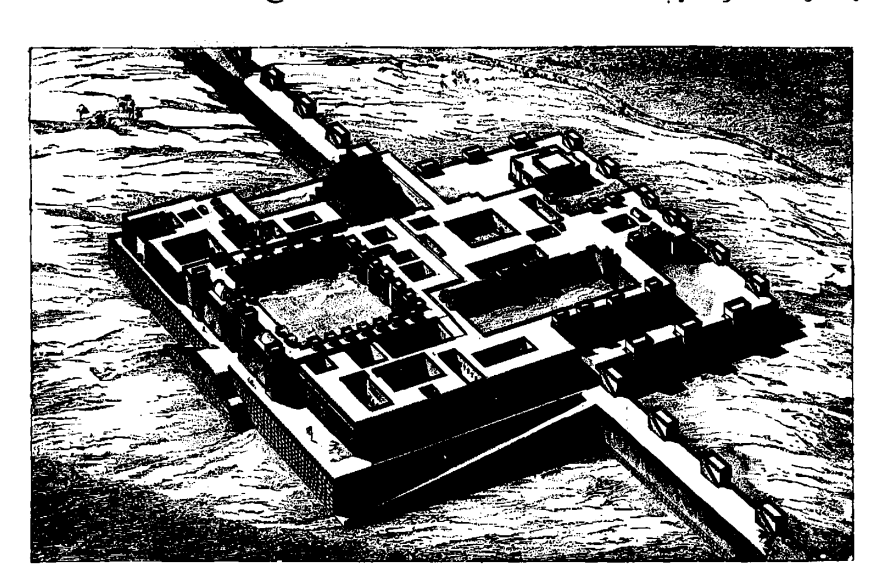
وتشكل التلال الواسعة المساحة والكثيرة الارتفاع في نينوى مثل تل قوينجق وتل النبي يونس اكثر اقسام المدينة قدماً اذ تعود كما ترينا الدلائل

الاثرية ان الطبقات السكنية في تل قوينجق مثلاً الى الالف السادس او الخامس قبل الميلاد. اذ شيد الملوك الآشوريين قصورهم ومعابدهم فوق مصاطب عالية من اللبن تقوم اسسها فوق انقاض المباني التي شكلت الاقسام العليا من هذه التلال.

اما في دور شروكين فقد بنيت القصور الملكية فيها فوق مصطبة شيدت معاً فوق تل عال ربما هو مستوطن قديم. وتحتل هذه الابنية ومعها المعابد القسم الاوسط من الضلع الشمالي الغربي لسور هذه المدينة، اذ ترتفع المباني المركزية هذه بارتفاع ذلك السور. ومن بين هذه المباني قصر الملك سرجون مشيد هذه المدينة ومعابد صغيرة وبرجاً مدرجاً يرقى اليه في الاعياد والاحتفالات الرسمية. وفي القصر المذكور قسم للادارة وغرف للحريم وآخرى للحرس. وعند الزاوية الجنوبية لمدينة دور شروكين منشآت أخرى مازالت تنتظر التنقيب.

تخطيطها وبنائها معاً. وهذا يعكس مدى اهتمام هؤلاء الملوك واعتزازهم بهذه المدن. اذ تلقي المدونات المسمارية اضواءاً على الجوانب المتعددة من مراحل تشييد المدينة الواحدة أو الاحتفالات الرسمية عند تدشينها، وتعكس ايضاً مدى اهتمام هؤلاء الملوك بالجانب الحضري في تخطيط مدنهم.

اما مراحل العمل وتنفيذ مخططات المدن او أقسام منها فتسهم النصوص المتوفرة في القاء الضوء على تلك الجوانب. ومن هذه النصوص رسالة ترينا كيف ان الملك سرجون قد اشرف على مراحل العمل في بناء مدينة دور شروكين، وكيف انه أوكل مهامها الى وزير ماليته الذي تولى الاشراف على الاعمال العمرانية الملكية في بناء القصور والمعابد والاسوار فيها، وقد قام بتنفيذها حكام المقاطعات الآشورية. وتشير هذه الرسالة الى احدى زيارات ذلك الوزير لمواقع العمل في دور شروكين للاشراف



منظر تخيلي لقصر سرجون في دور شروكين

ولكي تكون العواصم الاشورية متكاملة من حيث التخطيط فقد أشرف الملوك الآشوريون على

على الاعمال المنوطة بكل من حاكم مدينة كلخو (نمرود) وأرابخا (كركوك) وللاطلاع على سير





الاعمال البنائية في العاصمة الجديدة ولتحديد مسؤولية كل منها في العمل[٢٠].

وتعكس الكتابات المسمارية اهتمام الملك الاشوري سنحاريب بتصاميم مدينة نينوى. اذ انه وضع حجر الاساس لقصره الجديد بعد ان أمر بهدم قصره القديم الذي ضاقت مساحته ومنها ساحات تدريب الخيول. فضلاً عن ان اسس قاعة العرش فيه حسبما تذكره المدونات أصبحت واهية وان سقوفها بدأت بالتآكل. وقبل البدء بعمليات بناء القصر أجريت تسوية ترابية لارضيته التي بنيت فوقها مصطبة من اللبن طولها ٦٠ كاراً وعرضها ٣٤ كاراً[٢١]، كسيت بالحجارة المجلوبة من المناطق الجبلية. وقد أدخل مهندسو القصر الجديد في تصميمه التوسعات المحتملة التي يمكن اضافتها ليكون "القصر الذي لامثيل له"[٢٢].

اما المعابد في المدن الآشورية لاسيما العواصم، فقد شيدت كما تشير الى ذلك نتائج التنقيبات الاثرية فوق اماكن مرتفعة ربما يكون الغالب فيها تلولاً أو مستوطنات أقدم. فقد شيد معبد في تل الرماح في عصر الملك شمشي أدد الأول فوق تل عال يتم الوصول اليه بسلم قائم فوق عقادة مشيدة فوق مصطبة حتى أصبح المعبد اكثر اقسام المدينة ارتفاعاً.

وتقع المعابد في مدينة آشور فوق المناطق المرتفعة، لدرجة اصبحت هذه المعابد اكثر ارتفاعاً من ارض المدينة نفسها. وفي هذه المدينة ثلاث زقورات أقدمها واكثرها سعة الزقورة التي بنيت في زمن الملك شمشي أدد الأول والمكرسة لعبادة انليل الذي حل محله اشور بعدئذ. وتذكر المدونات المسمارية ان في مدينة آشور وحدها ثمانية وثلاثين معبداً، وهذا يعكس الاهمية الدينية التي كانت عليها هذه المدينة. الا ان الحفائر الاثرية لم تكشف الا عن مخططات اربعة منها، ومنها معبد آشور الكائن عند المرتفع الشمالي من المدينة، ومعبد عشتار ومعبد آنو فضلاً عن المعبد المزدوج المكرس لعبادة كل من الشمس والقمر. وتقدم النصوص المسمارية والأدلة الاثرية مدى اهتمام الملوك الاشوريين بهذه المعابد، اذ توالى عدد من هؤلاء الملوك اعمال التعمير والاضافة لهذه المعابد، حتى شمل الواحد منها اكثر من ستة أدوار بنائية.

وفضلاً عن المعابد الواقعة داخل مدينة آشور فان بيت اكيتو الواقع خارج اسوارها فيربطه بهذه المدينة طريق مرصوف وتجرى فيه طقوس عيد رأس السنة واحتفالات كان للملوك فيها دوراً قيادياً.

ولايعرف ما اذا كانت في منطقة الموصل مدن شيدت في الفترة التي تلت سقوط الدولة الاشورية لاسيما بعد ان هجرت عواصمها. اذ أن الحفائر الاثرية لاتقدم الدلائل في ان الحياة اليومية قد استمرت في المدن الآشورية أو عادت اليها بعد أنتهاء دور الآشوريين السياسي في المنطقة. وكل ماااظهرته هذه الحفائر ان هذه المدن أضحت قرى صغيرة بعد ان مر عليها قرنان او ثلاثة قرون على أقل تقدير من الهجر الكامل، حتى ان بعض هذه المدن قد عرفت باسماء أخرى ولم تعد محتفظة حتى بأسمائها ان صحت اراء المحققين في المصادر الكلاسيكية ومنها زينفون وديوكاسيوس. الا ان مدينة الحضر تكون أوضح مثل للمدن التي قامت في منطقة الموصل بعد ان مرت بضعة قرون على أفول العواصم والمدن الاشورية. اذ أن المباني المركزية في هذه المدينة تقع في القسم الاوسط منها. حيث يحتل المعبد الكبير المخصص لعبادة شمش (الشمس) مساحة كبيرة مقسم الى حرم واسع فيه عدد من المعابد والمصليات، وفناء اكثر سعة منه تحيط به عدد كبير من الاواوين والغرف التي على مايرجح كانت لايواء زوار المدينة. وقد احيط المعبد الكبير بسور من الحجر ترتبط مداخله بشوارع رئيسة





تتصل بعضها بالبوابات في سور المدينة الرئيسي وأخرى بالاحياء السكنية .

ومما تجدر الاشارة اليه ان وقوع المعبد الرئيسي في قلب مدينة الحضر ربما يكون الهدف منه ان يكون على مسافة متساوية من احياء المدينة فضلاً عن كونه المركز لادارة الدفاع عنها .
حتى اصبحت الحضر بعدئذ أنموذجاً للخصائص التي اتصفت بها المدن العربية الاسلامية في العراق ومنها بغداد (٢٣) .

اما القصور الملكية في الحضر فلم يعرف موضعها الى حد الان اذ لم يكشف المنقبون الا عن دار واسعة قرب البوابة الشمالية من سور المدينة اصطلح عليه "بالقصر الشمالي" ووحدة سكنية تقع الى الجنوب من سور المعبد الكبير نسبت الى والدة عبد سميا ولي العهد بن سنطروق الملك بن نصرو السيد .
وفضلا عن المعبد الكبير هناك معابد أخرى صغيرة كشفت الحفائر الاثرية في الحضر عن ثلاثة عشر منها . ويقع كل معبد ضمن منطقة سكنية في الجهات المختلفة من المدينة .

**المنازل :**

كانت اولى الاماكن التي استقر فيها الانسان لفصول معينة من السنة عبارة عن حفر دائرية رصفت أرضياتها بالحصى والحجارة كما في مواقع كل من زاوي چمي وكريم شاهر وملفعات التي لاتبعد كثيراً عن منطقة الموصل . الا ان التطور الحاصل في تخطيط وبناء المساكن كان وليد استقرار الانسان بعد ممارسته الزراعة . فأصبح المسكن المشيدة جدرانه بالطوف فوق اسس من الحجارة اكثر تعقيداً من ذي قبل رغم صغر مساحته ، إذ يحتوي على غرف تدور حول فناء صغير تستخدمها الاسرة للسكن وللخزن . وغطيت ارضيات هذه الغرفة وسقوفها بحصران من القصب والطين . واصبحت مساكن قرية جرمو التي ليس لها ادنى شبه بالاكواخ الدائرية المارة الذكر مثالاً لابنية القرى الأخرى في الفترات اللاحقة ومنها مغزلية الواقعة في منطقة تلعفر فغرف المساكن فيها مستطيلة شيدت بالطوف على اسس من الاحجار غير المنتظمة .

وفي الوقت الذي كانت جرمو ومغزلية وقرى دائمية أخرى كانت مجمعات رعوية من سكنة الخيام تمتهن الزراعة الموسمية الا ان قرى الدور المعروف بحسونة المشيدة بالطين لاتبقى شاخصة في الغالب لاكثر من اربعين سنة (٢٤) .

وكشفت في يارم تبه عن ابنية لوحدات شيدت جدرانها بالطوف تمثل بيوتاً صغيرة يكفي الواحد منها لعائلة . وقد الحقت بالبيت الواحد مخازن ربما كانت تخدم اغراضاً اقتصادية لسكان الموقع . وما بين بيت وآخر حسبما كشفت عنه الحفائر الاثرية مساحات خالية من البناء ، الحقت تدريجياً بعدئذٍ بتلك البيوت بعد ان حصلت زيادة في نفوس العائلة الواحدة على مايرجح .

وابرز مافي هذه القرية "يارم تبه" ميزة لها علاقة بموضوع تخطيط المدن هو القسم الشمالي منها كانت فيه مساكن لحرفيين ومنهم العاملون في صناعة الفخار حيث عثر في ذلك القسم على كورة لفخر الاواني الطينية مكونة من طابقين ربما تكون أقدم مثل افرن يكشف في منطقة مخصصة للاغراض الصناعية (٢٥) .

وفي اربجية بيوت دائرية شيدت بالطين فوق اسس من قطع الحجارة تعود الى الفترة المعروفة بحلف ، يفصل الابنية السكنية بعضها عن بعض طرقات رصفت بالحصى . ومن بين تلك الابنية مبان دائرية اخرى كانت ذات وظائف دينية وجدت فيها تماثيل صغيرة للالهة الام . وبذلك اصبحت مبان اربجية الدائرية ميزة لعمارة حلف الذي انتشر بشكل رئيسي مابين منطقة الموصل والخابور على نهر الفرات ، والذي كانت نماذجه الاولى اكواخ زاوي چمي وكريم شاهر وملفعات





الكائنة في الاقسام العليا من العراق كما سبقت الاشارة الى ذلك من قبل.

والى جانب الابنية السكنية وجدت في اربجية مبان مخصصة للاغراض الصناعية ومنها صناعة الفخار اذ تشير الدلائل الاثرية ان أربجية كانت اكبر مركز لهذه الصناعة في منطقة الموصل.

وبعد ان استخدم اللبن المصنوع بالقالب في عصري سامراء والعبيد على نطاق واسع في مباني هذين العصرين ومنها تل الصوان الذي لايبعد كثيراً عن الحد الجنوبي لمنطقة البحث وتل صنكور في حوض حمرين. الا ان مباني عصر العبيد كانت اكثر تعقيداً من حيث التخطيط من مباني العصر الذي سبقه. وربما يعود ذلك الى التطور الحاصل في اساليب البناء الواسعة الانتشار. إذ ان الساحة الوسطية في تبه كورا في الفترة مابين ٥٠٠٠- ٣٠٠٠ ق. م كانت عريضة مستطيلة الشكل، تفصل بين وحدتين بنائيتين، بعد ان كانت الابنية الدائرية في تبه كورا الصفة المميزة لها في الفترة التي سبقت العبيد. وبذلك يكون هذا الموقع اقرب مثال لمدينة الموصل خضعت مبانيه السكنية الى تأثير طرز معمارية.

وتتوزع الوحدات السكنية في تبه كورا حول بناية مستطيلة تحتل وسط الموقع منها معابد مشابهة من حيث التخطيط للمعابد المكتشفة في اريدو في القسم الجنوبي من العراق. اذ كشفت الحفريات في هذا الموقع عن عشرين طبقة سكنية يعود اقدمها الى فترتي العبيد والوركاء في الطبقة VIA (٣٥٠٠- ٣٢٠٠ ق. م) فيها بيوت تفصل بعضها عن بعض ازقة غير منتظمة. وفي الطبقة السادسة كانت الاحياء السكنية فيها موزعة الى حد ما بشكل مستطيل تفصل بينها طرقات ضيقة (٢٧).

وفي تل طاية قطاعات سكنية موزعة بشكل غير منتظم على كتفي الوادي الذي يخترق ذلك الموقع، أمازالت اسسها الحجرية واضحة. اذ بني وجها الجدار الواحد بكتل مسواة الى حد م٦ من الحجارة، ملئ مابينها بالحجارة الصغيرة (٢٨).

وفي مثل آخر لمدينة تقع الى الشرق من بلاد آشور وهي نوزي التي سبقت الاشارة اليها فإن القطاعات السكنية والتجارية فيها تمتد حول معابد المدينة وقصورها الكائنة في القسم الاوسط منها، اذ تفصل الاحياء السكنية التي فيها بنايات مربعة شوارع رئيسة.

وكان السكن كثيفاً في مدينة آشور حيث الاحياء السكنية الواقعة معظمها في القسم الجنوبي من المدينة لاسيما بعد ان اضيفت اليها المدينة الجديدة الممتدة على طول الشاطئ الغربي لنهر دجلة. وقد احيطت المنشآت الجديدة فيها بسور وخندق عميق ليجعل من المدينة مايشبه الجزيرة.

وفي كلخو كانت في المدينة الداخلية حارة سكنية صغيرة، الا ان بيوت السكان كانت في المدينة الخارجية، وهي بسيطة مشيدة باللبن يسكن معظمها الفلاحون واصحاب المواشي. ولايعرف ما اذا كانت هذه الضاحية مسورة ام لا على الرغم من ان تسويرها كان مهماً لكونها القاعدة الامامية لتلك المدينة.

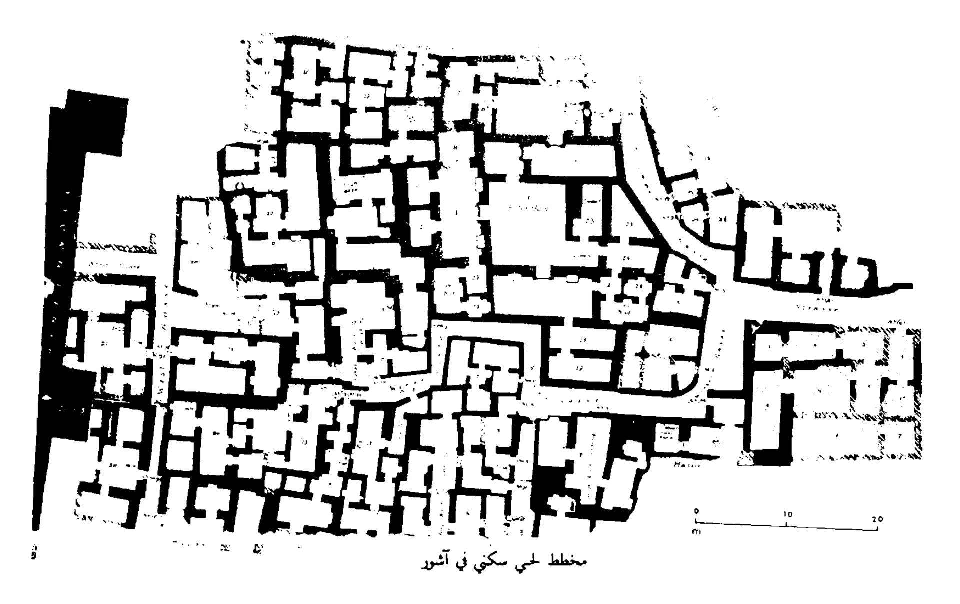
ومساكن العامة في المدن القديمة في منطقة الموصل كما كشفت عنها الحفائر الاثرية تختلف في تخطيطها واسلوب بناءها عن القصور والمعابد. فقد شيدت المساكن باللبن واستخدمت الاخشاب في سقوفها، بطريقة تتلاءم ومناخ كل منطقة. واذا كانت الحفريات قد امدتنا بمخططات المساكن في القرى ومنها القرى التي نشأت في عصور ماقبل





التاريخ في المنطقة التي سبقت الاشارة اليها مثل حسونة واربجية، فإن المساكن في المدن التي نمت وازدهرت في المنطقة نفسها مؤلفة من فناء تحيط به غرف هي اكثر مساحة، ولعل مساحة المساكن لاتخضعها الا قاعدة واحدة وهي عدد سكانه وامكانياتهم الاقتصادية. ويحتوي المسكن بشكل عام اضافة الى غرف النوم على مطبخ

وبما يجدر ذكره ان جدران المساكن المشيدة باللبن كانت سميكة لكي تكون ملائمة للتقلبات المناخية، كما كانت هذه الجدران تطلى اما بالطين او بالجص. وكانت سقوف البيوت اما ان تكون بشكل ابنية أو انها تسقف بالخشب. وترتبط البيوت في المدينة عبر مداخل بوحدات بنائية متجاورة.




مخطط لحي سكني في آشور

ومخزن. وليس هناك من ادلة في ان البيوت كانت تحتوي على حمامات نفترض وجودها في القصور الواسعة. ولايعرف ان كان السكان قد استخدموا احد اقسام دارهم كمكان للاستحمام لاسيما في الفصول الباردة. اذ ان وجود الحمام في البيت يحتم وجود انظمة لتصريف المياه. ومهما كانت بدائية فان نظام التصريف يخلص من الرطوبة المؤثرة في الجدران المشيدة باللبن[٢٩].

ومثلما تحتوي البيوت الواسعة على الحمامات فانها تحتوي على مكان مخصص للمرافق الصحية التي لاتختلف عن التصاميم المستخدمة في البيوت في الوقت الحاضر[٣٠].

وقد استخدم الايوان كعنصر عماري في بيوت الحضر وآشور مثلما استخدم في ابنيتها الدينية. فهناك بيوت في صحنها ايوانان مثل بيت معنو بالحضر. وابنية أخرى تحتوي على اربعة اواوين كما في آشور.

وكشفت التنقيبات في الحضر عن بيوت متجاورة، منها ثلاثة مساكن متشابهة من حيث التخطيط تقع جوار المعبد الحادي عشر يدخل الى كل واحد منها عبر مجاز طويل[٣١].

الشوارع والساحات:

تلقي الدلائل الاثرية ومنها اعمال المسح والتنقيب الضوء في ان الطرقات تفصل الوحدات





السكنية بعضها عن بعض. وهي ضيقة كانت بعضها مرصوفة بالحجارة او الحصى كما في اربجية. وهي أولى الامثلة التي تبين اهتمام سكان القرى ومنها اربجية برصف طرقاتهم بتلك المادة التي تسهل حركة النقل وتخلص تراكم الاوحال فيها. اما سعة الشوارع وطولها في المدينة الواحدة فيتوقف على سعة مساحة المدينة وكثافة سكانها، ومدى اهتمام ادارة المدينة بتقديم الخدمات لحماية هذه الشوارع من التجاوزات وادامة نظافتها.

ولدينا أمثلة على الشوارع والطرقات التي كشفتها الحفائر الاثرية ومنها تبه كورا التي تربط قلب المدينة بسورها الخارجي، وشوارع مستقيمة واخرى فيها الانحناءات، تماشى مع التخطيط الدائري لهذه المدينة [٣٢].

وترينا المسوحات الموقعية لمدينة تل طاية الواسعة المساحة والمنسوبة الى عصر فجر السلالات او العصر الاكدي كما اشرنا الى ذلك من قبل ان شوارعها طولية ومستقيمة وعريضة ايضا اذا ماقورنت بشوارع تبه كورا موزعة على ارجاء الموقع [٣٣]. وبذلك تعطي هذه المدينة الصورة التي كانت فيها المدينة في تلك العصور. ولكون الحفريات في هذا الموقع كانت محدودة فلا يعرف ما اذا كانت في هذه الشوارع اسواق ودكاكين يمارس السكان فيها نشاطاتهم الاقتصادية كما هي عليه المدن في الوقت الحاضر ام لا.

وفي مدينة آشور التي جرت فيها تنقيبات واسعة شوارع غير مستقيمة فيها انحناءات تمتد باتجاهين متعاكسين. وأخرى مستقيمة تشبه من حيث التخطيط الشوارع المألوفة في القطاعات السكنية في مدينة أور، حيث يلتقي في نقطة من شارع رئيسي عدد من فروع الشوارع وطرقات أخرى لاتختلف كثيراً عما نلاحظه في معظم مدن العراق القديم. لكن الشوارع في مدينة آشور تختلف عن شوارع مدينة بابل أو تل حرمل (شادوبوم) المستقيمة التي تقسم المدينة الى قطاعات سكنية مستطيلة.

وتكاد تنفرد مدينة دور شروكين بشوارعها المستقيمة المتقاطعة بعضها مع بعض مكونة مايشبه رقعة الشطرنج [٣٤]. اذ اصبح هذا التخطيط مثالاً يسبق تخطيط المدن الاغريقية بعدة قرون.

ويمكن للقارئ استنتاج مايحمله الملوك الآشوريون من اهمية الشوارع ليس في وظيفتها في اداء الحركة وانما في الناحية الجمالية ايضاً. اذ يذكر الملك سنحاريب في احدى مدوناته انه شق شوارع واسعة في مدينته نينوى في المنطقة مابين سورها الخارجي والقسم الاوسط منها. اذ انها كانت مستقيمة أو فيها انحناء لكنها كانت مشجرة. وقد ربط هذا الملك نينوى بطرق مع المدن الأخرى. كما وسع هذا الملك الساحات في نينوى واضاف الطرقات والشوارع التي جعلها مضيئة كالنهار [٣٥]. وعلى الرغم من عدم معرفتنا طريقة الاضاءة هذه الا انها تعكس لنا مدى اهتمام الاشوريين بهذا الجانب. ويمكن تصور هذه الاهمية في ان المدينة نينوى التي اصبح محيطها يزيد على الثمانية أميال كانت شوارعها مشجرة ومضاءة وكانت فيها القنوات والارصفة لتأتي الزوارق والاكلاك بالصخور والاشجار حينما يرتفع منسوب ماء نهر دجلة [٣٦].

وعلى الرغم من ان الشوارع في مدينة سلوقيا (تل عمر) كانت مخططة وفق النظام المعروف بالشبكية الذي تبنته مدن العالم الهلنستي في الفترة التي سبقت ازدهار مدينة الحضر فان تخطيط الشوارع فيها لايمت بصلة لهذا النظام. وهذا يعني ان التقاليد الهلنستية التي طبقها الاغريق في البيئات الجديدة ومنها العراق لم تعد مؤثرة كما يبدو. بل ان تخطيط الحضر ونظام شوارعها منسل عن التقاليد الفنية في المدن القديمة في المنطقة.

وتفيدنا الصور الجوية لهذه المدينة في ان المساحة





السكنية فيها تزيد عن المائتي هكتار وهي مقسمة الى احياء سكنية بواسطة الشوارع والطرقات، تنصب معظمها في شوارع رئيسية تربط بوابات سور المدينة بالمعبد الكبير الكائن في القسم الاوسط منها. ويلاحظ في الصور الجوية للمدينة ان الشوارع الفرعية تلتقي مع الشوراع الرئيسية في نقاط تشكل زاوية قائمة في معظم القطاعات السكنية. الا ان التفاصيل المطلوبة عن هذه الشوارع مثل اطوالها وتباليطها أو ارضياتها ونوع الابنية المطلة عليها لاسيا الرئيسية منها منوطة بما ستكشفه الحفائر الاثرية فيها. ولايعرف ان كانت الشوارع الرئيسية في مدينة الحضر تحمل اسماء مثلما كانت الشوارع في ي تحمل اسماء البوابات نفسها(٣٧).

وبالاضافة الى الشوارع في الحضر فان في المدينة مساحات واسعة ليس فيها من دلائل اثرية تشير الى وجود مساكن لاسيا المناطق المنخفضة التي تتجمع فيها مياه الامطار. الا ان هناك مساحات في الاحياء السكنية وحول المعبد الكبير ربما خصصت لاغراض التوسع.

**الحدائق:**

مازالت المعلومات في هذا الجانب تعتمد على المدونات المسارية. وتكاد تنفرد النصوص الملكية بوصف حدائق مدينة نينوى بشكل خاص في سياق حديثها عن تعميرات الملوك الاشوريين فيها، ومنها نصوص سنحاريب الذي يذكر ان مدينة نينوى كانت قبل ان يتولى العرش قاحلة جرداء كالقير. اذ لم يكن لاهلها ماء يروون به زروعهم، بل كانوا يرفعون انظارهم نحو السماء لاستمطارها. ويشير هذا الملك ايضا انه زرع حدائق ورياض فيها جمع الاشجار المثمرة سواء تلك التي تنبت في الجبال وفي السهول. وأوصل الماء اليها والى الحقول. فأصبحت الكروم والسرو والاعشاب كما يذكر تزهو في تلك الحدائق اكثر مما كانت في مواطنها الاصلية. وأثمرت الاشجار وجنوا الشجيرات التي تحمل الصوف (القطن) وغزلوه وحاكوا ملابسهم(٣٨).

وتحدثنا النصوص المسارية عن اعمال الملك اشور ناصر بال الثاني الخاصة بحفر قناة أوصلها من الزاب الاعلى الى عاصمته كلخو (نمرود) لتسقي الاشجار المثمرة التي غرست وانواع الاخشاب التي استخدمها في البناء(٣٩).

وقد الحقت بحدائق المدن على مايرجح ومنها نينوى بحيرات وحدائق للحيوانات، فيذكر الملك سنحاريب انه اطلق في تلك الحدائق طيوراً وخنازير وأيايل .

ولايعرف ما اذا كانت المدن البعيدة عن مصادر المياه الجارية فيها حدائق مثل التي تحدثت عنها النصوص المسارية، الا ان اهتمام الملوك الاشوريين بايصال المياه من مصادرها البعيدة الى المدن عبر القنوات يقرب احتمال وجود حدائق في تلك المدن، غرسوا فيها الاشجار والازهار. وبذلك تعطينا المدونات آنفة الذكر صورة عن شوارع المدينة المشجرة والاراضي المخصصة للحدائق وهي صورة لاتختلف عن المدن الواسعة في الوقت الحاضر إذ تحتل الحدائق مكاناً خاصاً بها يجمع مابين الناحية الجمالية والترفيهية لسكانها.

اما الامثلة الاخرى لمدن في منطقة الموصل كانت فيها حدائق فان الدلائل الاثرية مازالت نادرة. فلا يعرف ان كانت هناك حدائق في الحضر الا ان اقتصار مصادر المياه فيها على الابار يبعد احتمال وجودها.

**المدافن:**

مازال الرأي الارجح ان المقبرة الجماعية في القسم الشمالي من العراق لم تظهر الا في فترة العبيد. اذ ان اكتشاف مقبرة جماعية في أربجية تعود لتلك





،فترة يؤكد ان في المدينة مساحة مخصصة لدفن الموتى من الكبار. الا ان العثور على عدد كبير من هياكل عظيمة لاطفال رضع مدفونين تحت ارضيات غرف البيوت كما في تل الصوان وتبه كورا ويارم تبه وحسونة.... ربما تكون لها علاقة بالمعتقدات الدينية التي كانت سائدة آنذاك[٤٠].

ولايعرف على وجه التأكيد ان كانت في المدينة في العصور التاريخية مقابر موزعة على الاحياء السكنية في المدينة مثلما كانت عليه الموصل قبل سنوات، أو كانت تشغل مناطق معينة من المدينة، الا ان الوقوف على تفاصيل ذلك مرتبط بما ستكشفه الحفائر الاثرية في المستقبل. الا ان المصطلح السومري الذي اطلق للدلالة على المقبرة كان Ki Ki mah وتعني المرتفع في المدينة الذي اتخذ مكاناً لدفن الموتى مثلما يدفن السكان في قطرنا موتاهم في التلول تحسباً من فيضانات الانهر التي تغطي الاراضي الواسعة وكذلك تخلصاً من المياه الجوفية.

وكانت للقبور او المدافن طرز مختلفة في اسلوب بناءها. فمنها المدافن البسيطة التي هي اما حفرة او تابوت من الفخار او بناء بسيط او غرف من الطابوق شيدت تحت الارض كالتي كشفت عنها الحفائر الاثرية في مدينة أور السومرية او في المدن الاشورية. وهي بشكل عام غرف مستطيلة مقباة لها مدخل يتقدمه مجاز، ينزل اليه بدرجات، رصفت ارضياتها غالباً بالطابوق او بقطع مهندمة من حجر الحلان، وفي احد الجدران كوة او مشكاة. واستخدم الطين او الجص او الزفت مادة رابطة. كما طليت سقوف القبو أو الاقسام الداخلية منها بطبقة من القير من اجل سد كل المنافذ المحتملة ومنعاً للرطوبة. وقد كشفت الحفائر الاثرية عن عدد من هذه المدافن في المدن الاشورية ومنها آشور وكلخو التي منها مدافن ملكية تقع تحت بنايات القصور الاشورية[٤١].

وليس هناك من بين مدن منطقة الموصل مدينة يمكن تحديد المدافن فيها باستثناء الحضر التي كانت اكثر المدن تنظيماً. فتقع اغلب مدافنها البرجية المشيدة بالحجارة المهندمة والجص في القسم الشرقي من المدينة، وقليل منها في الجهات الاخرى من المدينة. وأوضحت المسوحات التي اجراها فالتر أندريه للمباني الشاخصة في الحضر ومن بينها المدافن وكذلك التنقيبات التي اجرتها دائرة الاثار والتراث في عدد منها في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ مخططات عدد من هذه المدافن والغالب انها بنايات مربعة ذات سقوف مقباة شيدت بحجارة الحلان والجص، ويحتوي المدفن الواحد على غرفة واحدة او عدد من الغرف وكان بعضها مؤلفاً من طابقين استخدمت جميعها للدفن. وتشير الكتابات المكتشفة فيها ان من بين هذه المدافن ماشيدته القبائل المتحالفة المستقرة في الحضر.

اما اسلوب دفن الموتى فإن العظام البشرية المبعثرة والهياكل المكدسة على ارضيات الغرف في هذه المدافن لاتعطي فكرة عن طريق الدفن، الا ان العثور على توابيت من الفخار وأخرى من الحجر تشير الى انها استخدمت للدفن[٤٢].

ومما تجدر ملاحظته ان المنطقة التي شيدت فيها المدافن في الحضر تكثر فيها الابار التي مازالت المياه في عدد منها اذ لم يكن واحد من هذه المدافن الا وبالقرب منه بئر. وربما يتعلق وجودها هذه الآبار بطقوس معينة.

وبجانب المدافن البرجية هناك مدافن أخرى بنيت تحت ارضيات الأواوين الممتدة مع اضلاع فناء المعبد الكبير، كشفت التنقيبات عن عدد منها. ويرجح ان الدفن في هذه المنطقة من المعبد له ارتباط بقدسية ذلك المكان.

**تجهيز المياه وتصريفها :**

لدينا من المعلومات عن اعمال الارواء التي قام بها عدد من الملوك الاشوريين مايكفي لالقاء الضوء

على الأهمية الكبيرة التي اولاها هؤلاء الملوك في ايصال المياه العذبة الى المدن سواء الواقعة منها على اكتاف الانهر أم البعيدة عن مصادر المياه الجارية، وكذلك كان الاهتمام بأن تكون للمدينة الواحدة اكثرمن مصدرواحد للمياه. وهذا ماتحدث عنه عدد من هؤلاء الملوك ومنهم الملك سنحاريب الذي جعل المياه تنساب من الخوصر الى مدينة نينوى. وهي على مايرويه سنحاريب اكثر عذوبة وأغزر من مياه دجلة التي تقع نينوى على شاطئه الايمن(٤٣). لكن من المؤسف له ان المعلومات عن ايصال المياه على القطاعات السكنية في المدينة أو الطريقة التي تزود البيوت بالمياه مازالت غامضة. الا ان العثور على انابيب من الفخار كانت مدفونة تحت مستوى الارض، تتصل بعضها ببعض لتصل الى خارج المدينة لتصب بالمياه الثقيلة في الانهار او الوديان مايكفي لالقاء الضوء في ان البيوت كانت مزودة بالمياه العذبة، لايعرف ان كانت من خزانات تقع في جهات معينة من المدينة أو ان المياه كانت تنقل الى البيوت بواسطة الجرار الفخارية أو بالقرب اما على ظهور الحيوانات او ينقلها أفراد الاسرة(٤٤).

وكانت الآبار في المدن ومنها مدينة كلخو تعد مصدراً مهماً يتزود السكان منها المياه لاسيما في الاوقات التي يفرض الحصار على المدينة أو في السنوات التي ينخفض فيها مستوى مياه نهر دجلة. اذ كان الماء يسحب من البئر بواسطة بكرة خشبية يلف حولها حبل، يعلق بطرف منه رقبة الآناء الفخاري او مقبضه. وكان سكان مدينة الحضر يعتمدون على مياه الابار في حرم المعبد الكبير. وقد كشفت مؤخراً سواقي حجرية تتصل بتلك الابار وتمتد الى مسافات ليست بقريبة عن مصادر المياه. واظهرت التحريات الاثرية في آبار حرم المعبد الكبير عدداً كبيراً من الجرار والاباريق الفخارية المختلفة الحجوم ذات المقبض او المقبضين استقرت بقاع تلك الآبار بعد ان انقطعت الحبال التي كانت تعلق بها. وكانت القرب المعمولة من جلود الحيوانات احدى وسائل نقل المياه وحفظها. وتشير احدى كتابات الحضر الى ان سرقة واحدة من قرب الماء العائدة لمعبد برمرين كانت عقوبتها الرجم(٤٥).

ويمكن للباحث ان يستنتج أن منطقة الموصل شهدت تطوراً في مرافق الحياة في العصور المختلفة، كان الرقي العمراني من بين ابرزها، اذ كانت على ارضها التجارب الأولى للتمدن، حتى أصبح حسن التخطيط والبناء ميزة لها، روعيت فيه شروط الدفاع عن المدينة وذلك باحاطتها بسور وبقلاع مكينة، كما روعيت في التخطيط ايضاً شروط الصحة والجمال. فكان فيها قصر الحاكم ومعابد الآلهة، وفيها الساحات والحدائق، وفيها الشوراع لتسهيل الحركة. وكان تزويد المدينة بالمياه من بين المشكلات الحيوية التي وضعت لها الحلول.

## الهوامش:

١. وضع روبرت آدمز جداول تبين فيه ان حجم المدينة الكبير يزيد على العشرة هكتارات والمدينة الصغيرة التي تتراوح مساحتها من ٤ - ١٠ هكتارات انظر اطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سهل ديالى، ترجمة صالح احمد العلي وعلي محمد المياح وعامر سليمان، بغداد ١٩٨٤ ص ١٣٣. ومن جانب آخر ان هيئة الامم المتحدة جعلت المدينة اذا مازاد عدد سكانها عن الفي نسمة (انظر توفيق احمد حسن، تخطيط المدن، المؤتمر الهندسي الثامن، الاسكندرية ١٩٦٢ ص ١٨).

٢. Lloyd, s. "Some Ancient Sites in the Jebel Singiar District" Iraq, 5, 1938.
وانظر ايضاً Reade, J. "Tell Taya 1972 – 73, Iraq

٣. Whitehouse, R. "The First Cities", Oxford, 1977, p. 29, 152.

٤. منير يوسف طه، تماثيل سومرية من العتوق، سومر ٢٦، ١٩٧٠ ص ١٠١.

٥. المصدر السابق Lloyd, S.

٦. ليواوبنهايم، بلاد مابين النهرين، شيكاغو ١٩٦٥، ترجمة سعدي فيضي، بغداد ١٩٨٥ ص ٣٦.

٧. المصدر السابق ص ٣٦.

٨. فالتر اندريه، استحطامات آشور، ترجمة عبد الرزاق كامل الحسن، الموصل ١٩٨٧ ص ٣٠.





٩. Ibrahim, J., "Pre– Islamic Settlement in Jazirah, Mousl, 1986, p. 137– 138.

١٠. تقي الدباغ، السلاح في عصور قبل التاريخ، موسوعة الجيش والسلاح، ج ١، بغداد ١٩٨٨ ص ٤٣– ٤٤.

١١. مؤيد سعيد، العمارة العسكرية في العراق القديم، موسوعة الجيش السلاح، ج ١ بغداد ١٩٨٨ ص ١٨٦.

١٢. استحطامات آشور، المصدر السابق.

١٣ انظر Hrouda, B. "Some Remarks on the Topography of the city of Ashur, Sumer 35, 1979, p. 279– 80 cavigneux, A. "Topography of Assur", Sumer, 35, 1979, p. 279.

١٤. سامي سعيد الاحمد، المدن الملكية والعسكرية، المدينة والحياة المدنية، ج ١، بغداد ١٩٨٨ ص ١٦١.

١٥. نائل حنون، كفاءة التقسيمات الادارية الآشورية في منطقة الموصل، من منشورات الندوة القطرية الرابعة التي اعدها مركز احياء التراث العربي ج ١ ١٩٨٨.

١٦. سامي سعيد الاحمد. المصدر السابق ص ١٦٥.

١٧. Ibrahim, J. "Pre – Islamic Sehlement, p. 120 – 22.

١٨. تذكر الكتابات المسمارية ان في مدينة اشور ٣٨ معبداً كشفت الحفائر الاثرية عن اربعة منها.

١٩. انطوان مورتكات، "الفن في العراق القديم" ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد ١٩٧٥ ص ٣٧٥.

وانظر ايضا

Luckenbill, "Ancient records of Assyria and Babylonia", Vol.I. Chicago, 1926, p. 171.

٢٠. Waterman, Royal Correspondences of Assyrian Empires, 486, R.H.

Pfeifior, State Latters of Assyria New york 1909, No. 118

٢١. الكار يساوي ستة امتار.

٢٢. Luckenbill, ARAB, Vol.2, pp. 151, 161, 180, 181, 186

٢٣. فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضر مدينة الشمس، بغداد ١٩٧٤ ص ١١.

Oates, J., "Prehistoric Settlement pattern in Mesopotamia,

المنشور في :

Man, Settlement and Urbainsm, London 1972, p. 300

٢٥. Oates, D. and J., "The Rise of Civilazation, Oxford 1976, p. 101.

نقلت هذه الكورة من موقعها واعيد بناؤها في مدخل المتحف الحضاري في الموصل.

٢٦. المصدر السابق Oates, p. 106

وانظر ايضاً : Hijara, and others, "Arpachiyah 1976", Iraq, vol . 42, 1980 p. 134.

٢٧. Lampl, p. "Cities and planning in the ancient Near East, London, p. 16.

٢٨. Whitehouse, R. "The First Cities", Hampshire, 1977, p. 126.

٢٩. عامر سليمان، الحياة الاجتماعية في المدن العراقية في الأزمنة التاريخية القديمة!! المنشور في موسوعة "المدينة والحياة المدنية" ج ١، بغداد ١٩٨٨ ص ٢٠٤– ٢٠٦.

٣٠. المصدر نفسه ص ٢٠٧.

٣١. فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضر مدينة الشمس، بغداد ١٩٧٤ ص ٣٥٠ و ٣٦٦.

٣٢. المصدر السابق، Lampl, p. pl. 25. 26

٣٣. Reade, J. "Tell Taya 1972– 1973 Summery Report Iraq, 35, 1973.

٣٤. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد ١٩٨٦ ص ٥١٦.

٣٥. Luckenbill, 2, p. 163

٣٦. Luckenbill 2, p. 166.

وانظر ايضاً، لويد، اثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الاحمد، بغداد ١٩٨٠ ص ٢١٥.

٣٧. عامر سليمان، «الحياة الاجتماعية في المدن العراقية في الازمنة التاريخية القديمة، المصدر السابق ص ٢٢٨.

٣٨. Luckenbill, Vol. 2, pp. 62, 171, 172, 177, 367– 368.

٣٩. Luckenbill, Vol. 2, p. 172

٤٠. فوزي رشيد، وئد البنات ونظام تعدد الازواج في عصور ماقبل التاريخ، سومر، ٣٦، ١٩٨٠ ص ٥٣– ٦٢.

٤١. جابر خليل ابراهيم وعبد الله أمين أغا، مدفن حميدات، مجلة سومر ٣٩، ١٩٨٣ ص ١٥٨– ١٦٣ وعن مدافن اشور أنظر مقالة السيد عبد محمد جروي في مجلة سومر ١٩٧٩ ص ٤٩.

٤٢. واثق الصالحي، الحضر تنقيبات في مجموعة من المقابر سنة ١٩٧٠– ١٩٧١، سومر ٢٨، ١٩٧٢.

٤٣. Jacobson, Th., Lloyd, s., "Sennacheribs Aqueduct at Jerwan, Chicago 1935, p. 36– 7.

وانظر ايضاً فؤاد سفر، اعمال سنحاريب الاروائية، سومر ٣، ٩٤٧ ص ٩٣.

٤٤. عامر سليمان، المصدر السابق ص ٢٢٩.

٤٥. فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، المصدر السابق الكتابة [٢٨١] ص ٤١٥.






# الفُنُونُ التَّشكِيلِيَّة

## الزخرفة - الخط والرسم

أ.د. وليد الجادر

يعد النشاط الفني جزءاً لايتجزأ من النشاط الذي يقوم به الانسان من اجل فهم اعمق للواقع وتطويره ، ولأن الفن كان وما يزال جزءا لايتجزأ من تاريخ الانسان وثقافته وتراثه . ولقد ثبت ان دراسة فن شعب من الشعوب انما تؤدي وتساهم في تكوين فكرة واضحة عن مستواه الحضاري ومدى ماوصل اليه من خبرات وتجارب في شتى جوانب حياته ، كذلك تكون الاحاطة بالنشاطات الفنية اساسا لعملية تقييم للنشاط الحضاري ووسيلة الى معرفة العديد من الحقائق .

وهكذا نلاحظ اتصال الفن بالتاريخ الخاص لشعب ما وبالتاريخ العام ، وجوانب هذا الفن بفروعه المختلفة نجدها يرتبط بعضها ببعض كما ترتبط بمفهوم العصر او الزمان ، وقد يسيطر وينمو جانب من جوانب الفن لفترة معينة ولكن لا يمكن ان يوجد فن واحد بعيدا جداً عن جوانب الفن الاخرى ، وهكذا تتصل الفنون كلها بروح الثقافة وبشكل اعم بروح الحضارة العامة للفترة او العصر ، او الفترة الزمانية المحددة والمحصورة للدراسة والتحليل .

وتتبع جذور الفن والثقافة يستلزم ، كما سبق ذكره ، ملاحظة عنصري الزمان والمكان . وهكذا يجب تقويم النتاجات الخاصة بحقول الفن مثلا من خلال الحوادث المحيطة بها ، والظاهرة الفنية او الثقافية في الماضي ليست امرا مطلقا دائما ، وانما لكل حقبة اهميتها النسبية من حيث العصر الذي وجدت فيه ومن حيث انعكاسها على جذور الحياة المعاصرة ولم يعد تقويم التاريخ على انه تراكمات للحوادث السياسية اوتقويماً تقليديا من تاريخ قديم ومتوسط وحديث ، بل اصبح لزاما على المؤرخ الملتزم بالمنهج العلمي ان يكون ملما بنسبة كافية بعمليات التطور الفكري للانسان من حيث ارتباط ذلك بالكون والثقافة وما يخص علم الانسان .

وهكذا امكن اليوم ربط التيارات الفكرية والثقافية والفنية القديمة بمشابهاتها المعاصرة او الحديثة مع ملاحظة عنصري الزمان والمكان كذلك ، وتعد الزخارف المزينة للاواني الفخارية في شمال العراق بشكل خاص المجال الرئيسي لاساليب التعبير الفني والفكري ومنه الاحاسيس الروحية والاجتماعية .

هذا فضلاً عن معرفة بعض الرسوم الجدارية من فترات قريبة ايضا في نهايات الالف السابع قبل الميلاد مثل تلك المكتشفة في مستوطنة ام الدباغية الواقعة قريبا من موقع الحضر المعروف في الجزيرة جنوب غرب الموصل بحوالي ٢٦ كيلومتر.

ويمكن دراسة وفهم انعكاس احاسيس الافراد والجماعات وفهم تفاصيل مهمة خاصة بتاريخ الفن من خلال دراسة هذه الزخارف وتحليلاتها ودراسة اساليب صناعتها والكيمياء الخاصة باصول الالوان وتثبيتها . وكانت مثل هذه الدراسات في مناطق اخرى من الوثائق الرئيسية الخاصة بدراسة تاريخ الفن الخاص بمرحلة من مراحلها الحضارية ومنها





ذلك الخاص بالشعب اليوناني خلال قرون عديدة.

فمن الثابت اولا ان اهتداء الانسان الى هذه الصناعة كان بعد انتقال سكان الكهوف في شمال العراق وبعد تحسن المناخ نسبيا الى مستوطنات قروية.

وكان من نتائج الاستيطان الجديد تجربة الانسان المتواصلة في سبيل تعامله مع الطبيعة وتوفير مستلزماته الضرورية واهمها الطعام. وفي هذه المستوطنات الزراعية تعلم الانسان بالتدريج كيفية عمل الاواني الفخارية بعد تعلمه قبلها بقليل صناعة الاواني الحجرية، وكان الدافع لعمل اوانيه الفخارية البدائية جدا في اول امرها نفعية بالدرجة الرئيسية: طبخ الطعام وحفظ الماء وخزن الحبوب ونقل المواد. وطبيعي ان مسألة اهتدائه الى صناعة الاواني الفخارية غير معقدة كما يتصور البعض الا انه سبق، وكما اسلفنا، ان عرف نحت الحجر وجعله بهيئة مقعرة بصورة تمكنه منها ومن نقل وحفظ مايريده من حاجيات، ولكن الفخار اخف وزنا واسهل عملا واكثر نفعا وليونة ومواد صناعته الاولية متوفرة في محيطه فهو يعرف النار ويعرف الطين، وهنا بالذات تأتي مرحلة اهتدائه الى هذه الصناعة ام انه كان بوعي كامل.... ودافع الوعي هو الارجح في اهتداء الانسان لصناعة الفخار واتخاذنا لهذا الرأي متأت من المستوى الحضاري المتطور الذي بلغه سكان جرمو في حدود فترة الالف السابع قبل الميلاد تقريبا ليس فقط قياسا على ماانتجوا من مجموعة من الادوات المستخدمة في الزراعة وانما على مستواهم الفكري الظاهر والواضح من خلال الدمى الطينية والحلي التزيينية وغيرها التي تنم عن تحسس وشعور متطور بالحياة وتأمل بالطبيعة وتعامل ذي نسبة جيدة مع البيئة ثم ان مثل هذه العملية تستلزم قدرا كبيرا من التفكير والاستعداد اليدوي الذي يتطلب تجربة سابقة ودقة ملاحظة.

يعد موقع حسونة هو التجمع السكني النموذجي ذو الطابع الزراعي الذي يعقب فترة الابداع الحضاري والصناعي الاصيل في جرمو، والتسمية حسونة نسبة الى قرية تحمل نفس الاسم اليوم وتقع الى الجنوب من مدينة الموصل بمسافة حوالي ٣٥ كيلو متر. ونفس معالم صناعة الفخار في حسونة وحقول حضارتها الزراعية ومنها الفنون انتشرت في مواقع اخرى في شمال العراق مثل مطارة (تل قرة يطغ) الواقع الى الجنوب من كركوك وموقع نينوى القديمة وشهر- بازار في حوض الخابور في خارج حدود العراق تتشابه مع صناعة وحضارة موقع مرسن في تركيا واموك في سوريا.

اننا نستوضح من بقايا فنون صناعة الفخار لعشرة اجيال في حسونة ان للسكان علاقة وثيقة بالزراعة والحيوانات وما يحيط بمثل هذا الجو من مكملات مناخية وظروف طبيعية الزمت ان ينمو فكر وشعور الانسان باتجاه هذا الجو، وهكذا نلاحظ ان مميزات هذه الصناعة متنوعة تجمع بين الطابع النفعي والجمالي فنجد مثلاً قطعاً من الفخار المختلف الحجم الكروي الشكل في الغالب والكبير الحجم والمستخدم للخزن ولحفظ السوائل والمواد الغذائية والمستخدم لسحق الحبوب واستخراج الزيت منه المستخدم وهو على شكل اسطواني طويل مدبب القاعدة لدفن الاطفال خاصة.

اما المميزات الفنية ومستوى الصناعة فانه اولا يشكل مرحلة استمرار متطور جدا لنفس الصناعة من جرمو لازال سميك الجدران نسبيا ومقدار المواد غير الطينية كثيرة على الرغم من كبر حجم الاواني يصنع وباليد. كذلك وجد مايدل على ممارسة تلميع السطوح الخارجية بواسطة الحك بقطعة حجر وهو النوع الذي يوصف بالفخار المدلوك.

عرف فخار عصر حسونة بتزيينات متنوعة: كان منه الملون بلون واحد في الغالب ارجواني مترب ومنه المحزز ومنه المحزز والملون معا. ومنه ذو الرسوم





المتكون من وحدات زخرفية قوامها اشكال اغصان نباتية وسنابل بحركات متنوعة واشكال خطوط وحلزونات محورة والتحوير في بعض هذه الوحدات المستلهمة من العالم الزراعي اصبحت اقرب احيانا الى التجريد. واغرب اشكال الزخارف الهندسية واهمها تلك على شكل المثلث. ان اهمية هذا الشكل لاتكون فقط في تزيينه على قطع الفخار ليس في هذه الفترة فحسب بل في معظم فترات حضارة العراق التالية بل يكمن في كونه رمزا اقرب الى شكل التجريد اريد به على اغلب الظن في

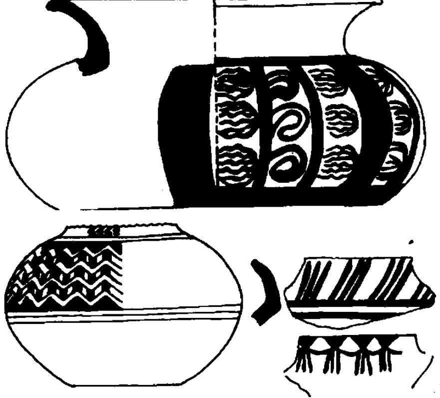
ان الرمز في فن التزيين المنتشر في صناعة الفخار في هذه الفترة[١] ماهو في الواقع الا تحوير يأخذ طابع الشدة واحيانا طابع التسلسل الواضح،ويبدو ذلك جليا في تحوير النباتات وتشابك السنابل والاغصان وفي نظرة الفنان لهذه العناصر وهي في حالة حركة ومن ثم تحويرها لتأخذ اشكال هندسية منتظمة

لقد لازمت الاشكال الطبيعية الاشكال الهندسية على القطع الفخارية ليس فقط في هذه الفترة فترة حسونة وانما في الفترات اللاحقة وهي سامراء وحلف[٢]. فالاسلوب الطبيعي في رسم



جزء من جرة فخارية مزخرفة بوجه انسان تظهر عليه علامات الوسم

العناصر الحيوانية والنباتية وحتى البشرية على القطع الفخارية ظل ظاهرا الى جانب الاشكال الهندسية الصرفة التي لا تعد دائما اشكالا محورة عن الاشكال الطبيعية حيث نجد التحوير واضحا بتدريج ظاهر في فخاريات الموقعين والمواقع الاخرى من نفس الفترة،وهذا التحوير ظل ملازما للتطور الحضاري المنتظم وتفسيره يكون خلال التطور الفني التقني والتطور الفكري النابع مع تعامل اعمق



نماذج من الاواني الفخارية المزخرفة والملونة

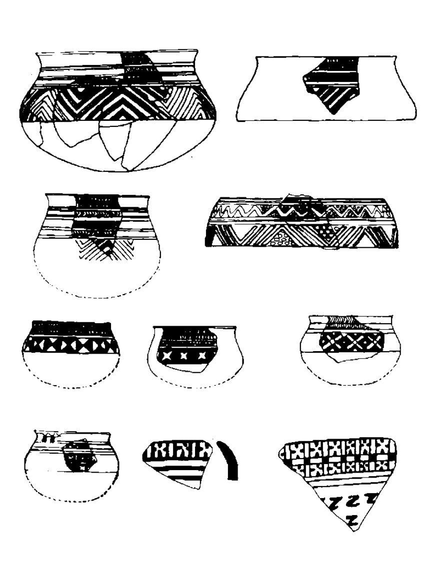
مع الطبيعة وملاحظة الحركة على الارض. واذ ان هذه الاساليب تتوضح بصورة اكثر حين ندقق بامعان علمي في المنحوتات الطينية من عصر حلف بالذات.

ولا نعجب من نمو هذا الاسلوب الاخير وهو اسلوب التحوير خاصة انه كان اللغة الوحيدة في التدوين بالنسبة لهذه الفترة التي شارف التطور الحضاري على بدايات معرفة اللغة والتدوين في القسم الجنوبي من العراق في الفترة الحضارية اللاحقة تماما لفترة حضارة حلف في القسم الشمالي الغربي من وادي الرافدين. فما هي اشكال الفخار المصنوع في عصر سامراء وتل حلف؟ وما هي دوافع واسرار رسوماتها ووحداتها الزخرفية؟ ان الاخيرة لم تكن بالطبع بدافع التزيين فقط وانما كان لها كما اسلفنا لغة خاصة تتوضح تدريجيا بشكل ينسجم





مع فهم اكثر لطبيعة السكان الحضارية والمناخية والعلاقات الاجتماعية والفكرية .



كسر فخارية لاواني مزخرفة وملونة •

إن فخار سامراء يتميز اولا بانه ذو طينة خضراء باهتة بعد الشيء اضافة الى توافر مجموعات اخرى من الوان مختلفة تنتج من درجة الشي ومن نوعية الطينية التي وجد انها اكثر رقة من فخار حسونة . وتؤثر درجة الحرارة ايضا في صلابة الاواني الفخارية فشدة الحرق تجعلها صعبة الكسر وتعتمد كذلك درجة الصلابة على نعومة العجينة ولزوجها،فكلما زاد لزجها وتخميرها تماسكت دقائقها واصبحت كثيرة الصلابة . اما اشكال هذه الفخاريات فهي في الغالب اطباق وقوارير وقناني وجرار جرصية الشكل تجلس على قواعد ثلاثة وتمتاز بكرويتها في اجزائها السفلية وتمتاز اضافة الى ذلك بانها مزينة بعروات (قبضات) . ومن اشكالها كذلك صحون مزودة بقواعد اسطوانية مجوفة .

اما تفاصيل الرسوم والوحدات الزخرفية المزينة لفخار سامراء فيجب ان تعرف علاقاتها الواضحة باكثر من مكان واحد ، فالوحدات الزخرفية في سامراء ليست غريبة ابدا عن مثيلات العديد منها والمزينة لفخاريات حسونة، وكذلك لفخاريات مواقع اخرى تقع الى الشرق ومنها ما لها علاقة ببداية الفن في حلف وهي الحضارة التي تعقب حضارة سامراء . ان رسوم وزخارف سامراء هي ايضا مجموعة من رسومات اشخاص منها على اشكال نساء يقمن برقصات ترتبط بالسحر وربما بمغزى ديني خاص باتمام طقس معين.

والى جانب ذلك وجدت مجموعات كبيرة من رسوم الحيوانات واشكال الطيور والاسماك . ووجدت اشكال حيوانية محورة تحويرا قويا ومنها اشكال الغزلان والعقارب ورؤوس الثيران . هذا اضافة الى اشكال نباتية محورة باشكال هندسية محببة .

ان اجمل ماوجد من اشكال الزخارف هو وجه الفتاة المرسوم باللون الاسود على الرقبة تميل الى الاخضر المصفر الباهت وتحديد معالم الوجه فيوحي . روية اصلية نابعة من اشكال شخصيات النساء



قطعة جميلة من الفخار المزجج من اشور

في الريف وتبدو واضحة معالم الوشم الظاهرة على الوجه وكذلك الوحدات الهندسية المزينة للقسم العلوي من الرقبة .

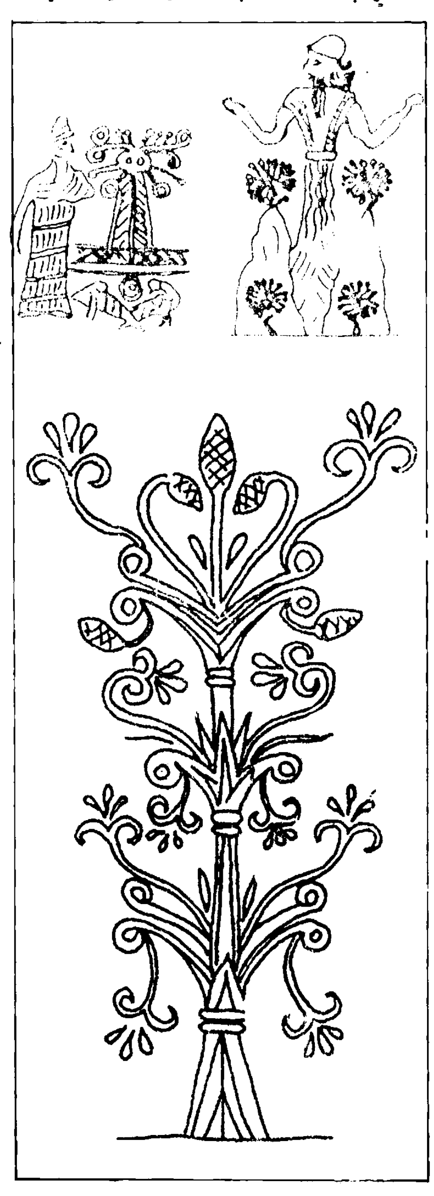
ولقد تميز الاشوريون في فنونهم المتعددة الجوانب بتطوير بالغ في اساليب استخدامهم للمواد الاولية وتنفيذ موضوعاتهم بمستويات تقنية متعددة. ولم يكن بامكان الشعوب المجاورة لهم بما فيهم البابليون الا ان يتأثروا بنسب عالية بتلك الفنون وخاصة تلك الوحدات الزخرفية الفنية بمفرداتها والمستوحاة من الطبيعة. كذلك كان اقتباس الاخمينيين والفرس للتراث الفني الاشوري والبابلي ضخماً جدا وكان تراث الأشوريين واضحا في اغلب ما انتجه هؤلاء من فنون.

وخلال فترة الالف الاول قبل الميلاد كان الاشوريون والبابليون من جهة والمصريون من الجهة الاخرى يمثلان ثقلين حضاريين في منطقتي الشرقين الاوسط والادنى القديمين وعلى الرغم من الانحسار الواضح لهذا المد الحضاري بفعل سيطرة مهاجرين في كل منها فانها ظلا يعدان مركزي الاشعاع الحضاري الرئيسي الثابت والمؤثر بابعاد ذات نسب متباينة على شعوب عديدة [٣].

''ان مؤرخي الفن يشبهون الفنون التي ازدهرت في وادي الرافدين في عصورها القديمة بشجرة متعددة الاغصان تنمو بحيوية وغزارة ولكنها بنفس الوقت ظلت صلبة قوية راسخة في منبتها'' [٤].

''ولم يكن بامكان الاخمينيين او غيرهم، من الذين تأثروا بحضارات وادي الرافدين رفض ماورثوه من عناصر حضارية متطورة خلفتها لهم حضارات سابقة عريقة مبنية على اسس راسخة كالحضارة الاشورية التي تعتبر المركز المباشر الاول، وتليها عناصر حضارية فنية اخرى جاءتهم من مناطق اورارتو (ارمينيا القديمة) الواقعة شمالهم ومن عيلام الواقعة جنوبهم والمتأثرة من قبل بحضارة السومريين والاكديين والبابليين'' [٥].

وكانت عناصر الزخرفة الاشورية غزيرة بمفرداتها ولمعظم هذه العناصر او الوحدات الزخرفية معان ورموز لها علاقة واضحة بالطبيعة وبالمجتمع واصبحت لها فيما بعد علاقات بالايمان والاساطير والاديان.



من عناصر الزخرفة الاشورية الشجرة باشكالها المختلفة

ان اكثر الموضوعات شيوعا كانت زخرفة الشجرة، وكانت في الاساس شجرة النخلة المستوحاة من الطبيعة العراقية القديمة والمألوفة في معظم مشاهد الفن التشكيلي السومري والبابلي واخذ بها الاشوريون ايضا.

وكانت بحالتها الطبيعية والمحورة من عناصر الزينة والزخرفة في النحت والرسم والتطريز على الملابس وحتى في العمارة على الطابوق المزجج الذي وجد مزينا لبعض بوابات العواصم الاشورية على قطع من الخزف او السيراميك الذي عثر عليه في تل الذهب واشور وكذلك كار توكلتي ننورتا.

وغير النخلة عناصر نباتية اخرى كوحدات زخرفية ورموزا منها شجر الرمان والسرو واشجار جبلية متنوعة اضافة الى ثمار الاشجار وازهارها وخاصة ثمر شجرة الرمان وازهار النباتات ومنها ازهار نبات البردى في مراحل التكوين والبرعم والانفتاح [٦] وكذلك الحال بالنسبة للعنب سواء في استخدام اوراقه كوحدات زخرفية او ثماره هذا اضافة الى وحدات هندسية محورة او طبيعية ومنها بشكل خاص زهرة (البابونك) او زهرة الربيع اللؤلؤية. والوحدة الزخرفية الاخيرة اصبحت وكأنها علامة او رمز قومي للاشوريين اخذوا بها في العمارة والنحت والرسم والتطريز على الانسجة والسجاد والحلي كالاساور الملكية وملابس الرأس [٧] ... اضافة الى استخدامها في الرسومات الجدارية [٨].

اما بالنسبة لفنون الخط والرسم واستخدام الالوان فنعرف ان المادة الرئيسية في البناء في وادي الرافدين كانت من الطين بكافة درجات صلابته، ولهذا فان الرسومات الجدارية داخل او خارج هذه الابنية وخلال عصور وادي الرافدين وحضارته لم يسلم من التحلل والاندثار السريع ماعدا بعض النماذج الجيدة التي سلمت من فعل عوامل التعرية بانواعها، ومن هذه النماذج الرسومات الجدارية في مدينة ماري (تل الحريري) ورسومات تل بارسيب (تل الاحيمر وهو من مواقع الاشوريين في الاجزاء الكائنة شمالي سوريا الان) ورسومات مدينة عكركوف (دور كوريكالزو غربي بغداد اليوم) ورسوم تل العقير ونوزى (يورغان تبه)



رسوم جدارية ملونة

وتكون هذه النماذج اضافة للرسوم التي تم العثور عليها في مدينة نمرود بشكل خاص موضوعا متكاملا يتوضح من شيوع استخدام الرسوم الجدارية واستخدام الالوان من قبل العراقيين بشكل عام وعند الاشوريين بشكل خاص. ومن المعروف ان يكون للطبيعة والمناخ دور واضح ايضا في ميل التجمع السكاني لاستخدام الالوان ومن ثم لتصبح مثل بعض الوحدات الزخرفية رموزا ودلالات، وهذا ماحدث فعلا بالنسبة للعديد من الالوان المستخدمة في العراق. والجدير بالملاحظة ان حب الاشوريين للالوان جعلهم يلونون حتى بعض اجزاء

المنحوتات البارزة حيث لاتزال تشاهد بوضوح بقايا الالوان على اوجه وشعر وحتى ملابس القدم المستخدمة من قبلهم على منحوتات تزين بعض قاعات قصر اشور ناصر بال الثاني في نمرود والتي تعود الى حوالي الثلاثة الاف عام من الان[٩] .

كذلك من خلال هذه النماذج المتبقية القليلة يمكن ان ندرس ايضا فن الخط والرسم المجرد وقد سبق ان ذكرنا بانه يمكن ان يدرس من بدايات الالف السابع قبل الميلاد حيث اوائل ممارسة العراقيين لذلك على السطوح الخارجية للفخار وخطوط التحزيز والخطوط الاولى على الفخار ايضا [١٠].



لوحة مزججة لفارس اشوري

وكان للالوان اسرار خاصة ونظام يبدو أنه كان على الانسان رعايته ويبدو ان كان للالوان المختلفة مفاهيم وتأثيرات نوعية نفسية واجتماعية. وماعدا ذلك فاستخدام الالوان وتأثيرها هو بمقدار ما يخلقه اللون من انسجام تشكيلي ومتعة وبهجة للناظر.

ولهذا فان الخط كان وما يزال اقل تأثيرا من الناحيتين النوعية والبصرية الشكلية الا ان التوازن بين سلامة الخط وانحناءاته وأجزاء الرسم يكون بدون شك متعة فكرية وجمالية اخرى.

ان دراسة اولية للمتبقي من الرسوم الجدارية التي كانت تزين العديد من غرف القصر الملكي في مدينة ماري والتي تعود بتاريخها الى حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد توضح تقنية عالية في استخدام هذه الالوان ومعرفة اصولها واساليب تثبيتها اضافة الى ذوق وحس فني عالٍ. فنجد اطارا من الزخارف يحيط بموضوعات المشاهد المرسومة وقوام زخارف الاطار عبارة عن حلزونيات نعرف استخدامها جيدا من قبل السومريين والبابليين والاشوريين وعلى نطاق واسع جدا، وقد عملت هذه الالواح على طبقة من الجبس ويصل ارتفاع الاشكال الملونة على الثلاثة امتار ابتداء من ارضية الغرف[١١]. لقد ضمت المشاهد هذه صورا للانسان والحيوان والنبات في تكوينات توضح حسن التوزيع وتكامل الصور بشكل منسجم ومقبول حتى اليوم. ولقد استخدموا الالوان وهي حسب تسلسل استخدامها : الاسود والابيض والاحمر البني الفاتح والغامق. فالألوان مستخدمة على شكل خطوط خارجية بالاسود على ارضية بيضاء مائلة قليلة للون التبني واستخدم اللون الاحمر- البني باطيافه لتلوين الجسم والوجه واجزاء من الملابس. وتمثل الرسوم المزينة للقاعة المرقمة (١٠٦) في قصر مدينة ماري اكثر المساحات الباقية ويكون الشكل المرسوم عبارة عن مشهد مركزي من حقلين مزين ومحدد من الخارج باطار من رسوم لاشجار وحيوانات ومعبودات. وتظهر بوضوح حتى الان تفاصيل الوجوه والاجزاء التفصيلية الدقيقة في هذه المشاهد. ويبدو من المشاهد ماهو مستوحى من الاصل الذي كان على





شكل منحوتات كاملة تمثل طقوسا دينية وتفاصيل توضح تتويج الملك وحضور للالهة عشتار(١٢).

وفي مدينة نمرود (كلخو)(١٣) وهي العاصمة التي اسسها الملك الاشوري شيلمنصر الاول ١٢٧٣ - ١٢٤٤ ق. م وجدد بناءها الملك اشور ناصر بال الثاني ٨٨٣ - ٨٥٩ ق. م ومن بعده شيلمنصر الثالث ٨٥٨ - ٨٤٠ ق. م كان قصر اشور ناصر بال الثاني في هذه المدينة يتميز ببقايا الرسوم الجدارية الملونة والتي تعد فريدة في موضوعاتها وكثرة الوانها المستخدمة في الموضوع الواحد(١٤).

ولقد تم حفظ القليل من المكتشف منها في الاجزاء التي تفصل بين اعلى المنحوتات البارزة المزينة لبعض قصره والسقف اما المكتشف من القطع الباقية فقد اعيد طمره لعدم امكانية الحفاظ على الوانها التي وجدت طرية وكأنها تبدو حديثة في رسمها وذلك الى حين امكانية ايجاد تقنيات عالية لحفظها من التلاشي والاندثار.

لقد زين الاشوريون جدران مدينة اخرى سميت باسم الملك توكلتي - ننورتا الاول (كاروتكلتي ننورتا) وذلك منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهي تلول العقر حالياً، وكانت النماذج التي تم الكشف عنها في هذه المدينة التي تقع قبالة العاصمة اشور وعلى الضفة الشرقية لنهر دجلة تعتبر من النماذج المتكاملة من حيث الزينة واستخدام الالوان والجمع بين العناصر الزخرفية المنفذة بالالوان على الجدران والتي تعد نموذجية في التعبير عن المدرسة الاشورية حيث المشهد الرئيسي في الوسط يحيط به اطارا من عناصر زخرفية مزدوجة وبين موضوعات الزينة ومنها الشجرة المقدسة المحورة وعلى جانبيها كيانان متقابلان او متدابران ثم أزهار البابونك وتشكيلة من الاشكال الهندسية(١٥). ومثل هذه الاجواء الزخرفية التي تميز هذه اللوحات وجدت ايضا في قصر الحاكم الاشوري في نوزى(١٦).

لقد استخدم الفنان هذه الالوان المألوفة عند الاشوريين وهي الاسود والابيض والاحمر والازرق على ارضية من الجص ومن مدينة اشور وجدت بقايا من الوان براقة فيها يبدو الاله اشور اله الاشوريين القومي وسط دائرة ملونة في تفاصيلها ومزدانة عند الاعلى بكتابة مسمارية(١٧).

ومن تل بارسيب (تل الاحيمر) ومن فترة القرن التاسع وحتى السابع قبل الميلاد زين الفنانون الاشوريون قصر الحاكم الاشوري في المدينة برسومات تعد غاية في الروعة والجمال وبنفس الوقت معبرة ايضا عن المدرسة الاشورية في الرسم القريب في خطوطه الخارجية وموضوعاته هنا من اسلوب النحت البارز.

لقد اجتهد الفنانون الاشوريون من اجل ان يكون هذا المكان لائقا بمقام الملوك الاشوريين حين اقامتهم وذهابهم وايابهم من الحروب الغربية منتصرين، وهكذا كانت نوعية وموضوعات الرسومات محتوية على كل ماله علاقة بمقام الملك الاشوري وتشابه الى حد كبير تلك الموضوعات المألوفة على المنحوتات البارزة والخطوط على الاختام والرسوم على الفخار وحتى على العاج والمعدن وعلى الطابوق المزجج من اشور ومن نينوى ونمرود وخرصباد.

ومن الملاحظ ان موضوعات الرسوم مرتبة على ارتفاع حوالي نصف متر عن الارض وهو الجزء المزفت من اجل جعله اطاراً مناسباً للوحة من الاسفل ولتلافي الرطوبة وكذلك لتكون بداية المشاهد بعده من مستوى مناسب للناظر والى ارتفاع يصل الى حوالي ثلاثة امتار ونصف المتر. وتزين هذه الرسوم القاعات الرئيسية، اما الممرات فانها مرسومة باشكال اسطورية مجنحة تقوم بمهمة حراسة





الممرات التي توصل القاعات والمداخل ،وهناك حقل اخر من الرسوم الزخرفية التي تعلو هذه الرسوم وتشابه هذه الصورة تعكس واقع حال القاعات الاشورية المزينة بالمنحوتات البارزة وفوقها الرسوم في المسافة المحصورة بين نهاية هذه المنحوتات والسقف وكانت الرسومات والزخارف بالالوان كما هو حال المكتشف في نمرود والذي سبق ذكره.

اما فترة تنفيذ مثل هذه الرسوم فالواقع من خلال الاختبارات التي اجريت عليها وهيئات الملوك انها من فترة القرن التاسع قبل الميلاد وان اضافات وتجديدات وصيانة[١٨] لحقت بها اضافة الى رسومات تبدو واضحة انها من فترة اشور بانيبال ايضا. وكان اكثر الالوان المستخدمة اللون الاسود ثم الاحمر الباهت وهو اللون المعروف بلون المغرة ثم يأتي اللون الازرق وباطياف متباينة[١٩].

وفي الحقيقة فان الفنان- الرسام الاشوري قد نجح الى حد كبير في توظيف الرسوم الجدارية في مدينة تل بارسيب (تل الاحيمر) لتكون مكملا لفن العمارة مثلما نجح النحات الاشوري في توظيف المنحوتات البارزة والمدورة في اكمال الصورة العمارية[٢٠] وكان الاسلوب القصصي المستخدم في مجريات الاحداث للمنحوتات شبيها بنفس الاسلوب المنفذ في الرسم ويخال المرء احيانا وكأنه امام نحات رسام متمكن وعلى درجة واضحة من المقدرة والحس الفني والتقني.

ولا عجب في ذلك فان مابلغته المدرسة الاشورية في وضوح اسلوبها ورصانة خطوطها وبراعة فنانيها ومقدرتهم جدير بتوفير انتاجات متكاملة.

وكان الآشوريون متمكنين من استخراج الالوان من اصول متنوعة ومن احجار اللازورد استخدمت خلاصات وصبغات لزينة جدران ابنية في العاصمة اشور في نهايات الالف الثاني قبل الميلاد[٢١]. وكانت مثل هذه الالوان تستخلص على شكل مساحيق يتم خلطها مع مواد ملينة وتستخدم مواد مثبتة لمثل هذه الالوان من اجل تثبيتها على الجدران والحال نفسه حين استخدم الالوان على الانسجة مثلا وكذلك تستخدم مادة الشب لذلك.

ولقد تفنن الاشوريون في استخلاص الالوان من اصول اخرى اضافة الى الاحجار ومن ذلك المعادن والنباتات ايضا، وينطبق ذلك على اللون الازرق مثلا حيث كان الاشوريون يستخلصونه ايضا من أملاح النحاس وكاربوناته القاعدية ذات اللون الازرق ويعرف التعبير المستخدم على مايبدو من قبل السومريين ايضا ب زاكين- كورا- را (ZA GIN KUR RA)[٢٢]. ومن خلال التفاصيل المدونة بالمسمارية تتوضح معرفة العراقيين والاشوريين والبابليين بشكل خاص لاساليب استخراج الصبغة الزرقاء لتنفذ في مجالات متنوعة وتذكر الكتابات نفسها اساليب تحضيره ونفهم من واحد من هذه النصوص مايأتي :

"اذا اردت تحضير صبغة بلون ازرق فاتح اسحق المقادير: ٥ كغم من حجر (الامناكو) و ٧ كغم ونصف من الرماد المستخدم في الغسيل... واخلط العناصر هذه وضعها في فرن ذي اربعة ثقوب (فتحات) واعمل نارا بدون دخان وعندما يصبح لون الخليط احمر- ابيض اخرجه واتركه ليبرد واسحق الخليط بعد ذلك وضعه على كمية من الملح وضع من جديد الخليط على نار ضعيفة وبدون دخان وعندما يصبح اللون احمر- برتقاليا اسكبه على الطابوق واسم المادة اصبح تزجيج بلون ازرق فاتح".

ان المصدر الرئيسي الذي يحصل منه الاشوريون على اللون الازرق كان من حجر اللازورد الذي يكثر في مناطق افغانستان وبالذات من المنطقة الجبلية المعروفة بداغشان[٢٣] وكانت هذه المناطق





وخلال العصور المتعاقبة في وادي الرافدين وصولا حتى اليوم الاصل في هذا النوع من الحجر الثمين.

كذلك اشتهر اللون الاحمر بأطيافه المتنوعة عند الآشوريون، ولقد اريد ان يكون رمزا لطرد الشر والارواح الشريرة والمرض. واللون الاحمر استخدم بكثرة مع اللون الازرق. وتزين به الآشوريون في ملابسهم وفي عمارتهم وميزوا من اطياف اللون الاحمر بلون الدم. وكذلك الطيف بلون التفاح[٢٤] والاحمر بلون المغرة.

ولقد تمكن الآشوريون من الحصول على اللون الاحمر من مصادره المعدنية والنباتية اضافة الى حصولهم عليه من مصادر حيوانية ايضا[٢٥].

ولقد تمكن الآشوريون ايضا من الحصول على خلطات متنوعة للون الاحمر باطيافه المتدرجة وتميز الخلطة المخصصة للتزجيج او في الرسم او الطلاء عن تلك المخصصة لصبغ الملابس. وتميزت العجينة الحمراء التي تميل الى اللون الاصفر وهو اللون الناتج القريب من لون الذهب والتي استخدمت في الرسم وطلاء الجدران[٢٦].

اما اللون الارجواني المعروف بالاكدية بلفظة مشابهة للفظه بالعربية: argamannu فقد كان من الالوان الراقية واعتبر رمزاً للدم النقي والسلطة الحاكمة والطبقة الاجتماعية الراقية. ولهذا اللون اطياف تتراوح بين الاحمر والازرق ومنه البنفسجي. وكانت الاصول الرئيسية لاستخراج اللون من القواقع ومن نوع متخصص بافراز الصبغة يحصل عليه الاشوريون من السواحل الفينيقية على البحر المتوسط. ومن الواضح ان مصادر اخرى ايسر من هذه المعروفة من القواقع كانت معروفة ومنها انواع من الحجارة الثمينة[٢٧].

ومن نص يذكر تفاصيل تحضير الاشوريين لصبغة بلون ارجواني من خليط من المعادن والمساحيق وترد تفاصيل ذلك كالاتي:

" ٣٠ جزء من مادة tersitu (التي تترجم: مسحوق زجاجي واجزاء من معدن النحاس)، ٤٥ جزء من نوع من الزجاج (sirsu)، ١٥ جزء من الرمل. تخلط هذه الاجزاء وتسحق الى ان تصبح طحينا ناعما ثم تشوى خلال سبعة ايام وسبع ليالي[٢٨].

لقد عرف الآشوريون ايضا صبغات والواناً اخرى مستخلصة من اصول نباتية ومعدنية، ومن الالوان التي عرفوها ايضا من هذه الاصول اللون البرتقالي والاصفر والبرتقالي المائل للاصفر اضافة الى اللون الاسود والاخضر. ولقد عرف الآشوريون مواد كيمياوية ومركبات استخدموها اساساً لتنفيذ الالوان وخلطها وتثبيتها ومن ذلك كاربونات الصوديوم والتطرون والشب والبوتاس وانواع عديدة من الاملاح[٢٩] ومنها املاح الامونيا. هذا بالاضافة الى ثمار الرمان ولحائه وقشور ثماره والسماق[٣٠].

## الهوامش

(١) B. L. Goff: Symbols of prehistoric Mesopotamia. (Yale University Press. 1963).

(٢) تقي الدباغ وليد الجادر. عصور ماقبل التاريخ. مطبعة جامعة بغداد. (بغداد ١٩٨٣) ص ٦.

(٣) وليد الجادر "دور التراث الفني في النهضة الحضارية" مجلة كلية الاداب جامعة بغداد. العدد الثاني والعشرون (١٩٧٨) ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٤) وليد الجادر الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر. بغداد مطبعة الاديب البغدادية. ١٩٧٢ ص ١٩.

(٥) نفس المصدر السابق. ص ١٢ وانظر ايضا:
Ghirshman, R. Les Achemenides. Paris,. 1963.
Ghirshman, R. L'Iran des Origines a, L'Islam, (Paris. 1951) I.

(٦) Centre de Recherche de Recharche d Archeologie Orientale (= CRAO) n 1. Paris 1982. pp. 17 – 29, 101.





(٧) موسوعة حضارة العراق. الجزء الرابع. بغداد. ١٩٨٥ ص ٣٢٣- ٤٠٤.

(٨) مورتكات انطون. الفن في العراق القديم. ترجمة د. عيسى سليمان وسليم طه التكريتي. سلسلة الكتب الفنية (٣١) بغداد (مطبعة الاديب البغدادية ١٩٧٥) ص ٣٤٤.

(٩) "le travail du Cuir"; Sumer Vol. xxIII (1967) p. 193—201.

عبد الله امين أغا وميسر سعيد العراقي. نمرود. مدينة الاثار العامة. بغداد. ١٩٧٦.

(١٠) مؤيد سعيد "الرسوم الجدارية منذ اقدم العصور" في موسوعة حضارة العراق الجزء الثالث. ١٩٨٥ ص ٢٦٧- ٢٨٤.

(١١) من رسومات الغرف الملكية في مدينة ماري: النماذج من الغرفة ٦٤ اضافة الى الغرفتين ٤٣ و ٤٦. انظر في ذلك:

Parrot, A. "Les peintures du palais de Mari" In. *Syria* xvII (1937). pp. 18, 28, Fig. 15, pp. 19, 20, 21.

(١٢) Yasin M.Al— Khalesi, The court of the plams. A Functional Interpretation of the Mari palace. *Biliotheca Mesopotamia*. Vol. VIII Undcna Malibu 1978.

كذلك اريد بهذا الرسم ايضا ان يكون على علاقة باصول اشورية اقدم عهدا من العهد البابلي القديم. انظر في ذلك مورتكات، انطون الفن في العراق القديم. ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي. بغداد سلسلة الكتب الفنية (٣١) ١٩٧٥ ص ٢٥٩.

(١٣) Mallowan, M. Nimrud and Its Remains, 2 vols. London 1966.

(١٤) مورتكات. نفس المصدر. ص ٣٦٩- ٣٧٠. عبد الله امين اغا وميسر العراقي. نمرود.

(١٥) انظر Parrot, A. Assur: Nineveh and Babylon. (London, Thames and Hudson. 1961). fig. 7.

(١٦) مورتكات. المصدر نفسه ص ٣٢٠. ص ٣٤٤

(١٧) Parrot, A. Nineveh and Babylon, London Thames and Hudson 1961.

Thureau— Dangin. F. and Maurice Dunand. Til— Barsib. (Paris— Geuthner. 1936). p. 6— 7.

(١٨) Til— Barsib. Ibid. P. 45— 46.

وعن نتائج التحليلات المختبرية التي اجريت لبقايا الالوان واصولها انظر نفس المصدر ص ٤٧- ٤٨.

(١٩) من الاساليب والتقنيات المعروفة لدى الاشوريين استخراج الالوان من اصول معدنية ومن مساحيق بعض الاحجار الثمينة وخاصة للحصول على اللون الازرق واطيافه المتعددة. انظر في ذلك. وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية. ص ١٧٠ وعن اكتشاف بقايا رسوم جدارية في مدينة خرصباد ذات اساليب تنفيذ مشابهة لتلك المكتشفة في تل بارسيب انظر: اندريه بارو. بلاد آشور. ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي. بغداد. سلسلة الكتب المترجمة (٧٧) ١٩٨٠ ص ٢٨٢.

(٢٠) مورتكات. المصدر نفسه. ص ٣٩٩- ٤٠١.

(٢١) الجادر، المصدر السابق، ص ١٧٠ والملاحظة رقم ٢.

(٢٢) نفس المصدر. ص ١٧٢- ١٧٣.

(٢٣) Georging Herrman, "Lapis Lazuli: The Early phases of its Trade "In *Iraq*. Vol. xxx part I (1968) pp. 21— 57.

(٢٤) الصبغة المعروفة بالاكدية damu ومنها adamatu و adumatu يعني اللون الاحمر والاحمر الغامق. انظر للمزيد من التفاصيل الخاصة بهذا اللون والصبغة: The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago (= CAD) Vol. I. p.94, Vol. III p. 74, VII pp. 163— 64.

(٢٥) الجادر، المصدر السابق. ص ١٨٥- ١٩٤.

(٢٦) نفس المصدر اعلاه. ص ١٩٦- ١٩٧.

(٢٧) CAD. VI pp. 257, 142.

Forbes, R. J. Studies In Ancient Technology. Vol. III (Leiden Brill 1955) pp.

Forbes, R.J. Iv. 1956. pp.

(٢٨) Thompson, R.C. A Dictionary of Assyrian Chemistry and Geology (Oxford, 1936) pp. 55— 56.

(٢٩) الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر. ص ١٢٥.

(٣٠) مارتن ليفي. الكيمياء والتكنلوجيا الكيميائية في وادي الرافدين. ترجمة محمود فياض المياحي وجواد سلمان البدري جليل كمال الدين. سلسلة الكتب المترجمة (٨٦) بغداد. ١٩٨٠.





# فن النحت

## المدور والبارز والنحت على العاج

د. طارق عبد الوهاب مظلوم

### فن النحت ، المدور، البارز، النحت على العاج

### البدايات الاولى للنحت
### (٨٠٠٠- ٢٧٠٠ قبل الميلاد)

تمخض الجزء الشمالي من بلاد أرض الرافدين عن انجازات ثقافية وحضارية كان لها الأساس في صنع الحضارة البشرية المعاصرة ، ولاشك ان هذا الجزء كان يؤثر ويتأثر بما هو في جنوب البلاد ، وكذلك في شرقه وغربه من الأقاليم والبلدان . وكان الاتصال الحضاري بين شمال الوادي وجنوبه قائما في كل العصوركما هو اليوم ، فتارة نرى القسم الشمالي وهو يعطي للجنوب ويؤثر فيه ، وتارة نرى العكس ايضا .

لقد كانت القرى الزراعية الاولى في الشمال وخاصة في المنطقة التي تعرف بالمثلث الآشوري والممتدة بين نهر الخابور والباليخ من أعالي الفرات غربا والزابين الأعلى والأسفل شرقا ومدينة آشور (قلعة شرقاط) وسلاسل الجبال جنوبا وشمالا على التوالي موطنا لتطورات ثقافية بالغة الأهمية . ولقد حظي القسم الذي يشكّل اليوم محافظة نينوى من خارطة العراق الجغرافية القسط الاكبر في هذا الاتجاه ، فمنذ ان هجر انسان وادي الرافدين الحياة في الكهوف أخذت تظهر مساعيه المتعددة في تطوير العيش في تلك القرى الزراعية الاولى.

لقد ارتبطت المحاولات الاولى للنحات العراقي الذي سبق عصر تعلم الكتابة والقراءة بمؤثرات اساسية تتعلق بالبيئة والشعور النفسي والفكري ، فلقد طغت عليه فكرة غزارة المطر اوقلّته في أرض متموجة لم يتوصل الانسان فيها بعد الى معرفة الطرق الخاصة بالري الاصطناعي اي باستعمال الترع والقنوات والافلاج (الكهارين) والآبار لري المزروعات. فالمطر بغزارته هو الخصب والخير، وشحته وفقدانه هو الموت والمعاناة ، فالوفرة في الانبات الزراعي وتكثيره ، وكذلك ولادة الأجيال الجديدة من بني الانسان كلها أمور ذات تأثير مباشر على حياة الأفراد في تلك المنطقة ، كما أن المرأة كانت هي في الواقع أساس هذا المجتمع ، اذ هي تزرع مع الرجل ، فضلا عن انها تنجب الأجيال الجديدة .

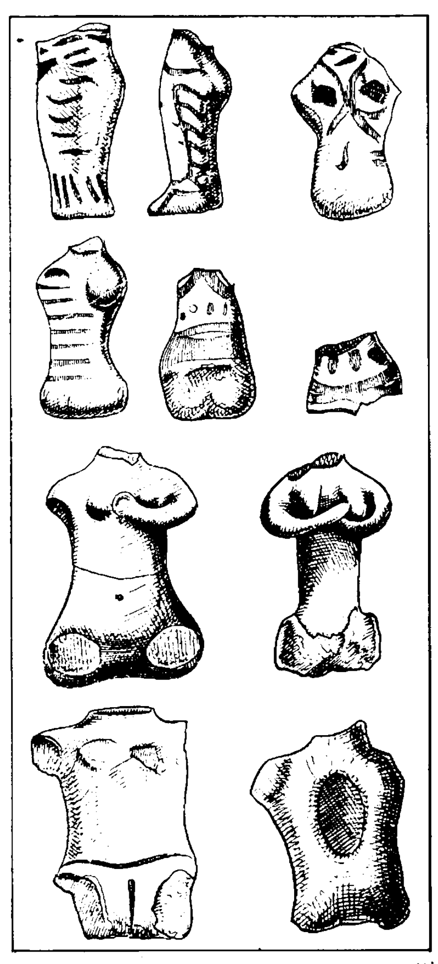
لقد جسد نحات حقبة ماقبل الكتابة جسم المرأة بانوثتها معبرا عن موضوع الخصوبة فيه حيث سيأتي الكلام على ذلك ، ولكن النحات لم يكتف بانتاج تماثيل تخص المرأة فقط ، بل انه ايضا انجز قطعا نحتية بمواد مختلفة تمثل الحيوانات التي عاشت معه او أثرت في حياته اليومية .

وفي هذا المجال نشير الى الحفريات الآثارية الحديثة التي قامت بها البعثة البولونية المنقبة بتل نمريك في منطقة حوض سد صدام بشمال غرب الموصل ، حيث اعطت ثمارا غاية في الأهمية ، اذعرفنا من الانجازات البحثية في هذا الموقع قطعا منحوتة بالحجر لرؤوس طيور منفذة بشكل يسترعي الانتباه وفي عصر يعود الى الألف الثامن- السابع قبل

الميلاد[1]. فدقة محاكاة هذه القطعة للطبيعة فضلا عن طريقة تنفيذها المتقنة تعطي دلائل كبيرة بما كان لهذه الطيور من أهمية في حياة السكان، ويعتقد اهالي المنطقة أن مقدمها هو اشارة خير وفأل حسن في فصل الربيع وانها بلاشك ستأتي بالمطر الغزير المصحوب بالغلة الوفيرة.

ان موقع نمريك ودلالاته المتقدمة من حيث الحقبة التاريخية وتكويناتها الاولى في عمق الحضارة يضيف أضواءا جديدة نحو بدايات فجر الحضارة في وادي الرافدين، هذا فضلا عن تقديم تفسيرات تاريخية جديدة للحضارات التي ظهرت في الأناضول كموقع جتل هايوك الذي اجتهد بعض المختصين على ان مكتشفاته تعد بداية لكثير من الانجازات الحضارية في المنطقة. ومع ان الحفريات في موقع نمريك تعد في بداياتها الاولى فان الاستمرار فيها سيعطي بلا شك نتائج ذات آثار بعيدة المدى في عملية صنع ونشوء الحضارة البشرية المتطورة التي وصلت الينا بشكلها المعاصر في حاضرنا اليوم. ومما هو جدير بالذكر ان الانجازات الثقافية في شمال بلاد الرافدين لم تبدأ في الألف الثامن قبل الميلاد بل انها بدأت قبل ذلك بزمن بعيد، فهي فعالة ومتطورة عندما ترك الانسان الأول السكنى في الكهوف وبدأ يقيم في القرى الزراعية الاولى، وبهذا السياق لايمكننا فصل الانجازات النحتية وتنفيذها بالمواد المتيسرة معزولة عن باقي المنجزات الأخرى كاقامة دور السكن وصنع الأدوات والأواني المطلوبة في الحياة اليومية.

واذا عدنا الى الانجازات النحتية المتقدمة التي تلت نمريك في المنطقة من حيث الزمن فاننا سنجد مواقع أثرية ذات شأن كبير متصل ببدايات تطور فن النحت في العالم، كموقع تل الصوان وجرمو والأربجية وتبه كورا وشكر بازار وبراك، ففي موقع الأربجية القريب من شمال مدينة نينوى التاريخية على سبيل المثال اكتشفت اعداد من نماذج لما يعرف بالالهة الأم، وهي منفذة بالطين الاعتيادي اوالمشوي او حتى الحجر، وهذه النماذج انجزت بهيئة



نماذج مجسّمة من الطين والفخار للالهة الام وجدت في الاربجية في الموصل

نساء عاريات او بملابس متباينة، كما ان بعضا منها ذو طلاء على غرار فخاريات تل حلف، وهؤلاء النسوة مثلن وهن بأثداء متدلية وأرداف مبالغ بحجمها حيث اجتهد مكتشفها ماكس ملوان على ان هذه النماذج ربما كانت لنساء يكرسن التمثال لكي يجلبن عطف الآلهة عند عملية الانجاب[2]،





وتدل اشكال أجسامهن على اعمارهن ، فمنهن العذارى ومنهن في سن اكبر ، وكما ذكرنا فان بين هذه التماثيل مايظهر نساء يرتدين ملابس ضيقة وثيابا شفافة وبلون قرمزي . أما الرأس فقد اضمحل وظهر بشكل نتوء غير واضح المعالم ، اذ لابد أن هناك هاجسا بعدم تمثيله على نحو يحاكي الطبيعة . وقد تم العثور على مثل هذه التماثيل ايضا في جرمو قرب جمجمال وموقع يارم تبه في منطقة سنجار وكذلك في تل شكر بازار بمنطقة الخابور من اعالي الفرات ، لقد قدمت حفريات الأربجية ايضا أدلة واضحة الى تمثيل عنصر الفحولة الذي رمز اليه بالثور ، حيث عثر على تماثيل كثيرة له ممثلة برؤوس الثيران ، وكما هو معروف فان رؤوس الثيران اتخذت أشكالا مرسومة على الفخار خاصة في عصر حلف من الألف الخامس قبل الميلاد حيث تعود هذه المجاميع النحتية .

ولابد من الاشارة ايضا الى صنف آخر من تماثيل الالهة الأم المكتشفة اعداد منها في موقع تبه كورا على بعد ٣٠ كيلو متراً من شمال الموصل وتل براك ، وكذلك الأربجية ، وهذه التماثيل المحورة عن الطبيعة والمصنوعة من الحجر انما هي قطع منبسطة مربعة او مستطيلة يبرز منها رأس بعينين كبيرتين وفيها مايظهر زوج منها بشكل ملتصق او انها تضم على سطحها اطفالا . ولعل طريقة نحت التفاصيل على هذه القطعة تدلنا على معرفة النحات في هذا العصر المتقدم بفن النحت البارز . واكثر من ذلك فان هناك دلائل واضحة ايضا تدلنا على ممارسة الفنان لفن النحت البارز على الأختام المنبسطة التي بدأت تظهر في هذه الحقبة ، كالاختام المكتشفة في موقع تبه كورا ، فهذه الاختام المحفورة بشكل غائر تطبع على الطين حيث تظهر رموزها نحتا بارزا بأشكال هندسية وحيوانية وآدمية احيانا . لقد بدأ ظهور هذه الأختام في طبقات الفخار الملون من نهاية عصر حلف استمرارا لدور العبيد ، وهي مصنوعة من احجار متنوعة نادرة .

لقد حدثت تطورات فنية أخرى في المنطقة منذ عصر الوركاء وجمدة نصر من حدود ٣١٠٠- ٢٧٠٠ قبل الميلاد . فلقد ظلت المرأة مع التأكيد على وجهها في هذه الفترة مادة لفنان هذا العصر ايضا . فمن مدينة آشور من معبد عشتار القديم لدينا لوح بالنحت البارز من الجص يمثل امرأة واقفة عارية ضمن اطار يحيط بها . وطريقة انجاز هذه القطعة هي مزيج بين الرسم والنحت البارز النافر ، وعلى الرغم من تلف وفقدان بعض أجزاء من اللوح فان التفاصيل تبدو واضحة ومؤثرة ، فقد عملت بعض تفاصيل الجسم والحلي بألوان ذات خطوط سود وحمر فيها ماتشير الى زينة الوشم ايضا ، وان مايسترعي الانتباه هو ان عينيها واسعتان بشكل بيضوي وبحاشية خارجية مائلة نحو الوجنتين بشكل يسترعي الانتباه ، فالمرأة هذه لابد انها تمثل عشتار في أحد طقوسها الدينية وان طريقة عمل العيون فيها مماثلة الى رأس امرأة من الحجر عثر عليه في تل براك ، ولقد اعتنى النحات بنحت الجزء الامامي من الوجه ،كما ان الشرخ في ظهر الرأس يشير الى تثبيته على ساند لعله جدار او لوحة منفصلة ، وتعد هذه الظاهرة من مميزات هذا النوع من نحت الوجوه النسائية في عصري الوركاء وجمدة نصر .

ان الذي يسترعي الانتباه ان التلوين بالألوان القاتمة في قطعة آشور وقطع أخرى لرؤوس نساء اكتشفت في مناطق مجاورة له مايربطه بنماذج اكثر قدما في المنطقة . اذ يمكن ايجاد النماذج الاولى لهذه المعالجة في وجه امرأة مرسومة على رقبة جرّة من موقع حسونة في محافظة نينوى وكذلك في رأس امرأة من الفخار من موقع جوخه مامي بمنطقة مندلي من شرقي العراق . كما ان هذا النوع من التلوين بالخطوط القاتمة قد استعمل على وجوه وأجسام لنساء وكذلك على تمثال لرجل جالس من تل الصوان من الألف السادس قبل الميلاد .

## النحت في عصر دويلات المدن
## (فجر السلالات) وعصر توحيد البلاد
## (العصر الاكدي)

دخلت بلاد الرافدين في عصر مابعد الكتابة طورا جديدا من الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية عرف بعصر فجر السلالات، فلقد ساد هذا العصر ظهور مدن وسلالات تحكم نفسها بنفسها، وشاع هذا النمط من الحياة في جنوب العراق كما كان ذلك في شماله ايضا. ولقد دلت الحفريات الآثارية على ان مدينة آشور (قلعة شرقاط) على بعد نحو ١١٠ كيلو مترات جنوب الموصل هي احدى تلك المدن، ويظهر ان آشور قد نهضت بدور ثقافي وسياسي كبير عبر العصور المختلفة التي مرّت بها البلاد، فطبقاتها الآثارية تضم مخلفات من عصور سحيقة استمرت عبر العهود الاكدية والآشورية والهيلنيستية، ثم الى العصور الاسلامية. وهكذا فقد كشفت التنقيبات والتحريات الآثارية مواقع عديدة في محافظة نينوى تشير طبقاتها الى عصر فجر السلالات، الآ انها لم تثمر قطع غنية لتماثيل كالتي عثر عليها في آشور، فآشور تقف من بين اغنى المواقع في هذا المجال حيث زودنا معبد عشتار فيها عن مجاميع من التماثيل التي تؤلف احدى الحلقات الفنية في مضمار تطور النحت في المنطقة.

فأول هذه القطع الفنية تمثال لشخص (كاهن) ذي لحية واقف عرّفه المتخصصون باسم المستشار الديني. فهو عاري الصدر يمسك بيده امام صدره مبتعدان بعض الشيء عنه. كما يرتدي هذا الشخص وزرة ذات صفوف متعددة من الخصل او الأهداب كالتي عرفت في تماثيل كثيرة أخرى اكتشفت في أشنونا وماري وتل خويرة في أعاليه [٣]. والشخص الثاني حليق الشارب والرأس وطليق اللحية وهي ميزة عرفت في بعض تماثيل هذه الحقبة خاصة في مدينة ماري [٤]. وثمة ميّزة أخرى في هذا التمثال هي الوزرة التي تنتهي من الخلف بعقدة من نفس المادة المحصلة، وهي طريقة عرفت في فصال بعض الوزرات في تماثيل من هذه الفترة عثر عليها في الجنوب، ومن آشور ايضا وصل الينا تمثال آخر كثير التشويه يمثل شخص في حالة السير وهو من هذه الناحية يشبه تمثال اوركيسلا من تل خفاجي بمنطقة ديالى.

ولقد عثر في معبد عشتار بآشور كذلك على تماثيل لنساء واقفات يرتدين رداء مخصلا يغطي جميع الجسم ويترك احد الكتفين عارية. والمرأة في هذا النموذج رتّب شعرها بشكل حزوز موازية ويشكّل تقاطعات بهيئة المثلثات، وفي تمثال آخر لسيدة ايضا نرى انها ترتدي شالا يغطي كتفها ويتدلى نحو الركبتين.

لقد اثمرت التنقيبات في آشور ايضا عن اكتشاف قطع نحتية مهمة من العصر الأكدي، تدلنا المعلومات الأثرية والتاريخية على ان آشور في هذه الحقبة كانت احد المراكز الأكدية في الشمال. ولقد تعلم الآشوريون الكثير من الأكديين في بداياتهم الاولى وعدوهم الاساتذة الأوائل لهم.

فمن القطع الأكدية المنحوتة بالنحت المجسم تمثال لرجل لعله كاهن واقف، وهو عاري الصدر يمسك بيديه امام صدره ويرتدي وزرة طويلة تم احكامها على البطن بحزام سميك. وهناك تمثال آخر من آشور لم يبق منه سوى الصدر الذي نحت بشكل عار. ويلاحظ على نموذجي التمثالين من آشور مقدرة النحات الأكدي في اظهار تفاصيل الجسم ودقائقه التشريحية المتمثلة بمعرفته للعضلات على نحو يحاكي الطبيعة، فالنحات الأكدي كان بلا شك ملما وعارفا لتغييرات جسم الانسان عند الحركة فأعطى كل حركة حقها في التعبير والتشريح المطلوب فلا غرابة في ذلك اذ ان

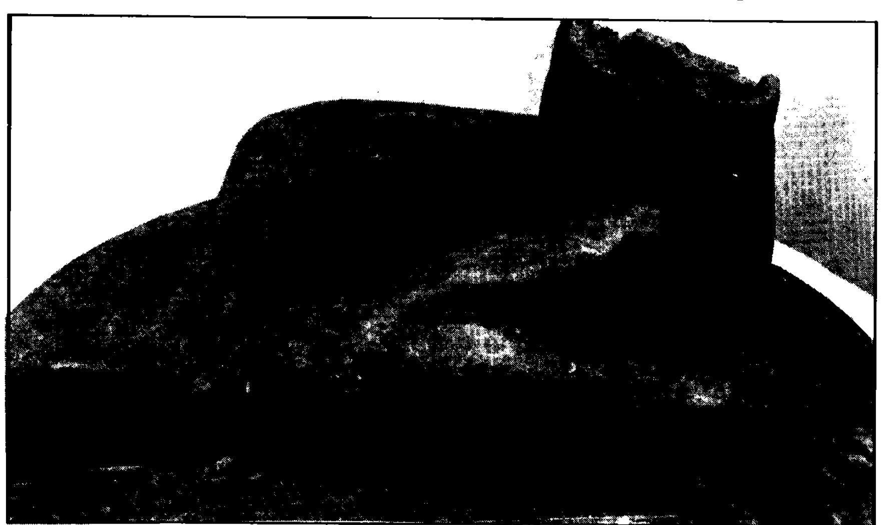




النحات الأكدي هو الذي أرسى قواعد المدرسة الواقعية في التعبير.

ومن بين مجاميع التحف النحتية من العصر الأكدي ذلك التمثال البرونزي الذي وصل الى المتحف العراقي سنة ١٩٧٥ الذي عثر عليه مصادفة بموقع باسطكي في قضاء زاخو بشمال العراق، فهذا التمثال يكون القسم الأسفل لفتى عار جالس على قاعدة دائرية من البرونز ايضا، والقاعدة ذاتها نقشت بكتابة أكدية تعود الى الملك نرام سين (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ قبل الميلاد) ويظهر أن التمثال قد قطع شوه في الأزمنة القديمة اذ لم يبق منه سوى البطن والأطراف السفلى التي انجزت وهي تضم اسطوانة مجوفة من نفس المادة البرونزية، وبعد الدراسات والمقارنات لنماذج أكدية ذات علاقة تمكنّا من معرفة شخصية الشخص الممثل هنا. فهذا التمثال يمثل البطل الذي يظهر بكثرة في يظهر على الأختام الاسطوانية الأكدية وهو يصارع الوحوش. كما يظهر في غيرها وهو يمسك بالاناء الفوار او يمسك بسارية علم او راية. فالوضعية الأخيرة أقرب الى حركة التمثال موضوع البحث. اذ ان الفتى الجالس لابد انه يمثل البطل الأسطوري جلجامش وهو يضم بين ساقيه اسطوانة لحصر الراية العمودية التي كان يمسكها بكلتا يديه(٥).

ومن بين ابرز القطع النحتية المنسوبة الى العصر الأكدي ذلك الرأس البرونزي المكتشف في نينوى (تل قوينجق). فلقد اجتهد عدد من الباحثين على ان هذا الرأس يمثل العاهل الأكدي سرجون الأول اوحفيده نرام سين، وذلك باعتمادهم على الدراسات والأساليب المقارنة في طريقة الانجاز، وكما هو معروف فان هذا الرأس وجد في دفن الأنقاض بتل قوينجق ولم يعثر عليه ضمن طبقة أثرية معينة، وهذا الرأس كان في الأصل بعيون



القسم الاسفل من تمثال من البرونز لشاب جالس (من العصر الاكدي)

المواضيع الأسطورية والدينية الأكدية والذي عرف مرارا بجلجامش المميز بحزامه العريض ذي الفواصل الأربعة والذي تتدلى منه خصلة، فمثل هذا البطل

مطعمة الاّ انها اقتلعت وخرّبت بعض معالم الوجه في العصور القديمة، وعلى الرغم من الصفات الفنية التي يمكن ان تلاحظ هذه القطعة فانها ايضا تعطي صفات وملامح فنية اكثر ارتباطا بزمن بداية





الألف الثاني قبل الميلاد ، ويعد هذا العمل دون شك من القطع البارزة في عالم التعبير والصنعة والدقة في التنفيذ ليس في بلاد الرافدين فحسب بل في تاريخ تطور فن النحت العالمي .

واذا عدنا الى مدينة آشور فانها اعطتنا سنة ١٩٨٢ رأس تمثال من الحجر بحجم يفوق الحجم الطبيعي عثر عليه بشكل طليق في انقاض منحدر معبد آشور المطل على نهر دجلة . وهذا الرأس فقدت بعض اجزائه السفلى ومنها اللحية ، كما ان تشويهات أخرى يبدو أنها أصابت القطعة في الأزمنة القديمة خاصة منطقة الأنف،وترينا تفاصيل الوجه عاهلا عراقيا بارز المعالم ملتحيا ذا عينين واسعتين وفم يدل على التصميم والاصرار، وهو يرتدي لباس رأس يظهر منه بوضوح عصابة سميكة تحصر حافات متموجة من شعر مقدمة الراس . كما تتدلى امام الأذنين خصلتان من الشعر عملت بشكل حلزونات مشابهة في تكوينها الى طريقة عمل شعر اللحية ، كما ان الشعر في الخلف رتّب بهيئة كتلة واحدة حصرت بشريط عند النهاية .

لابد ان نلجأ الى الدراسات المقارنة في تعيين زمن هذه القطعة طالما لم يعثر عليها ضمن طبقة أثرية مؤرخة ،فهو في لباس رأسه وطريقة انجاز خصلات الشعر بهيئة حلزونات كبيرة وعيونه الواسعة يرتبط بالمعالجات النحتية التي شاعت في نهاية العصر الأكدي استمرارا على سلالة اور الثالثة . اذ يمكن مقارنة هذا العمل الفني بتمثال ايشتوب ايلوم المكتشف في ماري كما ان لباس الرأس وطريقة تنفيذ شعر اللحية يمكن ان تقارن بالمنحوتة المنفذة بالنحت البارز على كتف مضيق دربندى كاوور في محافظة السليمانية والتي تمثل أحد الملوك العراقيين التاريخية[٦] . ومنحوتة كاوور بلا شك تنحصر من حيث زمنها بين المرحلة الأخيرة من حكم الأكديين استمرارا الى العهد الاحيائي المتمثل بفن سلالة اور الثالثة ، وهي الحقبة الزمنية التي يؤرخ فيها هذا الرأس .

## النحت الآشوري

تراكمت التجارب في فن النحت بموطن الآشوريين منذ أقدم العصور، فجاءت الخصوصية التي عرفناها في النحت الآشوري نتيجة لهذه المحاولات ، ولقد تحكم موقع بلاد آشور في تكوين الهيئة العامة للشخصية الآشورية .

ولأجل دراسة النحت الآشوري في حقب تطوره منذ أقدم العصور، لابد ان نسلك الطريق الذي تبوب فيه أسس دراسة التاريخ الآشوري المتمثل بثلاث مراحل هي العصر الآشوري القديم والوسيط والحديث .

### النحت في العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٠٠ ق. م) :

ان مصادر النحت الآشوري القديم قليلة ونادرة نتيجة لانضواء سيادة الآشوريين ضمن القوى التابعة لزعامة الدول المتعاقبة التي حكمت جنوب وادي الرافدين ، ومع أن هناك بعض اللقى التي جاءتنا من العهود التي سبقت العاهل الآشوري شمشي- ادد الأول (١٨١٤ - ١٧٨٢ قبل الميلاد) الآ انها لم تعطنا الدليل الواضح عن هذا الفن ، ومهما يكن من أمر فان أساليب فن النحت الآشوري في زمن شمشي- ادد الأول لابد انها اشتركت بصفات معينة لاتختلف في الأسلوب والمضمون عن النحت في منطقة ماري واشنونا وبابل ، واذا كانت هناك اختلافات جزئية فربما تعود الى الخصوصيات المستحبة في كل مدينة من المدن .

ان المدرسة الآشورية للنحت في هذه الحقبة لايمكن ان نفرقها عن مدرسة النحت البابلي القديم





حيث وصلت الى نضجها في زمن حمورابي الذي عاصر شمشي – ادد الأول واحفاده في الفترة الاولى من حكمه، غير ان حمورابي كما هو معروف تمكن بعد ذلك من ضم جميع أقاليم المنطقة الى دولته الكبيرة بما في ذلك بلاد آشور.

لقد وصلت الينا قطع نحتية قليلة من هذه الفترة اذ لدينا كسرة لمسلة تمثل انتصارات شمشي – ادد الأول عثر عليها في ماردين، ويمكن أن نشاهد في هذه القطعة بالنحت البارز شمشي – ادد نفسه وهو يطأ برجله احد الأعداء مسددا له ضربة أخيرة.

وترينا قيافة العاهل الآشوري انه يرتدي ملابس تماثل في بعض تفاصيلها الرسوم الجدارية من المجموعة الثانية في قصر ماري والتي تعود الى هذه الحقبة من الزمن. ومن زمن يسمخ – ادد ابن شمشي ادد الأول لدينا تمثال فاقد الرأس لاله لعله يمثل اله الجبل،لقد نحت هذا التمثال بهيئة شخص يمسك بيده اما صدره العاري، يرتدي حزاما عريضا بفتحة من الوسط، والقسم الأسفل من هذا التمثال عليه نموذج من زخرفة بهيئة حراشف السمك وهي زخرفة استخدمها النحات العراقي عبر العصور القديمة على انها تمثل الجبل والمناطق الوعرة.

وعلى لوحة من الحجر بالنحت البارز عثر عليها في آشور نرى ايضا الهاً يرتدي وزرة بزخرفة الجبل وهو يتوسط مجموعة من الآلهة الصغرى والحيوانات فوزرة الآلهة الرئيس ذات حراشف وحزام مفتوح في الوسط كما ان تنظيم وترتيب اللحية في هذه القطعة يمكن ان يقارن بلحية وحزام الاله الجبل في اللوح التي تطرقنا اليها قبل قليل.

### النحت في العصر الآشوري الوسيط

### (١٥٠٠ – ٩١١ قبل الميلاد):

في هذه الحقبة ظهر الخوريون وهم من الأقوام الهندو اوربية على مسرح الاحداث السياسية والاجتماعية في شمال بلاد الرافدين وشمال سوريا، وهؤلاء حكمتهم أقلية ارستقراطية عرفت بالميتانيين حيث جاؤوا بعد انهيار السيادة الأمورية المتمثلة بسلالة حمورابي، فمن الملوك الآشوريين الذين كانوا تحت تأثير الحوريين آشور – نراري الأول (١٥٣٣ – ١٥٠٨ قبل الميلاد).

ومن اللقى النحتية التي تعود الى فترة القرن الرابع عشر قبل الميلاد أدوات زينة من العاج وجدت في قبور مدينة آشور، وهذه اللقى عليها تحزيزات بمواضيع تمثل نساء وحيوانات وطيوراً نفذت بحس واقعي. كما كشفت في مدينة آشور من هذه الحقبة بعض الجرار الرخامية الصغيرة، وهي مزخرفة من الخارج بنحوت اشورية بارزة محززة، منها مايمثل حيوانات والالهة عارية لعلها عشتار بشكل امرأة مجنحة نصفها الأسفل عار.

وباعتلاء العاهل الآشوري آشور – او بالط الأول (١٣٦٥ – ١٣٣٠ قبل الميلاد) تزايدت قوة الآشوريين العسكرية آخذين مكانة الميتانيين فأصبحت الدولة الآشورية نداًّ للدولة الحثية ودولة مصر في عهد اخناتون. وتميزت مواضيع أختام هذه الفترة بطابع أو اسلوب يختلف عن الأمثلة الحورية الميتانية.

وفي القرن الثالث عشر قبل الميلاد تعاظمت قوة الآشوريين بمجيئ ملوك أقوياء امثال ادد – نيراري الأول وشيلمنصر الأول وتوكولتي – نينورتا الأول اللذين حكموا مابين ١٣٠٧ – ١٢٠٧ ق. م. وأكثر من ذلك فقد أسس شيلمنصر الأول (١٢٧٤ – ١٢٤٥ ق. م) مدينة كلخو (نمرود) كما أسس





توكولتي – نينورتا الأول (١٢٤٤ – ١٠٢٨ ق. م) مدينة كار توكولتي نينورتا (تلول العقر)، ولا يخفى ما لانشاء عاصمة جديدة من أمور تستقطب الأعمال الفنية وبشكل مكثف في مجال الهندسة والنحت والرسم. فتشييد حواضر جديدة يقود بالتأكيد الى ابداعات وطفرات فنية لم تعرف من قبل. وهذا ماحصل عند الآشوريين في اثناء تشييد العواصم الجديدة.

ان فن النحت الآشوري المميز بأسلوبة ومواضعه، ظهر واضحا في زمن توكولتي – نينورتا الأول، اذ لدينا من زمنه عدد من القطع بالنحت البارز. فمن آشور عثر له على دكتين للعبادة حيث مثّل العاهل توكولتي – نينورتا الأول بوضعيتين واقفا وراكعا امام نصب الآله نسكو اله الثور. اما الدكة الثانية فقد نحت عليها الملك نفسه، واقفا بين بطلين اسطوريين يمسك كل منها بعمود ينتهي براية دائرية. فعلى هذين النحتين البارزين ظهرت لنا الخصائص والصفات الآشورية في تنظيم الشعر وأشكال الملابس وفصالها. كما عرفنا الوضعيات الآشورية للأشخاص سواء بالوضعية الأمامية او الجانبية، وعلى كسرة غطاء من الحجر بالنحت البارز من عصر توكولتي – نينورتا الأول ايضا عثر عليها في آشور نرى مشهدا حربيا، فهذه القطعة تشكل موضوعا يضم ثلاثة اعداء هالكين، في حين انشغل مقاتل آشوري (على أغلب الظن الملك نفسه) ماسكا شعر رأس أحدهم استعدادا لطعنه. أما القسم الأسفل المفصول عن القسم الاعلى بحاشية رفيعة بارزة ففيها موضوع يمثل الملك وهو يتقدم احدى العربات الحربية رافعا بأحدى يديه قدحا، كما نرى ايضا القسم الاعلى من رأس سائق العربة، والشيء المهم في هذه القطعة انها ترينا موضوعا قصصيا متسلسلا مما يدل على ان مثل هذه المواضيع كانت قد استكملت العديد من مراحلها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

لقد انشغلت الدولة الآشورية منذ ذهاب توكولتي – نينورتا الأول وحتى قبيل مجيْ آشور ناصر بال الثاني (١٢٠٠ – ٩٠٠ ق. م) بتثبيت أركان اسسها في الاستقلال، الأمر الذي شغل الملوك الآشوريين كثيرا وأبعدهم عن البناء والفن.

ومن فترة القرن الثاني عشر لدينا تمثال بالنحت المجسم من البرونز عليه كتابة مسمارية تعود الى الملك آشور – دان الأول (١١٧٩ – ١١٣٤ ق. م) وهو تمثال فاقد الرأس يتصف بالنحافة اذ يرتدي الملك ثوبا ضيقًا وحزاما يخرج منه شريطان ينفرجان نحوالكتفين، وكذلك يرتدي الملك شالا بحاشية ذات أهداب، وعلى كتف جبل عند منابع نهر دجلة خلّد النحات الآشوري الملك تجلا تبليزر الأول (١١١٥ – ١٠٧٧ ق. م) واقفا بلباسه الرسمي يرتدي التاج الآشوري حاملا بيده اليسرى صولجانا وباليمنى يشير بسبابته نحو الآلهة. لقد عرفنا من الوضعيات الخاصة بهذا المشهد الملكي ان مثل هذا الموضوع قد تكرر كثيرا في مسلات الملوك الآشوريين من الفترات اللاحقة، والى هذه الفترة ايضا يعود تمثال من الحجر بالنحت المجسم لجسم امرأة عارية لعلها عشتار. وتشير الكتابة عليه ان القطعة تعود الى الملك آشور – بيل – كالا (١٠٧٤ – ١٠٥٧ ق. م). والى هذا العاهل او ابيه تجلا تبليزر الأول تعود المسلة المكسورة وهي من مقتنيات المتحف البريطاني. فأحد اوجه المسلة يضم موضوعا يظهر فيه العاهل الآشوري واقفا امام اربعة أمراء اجانب يقدمون الطاعة تحت قرص الشمس المجنح الذي تتدلى منه كفان آدميتان احداهما تقبض على قوس. وقد نفذ هذا النحت بشيء من التجسيم كما ظهر العاهل الآشوري بحجم اكبر من الأجسام الأخرى.

وترينا المسلة البيضاء المكتشفة بتل قوينجق (بنينوى) بوجوهها الأربعة مواضيع قصصية مختلفة. وقد نحتت مواضيعها بشكل حقول متعاقبة



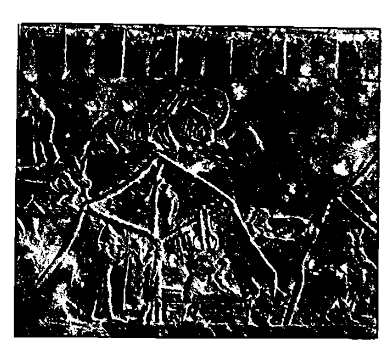


بالنحت البارز وهي ذات استمرارية حول جسم المسلة. وتؤلف هذه المسلة أهم الدراسات في مضمار الفن الآشوري للفترة الوسيطة، وهي تعود الى الملك آشور ناصربال الأول الذي حكم بين ١٠٥٠ الى ١٠٣٠ قبل الميلاد، فهي من هذه الناحية تعد من حيث مواضيعها وطريقة نحتها الأساس الذي استند اليه النحات في العصر الآشوري الحديث.

## النحت في العصر الآشوري الحديث

## (٩١١- ٦١٢ ق. م) (النحت البارز):

تعد هذه الحقبة من أغنى الفترات في مجال النحت، وخاصة البارز من تاريخ تطور الفن في الامبراطورية الآشورية. فلقد زودتنا المدن الآشورية في هذا العصر بمجاميع لاتحصى من الألواح الحجرية المنفذة بالنحت كمدينة كلخو (نمرود) ونينوى ودور شروكين (خرصباد). فلقد بذل العاهل الآشوري آشور ناصربال الثاني (٨٨٤ – ٨٥٨ قبل الميلاد) قصارى جهده في جعل عاصمته كلخو منارا في هندستها وتزيينها. فقد عمل فيها فنانون وبناءون من جميع المناطق التي خضعت لحكمه، اضافة الى الفنانين والبنائين الآشوريين. في قصره المعروف بالقصر الشمالي الغربي زينت الجدران بالواح مرمرية بارتفاع سبع أقدام وبعرض أقل من ذلك. وقد



معسكر اشوري على منحوتة جدارية

رصفت هذه الالواح جنبا الى جنب لتؤلف جدارا واحدا بمواضيع قصصية يكمل أحدها الآخر في قاعة واحدة. وهذه الألواح تزين القسم الأسفل من جدران القاعات وبمواضيع تشرح لنا الحياة الآشورية في الحرب والسلم. اما المسافات العليا للجدران التي تغطيها هذه الألواح فقد رسمت بمواضيع مكملة للألواح وبرسوم ملونة رسمت مباشرة على الجدار.

ان استعمال الألواح الحجرية في تغليف جدران القصور قد استعملت أول مرة عند الآشوريين في كلخو، وبالذات في زمن آشور ناصر بال الثاني، تعد فكرة تزين الجدران بمواضيع وتزيينات مختلفة في



حصانان يقودهما جندي من تفاصيل لوحة جدارية من نينوى

الأساس فكرة عراقية قديمة عرفت منذ عصر الوركاء حينما زينت الجدران في المعابد بمخاريط ذات رؤوس ملونة وبأشكال هندسية منسقة، كما ان هناك جدرانا مزينة بالطابوق المقولب كالتي عثر عليها في معبد كريتداش من العصر الكشي في الوركاء ايضا. وهكذا فان قصر آشور ناصر بال الثاني في كلخو المعروف بالقصر الشمالي الغربي يرينا الحيوانات المركبة الحارسة التي تزين المداخل. وهذه الفكرة المعمارية هي أيضا استعمال عراقي قديم رأيناه في استعمال الاسود الحارسة في العصر البابلي القديم من حدود ١٨٠٠ قبل الميلاد كما هو الحال في معابد تل حرمل(٧).

كما ان فكرة الحيوانات المركبة قد تطورت في العراق القديم ودخلت أطوارا وأشكالا متعددة، حيث أخذها المصريون القدماء والحثيون الذين زينوا بها مداخلهم، كما تشير المصادر الآشورية ان مثل هذه الحيوانات الحارسة المركبة قد استعملت في مداخل المباني قبل تأسيس كلخو غير ان التنقيبات لم ترنا أمثلة لها قبل مجيئ آشور ناصر بال الثاني(٨).

ان الواح آشور ناصر بال الثاني من قصره في نمرود ترينا النموذج المتكامل ولأول مرة تعرض مواضيع قصصية بحجم كبير. ويظهر ان اسلوب النحت هذا قد نضج منذ زمن والد آشور ناصر بال الثاني وهو توكولتي - نينورتا الثاني (٨٩٠ - ٨٨٤ ق. م) كما هو واضح على طابوق مزجج من آشور، فالالواح المنحوتة بالنحت البارز من قصر آشور ناصر بال الثاني ترينا مواضيع الحرب والاحتفالات والصيد. وتدل طريقة نحتها على ان النحات كان موفقا في اظهار وانجاز هذه المواضيع مع ابراز التاثيرات المختلفة في هذه المشاهد. فالمدرسة الآشورية في هذه الألواح تنحو منحى تعبيريا مأخوذا من الواقع مع التأكيد على التبسيط في السطوح والتأكيد على التفاصيل الدقيقة فيها بشكل حزوز او نحت بارز واطئ جدا، ويمكن للمشاهد تتبع تفاصيل الألبسة وطرق تصفيف الشعر. كما ترينا وبكل دقة تفاصيل الأسلحة والمعدات الحربية والأثاث، فهي بهذا الاتجاه تعد أغنى مصدر لدراسة الحياة الآشورية في السلم والحرب.

ان النحات الآشوري في زمن آشورناصربال الثاني وابنه شيلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق. م) قد انجز الواحا بشكل نحت بارز واطئ وقد اعطى تجسيما في الوجه واليدين والقدمين، ومثل هذه المعالجات استمرت ايضا لزمن تجلا تبليزر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق. م) فمنحوتات الأخير سواء تلك التي تمثل مواضيع القتال او تلك التي تمثل مواضيع تقديم الطاعة والجزية قد نفذت بشيء من الوضوح والتناسق والبساطة والجرأة.

ولعل نحات تجلا تبليزر الثالث قد اعطى بعض الادراكات الاولى لفن علم المنظور اكثر من المحاولات السابقة، اذ نرى صور الأشخاص والعربات والأشجار والمباني قد رتبت بشكل متعاقب عند رؤية شاهد لها. والنحات في فترة القرن التاسع والثامن قبل الميلاد قد اكثر من الألواح التي تصور الأشخاص وهم يشغلون اللوح بأكمله. كما أنه لجأ احيانا الى تقسيم اللوح الى نصفين أعلى وأسفل كما هو الحال في منحوتات قاعة العرش بكلخو.

**النحت البارز في زمن سرجون الثاني وخلفائه**

**(٧٢٢ - ٦١٢ ق. م):**

شيّد سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق. م) عاصمته دور شروكين (خرصباد) على بعد ٢٥ كيلو مترا شمال شرق نينوى. ولقد زيّنت قصور ومعابد هذه المدينة بمجاميع من الألواح المنحوتة بالنحت





البارز وبمواضيع مختلفة ، ولقد انجزت هذه الالواح ببعض الفروق عن تلك التي انجزت في السابق اذ ان التفاصيل الآدمية والحيوانية التي تشمل منطقة الوجه والأطراف قد نفذت بشكل نحت بارز فيه كثير من التجسيم وهي صفة لم يسلكها النحات الآشوري مثل سرجون الثاني ، إذ ان مثل هذه المعالجات تظهر تأثير المدرسة البابلية والتي كما يبدو ظهر تأثيرها واضحا في منحوتات سرجون الثاني . ان ظاهرة التجسيم في ألواح سرجون الثاني تظهر اكثر وضوحا على قامات الأشخاص الأسطوريين الذين نشاهدهم وهم يقفون خلف الثيران المجنحة التي تحرس مداخل القصور والمعابد في دور شروكين.

وفي عهد سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨٢ ق. م) قّسم اللوح الى اكثر من حقلين اي الى ثلاثة ، وغالبا مانشاهد الحوادث المصورة وقد عززت بكتابات مسمارية وهي تزين القسم الاعلى من اللوح . لقد نفذت اعمال سنحاريب للنحت البارز بشكل يطغى عليها المسحة الواقعية والاحساس بالمناظر الطبيعية المختلفة . وقد أدى هذا الاحساس كما يظهر الى ان ترك النحات الآشوري في بعض الأحيان طريقة تقسيم اللوح الى حقول ، بل استخدم اللوح بأكمله ليشغل مشهدا واحدا ، وخير مثال على ذلك موضوع نقل كتل احجار الثيران المجنحة الى نينوى وكذلك موضوع الحصار لمدينة لاخش في فلسطين.

ولأجل ارواء مدينة نينوى بالمياه عبر سنحاريب عن قدراته الكبيرة في انجاز مشاريع الري . فقد جلب اليها مياه نهر الكومل وعيون الماء من شمال نينوى ، وقد زين صدر هذا المشروع في موقع بافيان الذي يبعد ٦٠ كيلو مترا شمال نينوى بمنحوتات نحتت بالنحت البارز على كتف الجبل . اكبرها تلك التي ترتفع بمقدار ١٦ مترا وهي تصور سنحاريب بوضعيتين يواجه الالهة الآشورية الكبرى.

أما عن النحت البارز من زمن أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٨ ق. م) فاننا لم نحصل على منحوتات ذات مواضيع قصصية من هذه الحقبة ، غير ان علينا ان لانفترض ان مثل هذه المنحوتات قد أهملت ، فنضج وتطور فن النحت البارز القصصي في عصر خليفته آشور بانيبال يظهر بما لايترك اي شك في ان مثل هذه المحاولات كانت مستمرة في عصر أسرحدون . غير اننا لم نتوصل الى العثور على مثل هذه المنحوتات بسبب عدم قيام حفريات واسعة في القصرين الملكيين العائدين الى هذا العاهل في كل من نينوى (تل النبي يونس) والقصر الجنوبي الغربي في كلخو (نمرود) غير ان اهم مالدينا من منحوتات بارزة من هذه المرحلة هي مسلة تمثل أسرحدون واقفا بلباسه الرسمي يمسك باحدى يديه في آن واحد صولجانا وحبلين مرتبطين بأفواه عدوين له، في حين أشار بالأخرى الى رموز الآلهة الآشورية وقد عثر على هذه المسلة في مدينة سنجرلي بشمال سوريا وهي من مقتنيات متحف برلين.

وفي زمن آشور بانيبال تطور النحت البارز اكثر باتجاه المدرسة الواقعية مع ازدياد قدرة النحات في اظهار التأثير المطلوب في الحالات المختلفة ، وفضلا عن هذا فان الدقة واظهار التفاصيل الكثيرة في أشكال وهيئات الانسان والحيوان وحتى النباتات كانت واضحة على الواح هذه المرحلة ، واكثر من ذلك فان نحات آشور بانيبال قد تحسس اكثر من سابقيه بموضوع علم المنظور والابعاد . فقد اعطى أشكالا واحجاما متباينة ومتدرجة لصنوف من الأشجار في حديقة ملكية آشورية . كما وقد ظهر احساس النحات الآشوري في الواح آشور بانيبال باتجاه علم المنظور في محاولات عديدة.

ان التجارب الفنية في النحت البارز في عصر آشور بانيبال متعددة ومتشعبة ، فنرى مثلا ان





النحات قد قسم اللوح البارز الى أربعة حقول او اكثر بعد أن كان ثلاثة في زمن سلفه، كما نشاهده وقد ترك هذا الأسلوب في الواح أخرى ليشغل وجه اللوح بموضوع واحد. وذلك مانشاهده في الألواح القصصية التي كرّست لتخليد انتصار آشور بانيبال على العيلاميين وملكهم تيؤمان. فلقد أبرز النحات في هذه المرحلة التأثير الملحمي مُعَبِّرا وبشكل موفق ومؤثر عن تعابير مختلفة لأفراد الجيش العيلامي المندحر، اذ ظهرت على الجنود العيلاميين ملامح البؤس والخضوع، وهذا الأمر ان دل على شيء فهو بلا شك يدل على مرافقة الفنان للحملات العسكرية، الأمر الذي جعله دقيقا في التعبير وانجاز ماهو مطلوب.

لقد توّج آشور بانيبال انتصاراته على بلاد عيلام ودحره لملكهم تيؤمان في أحد المحوتات البارزة، حيث نرى هذا العاهل وزوجته آشور-شرات وهو يحتفل بانتصاره هذا في حديقته بنينوى تحت اغصان الكروم وأنغام الموسيقى، ولقد برع نحات آشور بانيبال ايضا بمواضيع الصيد وأشهرها تلك التي تمثل صيد الأسود المكتشفة بنينوى. فلقد طاردها واصطادها في كل مكان حتى أنه تابعها عبر مياه دجلة مما يدل على كثرتها في زمنه، ولقد اعطى النحات الواح الصيد حالة من الاستمرارية، اذ نشاهد الملك في بداية المشهد وهو يتسلم عدة الصيد والأسلحة المرتبطة بهذه الرياضة. فنرى انتهاء المشهد يختم بما يترتب من طقوس تتعلق بهذه الرياضة، وألواح الصيد هذه ترينا من الأسود ماهوميت وما هو جريح اومصاب ببعض السهام، على أن أقوى التعابير الفنية قد ظهر على مايعرف باللبوة الجريحة التي أصيبت بثلاثة سهام وهي تنازع انفاسها الأخيرة. ولم يقتصر موضوع الصيد على الأسود فقط بل هناك صيد الخيول الوحشية والغزلان.

## النحت المجسم الآشوري:

ان انشغال النحات الآشوري بمواضيع تزين الجدران بالنحت البارز قد أبعده كثيرا عن ممارسة اعماله في النحت المجسم، فلقد وصلت الينا اعداد قليلة من المنحوتات المجسمة عبر أزمنة الامبراطورية الآشورية، ولقد اعتنى النحات الآشوري بالمظهر الأمامي للتمثال، ولم يعط السمك الطبيعي المطلوب لعمله النحتي هذا. فمعظم القطع الآشورية بالنحت المجسم تبدو منبسطة من حيث السمك، ولعل السبب في ذلك كونها تشغل مواضع بجانب الجدران او انها كانت توضع داخل حنايا في تلك الجدران، فهي من هذه الناحية لم تصمم لتعرض في وسط فناء واسع ليشاهدها الناظر من جميع الجهات.

لقد أثمرت الحفريات في المواقع الآشورية عن تماثيل لآلهة وملوك آشوريين، فمن نماذج النحت المجسم للفترة القديمة من تاريخ النحت الآشوري لدينا تمثال سبق الكلام عليه وهو الاله الجبل من زمن الملك يسمخ- ادد، ومن امثلة النحت المجسم للفترة الوسيطة تمثال الملك اشور- دان الاول من البرونز، وقد مّر الكلام عنه ايضا. ومن هذه الحقبة ايضا لدينا تمثال السيدة العادلة (عشتار) فاقدة الرأس والأطراف من زمن الملك آشور- بيل كالا.

وهناك نماذج من النحت المجسم ممثلة بتماثيل من العهد الآشوري الحديث منها مايمثل العاهل الآشوري آشور ناصر بال الثاني، وابنه شيلمنصر الثالث، كما لدينا من زمن ادد- نيراري الثالث (٨١٠ - ٧٨٣ ق. م) عدد من التماثيل للاله نبو. وجميع النماذج المارة الذكر عثر عليها في كلخو (نمرود). ولقد أثمرت الحفريات في دور- شروكين (خرصباد) على تمثالين للاله ايا اله الماء كان كل يحمل اناء يتدفق منه الماء على جانبيه. وقد استخدما هذين





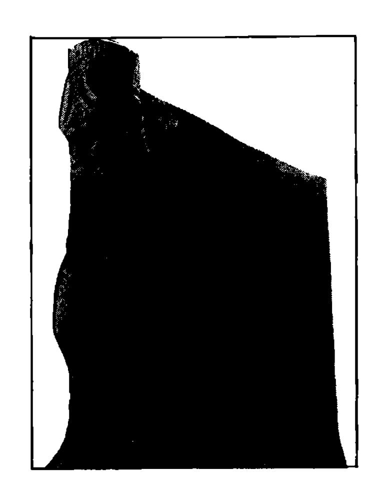
التمالين في الأصل كأعمدة لحمل بعض الفقرات العمارية في الأبنية ، كما كشفت الصدف في آشور عن تمثال لسيدة ترتدي عصابة وحزاما سميكا وهو ماترتديه النسوة المنشغلات بالموسيقى والغناء في الألواح الآشورية .

**المخلوقات المركبة في المداخل الآشورية :**

ترينا مداخل المباني الآشورية قطعا نحتية كبيرة قوامها مخلوقات مركبة عرفت باسم ''لاماسو'' عند الآشوريين. وتركيب هذه القطع الحارسة مكون من قوى بشرية وحيوانية نجح النحات الآشوري بدمجها بشكل منسق ، وكان لهذه المخلوقات الحارسة المركبة حسب اعتقاد العراقيين القدماء قابلية طرد الأرواح الشريرة التي قد تدخل المبنى عن طريق المداخل ، وتتكون هذه المخلوقات عادة من رأس انسان وجسم حيوان وجناحي طائر تعبيرا عن القوى ذات السيادة القصوى. فهي بهذا التركيب لها صفات مرتبطة بالعقائد والأساطير العراقية. فهي مقدسة فضلا عن انها تحمل صفة الآلهة بدلالة القرون التي تزين مقدمة تيجان رؤوسها.

لقد استخدمت هذه المخلوقات الحارسة لغرضين أساسيين : فهي من جهة ذات مضمون روحي ، اذ انها تطرد الأرواح الشريرة. وثانيا انها تخدم غرضا معماريا تزينيا في تلك المباني ، فهذه المخلوقات صممت بالاساس لكي تغلف جدران المداخل،فوجودها من هذه الناحية يكمل استمرار مواضيع المنحوتات الجدارية ذات النحت البارز في القصور الآشورية .

والمنحوتات الحارسة يشاهدها المرء قبل المرور عبر المدخل وهي تواجهه بهيئتها الصامدة وأرجلها الأمامية الثابتة . اما اذا سار المرء في رحاب المدخل فسيجدها وهي بحالة السير مما استوجب تزويدها برجل خامسة خدمة لهذا الغرض .



ثور مجنح كان يحرس احدى بوابات قصر سرجون في خرصباد.

**نماذج من المنحوتات الحارسة :**

يرينا قصر آشور بانيبال الثاني في نمرود عدة انواع من هذه المخلوقات المركبة . فهناك الثور المجنح والأسد المجنح. كما يشاهد بعض امثلة منها وهي مزودة بأيدٍ بشرية تحمل غزالا ، كما ان هناك نموذجا آخر وقد اضيفت اليه جسم سمكة على طول امتداد البطن وهو بلباس رأس فيه صفة الأسماك ايضا . ولقد استعملت الاسود غير المركبة ايضا في عهد آشور ناصر بال الثاني كما هو الحال في معبد نينورتا بنمرود. ويرينا مدخل معبد ايزيدا بنمرود ايضا زوج من مخلوقات مركبة قوامها صدر انسان وجسم سمكة ، اما الثيران المجنحة من خرصباد فبعض منها يدور برأسه نحو المشاهد وبعضها الآخر بالوضعية الاعتيادية .

**النحت على العاج (العاجيات) :**

يعد النحت على العاج من الفنون المرموقة في الشرق القديم ، اذ ارتبطت هذه الصناعة بما كان





يقتنيه الملوك والقادة، وخاصة بعض الملوك الآشوريين، ولقد انتشرت صناعة النحت على العاج انتشارا واسعا، فهذه الحرفة مرتبطة ارتباطا وثيقا بصناعة الأثاث الملكي. فالقطع العاجية التي عثر عليها في الحفريات كانت بلا شك عبارة عن وحدات وحشوات تزينية في الاثاث الخاص بالقصور الملكية، كالأسرة وكراسي العرش والعربات وبعض القطع والأدوات المستعملة في زينة النساء من الأميرات.

لقد استعمل الآشوريون أثاثا معظمه كان يجلب من الخارج، فالمنحوتات الآشورية ترينا العديد من قطع الأثاث وهي تقدم الى الملك افضل مايقدم من هدية او جزية. وتجدر الاشارة الى ان بعض القطع العاجية كانت تستعمل في عدة ورباط الخيل كتلك القطع التي تغطي جانبي عين الحصان او تلك التي تزين جبين او صدر الحيوان.

## المجاميع العاجية:

ان اكبر المجاميع العاجية التي اكتشفت في العراق هي تلك التي تم الكشف عنها في كلخو (نمرود)، وهي تقسم الى ثلاث مجاميع اساسية: الأولى تلك التي اكتشفت في حفريات القرن الماضي، والثانية التي تم العثور عليها من قبل البعثة الانجليزية المنقبة في نمرود برئاسة البروفسور ملوان، والثالثة هي المجموعة التي اكتشفت في البئر الواقعة في القصر الشمالي الغربي، وقد تم العثور عليها داخل ترسبات قعر البئر من قبل بعثة عراقية ارسلت لهذا الغرض في سنة ١٩٧٤.

لقد أثبتت الحفريات في نمرود انها أعطت اكبر مجاميع عاجيات عرفها العالم. وقد تم العثور عليها في اماكن معينة هي القصر الشمالي الغربي لآشور ناصر بال الثاني، وكذلك القصر المحروق وحصن شليمنصر. اما مجموعة العاجيات التي تم اكتشافها في البئر من قبل البعثة العراقية التي أشرنا اليها فتعد من أنفس القطع المعروفة ضمن مجموعة نمرود.

كما أظهرت التنقيبات في العاصمة الآشورية دور- شروكين (خرصباد) المشيدة من قبل الملك سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) مجموعة صغيرة.



قطعة من العاج من نمرود





**المدارس الفنية للعاجيات :**

تنحصر العاجيات في ثلاثة او اربعة طرز وأساليب فنية أساسية من حيث الصنعة والمواضيع وطريقة التنفيذ وهي كما يأتي :

١- الأسلوب الآشوري : وهي الطريقة التي الفناها في الألواح الآشورية الحجرية ، او تلك التي رسمت على الجدران.

٢- الأسلوب الفينيقي : وتظهر فيه عناصر فنية شائعة في النحت المصري وذلك من حيث المواضيع وطريقة التنفيذ.

٣- الأسلوب السوري : وفيه تظهر تأثيرات وعناصر فنية مستمدة من أصول حثية وآشورية آرامية .

٤- وكثيرا ما نشاهد عددا من الصفات والعناصر والمميزات الفنية وهي مختلطة بعضها مع بعض في عاجية واحدة مما يدعونا ان نكون حذرين في درج مثل هذه القطع العاجية ضمن أحد الأساليب التي ذكرناها . ولعلنا قد نصل في نهاية المطاف الى درج مثل هذه العاجيات ضمن أسلوب رابع لم نصل الى أركان مضامينه لحد الآن ، والأمر يتطلب وقتا ودراسة مقارنة لتمييز مثل هذا الأسلوب .

لقد أعطت مجاميع العاجيات في نمرود جميع الأساليب التي ذكرناها فهي اذاً من صنع اعداد من الفنانين ينتمون الى مدارس فنية مختلفة . ومن الجدير بالذكر ان نشير الى العاجيات المكتشفة في مدينة حماة بسوريا ، فهذه المدينة على مايظهر كانت مركزا من مراكز صناعة العاج ، فقد ورد اسم حماة مكتوبا على بعض العاجيات المكتشفة في نمرود.

ان مجاميع من العاجيات المنفذة بالأسلوب الفينيقي والسوري المكتشفة في كلخو لا شك انها جلبت في اثناء الحملات العسكرية في المناطق الغربية لبلاد آشور،كما ان الدلائل الآثارية من نمرود تشير بوضوح الى ان قسما غير قليل من العاجيات قد صنعه نحاتون جاءوا من المراكز الاصلية التي تميز بها كل من الأسلوب الفينيقي والسوري ، فالتنقيبات بنمرود أظهرت بعض الأدوات والأصباغ والمعاجين التي كانت تستخدم في هذه الصناعة .

**الهوامش :**

(١) صدرت بعض المقالات عن تل نمريك احداها مقالة بشكل تقرير لخمسة أعضاء من البعثة البولونية اولهم الاستاذ ستيفان كاورزسكي وهي صادرة عن :
Centre of Mediterranean Archaeology of the Warsaw University Kairo.
ومقالة اخرى منشورة في احدى اصدارات مديرية الآثار بعنوان : بحوث آثار حوض سد صدّام وبحوث أخرى سنة ١٩٨٧ .
Preneolithic site Nemrike, Stefan. K. Koziowsski and others. p. 8

(٢) Mallowan, Memoirs, Glasgow, 1977, p. 90.

(٣) انظر: "حضارة العراق"، تأليف: نخبة من الباحثين العراقيين، الجزء الرابع ، بغداد : ١٩٨٥ ، صفحة ٣٠- ٣١.

(٤) نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) نفس المصدر السابق ، صفحة ٤٦ ، ولأجل زيادة المعلومات يمكن الرجوع الى سومر، العدد ٣٢ (١٩٧٦)، ص ٤١- ٤٨ .

(٦) انطون مورتكات ، الفن في العراق القديم ، ترجمة : عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة الكتب الفنية ٣١ ، مطبعة الأديب ١٩٧٥ ، بغداد ، لوح ١٥٧ ، صفحة ١٨١ .

(٧) حضارة العراق (المصدر اعلاه)، صفحة ٥٧ ، ٥٨ ، لوح ٣٤.

(٨) نفس المصدر اعلاه، صفحة ٧٧ ، ٩٢.





# الموسيقى[1]

## في بلاد آشور

د. صبحي أنور رشيد

تكتسب بلاد آشور أهمية خاصة في تأريخ الموسيقى في وادي الرافدين،والسبب في ذلك يرجع الى ماياتي :

١ – ان أول معرفة لانسان العصر الحديث بموسيقى العراق القديم كان بوساطة الآلات الموسيقية الآشورية التي كشفت آثارها حفريات القرن الماضي في بلاد آشور، ونقلت الى متاحف بعض الدول الاوربية ، وأصبحت موضع اهتمام الباحثين ودراستهم.

٢ – ان أول ماكتب من مقالات وكتب عن موسيقى العراق القديم كان يدور حول موسيقى الآشوريين فقط . وقد بدأت هذه الكتابات منذ سنة ١٨٦٢ ، بصدور كتاب الباحث الألماني امبروس[١] . ثم صدر في سنة ١٨٦٤ كتاب كارل انكل[٢] الذي استنتج ان الالات الموسيقية الآشورية لم تكن بدائية أولية بل انها لابد أن تكون قد تطورت عن آلات موسيقية أقدم زمنا ، وتعود لأقوام سبقت الآشوريين.

٣ – ان أقدم الآثار الموسيقية التي خلفتها لنا أقوام العراق القديم قد عثر عليها في المنطقة الشمالية ، وهي تعود الى اواخر العصر الحجري الحديث (الألف السادس ق. م) حيث عثر في يارم تبة[٣] قرب تلعفر على صفارة فخارية ، وفي تبة كورا[٤] قرب الموصل عثر على عدة صفارات عظمية تعود الى العصر الحجري المعدني الأخير (٤٠٠٠ – ٣٥٠٠ ق. م) ووجدت احداها في قبر طفل كانت يده ماسكة بهذه الآلة النفخية ، وهذا الأثر هو أقدم أثر يثبت استعمال اطفال بلاد آشور في العراق القديم للآلات الموسيقية قبل غيرهم من شعوب الحضارات الأخرى في العالم القديم.

٤ – ان أقدم كتابة مسمارية حول تجنيد المغنين وارسالهم مع الحملات العسكرية قد جاءتنا من الملك الآشوري شمشي ادد الأول[٥] الذي عاصر الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق. م).

٥ – ان أقدم فهرس للأغاني في العراق القديم – وهو مدون على الطين بالخط المسماري وباللغة الأكدية – قد جاءنا من آشور[٦] العاصمة الاولى للآشوريين ، وهو يرجع في تاريخه الى حوالي (١١٠٠ ق. م).

٦ – ان أقدم وأول منحوتة جدارية تثبت استعمال الموسيقى والأغنية في قلب المعركة قد جاءتنا من نينوى ، وهي تعود الى الملك الآشوري آشور بانيبال[٧] .

٧ – ان أقدم اشارة تاريخية – بالكتابة المسمارية والنحت البارز – حول القيام بمسيرة في نينوى بمناسبة انتصار الجيش الآشوري على العدو العيلامي قد جاءت من نينوى[٨] بعد وصول الجيش الآشوري الى اعماق الأراضي العيلامية ، وقد قام آشور بانيبال مع جماهير شعبه بمسيرة في شوارع نينوى مع رأس الملك العيلامي وبعد انتهاء المسيرة احتفل الملك في حديقة قصره بهذه المناسبة على أنغام الموسيقى وأغاني النصر.





٨- ان النصوص المسمارية والآثار الأخرى التي جاءتنا من بلاد آشور قد أثبتت أصالة الموسيقى وعراقتها ووحدتها واستمرارها، وكذلك أصولها النظرية في العراق القديم عبر عصور تاريخه الطويل والسحيق في القدم.

ان التراث الموسيقي لبلاد آشور عبر العصور المختلفة لم يكن منعزلا ولا منفصلا عن التراث الموسيقي لعموم العراق القديم، بل كان متداخلا فيه ضمن وحدة التاريخ والحضارة، وهذا ماسوف نوضحه خلال معالجتنا للموضوع.

## مصادر المعلومات

ترتبط دراسة الموسيقى والبحث فيها في بلاد آشور بنتائج التنقيبات التي جرت فيها، لأن هذه التنقيبات هي التي زودتنا بالمادة التي مكّنت الباحثين والمختصين من كتابة تاريخ الموسيقى في ضوء الآثار، ويمكننا تقسيم مصادر المعلومات حول الموسيقى في بلاد آشور الى مايأتي:

### ١- الآلات الموسيقية الأصلية:

لقد كشفت التنقيبات في المدن والمستوطنات الواقعة في بلاد آشور عن بعض الآلات الموسيقية الأصلية القديمة التي استعملها وعزف عليها سكان بلاد آشور القدامى عبر العصور المختلفة. فمن تنقيبات البعثة الانكليزية في نمرود جاءتنا مجموعة من الآلات الموسيقية التي تدخل في صنف مايسمى بـ (الآلات المصوتة بذاتها) ومنها الصنوج المعدنية (جنجانات) والأجراس والمصفقات[٩]. وكل هذه الآلات الأصلية تعود الى العصر الآشوري الحديث (القرن التاسع/ الثامن ق. م) وهي محفوظة في المتحف البريطاني.

ومن آشور التي نقبت فيها بعثة المانية جاءتنا بعض الآلات الموسيقية التي كان الأطفال الآشوريون يستعملونها في حياتهم اليومية وألعابهم، وهي الخرخاشات، كما جاءنا من آشور جرس[١٠] برونزي ذو نقوش بارزة، وهذه الآلات من آشور هي الأخرى تعود الى العصر الآشوري الحديث.

وكشفت تنقيبات الهيئة العراقية في الحضر عن مجموعة من الأجراس المعدنية ذات الحجوم والأشكال المختلفة[١١]. وفضلا عن الآلات الموسيقية المذكورة من المدن المشهورة نمرود وآشور والحضر، فقد اظهرت التنقيبات في تبه كورا الواقعة على بعد (١٥ كم) شمال شرقي الموصل مجموعة من صافرات[١٢] عظمية كان الانسان القديم قد نقب على سطحها عدة ثقوب الأمر الذي مكّنه من اخراج الأصوات من هذه الآلة العظمية بعد النفخ فيها ووضع اصابعه على الثقوب. هذه الصافرات العظمية من تبه كورا تعود الى عصر العبيد (العصر الحجري- المعدني الأخير) في حدود ٤٠٠٠-

ان أحداث المكتشفات الأثرية الموسيقية في المنطقة الشمالية هي التي جاءتنا من تل يارم تبة (جنوب غربي تلعفر بنحو ٥ كم) حيث عثر في الطبقة التي تعود الى عصر حسونة (الألف السادس ق. م) على آلة نفخية وهي صافرة من الفخار[١٣] تعتبر لغاية يومنا الحاضر أقدم آلة موسيقية عثر عليها في العراق.

لقد ضاع الى الأبد الكثير من الآلات الموسيقية التي استعملها سكان بلاد آشور، وخاصة الآلات الوترية والايقاعية والنايات القصبية، والسبب في ذلك يرجع الى طبيعة المادة التي صنعت منها الآلات الموسيقية، وهي مواد سريعة التلف والتفسخ والانكسار والتأكسد، فضلا عن وجود هذه الآلات في باطن الأرض ووقوعها تحت ثقل وضغط ما فوقها من تراب وأحجار وأنقاض لبضعة آلاف من السنين.





### ٢- الكتابات المسمارية :

لقد زودتنا الكتابات المسمارية بأسماء الآلات الموسيقية وأسماء العازفين والمغنين والمصطلحات الموسيقية الخاصة بالابعاد الموسيقية للسلم الموسيقي وفهارس توثيقية للأغاني الآشورية مع ذكر المقام او السلم الذي تعود اليه الأغنية او الآلة الموسيقية التي تصاحب الأغنية عند الغناء، وهذه المعلومات وغيرها سوف نقف عليها بالتفصيل عند شرح كل عصر تعود اليه كتابة مسمارية تخص الموسيقى.

### ٣- نقوش الالآت الموسيقية :

هناك الكثير من المنحوتات والدمى والتماثيل والأختام والعاجيات وغيرها قد احتوت على نقوش تمثل مختلف الآلات الموسيقية وما يتعلق بالموسيقى، وعن طريق هذه النقوش أصبحنا نعرف الشيء الكثير عن الموسيقى في بلاد آشور، مثل : أصناف الآلات الموسيقية وأشكالها من آلات وترية وايقاعية جلدية ومصوتة بذاتها وهوائية وطريقة العزف ونوع الاداء الموسيقي، أهو منفرد ام ثنائي ام فرقة موسيقية صغيرة او كبيرة (اوركسترا)، وجنس العازفين رجالا أم نساء، والمناسبة والمكان الذي كانت تؤدي فيه الموسيقى مثل أرض المعركة او المعبد او الطبيعة او البيت، مثل مناسبة الانتصار على الأعداء والأعياد والمهرجانات والألعاب والمناسبات الدينية.

## الموسيقى عبر العصور

الموسيقى شاهد حي للحضارة، لأنها تستمر في الحياة والتطور وتحتل مساحة كبرى من الحياة اليومية، ولايمكن فصلها عن الشعوب وتاريخه. لهذا فان معالجتنا لهذا الموضوع ستكون طبقا لتسلسل العصور التي جاءتنا منها آثار موسيقية من بلاد آشور، وكما يأتي :

### العصر الحجري الحديث :

في الموسم الثاني من تنقيبات البعثة السوفياتية في يارم تبة تم في سنة ١٩٧٠ العثور في احدى غرف الطبقة الخامسة على آلة نفخية من الفخار صنعت بشكل أنبوب اسطواني يشبه (السيكارا) ينتهي طرف منه بشكل يمثل رأس خروف، ويحتوي هذا الاثر على عدة ثقوب منتظمة الامر الذي يشير الى استعماله كآلة نفخية اي صفارة[١٤]، وترجع أهمية هذا الأثر الى انه أقدم آلة موسيقية جاءت من أرض العراق واستعملها العراقيون الأقدمون في عصور ماقبل التاريخ، وعلى وجه التحديد في عصر حسونة (٥٦٠٠ ق. م) في المنطقة الشمالية، كما وان هذا الأثر هو أول أثر في العراق وأقدمه يرينا علاقة الحيوان بالآلة الموسيقية، هذه العلاقة نجدها قد ظهرت في العصور التاريخية اللاحقة عند السومريين والأكديين منذ عصر فجر السلالات الثالث (٢٥٠٠ - ٢٣٢٠ ق. م)، وأهمية هذا الأثر من الناحية الموسيقية بالنسبة لتاريخ الموسيقى في العراق القديم لم يشر اليها المنقب الذي نشر هذا الأثر.

### عصر العبيد :

في تنقيبات البعثة الامريكية (جامعة بنسلفانيا) التي جرت في الفترة (١٩٣١ - ١٩٣٨ في تبه كورا، تم الكشف عن بعض الآلات النفخية المعمولة من العظم لاستعمالها آلة نفخية اي صفارة، حيث لوحظ وجود ثقبين متجاورين في كل واحدة منها[١٥]. والجدير بالذكر ان احدى هذه الصفارات العظيمة قد وجدت داخل أحد قبور الأطفال حيث وجدت هذه الآلة النفخية في يد الطفل، وهذا الأثر من قبر الطفل هو أول أثر في العراق وأقدمه يثبت لنا استعمال أطفال العراق القديم للالآت الموسيقية في حدود (٤٠٠٠ -





٣٥٠٠ ق. م)، وهكذا كان العراقيون الأقدمون سباقون في تربية الأطفال موسيقيا، حيث لم يعثر بعد على آلات موسيقية للأطفال لدى الشعوب الأخرى في العالم القديم تعود الى مايعاصر نفس الفترة الزمنية في العراق.

**العصر الآشوري القديم:**

قامت هيئة من جامعة الموصل بالتنقيب في تل ابو ظاهر[١٦] منذ سنة ١٩٧٧، ويقع هذا التل الى الشمال الغربي من مدينة الموصل بمقدار ٨٦ كم وفي الموسم الأول للتنقيب تم العثور على مجموعة من دمى الطين كان من بينها دمية لقنفذ، ويبدو لنا أن دمية القنفذ هذه هي في الواقع خرخاشة أي من آلات الطفل الموسيقية، حيث سبق أن عثر على خرخاشات بشكل القنفذ من تل أسمر وتل حرمل وتلو[١٧]، وكانت تحتوي في داخلها على بعض القطع الحجرية الصغيرة التي ينشأ الصوت عند ارتطام بعضها ببعض او ارتطامها بالجدار الداخلي للدمية عند هزها باليد وخروج الصوت عن طريق الثقوب (الفتحات الصوتية) الموجودة في الدمية، ويعود تاريخ هذا النوع من الدمى الى العصر البابلي القديم (١٩٥٠ - ١٥٣٠ ق. م).

ومن بين الرسائل التي عثر عليها في ماري[١٨] والعائدة الى الملك الآشوري شمشي ادد الأول (١٨١٤ - ١٧٨٢ ق.م) الذي كان يعاصر جزئياً الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق. م) رسالة يطلب فيها الملك تجنيد بعض المغنين - ومنهم سن ايقيشام - وارسالهم مع الجيش، والغرض من هذا طبعا هو اثارة حماس المقاتلين بوساطة الموسيقى والأهازيج، وهذه الرسالة للملك الآشوري هي أقدم اشارة تاريخية لاستعمال الموسيقى في الجيش والمعركة.

**العصر الآشوري الوسيط:**

عثرت البعثة الألمانية خلال تنقيباتها في الفترة (١٩٠٣ - ١٩١٧) في مدينة آشور الواقعة الى جنوب الموصل بمسافة (١١٠ كم) على مشط من العاج، وقد نقش عليه مشهد مؤلف من أربعة أشخاص واقفين تتوسطهم نخلة في الوسط ويتجهون جميعا نحو اليسار، والأول منهم يعزف على آلة وترية تعرف باسم الجنك وفي اللغة السومرية باسم بالاك (BALAG) وبالانكليزية (Harp) ان حامل الأوتار في هذه الآلة قد كون زاوية عضد اتصاله بالصندوق الصوتي، ويلاحظ ان الأوتار النازلة من أعلى الى أسفل قد التفت حول حامل الأوتار وتدلت منه الى الأسفل. وهذه الآلة تختلف من حيث الشكل والتركيب وطريقة العزف وتدلي الأوتار الى الأسفل بعد التفافها حول حامل الأوتار لاتختلف عن الآلة البابلية من نفس النوع. اما من حيث تاريخ هذا المشط الآشوري ذي المشهد الموسيقي، فاننا نأخذ بالتاريخ الذي ذكره العلامة مورتكات[١٩] وهو القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهذا الأثر من آشور يثبت بوضوح استمرار الآلة البابلية (٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق. م) في العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠ - ٩١١ ق. م) مما يشير الى وحدة الالآت الموسيقية في عموم العراق القديم.

**فهرس الأغاني:**

وفي آشور ايضا تم الكشف عن لوح طيني مدون عليه بالكتابة المسمارية فهرس للأغاني الآشوية، ويرجع في تاريخه الى حدود سنة (١١٠٠ ق. م) وهو محفوظ في متحف الشرق الادنى ببرلين الديمقراطية، وقد نشره الباحث الألماني ابلينك[٢٠] سنة ١٩١٩. يحتوي هذا النص الآشوري على





الأبعاد والسلالم الموسيقية ، وكما يأتي :

٢٣ أغنية حب في سلم (مقام) ايشارتو أكدي .
١٧ أغنية حب في سلم (مقام) كيتمو.
٢٤ أغنية حب في سلم (مقام) امبوبو.
٤ أغنية حب في سلم (مقام) بيتو.
٠٠٠ أغنية حب في سلم (مقام) نيد كابلي .
٠٠٠ أغنية حب في سلم (مقام) كابليتو.
٠٠٠ مجموع ٠٠٠٠٠ اغنية حب أكدية .

ان نفس أسماء السلالم الموسيقية في هذا النص الآشوري المؤرخ في سنة (١١٠٠ ق. م) نجدها ايضا قد وردت وبنفس التسلسل في نص بابلي يعود الى سنة (١٨٠٠ ق. م) عثر عليه في اور[٢١].

ان الفارق الزمني البالغ (٧٠٠) سنة بين النص الآشوري من آشور والنص البابلي من اور، يثبت ايضا اصالة أصول الموسيقى النظرية واستمراريتها ووحدتها في العراق من الشمال الى الجنوب وعبر أزمنة طويلة .

## العصر الآشوري الحديث :

### الالآت الوترية :

استعمل الآشوريون في العصر الآشوري الحديث (٩١١- ٦١٢ ق. م) جميع انواع الآلات الوترية التي كانت مستعملة عند البابلين في العصر البابلي القديم ، وعند الأكديين ، ولكننا نلاحظ في الالآت الوترية الآشورية مايأتي :

١- وجود التطور في صناعة الآلة الآشورية .
٢- وجود آلات وترية بدائية ومتباينة في الشكل ، وهي تعود الى شعوب الأقطار التي ضمها الآشوريون الى امبراطوريتهم . وهذا ماسوف يتضح عند شرح الالآت الوترية الآشورية الآتية :

### الجنك (Harp) :

في العاصمة الآشورية كلخو، تم العثور في القصر الشمالي الغربي على عدة منحوتات جدارية كانت تزين جدران القصر، وهي تحمل نقوشا بارزة تمثل مختلف المواضيع الدينية والعسكرية والحياة اليومية للملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣- ٨٥٩ ق.م). ومن هذه المنحوتات الجدارية الكبيرة التي عثر عليها في قاعة العرش تلك المنحوتة التي يبلغ ارتفاعها



جوقة موسيقية اشورية

(١,٢٦ م) وهي تحدثنا بلغة صامتة عن حملات الملك العسكرية والاحتفال بالانتصارات . في هذه المنحوتة التي نقلت الى المتحف البريطاني والمؤلفة من عدة قطع وثق النحات الآشوري انتصار الملك آشور ناصر بال الثاني . يتألف المشهد من عازف على الدف المستدير واثنين من العازفين على آلة الجنك الزاوي[٢٢] . والصندوق الصوتي لهاتين الآلتين طويل وقسمه الخلفي اكبر من القسم الأمامي ، وقد تعامد حامل الأوتار مع الصندوق الصوتي مكونا معه زاوية قائمة . صنع حامل الأوتار في هاتين الآلتين بشكل ذراع ينتهي في الاعلى بشكل كف الانسان ، وهذا تجديد في صناعة الآلة لم يكن معروفا سابقا عند البابليين وغيرهم ، والمضارب الطويلة التي يستعملها العازف الآشوري على هذه الآلة الوترية هي الأخرى من التجديدات

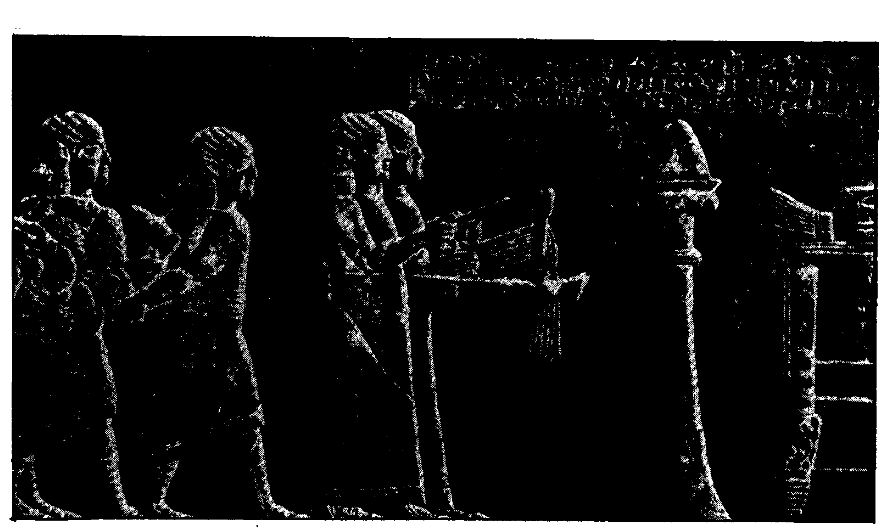




التي ادخلها الآشوريون في الآلات الوترية ، حيث لم تكن معروفة قبل الآشوريين ، وتحتوي الآلة موضوعة البحث على (٨) ثمانية أوتار ويستعمل العازف المضارب الطويلة . وقد حمل العازف آلته الموسيقية على الجانب الأيسر من جسمه بواسطة نطاق ويسندها بذراعه الأيسر.

وفي قاعة العرش (B) من القصر الشمالي الغربي للملك آشور ناصر بال الثاني عثر على منحوتات جدارية نقشت عليها بالنحت البارز مشاهد تمثل الملك في مرحلتين هما مطاردته للاسود والثيران البرية وصيده للاسود اولا ، ثم الاحتفال بصيد الملك للأسود وقيامه بأداء الشعائر الدينية ثانيا ، يساهم في الاحتفال بها الثنائي الوتري الذي يقدم للملك الألحان المناسبة لهذه المناسبة والطقوس. والآلة التي يستعملها الثنائي الموسيقي هنا هي آلة الجنك الزاوي وهي لاتختلف من حيث الشكل والتركيب وطريقة العزف عن الآلة في المنحوتة السابقة الا في شيء واحد وهو التفاف الأوتار حول حامل الأوتار وتدليها الى الأسفل. والواقع ان تدلي الأوتار الى الأسفل بعد لفها حول حامل الأوتار هو أمر كان معروفا ومستعملا في العصر البابلي القديم ، . اي قبل العصر الآشوري الحديث ، كما أثبتت ذلك الآثار الموسيقية من مدينة لارسا في القسم الجنوبي من العراق ، ومن نفر قرب عفك بمحافظة القادسية ، ومن تل أسمر بمنطقة ديالى[٢٣] . ويتضح من هاتين المنحوتتين العائدتين الى الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣- ٨٥٩ ق. م) وجود آلات الجنك الزاوي التي تتدلى اوتارها الى الأسفل بعد التفافها حول حامل الأوتار جنبا الى جنب مع آلات الجنك التي تتوقف اوتارها عند شدّها حول حامل الأوتار اي دون ان تتدلى الى الأسفل ، وهاتان الطريقتان أنفسهما كانتا متبعتين في الالات العائدة الى العصر البابلي القديم ، وهذا شاهد آخر على استمرارية الالات الموسيقية ووحدتها في عموم العراق القديم من شماله الى جنوبه عبر العصور الطويلة .

وفي منحوتة جدارية أخرى من القصر الشمالي الغربي للملك آشور ناصر بال الثاني في نمرود[٢٤] نشاهد الملك في مركبته وهو يطارد ويصيد الثيران البرية ، وبعد انتهاء الصيد يحتفل الملك بهذه



جزء من منحوتة جدارية من الرخام من القصر الشمالي لآشور بانيبال في نينوى.





المناسبة على انغام الموسيقى التي يقدمها الثنائي الوتري المؤلف من آلتي الجنك، والآلتان في هذه المنحوتة لاتختلفان في شيء عن الآلتين في المنحوتة السابقة الخاصة بالاحتفال بصيد الاسود.

ومن عهد الملك شيلمنصر الثالث وجد هرمز رسام سنة ١٨٧٨ صفائح من برونز كانت تكسو ابواب قصر الملك المذكور الذي شيدّه في امكور-بيل (امكور- انليل Imgur – Enlil) (واسمها الحالي بلوات التي تبعد حوالي ١٥ كم عن مفرق الطريق المؤدي الى نمرود).

ومن عهد الملك سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق. م) بن سرجون الثاني جاءتنا من نينوى منحوتتان جداريتان نقشت عليها آلة الجنك. ففي الاولى وثق الفنان الآشوري الذي لانعرف اسمه هجوم الجيش الآشوري على أرض عدوه وقيام المقاتلين الآشوريين بقطع أشجار النخيل لحرمان العدو من مادتها الغذائية وقف شخصان يعزف كل واحد منها على آلة الجنك الزاوي، والواقع أنه في الرسم التخطيطي[٢٦] لهذه المنحوتة الذي نشر في سنة ١٩١٥ لاتظهر بصورة واضحة تفاصيل الآلتين



من مشاهد انتصار شيلمنصر الثالث على الاعداء

وتخلد هذه المشاهد الانتصارات التي حققها الملك الآشوري، ويشارك فيها الثنائي الوتري بما يقدمه من عزف وغناء للملك المنتصر[٢٥]. اما بخصوص الآلتين الوتريتين المستعملتين هنا فهي عبارة عن الجنك الزاوي (angular harp) الاّ انها تختلفتان قليلا عن بعض آثار والده آشور ناصر بال الثاني، حيث ان حامل الأوتار فيها قصير، وينتهي في اعلاه بشكل يمثل كف الانسان، كما ان الأوتار تتوقف عند حامل الأوتار اي بدون ان تتدلى الى الأسفل. اما طريقة العزف ومسك الآلة واسنادها باليد اليسرى للعازف فهي لاتختلف عن الآثار السابقة العائدة الى والده.

الوتريتين، لذا لايمكن وصفها بالتفصيل.

اما المنحوتة الثانية من نينوى والعائدة للملك سنحاريب فان المشهد المنقوش عليها يمثل فرقة سباعي الوتريات والايقاع[٢٧] في هذه الفرقة الموسيقية يوجد (٤) عازفين على آلة الجنك الزاوي التي لاتختلف في شيء عن الآلات المنقوشة على منحوتة نمرود التي تمثل الملك آشور ناصر بال الثاني، وهو يطارد الاسود والثيران ويصطادها، وقد شرح ذلك. ويتراوح عدد أوتار الالآت في منحوتة سنحاريب من نينوى مابين (٨) و (٩) أوتار. ونلاحظ على العازفين على هذه الآلات أن اثنين منهم بدون لحية، وقد وضعا فوق رأسيها قبعة

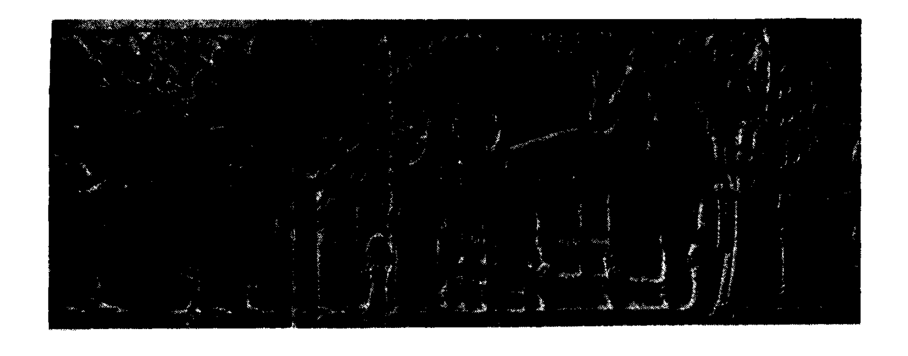




طويلة ذات نهاية ضيقة شبيهة بذنب السمكة ، هذا النوع من لباس الرأس نشاهده في منحوتات آشورية أخرى يستعمله احد الكهنة الذي يقوم باداء بعض الطقوس الدينية ، واستنادا الى هذا نرى ان هذين العازفين في منحوتة سنحاريب هما من الكهنة الموسيقيين. اما الآلات الايقاعية الموجودة في هذه الفرقة فهي الدفوف التي سنعالجها في مكان آخر خاص بالالآت الايقاعية الجلدية .

وتدلي اوتارها الى الأسفل وانتهاء القسم العلوي من حامل الأوتار بكف الانسان عن الالات التي شاهدناها في منحوتات آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣- ٨٥٩ ق. م) وعصر سنحاريب (٧٠٤- ٦٨١ ق. م) وهذا يثبت استمرار صنع الآلة وتواصله والعزف عليها خلال مايزيد على المائتين سنة عند الآشوريين.

والمنحوتة الثانية هي من عهد الملك آشور بانيبال ، وفي المشهد المنحوت عليها بالنحت البارز



منحوتة جدارية تصور اشور بانيبال وزوجته يحتفلان بالانتصار.

ومن عهد الملك آشور بانيبال (٦٦٨- ٦٢٦ ق. م) جاءتنا من نينوى (٤) منحوتات جدارية ترينا العزف على آلة الجنك الآشورية[٢٨] . ففي القصر الشمالي عثر على منحوتة جدارية يظهر فيها عازف منفرد على آلة الجنك الزاوي ومعه مغن وقف الى يساره والآلة الوترية هنا لاتختلف من حيث الشكل والتركيب وطريقة حملها والعزف عليها ، نشاهد ثلاثي الوتريات والهوائيات المؤلف من آلة الكنارة وآلة الجنك الزاوي والمزمار المزدوج ، وتختلف آلة الجنك هنا عن نفس الآلة في المنحوتات الأخرى السالفة الذكر من حيث تقوس القسم الخلفي للصندوق الصوتي ، كما وان العازف يحملها بوضعية يمتد فيها الصندوق الصوتي امام العازف من اعلى الى اسفل ، اما حامل الاوتار فانه في وضع





افقي، والعازف هنا لايستعمل المضراب الطويل، بل يستعمل أصابعه مباشرة في العزف على هذه الآلة الوترية. ويلاحظ على امتداد حافة الصندوق الصوتي وجود زخرفة قوامها النقط وهي تدل على المسامير التي استعملت لتثبيت الجلد على الصندوق الصوتي. والواقع ان طريقة العزف على هذه الآلة بوضعية امتد فيها الصندوق الصوتي امام العازف من اعلى الى أسفل والتي تختلف عن الأمثلة المذكورة قبلها كانت مألوفة عند البابليين في العصر البابلي القديم.

والمنحوتة الثالثة من عهد الملك آشور بانيبال تحتوي على مشهد يمثل فرقة موسيقية كبيرة (اوركسترا) مؤلفة من (١١) عازفا، سبعة منهم يعزفون على آلة الجنك الزاوي المحمولة بوضعية امتد فيها الصندوق الصوتي من أعلى الى أسفل وبينهم عازف واحد فقط حمل آلته بطريقة أخرى بحيث أصبح الصندوق الصوتي فيها بوضع افقي وحامل الأوتار يمتد من أعلى الى أسفل. وهناك اثنان من العازفين على الناي المزدوج وعازف واحد على الطبل الصغير (طبل الجنب) والواقع ان هذه الفرقة هي جزء من الموضوع الرئيسي للمنحوتة والذي يمثل انتصار الجيش الآشوري الذي ارسله الملك آشور بانيبال سنة (٦٥٣ ق. م) لمحاربة العيلاميين، حيث انتصر عليهم ودخل الى الشوش (سوسة). وهنا نرى من الضروري ان نمر على موضوع نظام توزيع الالات الموسيقية المختلفة في الفرقة الكبيرة (الاوركسترا) فنقول ان نظام الموسيقار بيتهوفن - وهو المتبع حتى الوقت الحاضر بصرف النظر عن تفاوت عدد العازفين - يقوم على وضع الآلات الوترية في المقدمة وتليها آلات النفخ الخشبية في الوسط ثم تأتي خلفها وفي المؤخرة الالات الهوائية النحاسية والآلات الايقاعية، وذلك لقوة أصواتها. وفي الفرقة الموسيقية المنقوشة على منحوتة الملك آشور بانيبال نرى ان طبل الجنب هو في مؤخرة الفرقة وعازفي الناي واحد منها في الوسط والآخر هو الثاني من الامام، وهنا يتجلى الاخلال بنظام توزيع الالآت الموسيقية في هذه الفرقة، وفي رأينا ان السبب في هذا الاخلال لايعود الى الموسيقيين بل الى النحات الذي نقش هذا المشهد لعدم معرفته بنظام توزيع الآلات في الفرقة الموسيقية، ويمكن مقارنة ذلك مع اخطاء بعض الفنانين التشكيليين المعاصرين الذين يقومون بنحت او رسم قطعة فنية لها علاقة باالآلات الموسيقية حيث وقف بعض الموسيقيين عندنا فورا على أخطاء الفنانين



منحوتة جدارية من قصر سنحاريب في نينوى - ثلاثة من الاسرى يعزفون -





التشكيليين فيما يخص طريقة مسك الآلة والعزف عليها ومكانها في الفرقة وغير ذلك من النقاط.

هذا وفضلا عن الفرق الموسيقية التي تتقيد بنظام توزيع اماكن الآلات، فهناك فرق غير مقيدة لا من حيث العدد ولا من حيث نوع الآلة مثل الفرق الشعبية وفرق الجاز وفرق الأطفال. ياترى هل الفرقة الموسيقية الكبيرة في المنحوتة موضوعة البحث هي على غرار الفرق الثلاث الأخيرة ام انها على العكس كانت مقيدة بنظام معين فيما يخص توزيع اماكن الآلات الموسيقية حسب اصواتها؟ هذا السؤال لايمكن تقديم اجابة قاطعة وشافية له في الوقت الحاضر لعدم وجود نصوص كتابية وآثار أخرى تساعدنا في هذا الموضوع.

وفضلا عما تقدم فان لهذه المنحوتة الآشورية أهمية خاصة حيث انها ترينا لأول مرة وبكل وضوح مايسمى بموسيقى الالات والموسيقى الغنائية والكورال المتعدد الأصوات. فخلف الفرقة الموسيقية الكبيرة تسير فرقة الانشاد المؤلفة من أصوات مختلفة الطبقات هي أصوات الأطفال والنساء والرجال.

ان هذه المنحوتة الآشورية من عهد الملك آشور بانيبال (٦٦٩ ق.م) تقدم البدايات الاولى لتكوين الاوركسترا، وكذلك لأصول موسيقية فنية عرفت بمصطلحات خاصة في اوربا نذكر منها:

Heterophonie, heterophony.

Mehr Klang, polyphony.

Bordun, bourdon, drone.

والمنحوتة الرابعة من عهد الملك آشور بانيبال هي التي عثر عليها في القصر الشمالي، ويمثل الموضوع المنقوش عليها بالنحت البارز احتفال الملك بمناسبة انتصاره على عدوه الملك العيلامي. يتقدم هذه الفرقة الموسيقية عازف على آلة الجنك الزاوي الذي يستعمل أصابعه مباشرة في العزف على أوتارها.

يتضح من استعراض الأمثلة اعلاه الخاصة بآلة الجنك في بلاد آشور في العصر الآشوري الحديث (٩١١- ٦١٢ ق. م) ان الآلة الآشورية تشبه الآلة البابلية التي كانت سائدة في العصر البابلي القديم من حيث الشكل وطريقة تركيب الآلة ومسكها في اثناء العزف بصورة أفقية وعمودية وطريقة استعمال المضارب والأصابع في العزف، وكذلك تدلي الأوتار الى الأسفل بعد لفها حول حامل الأوتار او توقف الأوتار عند منطقة شدّها حول حامل الأوتار دون ان تتدلى الى الأسفل. اما التطورات والاختلافات التي طرأت على آلة الجنك الآشورية، فهي زيادة عدد الأوتار حيث اصبح العدد في الجنك العمودية يتراوح بين ١٥- ٢٢ وترا، وفي الجنك الأفقية كان عدد الأوتار يتراوح بين ٨- ١٢ وترا. وأصبح حامل الأوتار في الجنك الآشورية ينتهي في الأعلى بهيئة كف الانسان اما في الجنك البابلية- وهي الأقدم- فكان حامل الأوتار ينتهي ببروز مدور يشبه رأس المسمار.

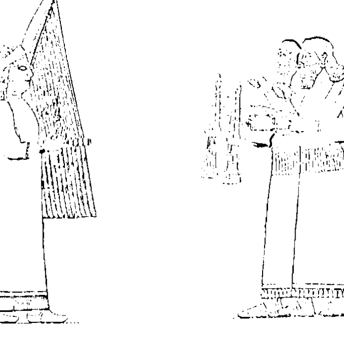
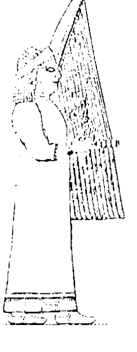
**الكنارة:**

تحتوي بعض المنحوتات الحجرية والأواني الفخارية المزججة والأختام الاسطوانية والمنبسطة وغيرها والتي يرجع تأريخها الى العصر الآشوي الحديث، على مشاهد منقوشة تضم فيما بينها انواعا مختلفة من الآلة الوترية المعروفة باسم كنارة وهي كلمة عربية ترجع في أصلها واشتقاقها الى الكلمة البابلية كناروم التي اقتبستها اللغة المصرية القديمة بصيغة (كنر kenner) واللغة العبرية بصيغة (كنور kennor) واللغة الآرامية بصيغة (كنيرا ken- nyra)[٢٩].

في منحوتة جدارية تعود الى زمن الملك سنحاريب (٧٠٤- ٦٨١ ق. م) عثر عليها في





عازفة اشورية



جوقة موسيقية اشورية

نينوى قام النحات الآشوري بتوثيق احدى حملات الملك سنحاريب على فلسطين واخضاعه مملكة (يهوذا) في سنة (٧٠١ ق. م)، وكان من ضمن المشهد المنقوش على المنحوتة الجدارية فرقة موسيقية مؤلفة من الثلاثي الوتري[٣٠]. والآلة الوترية عبارة عن كنارة بدائية صغيرة تأبطها العازف تحت ابطه الأيسر بصورة مائلة، ويخرج من صندوقها الصوتي الى الاعلى الذراعان الجانبيان المتفاوتان في الطول وتزداد المسافة مابينهما كلما زاد ارتفاعهما الى الاعلى لغاية اتصالهما بحامل الأوتار. وقد نجم عن اختلاف طول الساقين الجانبيين ميلان حامل الأوتار العلوي وأدى هذا الى اختلاف طول الأوتار الخمسة التي تحتوي عليها كل كنارة في هذا الأثر. لقد أجاد الفنان الآشوري في هذه المنحوتة في ايضاح وابراز الفرق الكبير بين الآلة الآشورية وبين الآلة العائدة للأقوام الأخرى التي دخلت في رقعة الأمبراطورية الآشورية ومنهم اليهود الذين نشاهدهم في منحوتة سنحاريب.

ومن نمرود جاءتنا دلاية ذات سلسلة ذهبية عثر عليها في قبر وجد في احدى غرف القصر الشمالي الغربي[٣١]. ويعود هذا القبر- كما يذكر المنقب مالوان- الى احدى الاميرات الآشوريات من زمن الملك أسرحدون (٦٨١- ٦٦٩ ق.م). ويمثل المشهد المنقوش على هذه الدلاية شخصين يقفان الى شجرة الحياة وهما يعزفان على المزمار حسب رأي المنقب مالوان ونحن لانتفق معه في هذا الوصف، لأننا نرى في هذا الثنائي الموسيقي ثنائي الكنارة (آلة وترية) والناي المزدوج، وقد توسطت بينهما مبخرة وليست شجرة الحياة حيث ان الخطوط الموجودة في الاعلى تمثل السنة النار الخارجة من ثقوب غطاء المبخرة على غرار ماهو موجود في بعض المشاهد الآشورية التي جمعت بين الموسيقى والمبخرة، الأمر الذي يشير الى مناسبة دينية.

في نينوى، وفي نفس القاعة عثر على منحوتة الثلاثي الوتري والهوائيات المؤلف من الكنارة





والجنك والناي المزدوج[٣٢] . وتمتاز الكنارة هنا بأن ذراعيها الجانبيين غير مستقيمين بل يخرجان من الصندوق الصوتي ويسيران الى الأعلى بصورة مائلة ومحدبة وينتهيان عند اتصالها بحامل الأوتار بانحناء صغير يشبه الشكل الحلزوني ، كما ان حامل الأوتار هو الآخر غير مستقيم بل مقوس ويتجه طرفاه الى الاعلى ونحو الخارج ، ويتأبط العازف هذه الكنارة تحت أبطه الأيسر بحيث اصبحت في وضعية مائلة ويعزف عليها بواسطة مضراب صغير مسكه العازف بين أصابع يده اليمنى ، وتظهر في هذه الكنارة (٥) خمسة اوتار تنتهي عند النهاية السفلى للصندوق الصوتي ، ان تقوس حامل الأوتار قد أدى الى الاختلاف في طول الأوتار، فالوتر الأول القريب من الطرف الأيسر المتجه الى الاعلى هو أطول الأوتار، أما الوتر الخامس فانه اقصر الأوتار، وهذا التباين في طول الأوتار يؤدي ولا شك الى اختلاف الأصوات. ويقارن شتاودر[٣٣] ، هذه الكنارة بكنارة منقوشة على قطعة فينيقية عثر عليها في مدينة (مجدو) ويتأبطها العازف ايضا تحت ابطه الأيسر بصورة مائلة ويقول انه على الرغم من أن القطعة الفينيقية تنم عن تأثير مصري الاّ أنّه يستبعد التأثير المصري في كنارة (مجدو) وينتهي الى القول بأنها قد تطورت من الكنارة البابلية .

ومن عهد الملك آشور بانيبال ايضا جاءتنا منحوتة أخرى من نينوى عثر عليها في القصر الشمالي ، ونقلت الى المتحف البريطاني[٣٤] . ويمثل المشهد المنقوش عليها الثنائي الوتري المؤلف من عازف الكنارة وعازف الجنك اللذين يعزفان في حديقة القصر الملكي وبالقرب منها أحد الاسود ، والكنارة في هذا الأثر تكاد تشبه في شكلها العام الكنارة في المنحوتات السابقة سوى انها تختلف في طريقة تثبيت النهايات السفلى لأوتارها ، حيث انها تنتهي عند الحافة العليا للصندوق الصوتي ، اما في الأثر موضوع البحث فان الأوتار فيه تنتهي عند النهاية السفلى للصندوق الصوتي .

والمنحوتة الثالثة من عهد الملك آشور بانيبال والتي عثر عليها في نينوى ونقلت الى متحف اللوفر بباريس هي التي يمثل موضوعها تفاصيل معركة حربية بين الجيش الآشوري وجيش العدو[٣٥] . وكان من ضمن تفاصيل هذه المعركة التي وثقها النحات الآشوري بكل دقة وتفصيل استعمال الموسيقى والأغنية في قلب المعركة . ففي الشريط العلوي الأول من هذه المنحوتة الجدارية الكبيرة نشاهد مرحلة الاحماء للمقاتلين الآشوريين فهم يصفقون في اثناء زحفهم استعدادا لبداية الهجوم والاشتباك مع العدو والشريط الثاني نشاهد فيه رجلا واقفا بين فرسين يقودهما ، وبجانب هذا وقف رباعي الوتريات والايقاع الذي انقسم الى صفين متقابلين. في الصف الأيمن عازفان الأول على الكنارة ، والثاني على الصنوج المعدنية (جنجانات ، كوسات) اما الصف المقابل فيتألف من عازف الدف المستدير الكبير (فرهر) وعازف الكنارة ، وقد عبّر النحات الآشوري عن حركة هؤلاء الموسيقيين الأربعة في اثناء العزف والغناء بوساطة نحته كعوب أقدامهم مرتفعة عن سطح الارض. وهذه الحركة الجسمية للعازفين قد نتجت من الاثارة والاندماج والحماس الذي طغى عليهم في اثناء العزف والغناء وهم بهذا يثيرون ايضا حماس واندفاع المقاتلين الآشوريين ، وفي النصف الأسفل من هذه المنحوتة نشاهد المحاربين الآشوريين من الصنوف العسكرية المختلفة في قلب المعركة وفي اثناء الاشتباك مع مقاتلين من جيش العدو، ونحن نرى ان وقوف شخص يقود فرسين قرب الفرقة الموسيقية هو في الواقع لتأمين نقل الفرقة الموسيقية الرباعية ووصولها الى مكان آخر من أرض المعركة للقيام بتقديم الموسيقى والأهازيج الوطنية الحماسية لاثارة حماس واندفاع المقاتلين الآشوريين.





وفرقة الموسيقى العسكرية هذه قد استعملت (٣) أصناف من الالآت الموسيقية هي :
١- الآلات الوترية الممثلة بشكلين من أشكال الكنارة.
٢- الآلات الايقاعية الجلدية ممثلة بالدف المستدير.
٣- الآلات المصوتة بذاتها ممثلة في الصنوج المعدنية.

ان وجود الآلات الوترية في فرقة موسيقى الجيش يشير في رأينا الى استعمال الغناء والأهازيج في المعركة لأن الآلات الوترية هي آلات لحنية وصوتها ليس عاليا ولا مرعبا ولا يدخل الخوف الى العدو وحيواناته. والواقع ان جميع هذه الالآت الموسيقية التي ذكرناها في هذه المنحوتة الآشورية كانت مستعملة في العراق القديم عند الأقوام التي عاشت قبل الآشوريين مثل البابليين والأكديين والسومريين، الاّ ان آثار هذه الأقوام لم تصور لنا بعد استعمال نفس هذه الآلات في الحرب بل في مناسبات وأغراض أخرى. لذا فان هذه المنحوتة الآشورية في متحف اللوفر تكتسب أهمية خاصة في تأريخ الموسيقى لانها أول وأقدم شاهد أثري يثبت بالصورة المنحوتة أصالة الموسيقى وعراقتها وقدم استعمالها مع الأغنية في قلب المعركة من قبل الآشوريين الذين سبقوا أقوام حضارات العالم القديم في هذا المجال.

هذا وهناك آثار موسيقية أخرى لآلة الكنارة لايمكن تحديد تاريخها بزمن ملك معين الاّ انها تعود بصورة عامة الى العصر الآشوري الحديث (٩١١- ٦١٢ ق. م). وهذه الآثار هي : كسرة فخارية مزججة عثر عليها في آشور[٣٦] وهي تحتوي على مشهد ديني يشترك فيه عدة أشخاص ومنهم عازف الكنارة الذي تابطها تحت ابطه الأيمن بصورة مائلة. ومن آشور ايضا جاءتنا كسرة فخارية مزججة من العصر الآشوري الحديث لم يبق من مشهدها سوى جزء من قرص في داخله نجمة ويتجه اليها رجلان يعزفان على الكنارة، ويحمل العازف الأمامي كنارته امامه بصورة عمودية حيث تتجه الأوتار من اعلى الى أسفل، والصندوق الصوتي لهذه الكنارة مستطيل وصغير الحجم وبسيط خال من كل زخرفة، وقد خرج منه الى الاعلى وبصورة متوازية الذراعان الجانبيان المتصلان بحامل الأوتار الموازي للصندوق الصوتي وقد برز طويلا عن الذراعين الجانبين من جهة الامام. اما الأوتار القليلة لهذه الآلة فقد نزلت من حامل الأوتار الى الأسفل بصورة متوازية وانتهت نهاياتها السفلى عند الحافة العليا للصندوق الصوتي. اما الكنارة الثانية في هذا الأثر فان النهايات السفلى لأوتارها قد شدّت في الحافة السفلى للصندوق الصوتي اي بعكس الكنارة الاولى من نفس الأثر.

ويتضح من هذا العرض السريع للكنارات الآشورية وجود اشكال مختلفة لهذه الآلة، فهناك كنارات متطورة وجيدة التركيب والصنع وأخرى بدائية أولية. وترجع هذه الظاهرة الى وجود أقوام عديدة مختلفة في الدم واللغة والاصل العرقي دخلت حكم الاشوريين. اننا لم نجد في العصر الآشوري الحديث اية آلة موسيقية اجنبية تعود للاقطار المغلوبة التي ضمها الآشوريون ليس لها مثيل او ند في ارض العراق القديم، بل على العكس ان الآلات الموسيقية للشعوب التي ضمتها الدولة الآشورية هي آلات بدائية وأولية بسيطة وليست جديدة بالنسبة للآشوريين، كما وانها لم تؤثر بأي شكل من الأشكال على الآلات الموسيقية الآشورية.

**العود :**

جاءتنا آلة العود منقوشة على منحوتة جدارية تعود الى زمن الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-





٨٥٩ ق. م) وقد عثر عليها في نمرود[٣٧] تحتوي هذه المنحوتة على مشهد كبير نشاهد فيه تقديم أسرى العدو الى الملك الآشوري المنتصر وهويقف امام مقصورته الملكية، ويشارك في هذه المناسبة السارة عازف العود واثنان متنكران بزي الحيوان ويقومان بالرقص على أنغام العود، والصندوق الصوتي للعود صغير ومدور الشكل وله عنق (زند) طويل وقد تدلى من طرفه العلوي مايشير الى الأوتار. والعازف مسك عوده بوضعية أصبح فيها عنق العود مائلا ومتجها الى الاعلى وهي نفس الوضعية التي بدأت في العراق في العصر الكشّي (القرن ١٦ – ١٢ ق.م).

## الالآت الايقاعية الجلدية

**الطبل:**

تنوع شكل الطبل وحجمه عند الآشوريين عما كان عليه عند السومريين،اي ان الآشوريين قد ابتكروا اشكالا جديدة من الطبل لم تكن معروفة قبلهم عند الأقوام الأخرى من سكان العراق القديم او الأقطار الأخرى. والى هذه الطبول التي ظهرت عند الآشوريين لأول مرة، ترجع بعض أشكال الطبول الحديثة المعروفة باسم (طبل الجنب) او (التم تم) او (الكونكاز).

وآثار الطبول الآشورية عثر عليها في نينوى ونقلت الى المتحف البريطاني، فالطبل المعروف باسم (طبل الجنب) نجده في المنحوتة الجدارية التي تعود الى زمن الملك آشور بانيبال (٦٦٨– ٦٢٦ ق. م) والطبل المنحوت هنا هو صغير الحجم اسطواني الشكل وقد حمله العازف الى الامام وهو يقرع عليه بكفيه[٣٨]. ويعتقد شتاودر[٣٩] ان هذا الطبل يحتوي على جلد من الجانبين وان الدوائر المنقوشة في القسم العلوي من الطبل تشير الى المسامير المستعملة في تثبيت الجلد على اطار الطبل.

اما فريدريش بين[٤٠] فيعتقد ان هذا الطبل يحتوي على جلد واحد فقط.

اما الأثر الآشوري الثاني للطبل فهو المنحوتة الجدارية التي عثر عليها في القصر الشمالي في نينوى[٤١]، وهي تعود ايضا الى زمن الملك آشور بانيبال، وكان من ضمن الفرقة الموسيقية التي عزفت وغنت للملك وزوجته الحان النصر، هو عازف على طبل له شكل خاص لم يكن معروفا قبل زمن الملك آشور بانيبال (٦٦٨– ٦٢٦ ق. م) عند أي قوم او قطر من الاقطار، ويمتاز هذا الطبل بأن جسمه يتدرج في الصغر والتقلص من أعلى الى أسفل بحيث أصبحت النهاية السفلى أصغر بكثير من الفتحة العليا المكسوة بالجلد، ويقرع العازف الآشوري على هذا الطبل بكلتا اليدين، وهي نفس الطريقة المتبعة في الوقت الحاضر، وشكل هذا الطبل الآشوري لايختلف عن شكل الطبل الحالي المستعمل في موسيقى امريكا اللاتينية والمعروف باسم (تم تم).

**الدف المستدير:**

كان الدف المستدير مستعملا عند السومريين والبابليين واستمر استعماله فيما بعد عند الآشوريين. واذا ماجئنا الى الآثار الموسيقية الآشورية فنرى أن اقدم منحوتة نقش عليها الدف المستدير هي منحوتة عثر عليها في نمرود[٤٢] وتعود الى زمن الملك آشور ناصر بال الثاني، ويمثل المشهد المنحوت على هذه المنحوتة الاحتفال بالانتصار على العدو حيث نشاهد ثلاثي الوتريات والايقاع يعزف امام المقاتلين الاشوريين وهم يرقصون، ويتألف الثلاثي الموسيقي هنا من عازف على الدف واثنين من العازفين على الجنك الزاوي.

ومن نمرود ايضاجاءتنا قطعة عاجية نقشت بمشهد قلعة لها باب كبير، ويشاهد فوق السطح والأبراج نسوة يقرعن الصنوج المعدنية وتنقر





احداهن على الدف المستدير. ويقف أمام القلعة ملك بسلاحه وعدّته، ويرى المنقب مالوان[٤٣] ان هذا الملك اما ان يكون في حالة الرحيل عن البلد، واما ان يكون قد عاد منتصرا، وان النسوة قد قمن بالعزف على الآلات الموسيقية لهذه المناسبة او تلك. ويعود تاريخ هذا الأثر الى زمن الملك شيلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق. م).

ونشاهد الدف المستدير ايضا على منحوتة جدارية تعود الى زمن الملك سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق. م) وقد عثر عليها في نينوى ونقلت الى المتحف البريطاني[٤٣]. ويمثل المشهد المنحوت عليها سباعي الوتريات والايقاع، يشارك هنا في هذا السباعي اثنان من العازفين على الدف المستدير.

ومن عهد الملك آشور بانيبال جاءتنا منحوتة عثر عليها في نينوى، ويمثل المشهد المنحوت عليها فرقة موسيقى الجيش وهي تعزف وتغني في قلب المعركة لاثارة حماس المقاتلين الآشوريين، ويشارك عازف الدف المستدير في هذه الفرقة الموسيقية العسكرية، علما بأن طريقة مسك الدف والنقر عليه لاتختلف عما هو متبع عندنا في الوقت الحاضر. فان هذا الأثر الآشوري وغيره قد قدّم الدليل على استعمال الدف في الحرب والسلم.

**الدف المربع :**

جاءنا الدف المربع منقوشا على الآثار الآشورية فقط، وان أقدم وأول منحوتة جدارية نقش عليها الدف المربع هي المنحوتة التي عثر عليها في نينوى وتعود في تاريخها الى زمن الملك سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق. م)، وقد نقلت الى متحف الشرق الأدنى في برلين الديمقراطية[٤٤]. ويمثل مشهدها فرق موسيقية تسير وراء المقاتلين الآشوريين وهي تتألف من (٣) عازفين على الدف المربع والعازف الرابع يعزف على الصنوج المعدنية (جنجانات) ولا يزال الدف المربع مستعملا في الموصل فقط، وبصورة نادرة، وقد شاهدنا الفرقة الموسيقية الموصلية وهي تعزف على الدف المربع في مهرجان الملا عثمان الموصلي سنة ١٩٧٣، كما وشاهدنا الدف المربع في أغنية (موصلية) في التلفزيون، ويذكر فارمر[٤٥] أن استعمال الدف المربع قد بطل اليوم في بلاد العرب والشام ومصر وفارس، ولكن قد يوجد مستعملا في بلاد المغرب، ويرى الباحث الألماني هيكمان[٤٦] ان مصر مدينة الى العراق في معرفتها واستعمالها للدف المربع.

## الآلات المصوتة بذاتها

يقصد بالآلات المصوتة بذاتها الآلات التي تتكون فيها الأصوات بذاتها عن طريق تصادم جزئيها بعضا ببعض او عن طريق الاهتزاز او الضرب. ويشمل هذا الصنف الالآت الآتية : الصنوج المعدنية (الكوسات، جنجانات) والأجراس والخرخاشات والمضارب الرنانة والصلاصل والمثلث والاكسيليفون وغيرها.

**الصنوج المعدنية :**

يرجع أقدم ظهور واستعمال للصنوج المعدنية في العالم القديم الى عهد الملك السومري اورنمو الذي بدأ حكمه في سنة (٢١١٣ ق. م)، وقد استمر استعمال هذه الآلة في العصر البابلي القديم، ثم نجدها عند الآشوريين في العصر الآشوري الحديث، وتشير الآثار الموسيقية الى ان الآشوريين قد استعملوا شكلين لهذه الآلة ! الأول، وهو الشكل السومري الذي يمتاز بقبضة صغيرة على شكل عروة مثبتة في الوجه العلوي لكل صنج قدتكون معمولة من الجلد، وهذا الشكل من الصنوج المعدنية نشاهده في قطعة عاجية عثر عليها في نمرود وقد أرخها المنقب مالوان[٤٧] في عهد الملك شيلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق. م). كما





ونشاهد هذا الشكل من الصنوج المعدنية في منحوتة جدارية عثر عليها في نينوى وتعود في تاريخها الى عهد الملك آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) حيث نقشت عليها فرقة موسيقى الجيش الآشوري، وهي تعزف وتغني في قلب المعركة لاثارة حماس المقاتلين الآشوريين[٤٨].

اما الشكل الثاني للصنوج المعدنية فيمتاز بوجود قبضة طويلة رفيعة مثبتة في وسط كل صنج لأجل ان يمسكها العازف، وهذا الشكل نجده لأول مرة عند الآشوريين في منحوتة جدارية تعود الى زمن الملك سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق. م) وقد عثر عليها في نينوى[٤٩].

وفضلاً عن المشاهد المنحوتة التي ترينا آلة الصنوج المعدنية الآشورية فقد كشفت التنقيبات في نمرود[٥٠] عن مجموعة من الصنوج المعدنية الاصلية التي استعملها الآشوريون في القرن التاسع / الثامن قبل الميلاد. وقد صنعت هذه الصنوج من البرونز وهي ذات مقبض صغير، أي من النوع الذي كان معروفا سابقا عند السومريين والبابليين وغالبية هذه الآلات من نمرود موجودة في المتحف البريطاني.

**الأجراس :**

كشفت التنقيبات في نمرود عن مجموعة من الأجراس الآشورية التي تعود الى العصر الآشوري الحديث، وفضلا عن هذه الأجراس الأصلية فقد عثر في آشور[٥١] على جرس برونزي يعود الى أحد الكهنة الذي يستعمله لطرد الأرواح الشريرة، كما يتضح ذلك من المشاهد الدينية المنحوتة عليه بالنحت البارز والتي تمثل أشخاصا ارتدوا أقنعة بشكل الأسماك والأسود بخلاف اجراس نمرود التي كانت خالية من النقوش المنحوتة بالنحت البارز، ان استعمال الجرس في الأغراض الدينية نجده ايضا في منحوتة تعود الى زمن الملك تجلا تبليزر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق. م) حيث نشاهد فيها شخصا مقنعا برأس الأسد وجلده، وقد تم عليه تشكيل مجموعة من الأجراس في صفين طويلين متوازيين من الأجراس المتصلة الواحد بالآخر ومن اعلى الى اسفل، والمعروف ان كبار الكهنة اليهود كانوا يرتدون عند ادائهم الطقوس الدينية لباسا يحتوي على مجموعة من الأجراس الصغيرة ونفس الشيء قد اتبعه فيما بعد رجال الدين المسيحيون في اوائل العصور الوسطى، وهذا يثبت بوضوح تأثير الآشوريين على الطقوس الدينية اليهودية والمسيحية وهو موضوع لم تتطرق اليه الدراسات والكتب الأجنبية والعربية الموسيقية منها او الآثارية الحضارية. هذا ولم يقتصر استعمال الأجراس على المناسبات الدينية فقط، بل نشاهدها في بعض المنحوتات الآشورية العائدة الى زمن الملك تجلا تبليزر الثالث وآشور بانيبال معلقة في رقاب الخيول، واستمرت هذه العادة في تعليق الأجراس في رقاب الحيوانات حتى وقتنا الحاضر في الشرق والغرب.

## الآلات الهوائية

**الناي والناي المزدوج :**

من الآلات الهوائية التي جاءتنا منقوشة على الآثار الآشورية آلة الناي والناي المزدوج، ففي منحوتة عثر عليها في نينوى[٥٢] وتعود الى زمن الملك آشور بانيبال، نشاهد فيها ثلاثي الوتريات والهوائيات، يتألف هذا الثلاثي الآشوري من عازف على الكنارة وآخر على الجنك والثالث على الناي المزدوج ومن نينوى[٥٣] ايضا جاءتنا منحوتات أخرى عليها آلة الناي المزدوج بصورة انفرادية او مع الالآت الموسيقة الأخرى، وفي آشور[٥٤] عثر على كسرة فخار مزججة نقش عليها





مشهد ديني يشارك فيه عازف على الناي المزدوج وعازف آخر على الطبل، ويلاحظ في المشاهد الآشورية ان هذه الآلة المؤلفة من قصبتين (انبوبتين) تلتقيان في فم العازف ثم تفترقان الواحدة عن الاخرى كلما تقدمنا الى الأمام وغالبا ماتكون القصبتان مختلفتين في الطول وأحيانا متساويتان، ونجد هذه الآلة الهوائية منقوشة على سطح دلاية ذات سلسلة ذهبية عثر عليها في قبر في احدى غرف القصر الشمالي الغربي في نمرود(٥٥) وهي تعود الى احدى الأميرات الآشوريات، وقد أرّخ المنقب مالوان(٥٦) هذا القبر في زمن الملك أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق. م).

اما الناي فنشاهده منقوشا على ختم منبسط عثر عليه في نمرود(٥٧) ويعود تاريخه الى سنة ٦٤١ ق. م واحتوى مشهد هذا الختم على حيوانين جالسين بصورة متقابلة ويعزف كل واحد منها على آلة الناي.

**البوق:**

اثبتت الآثار وجود البوق (النفير) في العراق واستعمال السومريين له في عصر فجر السلالات الثاني(٥٨) (٢٦٠٠ - ٢٥٠٠ ق. م)، واستمر استعماله فيما بعد حيث نجده عند الآشوريين في منحوتة عثر عليها في نينوى(٥٩) ويمثل مشهدها عملية نقل الثور المجنح، وقد وقف فوق الكتلة الحجرية التي تمثل الثور المجنح اربعة أشخاص كان أحدهم ينفخ في البوق لاعطاء الأوامر والتعليمات للأفراد الذين كانوا يقومون بسحب الكتلة الحجرية الخاصة بالثور المجنح، ويرجع تأريخ هذا الاثر الى عهد الملك سنحاريب.

كان النافخ في البوق يوصف في وادي النيل بأنه الشخص الذي يتكلم بوساطة البوق اي انه ينقل بواسطة هذه الآلة اوامر فرعون او القائد(٦٠). هذا واستمر البوق (النفير) في الاستعمال في العصور العربية الاسلامية وقد اقتبستها اوربا باعتبارها من الآلات الموسيقية المستعلمة في موسيقى الجيش خلال الحروب الصليبية.

## بلاد آشور خلال السيطرة الفرثية

سيطر الفرثيون - وهم من الأقوام الهندو اوربية القاطنين في الهضبة الايرانية المعروفة باسم اقليم بارثيا او فرثيا - على مدينة الحضر وغيرها في بلاد آشور، الاّ ان الحضر المعروفة باسم مدينة الشمس قد تحدت السلطة الأجنبية حيث نرى ان احد ملوكها يحمل لقب (سنطرق ملك العرب)، وقد نقبت في الحضر هيئات عراقية للتنقيب والصيانة لعدة مواسم منذ سنة ١٩٥١، وكشفت هذه التنقيبات على آثار موسيقية متنوعة هي كما يأتي:

## الالآت الوترية

**الكنارة:**

عثر في المعبد الخامس لمدينة الحضر على تمثال من الرخام الأسمر ارتفاعه ١٨٨ سم يمثل قيمي بنت عبد سميا بائع الخمور، وقد نحت في سنة ٢٣٨ م(٦١). المرأة واقفة، وقد رفعت يدها اليمنى للتحية، أما يدها اليسرى فقد اسبلتها الى الأسفل وهي تحمل الآلة الوترية المعروفة باسم الكنارة، والآلة في هذا التمثال صغيرة الحجم وقد مستها قيمي بنت عبد سميا باصابعها من حامل الأوتار العلوي الموازي للصندوق الصوتي للآلة وهو مستطيل الشكل. وتحتوي هذه الآلة على (٥) خمسة أوتار، وقد ثبتت نهاياتها السفلى عند منتصف الصندوق الصوتي للآلة، ويرى فؤاد سفر ان قيمي بنت عبد سميا كانت مرتلة او عازفة على هذه الآلة الموسيقية في اثناء التسابيح في المعبد الخامس.





## الآلآت الايقاعية الجلدية

**الدف المستدير:**

في المعبد الأول في الحضر تم العثور على تمثال من الرخام بارتفاع (٦٢ سم) وهو يمثل سمي بنت عجا، وقد أقامها لها زوجها عجا بن ابا كاهن الآلهة اترعتا في المعبد المذكور الذي من الجائز كانت سمي بنت عجا احدى العازفات والمرتلات فيه. في هذا التمثال نشاهد هذه المرأة وهي تحمل الدف المستدير بيدها اليسرى، أما يدها اليمنى فقد وضعتها امام صدرها بوضعية بسطت فيها كفها اليمنى استعدادا للضرب على الدف المصبوغ باللون الأحمر. ويلاحظ ان النحات لهذا التمثال قد جعل رقبة العازفة مائلة قليلا الى اليمين للتعبير عما تقتضيه حركة الجسم اثناء النقر على الدف وانسجاما مع الأنغام وهذا التمثال المنحوت من الرخام الرمادي الفاتح معروض في المتحف الحضاري بالموصل.

وفضلا عن هذا التمثال المدور نرى ان الدف المستدير قد جاء منحوتا بالنحت البارز على بعض القطع الحجرية المكونة للأفاريز التي عثر عليها في المعبد الذي شيّده (سنطروق) عند الزاوية الشمالية الغربية من صحن المعبد الكبير في الحضر، ففي المشهد الرئيسي من موكب الاحتفال الكبير بالآلهة اللات – نمسيس[٦٣] والذي شاركت فيه مجموعة من العازفين على مختلف الآلآت الموسيقية عدا الوترية منها، نشاهد امرأة واقفة بين الناقة والميزان وهي تنقر على الدف المستدير الذي مسكته بيدها اليسرى، أما يدها الميني فقد مثلها النحات وهي تضرب الضربة القوية في وسط الدف، وهي الضربة التي يسميها الموسيقيون المعاصرون باسم الدم (بضم الدال).

وقد تكرر استعمال الدف المستدير في هذا الاحتفال الكبير في منحوتات أخرى، من معبد اللات الذي شيده ملك العرب سنطروق بن نصرو وابنه وولي عهده عبد سميا.

## الالآت المصوتة بذاتها

**الصنوج المعدنية :**

كان من بين الآلآت الموسيقية التي استعملت في الاحتفال المذكور اعلاه آلة الصنوج المعدنية (الكوسات والجنجانات) وبالانكليزية سيمبال (Cymbals)[٦٤]. ويلاحظ ان هذه الآلة قد جاءت وهي ترافق الدف المستدير فقط مكوّنة معه ثنائي الايقاعات.

**الأجراس :**

ان غالب الأجراس النحاسية التي كشفت عنها التنقيبات في الحضر قد جاءت من المعابد مثل المعبد الكبير ومعبد سميا، وهذه الأجراس كانت بأشكال وحجوم مختلفة، وقد نقشت على بعضها كتابات آرامية مثل (الرآية العائدة لعقوبا) و (نرجول الكلب) و (الراية العائدة للاله برمرين)[٦٥]. وهذه الكتابات الآرامية تشير الى استعمال بعض الأجراس جزءا من رايات الحضر.

### الآلات الهوائية

تمتاز الآلات الهوائية التي جاءتنا منقوشة على القطع الحجرية من الحضر بتنوع اشكالها وتعددها، كما وان بعضا من هذه الالآت الهوائية يظهر لأول مرة ليس في بلاد آشور فقط بل في عموم وادي الرافدين، وعلى الرغم من ان بعض هذه الآلات ذو أصل اغريقي، ولكن مع ذلك فان آلات الحضر لها بعض الفروق الجزئية.

**الناي المزدوج :**

هذه الآلة التي عرفت ايضا باسم الروناي او المزمار المزدوج وعند الاغريق باسم (اولوس Aulos) كانت مستعملة عند الآشوريين وعند البابليين، الاّ ان الشيء الجديد الذي يميز هذه الآلة من الحضر عن غيرها من آلات العراق القديم هو وجود





المفاتيح (الغمازات او الضواغط) الموضوعة فوق الثقوب، وهي عبارة عن قطع بارزة يضغط عليها العازف بأصابعه لأجل الحصول على مختلف الدرجات الصوتية. وبدون هذه المفاتيح يحتاج عازف الناي في الوقت الحاضر الى جملة نايات لأن الناي الواحد يعجز عن اداء مختلف الطبقات الصوتية المرتفعة والمنخفضة.

ان ظهور هذه المفاتيح في وقت متأخر في الآثار العراقية وخلو الآثار الآشورية والبابلية منها يشير الى انها آلة دخيلة الى العراق وهي من ابتكار الاغريق.

**الشعيبية:**

وهي آلة هوائية من آلات النفخ تتألف من عدة قصبات او أنابيب تختلف في الطول، توضع في داخل اطار بصورة متوازية ومتجهة من أعلى الى أسفل. وينفخ العازف في الفتحات العليا لهذه الأنابيب او القصبات، أما النهايات السفلى لها فهي مسدودة، وهناك امثلة تشاهد فيها الأنابيب متساوية الطول في القسم العلوي الظاهري، اما من الداخل فتكون متباينة في الطول. والمادة التي تصنع منها أنابيب هذه الآلة من القصب او العاج او الخشب او المعدن ويتراوح عددها بين (٧) الى (٩) أنابيب.

وتنسب الأساطير الأغريقية اختراع هذه الآلة الى الاله (هرمز) ثم الى ابنه (بان)،ومن هنا جاءت التسمية الانكليزية بانزبايب Pan's pipe. اما التسمية العربية اي (الشعيبية) فانها نسبة الى النبي شعيب. ويذكر الامام كمال الدين بن ثعلب بن جعفر بن علي الادفوى الشافعي (المتوفي عام ٧٤٨ هـ) في كتابه (الامتاع بأحكام السماع) مايلي: "والرعاة يضربون بقصبة تسمى (المنجارة) وبقصبتين ملصوقتين يسمونها (المقرونة) وأما قصبات متلاصقة فيقال لها الشعيبية"[٦٦].

لهذا نرى ان استعمال فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى كلمة (مزمار) في الصفحة ١٣٩ من كتابها (الحضر مدينة الشمس) هو استعمال غير موفق طالما ان هناك كلمة عربية قديمة مستعملة للدلالة على هذه الآلة، كما وان كلمة مزمار تدل على آلة أخرى تختلف كل الاختلاف عن آلة الشعيبية.

وقبل العثور على آثار لهذه الآلة الهوائية في الحضر، جاءتنا آثار عديدة لها من سلوقيا وبابل والوركاء ولارسا وغيرها من المدن والمواقع وهي أقدم في تاريخها من آثار الحضر. وجدت هذه الآلة في الحضر منحوتة على احدى القطع الحجرية الواقعة في وسط القوس في الايوان (٧) من المعبد الكبير الذي يعود الى دور التكوين من تاريخ الحضر والذي انتهى في نحو منتصف القرن الأول للميلاد[٦٧] وآلة الشعيبية في قوس الايوان المذكور مؤلفة من (١٠) أنابيب اربعة منها متساوية وأطول من الانابيب الستة الأخرى، ويحيط بهذه الأنابيب في القسم العلوي اطار مزخرف، كما وجاءتنا هذه الآلة منقوشة على بعض القطع الحجرية العائدة للمشهد الموسيقي الخاص بموكب الاحتفال الكبير في معبد الآلهة اللات – نمسيس الذي شيده ملك العرب سنطروق بن نصرو وابنه وولي عهده عبد سميا (١٦٧ – ١٩٣ م). ونلاحظ وجود اختلاف في آلتي الشعيبية في افريز هذا المعبد والشعيبية المنقوشة على قوس الايوان (٧) من المعبد الكبير، ويتضح الاختلاف في عدد الأنابيب، لكل آلة حيث نرى ان الشعيبية في قوس المعبد الكبير تحتوي على (١٠) انابيب في حين تحتوي الشعيبية في معبد الآلهة اللات على (١٥) انبوبة والأخرى لاتقل انابيبها عن (١٢) انبوبة، ونرى الاختلاف واضحا في طريقة تباين طول انابيب الآلة وكذلك الاطار الذي يحيط بالقسم العلوي من أنابيب الشعيبية.

والواقع ان ظهور الشعيبية في كل من العراق وسوريا ومصر كان بعد دخول الاغريق الى هذه





الاقطار في العصر المعروف باسم العصر الهلنستي، أما في بلاد الاغريق فان آثار هذه الآلة الموسيقية تعود في تاريخها الى القرن السابع والسادس قبل الميلاد، اذ ان أصل وموطن هذه الآلة لايزال في الظلمات خاصة، اذا ماعلمنا ان هذه الآلة قد وردت في (الالياذة) باعتبارها آلة أجنبية (٦٨).

الزورنة :

الزورنة كلمة تركية تقابلها في اللغة العربية كلمة (مزمار) وهي آلات النفخ الخشبية التي يأخذ قسمها الأسفل شكل المخروط اوما يشبه الجرس، ان الآثار التي اكتشفت في معبد اللات في الحضر (٦٩) والعائدة الى القرن الثاني الميلادي تثبت وجود هذه الآلة الهوائية في العراق في عصور ماقبل الاسلام، وقد استمر استعمال الزورنة في العصور العربية الاسلامية واقتبستها اوربا في العصور الوسطى وأصبحت هناك الآلة التي تطورت منها آلة (الابو، الاوبوا) المستعملة في الاوركسترا.

الترومبيت :

وهي من الآلات الهوائية النحاسية التي تتألف من انبوبة اسطوانية الشكل ويتسع حجمها في القسم الأسفل، حيث يصبح مخروطيا ينتهي بشكل يشبه الجرس، وترجع هذه الآلة في أصلها القديم الى البوق الذي ظهر لأول مرة في العراق في عصر فجر السلالات الثاني (٢٦٠٠ - ٢٥٠٠ ق. م)، وفي معبد اللات في الحضر (٧٠) عثر ضمن الأفريز الموسيقي الكبير على قطعة حجرية نقش عليها بالنحت البارز عازف على هذه الآلة النفخية التي احتوت على بضع حلقات في القسم العلوي القريب من فم العازف.

البوق :

في الركن الأيسر للايوان الوسطي الكبير من معبد اللات في الحضر عثر على منحوتة تمثل الاله تريتون ابن كل من اله البحار بوزايدون وامفيتريت. وكان تريتون يعيش مع الوالدين في القصر الذهبي الكائن في اعماق البحار وقد صورته الأساطير والآثار بشكل مخلوق نصفه الأعلى بهيئة انسان ونصفه الأسفل بشكل ذيل الدوليفين او جسم سمكة مع الأرجل الأمامية للحصان. اما رمز تريتون فهو عبارة عن بوق مصنوع من قطعة محار بحرية مع مجذاف. وعلى نوعية النفخ الذي يقوم به تريتون في هذه الآلة تتوقف حركة امواج البحر، فعند غضبه يقوم تريتون بالنفخ الشديد فتهيج عندئذ امواج البحر وتثور وتتلاطم، وعند نفخة بلين تهدأ امواج البحر، وتجسيد او تصوير هذه المعلومات الأسطورية الأغريقية نجده واضحا كل الوضوح في الأثر الموجود في روما والعائد الى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي (٧١)، ففيه نشاهد نحتا بارزا لكائن مركب يتألف من النصف الأعلى لجسم الانسان الذي ينتهي بذيل الدولفين الملتف وهو ينفخ باليد اليمنى بالبوق، أما يده اليسرى فقد مسكت بالمجذاف وأمواج البحر واضحة عند الجانب الأيمن والأسر من جسم هذا الكائن المركب الذي يمثل الاله الاغريقي تريتون ابن الاله بوزايدون، واذا ماعدنا الى الأثر الموسيقي من الحضر لرأينا انه يمثل الاله تريتون ابن بوزايدون اله البحار حيث نرى القسم العلوي من جسم الانسان على غرار الأثر في روما، وكذلك فيما يخص القسم الثاني منه على هيئة ذيل الدولفين الملتف على نفسه، وفضلا عن هذا نشاهد في هذين الأثرين من الحضر وروما نفس الآلة النفخية الممسوكة باليد اليمنى والمجذاف في اليد اليسرى، هذا وان ارجل الحصان الأمامية في أثر الحضر موضوع البحث هي الأخرى تعود الى تريتون حسب تصور الفن والأساطير الأغريقية.

## خلاصة

أثبتت الآثار الموسيقية من آلات أصلية وكتابات مسمارية ونقوش الآلات الموسيقية المختلفة أصالة





الموسيقى في بلاد آشور وعراقتها ووحدتها واستمرارها وتأثيرها على بعض الاقطار. كما ان بلاد آشور قد استعملت جميع أصناف الالآت الموسيقية من وترية وهوائية وايقاعية جلدية ومصوتة بذاتها، وساهمت في تطوير بعض الآلات الموسيقية العراقية القديمة وابتكرت بعض الأشكال الجديدة للألآت الايقاعية التي نرى مايشابهها في الوقت الحاضر في الشرق والغرب، كل هذه الأمور قد اكسبت بلاد آشور أهمية خاصة في تاريخ الموسيقى لبلاد وادي الرافدين ذكرناها في مستهل هذا الفصل وخلال البحث.

## الهوامش :


(١) Ambros, A.W. Geschichte der Musik, 1892, S. 177ff.

(٢) Engel, Carl, The Music of The most ancient Nations, London 1864.

(٣) Merpert, Nicalai and R. Munchajev. Excavations at Yarim Tepe 1970. Second Preliminary report, in; Sumer 27, 1971, p. 9 ff.

(٤) Tabler, A. J. Excavations at Tepe Gawra, Bd.2 Philadelphia, London 1950, p. 215 p1.99.

(٥) Dossin, G. Archives Royales de Mari I, Correspondance de Šamši – Addu, Paris 1950, No. 12. Jean, C.F.A.R.M.II, Letters diverses, 1950, No.4.

(٦) Ebeling, E. Keilschrifttexte aus Assur religiösen inhalt, Leipzig 1919, No. 158.

(٧) Parrot, A. Assur. Die mesopotamische Kunst vom 13. Vorchristlichen Jahr hundert bis Zum Tode Alexanbders des Grossen, Nunchen 1961, S. 310 Fig. 391.

(٨) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien (Musikgeschichte in Bildern, Leipzig 1984, S. 130 Abb. 147.

(٩) Rimmer, J. Ancient musical Instruments of western Asia in the British Museum, London 1969' p. 39. f. p1.21, 17, 18, 199.

(١٠) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, s. 112, Abb. 132.

(١١) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضر مدينة الشمس، بغداد، ١٩٧٤ ص ١٧٣، صورة رقم ١٦٦.

(١٢) انظر الهامش رقم ٤.

(١٣) انظر الهامش رقم ٣.

(١٤) انظر الهامش رقم ٣.

(١٥) انظر الهامش رقم ٤.

(١٦) عادل نجم عبو، نتائج تنقيبات هيئة جامعة الموصل في تل "ابو ظاهر" للموسم الأول شباط – حزيران : ١٩٧٧، مجلة سومر المجلد ٣٧ لسنة ١٩٨١، ص ٩٥، الشكل ٣٦ هـ.

(١٧) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, Abb. 98, 99, 100.

(١٨) انظر الهامش رقم ٥.

(١٩) Moortgart, A. Die kunst des Alten Mesopotamien Die klassische kunst Vorderasiens, kȍln 1967, s. 118, Abb. 83, Taf 241.

(٢٠) انظر الهامش رقم ٧.

(٢١) Gurney, O.R. An old Babylonian Treatise on the Tuning of the Harp, in: Iraq 30, 1968, pp. 229–233.

(٢٢) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, Abb 137.

(٢٣) صبحي انور رشيد، تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم، شكل ٤١.

(٢٤) Subhi Annwar Rashid, Mesopotamien, Abb. 135.

(٢٥) ibid, S. 118, Abb. 138.

(٢٦) صبحي أنور رشيد، المصدر السابق، صورة رقم ٧٦.

(٢٧) صبحي أنور رشيد، المصدر السابق، صورة رقم ٧٥.

(٢٨) صبحي أنور رشيد، المصدر السابق، صورة رقم ٧٨.

(٢٩) Sendrey, A. Musik in Alt Israel, S.249, 257, 261, 279, 297.

(٣٠) صبحي أنور رشيد، المصدر السابق، صورة رقم ٨٢. شكل ٦٣.

(٣١) صبحي أنور رشيد، المصدر المرجع، ص ١٨٨، شكل ٦٧.

(٣٢) صبحي أنور رشيد، المصدر المرجع، ص ١٧٨، صورة رقم ٨٠.

(٣٣) Stauder, W. Harfen Und Leiern Vorderasiens im Babylonischer und Assyrischer Zeit, s. 51–55,36– 38.

(٣٤) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٨٠، ١٨١، صورة رقم ٨١، وشكل ٦١.

(٣٥) الدكتور صبحي انور رشيد، المرجع السابق، ص ١٨١–١٨٣، صورة رقم ٨٦ وشكل ٦٢.

(٣٦) Andrae, W. Farbige kemik aus Assur, Fig 29, s.24.

(٣٧) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٩٠، صورة رقم ٨٧، ٨٨.






(٣٨) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٩١، شكل ٦٨.
(٣٩) Stauder, W. in, Musik in Geschichte und Gegenwart, Bd. 12, 1965, S. 1744.
(٤٠) Behn, F. Musik im Alterturm und fruhen Mittelalter, 5.28.
(٤١) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، صورة رقم ٨٩.
(٤٢) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, Abb. 136
(٤٣) Mallowan, M.E.L. Nimrud and its Remains Vol. I 1966, p. 115, Fig. 58
(٤٤) صبحي أنور رشيد، تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم، ص ١٩٣، شكل ٦٩.
(٤٥) فارمر، تاريخ الموسيقى العربية، ترجمة: جرجيس فتح الله المحامي، ص ١٠٧ الخ.
(٤٦) Hickmann, H. Vorderasin und Agyptenim musikalischen Austausch, in Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, 1961, 2.
(٤٧)
(٤٨) انظر هامش رقم ٥٨ و ٧٠.
(٤٩) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٩٣، ١٩٤، صورة رقم ٧٥.
(٥٠) Rimmer, J. op. cit pl. xxI
(٥١) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, S.112, Abb. 132.
(٥٢) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٩٧، ١٩٨، صورة رقم ٨٠.
(٥٣) صبحي انور رشيد، المرجع السابق، ص١٩٨، صورة رقم ٩١.
(٥٤) صبحي انور رشيد، المرجع السابق، ص١٩٧، صورة رقم ٩٤.
(٥٥) انظر الهامش رقم ٦٨.
(٥٦) صبحي انور رشيد، المرجع السابق، ص١٨٨.
(٥٧) صبحي انور رشيد، المرجع السابق، ص١٩٨، شكل ٧١.
(٥٨) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, S. 60 Abb 37.
(٥٩) Subhi Anwar Rashid, Mesoptamien, S. 124, Abb. 143, 144.
(٦٠) Hickmann. H. Agypten (Musikgeschichte im Bildern), S. 74.
(٦١) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضر مدينة الشمس، ص ٢٥٢، صورة رقم ٢٤٣.
(٦٢) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، المرجع الآنف الذكر، ص ١٨١، صورة رقم ١٧٤.
(٦٣) Wathiq Al-Salihi, Allat- Nemesis, TiConographical analysis of twoReligious Reliefs from Hatra in = Mesoptamia, xxv, 1985 pp, 131 - 46.
(٦٤) حازم النجفي، الاحتفال بتكريم الآلهة اللات، مشهد موسيقي من الحضر، سومر ٣٧، لسنة ١٩٨١، ص ١٣٨ و ١٣٩ صورة رقم ٨، ١٢، ١٩.
(٦٥) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، المرجع السابق، ص ١٧٣، صورة رقم ١٦٦.
(٦٦) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص٣٢٢.
(٦٧) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، المرجع السابق، ص ١٣٩، صورة رقم ١٢٧.
(٦٨) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص٣٢٣.
(٦٩) Subhi Anwar Rashid, Mesoptamien, S. 160, Abb. 196, S. 164.
(٧٠) Subhi Anwar Rashid, Ibid, S. 160, Abb 196.
(٧١) صبحي أنور رشيد، دراسة أثر موسيقي من الحضر وخطأ المنقبين في تحديد هوية الآلة الأغريقي تريتون، مجلة سومر، المجلد ٣٩ لسنة ١٩٨٣، ص ٢٠٢، شكل ٢.

# الأنشطة الآثارية

## التنقيب عن الآثار

د. جابر خليل ابراهيم

كانت كثرة مواقع الآثار في المناطق المحيطة بالموصل[1]، ولا سيما اطلال العواصم الآشورية مثل آشور ونمرود (كلخو) ونينوى وخرصباد (دور شروكين) وكهوف ومستوطنات قبل التاريخ، فضلا عن المدن العربية الأخرى مثل الحضر وسنجار، باعثا لاستقطاب هواة الآثار والمنقبين قبل غيرها من مناطق العراق. وكان للاشارات التي ذكرتها الكتب المقدسة والمعلومات التي أوردها





الرحالة عن عدد من هذه الاماكن الأثرية دور في تعريف هؤلاء المنقبين بأهميتها.

وسنتناول في هذا الفصل تاريخ التنقيب عن آثار منطقة الموصل حتى الوقت الحاضر، ويشمل القسم الأول منه دور البعثات الأجنبية في التنقيب عن الآثار باعتبارها قد نفذت هذه الاعمال قبل تشكيل أول حكومة عراقية، كما ويشمل القسم الثاني منه دور البعثات العراقية وهيئاتها في هذا الحقل.

**١ - الحملات الأجنبية للتنقيب عن الآثار:**

قاد الحملات التنقيبية بحثا عن الآثار الضخمة في العواصم الآشورية قناصل الدول الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا، وكانت مصادر معلوماتهم عن آثار هذه المنطقة بالدرجة الرئيسة أسفار العهد القديم وما كتبه الرحالة الذين زاروا اطلال هذه المدن ودوّنوا ملاحظاتهم عنها.

وكان من بين هؤلاء الرحالة بنيامين التطلي (الطليطلي ١١٦٠ - ١١٧٣ م) الذي تمكن من زيارة أطلال مدينة نينوى، والرحالة الايطالي بتروديلا فلا Pietro Della valle الذي استغرقت رحلته اثنى عشر عاما (١٦١٢ - ١٦٢٤) فزار مدينة نينوى الأثرية ودرس اطلالها ومنها أسوارها العالية، وحصل هذا الرحالة على آنية فخارية عليها كتابات كان مصدرها من بابل والعقير ونينوى، وهي في الواقع من اولى المجموعات الأثرية من بلاد الشرق التي وصلت الى اوربا.

وفي عام ١٧٨٦ م وصل الى الموصل كل من الرحالتين بوشامب Beauchamp الفرنسي وميكنان Mignan الانكليزي وفحصا سوية اطلال مدينة نينوى، ويبدو ان هذين الرحالتين كانا من المطلّعين على اسفار التوراة التي ورد فيها ذكر بابل وآشور ونينوى، وعلى الأقوام الآشورية والكلدية، فضلا عن اطلاعهما الواسع على ماكتبه المؤرخون اليونان والرومان[٢].

وزار اطلال نينوى وفحص بقاياها عدد آخر من الرحالة الأوربيين من بينهم الراهب الايطالي دمنيكو لانزا[٣] وكرستين نيبور الدنماركي، الذي وصل الموصل في ١٨ آذار من عام ١٧٦٦ م[٤]، وروولف (١٧٣٥ - ١٧٧٦) الذي بحث في آثار تلك المدينة بعد ان استطلع تلولها واكماتها من على قمة تل قوينجق وأوليفية[٥].

وبحلول القرن التاسع عشر نشطت الجمعيات العلمية المهتمة بالخطوط القديمة، ومنها الكتابات المسمارية، وكان من نتائج دراساتها لتلك الخطوط ان رفعت توصيات لبذل المساعي المكثفة من أجل الحصول على الواح جديدة تحمل مثل هذه الخطوط.

وكان كلوديوس ريج Claudius J.Rich (١٧٨٧ - ١٨٢٠) قد ترأس جمعية الهند الشرقية وأصبح بعدئذ ممثلا عن الحكومة البريطانية في بغداد. وقد عرف عن ريج اهتمامه باللغات الشرقية ومنها العربية والفارسية منذ أن كان في التاسعة من عمره، وقد ساعدت امكاناته هذه على أن يقضي وقتا طويلا في أقطار عديدة منها مصر ومالطا والقسطنطينية وسوريا وفلسطين والعراق زائرا او متجولا او يحكم المناصب التي تقلدها.

وبعد ان اصبح ريج المقيم السياسي البريطاني في بغداد زار نينوى في عامي ١٨٠٨ - ١٨٢٠، وفحص فحصا دقيقاً تلي النبي يونس وقوينجق، ودقق في الحفر التي كان يجريها سكان الموصل في اطلال هذه المدينة الأثرية بحثا عن الحجر والطابوق لاستخدامها في البناء وللتفتيش عن قطع الرخام لحرقها وتحويلها الى جص. وفي أحد تحرياته بالمدينة الأثرية شاهد رجلا استخرج قطعة أثرية من أحد التلول، ساومه ريج على شرائها الآ انه لم





يفلح، وقد تمكن من الحصول على مجموعة من المواد الأثرية مثل الأختام الاسطوانية والآنية الفخارية ورقم الطين، عن طريق التحري والشراء من السكان.

وكتب ريج المعروف بدقته العلمية تقارير عن نينوى ووجه من خلال مؤلفاته عن العراق أنظار الحكومات الأوربية ومنها بريطانيا وفرنسا الى آثار ذلك القطر، ولاسيما الواقعة منها في منطقة الموصل، حيث بدأ الاهتمام بين الأوساط الأدبية والعلمية للبحث عن الآثار وخطط ريج في عام ١٨٢٠ للقيام بعمل آثاري في نينوى، الاّ انه أصيب بمرض الكوليرا ومات في تلك السنة، وأودعت مقتنياته، ومنها كتبه المخطوطة والمواد الأثرية الى المتحف البريطاني[٦].

ونشطت الهيئات الأجنبية نشاطا واضحا في استخراج الآثار، ولا سيما بعد ان افتتحت كل من بريطانيا وفرنسا قنصليات سياسية لها في الموصل، وبدأت فرنسا أول اعمالها في المنطقة بعد أن عيّنت أميل بوتا Paul Emile Botta (١٨٠٥ - ١٨٧٠) قنصلا لها في الموصل، ووجهت اليه التعليمات للحصول على أكبر قدر ممكن من المواد الأثرية، ومن بينها المخطوطات، ونقلها الى متحف اللوفر[٧]. وأصبح عمل فرنسا هذا فاتحة عهد في الحفر الأثري في المنطقة. كما كانت التوجيهات التي تلقاها بوتا من جون موهل سكرتير الجمعية الآسيوية الفرنسية الخاصة باجراء الحفريات الأثرية في نينوى قد حظيت بمكانة خاصة عنده.

وحينما وصل بوتا الموصل وله من العمر أربعون عاما كان تل النبي يونس الموقع الذي يطمح التنقيب فيه، لاسيما بعد ان سمع عن مجموعة ريج الأثرية التي اقتناها المتحف البريطاني، لكن عدم حصوله على الموافقة على الحفر في ذلك التل جعلته يتجه نحو تل قوينجق القريب منه.

اختار بوتا عدة نقاط للحفر في قوينجق، لكنه لم يتوصل الى نتائج مثمرة خلال الأشهر الثلاثة الاولى التي قضاها هناك، وربما كان السبب ان بوتا لم يعمد الى الحفر العميق في هذا التل العالي على الرغم من استخدامه عددا كبيرا من العمال.

وفي الفترة التي كان بوتا يشعر بخيبة الأمل في العثور على آثار في قوينجق أخبره احد عماله الذي كان يراقب الحفر عن كثب عن قريته المسماة خرصباد والتي يعثر سكانها على مواد أثرية في اثناء حفر أسس دورهم التي شيدوها فوق التل الواسع الأطراف، مما دفع بوتا لأن يبعث فريقاً من عماله الى الموقع المذكور، وعند مباشرتهم بالحفر هناك تمكنوا من كشف قطع من رخام مزينة بمشاهد منحوتة بشكل بارز وبكتابات مسمارية كانت مشجعة لبوتا لأن ينقل في ربيع ١٨٤٣ حفرياته الى خرصباد ويوسع اعماله فيها. ولقي بوتا على أثر هذه الاكتشافات تشجيعا ودعما ماليا من الحكومة الفرنسية التي أوصت باستمرار الحفر في الموقع الجديد، وطلبت منه ارسال المواد المكتشفة الى فرنسا بحرا لتعرض في متحف اللوفر. وكانت من بين هذه القطع الأثرية لوحات رخامية مزينة بموضوعات ناتئة وثيران مجنحة ارسلت بواسطة الأكلاك التي كانت راسية على حافة نهر دجلة الى بغداد ثم الى البصرة وشحنت من هناك الى فرنسا والتي وصلت بعدئذ الى متحف اللوفر.

لكن هذه النجاحات التي حققها بوتا والتي خطط على أثرها لتوسيع مناطق التنقيب عن الآثار لم تستمر بعد ان فوجئ بقرار من حكومته عقب ثورة حدثت في فرنسا عام ١٨٤٨ باغلاق قنصليتها في الموصل ونقله الى القدس موظفا في الخدمة الدبلوماسية[٨].

وبغياب فرنسا عن عمليات الحفر عن الآثار اغتنمت بريطانيا هذه الفرصة حيث كان لايارد





الذي اصبح قنصلها في الموصل بعدئذ[٩] والذي تربطه علاقة ودية مع بوتا يرصد من بعيد ويتجول في الوقت نفسه بين أطلال المدن القديمة مثل نينوى ونمرود وآشور التي زارها وهو على ظهر كلك في طريقه الى بغداد.

تمكن لايارد عام ١٨٤٥ وبمساعدة السر Stratford Canning السفير البريطاني في الاستانة الحصول على سماح (فرمان) من حكومة الباب العالي للتنقيب عن الآثار في المدن الآشورية، عاد بعدها ممتطيا جوادا قطع المسافة بين القسطنطينية والموصل باثني عشر يوما للمباشرة بمهمته، وقد خصص له كننك راتبا شهريا قدره مائتا باوند لتغطية نفقات الحفر.

وبعد ان وصل لايارد الموصل سلّم الرسالة التي تجيزه التنقيب عن الآثار الى الحاكم العثماني فيها، الاّ انه كتم أمر التنقيب، وسعى للحصول على ادوات ورماح تظاهر انه يستخدمها في رحلة له لصيد الخنازير الوحشية في المناطق المجاورة للموصل، وكان في الوقت نفسه يهيىء مستلزماته للسفر الى أطلال نمرود بواسطة كلك صغير بصحبة صديقه التاجر الانكليزي روس. وما ان وصل الاثنان قرية نايفة أطلعا مضيفهما صاحب الكوخ الصغير بأنهما سيقومان بالتنقيب في نمرود وطلبا منه تهيئة عمال لهذا الغرض من القرى المجاورة.

بدأ لايارد الحفر في تل آزر من هذه المدينة بعدد قليل من العمال، وحصل نتيجة ذلك على طابوقة عليها كتابات مسمارية ومجموعة من الكسر والآنية الفخارية، ويبدو ان لايارد خلال الأيام الاول من عمله كوّن علاقات ودية مع سكان القرية المذكورة ومن بينهم الشيخ عواد الذي ارشده لفحص جدار وقد ظهر على سطح الأرض قسم من المرمر الذي كان يكسوه من الداخل، تبين بعد حفره أنه جدار غرفة كانت مكسوة بألواح المرمر المزدانة بمشاهد منحوتة بشكل بارز وعلى عدد منها كتابات مسمارية، كانت هذه النتائج قد دفعت لايارد لحفر خنادق يحصل من خلالها على نتائج سريعة.

وكانت قسوة المناخ في نمرود، لاسيما فصل الشتاء قد دفعت لايارد الى بناء ثلاثة مساكن من اللبن والطين كان الأول مؤلفا من غرفتين بينهما ايوان سقّف بالخشب وحصران القصب فوقها طبقة من الطين، وكان الثاني لعوائل عماله من النساطرة، اما الثالث فقد خصص لخزن المواد الأثرية المكتشفة واتضح فيما بعد ان الأخير قد شيّد فوق جناحي أحد الأسود الحجرية المدفونة. وضرب لايارد مايقرب من اربعين خيمة في جهات مختلفة من التل وعلى امتداد المدخل المؤدي الى خنادق الحفر الرئيسة، ونصب اربعين خيمة أخرى حول مسكنه، فضلا عن الخيم الأخرى التي ضربها على شاطئ نهر دجلة في المنطقة التي رابطت عندها الأكلاك. وقد قسم لايارد الاعراب من عماله الى ثلاثة مجموعات حسب افخاذ عشائرهم، وأسكن كل مجموعة منهم في احدى المخيمات الثلاثة.

وقسم العمال الى فرق، كل فرقة مؤلفة من اثني عشر او اربعة عشر عاملا من الاعراب ينقلون الأتربة بواسطة الزنابيل الفارغة وعاملين او اربعة من النساطرة الحفارين يراقبهم مسؤول عمل أوكل اليه لايارد نقل التعليمات التي يصدرها اليهم، فضلا عن عمال آخرين من القبيلة المضيفة والمقربين اليه كانت مهمتهم نقل الأخبار اليه، وما اذا كانت هناك نوايا سيئة يبيتها له أحد.

شق لايارد خنادق طولية في أطلال هذه العاصمة الآشورية مع امتداد الجدران، كانت الغاية منها استظهار الألواح الحجرية العمودية المنحوتة التي تكسو أوجه القاعات الملكية من الداخل، دون الاهتمام باللقى الأثرية الصغيرة، لعدم معرفته بأهميتها.





وبعد ان أصبح عدد المكتشفات الأثرية من نمرود كبيرا، ومنها المنحوتات الحجرية والمواد الأخرى كان لايارد متحمسا لشحنها الى انكلترا، لكي تكون أول مجموعة من نفائس الآثار يرسلها لتعرض في المتحف البريطاني. ووصلت أول شحنة مؤلفة من اثني عشر صندوقا بحرا الى أحدى الموانئ البريطانية واستلمها المتحف المذكور في عام ١٨٤٧. وقد شجعت هذه المكتشفات لايارد وزادت من اطماعه لاجراء المزيد من الحفريات الأثرية في اطلال المدن الآشورية الأخرى، مثل نينوى وآشور وخرصباد، وكان هذا المنقب متحمسا لاجراء حفريات واسعة في آشور (قلعة شرقاط) لاسيما بعد أول فحص اجراه لاطلالها وهو في طريقه نهرا الى بغداد[١٠].

أصبح لايارد المنقب الوحيد في المنطقة بعد ان خلا له الجو بعد اغلاق القنصلية الفرنسية في الموصل، ونقل بوتا الى القدس كما أسلفنا، ووقف التنقيبات الفرنسية في السنوات بين ١٨٤٨ و ١٨٥١، مما دفع لايارد لأن يحفر في خرصباد، الاّ ان النتائج التي حصل عليها كانت اقل مما كان يتوقع. وتولى المتحف البريطاني تموين التنقيبات بعد ان كان كننك سفير بريطانيا لدى الدولة العثمانية يغطي نفقاتها.

وبدأت توجيهات المتحف البريطاني الى لايارد بتقطيع الألواح الحجرية الكبيرة التي يتعذر عليه نقلها الى عدة أقسام بغية التقليل من وزنها او سمكها، ولكي يسهل نقلها او نقل الأجزاء المهمة منها، واقترح ايضا دفن القطع الكبيرة مثل الثيران المجنحة، الاّ ان لايارد لم يكن مقتنعا بتلك التوجيهات، لاسيما بعد ان هيأ الوجبة الثانية من اثنين وعشرين صندوقا وضع في داخلها الآثار المهمة المكتشفة ومن بينها مسلة شيلمنصر[١١].

وشهد عام ١٨٥٢ تنافسا شديدا بين المنقبين البريطانيين والفرنسيين لاسيما بعد ان عاودت فرنسا التنقيب في المدن الآشورية وتنسيبها فكتور بلاس Victor Place لهذه المهمة عام ١٨٥١ م.

كان تل قوينجق الموقع الذي انقسم بين فريقي هاتي الدولتين، وأصبح القسم الشمالي منه خاص لتنقيبات الفرنسيين التي قادها بلاس، في حين كان القسم الجنوبي من التل من حصة الفريق الآخر الذي ترأسه هرمز رسام[١٢]، سبق ان تم التفاهم على هذا التقسيم في تركيا بين رولنصن البريطاني وبلاس الفرنسي قبل ان يصلا الموصل.

وعلى مايبدو ان هرمز رسام لم يكن مقتنعا بهذا التقسيم بل كان يطمح بكامل التل او على الأقل بالقسم الذي اصبح من حصة فرنسا لاعتقاده بعد حفر المجسات التي اجراها فيه ان في ذلك القسم من التل كنوزا أثرية في غاية الأهمية حتى آل الأمر برسام لأن يحفر فيه نفقا في احدى الليالي، ولما وصل الى نتائج مهمة منها اكتشافات الواح آشورية من الحجر وبقايا مكتبة آشور بانيبال اعلن عن عمله.

اما فكتور بلاس فقد كان عمله منحصرا بين تل قوينجق وخرصباد لاكمال اعمال بوتا في الموقع الأخير، في حين عمل الانكليز في قوينجق ونمرود وآشور وتل النبي يونس ومواقع مثل تل بلا ١٨٤٦ وقلعة شرقاط ١٨٤٧ وتبة كورا ١٨٤٩ وتل بربارا ١٨٤٩ وتل ابو ماريا ١٨٥٠ وتربيص ١٨٥٠، فضلا عن الحفريات التي اجروها في وسط وجنوب العراق مثل تل محمد في ضواحي بغداد وبابل وبرس نمرود ونفر عام ١٨٥٠[١٣]. وكان تل النبي يونس من أكثر المواقع الأثرية التي تحمس المنقبون الانكليز للعمل فيها، ووضعت الخطط السرية للمباشرة بالحفر في هذا التل، فقد حفر هرمز رسام خنادق من بيوت مشيدة فوقه بعد ان اتفق مع اصحابها، الاّ انه فشل بسبب معارضة سكان المنطقة وتدخل الحكومة المحلية في الموصل.





استمرت حفريات بلاس في قوينجق وخرصباد من سنة ١٨٥٢ ولغاية ١٨٥٤ ، وكانت اكثر دقة من تنقيبات كل من زميله بوتا والمنقبين الانكليز، حيث عمل معه المهندس Felix Thomas والرسام Fresnel ولذلك كانت الرسومات الهندسية لمكتشفاته البنائية والأثرية في غاية من الدقة.

ومثلما قررت الحكومة الفرنسية سحب بوتا ووقف عمله ، أصدرت اوامرها الى بلاس بايقاف العمل وذلك في تموز عام ١٨٥٤. وكان امام بلاس مهام لابد من انجازها قبل مغادرته الموصل ومن اهمها نقل الآثار المكتشفة الى فرنسا. الاّ ان الأكلاك الثمانية التي نقلت صناديق الآثار الى البصرة غرق ستة منها ، فيها عدد كبير من صناديق الآثار ومنها ثمانين صندوقا ارسلها رسام ، استقرت الآثار التي فيها في قاع نهر دجلة عند القرنة(١٤) .

وقبيل ان يغادر بلاس الموصل طلب منه متحف اللوفر ومعهد الفنون الفرنسي ضرورة دراسة وجس مواقع أثرية أخرى في المنطقة ، وربما كانت دوافع ذلك ان تضمن فرنسا مستقبلا آثاريا في المواقع الأثرية التي حفر فيها بلاس خنادق اختبارية ومنها : جيكان ، وتل كريابن ، وتل دولب ، فضلا عن قلعة شرقاط (آشور). وكانت جميع هذه التلول باستثناء آشور بعيدة عما كان يخطط له الانكليز.

وكان التنافس شديدا بين بلاس ورسام كما مرّ بنا ذلك ، الاّ انه اصبح على أشده حينما عمل بلاس في آشور. وحاولت بريطانيا تخفيف هذه الأزمة ، كما يبدو فأرسلت رسام بمهمة الى عدن وأوكلت الى لوفتس باعمال التنقيب بدلا عنه.

انفردت بريطانيا بالعمل الآثاري بالعراق بعد عودة بلاس الى فرنسا فأكمل فيلكس جونز مسوحاته لأطلال نينوى ، وحقق رولنصن(١٥) نجاحات كبيرة في قراءة الخطوط القديمة ، التي مكنته لدراسة تاريخ وسكان المنطقة وحضارتهم ، وفتحت الباب لغيره من الباحثين لدراسة المكتشفات الأثرية التي وصلت الى المتحف البريطاني واللوفر بباريس ، كما حفزت الآثار المكتشفة الآخرين من المغامرين الأوربين لغزو آثار الشرق ، لاسيما وان السلطات العثمانية كانت لاتمانع من قيام الجمعيات العلمية من الحفر في المواقع الأثرية. ومن أجل ذلك سعى بعض الدبلوماسيين الاوربيين لاسترضاء حكومة الباب العالي من أجل الحصول على امتيازات التنقيب كاحدى السبل للتطلع نحو الشرق لفهم تاريخه ولوضع مسارات ونفوذ جديدة.

وزاد نشاط بريطانيا الآثاري في العراق حينما أصبح لايارد سفيرا لها في الاستانة الذي سعى للحصول على امتيازات آثارية للحفر في المدن الآشورية على الرغم من محاولات وزير المعارف العثماني ادهم باشا تحديد هذا النشاط ، وكان هرمز رسام يتلقى توجيهاته من لايارد ، والذي طلب اليه تقديم الهدايا من المواد الاثرية الى حكومة الباب العالي ، وبهذه الطريقة خوّلت هذه الحكومة رساماً بالحفر في أي موقع أثري. ولم يكتف هرمز رسام بالحفر في نمرود وبلوات التي كشف فيها صفائح من نحاس منقوشة وعليها كتابات مسمارية كانت تغلف بالأصل بوابات من الخشب ، بل اتجه الى تل النبي يونس لتنفيذ طموحاته التي بدأ بها منذ أمد ، فعمد على شراء عدد من البيوت المشيدة على هذا التل ، ورحل سكانها ، وبدأ بحفر الانفاق في ارضياتها ، الاّ ان محاولته هذه اجهضها سكان المنطقة ، فاضطرت الحكومة العثمانية الى وقف عمله وسحب اجازته.

وعلى الرغم من محاولة رسام اعادة علاقته مع حكومة الاستانة ، الاّ انها لم تكن مثلما كانت عليه ، لاسيما وان لايارد لم يعد سفيرا لبلاده في الحكومة العثمانية ، فعمل في نمرود ووزع مجموعات من عماله في مواقع متعددة لاستخراج اكبر كمية من الآثار(١٦) .





وتولى التنقيب بدعم وتوجيه من المتحف البريطاني رولنصن الذي استمر في ترجمة الكتابات المسمارية المكتشفة في المدن الآشورية، كما تولاها جورج سمث الذي كان يعمل في ترميم رقم الطين المكسورة في المتحف المذكور حتى اصبح بعدئذ احد أمنائه. وقد ترجم سمث ملحمة جلجامش عام ١٨٧٢ المؤلفة من سبعين سطرا. ولكفاءته في الترجمة عرضت عليه الجريدة اللندنية اليومية الديلي تلغراف الف باوند للبحث عن تكملة نص هذه الملحمة في قوينجق ،ولجدية سمث ومثابرته عثر على تكملة النص في ١٤ آذار عام ١٨٧٣، وأوفده المتحف البريطاني ايضا للمرة الثانية للحفر في قوينجق عام ١٨٧٦، ولكن محصلته الآثارية كانت قليلة[١٧].

وما ان تحسنت أساليب الحفر وانتشرت البعثات التنقيبية الأوربية في مناطق الموصل وفي وسط العراق وجنوبه للتفتيش عن مصادر جديدة للآثار، لاسيما المدن المندرسة المذكورة في اسفار العهد القديم مثل بابل والوركاء وكيش واور.... حتى بدأت الدولة العثمانية تحس بضرورة اصدار تشريع خاص بالآثار لاسيما بعد ان عين حمدي بك مديرا للمتحف الشرقي الأمبراطوري في اسطنبول الذي سعى لاصدار تشريع يلزم الهيئات التنقيبية بقسمة ماتكتشفه من الآثار المنقولة[١٨].

وما أن شارف القرن التاسع عشر على الانتهاء كان البريطانيون حريصين على ايصال كل ماكتشفته هيأتهم من الآثار الى متحفهم الوطني بسبب نشوب الحرب الروسية العثمانية، وافتتاح قنصلية روسية في الموصل عام ١٨٨٣[١٩]، الا انهم عاودوا التنقيب في العواصم الآشورية في السنوات ١٨٨٨ و ١٨٩١ و١٩٠٣- ١٩٠٥.

باشر الألمان في عام ١٨٩٨ حفرياتهم في بابل التي سبق أن نقب فيها كل من لايارد وهرمز رسام، ولقيت هذه الحفريات الدعم المالي من لدن وليم الثاني القيصر فلهايم على أثر تأسيس الجمعية الألمانية الشرقية في برلين Deutsche Orient Gosell schaft ورأس بعثتها التي عملت بتواصل ثماني عشرة سنة روبرت كولد فاي، وعرف عن حفريات الألمان انها أكثر علمية، واستخدمت عربات سكك الحديد لنقل الأتربة المستخرجة من جراء الحفر، وكان التنقيب الأفقي الذي سبق ان بدأه بلاس في خرصباد قد تبناه الألمان في حفرياتهم في كل من بابل وآشور، وأصبح فيما بعد الطريقة المثلى في التنقيب عن الآثار[٢٠].

وبفضل الخبرة التي امتلكها الألمان في حقل التنقيب بعد السنوات الطوال التي أمضوها في بابل، برع أحد اعضاء بعثتهم وهو المهندس المعماري فالتر اندريه في ادارة بعثة للألمان عملت في اشور خلال الفترة ١٩٠٣- ١٩١٤، شملت أولا الفحص الأولي لاطلالها، ثم الشروع بحفر الأقسام الشمالية الغربية منها القريبة من حافة نهر دجلة، بهيئة خنادق وحفر جس عمودية للتعرف على طبقات السكن في آشور وتواريخها. فكشفت هذه الحفر عن وجود بقايا سومرية استدل من خلالها وجود تأثيرات للحضارة السومرية التي كان مركزها الأول منطقة السهل الرسوبي بجنوب العراق. وبذلك سجّل فالتر اندريه السبق من بين المنقبين في اتباع هذا الأسلوب في الحفر والذي أصبح مثلا اتبعه المنقبون اللاحقون في تنقيبات مدن العراق مثل نفر والوركاء ونينوى. كما عرف عنه الدقة في ضبط المعاثر وفي الاعمال الهندسية، فضلا عن تدريب عمال القرى المجاورة على أعمال الحفر الفني حتى أصبحت خبرتهم في تمييز طبقات السكنى الآثارية وجدران اللبن من بين الطبقات الأخرى قد خدمت الحركة الآثارية في العراق حتى صار لهؤلاء العمال دور مهم في الآثار وعرفوا باسم الشرقاطيين[٢١].

وفي السنوات ١٩١٣- ١٩١٤ أجرت البعثة الألمانية ايضا حفريات في تلول العقر (كار توكولتي





نتورتا) التي تقع قبالة آشور على الجانب الثاني من نهر دجلة، وهي المدينة التي شيدّها الملك توكولتي نتورتا الأول (١٢٦٠- ١٢٣٠ ق. م).

ودرس اندريه ايضا البقايا البنائية الشاخصة في مدينة الحضر الواقعة الى الغرب من آشور بعد زيارتهم المتعددة لها ووضعوا عنها دراسات خلال اقامتهم في العاصمة الآشورية نشرت في عامي ١٩٠٨ و ١٩١٢.

وعلى الرغم من مبدأ القسمة بموجب القانون الذي سنته الحكومة العثمانية فإن الالمان اخذوا مئات الصناديق المليئة بالآثار كان مصدرها من آشور، من بينها واجهات المعابد والقصور والرقم الطينية والألواح الحجرية والمواد الأثرية الأخرى تاركين وراءهم بعد قيام الحرب العالمية الأولى الجدران المشيدة باللبن والخنادق الواسعة عرضة للعوامل الطبيعية ومرتعا للحيوانات.

وفي الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى، وبعد ان آل اقتسام الأقطار العربية التي كانت تحت سلطة العثمانيين بين بريطانيا وفرنسا، كان العصر الذهبي للمنقبين الأجانب[٢٢]، فلم يكن هناك قانون يلزمهم قسمة المكتشفات الأثرية او أي سلطان لابناء تلك البلاد عليهم، ولاسيما بعد أن انيطت مهام ادارات الآثار والسلطات الادارية الى الأجانب. وأدى الأمر الى تنظيم حملات استكشافية جديدة للبحث عن مصادر جديدة للعمل، اشتركت فيه اربع دول هي: الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا، والى جانب ذلك تحسنت مناهج التنقيب وتم استخدام الأسلوبين العمودي والأفقي في الحفر ودراسة الطبقات الأثرية لاعطاء تصور تأريخي وحضاري للمنطقة.

وبدأ نشاط الجمعيات والمعاهد الأمريكية في مجال التنقيب عن الآثار بارزا في شمال قطرنا واستهلته الآنسة كارود Garrod في السنوات ١٩٢٦- ١٩٢٨ بالتجوال في المنطقة الجبلية بحثا عن الكهوف والمآوى الصخرية وقد ساعدتها في مشروعها هذا وزارة الداخلية العراقية، حينما أصدرت أوامرها الى رؤوساء الوحدات الادارية بالمنطقة الشمالية بيان أسماء الكهوف ومعلومات عنها تتعلق باستعمالات هذه الكهوف حينذاك وأخرى طوبوغرافية وبيئية[٢٣]، وقد اختارت الباحثة كارود من بين الكهوف التي زارتها، والتي زودتها باسمائها وزارة الداخلية العراقية كهفي زرزى وهزارمرد في منطقة السليمانية، وأجريت فيها التنقيبات الأثرية عام ١٩٢٨.

كما كان نشاط الجامعات الأمريكية شيكاغو، وهارفرد، وكولومبيا، وبنسلفانيا، واضحا في التنقيب عن آثار المنطقة، والتي انحصرت مواقعها المختارة مابين نهر دجلة والمرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية من قطرنا وكان من هذه المواقع: تبه كورا، وبلا، وجروانة، وخرصباد (في منطقة الموصل) ويورغان تبه (نوزى) في منطقة كركوك، وجرمو في منطقة كركوك، وكرد جاى وملفعات في منطقة أربيل. وتضم كل بعثة منها الاختصاصيين بالآثار وآخرين بالنقوش القديمة، والبيئات القديمة، والكيمياء والرسم والمساحة، وأصاب هذه البعثات ركودا في الفترة مابعد الثلاثينات، الاّ انها عادت الى نشاطها بعد الحرب العالمية الثانية، واقتصرت منذ اواخر الأربعينات على مواقع ماقبل التاريخ كما سنرى[٢٤].

وشهدت منطقة الموصل بعثات آثارية عاودت العمل بعد الحرب العالمية الاولى قادها رجال سبق وعملوا في الوحدات العسكرية ضباطا سياسيين او ضباط للاستخبارات، ومنهم طومبسن ومالوان، بعد ان كانوا ضمن البعثة الانكليزية التي قادها وولي بنجاح في مدينة اور لحساب المتحف البريطاني من ١٩٢٢ ولغاية ١٩٣٤.

باشر طومبسن ومعه هتشنسن وهاملتون بحفر خندق عميق في تل قوينجق بتموين من جريدة





برمنكهام بوست لاختبار ما اذا كانت هناك طبقات سكنى لعصور ماقبل التاريخ تحت الطبقات الآشورية، وللحصول على أدلة تخص علاقة منطقة نينوى بالطوفان، فضلا عن الهدف الآخر وهو البحث عن الألواح المكتوبة(٢٥).

الاّ ان حفر الجس لم تتوقف عند الطبقات الآشورية او عند الكتف الصخري الذي كان الاعتقاد عند طومبسن ان مساكن الأطوار الاولى قد شيّدت عليه، بل واصل الحفر حتى التربة البكر التي كانت على عمق تسعين قدما، وقد استخدمت السلال الفارغة لنقل الأتربة وكانت تعلق بالحبال. واستغرقت عملية الحفر سبعة أسابيع، حدد طومبسن من خلالها ان عمق تراكمات الطبقات الأثرية في قوينجق كانت مائة قدم، منها اثنتان وسبعون قدما تعود ازمنتها لعصور قبل التاريخ، تبدأ من عصر نينوى ١ في القعر وتنتهي بنينوى ٥ في القمة وتغطي هذه الطبقات فترة زمنية تقدر بثلاثة آلاف سنة (٦٠٠٠– ٣٠٠٠ ق. م)، على اقل تقدير. وكشف في طبقات نينوى ٥ على بيوت شيّدت باللبن وفخار لم يسبق العثور عليه في مكان آخر مطليا باللون الأسود والأرجواني، وقد زيّنت أوانيه باشكال هندسية وحيوانية(٢٦).

وفي آذار سنة ١٩٣٢ كلّف المتحف البريطاني السيد مالوان وبدعم من المدرسة البريطانية للآثار في العراق، باجراء حفائر بشكل خنادق في موقع اربجية الكائن على مسافة أربعة كيلو مترات الى الشرق من أطلال نينوى وضمت بعثته السيدة اجاثا كرستي زوجته، وجون روس المهندس المعماري الذي كان معه في بعثة وولي في تنقيبات اور.

تعاقد مالوان الذي اسندت اليه لأول مرة رئاسة بعثة أثرية مع اصحاب الأرض التي يقع فيها تل اربجية لاستئجارها بمبلغ زهيد لقاء ان تعمل بعثته بكل حرية في ذلك الموقع، واشترط العقد ان يدفع مالك الأرض ان عرقل عمل البعثة الفي (باوند وبعد ان اكتلمت الأعمال التمهيدية في الأربجية، حفر مالوان خنادق كشف من خلالها قرية من العصر الحجري المعدني تعود الى دور حلف وأدوار أخرى مثل العبيد التي أثبتت الصلة بين السهل الرسوبي لجنوب العراق بشماله في الفترة بين ٤٠٠٠– ٣٥٠٠ ق. م. كما شرع مالوان في الحفر في تل صغير يعرف عند السكان باسم "تبه رشوا" الى الشرق من اربجية بما يقرب من نصف ميل الى الطريق المؤدي الى بعشيقة. وقد نشر كل من مالوان وروس بحثا قيّما عن تنقيباتها في الأربجية في عدد خاص من مجلة IRAQ البريطانية ضم وصفا لأعمال التنقيب ونتائجه ورسومات دقيقة للآنية الفخارية المكتشفة ومخططات ومقاطع لمباني وأرضيات طبقاته السكنية(٢٧).

وكان عمل البعثة البريطانية في اربجية آخر موسم عمل للانكليز في العراق لأسباب قومية لم يذكر مالوان ايّا منها، الاّ انه يشير الى العراقيل التي وضعها يوردان الألماني الجنسية الذي كان يعمل مديرا للآثار العراقية آنذاك والمعروف بميوله النازية، ومنها قسمة الآثار التي اكتشفتها بعثته في اربجية كما يخوله القانون المعمول به والصادر في عام ١٩٢٤، ولهذه الاسباب القومية كما يراها مالوان حاول يوردان حرمان الانكليز من حصتهم الاّ ان مجلس الوزراء العراقي قد حسم القضية هذه بعدئذ لصالح البعثة المذكورة(٢٨).

انتقل العمل الآثاري بعد اربجية الى منطقة الخابور في سوريا في وقت كانت البعثات الآثارية الفرنسية تعمل بحرية هناك، ومنها تنقيبات في تل نيراب بين حلب والفرات، وتل الحريري (ماري)، فضلا عن ان اجازات التنقيب في سوريا التي كانت تحت الانتداب الفرنسي كانت تمنح





للمنقبين بسهولة. فعمل مالوان مسحا للتلول والأماكن الأثرية في منطقة نهر الخابور بين رأس العين والحسكة، انجزه في اواخر عام ١٩٣٤، واختار من بينها موقع شكر بازار الكائن الى الجنوب من بلدة القامشلي بأربعين كيلو مترا، حيث تعود أقدم طبقاته الى دورى سامراء وحلف من عصور قبل التاريخ. كما شرع مالوان بعد ان انتهى العمل في شكر بازار في ١٩٣٨ حفرياته في تل براك الى الجنوب من مدينة الحسكة.

ومكّنت النتائج التي حصل عليها مالوان من تنقيباته في نينوى والأربجية ومن التنقيبات الأخرى في بلاد آشور من ربط منطقة الخابور حضاريا ببلاد وادي الرافدين باعتبارها جزءا منها(٢٩).

وفي الوقت الذي كان مالوان يجري اعماله الآثارية بانتظام في منطقة الخابور كان شمال غرب العراق حقلا لثلاثة مسوحات آثارية أنجزتها بعثات انكليزية ترأس الاولى سيتن لويد والثانية رايتلنكر والأخيرة شتاين. مسحت الاولى مواقع الآثار في سهل سنجار– تلعفر، مركزة على مستوطنات قبل التاريخ المنتشرة في تلك المنطقة بغزارة، وبذلك سجلت عددا كبيرا من مستوطنات من مختلف العصور ابتداءا من عصور القرى الزراعية المبكرة. ورسمت النماذج من اللقى الفخارية التي التقطت من سطوح المواقع الأثرية وبوبت حسب أدوارها الزمنية، كما رسمت خرائط كنتورية لعدد من المواقع الأثرية المهمة، وبذلك عدّ هذا المسح نموذجا من بين المسوحات التي جرت في المنطقة آنذاك(٣٠).

ودرس رايتلنكر المباني المتبقية والتلول المنتشرة في غرب الموصل والتي تعود الى الفترة السابقة على الاسلام او العصور العربية الاسلامية مثل أطلال مدينة بلد او بلط (اسكي موصل حاليا) وقصر سريج وجسر كسك كوبرى(٣١).

وفي ذلك الوقت كان الباحث الفرنسي بواديبار على رأس بعثة كبيرة العدد وجيدة الاعداد، يجري مسوحاته في الجناح الشرقي من سوريا لتتبع المحطات الواقعة على الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية لاجراء دراسة تحقيقية للمحطات والأماكن التي وردت اسماؤها في الخرائط التي وضعها الرومان في القرن الثاني للميلاد والمسماة Tabula Peutingeriana والممتدة شرايينها في اعالي بلاد وادي الرافدين. وانجزت البعثة اعمالا جليلة مازالت المصدر المهم لمثل هذه الدراسات. وحينما عزمت هذه البعثة القيام بمثل هذه الأعمال من المسح في الجانب العراقي في المنطقة مابين جبل سنجار وبلدة القائم على نهر الفرات عند الحدود العراقية السورية رفضت الحكومة العراقية قيام البعثة المذكورة بهذا العمل في اراضيها(٣٢) فتقدم اورل شتاين من الجانب البريطاني لانجاز هذا العمل. فباشر في عامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ اعماله في المنطقة الممتدة بين آشور (قلعة شرقاط) والحضر وجبل سنجار مستخدما التصوير الجوي للتحري عن محطات القوافل المؤشرة على خرائط الرومان المشار اليها، والتي تقع معظمها في لحف المقدمات الجبلية او منطقة التلال مابين القيارة وجبل سنجار، وكانت احدى المحطات التي حققها شتاين هي جدالة. (آد هركليوم) الوارد ذكرها بهذا الاسم في الخرائط المذكورة التي تلتقي عندها الطرق الآتية من آشور والحضر، فضلا عن تشخيصه لعدد آخر من المحطات مثل نداس وأم الشنين والشيخ ابراهيم... وأصبحت اعمال شتاين هذه قاعدة للدراسات اللاحقة التي جرت عن هذه المنطقة(٣٣).

وما أن اصبح عمل معظم البعثات الآثارية الأوربية في غرب العراق ومنها منطقة الخابور السالفة الذكر حتى وفرت الفرصة للجامعات الامريكية للعمل وحدها في اماكن أثرية متفرقة من





العراق، ولا سيما في شماله فعملت بعثة جامعة بنسلفانيا برئاسة شبايزر في تبة كورا للسنوات ١٩٢٧ - ١٩٣٨، والذي سبق أن عمل فيه لايارد خندقا بسيطا عام ١٨٤٩، تركه عندما وجد ان معظم مكتشفاته من الأواني الفخارية وان التنقيب فيه يحتاج الى جهود معقدة. وكانت المكتشفات الأثرية ومنها البنائية قد أصبحت مثالا جيدا للمقارنة، لاسيما وان هذا المستوطن الواسع يضم عشرين طبقة بنائية يعود أقدمها الى دور حلف وينتهي احدثها بالعصر الآشوري الوسيط في الألف الثاني قبل الميلاد. كما يستنتج من اللقى الاثرية أن تبة كورا كانت مركزا مهما خلال دوري العبيد والوركاء على الرغم من بعدها الجغرافي عن موقع حضارة هذين الدورين. فقد تحسنت المواد الأولية في أبنيتها وشاع استخدام اللبن بدلا من الطوف، وانتشرت اشكال المخططات المستطيلة في الابنية ومنها المعابد حتى أصبحت معابد تبة كورا تضاهي معابد اريدو في جنوب العراق[٣٤].

وحفرت بعثة جامعة شيكاغو في ربيع ١٩٣٣ في تل جنجي، ووجدت في طبقاته ان الموقع قد استوطن في العصر الحجري الحديث حيث وجدت وعلى سطحه آلات حجرية اتسمت صناعتها بالدقة يرجح انها تعود الى ذلك العصر، كما وفرت المواد الأثرية المكتشفة ان السكنى فيه استمرت بشكل مستمر مابين منتصف الألف الثالث ق. م وحتى العصر الآشوري الوسيط[٣٥].

وكشفت بعثة جامعة بنسلفانيا التي كانت تعمل في تبة كورا التحريات الواسعة في تل بلا الذي سبق وأن جسه لايارد عام ١٨٤٦ فكشفت عن أدوار حضارة حلف والعبيد وفجر السلالات. كما عثر فيه على رقم طينية جاء في أحد منها اسمها وهو "شيبانيبا".

وضمن هذه المنطقة أجرت بعثة المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو التنقيبات الواسعة على نحو متواصل للفترة من عام ١٩٢٩ ولغاية ١٩٣٥، في مدينة خرصباد والتي شملت بوابات سورها وقصورها ومعابدها، واكتشفت مواد اثرية نفيسة منها ثيران مجنحة وألواح من رخام منقوشة وألواح من الطين عليها كتابات مسمارية آل البعض منها الى المتحف العراقي[٣٦].

ونقّبت المدرسة الامريكية للأبحاث الشرقية ثم جامعة هارفرد في الأعوام ١٩٢٥ ولغاية ١٩٣١ في الموقع الذي يسمى يورغان تبه الكائن على مسافة ٢٢ كم الى الجهة الجنوبية الشرقية من كركوك، فكشفت عن قصر ومعبد ورقم من الطين احتوت على رسائل ونصوص اقتصادية وقانونية، ووجد نوع من الفخار عرف عند الآثاريين بعدئذ بفخار نوزى، كما كان من بين المكتشفات لوح من الطين رسمت عليه خارطة لمدينة نوزى يرقى تاريخها الى العصر الأكدي حوالي ٢٣٠٠ ق. م، تعد أقدم خارطة من هذا النوع[٣٧].

وبعد مايقرب من ربع قرن من التحريات التي أجرتها الآنسة كارود في كهفي زرزى وهزارمرد كما مرّ بنا عادت البعثات الأمريكية الى العمل في شمال العراق لاجراء دراسات معمقة عن نشاط الانسان في العصور الحجرية، فبدأ الاستاذ بريد وود من المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو تحرياته الأولية في جرمو والتي عاود التنقيب فيها بعد عدة سنوات. وأجرى كل من الباحثين "رايت" و "هاو" تحرياتهما في الموضع المعروف باسم "برده بلكا" واستنتجا أنه كان مستوطنا مكشوفا يعود في تاريخه الى العصر الحجري القديم الأدنى، كما تشير الى ذلك الأدلة الآثارية المتوافرة ومنها أدوات حجرية معمولة من الشظايا وفؤوس حجرية يدوية[٣٨].

ولم يكتف كل من هاو ورايت وبريد وود بالمسح في شمال العراق بالبحث عن مواضع العصور الحجرية بل أجروا تحريات في عدد منها وجست طبقات المواقع التالية: كرد جاي وكريم شاهر وكرد





أغا وكهف كيواني وكرد بالك وكهف حافيدان، وكهف بيخال، وتل الخان، وملفعات، فضلا عن التحريات القصيرة الأمد التي أجراها هاو في الكهوف والمغاور الصخرية القريبة من قرية جونه الى الشرق من بلدة عقرة، ومنها كهف باراك. وسجلت البعثة الامريكية نجاحات علمية في التنقيبات التي أجرتها جامعة شيكاغو في زاوي جمي وجرمو التي كشفت فيها أول قرية فلاحية من العصر الحجري الحديث زاول سكانها الزراعة[٣٩].

ودخلت دراسة الكهوف ونشاط الانسان فيها بجانب دراسة مستوطنات العصور الحجرية بعد ان قدّمت التنقيبات التي أجريت في زاوى جمي عن وجود علاقة بين هذا المستوطن وكهف شانيدر، وقام رالف سوليكي بدعم من كل من جامعة مشيغان والمعهد السمشوني الأمريكي اول تحرياته في كهف شانيدر عام ١٩٥١ واستمر عمله لعدة مواسم حتى ١٩٦١، استطاع بواسطتها تحديد أربع طبقات أثرية رئيسة يعود أقدمها الى العصر الحجري القديم الأوسط.

ودخلت أول بعثة يابانية شمال غرب العراق تبحث في عصور قبل التاريخ وأجرت في الموقع المعروف باسم الثلاثات تنقيبات اثرية لعدة مواسم منذ ١٩٥٦ حيث كشفت في أقدم طبقاته على مقاشط وسكاكين حجرية وآنية فخارية تعود الى العصر الحجري الحديث تماثل اللقى الأثرية في كل من جرمو وحسونة.

وشهدت منطقة الموصل نشاطا آثاريا لم يسبق له مثيل، فقد عاودت البعثات الانكليزية العمل في هذه المنطقة فاستأنفت اعمالها في نمرود وفي تل الرماح وتل الطاية وعين سينو، وكل هذه الاماكن الأثرية باستثناء نمرود تقع في سهل سنجار الذي سبق أن شملت مواقعه اعمال المسح الذي قام به ستين لويد عام ١٩٣٦ كما أسلفنا.

وفضلا عن أعمال التنقيب الذي انجزته البعثات المذكورة فقد أجرت في الوقت نفسه مسوحات دقيقة للمواقع المنتشرة على المسالك المؤدية الى اماكن التنقيب، ومنها مسوحات أوتس لمنطقة تلعفر والتي تبحث في التوزيع الجغرافي للمواقع الأثرية وحسب فتراتها الزمنية، وكذلك تحديد الطرق التي كانت تسلكها قوافل الرومان وجيوشهم[٤٠].

وباشرت أول بعثة سوفياتية التنقيب في يارم تبه بالقرب من تلعفر المؤلفة من عدة تلول واختارتها من بين المواقع الغزيرة العدد في تلك المنطقة بعد المسوحات التي اجرتها في عام ١٩٦٩، وكشفت عن حضارة دور حسونة في التل رقم (١) وثقافة حلف في الموقع رقم (٢) المميز بأبنيته الدائرية التي كشف منها مالوان في اربجية كما أشرنا الى ذلك من قبل، كما استظهرت حضارة العبيد والوركاء في التلول الأخرى من يارم تبه. وتوصلت الى ان في يارم تبه كانت قرى تعود الى عصور قبل التاريخ، انتشر كل دور على مساحة معينة لما للعوامل الجغرافية في المنطقة من أثر على استمرار الاستيطان فيها. وتجدر الاشارة الى ان البيوت المستظهرة في الطبقات الأولى من يارم تبه كانت صغيرة ومشيدة جدرانها بالطوف، الحقت بها فيما بعد ابنية أخرى رجح انها مخازن او انها شيّدت نتيجة ازدياد سكان كل بيت[٤١]. وأجرت البعثة نفسها حفريات أيضا في موقع آخر يقع الى الشمال الغربي من بلدة تلعفر يعرف عند المحليين باسم مغزلية كشفت فيها عن قرية تعود الى العصر الحجري الحديث، استظهرت بقايا مساكنها وتحصيناتها التي تسبق الاستحكامات الدفاعية في تل الصوان الواقع الى الجنوب من مدينة سامراء[٤٢].

والى الجنوب الغربي من سهل سنجار الذي شهد تنقيبات بعثات أثرية من جنسيات مختلفة، ولا سيما التي تبحث منها في عصور قبل التاريخ،





كانت المنطقة المعروفة ببادية الجزيرة لم تشهد مثل هذه الأعمال وظل الآثاريون لايعرفون عن حياة الانسان فيها خلال تلك العصور الاّ النزر القليل ، ولهذا شرعت السيدة كركبرايد عن المدرسة البريطانية للآثار في العراق مسوحاتها في هذه المنطقة مكتشفة مايقرب من سبعة وثمانين موقعا يعود معظمها الى عصور قبل التاريخ . واختارت هذه الباحثة التلول المعروفة باسم ام دباغية الكائن في منطقة كان ومازال نصيبها قليلا من الأمطار بدرجة لاتساعد على الزراعة الديمية ، وهي على العكس من منطقة سهل سنجار التي تعتمد زراعة الحنطة والشعير فيها على الأمطار. ولكي تلقي الباحثة الضوء على هذه المنطقة وطبيعة الحياة في هذا الموقع خلال العصور الحجرية ، شرعت الحفريات ولعدة مواسم فيه ، واستنتجت بعد ذلك ان في ام دباغية كانت قرية يعود أقدم طبقاتها الى العصر الحجري الحديث ، ويعتمد اقتصاد سكانها على الصيد ، ولاسيا حيوان حمر الوحش Onegar [٤٣] .

وفي السنوات الأخيرة الماضية ، وبعد ان شرعت حكومة جمهورية العراق ببناء سد صدّام (سد الموصل سابقا) الى الشمال الغربي من الموصل ، انجزت دائرة الآثار والتراث مسوحاتها الأثرية للمنطقة التي ستغمرها مياه هذا السد. ولكثرة عدد هذه المواقع ولعدم كفاية الكوادر الآثارية العراقية ارتؤي دعوة معاهد وجامعات من الدول الأجنبية الصديقة للتنقيب فيها على ان توفر الحكومة العراقية مستلزمات ونفقات العمل اما الآثار المكتشفة فقد حدد القانون اعتبارها ملكا للعراق ، الاّ انه لم يمنع من قيام البعثات المنقبة بدراستها . فلبت الدعوة بعثات بريطانية وفرنسية وأمريكية وايطالية وسوفياتية والمانية ونمساوية ويابانية وبولونية ... وتوصلت هذه البعثات الى نتائج وضعت خطوات مهمة امام المختصين لدراسة الجوانب التاريخية والحضارية لهذه المنطقة . وبامكان القارئ الرجوع الى السفر الذي أصدرته دائرة الآثار والتراث الخاص بالنتائج الأولية للبعثات العاملة في المنطقة المذكورة . كما وسنعود في موضع آخر من هذا البحث الى المواقع الأثرية التي جرى حفرها من قبل الكوادر العراقية [٤٤] .

## ٢ – دور البعثات العراقية في الكشف عن الآثار :

بعد أن تأسست دائرة الآثار سنة ١٩٢٠ التي كانت مرتبطة بمصلحة المعارف ، شرّع أول قانون يحمي آثار العراق في عام ١٩٢٤ بعد افتتاح المتحف العراقي بعام واحد ، وكان دورها ينحصر في تطبيق ذلك القانون على البعثات الآثارية الأجنبية ، الاّ ان نشاط هذه الدائرة أصبح واضحا في الفترة مابين الحربين العالميتين. وأسهمت في الكشف عن حضارة هذا البلد العريقة ، ولا سيا في حقلي التنقيب والصيانة للحفاظ على التراث من الاندثار، بعد ان عاد من أكمل تخصصه بالآثار من العراقيين في الجامعات الأجنبية وفي مقدمتهم الاستاذان الفاضلان طه باقر وفؤاد سفر ، واستمرت دائرة الآثار تؤدي مسؤولياتها وباشرت التنقيب في موقع حويصلات بالقرب من سامراء وفي حواضر عربية مثل واسط وسامراء والكوفة وتكريت ، كما وأجرت في ١٩٣٩ مثل هذه الأعمال في مواقع أثرية في سهل سنجار مثل كري رش ، ووجدت في طبقاته آثارا تعود الى دور الوركاء حوالي الألف الرابع ق. م. وقامت بتحريات في احدى بوابات سور مدينة نينوى المعروفة باسم بوابة نرجال عام ١٩٤٠ ، واستظهرت تفاصيل مرافقها البنائية وعملت صيانة للاقسام المتبقية منها ، وبذلك اصبح مخطط هذه البوابة فيما بعد نموذجا لبوابات اسوار المدن الآشورية .

ولم تكتف دائرة الآثار بما أجرته في بوابة نرجال الآشورية بل اجرت بنفس الوقت تحريات أثرية في خرصباد (دور شروكين) ، واستخرجت منها ثورين مجنحين منحوتين من الحجارة يناهز وزن الواحد منها عشرين طنا .





وفي عامي ١٩٤٢ و١٩٤٣ تبنت دائرة الآثار التنقيب في موقع حسونة الكائن في الجنوب الشرقي من مدينة الموصل وعلى مسافة ٣٥ كيلو مترا منها، للبحث في الفترة التي بدأ الانسان يستقر في قرى دائمية معتمدا على الزراعة لبناء اقتصاده، وكيف تم هذا التحول التدريجي من مضارب مخيمات قائمة على التربة البكر وحتى بناء بيوت من الطوف، ثم تشييد بيوت بنيت جدرانها باللبن، كما استهدفت هذه الحفريات دراسة التحول من الصيد الى الرعي ومزاولة الزراعة الديمية[٤٥].

وقد عد الآثاريون ان تلك المكتشفات هي ثقافة محلية انتشرت في شمال العراق وتركزت في المنطقة بين نهر دجلة والمقدمات الجبلية في شمال غرب العراق، وبذلك استطاع الآثاريون بعدئذ من تتبع الانتشار الجغرافي لحضارة حسونة، للمنطقة الممتدة مابين موقع جوخة مامي القريب من مندلي عند الحدود العراقية الايرانية وحتى موقع باغوز على الفرات غربا، باستثناء تل الصوان الى الجنوب من سامراء الذي لم يعثر فيه على اي أثر لهذا الدور[٤٦].

ومن بين اعمال دائرة الآثار منذ مطلع الخمسينيات من هذا القرن التنقيب في أطلال مدينة الحضر العربية ثم صيانة ابرز مبانيها، وقد كشفت هذه الحفريات عن جوانب تأريخية وحضارية لهذه المدينة التي كانت عاصمة بلاد عربايا (بلاد العرب) في القرون الاولى للميلاد[٤٧].

وهناك عوامل دفعت دائرة الآثار للتنقيب في الحضر. وهي ان آثار هذه المدينة بقيت محافظة على حدودها التاريخية بسبب موقعها الصحراوي وبعدها من مراكز المدن قد حفظ كنوزها الأثرية من حفريات المغامرين من الاوربيين، وبقيت سالمة تنتظر معاول المنقبين، وباشرت دائرة الآثار بأعمالها في هذه المدينة في عام ١٩٥١ وحفرت في اربع نقاط في جهات مختلفة من المدينة اصطلح المنقبون على تسمية كل نقطة باسم «حارة» وكشفت هذه الحفريات عن وجود معابد صغيرة او مزارات في ثلاث من هذه الحارات باستثناء الاولى التي اوقف العمل فيها لاكتشاف طبقات سكنية فيها دون العثور على مواد أثرية أخرى كالتماثيل الحجرية. وقد تميزت هذه المزارات كونها مستطيلة الشكل ومتشابهة التخطيط وواقعة ضمن الأحياء السكنية.

وفي عام ١٩٥٢ كشفت الحفريات المعبدين الرابع والخامس خلال الموسم التنقيبي الثاني، واستظهر في السنوات التالية معابد صغيرة أخرى حتى اصبح في عام ١٩٥٥ عدد ما اكتشف منها في المدينة أحد عشر معبدا[٤٨]. واستظهرت دور سكنية ملتصقة بهذه المعابد. وباكتشاف آخر معبد انصرفت الهيئات الفنية العاملة فيها الى اعمال التحري في اواوين المعبد الكبير ومصلياته المخصصة لعبادة الآلهة مثل مثل مرن وشحيرو وسميا واللات...

واتخذت دائرة الآثار منذ ١٩٦٠ منهجا جديدا وهي الانتقال الى صيانة الابنية الشاخصة التي سبق ان تحرت فيها في السنوات السابقة، والمشيدة بالحجر المهندم الذي يعرف بالحلان، واستمرت اعمال الصيانة بدرجات متفاوتة لاعادة واجهات الأواوين والمصليات في المعبد الكبير حتى أصبحت في السنوات الأخيرة على نطاق محدود.

وفضلا عن الصيانة الجارية في عدد من الأبنية فان حفريات واسعة جرت في أماكن متعددة من الحضر. منها البوابة الشمالية والقصر القريب منها، وعدد من المدافن فيها وكذلك البوابة الشرقية والاستحكامات الدفاعية المجاورة لها في السور الرئيسي للمدينة.

ويمكن للقارئ الوقوف على أعمال التنقيب وأماكنها في الحضر مراجعة مانشرته البعثات الفنية من تقارير وبحوث في مجلة سومر والمجلات العلمية





الأخرى مثل مجلة Iraq البريطانية ومجلة Mesopotamia الايطالية.

وفي مدينة نينوى التي شهدت حفريات واسعة منذ القرن التاسع عشر من قبل قناصل الدول الأجنبية كما أسلفنا، بدأت اعمال البعثات الوطنية التي ذكرنا منها التحري في بوابة نرجال ١٩٤٠، وبناء واجهتها بحجر الحلان وعلى الطراز الآشوري في عام ١٩٥٦، الآ ان الأعمال الضخمة التي نفذتها دائرة الآثار في هذه المدينة كانت بدايتها عام ١٩٦٥ حين شهدت مدينة الموصل توسعا وزحفا عمرانيا امتد الى المناطق الأثرية. ولغرض وقف هذا الزحف السريع قامت الهيئات الفنية من الآثاريين بوضع المعالجات والحلول الحاسمة ومنها تحديد ماتبقى من المناطق الأثرية بما فيها الأسوار وبواباتها ومساحات واسعة تقع داخل هذه الاسوار، كما أجرت حفريات شاملة لبوابة شمش (الشمس) وحفريات في كل من بوابة ادد[٤٩] والمسقى وصانت الهيئات الفنية في دائرة الآثار وجامعة الموصل أقساما من سورها الحجري.

وشملت أعمال الصيانة التي أجرتها دائرة الآثار اعادة بناء جدران معبد واسع الى ارتفاع مناسب والذي كشفته حفرياتها في عام ١٩٥٧، وتجدر الاشارة الى ان ثورين مجنحين من الحجر يناهز وزن الواحد منها عشرين طنا وألواحا كبيرة من المرمر منقوشة بمشاهد بارزة قد استظهرت خلال تحريات قامت بها هذه الدائرة عام ١٩٣٩.

ويبدو ان اكثر اعمال الصيانة من بين العواصم الآشورية شهدتها السنوات الأخيرة كانت في نمرود (كلخو). ومن المعلوم ان دائرة الآثار اجرت أول صيانة في هذا الموقع في ١٩٥٦، ولاسيما في قاعة العرش بقصر آشور ناصربال الثاني وعملت مظلات اسمنتية لحماية المنحوتات الحجرية التي تزين جدران القاعة من الداخل. وكان الجناح الاداري في هذا القصر قد شملته مثل هذه الأعمال، فضلا عن بناء جدران معبدي نابو وايزيدا الى ارتفاع مناسب[٥٠].

وما عدا التنقيب والتحري في العواصم الآشورية فان اعمالا آثارية أجرتها دائرة الآثار في عدد من المواقع في داخل مدينة الموصل والمناطق المجاورة لها، والأماكن الواقعة في اعلى العراق.

ومعظم بقايا الأبنية الشاخصة في الموصل والتي تعود الى الفترات العربية الاسلامية وبعضها الى الفترة العثمانية، أما انها مراقد او مساجد او منارات او قباب مثل منارة الحدباء ومرقد يحيي بن القاسم ومرقد عون الدين ومرقد الامام الباهر وبناية قره سراي وباشطابيا، فضلا عن الأبنية الأخرى الواقعة خارج الموصل مثل مرقد الست زينب في سنجار وبوابة الموصل في العمادية والجسر العباسي في زاخو.

وجرت تنقيبات أثرية في عدد من المواقع خارج الموصل ومنها تل قالينج اغا في قصبة أربيل، وتل الفخار بمنطقة الحويجة بمحافظة التأميم، والمساحة المحيطة بمنارة داقوق بمحافظة التأميم ايضا، وبناية الاربعين وتل محيسن والسور والخمس اصابع بمدينة تكريت بمحافظة صلاح الدين. فضلا عن الأعمال الآثارية الواسعة التي تجريها دائرة الآثار في سامراء في حقلي التنقيب والصيانة ومعظم المواقع التي جرى تنقيبها كان بسبب امتداد الزحف العمراني ولاسيما الواقعة منها في قصبات المدن او تجاوز عليها سكان القرى المجاورة، أما بالحرث والزراعة او للتفتيش عن اللقى الثمينة لبيعها، أو أن طرق المواصلات وقنوات الري قد اقتطعت أقساما منها، أو ان مياه السدود الحديثة في المنطقة قد غمرت اعداداً كبيرة منها. وسنتناول في الصفحات القادمة باقتضاب اعمال التنقيب لبعض المواقع المهمة بما يسمح المجال في هذه الموسوعة.

ففي أوائل عام ١٩٦٦ وحينما وقعت تجاوزات على التل المعروف باسم قالينج انما سارعت دائرة





الآثار لمعالجة هذه الحالة وأجرت خنادق اختبارية فيه الهدف منها ايقاف التجاوز وتقديم المكتشفات فيه دليلا على أثريته. ولما كانت نتائج العمل مشجعة فقد استمر التنقيب فيه لعدة مواسم استظهرت فيها مبان دينية وسكنية تعود لأدوار كل من حلف والعبيد والوركاء[٥١].

اما تل الفخار فقد جرت فيه حفريات واسعة النطاق حينما تجاوز عليه سكان القرية المجاورة، واستظهرت ابنية متكاملة أطلق على أحدها اسم "القصر الأخضر" طليت جدرانه بصبغة قريبة من هذا اللون. وهذا القصر متكون من قسمين! الجناح الأول للعائلة والثاني اداري. وكشف في طبقات هذا الموقع مايقرب من ثمانمائة رقيم معظمها نصوص لعقود ووثائق للبيع والايجار والمقايضة، وهذه النصوص معاصرة ومشابهة لمثيلات لها كشفتها في نوزى البعثة الأمريكية خلال حفرياتها في السنوات ١٩٢٧ ولغاية ١٩٣١ كما أسلفنا.

وتناولت بعثات دائرة الآثار تل الصوان الكائن الى الجنوب من مدينة سامراء بالتنقيب الواسع ولعدة مواسم، كشفت فيه عن خمس طبقات بنائية مشيدة جدرانها باللبن، وهي تعود لمستوطن من أوائل الالف السادس قبل الميلاد، أحاطت السكان بسور دفاعي يتقدمه خندق لزيادة التحصن. الاّ ان التحريات التي جرت حديثا في هذا الموقع قد توصلت الى وجود طبقة استيطانية مشيدة بالطوف تسبق الطبقة الاولى، ولذلك اطلق على هذه الطبقة اسم مستوطن قبل الطبقة الاولى[٥٢].

وجرت في تكريت اعمال التنقيب والصيانة كانت بدايتها مجسات في تلول تقع في القسم الشمالي من المدينة عام ١٩٣٧، اعقبها تنقيب وصيانة بناية الأربعين عام ١٩٦٥، واستأنفت الحفريات في سنة ١٩٦٩ وما بعدها في عدد من الأماكن الأثرية في هذه المدينة منها تل محيسن وسور المدينة القديم والخسفة والخمس أصابع[٥٣].

وفي المنطقة بين تكريت والموصل جرى تنقيب الموقع المعروف باسم خربة جدالة في الفترة من خريف ١٩٧٧ ونهاية ربيع ١٩٧٨ من قبل الباحث، كشفت عن بناية محصنة يحيط بها سور مدعم بأبراج، جمعت في تخطيطها وعناصر عمارتها بين المعبد والحصن، تعود حسب الكتابة المكتشفة فيها الى سنة ١٤١م[٥٤].

## العمل الآثاري في مشاريع الري الكبرى

كانت المساحات التي غمرتها خزانات السدود في المنطقة الشمالية من قطرنا واسعة، وغالبا ماتكون معظم اراضيها سهلية ذات خصوبة عالية، وقد جعلت فيها هذه الخصائص مكانا استقطبت الانسان واستوطن فيه منذ اقدم العصور، بسبب وفرة المياه وغزارة العشب والأشجار، فضلا عن وجود قطعان الحيوانات التي كان يصطادها. فانتشرت في تلك القرى والمدن والتحصينات الدفاعية منذ العصور الموغلة في القدم.

ومشاريع السدود التي انجزت حتى الآن في المنطقة الشمالية من العراق وحسب تواريخ البدء فيها كانت :

١ – سد دوكان.
٢ – سد دربندخان.
٣ – سد صدّام.

وسنتناول باختصار أهم اعمال البعثات الآثارية في كل واحد من هذه السدود.

### ١ – سد دوكان :

في عام ١٩٥٤ باشرت هيئة فنية من دائرة الآثار بمسوحاتها الآثارية للمواقع والتلول المنتشرة في





سهلي بيتوين ورانية على مساحة لاتقل سعتها عن خمسين كيلو مترا مربعا ، وقد أشرت هذه الهيئة مايقرب من أربعين موقعا ستغمرها مياه السد. وباشرت بعثات دائرة الآثار العراقية حفرياتها في المواقع الآتية :

كروبو وتل ملا مرعي وتل كمريان وتل الديم وتل كله وتل تنكجه وتل كاوي وتل قره قلج وتل ملا شل وتل هيز وتل يوكوران وتل مامند وتل تبه كوران وتل كولاك وتل باره يوسف وتل قوره وتل سرخمه وتل بوسكين وتل كولان وتل كامه وتل قوراله الشمالي وتل غزنه وتل عريان وتل قره تبه كون وتل قبر الصحابة وتل باسموسيان [٥٥] .

ومما تجدر ملاحظته ان معظم هذه التلول تعود طبقاتها او اللقى الأثرية المنتشرة على سطوحها الى عصور قبل التاريخ ، وقد استمر الاستيطان في معظمها حتى العصور التاريخية . ويمكن للمتتبع ان يقف على مانشر عن تنقيبات هذه المنطقة في اعداد من مجلة سومر.

**٢ - سد دربندخان :**

ويشمل حوض هذا السد بنحو أساسي سهل شهرزور المعروف بانبساط وخصوبة اراضيه ، ووفرة المياه فيها والذي تزيد مساحته عن ٥٠ × ٤٠ كم٢ التي ترويها مياه نهر تانجرو وفرعه نهر زلم .

وتشير الأدلة الاثرية الى ان هذا السهل قد استوطنه الانسان منذ العصور الحجرية .

وقامت فرق عن دائرة الآثار في عام ١٩٥٩ بفحص التلول الاثرية المنتشرة في هذا السهل ، ولاسيما المنطقة المنخفضة فيه التي ستغمرها مياه السد . وشرعت بالتحري والتنقيب في خمس عشر موقعا وهي :

قورتاس وبيكم وتل شاملو وتل طلحة وخورمال وتل كردي شريف وبان بياغ ودوانزه امام وتل بكراوه وجراغ وتل حسين فتاح وتل قوجكه وشكر تبه وتل صفا [٥٦] .

وعادت دائرة الآثار الى سهل شهرزور في أوائل السبعينات وأجرت تنقيبات في التلول الأتية : كرده رش وتل عربت وياسين تبه .

**٣- سد صدّام :**

في عام ١٩٧٥ انجزت فرق المسح التابعة لدائرة الآثار العراقية تسجيل مايقرب من ١٨٠ موقعا موزعة في مناطق من الحوض الذي ستغمره مياه هذا السد. وهو عدد كبير يتطلب امكانات فنية ومادية. ووضعت دائرة الآثار خططها بشأن انقاذ مايمكن انقاذه من الآثار المطمورة في التلول الموجودة في الحوض. ورصدت حكومة جمهورية العراق المبالغ اللازمة لتغطية نفقات التنقيب. ووجهت دعوة للمؤسسات الآثارية في الدول الأجنبية الصديقة للمساهمة بالانقاذ وتعهدت بتحمل نفقات ومستلزمات اعمال التنقيب .

وكانت جامعة الموصل أولى الجامعات المساهمة بهذا العمل ، فباشرت الحفر في تل ابو ظاهر في حزيران عام ١٩٧٧ ، كما شملت حفرياتها ايضاً مواقع مصيفنة وسلال وزمار. وتبعتها بعدئذ بعثات عراقية في عام ١٩٨٢ ووصلت اول بعثة اجنبية في منطقة الغمر في ربيع ١٩٨٢ .

وأجرت البعثات العراقية حفرياتها في العديد من التلول الأثرية ومنها تل جمبور الواقع على الحافة الشرقية لحوض سد صدّام على مسافة ٦ كم الى الجنوب من بلدة فايدة ، وذلك في حزيران ١٩٨١ ، واختارت فيه عدة نقاط للجس ، وكشفت في كل واحدة منها طبقات سكنية ، شيدت جدران ابنيتها باللبن فوق أسس من الحجارة ، وتعود هذه الطبقات الى العصور الآشورية وفترة الاحتلال الفرثي وكذلك العهود العربية الاسلامية [٥٧] .





وشهدت منطقة البقاق القريبة من فايدة تنقيبات واسعة جرت في اربعة تلول ، اعطي كل واحد منها رقما. يقع التل رقم (١) على الضفة اليمنى لجدول البقاق المبتدئة فروعه من مرتفعات بنداوية الكائنة الى الغرب من القوش، وبدأ الحفر فيه في شهر آب من عام ١٩٨١ واستمر لغاية ١٩٨٣ حيث كشفت فيه سبع طبقات سكنية لوحدات بنائية تعود الى عصر فجر السلالات.

اما بقاق رقم (٢) فقد بوشر بحفر خندق فيه في حزيران ١٩٨٢ ولغاية نهاية العام نفسه. وكان طول هذا الخندق سبعة أمتار تدرج الحفر مع سفوحه واستظهرت وحدات بنائية ولقى أثرية تشير الى ان الموقع المذكور قد استوطن في العصور الآشورية وفي فترات ماقبل الاسلام[٥٨].

وفي شتاء عام ١٩٨٣ بدأ التنقيب في بقاق (٣) بخندق اختباري توسع بعدئذ وشمل مساحة كبيرة من الموقع بعد ان كانت الأدلة الأثرية مشجعة. وكشف عن بناية مستطيلة يتوسطها فناء تطل عليه قاعات وأواوين. ومخطط هذه البناية قد يماثل المخططات الأرضية للخانات او محطات استراحة القوافل. ومن خلال الأدلة المعمارية واللقى الأثرية، لاسيما الآنية الفخارية، يمكن نسبة هذه البناية الى الفترة مابين القرن الثالث وحتى السابع الهجري[٥٩].

وفي بقاق رقم (٤) الذي بوشر الحفر فيه في نيسان ١٩٨٤ ولغاية تموز من العام نفسه كشف عن بناية مربعة في كل زاوية من جدارها الخارجي برج مستدير الشكل، وفي وسطها فناء مربع تطل عليه غرف مستطيلة. ويوحي المخطط الأرضي لهذه البناية انها قلعة او حصن وقد شيدت للاغراض الدفاعية، وهي كثيرة الشبه بالأبنية المحصنة الواقعة على الطريق الصحراوي مابين هيت وتدمر[٦٠] الاّ ان اللقى الاثرية المكتشفة فيه تعود الى القرنين السابع والثامن الهجريين.

وأجرت بعثة عراقية ايضا التنقيب في تل كرهول السفلي وذلك بحفر خندقين طويلين بامتداد طول التل، عرض الواحد منها خمس مترات، كشفت عن قبور وآنية فخارية كالتي شاعت صناعتها في العصر الآشوري الوسيط والمعروفة عند الآثاريين باسم فترة نوزى، ومواد فخارية أخرى من عصر الاحتلال الفرثي[٦١].

وفي تل جيكان الذي يعد أوسع تلول منطقة حوض سد صدّام الواقع عند التقاء جدول البقاق بنهر دجلة، حفرت بعثة من دائرة الآثار في اواخر صيف ١٩٨١. ولسعة مساحة هذا الموقع فقد عملت فيه عدة بعثات عراقية وأجنبية وحفرت كل بعثة خندقا او مقاطع لاستطلاع تاريخ الطبقات السكنية في هذا المستوطن الكبير، إذ يعود أقدمها الى دور حسونة وأدوار لاحقة مثل حلف ونينوى ٥ والاكدية والآشورية وحتى العصور العربية الاسلامية[٦٢].

وكشفت بعثة عراقية في موقع خرابوك بناية واسعة فيها عدد من المرافق البنائية، يتوسطها فناء كبير تحيط به غرف وقاعات مستطيلة. وقامت البعثة نفسها بحفريات واسعة في خربة مشيرفه في خريف ١٩٨٤ ولغاية آذار ١٩٨٥ واستظهرت بناية مربعة احتوت على غرف وقاعات ومواد أثرية مختلفة، وتشير تلك الأدلة الى ان هذه البناية ربما كانت خانا يعود الى العصور العربية الاسلامية، وحفرت البعثة المذكورة خنادق لم يستمر الحفر فيها لفترة طويلة لأن النتائج كانت غير مشجعة، اما مقبرة مزار حسن البصري فقد حفرت فيها البعثة نفسها في ايلول ١٩٨٤ خندقين وقفت من خلالها على ان الموقع يعود الى العصور الاسلامية[٦٣].

وفي تموز عام ١٩٨٥ عملت بعثة من دائرة الآثار حفريات في تل شعبو، بعد أن قسمت سطح الموقع الى عدة مربعات، واستظهرت طبقات بنائية يعود اقدمها الى العصر الآشوري القديم[٦٤].





كما اجرت البعثات العراقية تنقيبات في عام ١٩٨٥ في كل من تل جالوقة الذي تبين أنه كان مستوطنا في دور حلف والوركاء ونينوى ٥، واستمراره في العصور التاريخية، وتل سعود، وخربة الملالي[٦٥].

وقامت دائرة الآثار بالتنقيب في تل مصيفنة الواقع على حافة نهر دجلة في الفترة بين تموز ١٩٨٤ ولغاية تشرين الثاني ١٩٨٥، وذلك بحفر خنادق عميقة فيه، استظهرت فيها طبقات بنائية تعود أقدمها لقرية فلاحية من دور حسونة، شيدت دورهم على التربة البكر واستمر استيطانهم لهذا الموقع في دور سامراء القديم. الاّ ان المستوطن قد هجر في دور العبيد، وعاد استيطانه في دور الوركاء واستمر متعاقبا حتى الألف الأول قبل الميلاد[٦٦].

وعملت في انقاذ آثار حوض سد صدّام بعثات آثارية أجنبية للفترة بين ١٩٨٢ ولغاية ١٩٨٥، وسنذكر فيما يلي جنسية البعثة والموقع العاملة فيه، وبامكان القارئ الاطلاع على تقارير وبحوث هذه المواقع في السفر الذي نشرته دائرة الآثار "بحوث آثار حوض سد صدّام" موصل ١٩٨٧:

١- البعثة الآثارية البولونية: تلول رفان، مقبرة حسين، تل عمر دله، نمريك ١٩٨٢-١٩٨٥. العصر الحجري القديم.
٢- البعثة اليابانية: تل جيسارى، وتل ضويج، ١٩٨٥، تل جيكان، تل قصر البنت.
٣- البعثة السوفياتية: موقع شيخ حمصي، من دور العبيد والوركاء.
٤- البعثة البريطانية: تل جيكان، تل كري قاسم، خربة دير ستون، زهرة خاتون، محمد عرب، تل ابو ظاهر، خربة شطاني، قرية خربة شطاني، صخرة قصريج، خربة قصريج، قرية دير، خربة وادي الخاتونية، تل كري داركي، تل سبانات، تل وادي سويدي، كربطيخ.
٥- البعثة الفرنسية: موقع رونك، تل كرفوش، كوثان.
٦- البعثة الألمانية: موقع كرانه رقم (٢).
٧- البعثة الايطالية: كرانه رقم (٢) بعثة مشتركة، حتاره الصغير.
٨- البعثة النمساوية: تل عنزة.

ورأينا ان من المفيد ان يطلع القارئ على الفترات الزمنية لهذه المواقع ابتداءا من اقدم العصور وحتى الأدوار العربية الاسلامية، وللمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى: بحوث آثار حوض سد صدّام ١٩٨٧ ومجلة Iraq لسنة ١٩٨٥.

العصر الحجري القديم: رفان، رجم حسنة، نمريك، رجم عمر دله.
العصر الحجري الحديث: دير هال.

**حسونة**: ، حلف والعبيد: خربة ديراك، دير هال، خربة حارة، تل جيكان، خربة شطاني، تل كوتان، تل العقولي، تل شيخ حمصي، تل مشيرنه، تل ابو ظاهر.

**الوركاء**: خربة حتاره، تل كرانه (١)، تل كرانه (٣)، تل مشيرفه، تل محمد عرب، تل رفان، جالوقه، تل مصيفنه، تل ابو ظاهر.

**نينوى ٥**: تل بقاق (١)، خربة ديرات، تل فسنه، خربة حتارة، تل جيكان، تل كرانه (١)، تل كرانه (٣)، تل كوتان، تل محمد عرب، تل رجم، تل سلال، تل ضويج، تل مصيفنه، تل رجم عمر.

**العصر الأكدي**: تل ضويج، تل فسنه، قرية حتارة، تل جيكان، خربة حتاره، تل جيكان، خربة كرانه (١)، وادي ختخون، تل ابو ظاهر.

**العصر الآشوري القديم** : مقبرة عنزه ، تل بقاق (١) ، دير هال ، تل فسنه ،

**والعصر البابلي القديم** : تل جيكان ، تل رجم تل سلال ، وادي ختخون ، تل جمبور.

**العصر الآشوري الوسيط** : مقبرة عنزه ، دير هال ، تل فسنه ، خربة حتاره ، كرهول سفلى ، تل محمد عرب ، شيخ حمصي ، تل جمبور، بقاق (١) ، جالوقة ، تل سعود ، تل رجم عمر، تل ابو ظاهر.

**العصر الآشوري الحديث** : تل بقاق (١) ، خربة حتارة ، خربة قصريج ، بقاق (٢) ، تل رجم ، تل روناك ، خربة الخاتونية ، تل ابو ظاهر، خربة كر حسن .

**عصور الاحتلال (الأخميني - الساساني)** : قرية بابنيت، قصريج ، كرانه ، كرهول سفلى ، خربة شطاني ، خربة خاتونية ، تل محمد عرب ، خربة قصريج ، تل روناك ، وادي ختخون ، تل جمبور، بقاق (٢) ، مصيفنه ، تل ابو ظاهر، سي قبه ، كر بطيخ ، بابيره .

**العصور العربية الاسلامية** : تل جمبور، تل بقاق (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، تل جيكان ، تل خرابوك ، خربة مشيرفة ، رحى مشرفه ، مقبرة مزار حسن البصري ، تل شعبو، تل سعود ، خربة الملالي .

## مشاريع الاحياء

### ١ - مشروع احياء آشور:

خطط المختصون في دائرة الآثار على اجراء حفريات واسعة وصيانة المباني التي كشفتها البعثة الآثارية الألمانية برئاسة فالتر أندريه كما مرّ بنا من قبل ، وكانت الأسباب التي طرحتها دائرة الآثار لهذا الاحياء عدم قيام تنقيبات شاملة في هذه المدينة منذ سبعين عاما بعد ان توقف عمل البعثة الألمانية فيها ، فضلا عن الهدف السياحي . ووفق هذين المدفين وضعت دائرة الآثار خطة عمل لخمس سنوات قابلة للتجديد متأملة ان الآثار التي ستكتشف فيها ستعرض في متحف هذه المدينة الذي سيكون في قلعة فرحان باشا بعد صيانتها .

ومنذ ان بدأت دائرة الآثار بالعمل في هذه المدينة ضمن مشروع الأحياء ولحد الآن فان العمل السنوي قائم في هذا الموقع لكنه لم يتعدّ اعادة تنقيب المباني التي استظهرتها حفريات البعثة الالمانية في ١٩٠٣ ولغاية ١٩١٤. لذا فقد بقيت اعمال الاحياء هذه غير منظورة لسببين، كما يرجع أولها سعة تنقيبات الألمان في هذه المدينة ، وثانيهما تعدد نقاط العمل مابين الحفر والصيانة ومن بين هذه النقاط هو صيانة قلعة فرحان باشا التي كانت مخفرا للشرطة في العهد العثماني ، لاعدادها متحفاً محلياً ، الاّ ان صيانتها ستمنع التنقيب مستقبلا في المعبد الذي يقع تحتها والمعروف باسم معبد الملك الذي بني منذ فجر التاريخ ، كما تقوم دائرة الآثار بصيانة جزءا من السور عند بوابة تابيرو في القسم الغربي من المدينة مستخدمة اللبن المعروف بعدم مقاومته للعوامل المناخية . والصيانة بهذه المادة لاتخلو من المخاطر، لذلك ينبغي التوقف عن استخدامها الى ان يتم التوصل الى مادة أفضل ، ان بقاء المباني مطمورة سيكون أفضل وسيلة لحماية الاثر.

ولهذا كان على دائرة الآثار اعداد دراسات ملائمة خاصة بالاحياء او اعادة البناء واجراء مسوحات مصورة للموقع وتهيئة الاستعدادات لتقرير مايجب عمله قبل المباشرة بالعمل ، ومن المعروف ان اي اجراء يتخذ بدون استعداد علمي سيكون عرضة لأن يصبح امرا سلبيا في نتائجه ومن بعد ستكون اعمال اعادة البناء عرضة لنقد الاختصاصيين[٦٧] .





٢ - احياء قلعة تلعفر:

حين زار السيد الرئيس صدّام حسين مدينة تلعفر أمر سيادته بصيانة القلعة فيها لكونها من المباني التاريخية والتي كان لها دور في تاريخ العراق الحديث، فضلا عن ان المدينة نفسها كانت من المدن الآشورية (لبت عشتار) التي نهضت بدور مهم على طرق المواصلات بين وادي الرافدين وبلاد الشام، وقد نفذت دائرة الآثار صيانة هذه القلعة، وأنشأت متحفا محليا فيها، الاّ ان ماهو متوافر عن القلعة المذكورة من وثائق وخاصة المرتسم الذي وضعه المنقب البريطاني لايارد الذي اوردنا ذكره في عدة مواضع من القسم الأول من هذا البحث وذلك في عام ١٨٥١ قليل. وقد يكون هذا المرتسم دليلا لايستغنى عنه لو ان الهيئة المكلفة باعادة بناء هذه القلعة قد اعتمدته عند البدء بهذا المشروع.

## تنقيبات جامعة الموصل

كانت جامعة الموصل أول جامعة في العراق ساهمت مع دائرة الآثار في الحفاظ على الممتلكات الاثرية في منطقة الموصل، ففي حقل التنقيب أجرت التنقيبات في بوابة أدد بسور نينوى عام ١٩٦٧ وتمكنت من استظهار المرافق البنائية فيها، كما كشفت عن أجزاء من سور تلك المدينة وقامت بصيانته [٦٨]، وكان النجاح الذي حققته أعمالها في سور نينوى وبوابة أدد قد شجّعها على اجراء مزيد من الحفائر، وبذلك وسعت الهيئة العلمية اعمالها الآثارية واختارت موقعا آخر للتنقيب وهو الشريخان (تربيص) الكائن على بعد ثمانية كيلو مترات من مدينة نينوى ليكون حقلا تدريبيا لطلاب قسم الآثار في الجامعة المذكورة. واكتشفت البعثة في هذا الموقع بنايتين الأولى القصر الملكي والثانية المعبد [٦٩]. وفضلا عن هذه الحفريات فان الجامعة اختارت موقع باشطابيا من بين الاماكن الأثرية الأخرى وأجرت فيه تنقيبات منتظمة وقامت بصيانة الجدران المكتشفة.

وحينما أعلنت دائرة الآثار عن ضرورة انقاذ منطقة الغمر في حوض سد صدّام كانت جامعة الموصل أول مؤسسة علمية لبت هذه الدعوة، فوقع اختيارها على تل ابو ظاهر ليكون ميدانا للتدريب العملي وللحصول على مواد أثرية ليعرض في متحفها بكلية الآداب، وكشفت مواسم التنقيب عن طبقات سكنية فيها وحدات بنائية منتظمة في عشر طبقات تعود أقدمها على مايرجح الى عصور قبل التاريخ الذي مايزال الشك في نسبتها الى اي دور منه، باستثناء المباني المستديرة في حفرة اختيارية ربما تعود الى دور حلف. الاّ ان اللقى الأثرية المكتشفة في الطبقات المذكورة تشير الى ان هذا التل استوطنه الانسان وبشكل رتيب منذ عصر فجر السلالات ولغاية عصر ماقبل الاسلام [٧٠].

لم تتوقف جامعة الموصل في مجال الانقاذ عند تل ابو ظاهر بل اختارت ثلاثة تلول أخرى في منطقة زمار وأجرت الحفريات فيها وهي مصيفنه وتل سلال وتل ضويج.

فباشرت هيئتها الفنية بالتنقيب في مصيفنه في ربيع ١٩٨٠ ولغاية حزيران عام ١٩٨٢ وكشفت بناية مشيدة من الحجارة المهندمة تمثل كنيسة مرّت بأربعة أدوار رئيسة وأخرى ثانوية، يعود أقدمها الى ماقبل القرن السابع الميلادي، والبناية عبارة عن قاعة مربعة مقسمة الى ثلاثة بلاطات، الوسط منها أوسعها. وتمثل كنيسة صغيرة مشيدة على الطراز البازليكي.

وتجدر الاشارة الى وجود كنيسة مماثلة لمصيفنه يطلق عليها قصر سريج تعود الى القرن السادس الميلادي ومشيدة بنفس الأسلوب [٧١].

وعملت بعثة جامعة الموصل أيضاً في تل سلال منذ خريف ١٩٨٢ ولغاية ١٩٨٥، وكشفت عن

خمس عشرة طبقة في خنادق عميقة أجريت لبيان تواريخ الاستيطان في هذا الموقع ، وتبين ان اقدمها القائمة على التربة البكر تعود للفترات المبكرة من نينوى ، ويبدو أيضا ان الموقع قد استمرت السكنى فيه خلال هذا الدور ولفترة طويلة . كما وجدت أبنية في جهات من التل تعود الى العصر الآشوري الحديث. اما الطبقات العليا منه فتنسب التحصينات الدفاعية المشيدة المكتشفة فيها الى الفترات الاسلامية .

وأجرت البعثة ايضا حفريات في تل ضويج المجاور لقصبة زمار وكشفت عن طبقات بنائية ولقى أثرية حددت العليا بالفترة الهلنستية، اما التي تحتها فتشير المواد الفخارية الى انها تعود الى العصر الأكدي وتؤرخ الطبقات السفلى بفترة نينوى ٥ .

## الهوامش :

(١) جاء في السفر الذي يحمل عنوان "المواقع الاثرية في العراق" الذي أعدته مديرية الآثار العامة (دائرة الآثار والتراث الآن) ان في منطقة الموصل ١٧٩٠ موقعا أثريا حسب احصاءات تلك الجهة سنة صدور سفرها المذكور عام ١٩٧٠ ، موزعة في القرى والنواحي والاقضية التابعة اداريا الى الموصل انذاك ، وهذا العدد من المواقع هو في الواقع من أصل مايقارب من ستة آلاف موقع أثري منتشرة في العراق ومسجلة في أرشيفات دائرة الآثار. وتجدر الاشارة الى ان اعدادا كبيرة من المواقع والتلول الأثرية قد كشفتها الهيئات الأثرية في السنوات الأخيرة ، لم يسبق كشفها من قبل.

(٢) انظر: سهيل قاشا "الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب" مجلة بين النهرين ، المجلد ٢٠ ، ١٩٧٧ ، ص ٣٨٧ - ٤٠٥ .

(٣) روفائيل بيداويتر ، مجلة النجوم م ٣ ، ١٩٥١ ، ص ١٧٥ .

(٤) محمود حسين الأمين ، رحلة نيبور الى العراق ، بغداد ١٩٦٥ .

(٥) روستن بابلك ، قصة الحضارة الآشورية ، ترجمة : يوسف حداد ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ٨٥ .

(٦) Rich, G.J. 1886 "Narrative of a residence in koordistan" 2 vols., London.

وترجم الجزء الأول منه الى العربية من قبل بهاء الدين نورى ، بغداد ١٩٥١ ، وانظر ايضا :

The World of Archoeology The Pioneers tell their own Story, London, 1966, p. 223.

وكذلك . روستن بابلك ، قصة الآثار الآشورية ، ترجمة : يوسف حداد ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ٨٥ .

(٧) ولد بوتا في ايطاليا في عائلة عملت في السلك السياسي ، وكان أبوه مؤرخا وسياسيا ، ومهتما بالأدب والطب ، سافر بوتا عام ١٨٢٦ في رحلة بالبحر حول العالم ، استغرقت ثلاث سنوات ، وبعد عودته كرر سفراته الى أقاليم البحر الأبيض المتوسط . وفي عام ١٨٣٦ تقلد عدة مناصب دبلوماسية ، كان أحدها في مصر وذلك قبل التحاقه قنصلا لفرنسا في الموصل ، انظر عن بوتا :

The World of Archoelogy, p. 236

وانظر ايضا أندريه بارو، بلاد آشور، ترجمة : د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد ١٩٨٠ ، ص ٥٨ .

(٨) سليمان الصايغ ، تاريخ الموصل ، ج ٣ ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٩) كان Austen Henry Layard الذي ولد في باريس من عائلة عملت في السلك الدبلوماسي ، وأخذ تعليمه في ايطاليا وفرنسا وسويسرا وانكلترا ، وبحكم وظيفة والده نشأ لايارد محبا للسفر والترحال وللفنون الجميلة ، سافر الى سيلان واستغرقت رحلته الى الشرق عدة سنوات وقضى سنوات في فلسطين وسوريا وايران والعراق ، وكانت الموصل المحطة التي توقف فيها لبناء آماله وتحقيق أحلامه .

(١٠) روستن بابلك ، قصة الحضارة الآشورية ، ترجمة : يوسف حداد ، بغداد ١٩٥٢ ، ص ٩٥ .

(١١) المصدر السابق ، وانظر ايضا :

Margueron, Mesopotamia,Paris, 1967, p. 37.

(١٢) هرمز رسام (١٨٢٦ - ١٩٠١) مواطن عراقي من سكان مدينة الموصل كان مساعدا الى لايارد خلال عمليات التنقيب عن الآثار بين ١٨٤٥ - ١٨٤٧ و ١٨٤٩ - ١٨٥١ ، وقد أوكل اليه المتحف البريطاني باجراء الحفر في نمرود وقوينجق بعد عودة لايارد الى انكلترا وتسلمه منصبا دبلوماسيا بعدئذ .

(١٣) Layard, H., Nineveh and its Remains, London, 1849, p. 34.

وانظر حول هذا الموضوع ايضا ، طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار والحضارة "الرحلة الثالثة" ص ٣٥ .

(١٤) موريس بوتييه ، خورسباد مكتشفات بلاس في بلاد آشور، ترجمة : جميل حمودي .

(١٥) ولد في عام ١٨١٠ في احدى القرى التابعة لمدينة اوكسفورد الانكليزية ودرس تاريخ الاغريق وتعلم اللغات الفارسية والعربية والهندية ، وفي عام ١٨٢٧ اوفد الى الهند في مهمة عسكرية ، وبعدها اوكلت اليه تنظيم جيش الشاه في ايران واستنسخ هناك كتابات حجر بهستون التي ترجم قسما منها. واصبح في عام ١٨٤٠ مسؤولا عن الاستخبارات العسكرية في قندهار. وأنيطت به مهام في تركيا والجزيرة العربية وأصبح بعدئذ المقيم السياسي في بغداد ، واستمر في بحوثه في الكتابات واللغات القديمة حتى وفاته عام ١٨٩٥ . انظر:

The World of Archaeology, p. 215.

(١٦) جان كلود ماركون ، علم آثار بلاد الرافدين ، ترجمة وتعليق : يوسف حبي ، بغداد ١٩٨٦ ، ص ٨٠ .





(١٧) ولد في لندن عام ١٨٤٠ وكان مهتما بالحفر على المعدن ، وقضى وقتا طويلا في قسم الآشوريات بالمتحف البريطاني ، وقد رعاه رولنس لكفاءته العلمية . وعرف عن سمث انه كان شديد الرغبة في قراءة الكتاب المقدس وكتب التاريخ ومؤلفات لايارد . انظر :

The World of Archoeology, p. 249

(١٨) كانت حصة بريطانيا من بابل خلال حفرياتها عام ١٨٨١ ، بعد ان أخذت الحكومة العثمانية حقها قد بلغت اكثر من ٥٠٠٠ قطعة أثرية . وبامكان القارئ تصور حجم المواد الأثرية المكتشفة والغنى الذي أصاب المتاحف الاوروبية .

(١٩) جاسم محمد العدول ، العراق في العصر الحميري ، رسالة ماجستير مطبوعة على آلة كاتبة مقدمة الى جامعة بغداد عام ١٩٧٦ ، ص ٤٠١ .

(٢٠) للمزيد من المعلومات عن كولد فاي ، انظر :

The World of Archoeology, p. 230.

(٢١) بهنام ابو الصوف "دور التنقيبات الأثرية في الكشف عن حضارة العراق القديم ، حضارة العراق ، ج ١ ، ١٩٨٥ ، ص ٦٧ .

علمت ان أحد العمال المدعو احمد المطلك الفواز من عشيرة الرملي كان من بين الذين عملوا في بعثة فالتر أندريه في آشور لعشر سنوات على قيد الحياة فزرته بمسكنه في قرية سديره سفلى يوم الخميس ٣٠/ ٤/ ١٩٨٧ ، وكان له من العمر مايزيد عن مائة وعشرين عاما ، مازال يحمل ذكريات العمل مع أندريه ومساعده يوردان ، ويذكر ان البعثة قد ا ستخدمت مايزيد على خمسمائة عامل معظمهم من القرى المجاورة من عشائر الجبور والدليم والبو عبيد والبدو ، وكانت اجرة العامل الذي ينقل التراب بالزنابيل الفارغة مجيديا واحدا لكل عشرة ايام ، كما يتقاضى الحفار مجيديين ، وقد كان معظمهم من الجبور ، وكيس من الحنطة لكل عامل شهريا فضلا عن الاكراميات التي تمنح لذوى الأعمال المرضية ، مما شجع العمال لنقل عوائلهم واسكانهم بالقرب من الموقع . ويذكر هذا الرجل الطاعن في السن ان الآثار المستخرجة كانت خاضعة الى رقابة وتدقيق من قبل ممثلين عن الحكومة التركية ، ويذكر منهم داود جلبي وأحمد باشا ، كما رافق هذا العامل فالتر أندريه وفريقه في زياراتهم المتكررة لاطلال مدينة الحضر بواسطة الخيول .

(٢٢) أندريه بارو ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٢٣) نشر السيد هنري فيلد قوائم بأسماء الكهوف والملاجئ الصخرية التي قدمها مسؤولو الوحدات الادارية في المنطقة الشمالية الى الآنسة كارود ، وبمعاونة الميجر ولسون المفتش الاداري في الموصل ، وعنوانه

Field, H., Caves and Rock shelters in Northern Iraq, Florida , 1955.

وترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية عبد الله امين أغا وعنوانه : الكهوف والملاجئ الصخرية في شمال العراق ، الصادر عن مديرية الآثار العامة ، ١٩٧٤ (طبع رونيو) .

(٢٤) اندريه بارو ، ص ٦٨ .

(٢٥) ماكس مالوان ، مذكرات مالوان ، ترجمة : سمير عبد الرحيم الجلبي ، بغداد ١٩٨٧ ، ص ٧٩ .

ويذكر مالوان في مذكراته هذه ان طومبسن رئيس البعثة الآثارية وضع لاختيار اعضاء بعثته اختبارات منها : (١) ان على عضو البعثة ولكي يثبت قدرته على الصبر وقدرته على العيش في الحياة الصعبة عليه ان يمشي في الطين والمستنقعات (٢) الذهاب الى السينما ليرى قيمة آرائه في المناقشة والتعليق ، (٣) ركوب الخيل لبيان مدى فروسيته حيث ان الخيول كانت الواسطة التي يذهب المنقب بواسطتها من مقره الى التل يوميا . انظر : مذكرات الصفحة نفسها .

(٢٦) عن فخار نينوى ٥ ، انظر :

Mallawan, M. Ninevite 5, Vorder asiatische Archoologie stud und Aufsatze, Sonder Drvc.

(٢٧) Mallawan, M. and Rose, J., prehistoric Assyria, Excavations at Tell Arpachiyah Iraq, vol.2, 1935.

وتجدر الاشارة الى ان الدكتور اسماعيل حسين حجارة قد أجرى في صيف ١٩٧٦ حفريات في منطقة سكنية من تل اربجية كشف فيها مبان منفصلة في احدى عشرة طبقة سكنية تعرف عند الآثاريين بالثولوس ، شيّدت جدرانها باللبن وفوق اسس من الحجارة ، وتتراوح اقطارها بين ٤ - ٦ و ١٠ - ١٢ . انظر :

Hijara, I., Arpachiyah 1976, Iraq, vol.LII (1980), pp. 131 – 154.

(٢٨) مذكرات مالوان ، ص ١١٢ .

Mallawan, M. The Excavation at Tell Shagar Bazar, Iraq, 2 (1936).

ويمكن للقارئ ان يوسع معلوماته عن هذه المنطقة وتنقيباتها بالرجوع الى ماكتبه مالوان في المجلدات ٣ ، ٤ ، ٩ من مجلة Iraq

(٣٠) LLoyd., S.Some Ancient Sites in the Sinjar district, Iraq, 5 (1938), pp. 123 – 143.

(٣١) Reitlinger, G, Medieval Antiquities west of Mosul, Iraq, 5 (1938), pp. 143 – 156.

(٣٢) Poidebard, P.A., La trace de Rome dons Le desert de Syrie, Paris, 1934, 2 vols.

(٣٣) Stein, M.A., The Ancient trade Route post Hatra and its Roman posts, Journal of the Royal Asiatic Society, part 4, 1941, pp. 299 – 316.

(٣٤) Oates, D. and J., The Rise of Civilazation London, 1976, p. 53.

وانظر ايضا : Abu Al – soof, Uruk Pottery, Mosul 1985, p. 65.

(٣٥) طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد الى مواطن الآثار والحضارة ، الرحلة الثالثة ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٣٨ .

(٣٦) طه باقر وفؤاد سفر ، المصدر السابق ؛ ص ٣٧ .

(٣٧) طه باقر وفؤاد سفر ، المصدر السابق ، الرحلة الرابعة ١٩٦٥ ، ص ١١ .

(٣٨) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٧٣ الطبعة الثانية ، ص ١٧٨ .





وتجدر الاشارة الى ان موضع بردا بلكا كان حتى أواخر الخمسينات من هذا القرن يعد الموقع الوحيد في العراق الذي يعود الى العصر الحجري القديم الأدنى وعلى الرغم من توافر الأدلة على وجود مواضع أخرى من هذا العصر في جهات أخرى من العراق، ولاسيما بواديه الغربية، الاّ ان المكتشفات الأخيرة في منطقة الفيحيمي على الفرات ورفان على دجلة تشير بوضوح الى ان في هاتين المنطقتين العديد من المواقع التي تعود الى هذا العصر.

حول هذا الموضوع، انظر للباحث: انماط الاستيطان في شمال العراق في عصور قبل التاريخ الذي قدّم الى مجلة سومر.

(٣٩) Braidwood, R. and Hawe, B., Prehistoric investigations in Iraqi kurdistan Chicago, 1960

وانظر ايضا: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ١٩٧٣، الطبعة الثانية، ص ١٧٨ – ١٩٨.

Braidwood, R., The Iraq – Jarmo Project, Sumer 10, 1954, p. 120.

(٤٠) Oates, D., Studies in the ancient history of Northern Iraq, London, 1968, p. 12.

(٤١) Merpert, N. and Munchaer, R, Early Agricultural Settlements in Northern Mesopotamia, Florida, 1972, p. 1

كما نشرت البعثة تقاريرها الأولية عن تنقيباتها في يارم تبه في مجلة سومر، وبامكان القارئ ان يراجع الأعداد التالية: ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٢، ٣٤، ٣٦– ٣٧ و ٤٣.

(٤٢) Bader, N., Merpert, N., Munchaev, R., Soviet Expedition Survey in the Sinjar valley, Sumer, 37 (1980), pp. 60 – 63, Sumer, 43 (1984), pp. 32 – 53.

(٤٣) Kirkbride, D., Umm Dabaghiyah Apreliminary Report on Early Ceramic Farming Settlement in marginal North Central Jazira, Iraq, 34 (1972), p. 3

وعن حيوان حمر الوحش، انظر:

Bokoni, S., The Fauna of Umm Dabaghiyah Iraq, 35 (1973), p.9.

(٤٤) بحوث آثار حوض سد صدّام وبحوث أخرى، الموصل ١٩٨٧.

(٤٥) Lloyd, s. and Safar, F.

Tell Hassuna Excavations by the Iraqi government Directorate general of Antiquities in 1943 and 1944, Journal of Near Eastern Studies, vol. IV, (1945) pp. 255 – 289.

(٤٦) سيتن لويد، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الاحتلال الفارسي، ترجمة: سامي سعيد الأحمد، بغداد ١٩٨٠، ص ٨١– ٨٢.

(٤٧) عن مدينة الحضر وتاريخها، انظر: فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى "الحضر مدينة الشمس" بغداد ١٩٧٤، وكذلك:

Jabir k. Ibrahim, Pre Islamic Settlement in Jazirah, Mousl, 1986.

(٤٨) نقبت الهيئات الفنية في الحضر معبدين صغيرين أحدهما وهو المعبد الثاني عشر المخصص لعبادة الاله نبو وذلك في عام ١٩٧٨، والثاني هو المعبد الثالث عشر المخصص لعبادة الاله نرجول.

(٤٩) باشرت جامعة الموصل بالحفر في هذه البوابة في ٢٠/ ٢/ ١٩٦٨.

(٥٠) عن اعمال التنقيب والصيانة في نمرود، انظر الكتاب الذي أصدرته دائرة الآثار، ضمن سلسلة المعالم الحضارية للسيدين عبد الله أمين أغا وميسر سعيد العراقي.

(٥١) Abu AL– Soof, Short Sounding at Tell Qalinj Agha, Sumer, T2 (1966), pp. 77.– 82.

(٥٢) بامكان القارئ الرجوع الى البحوث المنشورة عن التنقيبات في هذا الموقع في مجلة سومر، اما عن التحريات الحديثة. انظر: دوني جورج، عمارات الألف السادس ق. م في العراق، اطروحة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد للحصول على شهادة الماجستير عام ١٩٨٦.

(٥٣) جابر خليل، تنقيبات الموسم الأول في تل محيسن بتكريت، سومر ١٩٨٠.

(٥٤) Jabir k. Ibrahim, op. cit., pp. 141 – 153.

(٥٥) بهنام ابو الصوف، "مواطن الآثار في حوض دوكان والتنقيب في تل باسموسيان" سومر ٢٦، ١٩٧٠، ص ٩.

(٥٦) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار والحضارة. الرحلة السادسة، بغداد.

(٥٧) كريم توما يوسف، التنقيب في تل جمبور، بحوث آثار حوض سد صدّام وبحوث أخرى، موصل ١٩٨٧، ص ١٠– ٢٥.

(٥٨) كريم توما يوسف، المصدر السابق، ص ٤٨.

(٥٩) نجاة يونس محمد التوتونجي، التنقيب في تل بقاق (٣)، المصدر السابق، ص ٥٠– ٦١.

(٦٠) جابر خليل ابراهيم، "التحصينات العسكرية في العصر السلوقي والعصور اللاحقة التي سبقت الاسلام" موسوعة الجيش والسلاح، الجزء الثاني، بغداد ١٩٨٨ من الأشكال ١٨، ١٩، ص ٣٠٣– ٣٠٤.

وانظر ايضا: كريم توما يوسف، المصدر السابق، ص ٦٠– ٦٣.

(٦١) حكمت بشير الأسود، التنقيب في كرهول السفلى، المصدر السابق، ص ٦٤– ٧٠.

(٦٢) حكمت بشير الأسود، التنقيب في تل جيكان، المصدر السابق، ص ٧١– ٧٧.

(٦٣) عبد الله أمين أغا، المصدر السابق، ص ٨٢– ١٠٩.

(٦٤) مأمون غانم حسين. التنقيب في تل شعبو، المصدر السابق، ص ١٠٠– ١١٦.

(٦٥) انظر ايضا: التقارير الأولية المنشورة في الصفحات التالية من ذلك ١١٧ – ١٢٩.

(٦٦) سالم يونس حسين، تنقيبات التل الشمالي في موقع مصيفنه، المصدر السابق، ص ١٦١.





(٦٧) جابر خليل ابراهيم ، النشاط الآثاري في العراق ١٩٦٨– ١٩٨٥ ،« العمل الحقلي »، مجلة التربية والعلم ، العدد الخامس ١٩٨٧ ، ص ٧٧– ٧٨.

(٦٨) عامر سليمان ، نتائج حفريات جامعة الموصل في أسوار نينوى ، مجلة آداب الرافدين ، العدد الأول ١٩٧١ ، ص ٤٥– ٤٧ ، والعدد الثاني ١٩٧١ ، ص ١٥.

(٦٩) عامر سليمان ، اكتشاف مدينة تربيص الاشورية ، آداب الرافدين ، العدد الاول ، ايلول ١٩٧١.

عامر سليمان ، الحرف العربي والكتابة المسمارية ، موصل ، ١٩٨٢.

(٧٠) د. عادل نجم عبو ، تنقيبات جامعة الموصل في تل ابو ظاهر في حوض سد الموصل ، سومر ٣٧ ، ١٩٨١ ، ص ٨١– ١٠٠.

(٧١) عادل نجم عبو ، نتائج تنقيبات جامعة الموصل في مصيفنه ، بحوث آثار حوض سد صدّام ، موصل ١٩٨٧ ، ص ١٣٣– ١٥٣.

# الآثار الباقية

أ. د. عامر سليمان

تؤكد الفصول الاولى من هذا الباب أن اهمية منطقة الموصل السياسية والحضارية لاتقتصر على العصور العربية الاسلامية والحديثة بل تمتد بجذورها الى ابعد العصور التاريخية المعروفة وتتجاوزها الى عصور ماقبل التاريخ ، والمتتبع لتاريخ المنطقة عبر العصور لاتفوته ملاحظة ذلك وهو يقرأ عن اولى مستوطنات الانسان الزراعية واولى محاولاته في انتاج القوت والاستقرار التي كانت في هذا الجزء من العراق. فليس بعيداً من الموصل أن تقع قرية حسونة والاربجية ويارم تبه اضافة الى نينوى نفسها وكلها من القرى الزراعية الاولى كما سبقت الاشارة الى ذلك في فصل سابق. وفي العصور التاريخية التالية تشمخ المنطقة التي عرفت في التاريخ القديم باسم بلاد آشور بقيام اقوى واهم الامبراطوريات التي عرفها التاريخ القديم تلك هي الامبراطوريات الاشورية الاولى والثانية ، وقد كان لهاتين الامبراطوريتين تأثيرات سياسية وعسكرية واضحة على منطقة الشرق الادنى القديمة قاطبة. ومن الناحية الحضارية نمت وازدهرت في المنطقة حضارة عريقة اصيلة هي امتداد طبيعي للحضارة العراقية القديمة الاصيلة التي وضع اسسها وحمل لواءها العراقيون الاوائل من سومريين واكديين وبابليين ، ولم يقتصر دور الآشوريين على المحافظة على هذه الحضارة وتطويرها واضافة عناصر جديدة اليها بل انهم حملوا لواءها الى خارج حدود بلاد بابل واشور الاعتيادية ، فاقتبست منها الاقوام المجاورة عناصر كثيرة وتأثرت بها تأثيراً كبيراً لايخفى على اي متفحص لحضارة الاقوام والبلدان المجاورة والبعيدة التي اتصل بها الآشوريون في وقت السلم والحرب. وان كانت الفصول السابقة قد تطرقت الى بعض جوانب القوة والنفوذ السياسي والعسكري الذي اتسمت به الدول والممالك التي قامت في المنطقة منذ فجر التاريخ وحتى قيام الدولة العربية الاسلامية وما حققته من منجزات حضارية رائعة ، فقد خصص هذا الفصل للحديث ، وبشكل موجز جداً تمليه المساحة المخصصة له ، عن اهم الآثار الباقية من العصور القديمة والتي تشهد على وتؤيد وتؤكد صحة ودقة ماورد من معلومات في الفصول السابقة. فالمكتشفات الاثرية التي اظهرتها التنقيبات الحديثة في المواقع الاثرية المختلفة هي مصدرنا الاول والاساس في رسم الصورة التقريبية التي قدمناها عن تاريخ المنطقة. وان كان هناك

بعض الثغرات والنقاط الغامضة . فاننا نأمل ان تسدّها وتضيئها التنقيبات المستمرة التي ما انفكت تمدنا بالمزيد من المعلومات عن تاريخ المنطقة وتراثها . ولما للتنقيبات الاثرية من اهمية في الكشف عن تاريخنا القديم فقد خصص المبحث الاول من هذا الفصل لبيان الجهود التي بذلت وتبذل في هذا المجال في حين ستتناول في هذا المبحث ايجاز بصف اهم الاثار الباقية مما لم تتطرق اليه الفصول السابقة الا لمحاً او اشارة مقتضية .

تعد منطقة الموصل من اهم المناطق العراقية من حيث عدد المدن والقرى والمواقع الاثرية المنتشرة في مختلف ارجائها . فقد اشارت المسوحات الاثارية الى وجود المئات من المدن والمواقع الاثرية في واطراف الموصل مما يؤكد اهمية المنطقة التاريخية ويفصح عن تاريخها الموغل في القدم . ومن هذه المواقع ماتم التنقيب فيه والكشف عن آثاره وبقاياه، ومنها ماينتظر الفرصة المناسبة والوقت الملائم للكشف عما بداخله من آثار ومنها ، وللاسف الشديد ماستغمره مياه مشاريع الري الكبرى من قبل ان تجري فيه تنقيبات كاملة . ومن ا لمواقع التي تم التنقيب فيها مايرقى بتاريخه الى عصور ماقبل التاريخ ، كموقع حسونة والاربجية وتبه كورا ويارم تبه ، ومنها مايضم اثار مدن كبرى كانت في العصور التاريخية القديمة مراكز اشعاع حضاري مهمة كمدينة اشور ونمرود (كلحو) وخرصباد (دور-شروكين) والحضر ، ومنها ماتتابعت فيه السكنى من اقدم العصور التاريخية وحتى الان ، كمدينة نينوى نفسها . اما الآثار المكتشفة في هذه المدن والمواقع فهي الأخرى كثيرة ومتنوعة وهي تشكل حالياً اهم واروع ماتمتلكه المتاحف العالمية الشهيرة من آثار واكثر ماتزهو وتفخر بامتلاكه كالمتحف البريطاني في لندن ومتحف اللوفر في باريس ومتحف برلين في المانيا الشرقية والمتحف العراقي في بغداد والمتحف الحضاري في الموصل وغيرها من المتاحف العالمية فضلا عن المتاحف المحلية في عدد من المدن الاثرية كمتحف نينوى ومتحف اشور وغيرها . وتعد المدن الآشورية المكتشفة ومدينة الحضر العربية من اهم المدن القديمة المكتشفة في العراق الى جانب مدينة بابل من الناحية التاريخية ولضخامة وفخامة ابنيتها وكثرة آثارها . وقد كشفت التنقيبات التي اجريت فيها منذ اواسط القرن الماضي وحتى الآن العديد من القصور والمعابد والزقورات والاسوار والبوابات والابنية العامة المختلفة ودور السكن التي تعكس جانباً مهماً من جوانب الحياة العامة والخاصة وتفصح عن حضارة تلك العصور ومدى تقدمها في المجالات كافة . كما تم الكشف في هذه المدن وغيرها من المواقع الآشورية داخل العراق وخارجه عن الالاف من القطع الفنية الرائعة من تماثيل آدمية وثيران ومخلوقات خرافية مجنحة كانت تزين مداخل القصور والمدن ، ومسلات ونصب تذكارية مختلفة الاشكال والاحجام ولوحات منحوتة نحتاً بارزاً ، وملونة احيانا بألوان زاهية مازال بعضها يحتفظ بتلك الالوان ، كانت تغلف جدران القصور والمعابد وتزيدها روعة وبهاء وتنقل مشاهد مختلفة من حياة الملك وهو على رأس جيشه او في بلاطه او في اثناء لهوه في صيد الحيوانات المفترسة او في اوقات قيامه بالطقوس الدينية ، فضلا عن المشاهد الحربية الرائعة التي تمثل لنا باسلوب مسلسل المراحل التي مرت بها بعض المعارك العسكرية وخاضها الجيش الآشوري حتى لحظة تحقيق الانتصار الحاسم بالقضاء على الاعداء والمتمردين . كما ان هناك القطع العاجية والفخاريات والالات والادوات والاسلحة المصنوعة من المعادن والاحجار او الفخار، ومن الآثار المهمة الباقية بقايا مشاريع ري قديمة لاتزال تحكي لنا قصة الانسان وصراعه مع الطبيعة لتوفير المياه . يضاف الى كل هذه الآثار عشرات الالاف من النصوص المسمارية التي دون معظمها على الواح من الطين ذات اشكال واحجام





مختلفة تسمى عادة بالرقم الطينية ، ومن النصوص ماهو مدّون على اسطوانات او مواشير فخارية كانت توضع في اسس الابنية المهمة كالقصور والمعابد والاسوار، ومنها ما دوّن على المسلات والنصب والتماثيل واللوحات التي كانت تغلف جدران القصور، واحيانا ارضيات بعض قاعاته واجنحته الخاصة. كما نقشت بعض النصوص على الاجر الذي استخدم للبناء وعلى الاواني المصنوعة من الحجر والمعدن والفخار وربما استخدمت مواد اخرى سريعة التلف للتدوين عليها ، كالواح الخشب التي كانت تطلى بطبقة من الشمع لتيسير عملية طبع العلامات المسمارية ، وجلود الحيوانات والمنسوجات وغيرها. وقد امدتنا هذه النصوص بتفاصيل دقيقة عن تاريخ المنطقة وعكست لنا التقدم العلمي والثقافي الذي حققه العراقيون القدماء بصورة عامة. واذا كانت معظم هذه الآثار قد أخذت ونقلت من قبل البعثات الأجنبية وبشكل غير مشروع الى خارج الوطن، وهو امر مؤسف حقاً، فإن تلك الآثار قامت وتقوم بدور السفراء لحضارتنا الاصيلة في مختلف ارجاء العالم، تحكي لكل من يشاهدها قصة الحضارة التي كانت الاساس الذي قامت عليه بقية الحضارات وقصة الانسان الذي انجز تلك الحضارة مما يبعث في نفوسنا الفخر والاعتزاز بماضينا المزدهر ويقوّي من عزائمنا لتحقيق مستقبل مشرق.

وقد يتساءل المرء بعد هذا العرض السريع لاثار المنطقة عن سبب كثرة المخلفات المادية التي تم الكشف عنها حتى الان في بلاد اشور مقارنة بغيرها من المناطق في العراق ، كمنطقة البصرة او الحلة او حتى بغداد ، ولعل في مقدمة الاسباب التي يمكن التعرف عليها هي طبيعة المنطقة الجغرافية وطبيعة تربتها وموادها الخام. فمعظم بلاد اشور تقع فوق مستوى سطح مياه الانهار بل ان ضفاف دجلة بصورة خاصة ترتفع عن مستوى المياه ارتفاعاً يجعل المدن والقرى والمستوطنات التي اقيمت عليها عبر العصور في مأمن من خطر الفيضانات وفي مأمن من ارتفاع منسوب المياه الجوفية وقد ساعد ذلك على بقاء تلك المدن والقرى لفترات زمنية اطول من تلك في القسم الجنوبي من العراق وحافظ على مافيها من آثار من تدمير وتخريب الفيضانات المتكررة التي قاس منها سكان بلاد بابل.

كما ان طبيعة تربة بلاد اشور هي الاخرى تختلف كثيراً عن تربة بلاد بابل الرسوبية ، التي كان لها تأثيرات سلبية واضحة على ماتبطن بداخلها من مخلفات لاسيما العضوية منها ، فتربة بلاد آشور اكثر جفافاً،ومن بعد فهي اكثر محافظة على المخلفات المادية. اما المواد الانشائية المتوافرة في المنطقة فقد ساهمت مساهمة فعالة في بقاء الابنية العامة كالقصور والمعابد ، والاسوار والبوابات او بقاء اجزاء منها على اقل تقدير لفترات طويلة دون ان تتأثر بعوامل التعرية الطبيعية ، فقد استخدم الحجر الصلب (الصخر) او الرخام (المرمر) المتوافر بكثرة في مناطق كثيرة من بلاد آشور لبناء الاسوار وتغليف جدران القصور والمعابد ورصف ارضيات القاعات والغرف والساحات،كما استخدم الآجر المفخور لبناء بعض اجزاء الابنية الضخمة ورصف الساحات والقاعات وحتى الشوارع ، كما استخدم القار لطلاء الاجزاء السفلى من الجدران ، وكل هذه المواد من المواد التي يمكن ان تقاوم تقلبات المناخ وتقارع عوامل التعرية وتبقى لآلاف من السنين دون ان تتأثر او تبلى،وقد تتهدم الاسوار والابنية ولكنها تبقى محافظة على تخطيطها واسسها واجزاء من جدرانها كما يمكن ملاحظة ذلك جلياً في اسوار نينوى ومدينة الحضر وبقايا القصور والاسوار في نمرود وغيرها. ومع ذلك فقد استخدم اللبن المجفف بالشمس على نطاق واسع في بناء القصور والمعابد والبيوت لانه يمثل اقل المواد الانشائية كلفة واكثرها انتشاراً وكان لذلك





سلبيات كثيرة وخاصة عندما بدأ الهواة والمغامرون من الاجانب بالتنقيب في المدن والمواقع القديمة حيث لم يميزوا بين جدران اللبن ورقم الطين والتربة الاعتيادية فضاع كثير من الجدران والرقم في اثناء حفر الخنادق والانفاق وضاعت معها معلومات كثيرة. الى جانب كل ذلك، فان وفرة الرخام وحجر الحلاّن في المنطقة وسهولة الحصول عليه من المقالع القريبة من المدن وامكانية نقله بوساطة وسائط النقل النهرية، ولاسيما الاكلاك، كل ذلك قد شجع الملوك والحكام على تزيين قصورهم بالتماثيل والمسلات وتغليف الجدران والارضيات بالمنحوتات وزاد في رغبة الملوك الشخصية في تخليد انتصاراتهم ومنجزاتهم والاعلان عنها للناس بوسائل الاعلام المنتشرة انذاك، وهي المنحوتات والمسلات والنصب، كما دفعهم الى زيادة تحصين مدنهم وقلاعهم بالاسوار والابراج لتبقى وعلى مر الزمن تحكي للاجيال التالية ما حققه الاسلاف، وهذا مايشير اليه اكثر من نص مسماري اشوري كالنص الآتي المقتبس من احدى كتابات سنحاريب (٧٠٤ – ٦٩٠ ق. م) التذكارية.

"عملت مسلة تذكارية ودونت عليها السلطة والقوة التي فرضتها على جميع الاعداء بمساعدة الاله اشور السيد العظيم، سيدي مع كل عمل قمت بانجازه وتركتها للايام المقبلة في اسس قصري الملكي".

ولقد كان لاكتشاف المدن والآثار الاشورية على اختلافها صدى كبير في جميع الاوساط العالمية العلمية والثقافية والدينية الى درجة أنها سمّت دراسة النصوص المسمارية وقراءتها بعلم الآشوريات Assyriology نسبة الى بلاد آشور. وكانت الاثار الاشورية من منحوتات وتماثيل ومسلات ورقم هي اول الاثار العراقية التي وصلت الى متاحف العالم ولاسيما المتحف البريطاني في لندن ومتحف اللوفر في باريس فزاد ذلك من اهتمام المؤسسات العلمية والباحثين في دراسة تلك الآثار والبحث عن المزيد منها كما سبق واشير الى ذلك في الصفحات السابقة.

ولكثرة المدن والمواقع الاثرية التي تم التنقيب فيها والكشف عن اثارها في منطقة الموصل فقد تم انتخاب عدد محدود من المدن والمواقع المهمة فقط محيلين القارئ للاطلاع على المزيد منها على كتب وبحوث هيئات التنقيب الاجنبية والعراقية التي عملت في المنطقة. اما بالنسبة للاثار المكتشفة فقد اشير الى المهم منها ايضا وبصورة عامة وموجزة آملين ان يكون ذلك منسجماً وطبيعة هذا البحث. وحيث ان مواقع عصور قبل التاريخ، كموقع حسونة والاربجية ويارم تبه، قد تمت الاشارة اليها في الفصول الاولى وكذلك بالنسبة للاثار المكتشفة من تلك العصور، فقد تركز الحديث عن المدن والمواقع والآثار الى ترقى الى العصور التاريخية وحتى بدايات العصر العربي الاسلامي مبتدئين باهم تلك المدن والمواقع وهي العواصم الآشورية.

## نينوى

احدى اشهر مدن العالم القديم وثالث العواصم الاشورية من حيث التسلسل الزمني، كان تأثيرها في العالم القديم عامة والعراق بوجه خاص كبيراً جداً. ذكرتها الكتب القديمة، ومنها كتاب العهد القديم، بانها "المدينة العظيمة" (سفريونان، الاصحاح ١ – ٤) وتحدث عنها المؤرخون والبلدانيون العرب، ومنهم ابن حوقل من القرن الرابع الهجري حيث قال بأن "آثارها بيّنة واحوالها ظاهرة وسورها مشاهد"[١] وذكرها الرحالة الاوربيون الذين زاروا الشرق منذ القرن الثاني عشر الميلادي فقال عنها بنيامين التطيلي (١١٦٥ – ١١٧٣ م) بانها "اطلال دارسة تكثر حولها القرى والضياع على نهر دجلة" كما ذكرها بترودلافيلا (١٦١٦ – ١٦٢٥ م). وكانت تلك الاشارات وغيرها من اسباب

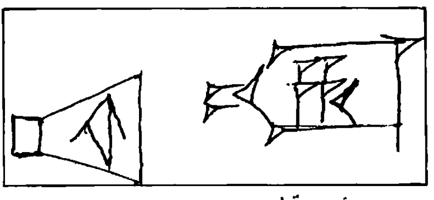




تحفيز الغرب للاهتمام بآثارها وبقاياها . وما ان حل القرن التاسع عشر حتى بدأ هواة جمع الاثار والكنوز القديمة يتوافدون الى المنطقة للبحث عن الكنوز المدفونة، وكانت نينوى مسرحا لعمليات التنقيب والحفر من قبل المنقبين الهواة من الانكليز وغيرهم ، وكشف نتيجة ذلك عن آثار كثيرة ومبان واسعة زادت من اهتمام الهيئات والمؤسسات العلمية الاجنبية والعراقية حتى يومنا هذا ، وكتب عن المدينة وبقاياها واثارها المكتشفة العديد من الكتب والبحوث واحتلت مكان الصدارة بين مدن العراق القديمة حتى فاقت شهرتها في الوقت الحاضر ما كانت تتمتع به من شهرة في التاريخ القديم(٢) .

تقع نينوى على الجانب الشرقي من نهر دجلة قبالة مدينة الموصل القديمة ، وكانت في الازمنة القديمة تطل على شاطئ النهر، لذا اطلق على أحد ابوابها وهو من الابواب المكتشفة اسم باب المسق ، وشيد السور المحاذي لها على شكل مسناة لمقاومة تيار الماء ، الا ان تغير مجرى النهر المستمر ابعدها عن شاطئه بمسافة تزيد عن كيلومتر في الوقت الحاضر. ويخترق نينوى حاليا نهر الخوصر (الخوسر في المصادر المسمارية) من جهتها الشرقية ماراً بمحاذاة تل قوينجق من ناحية الجنوب ليصب في نهر دجلة بعد خروجه من نينوى ، وهو كذلك قد غير مجراه القديم . وللتوسع العمراني الكبير الذي شهدته مدينة الموصل في قسميها الواقعين على شاطئ النهر، فقد طوقت الابنية الحديثة مدينة نينوى وامتد البناء الى داخلها ايضاً على الرغم من محاولات دائرة الاثار والتراث المستمرة منع ذلك ، وغدت نينوى الاشورية باسوارها واثارها جزءاً من مدينة الموصل الحالية . وكان لموقع نينوى في العصور القديمة اهمية تجارية وستراتيجية كبيرة حيث انها تتوسط بلاد اشور وتقع عند ملتقى الطرق التجارية التي تصل بلاد بابل ببلاد الشام وسواحل البحر الابيض المتوسط واسيا الصغرى ، وقد حافظت المنطقة على ازدهار مدينة الموصل على مر العصور.

واسم نينوى اسم قديم يكتنف اصوله كثير من الغموض ، وهناك اسم مماثل له ورد في النصوص المسمارية واشير به الى احدى مقاطعات مدينة لجش السومرية التي ترقى بتاريخها الى النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد كتب على هيئة نينا آ Ninna – a ويرتبط هذا الاسم باسم الالهة السومرية نينّا . ومن الطريف ان نذكر ان اسم نينوى ورد في الكتابات المسمارية مكتوباً بعلامة مسمارية مركبة من علامتين ربما تعني الاولى منها ، موطن ، او مسكن ، في حين تعني الثانية المكتوبة في وسط الاولى ، سمكة او حوت نينّو ninnu وكالآتي :



الشكل المتطور ‏ ‏ ‏ الشكل الصوري

كما ان لفظ اسم المدينة على هيئة نينّوا Ninnu a يمكن ان يفّسر على ان القسم الاول منه ، وهو نينّو، يعني حوت او سمكة في اللغة الاكدية والمقابلة للكلمة العربية « نون » في حين يمثل الجزء الاخير منه ، وهو حرف العلة ، حرف الجر باللغة السومرية بمعنى « في » ومعروف ان اللغتين السومرية والاكدية عاشتا جنباً الى جنب واستخدمت كل منها اساليب الاخرى واقتبست منها الشيء الكثير. وفي العهد القديم ، سفريونان ، اشير الى ان يونان ، وهو صاحب الحوت (ذو النون) ، كان قد ارسل الى مدينة نينوى ، المدينة العظيمة .

تتكون اطلال نينوى في الوقت الحاضر من تلين رئيسين هما تل النبي يونس(٥) وتل قوينجق(٦) ؛

يبطنان داخلها بقايا القصور والمعابد الآشورية وغيرهما من المباني العامة ، ويحيط بالتلين سلسلة من التلال قليلة الارتفاع نسبياً طولها اثنا عشر كيلومتر تقريباً تؤلف شكل شبه منحرف اقصر اضلاعه في الجنوب واطولها في الشرق ، تغطي بقايا سور المدينة ويتخلل تلك الاسوار انخفاضات وارتفاعات واضحة تشير الى اماكن بوابات المدينة الخمسةعشرة.وبموازاة الضلع الشرقية من الخارج هناك اثار خندق كبير كان قد حفره الآشوريون ليكون خطاً دفاعياً ضد الغزاة القادمين من جهة الشرق وكدسوا الاتربة على الجانب الشرقي من الخندق على هيئة حائل ترابي ضخم لازالت بقاياه ظاهرة حتى الان على جانبي الطريق الحديث المؤدي الى مدينة الزهور الحديثة. وبين التلين الرئيسين وسلسلة التلال المحيطة بها مساحات واسعة من الاراضي المنبسطة التي كانت تتوزع فيها الدور السكنية وبعض الابنية العامة اضافة الى الساحات والحدائق العامة والشوارع.

وكانت اعمال المنقبين الاوائل مقصورة على تل قوينجق باستثناء بعض الانفاق الجانبية في تل النبي يونس وذلك بسبب وجود مرقد وجامع النبي يونس على التل ووجود مقبرة حديثة واسعة على اقسامه الشرقية ووجود دور سكنية كثيرة حول الجامع لايزال معظمها قائماً حتى الان .وتعمل دائرة الآثار والتراث جاهدة على استملاك هذه الدور كما انها منعت استخدام المقبرة تمهيداً لفسح المجال امام المنقبين للعمل فيها والكشف عن القصور والمعابد المطمورة تحتها.

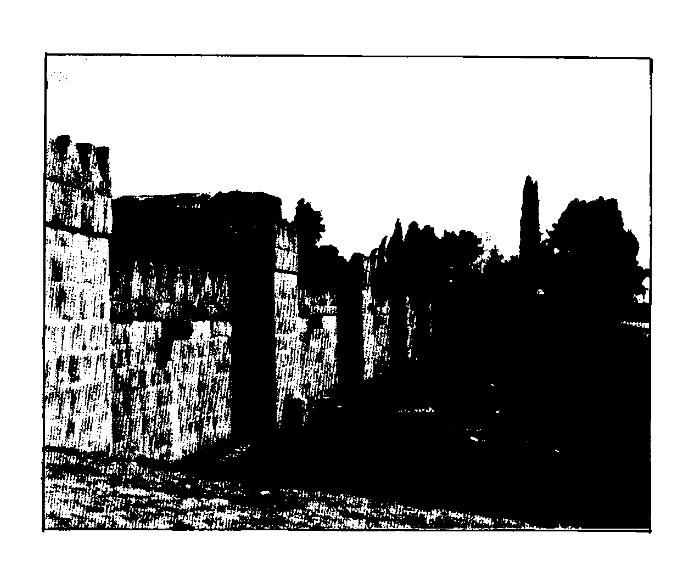
تشير التحريات الاثرية التي تمت في المدينة الى ان الموقع كان من قرى عصور قبل التاريخ في الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد ، فقد عثر على اثار تلك العصور، ومنها الفخاريات الكثيرة ، في الطبقات السفلى من نينوى كما تشير التنقيبات الى استمرار السكن في المدينة في الادوار التالية ، كما اشير الى ذلك في فصل سابق. وعثر في المدينة على آثار تعود الى العصر الاكدي وعصر سلالة اور الثالثة





(النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد) ومن بين الآثار المهمة من العصر الاكدي رأس بالحجم الطبيعي مصنوع من البرونز لملك اكدي يظن انه سرجون او حفيده نرام- سين. وبرزت مدينة نينوى واحتلت مكانة خاصة منذ ان اتخذها الملك تجلا تبليزر الاول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق. م) عاصمة لملكه ووصلت المدينة قمة مجدها وازدهارها في عهد الامبراطورية الاشورية الثانية ولاسيما في عهد الملك سنحاريب (٧٠٥- ٦٨١ ق.م) وابنه اسرحدون وحفيده اشور بانيبال. وتعود معظم الابنية والآثار المكتشفة في المدينة الى عهود هؤلاء الملوك الثلاثة. وكانت نهاية نينوى السياسية عام ٦١٢ ق. م. على ايدي الجيوش الميدية- والكلدية، غير انها ظلت بلدة بسيطة في الفترات التالية لاسيما في فترة الاحتلال الفرثي كما أشير الى ذلك في حينه،وكان من نتائج التنقيبات التي اجريت في المدينة ان تم الكشف عن معظم القصور والمعابد الاشورية بما فيها من منحوتات وتماثيل ومسلات ولقى اثرية اخرى كثيرة،كما كشف عن مكتبة اشور بانيبال الرائعة في بعض اجنحة قصره وقصر والده،وقد ضمت المكتبة اكثر من خمسة وعشرين الف رقيم طيني فكانت بذلك من اروع ماتم الكشف عنه من اثار[٧]. وعلى الرغم من هذه المكتشفات الرائعة فان بعثات التنقيب تركت المدينة لعوامل الطبيعة القاسية وعبث العابثين بعد ان سلبتها اثارها وكنوزها، فانهارت الاتربة على القصور والمعابد المستظهرة فاندثرت ثانية حتى غدا من الصعب معرفة اماكنها دون الاستعانة ببعض الخرائط والمخططات التي رسمها المنقبون الاوائل.

وتؤيد التنقيبات التي اجرتها دائرة الاثار وجامعة الموصل صحة ذلك حيث تبين بأن طول السور الذي يحيط المدينة يبلغ حوالي اثني عشر كيلو متراً وان السور مؤلف من قسمين رئيسين شيد القسم الاول منها باللبن في حين يكّون القسم الثاني غلافاً



جزء من سور نينوى الغربي وبوابة المسقى بعد الصيانة

حجرياً من الخارج شيد بالحجر المهندم. اما الغلاف الحجري، فيبلغ سمكه ثلاثة امتار ونصف المتر تقريباً وقد تم بناؤه بقطع ضخمة من الصخر (الحلاّن) الموجود في المنطقة بالاسلوب نفسه الذي اتبع في مدينة الموصل، ولايزال يتبع احياناً في بناء الدور الفخمة ويعرف بالبازي. ويرتفع السور الى مايقرب من سبعة امتار ويعلوه صف من الحجارة المسننة التي تأخذ شكل المثلث تقريباً اعدت لحماية الجند المدافعين والسماح لهم، في الوقت نفسه، النظر من خلال اسنان الحجارة الى الاعداء وتوجيه السهام والقذائف لهم، ويتخلل الغلاف الحجري ابراج تبرز عن الجدار قليلاً وترتفع عنه، وهي مفتوحة الى الداخل وتعلوها حجارة مسننة ايضاً ويرقى اليها من الداخل بدرجين وقد شيّدت هذه الابراج لتسهيل مهمة المدافعين من توجيه سهامهم وقذائفهم على الاعداء. وقد تبين ان بعض اجزاء الضلع الغربي قد تم بناؤه على هيئة مسناة لوقوعه على شاطئ النهر(٩).

اما القسم الثاني من السور، فقد استخدم في بنائه اللبن المجفف بالشمس ويبلغ سمك هذا الجزء من السور في اضيق منطقة فيه مايزيد عن خمسة عشر متراً ويصل العرض الى اكثر من اربعين متراً احياناً. اما ارتفاعه فلا يمكن تحديده بشكل دقيق وذلك لعدم بقاء اي جزء منه على هيئته الكاملة كما لم يكشف بعد عن منحدر او درج كامل يؤدي الى اعلى السور يمكن بواسطته احتساب الارتفاع. ويلتصق سور اللبن بالغلاف الحجري الا في الجزء العلوي من الغلاف حيث يفصل بينها ممر ضيق يبلغ عرضه ثلاثة امتار اعدّ لسير الجند والعربات الصغيرة. ويتخلل سور اللبن ابراج اخرى ضخمة شيدت باللبن ايضا ترتفع عن مستوى سطح السور ارتفاعاً كبيراً ربما كان يوازي ارتفاع الابراج المحيطة بالبوابات والتي اقيمت فوق قاعات الحرس، وقد بلغ ارتفاع هذه الابراج في بوابة ادد ١٧,١٠ متراً عن مستوى الارض المجاورة المرتفعة بطبيعتها عن مستوى الاراضي القريبة وهكذا كانت هذه الابراج تؤلف خطاً دفاعياً اضافياً يحمي المدينة من الاعداء المهاجمين.

وفي الاربعينيات من هذا القرن عملت مديرية الاثار القديمة انذاك على اعادة بناء بوابة نرجال في الضلع الشمالي من السور، وفق مخطط تخيلي وضعه بعض المنقبين الاوائل لابواب المدن الاشورية والبابلية، وذلك على جانبي الثورين المجنحين المكتشفين على جانبي الباب، ولاتزال هذه البوابة على الرغم من عدم مطابقتها لتصميم الباب الاصلي من المعالم السياحية المهمة في المدينة وبصورة خاصة بعد ان اقيم داخل قاعاتها متحف صغير. وفي الستينيات قررت دائرة الاثار توجيه اهتمامها للكشف عن القصور والمعابد التي كان المنقبون الاوائل قد كشفوا عنها ثم عادت وانطمرت تحت الاتربة وكذلك الكشف عن بوابات المدينة، وشكلت لذلك هيئة متخصصة دائمة اتخذت لها مقراً داخل مدينة نينوى نفسها،وقد تم الكشف حتى الان عن قصر سنحاريب وتمت صيانة بعض اجزائه كما كشف عن بوابة شماش وبوابة المسقى واعيدت صيانة اجزاء مهمة منها، وبوابة سين كما ساهمت جامعة الموصل مساهمة فعالة في الكشف عن بوابة ادد في الضلع الشمالي من المدينة المقابل لابنية جامعة الموصل الحديثة وتمت صيانة اجزاء مهمة منها ومن السور المحيط بها،وتعد ادد اكمل بوابة مكتشفة حتى الآن حيث مازالت بقايا الاقواس التي كانت تعلو البوابة قائمة تقارع الزمن.

تؤكد نتائج التنقيبات التي اجريت في نينوى صحة ما ورد في النصوص القديمة، المسمارية وغيرها، عن عظمة المدينة وفخامة ابنيتها واسوارها وبواباتها. فقد ذكر سنحاريب، مثلاً، في احد



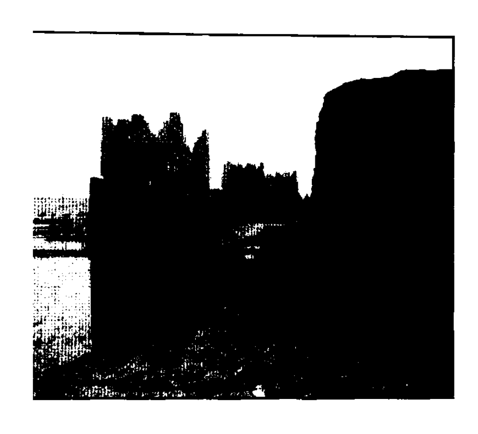


نصوصه المسمارية بأنه احاط المدينة بسور كبير طوله ٢١٨١٥ شكمّ كبير (والشكمّ وحدة قياس للمسافات) وشيد السور على مصطبة ضخمة من الحجر فجعله بحق ''السور الذي اغرقت عظمته الاعداء'' وجعل سمك السور ٤٠ لبتُ (الي لبنة) وارتفاعه ١٨٠ تبكاً (وحدة قياس اشورية اخرى) كما جعل للسور ثمانية عشر بوابة للدخول والخروج واطلق على بعضها اسماء الالهة الاشورية في حين اطلق على بعضها الاخر تسميات جغرافية.

اما بوابات المدينة فقد ذكرت النصوص المسمارية، واكدته التحريات الاثرية، أن سنحاريب شيد ثمانية عشر بوابة موزعة على اطراف المدينة



بقايا القوس الذي يعلو بوابة ادد



صورة لبوابة شمس بعد الصيانة.

وقد تم الكشف عن سبع بوابات حتى الان وتمت صيانة بعضها، وتبين أن مخطط البوابات يختلف من واحدة الى اخرى وذلك لاختلاف مواقعها واستخداماتها، فهناك بوابة نرجال في وسط الضلع الشمالي المقابل لمعبد نرجال في مدينة تربيص الملكية اعدت لخروج ودخول المواكب الملكية، لذلك زينت بالثيران المجنحة الضخمة ورصف المدخل والشارع المؤدي اليها من الخارج بالحجر المهندم،وامتد الشارع الى خارج المدينة وربما كان يصل الى مدينة تربيص نفسها الواقعة على بعد بضعة كيلومترات منها. اما بوابة المسقى في الضلع الغربي فقد شيد جزء من السور المحيط بها على هيئة مسناة لوقوعها انذاك على شاطئ النهر في حين بالغ سنحاريب في تحصين بوابة شماش الواقعة في الضلع الشرقي مقابل الطريق المؤدي الى اربيل (اربائيلو) والمنطقة الجبلية لاهمية المنطقة وضرورة تحصين المدينة ضد الهجمات المتوقعة من جهة الشرق[9].

اما ابنية المدينة الرئيسة من قصور ومعابد فقد شيدت في منطقتين رئيسيتين تؤلفان حاليا تل النبي يونس وتل قوينجق،في حين انتشرت الدور السكنية

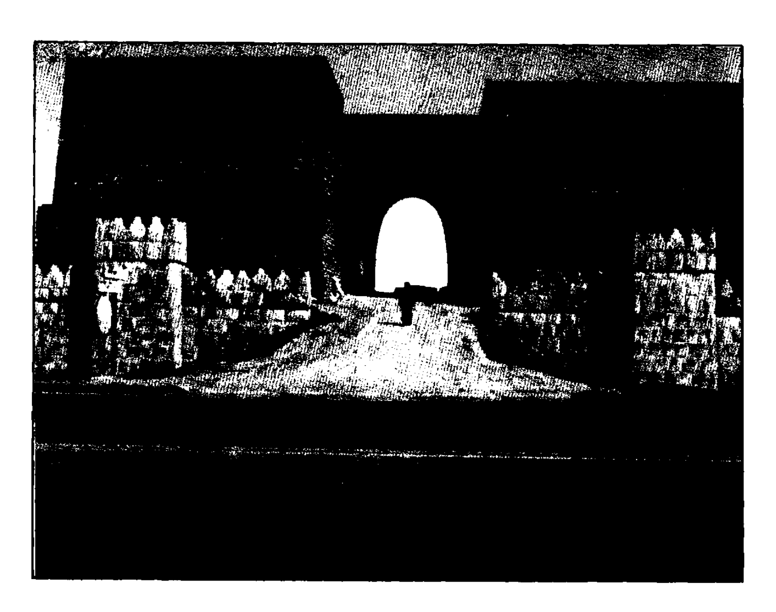




الخاصة في الساحات المحيطة بهذين التلين والتي تصل الى حدود السور. كما اقيمت الحدائق العامة والساحات وشقت الشوارع الملكية والعامة في هذه المساحات الواسعة وفي جهة من جهات المدينة الشمالية كانت هناك بحيرة واسعة جمع فيها الملوك مختلف انواع الحيوانات المائية. ويشير سنحاريب في احد نصوصه الملكية الى الاعمال الكثيرة التي اضطلع بها في نينوى فيقول:

"ووسعت مساحة نينوى، مدينة ملكي، وسعت مساحاتها وجعلت شوارعها وطرقها مضيئة كالنهار"[١٠]

ويضم تل قوينجق داخله عدداً كبيراً من القصور والمعابد الاشورية وهو تل ضخم يطل على نهر الخوصر حالياً يبلغ طوله كيلومتر واحد وعرضه نصف كيلومتر وشكله العام شبه بيضوي وترتفع اعلى نقطة فيه عن مستوى سطح البحر ٢٥١ متراً. ومن القصور المهمة التي يضمها التل



بوابة المسقى

"شيدت سور (المدينة) وجعلت ارتفاعه بارتفاع الجبال وفي اعلى المدينة واسفلها اقمت الساحات، وزرعت لرعيتي ثروة الجبال وجميع البلدان، جميع انواع النباتات من بلاد الحثيين، نباتات المر التي كانت ثمارها اكثر من ثمارها في مواطنها، جميع انواع الكروم الجبلية وجميع الفواكه من جميع البلدان شجيرات واشجار مثمرة"

ويردف قائلاً

قصر سنحاريب الفخم الذي سماه «بالقصر الذي لامثيل له" ويقع القصر في القسم الجنوبي من التل وقد شيدت جدرانه السميكة باللبن وغلفت من الداخل بالمنحوتات البارزة التي نحتت بمشاهد حياتية مختلفة. وترتفع المنحوتات، ومنها الملونة، الى ثلاثة امتار من الجدران الداخلية ويعلوها زخارف جصية ملونة مكمّلة للمنحوتات. وقد امكن رسم صورة تقريبية للقصر وللمنحوتات من خلال نتائج التنقيبات وماذكرته النصوص





المسمارية ويبدو ان معظم جدران القصر الداخلية وكذلك ارضياته كانت مغلفة بالحجارة المهندمة والمعادن والاخشاب واستخدم سنحاريب الذهب والفضة والنحاس لتزيين القصر كما استخدم انواعاً مختلفة من الرخام والاخشاب وزخرفت الجدران بالوان زاهية تعكس اشعة الشمس.

اجزائه بحيث يمكن للزائر الان مشاهدة قاعة العرش المزينة بالمنحوتات، وهي قاعة ضخمة طولها ٥١ متراً وعرضها ١١,٥ متراً ولها مدخلان في الضلع الشرقي يطلان على ساحة واسعة ومزينان بالثيران المجنحة وقد غلفت جدران القاعة بسلسلة من المنحوتات التي تظهر مشاهد مختلفة اضافة الى



بقايا جدران احدى قاعات قصر سنحاريب في نينوى

ويظن ان السقوف كانت مزخرفة بالالوان البراقة ايضا وزيّنت مداخل القصر والقاعات الرئيسة فيه بالثيران المجنحة. واظهرت التنقيبات التي اجريت في القصر منذ القرن الماضي والتنقيبات الحديثة احدى وسبعين غرفة وسبعة وعشرين مدخلاً مزيناً معظمها بالثيران المجنحة. وفي غرفتين من غرف القصر عثر على بقايا مكتبة اشور بانيبال الشهيرة حيث كان اشور بانيبال قد اتخذ من قصر جدّه مقراً له قبل تشييده قصراً خاصاً به. وقد تمكنت دائرة الاثار والتراث في السنوات الاخيرة من الكشف عن بقايا هذا القصر الفخم وحاولت صيانة بعض

الكتابات المسمارية الكثيرة التي تغطي اجزاء كبيرة منها لتحكي لنا منجزات سنحاريب الرائعة في مختلف المجالات. كما تم الكشف في اسس الجانب الغربي من القاعة على منشور فخاري يحمل نصاً مسمارياً يخص الملك سنحاريب ايضاً ويتضمن تفاصيل اعماله العسكرية واشارة الى بنائه القصر.

وفي الساحة الواسعة شرقي القاعة امكن الكشف عن عدة طبقات سكنية العليا منها اسلامية في حين ترقى الاربع الاخرى الى الفترة الهلنستية والفرثية. فضلا عن ذلك كشف عن قاعة اخرى اصغر حجماً غير انها شبيهة من حيث

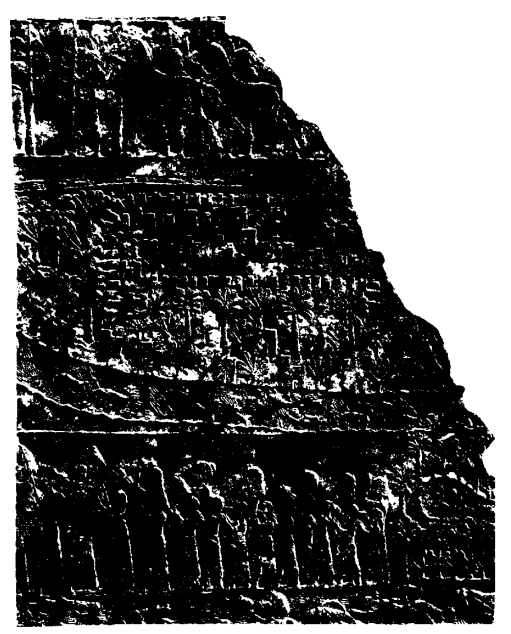




التصميم والزخرفة للقاعة الاولى تقع الى الغرب من قاعة العرش[١١] .

اما قصر اشور بانيبال فيقع في القسم الشمالي الشرقي من تل قوينجق . وقد تم الكشف عن هذا القصر منذ التنقيبات الاولى في نينوى اضافة الى النصوص المسمارية الكثيرة ومنها مايعود الى مكتبة اشور بانيبال .

وفي تل النبي يونس ابانت التحريات الاثرية لاسيما التحريات التي اجرتها دائرة الاثار في اثناء فتح الطريق العام المؤدي الى اربيل عن بعض اجزاء قصر اسرحدون الذي ذكرته النصوص المسمارية . وقد عثر على ثلاثة من التماثيل من الحجر تمثل الفرعون طهراقا ربما كانت من الغنائم التي جلبها الملك اسرحدون من مصر وقد دون على قواعد التماثيل وبالخط الهيروغليفي اسم الملك طهراقا كما كشف عن اسطوانة فخارية تحمل نصاً مسمارياً يتحدث عن منجزات اسرحدون العسكرية[١٢] .



منحوتة جدارية من قصر اشور بانيبال في نينوى تصور انتصاره على العيلاميين

وفي عام ١٩٨٧ في اثناء عملية توسيع جامع النبي يونس من جهة الشرق ارتطمت فؤوس العمال بجزء من تمثال ضخم تبين بعد الكشف عنه أنه ثور مجنح كبير من طراز خاص حيث انه مؤلف من عدد كبير من قطع الصخر (الحلان) المكعبة الشكل مجموعة بعضها الى بعض لتشكل ثوراً مجنحا ضخماً غير ان المؤسف ان راس الثور كان مفقوداً .وطبيعي ان الثور المجنح هذا كان يزين احد مداخل قصر اسرحدون غير ان وجود الابنية الحديثة ، ومنها الجامع ، حالت دون استكمال اعمال التنقيب في المنطقة .

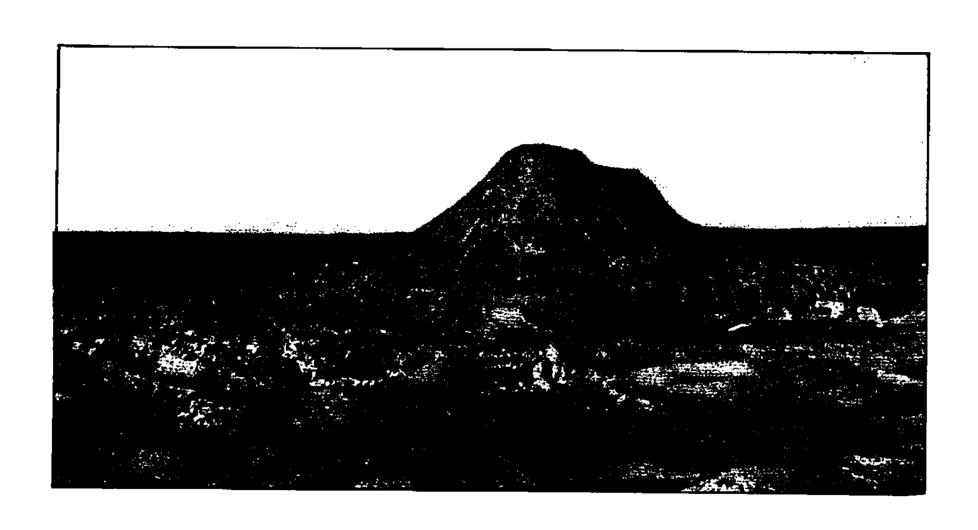
## آشور

اولى العواصم الاشورية ، والعاصمة الوحيدة التي تقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة . وقد ظلت اشور- طوال تاريخ الاشوريين منذ مجيئهم الى المنطقة وحتى مطلع الالف الاول قبل الميلاد ، المدينة الرئيسة للاشوريين والعاصمة الوحيدة حتى اتخذ الملك اشور ناصر بال الثاني (٨٨٣- ٨٥٩ ق. م) مدينة كلخو ( نمرود ) عاصمة جديدة له . ومع ذلك فقد احتفظت اشور بمكانة خاصة عند الملوك الاشوريين ، حتى اولئك الذين اتخذوا غيرها عاصمة لملكهم ، فلا يخلو عهد ملك من الملوك المهمين من نشاط عمراني في مدينة اشور كما دفن فيها مشاهير الملوك الاشوريين ، وفيها كانت تقام احتفالات رأس السنة واحتفالات ومراسيم تتويج الملوك ربما لانها كانت مقرا لعبادة اشور اله الاشوريين القومي . ويكتنف الاسم آشور، كما المرنا الى ذلك في مكان آخر، الغموض ولايعرف أهذا الاسم خاص بالمدينة ثم استخدم للدلالة على اله الاشوريين القومي وعلى الاشوريين انفسهم وعلى بلادهم ام ان اسم المدينة جاء متأخرا .

تقع بقايا اشور على مثلث مرتفع من الارض يطل على وادي دجلة من الشمال والشرق ويبعد







بقايا زقورة اشور

مسافة مائة وعشرة كيلو مترات شمال مدينة الموصل وتعرف خرائبها اليوم بالقلعة اوقلعة الشرقاط ، نسبة الى بلدة شرقاط التي تبعد عنها بضع كيلومترات. وتشرف المدينة من جهتها الشمالية على سهل منخفض غربني كونته مياه دجلة تقع عند نهايته الشمالية بلدة شرقاط الحديثة ، اما من جهة الغرب فهناك هضاب صخرية قليلة الكسور وفي شرق المدينة عبر دجلة سهل واسع يمتد بامتداد البصر يطلق عليه احيانا اسم سهل مخمور.

وكانت اشور قد هجرت منذ مئات السنين واندرست اثارها ربما منذ اواخر فترة الاحتلال الفرثي ، ومع ذلك استهوت المدينة المنقبين الالمان منذ مطلع القرن الحالي حيث عملت فيها البعثة الالمانية برئاسة كولدوي ثم والتر اندريه من عام ١٩٠٣ وحتى عام ١٩١٤ وتمكنت من الكشف عن الكثير من مبانيها واثارها ونقلت المهم منها الى المانيا حيث تزين تلك الاثار الان قاعات متحف برلين،كما نقل معظمها الى متحف استانبول في حين اهملت اشور وانهارت الاتربة على اماكن الحفر التي قامت بها البعثات الالمانية[١٣] حتى تهيأ لدائرة الاثار والتراث العراقية مؤخراً ان تبدأ اعمال التنقيب والصيانة فيها وفق خطة سابقة بهدف اعادة الكشف عن مبانيها كاملة.

ابانت التنقيبات التي اجريت في المدينة الى انها كانت مستوطناً صغيراً لانسان العصور القديمة في عصور قبل التاريخ وذلك لما تتمتع به من موقع حصين واشراف على وادي دجلة وعلى الاراضي الزراعية بعيداً عن مخاطر فيضانات النهر السنوية ، غير ان المعلومات المتوافرة عن تلك العصور القديمة قليلة. ومنذ فجر التاريخ اصبحت اشور على اتصال وثيق مع القسم الجنوبي من العراق ، لاسيما بعد ان قامت الدولة الاكدية ، حيث عثر فيها على بعض اللقى الاثرية تحمل طابعاً اكدياً او سومرياً مما يشير الى تأثير الحضارة السومرية الاكدية وانتشارها في القسم الشمالي من العراق. كما عثر على عدد من النصوص المسمارية القصيرة التي تذكر اسم الملك الاكدي مانشتوسو مما يشير الى ان اشور غدت جزءاً من الامبراطورية الاكدية وربما كانت احد





المراكز الادارية المهمة في القسم الشمالي من الامبراطورية يؤيد ذلك الكشف عن عدد من المباني المهمة من بينها قصر واسع الى جوار زقورة الاله إنليل ، يرقى تاريخ بنائه الى العصر الاكدي. اضافة الى ذلك ، ذكرت النصوص المكتشفة في نوزي (يورغان تبه قرب كركوك) ان مدينة اشور كانت تدار من قبل حكام تابعين للدولة الاكدية.

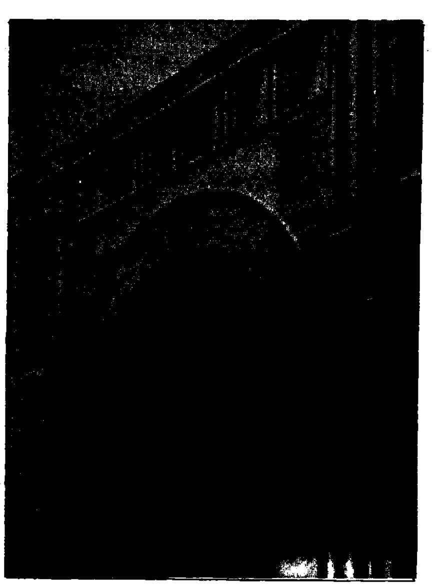
ولابد ان اصاب اشور ما اصاب بقية المدن والمراكز الحضارية ابان الغزو الكوتي الهمجي من تخريب وتدمير، غير انها ، كما يبدو، لم تخضع للسيطرة الكوتية ولعّلها اقامت لها ادارة محلية في حين اصبحت جزءاً من امبراطورية اور الثالثة التي قامت في العراق في اعقاب طرد الاقوام الكوتية الغازية. وتشير النصوص المكتشفة في المدينة ان حكام المدينة ، مثل الحاكم زريقم ، كانوا تابعين لملوك امبراطورية اور الثالثة. وبعد انهيار سلالة اور الثالثة استقلت اشور واقامت لها سلالة محلية جاءتنا اسماء بعض حكامها ، وقد ذكر ان احد الحكام ، وهو كيكيا، قام بتشييد اسوار المدينة ، وجدد الاسوار الحاكم بوزو- اشور وتذكر النصوص ايضاً ان ايلو شوما وايريشوم الاول قاما بتشييد عدد من الابنية المهمة في المدينة منها معابد اشور وادد وعشتار:

"ايرشم ، حاكم بلاد آشور، ابن ايلو- شوما ، حاكم بلاد اشور، لاشور سيده ، من اجل حياته وحياة المدينة ، اعاد بناء المعبد باكمله". ثم تدهور وضع اشور بتدهور قوة الاشوريين بعد ذلك حتى اعتلى العرش الاشوري الملك شمشي- ادد الاول (١٨١٤- ١٧٨٢ ق. م) الذي على في عهده شأن اشور وشيدت فيها القصور والمعابد الى ان اتخذ شيلمنصر الاول (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق. م) مدينة كلخو (نمرود) عاصمة عسكرية له ، اما ابنه توكلتي ننورتا الاول فقد اسس له عاصمة جديدة قبالة مدينة اشور سماها باسمه. وفي العهد الاشوري الحديث ، وعلى الرغم من اتخاذ اشور ناصر بال الثاني مدينة كلخو عاصمة لملكه وبناء سرجون لمدينة دور- شروكين (خرصباد) واتخاذ بقية الملوك الاشوريين المشهورين مدينة نينوى عاصمة لهم فان مدينة اشور ظلت محافظة على مركزها الديني بين المدن الاشورية ، فكانت تقام فيها الاحتفالات الدينية العامة ويتوج الملوك واليها كانت تأتي الغنائم كما تمتع سكانها ، خلافا لسكان بقية المدن وسكان العاصمة ، بامتيازات خاصة حيث اعطيت المدينة ولاسيما في عهد سرجون وخلفائه ، نوعا من الاستقلال الذاتي واعفي سكانها من كثير من الخدمات العامة والضرائب المفروضة على غيرهم وقد دأب الملوك الاشوريون على تجديد اسوار المدينة وتشييد القصور والمعابد فيها وتجديد وترميم القديم منها ولايخلو جزء من اشور من بصمات الملك سنحاريب الذي شيد فيها قصراً جديداً لابنه وانشأ داراً للاحتفال باعياد راس السنة بالقرب من معبد اشور. وفي اواخر العصر الاشوري الحديث اهملت تحصينات المدينة وتهدمت اسوارها فلم تقو على مواجهة الهجوم الذي شنته عليها الجيوش الميدية والكلدية ، فوقعت بايديهم عام ٦١٤ ق. م.

ويبدو ان المدينة ظلت بلدة صغيرة في العهود التالية، وقد كشف فيها عن عدد من الابنية التي تحمل طابعاً هلنستياً من القرنين الاول والثاني للميلاد واستعادت اشور بعض مركزها القديم في فترة الاحتلال الفرثي للعراق حيث كانت مركزاً تجارياً مهماً فانتعش اقتصاد المدينة واقيمت فيها بعض القصور والمباني كشف عن احد تلك القصور، وهو مايعرف حالياً بقصر الاواوين ، وهو قصر واسع يتوسطه فناء مربع الشكل يحيط به اواوين مزخرفة بالجص بعد ذلك هجرت المدينة





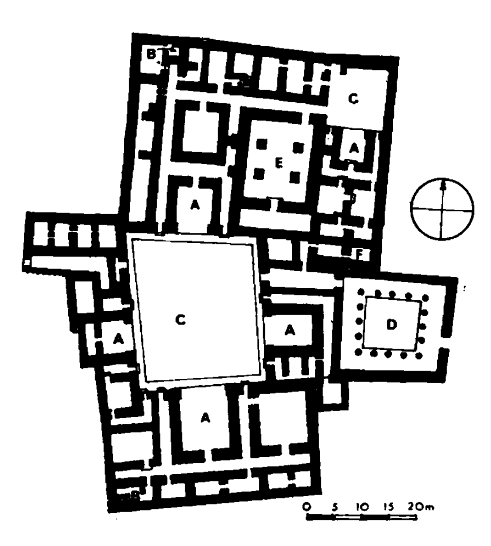


واجهة قصر الاواوين بعد الصيانة

نهائيا حيث لم يكشف عن اثار سكنى فيها من الفترات التالية.

شيدت اشور على مساحة من الارض مرتفعة ،مثلثة الشكل تقريباً. وهي اصغر العواصم الاشورية مساحة حيث لاتتجاوز مساحتها ٢٤٠ دونماً في حين تبلغ مساحة نينوى مايقرب من ثلاثة الاف دونم ومساحة كلخو (نمرود) حوالي ١٢٨٠ دونما ومساحة دور شروكين ٩٦٠ دونماً. ويحيط بالمدينة سوران محصنان بالابراج الضخمة تتخللها ثلاث عشرة بوابة محاطة بالابراج. وكان السور الداخلي يسمى "دورو" في حين اطلق على السور الخارجي اسم "شلحو" ويحيط السور الداخلي المدينة من جهتها الشمالية والشرقية بمحاذاة وادي دجلة ثم يستدير على شكل قوس تقريباً ليصل بين هذين الضلعين وكان يضم مايعرف بالمدينة الداخلية لبي – الي. اما السور الخارجي، فيمتد من الزاوية الشمالية الغربية للمدينة حيث يتصل بالسور الداخلي ويتجه بموازاة السور الداخلي في ضلعة المقوس حتى ثلثه الأخير حيث ينعطف عنده الى الجنوب الغربي ثم ينعطف ثانية الى اتجاه النهر ويسير بمحاذاة النهر ليتصل بالضلع الشرقي من السور الداخلي، وبذا فان السور الخارجي يقتصر على الجهة الجنوبية والغربية من المدينة وجزء من الجهة الشرقية، ويضم داخله مساحة واسعة من الارض لايحيطها السور الداخلي تقع جنوبي المدينة وكانت تعرف لدى الاشوريين بالمدينة الجديدة ( آل إشّو ) وطبيعي ان اجزاء السورين الواقعة على النهر كانت قد شيدت على شكل مسناة صخرية لتحمي المدينة من مياه النهر وقت الفيضان، وكانت مساحة ماسمي بالمدينة الجديدة قد اضيفت في زمن الملك بوزور– اشور الرابع (١٥٣٠ – ١٥١١ ق. م) ربما لتزايد عدد سكان المدينة والحاجة الى توسيع مساحة الاحياء السكنية.

اظهرت التنقيبات ان المعابد والقصور قد تركزت في القسم الشمالي من المدينة واول مايسترعي انتباه الزائر بقايا البرج المدرج (الزقورة) الذي شيد الى جوار معبد آشور،وقد عرفت الزقورة فيما بعد




مخطط قصر الاواوين





بزقورة بيل كنية للاله (انليل)، وكان شيلمنصر الثالث (٨٥٩– ٨٢٤ ق. م) قد جدد بناءها واعاد تشييدها في اثناء قيامه بتجديد ابنية معبدي اشور وعشتار– واسوار المدينة وقد استخدم في تجديد الزقورة ستة ملايين لبنة كبيرة وطمر في زواياها كنزاً من خرز العقيق والبلّور الطبيعي ومن الاحجار الكريمة الاخرى وصفائح رقيقة من الحديد والرصاص منقوشة بكتابات مسمارية تذكر ماقام به شيلمنصر من اعمال بنائية مرضاة لالهه اشور كما جدد شيلمنصر المعبد المشترك الخاص بانو وادد وبنى له باباً مصنوعاً من خشب الارز ومكسواً بصفائح البرونز فيها صور بارزة من مشاهد الحياة اليومية الاشورية وماثرهم الحربية،وقد اصبح هذا البناء فيما بعد من اهم المعابد التي تقصدللزيارة. اما معبد اشور فيرقى تاريخه الى فجر التاريخ ثم جرت عليه تجديدات وترميمات متعددة كان اخرها في عهد الاحتلال الفرثي وكان يسمى بيت كشاني، اي بيت العالم، كما عرف ايضا باسم «بيت اشور»، او بيت شرّي، اي بيت الملك كنية للاله اشور الملك. وتذكر الكتابات المسمارية المكتشفة في المدينة ان اشور ضمت ٣٤ معبداً لالهة الآشوريين المختلفة وان عشراً منها كانت ضمن بناء معبد اشور الرئيس.

وفي الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة شيد سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق. م) قصرا لابنه اسرحدون كما قام بانشاء دار بالقرب من معبد آشور واطلق على الساحة الواقعة بين هذين البنائين اسم ساحة العرض للزمر السماوية، كما يذكر ذلك في الكتابات المسمارية التي خلفها لنا واطلق على البوابات التي شيدها اسماء شعرية عجيبة منها (الباب المتعدد الالوان) و (مدخل الزمرة السماوية) و (باب العجلة السماوية) (باب قاعة الحضور) و (باب الطريق السماوي) وشيد خارج المدينة في الشمال الغربي منها دار الحفلات الخاصة باشور وسط جنينة واسعة،وكانت تقام في هذه الدار، وهي مايسمى ببيت اكيتو، احتفالات اعياد راس السنة حيث ينقل تمثال اشور وتماثيل بقية الالهة الاشورية في المدينة من معابدها الى بيت اكيتو في موكب فخم واحتفال مهيب شبيه بالاحتفال الذي كان يجري في مدينة بابل.

ان معظم الاثار المكتشفة في مدينة اشور قد نقلت الى متحف برلين واستانبول وفي السنوات الاخيرة عزمت دائرة الآثار والتراث على اعادة الكشف عن هذه المدينة الضخمة واعادة تعميرها وصيانة ابنيتها وخصصت لذلك المبالغ اللازمة وباشرت اعمالها منذ سنوات قليلة وهي لاتزال تعمل وفق خطة سابقة على الكشف عن بواباتها وقصورها كما اقامت الدائرة في المدينة وفي بناية البعثة الاثرية الالمانية متحفاً للاثار المكتشفة في المدينة وغيرها من المدن الاشورية القريبة.

## كلخو (نمرود)

ثاني العواصم الاشورية وتلي الحضر من حيث فخامة ابنيتها وروعة اثارها الباقية. تقع اطلالها على مسافة ٣٧ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل في الضفة الشرقية من نهر دجلة.

ورد اسم المدينة في النصوص المسمارية على هيئة كلخو kalhu في حين ذكرت في كتاب العهد القديم (التوراة) باسم كالح. وبعد نهاية الدولة الاشورية اضمحلت المدينة واندرست بقاياها تدريجياً. وفي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد مر بها زينفون قائد حملة العشرة آلاف، وذكر أنها كانت خربة وكانت تدعى لاريسا Larissa ووصف مسناتها الضخمة وبين قياساتها[١٤]. اما البلدانيون والمؤرخون العرب المسلمون، فقد ذكروا اسمها على هيئة اثور[١٥]، كما سميت بالنمرود. ويظن ان اسم نمرود هو تصحيف لاسم اله الحرب





الاشوري ننورتا [١٦] وان كان الاعتقاد السائد بان نمرود كان ملكاً جباراً وطاغياً من ملوك الاشوريين حتى استخدم الاسم في اللغة العربية كصفة للدلالة على الظلم والطغيان والجبروت [١٧].

كان ليرد اول من نقب في المدينة بين عامي ١٨٤٥ و ١٨٥١ ، ثم اعقبه هرمز رسام عام ١٨٥٣ ، اما لوفتس فقد عمل في المدينة عامي ١٨٥٤ و ١٨٥٥ وبعد عشرين سنة استأنف سميث التنقيب في المدينة واعقبه رسام كذلك ثم توقف العمل ثانية ولفترة طويلة حتى باشرت البعثة البريطانية عملها في الموقع عام ١٩٤٩ واستمرت لعدة مواسم. وفي السنوات الاخيرة تولت مديرية الاثار العامة اعمال التنقيب والصيانة في المدينة وهي لاتزال تعمل فيها ، فكشف عن معظم الابنية والقصور التي كانت الهيئات الاجنبية قد نقبت فيها ثم تركتها دون صيانة فتراكمت عليها الاتربة وعادت فانطمرت تحتها .

تشير التنقيبات التي تمت في نمرود الى ان موقع المدينة كان في الالف الثالث قبل الميلاد مستوطناً صغيراً حيث ترك سكان ذلك المستوطن بعض الاثار المتمثلة بالكسر الفخارية وبعض السهام. كما عثر في احدى المناطق المرتفعة من المدينة على قبر يدل على انه يعود الى العصر البابلي القديم (حدود ١٧٥٠ ق. م). اما الكتابات المسمارية الكثيرة التي خلفها اشور ناصر بال الثاني (٨٨٣- ٨٥٩ ق. م) فتؤكد على ان المدينة كانت قد شيدت في عهد شيلمنصر الاول (١٢٧٤- ١٢٤٥ ق. م). غير ان المدينة نالت شهرتها في عهد الملك اشور ناصر بال الثاني الذي قرر ان يتخذها عاصمة لملكه منذ السنة الاولى لحكمه ، ولاتعرف الاسباب التي دفعته الى تغيير العاصمة وترك مدينة اشور وربما كان لموقع كلخو الستراتيجي المهم اثره في اختياره مكانا للعاصمة الجديدة. فالموقع محاط بسهول خصبة وفيرة المياه ولايفصله عن المنطقة الجبلية ذات الاخطار الكامنة حاجز طبيعي يعرقل تقدم الجيش الاشوري ، ويؤيد ذلك اتخاذ المدينة في الفترات المتأخرة من التاريخ الاشوري قاعدة عسكرية لانطلاق الحملات الى المناطق الشمالية والشمالية الشرقية. كما كان من الممكن الوصول الى اشور بالوسائط النهرية المتيسرة بسهولة فضلا عن سهولة عبور نهر دجلة في هذه المنطقة. استمرت اعمال التجديد والبناء في عهد آشور ناصر بال لمدة خمس سنوات ثم انتقل اليها في احتفال كبير وردت تفاصيله منقوشة على مسلته المشهورة. ويبدو ان احتفالات التدشين استمرت لمدة عشرة ايام متتالية وحضرها اعداد كبيرة من الممثلين والسفراء الاجانب والامراء والحكام والقادة والموظفين من الآشوريين اضافة الى اعداد كبيرة من المواطنين وقد ذكرت المسلة ان عدد الذين شاركوا بالاحتفالات بلغ ٦٩٥٧٤ شخصا وان الملك قدم لهم الطعام والشراب فعاشوا في سرور وحبور لمدة عشرة ايام متتالية : "الشعب المسرور من جميع البلدان سوية مع شعب كلخو لمدة عشرة ايام ، اطعمتهم واشربتهم واعددت لهم الحمامات وقدرتهم ومن ثم ارسلتهم الى بيوتهم بسلام وسرور" [١٨]. ومن الطريف ذكره انه كان من بين الاطعمة التي قدمت للزوار الكبة (كُبَيِتُ "kubibatu" ، وهي اكلة ظلت منطقة الموصل تشتهر بها حتى الان.

وظلت المدينة عاصمة للدولة الاشورية في عهد شيلمنصر الثالث (٨٥٨- ٨٢٤ ق. م) الذي اقام فيها ابنية جديدة ثم انتقلت العاصمة بعده الى نينوى وآشور في حين ظلت كلخو تستخدم قاعدة عسكرية للجيوش الاشورية وشيدت فيها بعض المباني الجديدة في عهد الملك ادد- نراري الثالث (٨١٠- ٧٨٢ ق. م) و تجلا تبليزر الثالث



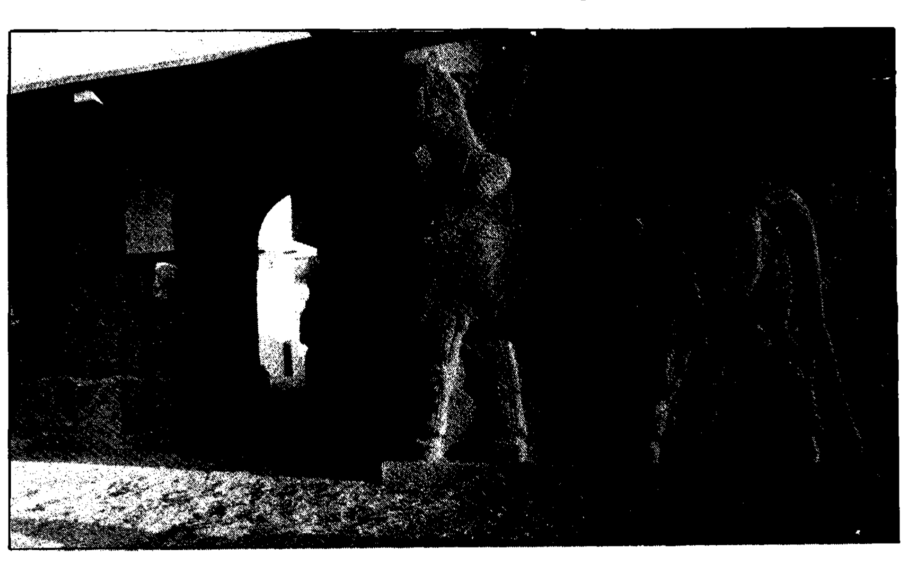


(٧٤٥– ٧٢٧ ق. م) واسرحدون (٦٨١– ٦٩٦ ق. م) واخيرا، لاقت المدينة مصيرها المؤلم على ايدي الجيوش الغازية وذلك عام ٦١٤ ق. م. فهجرت المدينة تدريجيا وانهارت ابنيتها وتراكمت عليها الاتربة.

**مخطط المدينة:**

يحيط المدينة سور دفاعي ضخم من اللبن طوله حوالي ثمانية كيلومترات وهو ذو شكل رباعي غير منتظم ويضم مساحة من الارض تقدر بحوالي ٣,٨ كيلومترا مربعا. ويحاذي المدينة من الغرب نهر دجلة، وقد كشفت التنقيبات عن ان الضلع الغربية من سور المدينة كانت قد شيدت على شكل مسناة لمقاومة تيار المياه، ويبلغ ارتفاع بقايا المسناة حوالي ٢٦ قدما عن مستوى قاع مجرى نهر دجلة القديم المحاذي للمدينة ثم غير دجلة مجراه باتجاه الغرب وهو يجري حاليا على بعد كيلومترين تقريبا غربي سور المدينة الاشورية. اما من الجنوب، فتحاذي المدينة قناة النكوب، وهي قناة باقي القديمة التي كان اشور ناصر بال قد حفرها وربط بواسطتها بين الزاب، على بعد ١٢ كيلو متراً، وبين المدينة، فزاد ذلك من تحصين المدينة.

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية يقوم مجمع الابنية، او المدينة المرتفعة، الأكروبوليس، الذي ضم القصور والمعابد ودور السكن وقد اقيم المجمع على مصطبة من اللبن ترتفع عن مستوى النهر باكثر من اربعين قدما وتبلغ مساحتها ٨٠٠×٤٠٠ م٢ محصنة بسورٍ ثانٍ وهو السور الداخلي. وكانت دور السكن مشيدة في بادئ الامر في هذا الجزء من المدينة الا ان توسع المدينة الداخلية وازدياد عدد السكان دفعا الى تشييد دور السكن في المساحة المحصورة بين السور الخارجي والسور الداخلي. كما قام بعض الملوك بتشييد عدد من الابنية العامة في المساحة المحصورة بين السورين ايضا وكشف عن ثلاثة من هذه الابنية. اما المساحة المتبقية فقد استغلها اشور ناصر بال لتجميل المدينة فاقام بها الحدائق



مدخل قاعة العرش في قصر اشور ناصربال في نمرود



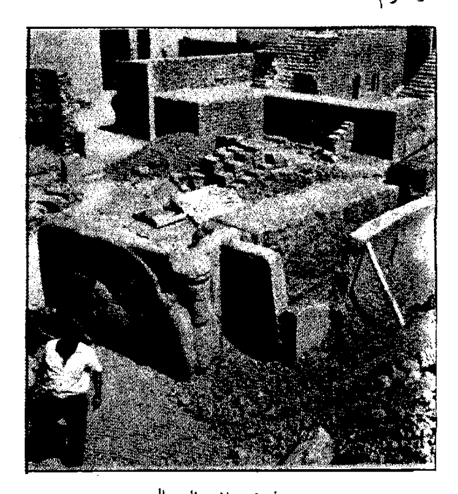


والمتنزهات واسس فيها حديقة للحيوانات والنبات جمع فيها مختلف اصناف الحيوانات والنباتات المتيسرة في المناطق التي وصلت اليها الجيوش الاشورية. ويمكن الوصول الى المدينة الداخلية بشوارع وممرات تؤدي الى مداخل السور الداخلي' وقد امكن التعرف على احد هذه الشوارع في الجزء الشرقي من السور الداخلي وتبين انه كان مرصوفا بالحجارة ويرتفع تدريجيا الى ان يصل الى المدينة المرتفعة حيث ينتهي بمدخل ذي ممرين زين بالاسود الضخمة ويستمر الشارع الى داخل المدينة حيث تحيط به القصور والمعابد ويؤدي في النهاية الى ساحة المدينة الكبرى.

وكان السور الداخلي ذا شكل مستطيل تقريبا تتخلله عدة بوابات ويرتفع الى ما يقرب من سبعة عشر مترا في حين يبلغ سمكه حوالي ٣٧ متراً. وقد امكن التعرف حتى الان على تسعة من المعابد التي كانت قد شيدت في المدينة المرتفعة وعدد من القصور الملكية.

اما المعابد، فكان معبد ننورتا اله الحرب والصيد عند الآشوريين، اقدم هذه المعابد حيث يرقى بتاريخه الى القرن التاسع قبل الميلاد، وقد كشف فيه عن عدد من الغرف والمرافق وكان قسم منها مزخرفاً ومزيناً بالواح رخامية وعثر في بعضها على جرار فخارية كبيرة موسومة بختم الملك اشور ناصر بال وقد زين مدخل المعبد بالاسود المجنحة. والى جانب هذا المعبد تقوم الزقورة، وهي صرح مدرج يبدو حاليا على شكل مخروطي ارتفاع بقاياه ١٧ متراً. وكانت جدران الزقورة من الخارج مغلفة بالاحجار المهندمة وفوقها غلاف من الطابوق عليه كتابات باسم شيلمنصر الثالث الذي اكمل بناءها الذي كان والده اشور ناصر بال الثاني قد بدأه. اما معبد عشتار، الهة الحب والحرب عند الاشوريين، فيقع الى الشرق من الزقورة، وقد زين مدخله هو الاخر بالاسود المجنحة. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية بقايا معبد نابو الذي كانت سميراميس (شموارمات) قد شيدته.

ويعد قصر اشور ناصر بال، الذي عرف لدى المنقبين بالقصر الشمالي الغربي، اهم بناء ملكي مكتشف في كلخو وتبلغ مساحة الارض التي اقيم عليها حوالي ٢٠٠ × ١٣٠ متراً ويتألف من ثلاثة اجنحة، الجناح الشمالي الذي كان قد خصص للادارة والجناح الاوسط الخاص بالتشريفات الملكية والجناح الجنوبي الشرقي الخاص بالسكن والحريم[١٩].



تنقيبات في قصر اشور ناصربال

ولعل من أهم مايشاهده الزائر الآن الثيران المجنحة التي تزين مداخل القصر والمؤدية الى قاعة العرش. وكان الاشوريون يتصورون أن هذه التماثيل التي تمثل كائنات خرافية مركبة كانوا يسمونها لماسّو lamassu، تعمل على طرد الارواح الشريرة وحماية القصر او المدينة منها. كما يلفت انتباه الزائر للقصر قبل ان يدخل الى قاعة العرش، مسلة اشور ناصر بال الثاني الشهيرة حيث نقلت المسلة الى متحف الموصل ووضع مكانها نموذج جبسي. وهي ذات شكل مكعب تقريباً ويظهر على احد

اوجهها نحت بارز للملك ورموز الالهة في حين نقشت جميع الوجوه بكتابات مسمارية تحكي لنا اعمال الملك سنحاريب العسكرية والعمرانية وتدشينه المدينة. كما يمكن مشاهدة الواح الرخام الرائعة التي تغلف جدران قاعات العرش والغرف والقاعات الاخرى التابعة للقصر وقد نحتت بمختلف المشاهد العسكرية والدينية واليومية، وقد نقلت معظم المنحوتات الى المتحف البريطاني ولايزال بعضها الاخر موجوداً في الاماكن الاصلية. وقد قامت دائرة الآثار والتراث باعادة صيانة اجزاء مهمة من القصر وهي مستمرة في اعمالها لصيانة الاجزاء المتبقية.

ومن الآثار المهمة التي تم الكشف عنها في القصر العاجيات التي نالت شهرة واسعة ولاسيما القناع الذي يمثل وجه فتاة والذي سماه المنقبون بمونوليزة النمرود وكانت معظم القطع العاجية قد عثر عليها في الابار التي تم الكشف عنها والنزول اليها والوقعة في الجناح الاوسط.

ومن القصور الاخرى المكتشفة قصر ادد نيَراري الثالث (٨٠٩- ٧٨٢ ق. م) ابن الملكة شمورامات (سميرا ميس) الواقع الى الجنوب من القصر الشمالي الغربي، والقصر المركزي الواقع في وسط المدينة شيده اشور ناصر بال الثاني واضاف اليه شيلمنصر الثالث. اما القصر الجنوبي الغربي الذي كان اسرحدون قد شيده (٦٨٠- ٦٦٩ ق. م)، فيبدو ان اسرحدون كان قد نقل العديد من المنحوتات من القصور الاخرى القديمة لاستخدامها ثانية في قصره الجديد،كما يبدو ان بناء القصر لم يكتمل بسبب وفاة الملك. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة بقايا قصر اشور- اتل- ايلاني (٦٢٥- ٦٢١ ق. م) حيث تقع معظم اجزائه تحت القرية الهلنستية، وهي بقايا استيطان السكان في الفترة السلوقية، وفي الجهة الغربية من المدينة بقايا قصر سرجون الثاني الذي دعاه المنقبون بالقصر المحروق والى الشمال من هذا القصر بقايا قصر الحاكم الذي يظن ان يعود الى الملك ادد- نيراري الثالث وفي الزاوية الشمالية الشرقية كشف عن بقايا عدد من البيوت السكنية.

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة الكبيرة كشف عن بقايا مايسمى لدى المنقبين بحصن شيلمنصر (٨٥٨- ٨٢٤ ق.م). ويضم الحصن قصراً كبيراً للملك يتألف من خمس وحدات بنائية متناظرة كل منها يضم عدداً من الغرف والمخازن والحمامات تحيط بساحة وسطية(٢٠).

## دور- شرّوكين ( خرصباد )

اخر العواصم الاشورية من حيث تأريخ التاسيس، تقع اطلالها على بعد ثمانية عشر كيلو متراً شرقي مدينة نينوى على الطريق الرئيسي المؤدي الى مركز قضاء الشيخان ليس بعيداً عن المفرق المؤدي الى متنزه الشلالات.

تعرف بقايا المدينة الاشورية باسم ( خرصباد ) وهو اسم فارسي اطلق قديما على قرية صغيرة تقع بجوار اطلال المدينة الاشورية ثم شاع استخدامه مؤخرا للدلالة على المدينة القديمة ايضاً. وقد اشار الى العاصمة الاشورية بعض البلدانيين العرب حيث ذكر ياقوت الحموي بانه كان هناك الى جانب قرية خرستاباذ، وهي الصيغة التي ذكرت بها خرصباد، مدينة يقال لها صرغون، خراب. ولفظة صرعون كما جاءت في معجم البلدان لياقوت الحموي تصحيف من لفظة سرجون، وهو اسم مؤسس المدينة. ويذكر ياقوت الحموي عن مدينة صرعون بانها "مدينة كانت قديماً من اعمال نينوى خير اعمال الموصل وقد خرّبت، يزعمون ان فيها كنوزاً قديمة، يحكى ان جماعة وجدوا فيها ما استغنوا به ولها حكاية وذكر في السير القديمة" وهذه اشارة الى اعمال التفتيش والنبش عن الكنوز





القديمة التي شهدتها اطلال المدن القديمة منذ القرن السادس والسابع الهجري.

قام بتأسيس المدينة الملك الآشوري سرجون (٧٢١- ٧٠٥ ق. م) ودعاها باسمه (دور شروكين) اي (مدينة) او (حصن) شروكين العاصمة الجديدة حيث قال:

"في تلك الايام، (وبجهود) شعوب الاعداء الذين قبضت عليهم، شيدت مدينة عند اقدام جبل مصري اعلى مدينة نينوى استناداً الى امر الاله والهام قلبي ودعوت اسمها دور شرّوكين".

بدأت التنقيبات في المدينة منذ اواسط القرن الماضي وعمل فيها كل من بوتا (١٨٤٢ - ١٨٤٤) وليرد (١٨٤٥) واوبرت (١٨٥٢) وبلاس (١٨٥٢- ١٨٥٥). وكان من نتائج تلك التنقيبات ان تم رسم مخطط كامل تقريباً للمدينة كما تم الكشف عن اثار اشورية غاية في الاهمية ضمت مجموعات كبيرة من المنحوتات الرخامية وقطعاً معدنية وتماثيل من الحجر وغيرها. غير ان معظم الاثار التي تم الكشف عنها فقدت في شط العرب بالقرب من القورنة في اثناء نقلها بواسطة الاكلاك الى ميناء البصرة تمهيداً لنقلها الى خارج القطر وهي لاتزال في قاع الشط تنتظر اليوم الذي يكشف عنها ثانية لتستقر في المتحف العراقي.

وقامت باستئناف التنقيبات في المدينة منذ عام ١٩٢٩ بعثة امريكية كما قامت دائرة الآثار والتراث ببعض اعمال التنقيب فيها عام ١٩٣٩ وكشفت عن ثورين مجنحين ضخمين نقلتها الى بغداد لتزين بها المدخل الكبير الذي شيد على جانب من الارض المخصصة لبناء المتحف العراقي الحالي كما قامت عام ١٩٥٦ بالكشف عن احد معابد المدينة، وهو معبد سيبيتي، وعملت على صيانة بعض اجزائه وعلى ارتفاع مايقرب من مترين وهو مايمكن للزائر ان يشاهده بوضوح في المدينة حالياً.

**تاريخ المدينة:**

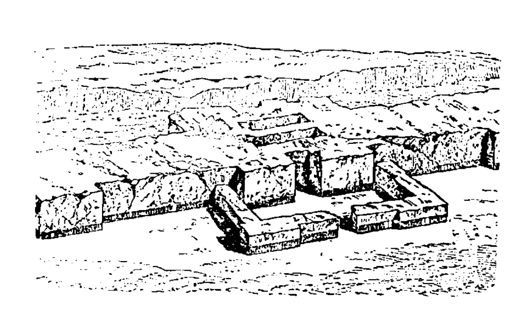
تنقل الملك سرجون بين العواصم الاشورية الثلاثة اشور وكلخو ونينوى قبل ان يقرر بناء عاصمة جديدة له. وفي عام ٧١٥ ق. م. باشر بتشييد عاصمته الجديدة واختار لها موقعاً قريباً كان يعرف باسم (مكانيا) على مقربة من مجرى ماء ينحدر من جبل ورد اسمه على هيئة (جبل مصري). واستغرق تشييد المدينة عشر سنوات تقريباً استعان سرجون بالفنيين والحرفيين الذين جلبهم من مختلف البلدان والاقاليم التابعة. وانتقل اليها عام ٧٠٦ ق.م. اي قبيل وفاته، باحتفال كبير دعا اليه جموع غفيرة من المواطنين وكثير من السفراء والوفود الاجنبية. وتشير التنقيبات التي اجريت في المدينة الى ان سرجون انتقل الى المدينة قبل ان يكتمل بناؤها حيث تبين ان. أحد أبواب المدينة كان خالياً من الثيران المجنحة خلافاً لبقية الابواب كما يلاحظ عدم الانتهاء من بناء احد المعابد وفضلاً عن ذلك فان هناك بعض المنحوتات الجدارية التي لم ينته العمل فيها.

ويبدو ان المدينة هجرت تماماً بعد وفاة سرجون مباشرة وانتقل سنحاريب بن سرجون وخليفته في الحكم الى نينوى التي قام بتعميرها وتوسيعها. ولم يكتف سنحاريب بهجر دور- شروكين بل انه ربما اقتلع بعض منحوتاتها الجدارية ونقلها الى نينوى ليزين بها جدران قصره كما وجدت بعض المنحوتات في دور شروكين وقد شوهت عن قصد، كما يبدو، بازاميل معدنية لاسباب غير معروفة بعد، وظلت دور شروكين بعد ذلك مدينة مهملة لاتعدو كونها مركزاً من المراكز الادارية في المنطقة فحسب.

اوضحت التنقيبات ان دور شروكين كانت قد خططت وشيدت وفق تصاميم هندسية دقيقة وهي من المدن القليلة التي اسست لتكون عاصمة لدولة مترامية الاطراف كالدولة الاشورية. تبلغ مساحة الارض التي شيدت عليها المدينة مايقرب

من الميل المربع وهي على شكل مربع تقريباً (١٧٦٠× ١٦٨٥ متراً) واحيطت بسور ضخم شيد باللبن يبلغ سمكه ٢٥ متراً وتتجه زواياه الى الجهات الاربع الرئيسة مع ازورار بسيط في الزاوية الشمالية الغربية ،وقد اقيم في كل ضلع مدخلان كبيران تحف بها الابراج باستثناء الضلع الشمالية الغربية حيث استعيض عن احد المدخلين بحصن كبير مشيد على مصطبة ضخمة من اللبن ترتفع بارتفاع السور ويبرز الحصن عن السور من الداخل والخارج وقد شيد فوقه القصر الملكي والبنايات العامة الاخرى. وفي الضلع الجنوبي الغربي حصن مشابه من حيث التصميم يحمي احد المدخلين، وهو المدخل المؤدي الى مدينة نينوى والمناطق الجنوبية. ويرى بعض الباحثين ان هذا الحصن يمثل قصر ولي العهد الاشوري غير انه ليس هناك من الادلة ما يثبت هذا الرأي.

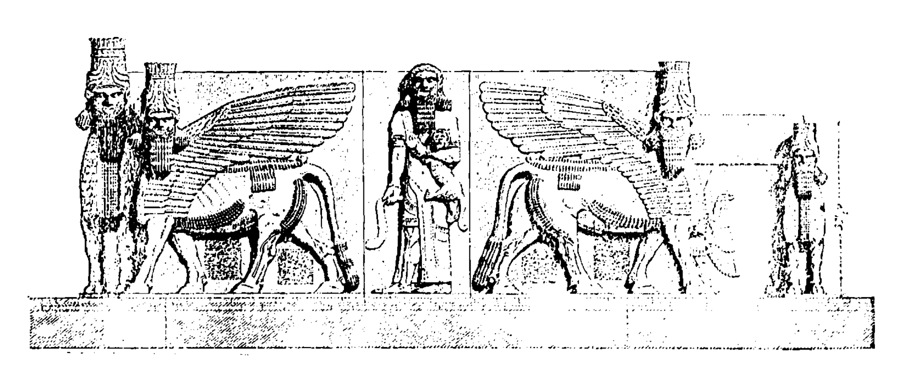
احيط الحصن الرئيسي في الضلع الشمالي الغربي بسور داخلي يفصله عن بقية اجزاء المدينة ويتخلل هذا السور ايضا مداخل تحفها الابراج وتحيط بها غرف خصصت للحرس المدافعين والمراقبين والمشرفين.



جزء من سور وبوابة مدينة دور- مشروكين

ان نظرة خاطفة الى مخطط المدينة ومقارنته بمخططات المدن الاشورية الاخرى توضح دقة مخططات دور شروكين الهندسية وتناسق ابنيتها وانتظام توزيعها وتناظرها على الرغم من ضعف اساليب المسح والتخطيط انذاك مما نتج عنه ازورار بسيط في احدى الزوايا.

اما المساحة الواسعة الواقعة بين الحصن او القلعة التي شيدت عليها الابنية الملكية وبين السور الكبير الذي يحيط المدينة ، فقد خصصت لبيوت عامة الناس وقد ابانت التنقيبات التي اجريت في



الثيران المجنحة التي تزين بوابات دور شروكين.



المدينة بعض تلك البيوت والشوارع التي كانت تفصل بينها.

اما القصر الملكي فكان غاية في الروعة والاتقان، وقد زينت مداخله بالثيران المجنحة التي وضعت لحماية المدينة من الشرور، كما كان الناس يعتقدون انذاك. ويشبه مخطط قصر سرجون مخططات القصور الاشورية الاخرى بشكل عام، حيث يؤدي المدخل الرئيس ذو الابواب الثلاثة الى ساحة كبيرة تحف بها غرف الموظفين واجنحة الخدمات من جهة اليمين، في حين شيدت ثلاثة معابد كبيرة وثلاثة معابد صغيرة على جهة اليسار، ويقع مقر الملك خلف الساحة الكبيرة. ويضم المقر الملكي بعض الغرف والاجنحة تحيط بساحة صغيرة وتقع قاعة العرش على الجانب الايمن من الساحة، وكان على كل من يريد مقابلة الملك من السفراء والوفود ان يتقدم من خلال الساحة الكبرى ويمر من بين المنحوتات والتماثيل الكثيرة التي كانت تغلف جدران الابنية المطلة وتبعث في نفوس الداخلين الخوف والاحترام في ان واحد.

ولكي يتفادى الملك النزول الى الساحة الكبيرة المفتوحة في اثناء زيارته لمعبد نابو فقد وصل بين المقر الملكي والمعبد بجسر من الحجر يقوم فوق قنطرة. وكانت الساحة الكبرى تحتضن الاحتفالات التي يشارك فيها جميع المواطنين ومنها تنطلق المسيرات الخاصة بالاحتفالات الدينية او الحملات العسكرية.

وفي اقصى الجهة اليسرى، بين الاجنحة الرسمية وابنية المعابد، تقوم الزقورة التي ترتفع ارتفاعاً شاهقاً وربما شيدت في هذا المكان لتكون في خدمة المعابد الستة اضافة الى معبد نابو، المعبد الرئيس في المدينة، وقد تم الكشف عن ثلاث طبقات من الزقورة وجزء من الطبقة الرابعة، وربما كانت تتألف اصلا من سبع طبقات، وترتفع كل طبقة عن الاخرى ثماني عشرة قدماً وزينت واجهات الطبقات بالطلعات والدخلات وزينت بالالوان الجذّابة ويرقى الى الزقورة بمنحدر يدور حول اصل البناء من القاعدة الى القمة بالاسلوب نفسه الذي يرقى بواسطته الى اعلى منارة الملوية في سامراء ويبلغ عرض المنحدر حوالي ستة اقدام ويحدّه من الجهة الخارجية شرفات مسننة.

## تربيصُ

تقع بقايا مدينة "تربيصُ" الآشورية على بعد بضعة كيلومترات من شمالي غربي العاصمة الاشورية نينوى. وكانت المدينة، ولم تزل، تقع في وسط سهل فسيح يتميز بخصوبة تربته ووفرة مياهه وصلاحيته لزراعة مختلف المحاصيل الزراعية الموسمية. وكان لذلك اثره في نشوء وازدهار المدينة في العصور الاشورية كما كان سبباً لنشوء عدد من القرى الاسلامية والحديثة في المنطقة. وتزداد اهمية المنطقة بقربها من مراكز المدن الرئيسة، نينوى قديماً والموصل في العصور الاسلامية والحديثة.

تتمثل بقايا تربيص بتل رئيسي يرتفع عن مستوى السهل المجاور بما يقرب من عشرة امتار من الناحيتين الشرقية والجنوبية، وينحدر التل نحو الغرب والشمال الى ان يتصل بالسهل المجاور. ويحيط ببقايا المدينة خندق كبير كان يستخدم كقناة لايصال المياه الى المدينة وما جاورها من حقول، كما يحيط بها سور ترابي موازٍ للخندق تكون نتيجة حفر الخندق ولا تزال آثار الخندق والسور واضحة في بعض اجزاء الجهة الشمالية الغربية من الموقع. وتنتشر في المنطقة في الوقت الحاضر عدة قرى صغيرة اهمها قرية الشريخان العليا والشريخان السفلى والقبة والرشيدية. وعلى بعد بضعة كيلومترات من الموقع الاثري وفي المنطقة التي تتوسط المسافة بين مدينة تربيص من جهة ومدينة نينوى من جهة اخرى، قامت منشآت جامعة الموصل الحديثة لتطل من

خلال نوافذها العلمية والثقافية على آثار هاتين المدينتين المهمتين وتبعث فيها الحياة من جديد وتشهد العالم على ماوصلت اليه حضارة العراق الاصلية من رقي وازدهار وما حققته من انجازات حضارية رائعة وما اسهمت به في مختلف ميادين العلم والمعرفة.

ويرتبط اسم المدينة (تربيصُ) بالفعل الاكدي (رباصُ) بمعنى استراح او استقر[٢١] ويقابله بالعربية الفعل (رَبَضَ)[٢٢] ويبدو ان استخدام الاسم تربيص بطل بعد سقوط المدينة على ايدي الغزاة الميديين وتدميرهم واحراقهم لها ثم اطلقت تسميات مختلفة للمستوطنات التي قامت في المنطقة بعد ذلك ولاسيما في العصور الاسلامية.

وقد اشارت بعض النصوص المسمارية المكتشفة في نينوى، ولاسيما من عهد الملك سنحاريب، الى مدينة تربيص وذكرت انها كانت من المدن المهمة التي تميزت بمركزها الديني لدى الملوك الاشوريين مما دفع المنقب الانكليزي ليرد الذي كان يعمل في مدينة نينوى للمرة الثانية بين عامي ١٨٤٩ و ١٨٥١ الى ان يقوم ببعض التحريات الاثرية في المنطقة،وذكر أنه وجد على عمق بسيط من سطح التل على اثار بناء مشيد باللبن كما عثر على بعض القطع الرخامية والاجر المختوم باسم الملك سرجون والملك سنحاريب[٢٣]. غير ان النتائج التي توصل اليها لم تكن مشجعة للاستمرار في العمل فتوقف وعاد ادراجه الى نينوى الغنية باثارها وقصورها.

ولوقوع التلول الاثرية التي يظن انها تضم بقايا مدينة تربيص الاشورية على مقربة من المركز الجامعي،واعتقاداً من هيئة تنقيبات جامعة الموصل برئاسة كاتب هذا البحث والتي كانت تعمل انذاك في بوابة ادد في سور نينوى الشمالي بان الموقع لابد ان يضم اثاراً اشورية مهمة على الرغم مما ذكره ليرد فقد تقرر التنقيب في الموقع لاستظهار بقايا المدينة الاشورية وقد تم ذلك في شهر تشرين الاول من عام ١٩٦٨ واستمر العمل في الموقع لمدة ثلاثة مواسم متتالية تم خلالها الكشف عن اجزاء كبيرة من ابنية المدينة العامة وتمت صيانتها صيانة وقتية[٢٤].

لقد تمكنت هيئة تنقيبات جامعة الموصل من الكشف عن بقايا بنايتين مهمتين هما معبد نرجال وقصر ولاية العهد وبقايا مايظن انه المسبح المقدس الذي كان يسمى بالاكدية "بيت رمكي".

اما معبد نرجال فقد اشارت اليه نصوص اكتشفت في مدينة نينوى كما ورد ذكره في النصوص المدونة على الرخام والآجر الذي وجد في المدينة نفسها،وتظهر اهمية المعبد من اطلاق اسم نرجال على احدى بوابات العاصمة نينوى المقابلة لمعبد نرجال في تربيص، وهي البوابة التي تتوسط سور نينوى الشمالي والمزينة بالثيران المجنحة التي تحف بها من الجانبين والتي يمكن للزائر مشاهدتها حتى الان.

وقد تمكنت الهيئة من استظهار معظم اجزاء المعبد ورسم مخطط لتلك الاجزاء،وتبين لها من خلال التنقيبات أن حريقاً كبيراً كان قد شبّ في الاجزاء الرئيسية من المعبد، ويظن ان ذلك حدث ابان الغزو الميدي للمدينة واحتلالها عام ٦١٤ ق. م ويظهر ان المعبد كان يضم في ادواره المتأخرة عدداً من الغرف والقاعات المتداخلة المختلفة الاحجام تمتد على طول الجهة الجنوبية الغربية والشمالية الغربية وتحيط بساحة وسطية كبيرة مقسومة الى قسمين شرقي وغربي بصف من الغرف ممتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي،ويحيط بالساحة من الجهة الشمالية الشرقية جدار سميك شيد باللبن وزين من الخارج بمجموعات من انصاف الاعمدة يفصل بينها طلعات ودخلات منتظمة. ويقع مدخل المعبد الرئيس وسط الجدار





قبالة مدخل القاعة الرئيسة في المعبد الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي. ويحاذي جدار المعبد من الخارج ممر ضيق يؤدي الى شارع المدينة الذي يفصل بين بناء المعبد وبقية الابنية. وقد رصفت ارضية القاعة الرئيسة بقطع كبيرة من الرخام الازرق في حين رصفت ارضية الساحة ومعظم الغرف والقاعات الاخرى بالآجر المفخور.

وكان البناء الثاني والمهم الذي امكن الكشف عنه هو ماااصطلحت الهيئة على تسميته بالبناء الملكي ويظن انه يضم بنائين ملكيين يمثل الاول منها قصر ولاية العهد "بيت- ريدوتي" في حين يمثل الثاني بقايا المسبح المقدس "بيت ريمكي"، وهذا ما اكسب المدينة اهمية دينية وملكية خاصة فكما هو معروف ان الملوك الاشوريين، وخاصة



بقايا درج كبير كان يؤدي الى قصر ولاية العهد (بيت-ريدوتي) في تربيص

ولعل من أهم الاثار المكتشفة في المعبد الاسطوانتين الفخاريتين اللتين عثر عليها في الزاويتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من القاعة الرئيسة[٢٥] كما عثر فوق ارضية القاعة بين الانقاض المحترقة على رقيم طيني كبير الحجم هشمت بعض اجزائه واحترقت الاجزاء المتبقية وقد دون عليه بالخط المسماري الدقيق اكثر من مائتي سطر من الكتابة تمثل جزءاً مهماً من اسطورة الاله زو[٢٦] كما عثر على عدد من الرقم الطينية التالفة في مجرى ماء احد الغرف التابعة للمعبد.

المتأخرين منهم، اعتادوا تنشئة اولياء العهد من ابنائهم تنشئة خاصة وتربيتهم وتثقيفهم ثقافة ملكية في قصور تشيد لهذا الغرض. وقد اشار الملك اسرحدون (٦٨٠- ٦٦٩ ق. م) في عدد من نصوصه المسمارية الى انه قام بتجديد قصر ولاية العهد في مدينة 'تربيص' من اجل ابنه وولي عهده اشور بانيبال ومن هذه النصوص نص نقش على اجرة مفخورة عثر عليها داخل البناء الملكي في مدينة تربيص يمكن ترجمته كالاتي:

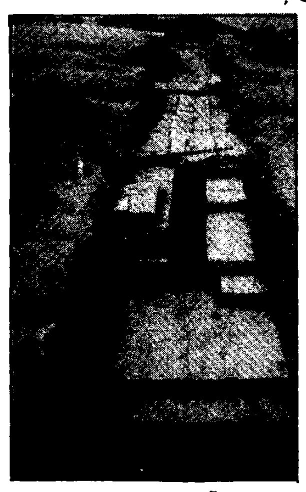




"انا الملك اسرحدون، الملك العظيم، ملك العالم، ملك بلاد اشور جددّت بناء بيت – ريدوتي الى اشور بانيبال، ولي العهد، في مدينة تربيصُ" [٢٧]

وواضح من هذا النص ان البناء المكتشف في مدينة تربيص والذي كان قد جددعدة مرات يمثل بقايا قصر ولاية العهد (بيت ريدوتي)، يؤيد ذلك تصميم وتخطيط البناء الرائع واحتواؤه على غرف وقاعات واسعة ومدرجات ضخمة وفخمة لايتوقع وجودها الا في بناء ملكي. وتشير الكتابات المنقوشة على الاجر المكتشف في البناء الى ان تاريخ انشاء البناء لاول مرة يعود الى فترة سابقة لعهد الملك سرجون [٢٨].

ويرتبط بالبناء الملكي هذا بناء آخر يظن انه يمثل بقايا المسبح المقدس (بيت ريمكي) حيث ان تخطيطه يختلف تماماً عن تخطيط الابنية الملكية الاولى في تربيص وغيرها من المدن الاشورية غير ان التخطيط ينسجم مع متطلبات الطقوس الخاصة بالمسبح المقدس. فالمعروف انه كانت تجري في المسبح المقدس الذي ورد ذكره في عدد من النصوص المسمارية طقوس دينية خاصة تقتضي الاستحمام في الماء كما يمكن استنتاج ذلك من معنى بيت ريمكي، الذي يمكن ترجمته حرفياً ببيت الحمام، لذا فان المتوقع ان يضم البناء قاعات واحواضاً معدة لحفظ المياه وصالحة للاستحمام والسباحة واجراء الطقوس الدينية المطلوبة. ومما يؤسف له انه لم يكشف حتى الان عن بناء من هذا النوع في اي من المدن العراقية القديمة، ويتألف البناء المكتشف في تربيص من مجرى للماء منتظم مشيد بالآجر المفخور من جهاته الاربع يمتد من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ويبلغ طوله مايقرب من عشرين متراً،ويتسع المجرى في نهايته ليكون فراغاً مستطيلاً يرتفع عن مستوى المجرى وفي وسطه من الاعلى فتحة مستطيلة لعلها استخدمت للتنظيف (مانهول) او لصب الماء فيها وهناك فتحة ثالثة في وسط المجرى. وعلى بعد ثلاثة امتار من نهاية المجرى هناك فتحة رابعة يخرج منها فرع للمجرى الرئيس منحدر يتصل في نهايته بانبوب فخاري يثبت بشكل عمودي مائل ومخفي عن النظر ويمتد الانبوب الى ماتحت ارضية قاعة (حوض) تنخفض ارضيتها عن مستوى ارضية مجرى الماء بما يقرب من ٧٥ سم،ويتصل بنهاية الانبوب الفخاري مجرى من الآجر ينفذ من تحت الارضية الى وسطها لينتهي بقطعة من الاجر مثقوبة باربعة ثقوب تسمح للماء بالارتفاع من خلالها الى القاعة على هيئة شذروان،



بقايا مجرى الماء المغلف بالآجر والمؤدي الى الاحواض المحطة بالقصر

فاذا صب الماء من فتحات المجرى المشار اليها آنفاً تدفق في القاعة (الحوض) التي تتوسطها الآجرة المثقوبة وفق نظرية الاواني المستطرقة. اما القاعة اوالحوض فتأخذ شكل زاوية طول ضلعها الاول ٢٣ متراً وطول ضلعها القصير ٨ امتار في حين يبلغ عرض الحوض اربعة امتار،ويتصل بالحوض من جهة الضلع القصير حوض آخر مستطيل الشكل يتصل هو الآخر بحوض ثالث في حين يتصل بنهاية الحوض من جهة ضلعه الطويلة اربعة احواض





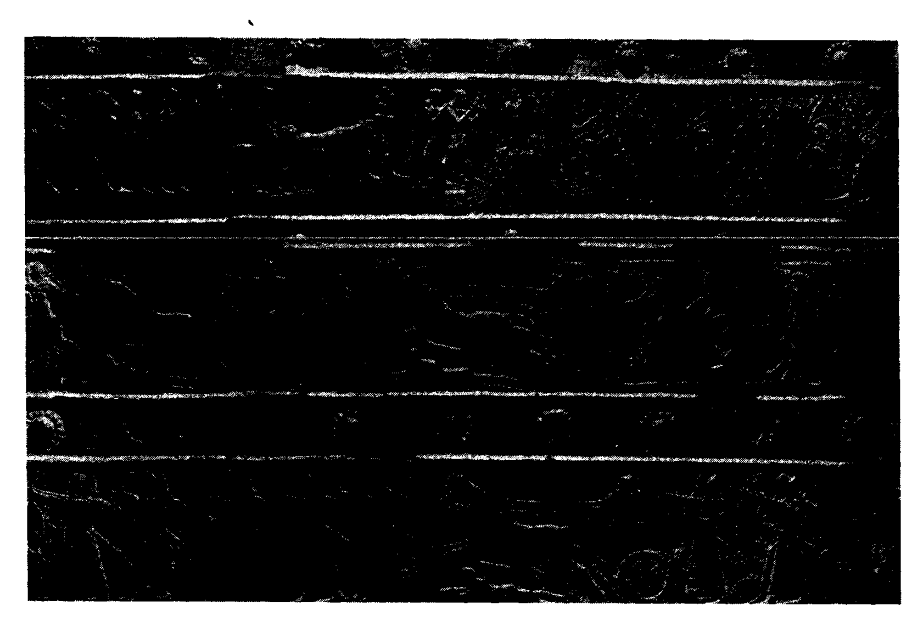
مستطيلة متتابعة تنتهي بحوض خامس ينعطف الى الجنوب الشرقي مكوناً مع الحوض الرابع زاوية مشابهة للزاوية في الحوض الاول. وحيث ان التنقيب لم يستمر للكشف عن بقية اجزاء البناء، فانه لايمكن معرفة اطوال الاحواض الاخرى التي لم تكشف بعد،ولعلها تحيط بالقصر الملكي من جميع جهاته. ومن الجدير بالذكر انه لايمكن النفوذ الى هذه الاحواض الواسعة الا من خلال المداخل الموجودة بين حوض واخر،كما ان ارضية جميع الاحواض قد رصفت بالآجر وطليت بالقار وطليت جدرانها كذلك بالقار مما يشير الى ان الاحواض كانت تستخدم لحفظ المياه الذي تزود به من خلال المجرى الطويل الانف الذكر والذي يرتفع عن مستوى ارضية الاحواض.

يتضح من هذا ان البناء المكتشف لابد ان كانت الغاية منه ترتبط بالاستحمام او السباحة ولاسيما كجزء من الطقوس الدينية وقد يكون ماتم الكشف عنه عبارة عن وسيلة من وسائل تلطيف جو القصر الملكي وتزويده باحواض سباحة واسعة.

وتشير النصوص المكتشفة في تربيص الى ان تاريخ انشاء المعبد على اقل تقدير يرقى الى عهد الملك شيلمنصر الثالث بن اشور ناصر بال الثاني (٢٩).

## امگر- بيل (بلوات)

يقع تل بلوات بالقرب من قرية بلوات على مسافة ٢٤ كيلومتراً جنوب شرقي الموصل على بعد بضعة كيلومترات من قرة قوش. وقد قام هرمز رسام عام ١٨٧٧ باجراء بعض التنقيبات في التل في اثناء عمله في تل قوينجق في نينوى وذلك بعد ان علم بوجود اثار- اشورية في باطن التل من السكان المحليين الذين كانوا قد حفروا في التل وعثروا على بعض الصفائح الصغيرة من البرونز عليها مشاهد ومناظر اشورية. وعلى الرغم من الظروف الصعبة



مشاهد حربية على صفائح البرونز المكتشفة في بلوات





التي واجهها هرمز رسام بسبب وجود مقابر على سطح التل فقد تمكن من الكشف عن المزيد من الصفائح الكبيرة التي تبين أنها كانت تغلف باباً من الخشب يعود لقصر الملك شيلمنصر الثالث في المدينة كما تبين من خلال النصوص المسمارية التي تم الكشف عنها في الموقع بأن اسم المدينة القديم كان امگر- بيل. ولم تجر في الموقع تنقيبات اخرى حتى عام ١٩٥٦ عندما قامت المدرسة البريطانية في العراق بالعمل في الموقع اثناء اعمالها في مدينة نمرود وقد تمكنت من الكشف عن مجموعة جديدة من صفائح البرونز فضلاً عن الكشف عن بقايا معبد المدينة والقصر الملكي الذي تعود له تلك الصفائح. ويتضح من التنقيبات الاثرية في الموقع الى ان امگر بيل كانت مقرا ملكياً في عهد اشور ناصر بال الثاني وعهد ابنه شيلمنصر الثالث وان المدينة كانت مقراً ريفياً للملوك الاشوريين يقضون فيه اوقات فراغهم بعيداً عن مشكلات البلاط في كلخو ( نمرود ). ويبدو ان المدينة ظلت قائمة كبلدة صغيرة حتى أواخر العصر الاشوري ثم سلبت واحرقت مع غيرها من المدن الآشورية على ايدي الجيوش الغازية وذلك في اواخر القرن السابع قبل الميلاد.

تمكنت البعثة البريطانية من الكشف عن اجزاء مهمة من المدينة الصغيرة الا انه لايمكن استنادا الى ذلك وضع مخطط كامل لها ومع ذلك يمكن مشاهدة الخطوط العامة لاسوار المدينة. وقد ورد اسم المعبد الذي تمكنت البعثة من الكشف عنه على انه معبد الاله مامو الذي كان مختصاً في تصور الاشوريين بالاحلام.

وتمثل الصفائح البرونزية التي وجدت اهم الاثار المكتشفة في الموقع وتبين انها كانت على شكل احزمة عريضة تغلف بابا كبيرا من الخشب يتألف من صفيحتين. وقد امكن تقدير سمك الباب بحوالي اربع انجات في حين يبلغ سمك الصفائح المعدنية ١ / ١٦ من الانج ويبلغ طول كل صفيحة مايقرب من ثماني اقدام وعشرة انجات، اما عرضها فيبلغ احد عشر انجاً. وقد عثر على سبع صفائح تمثل احزمة الباب الاول. وينتهي الباب من الاسفل بمدار سميك من البرونز ايضا يدور في قطعة قوية من الحجر وجدت في مكانها الاصلي.

وعثر هرمز رسام على قطع اخرى من هذه الصفائح تعود الى باب آخر غير انها كانت في حالة رديئة. كما عثرت البعثة البريطانية على مجموعة اخرى من الصفائح كانت تغلف باباً ثالثا يعود الى عهد شيلمنصر الثالث وكانت هذه ايضا بحالة رديئة جداً ومع ذلك امكن تنظيفها ومعالجتها وهي معروضة الان في المتحف العراقي في بغداد، في حين نقلت صفائح المجموعة الاولى التي كشف عنها هرمز رسام اول مرة الى المتحف البريطاني في لندن واعيد تثبيتها على باب من الخشب يماثل الباب القديم.

نقش على الاحزمة البرونزية مشاهد ومناظر مختلفة تظهر الملك اشور ناصر بال والملك شيلمنصر الثالث، وتظهر بعض المشاهد العسكرية الخاصة بحملات الجيش الاشوري اضافة الى مشاهد دينية ومشاهد من الحياة الملكية.

والى جانب الصفائح البرونزية عثر هرمز رسام على صندوق كبير من الرخام وجد في داخله رقيمين من الحجر يعودان الى اشور ناصر بال الثاني وقد دون عليها اخبار اعادة بناء المدينة وتسميتها امگر بيل وكيف انه اقام فيها قصراً ومعبداً للاله مامو. كما عثر على رقيم ثالث مشابه للرقم المكتشفة وذلك في غرفة المذبح والى جانبه وجدت بعض قطع الآجر المحروق المختوم باسم الملك اشور ناصر بال. وفي الغرفة المؤدية الى المذبح عثر على قطعتين منحوتيتين من الحجر نحت على الاولى اسوداً وعلى الاخرى وعلاً نحتاً بارزاً جميلاً على غرار ماتبع في الصفائح البرونزية.





## الحضر – حطرا

احدى اشهر مدن العراق القديمة واروعها من حيث آثارها الباقية ومبانيها الشاخصة. تقع في منطقة منعزلة على بعد ١١٠ كيلومتراً جنوبي غربي مدينة الموصل وعلى يمين الطريق المؤدية الى بغداد، في وسط بادية تكاد تنعدم فيها الحياة لقلة مياهها وزرعها. ومع هذا فقد نشأت الحضر ونمت وازدهرت في ظروف خاصة املتها طبيعة العلاقات الدولية القائمة بين دول العالم القديم انذاك، شأنها في ذلك شأن العديد من المدن العربية التي قامت على اطراف البوادي مثل تدمر والبتراء. والى الشرق من الحضر بثلاثة كيلومترات، يمر وادي الثرثار الذي يمتد جنوباً حتى ينتهي بمنخفض واسع يقع على بعد نحو سبعين كيلومتراً من شمال غربي بغداد.

ورد اسم الحضر بهذه الصيغة في المصادر العربية، وظلت المدينة تعرف بهذا الاسم حتى يومنا هذا غير ان المصادر الارامية ذكرت الاسم بصيغة 'حطرا' دي شمش، اي الحضر مدينة الشمس، ويرتبط اسم الحضر بصيغته العربية والارامية بالتحضر والحضارة[٣٠].

والحضر من المواقع القليلة في العراق التي لم تمتد اليها ايدي المنقبين الاجانب، ومع ذلك فقد زارتها البعثة الالمانية التي كانت تعمل في مدينة اشور في مطلع هذا القرن ووضعت لها الرسوم والمخططات واخذت لها الصور غير انها لم تجر فيها اية تنقيبات[٣١].

في عام ١٩٥١ قررت دائرة الآثار العراقية المباشرة بأعمال التنقيب والصيانة في هذه المدينة المهمة وابراز معالمها الباقية، واستمر العمل لمدة خمسة مواسم متتابعة ثم توقف لبضع سنوات واستؤنف عام ١٩٦٠. وقد تم الكشف عن عدد من معابد المدينة وعدد من دور السكن فضلاً عن التماثيل والآثار الاخرى الكثيرة التي القت ضوءاً ساطعاً على تاريخ المدينة. وعملت دائرة الاثار منذ ذلك الحين وحتى الان على صيانة المباني المكتشفة والمشيدة بالصخر المهندم (الحلاّن) وكان اضخم ماتمت صيانته هو المعبد الكبير الذي يتوسط المدينة. كما تم الكشف عن سور المدينة واحدى بواباته الكبيرة وعلى قصر مجاور للبوابة الشمالية كما كان من نتائج اعمال التنقيب في المدينة ان عثر على العديد من تماثيل الالهة والتماثيل الشخصية وعلى دكاك القرابين والمسكوكات ومجاميع من القناني الزجاجية والاواني الفخارية والكتابات المنقوشة على الجدران وغيرها كثير[٣٢].

يمتد تاريخ نشوء المدينة الى عصور قديمة لايمكن تحديدها، غير ان موقعها في وسط بادية جرداء قليلة المياه، باستثناء موضع الحضر الذي تتجمع فيه مياه الامطار المنسابة من المنحدرات الشمالية، يرجح الرأي القائل بانها كانت مستوطنة صغيرة منذ الازمنة الآشورية. وبتدفق القبائل العربية في القرون القليلة السابقة للميلاد نمت الحضر وغدت مركزاً دينياً وسياسياً مهما حتى انها اتخذت عاصمة لبلاد عربايا، اي بلاد العرب، واقيم فيها بيت خاص للاصنام كانت تحج اليه القبائل العربية وفي فترة السيطرة السلوقية، توسعت الحضر وارتفع شأنها وانشئ فيها عدد من المعابد. وازدادت اهمية الحضر في فترة السيطرة الفرثية على العراق ولاسيما في اواخرها، كما سبق أن أشير الى ذلك في موضع اخر، وصارت عاصمة لمملكة عربية واسعة يحدها النهران العظيمان دجلة والفرات من الشرق والغرب وتحدها جبال سنجار من الشمال ومشارف المدائن من الجنوب وامتد نفوذها الى ماوراء حدودها. واشتهر سكان الحضر بتمرسهم بمختلف فنون الحرب، وكانت مدينتهم احد اشهر الحصن العسكرية التي قاومت هجوم وحصار الجيوش الرومانية والفرثية اكثر من مرة واثبتت امكاناتها العسكرية وفرضت شخصيتها على الدول





الكبرى القائمة انذاك. وقد وقفت الحضر ضد الملك الساساني سابور الاول مما دفعه الى القيام بحملة عسكرية قوية عليها تمكن، بعد ان ضرب الحصار عليها، من فتح ثغرة في اسوارها ثم دخلها وسيطر عليها وذلك عام ٢٤١ ميلادية وهكذا انتهت هذه المملكة العربية ذات الشخصية القوية واختفت من على مسرح التاريخ وربما هجرت المدينة بعد ذلك بفترة وجيزة.

ويقسم الباحثون المختصون تاريخ الحضر الى ثلاثة ادوار رئيسة: الاول هو دور التكوين ويبدأ مع نشوء اول مستوطن في الموقع ويواكب نمو الحضر عبر القرون وينتهي في منتصف القرن الاول الميلادي حيث يبدأ الدور الثاني، وهو دور السادة وذلك لان حكام الحضر كانوا يلقبون انفسهم بلقب (مريا) بمعنى (السيد)، واستمر هذا الدور حتى عام ١١٧ م، وهو العام الذي قاومت فيه الحضر حملة الامبراطور الروماني تراجان. اما الدور الثالث والاخير فهو دور الملوك الذي يبدأ منذ منتصف القرن الثالث للميلاد وينتهي مع نهاية الحضر، وكان من بين اشهر ملوك الحضر الملك ولجش والملك سنطرق الذائع الصيت [٣٣].

اما سكان الحضر فقد كان غالبهم من الاقوام العربية، وكان هناك بعض العناصر الاخرى، مثل الاراميين الذين اندمجوا معهم. وقد استخدم سكان الحضر اللغة الارامية بخطها الابجدي في تدوين الكتابات على النقود والتماثيل وعلى جدران الابنية، كما كانت اللغة الارامية لغة التفاهم التجاري والاتصال بالاقوام الاخرى المجاورة.

ومن يزر مدينة الحضر ويتفحص في آثارها الباقية لا تفته ملاحظة الطابع الحضري الخاص الذي يصبغ جميع الاثار الباقية من ابنية وتماثيل ولقى اثرية اخرى. فقد كانت الحضر بوتقة انصهرت فيها مختلف العناصر الحضارية فقد امتزجت فيها العناصر الحضارية العراقية القديمة، الاشورية والبابلية، وعناصر عربية بحتة خاصة بالقبائل العربية التي استقرت في الحضر واخرى ارامية خاصة بالاقوام الارامية التي تنتمي الى الاصل نفسه الذي تنتمي اليه القبائل العربية والاقوام الاشورية والبابلية، فضلا عن عناصر من الحضارات الاجنبية اليونانية والرومانية والفرثية. وتمكن الحضريون من هضم هذه العناصر الحضارية وطبعها بطابعهم الخاص.

**الاثار الباقية:**

الحضر من المدن التي نشأت على شكل شبه مستدير، قطرها نحو كيلو مترين ويحيط بها من الخارج خندق عميق وسور مدعم بمائة وثلاثة وستين برجاً وبعدد من القلاع. يتكون السور من جدران سمكها ٣ امتار و ٢,٥ متر والمسافة بينها ١٢ متراً عند البوابة الشمالية وعلى بعد نصف كيلو متر عن السور الذي يحيط بالمدينة من الخارج هناك حائل ترابي يحيط بالمدينة من جهاتها الأربع ربما كان خطاً دفاعياً اضافياً او انه من صنع الغزاة الذين هاجموا المدينة مرات عديدة. وللمدينة اربعة مداخل تقع في الجهات الأربع الرئيسة تقريبا ويلاحظ في بناءها انها مزورة الى يمين الداخل او يساره مما يعطي المدافعين عنها امكانية توجيه اسلحتهم على الداخل من البوابة بسهولة. وقد تم الكشف في داخل المدينة على معابد صغيرة بلغ عددها ثلاثة عشر معبدا عثر فيها على تماثيل كثيرة لاشخاص قاموا ببناء تلك المعابد او بعض الشخصيات التي اراد الحضريون تمجيدها، وكذلك كشف عن عدد كبير من الاصنام الخاصة بالالهة. كما تم الكشف عن مدافن كثيرة في القسم الشرقي من المدينة وهي بهيئة ابراج مشيدة بالحجر. وقد كشف عند الباب الشمالي من المدينة، وهو الباب الذي تم التنقيب فيه، عن قصر سبقت الاشارة اليه. كما





تبين وجود ساحة واسعة فيها بركة للماء دائمة وذلك في ا لقسم الجنوبي الغربي من المدينة. ويبرز المعبد الكبير، معبد الاله الشمس، وسط المعابد الصغيرة. اما الدور السكنية فيمكن مشاهدة بقاياها حول المعابد الصغيرة.

اما المعبد الكبير الذي تمت صيانة معظم اجزائه فهو اضخم الابنية المكتشفة واكثرها روعة وبهاء وكان مخصصاً لعبادة الاله الشمس الذي عبده الحضريون،لذلك اتجه المعبد ببنائه نحو المشرق ويتألف المعبد من قسمين رئيسين هما الصحن والحرم، فاما الصحن فيتمثل بمساحة واسعة تحيط به اروقة ويبدو انه كان مركزاً للاحتفالات الدينية والطقوس والمراسيم. اما حرم المعبد ففيه خمس وحدات بنائية تعتمد الايوان في تصميمها (٣٤).

### الآثار الباقية الاخرى:

كان من نتائج التنقيبات الكثيرة التي اجريت في المدن والمواقع القديمة الواقعة في منطقة الموصل ان تم الكشف عن الآلاف من القطع الفنية الرائعة من مختلف الانواع،اضافة الى الآلات والادوات والاواني المصنوعة من الحجر او الفخار او المعدن والاف من الرقم الطينية والنصوص المسمارية الاخرى المدونة على المواشير والاسطوانات الفخارية وغيرها وعدد كبير من الابنية كالمعابد والقصور والبيوت. وقد تناولت الفصول السابقة من هذا الباب بشيء من التفصيل كل مجموعة من هذه المكتشفات بما له علاقة مباشرة بموضوع تلك الفصول سواء من الناحية الفنية او من ناحية المضمون او عما تعكسه من معلومات عن بعض جوانب حضارة المنطقة القديمة. وفي هذا الفصل لابد من الاشارة فقط الى اهمية هذه المكتشفات والمكانة التي تحتلها بين الاثار الباقية الاخرى بصورة عامة.

فاما القطع الفنية ذات النحت البارز، كالمنحوتات الجدارية والمسلات والاختام الاسطوانية والقطع العاجية، او النحت المدور، كالتماثيل، فقد احتلت مكان المصدارة بين مقتنيات متاحف العالم الشهيرة وكما احتلت مكان الصدارة ايضا بالنسبة الى المكتشفات التي تمت في العراق بصورة عامة، فقد سبق ان المحنا الى حقيقة توافر معدن الحجر بانواع مختلفة في بلاد اشور واثر ذلك في توجه الآشوريين الى استخدامه في البناء وصنع التماثيل والمنحوتات فكان ان تم الكشف عن الكثير من القطع الفنية المصنوعة من الحجر.



واجهة المعبد الكبير في الحضر

ومع روعة القطع الفنية التي وصلتنا من حضارة العراق القديم فانها جاءت كلها وهي خالية من اسم من قام بنحتها او زخرفتها او نقشها، اي انها مجهولة الهوية،ويبدو ان عملية النحت والزخرفة والنقش على الحجر كانت اقرب الى الاعمال الحرفية منها الى الاعمال الفنية لذا قلما يمكن تلمس شخصية الفنان في اي من القطع الفنية المعروفة بل كانت هناك طرز ومدارس يسير عليها النحاتون والصناع بصورة عامة كما كانت جل اعمالهم في





خدمة القصر او المعبد وقلما نجد قطعا فنية صنعت من اجل اشخاص اعتياديين او من اجل الفن نفسه.

وقد وصلت الينا نماذج محدودة من النحت الاشوري المدور من الالف الاول قبل الميلاد وان لم تكن النماذج، من الناحية الفنية، ذات اهمية كبيرة حيث تبدو وكأنها جامدة ينقصها الحس بالحياة، وهي تمثل غالبا شخصيات ملكية او تماثيل لبعض الالهة الاشورية. ومن التماثيل التي نحتها الاشوريون لملوكهم تمثال الملك اشور ناصر بال الثاني (٨٨٣- ٨٥٩ ق. م) وتماثيل الملك شيلمنصر الثالث (٨٥٩- ٨٢٤ ق. م) التي نراه في احدها وهو جالس على مكعب حجري وقد فقد رأس التمثال وفي تمثال اخر محفوظ في متحف استانبول صور واقفاً كما كشف عن تمثالين آخرين له في النمرود عام ١٩٥٢. وقد صور الملك في احدهما واقفاً مرتدياً لباسه الرسمي.



تمثال اشور ناصربال

ولعل اهم مايميز فن النحت الاشوري تلك المنحوتات التي تصور مخلوقات غريبة جمع فيها الفنان الاشوري بين جسم الثور او الاسد وبين رأس الانسان وجناحي النسر وكانت مثل هذه المنحوتات تعرف باسم لاماسو،وكانت هذه المنحوتات تزين مداخل القاعات والقصور والبوابات الرئيسة في المدينة ظناً من الاشوريين بانها الملاك الحارس الذي يحمي سكان القصر او المدينة من كل الشرور. وتعد هذه المنحوتات من اضخم المنحوتات التي انجزها النحاتون الاشوريون وهي في الواقع تمثل منحوتات معمارية اي انها قامت بوظيفة معمارية فضلا عن كونها منحوتات زينت المداخل. وقد تم العثور على العشرات من هذه المنحوتات التي يزن كل منها عدة اطنان وهي تمثل مرحلة وسط بين النحت البارز والنحت المدور حيث ان الناظر اليها ياخذ الانطباع بانها ذات وجود مستقل على الرغم من انها متصلة بالجدار المجاور.

الا ان الانجاز الرائع الذي حققه الاشوريون في مجال فن النحت هو المنحوتات الجدارية التي كانت تغلف جدران القاعات والساحات والممرات في القصور الملكية،وقد تم الكشف عن مئات من هذه المنحوتات الضخمة التي يبلغ معدل ارتفاع الواحدة منها مايقرب من مترين وعرضها متر واحد وهي مصنوعة من الرخام الازرق المتوفر في بلاد آشور وكذلك من الصخر (الحلاّن). وقد سخر الفنان الاشوري هذه المنحوتات لخدمة الرواية حيث يلاحظ احيانا ان المنحوتات التي كانت تغلف جداراً معيناً او قاعة ما تمثل جميعها سلسلة من المناظر المترابطة الى درجة انها تشكل مايشبه الرواية. وتضم المناظر المنحوتة نحتا بارزا على هذه المنحوتات اما مشاهد عسكرية خاصة بالحملات العسكرية أو مشاهد الصيد الملكية وقد تستخدم الالوان احياناً. اضافة الى بعض المشاهد الدينية ولاسيما تلك الخاصة بالخصوبة ودور الملك والآلهة في هذا المجال.





وتمثل العاجيات الجميلة التي عثر عليها في بعض الآبار المكتشفة في مدينة النمرود والمحفورة دقيقاً والمطعمة في بعض الاحيان بالذهب، ضرباً آخر من ضروب الفن الآشوري ونوعاً جديداً من الاثار الباقية. وكان العاج يستخدم لتزيين الاثاث وربما كقطع فنية بحد ذاتها ولعل اشهر القطع المكتشفة مايعرف عادة بموناليزة النمرود.



قناع من العاج لرأس فتاة وجد في نمرود

والى جانب العاجيات الجميلة التي كشف عنها في النمرود اشرنا في الصفحات السابقة الى الاشرطة البرونزية التي كانت تزين باب بلوات (امكر بيل) التي تعود الى عصر شيلمنصر الثالث. وكانت هذه الصفائح البرونزية على هيئة اشرطة تثبت افقياً على الباب وقد نقش عليها مشاهد عسكرية.

وفضلا عن ذلك فان هناك المئات من القطع الفنية المصنوعة من المعدن او الحجر التي تزين العديد من المتاحف وفي مقدمتها متحف الموصل الحضاري والمتحف العراقي والمتحف البريطاني في لندن لامجال لذكرها هنا.

اما المجموعة الاخرى من الاثار الباقية، فتتمثل باعداد كبيرة جدا من الرقم الطينية التي تم الكشف عنها في مدن بلاد آشور المختلفة. وتأتي في مقدمتها الرقم المكتشفة في مدينة نينوى والتي تمثل مكتبة اشور بانيبال الشهيرة وقد تجاوز عدد الرقم المكتشفة فيها خمسة وعشرين الف رقيم اضافة الى مئات من الرقم الاخرى التي عثر عليها في اماكن اخرى من نينوى وغيرها من المدن الاشورية، كما تم العثور على العديد من المواشير والاسطوانات الفخارية التي كانت تدفن في اسس الابنية المهمة وتحمل تفصيلا لاعمال الملوك العسكرية والعمرانية. وتعد هذه الرقم والمواشير والاسطوانات من اهم الاثار الباقية لما تضمنته من معلومات واقعية عن تاريخ العراق القديم ليس بالنسبة للفترة الاشورية فقط بل بالنسبة للفترات السابقة لها ايضا طالما ان العديد منها كان مستنسخاً عن اصل اقدم او انها تتحدث عن اخبار سابقة.

ولابد لنا قبل ان نختتم الحديث عن الآثار الاشورية الباقية ان نشير الى بقايا مشاريع الري التي قام بها بعض الملوك الاشوريين وفي مقدمتهم الملك سنحاريب (٧٠٥- ٦٨١ ق. م) الذي جلب المياه العذبة الى مدينة نينوى وما حولها من نهر الگومل على مسافة تزيد عن خمسين ميلاً.

وقد شيد من اجل ذلك القناطر الحجرية في بعض الوديان مما لاتزال اثارها باقية. وتبدأ القناة التي جلب بوساطتها المياه الى نينوى من الموضع المسمى جروانة، وعند صدر القناة نحتت على وجه حجرة شاهقة عند قرية خنس منحوتات تمثل الالهة الاشورية المختلفة مع كتابة موجزة عن مشروع الري. ويمكن للزائر ان يشاهد بقايا هذه المنحوتة وكذلك بقايا السداد التي اقامها سنحاريب على نهر الخوصر لرفع مناسيب المياه وري الحقول والبساتين المجاورة في مناطق عديدة اهمها منطقة الشلالات المشهورة في الموصل التي تظهر فيها بقايا السد الحجري الذي اقامه سنحاريب وكذلك عند قرية





الجبلة التي كانت تطل على بقايا سد اخر لاتزال اثاره باقية وتقع الان في وسط العمران الذي امتد الى مسافات بعيدة اطراف مدينة الموصل.

١ – انظر:

٢– انظر مثلاً: طارق مظلوم، نينوى في ضوء التنقيبات الاثرية طارق مظلوم، نينوى، سومر، ٢٤، بغداد، ١٩٦٨ ص عامر سليمان، نتائج حفريات جامعة الموصل في سور نينوى الشمالي، اداب الرافدين، ج١، ١٩٧١، صفحة ٤٥– ٩٧.

T. Madhloom and A. M. Mahdi, Nineveh Baghdad, 1976.

اما الكتب القديمة فنها:

A. Layard, Nineveh and its Remains, London, 1853.

A. Layard, Nineveh and Babylon, New York, 1853.

A. Parrot., Nineveh and Babylon, London, 1961.

اضافة الى ذلك، لايخلو كتاب من الكتب العامة عن تاريخ العراق القديم من حديث مسهب عن مدينة نينوى والاثار المهمة المكتشفة فيها وبشكل خاص النصوص المسمارية الكثيرة.

(٣) انظر: R. Labat, Manuel D' Epigraphie Akkadienne Paris, 1952, p. 115 no. 200).

(٤) العهد القديم، سفريونان، الاصحاح ١ – ٤.

(٥) نسبة الى مرقد النبي يونس والجامع المشيد فوقه وقد ذكر في المصادر العربية القديمة بانه كان يسمى تل توبة (انظر معجم البلدان لياقوت الحموي والكامل لابن الاثير ورحلة ابن جبير صفحة ٢١١) في حين سماه ابن بطوطة تل يونس (ج١ ص ١٤٨).

(٦) وهي كلمة تركية الاصل لعلها مركبة من كوي او قوي بمعنى قرية وانج او انجيك وهم جماعة من التركمان حلو في المنطقة وسكنوا بالقرب من التل ويرى البعض ان الكلمة التركية تعني "مذبح الغنم".
يعرف حاليا بوادي الدملماجة وهو اسم من اصل تركي يعين.

(٧) انظر المصادر السابقة التي تحدثت بالتفصيل عن هذه المكتشفات.

(٨) انظر D.D. Luckenbill, The Annals of Sennacherib, Chicago, 1924, p.

(٩) حول تفاصيل السور والبوابات والتنقيبات التي اجريت فيها والصيانة التي تمـــت
انظر: طارق مظلوم، نينوى في ضوء التنقيات الاثرية، سومر، ٢٣ (١٩٦٧) صفحة ١٣٥ – ١٤٠، عامر سليمان، نتائج تنقيبات جامعة الموصل في سور نينوى الشمالي، اداب الرافدين، ج١ (١٩٧١)، ٤٨– ٦٣، طارق مظلوم ومحمد علي مهدي، نينوى، بغداد، ١٩٧٦.

(١٠) D.D. Luckenbill, Op. cit, p. 121

(١١) See T. Madhloom and A.M. Mahdi, Nineveh, Baghdad, 1976, pp. 40— 44, see also A: Paterson, Assyrian Sculptures: The Palace of Sennachrib, London, 1915.

(١٢) انظر المصدر السابق صفحة ٤٥ – ٤٦.

(١٣) حول التنقيبات التي اجريت في المدينة انظر:
فالتر أندريه، استحكامات اشور، ترجمة عبد الرزاق كامل، الترجمة، بغداد، ١٩٨٧.
المؤلف نفسه، معابد عشتار القديمة، ترجمة عبد الرزاق كامل، الترجمة، بغداد، ١٩٨٧.
المؤلف نفسه، معابد عشتار الحديثة، ترجمة عبد الرزاق كامل، الترجمة، بغداد، ١٩٨٧.
المؤلف نفسه، اشور: المدينة الهلنستية، ترجمة عبد الرزاق كامل، الترجمة، بغداد، ١٩٨٧.
انظر كذلك، فؤاد سفر، اشور، بغداد، ١٩٦٠.

(١٤) انظر Xenophon Anabasis, The Expedition of Cyrus the younger,
طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٧٣، ص١٠٩

(١٥) انظر معجم البلدان لياقوت الحموري ١ / ١١٩ تحت مادة اثور كذلك ابو الفداء في تقويم البلدان، ٢٨٥.

(١٦) ابن منظور، لسان العرب، ٣ / ٧٢١

(١٧) يعد كتاب ملوان عن نمرود احدث ماكتب عن المدينة واثارها والتنقيبات التي تمت فيها انظر
Mallawan, M.E.L., Nimrud and its Remains, London, 1966, vol. I and II with Supplement.

(١٨) حول ترجمة النص المسماري على المسلة، انظر Wiseman, D.J., Iraq, XIV, 24 – 44
وكذلك Mallawan, Op. cit., p. 65— 73.

(١٩) × انظر Mallawan, Op. cit, II, P. 60
× حول تفاصيل الابنية المكتشفة في النمرود انظر
وكذلك Mallowan, Op. cit.

(٢٠) عبد الله امين أغا وميسر سعيد العراقي، نمرود، بغداد ١٩٧٦.

(٢١) انظر: W. Von Soden, Grundrin der Akkadischer Grundriss der Akkadischen Grammatik, Roma, 1952, p. 178: 123, B; and the same auther Akkadische Handworterbuch

(٢٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٩ صفحة ٩– ١٣.

(٢٣) انظر: Lloyd,s. Foundation in the Dust, A Story of Mesopotamain exploration, Oxford, 1949, p. 14.
A. Layard, Discoveries among the Ruins of Nineveh and Babylon, New York, 1853, p. 598 ff.





(٢٤) انظر: د. عامر سليمان – اكتشاف مدينة تربيص الاشورية، اداب الرافدين، العدد الاول ١٩٧١، ص ١٥ – ٤٩.

(٢٥) حول نتائج التنقيبات وترجمة النص المدون على الاسطوانتين الفخاريتين انظر:
عامر سليمان الكتابة المسمارية والحرف العربي، موصل، ١٩٨٢.

(٢٦) انظر ترجمة النص: Saggs, H.W.F, The Mosul University Zu tablet,
في اداب الرافدين، 12، موصل ١٩٧١، ص ٤٠– ٥٢.

(٢٧) انظر: عامر سليمان، اكتشاف مدينة تربيصو الاشورية اداب الرافدين، ج ١، موصل ١٩٧١، صفحة ٢٩.

(٢٨) حول تفصيل مخطط البناء انظر: عامر سليمان، الكتابة المسمارية والحرف العربي، موصل، ١٩٨٢. ص ٣٠– ٣٢.

(٢٩) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٨٨ سطر ٦٢.

(٣٠) انظر، فؤاد سفر، سومر، ١٧ (١٩٦١) ص ١٥– ١٦، هامش رقم ٣١.

(٣٢) انظر: Andrae, W., Hatra, vol. I and II, Leipzig, 1908, 1912

(٣٣) انظر حول التنقيبات التي اجريت في مدينة الحضر وتاريخ المدينة ووصف اثارها اهم مؤلف صدر عن الحضر حتى الان وهو كتاب الاستاذ فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى الموسوم، الحضر، مدينة الشمس، الذي اصدرته مديرية الاثار العامة عام ١٩٧٤.
انظر كذلك:
فؤاد سفر، المنازل الفرثية لاسادور الكرخي، سومر، ٢، ١٩٤٦، ص ١٦٥ – ١٧٨.
فؤاد سفر، كتابات الحضر، سومر، ١٩٥١، ١٩٥٢، ١٩٥٣، ١٩٥٥، ١٩٦١، ١٩٦٢، ١٩٦٤ و ١٩٦٥ و ١٩٦٨ و ١٩٧١.
ماجد الشمس، الحضر، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد، ١٩٦٨
Wathiq I. AL– Salihi ., Hatra, Baghdad, 1973.

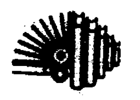
(٣٤) انظر تفصيل ذلك: فؤاد سفر، الحضر مدينة الشمس، ص ٢٦ – ٣٥.

(٣٥) المصدر السابق، ص ٢٢ – ٢٣.





رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٢٤ لسنة ١٩٩١



مطبعة جامعة الموصل



